



توفيق رأسين في الحلال

لنبدأ

الفصل الأول

في عام ١٩٩٣م، في إحدى القرى المصرية الجميلة، يبرز رجلٌ ذو قوة بدنية استثنائية، يُلفت الأنظار بمظهره القوي، وعضلاته المتينة، وجهه ينبعث منه الحدة، والشر، كما لو كان لوحة فنية تنقل الجلوس في إحدى المخازن إلى لوحة درامية. يجلس بسكون على كرسي، يمسك بيده نارجيلة، أو ما تُعرف باللغة المصرية الشيشة، متكئاً بأناقة على الكرسي، يظهر في ملامحه لامبالاة ساحرة تختلط بالشرود. يتجسد هذا الرجل الذي يُلقب بـ "ضايح" كروح تناغمت مع الظلال الغامضة.

في الخلفية تظهر شخصية مختلفة تمامًا، هو المعلم حنفي، رجلٌ بسيط، هادئ الطبع، يعكس على وجهه تعب الحياة ومرارتها. يتقدم بحذر نحو "ضايح"، يضع يديه بتواضع وخوف على بعضهما البعض. وفي لحظة، يسرع "ضايح" بالوقوف، يلقي الكرسي بعيداً بقوة، ويتغلغل في جوهر حنفي المروع، يتحدث بلسان القوة والتحكم، مثل مُخربٍ لحظات السكون بكلمات تحمل معنى عميقاً وتشد الأوتار الخافتة للخوف في قلب المعلم حنفي، كمن ينقلب مخطط الهدوء إلى صراع لا مفر منه، ويُبدع "ضايح" في أداء سيطرته على اللحظة بأسلوب درامي ينسجم ببراعة مع اللحظة الهادئة التي سبقتها:

__جيب الفلوس اللي عليك ولا لا يا حنفي؟

يرتجف المعلم حنفي، والرغبة تتسلل إلى عمق عينيه، وكلماته تنطلق بتردد:

=أنا...أنا...أنا هجيبك فلوس البضاعة بس اديني فرصة!

يرافق ضايح ذلك الضحك العجيب بنبرةٍ ساخرة، تُخيم على الجو المحمل بالتوتر، وكأنه يتحكم بأوقات الضحك، والرعب كما يشاء:

__ده عندها يا روح أمك... اللي ياخذ بضاعة من ضايح يبقى يسدها وعلى أكمل وجه... على العموم أنا اديتك فرصة أسبوعين وانت كل مرة تأجل، وضايح بطبعه مبيديش فرص لحد، بس أنا لما اديتك فرصة فكان علشان صلة القرابة اللي مابينا، وبص أنا مش هتكلم كثير.

استدار ضايح واستخرج السلاح من جيبه، وفجأة ارتفعت درجة الرهبة في عيون المعلم حنفي، حتى بدا وكأنه يبتلع ريقه خوفاً. ثم أكمل ضايح حديثه بصوتٍ يرتفع بسخرية حادة:

__بص يا روح أمك عندك حل من الاتنين ملهمش تالت... يا تنقتل يا تتجوز بسمة أختي... قوت ايه؟ رد المعلم حنفي بفرع قائلاً:

=لا يا ضايح أبوس ايديك بلاش بسمة أختك... أبوس ايديك ورجلك... اديني فرصة كمان بس وأنا هرجلك بضاعتك بس متعمليش أي حاجة!

ضحك ضايح للمرة الثانية، ولكن هذه المرة كانت ضحكة ساخرة تتغنى بالشر، ممزوجة بنبرة صوته المليئة بالسخرية:

__مش هعيد كلامي تاني... لو خايف على نفسك وعندك أمل في الحياة وعايز تعيش يبقى تسمع اللي بقولك عليه... تختار تنقتل ولا تتجوزها؟

سقطت دموع المعلم حنفي، فأدرك أنه في موقف لا حيلة فيه، وعندما شعر ضايح بالخوف الذي يتسلل إلى قلب المعلم حنفي، زاد إصراراً في قراره، حتى ابتسم وأطلق صفيراً يحمل معاني القوة. فجاءت

بسمة أخته مرتدية الفستان، وعلى وجهها ابتسامة كبيرة، فكان سرورها أكبر، إذ ستتزوج أخته بعد طول انتظار! وفي نفس اليوم الذي شهد تلك المعضلة، كان يوم زفافهم، ولكن الفرق في التوقيت! وفي هذا

اليوم، كانت دموع المعلم حنفي تسيل كالشلال، وتمنى أن يعصر جبلاً من الليمون على نفسه ليُعبّر بهدوء وسلام.

نحن اليوم في قرية أبي حلاوة، حيث يعيش المعلم حنفي بعد مرور سنوات عديدة، كأنها أقران، في منزل يتشاركه مع أم الديب، التي تُعرف بشدة قصرها ويبلغ طولها ١٥٥ سم. تتميز أم الديب ببشرتها الداكنة، وجسدها الممتلئ، وتتسم بالبخل وتكثر المشاكل اللامتناهية في حياتها. تُعرف في بلدانها وما يجاورها بالامرأة الشرسة أو البلطجية، التي يهابها الجميع، وتتخذ من القرية مسرحاً لصراعاتها وسيطرتها.

أما عن أم الديب، فقد أنجبت أربعة أبناء، اثنان من الذكور واثنان من الإناث. يتشابه كل منهم في طباعه وخلقه، حيث يعيش جلال ونعمة في الريف منذ الأزل، وسط حظيرة الحيوانات، ويشاركون أمهم والمعلم حنفي حياتهم. بينما قضى أحمد وهايدي معظم طفولتهم في الحضر، واستوحوا من عمهم حسين صفات الطموح، والرغبة في التقدم، والنقد لكل ما هو سلبي وغير مجدٍ. في تمام الساعة السابعة صباحاً، تنهض أم الديب، وهي في غمضة عين تنهياً ليومها، تمسك بيدها المشدودة فرشها، ثم تتجه نحو الحظيرة، مواصلةً روتينها اليومي مع الحيوانات، وفي خطواتها الأولى تنطلق صيحاتها الغليظة لتعلو في الهواء، مليئةً دعوة الصباح بنبرة لا تُنسى:

_ انتوا يا بهائم يالي هنا... اصحوا... كل ده نوم يالي تنام عليكم حيطة؟

فلم يُجيب أحد، حتى عادت قولها مرة أخرى بأعلى صوت:

_ يا حنفي... انت يا راجل... يا جلال... يا أحمد... يا نعمة... يا هايدي... انتوا يا عيال ردوا عليا، هو أني بكلم نفسي يا عيال ولا ايه؟

أثناء توجه الجميع للانضمام إلى أم الديب، سكب الغضب في عيونهم، وجلسوا على الأريكة الوحيدة في هذه الحظيرة البسيطة. نظرت أم الديب إلى أفراد عائلتها بغضب يتلاطم كأمواج البحر، ثم فجأة انطلقت بصوت حاد قائلة:

_ يلا يا بت منك ليها، عشان نحضر الفطار .

رد القلب الحنون الطيب وهو قلب نعمة ابنتها الكبرى:

=حاضر ياما اديني بس خمس دقائق أغسل وشي وأفوق

دخلت أم الديب إلى المطبخ المتواضع، حيث لا يتجاوز مساحته ٢×٢ مترًا، سادها الصمت الثقيل دون أن ترد على ما قالته ابنتها. تعبيرها الصامت عن الاستياء كان أقوى من الكلمات، حتى شددت باب الثلاجة بقوة، فانكسر بيدها. أمسكت الباب المنكوب ونظرت إليه بتعجب، قائلة:

_ هو ماله بقى خايب ومايل كده ليه؟ يا حنفي، يا حنفي .

جاء المعلم حنفي بعد نداءها له، وكان يترقب ما ستفعله معه هذه المرة، مثل كل يوم! فقال:

=ايه يا ولية في ايه؟

ردت أم الديب بسخط:

_ولية ايه يالي يولولوا عليك ساعة ونص؟ ماتشوف المخروب ده ماله .

نظر المعلم حنفي والكره يملأ قلبه، حتى ابتسم ابتسامة مختلطة بالتمقزز واقترب من الثلاجة ليفحص محتواها، فقال:

=ما قولتلك بلاش تجمدي عليها... أنا نفسي اسألك سؤال يا ولية هو انتي كان نفسك تلعبى رياضة وانتى صغيرة؟

تعاضمت درجة صوت أم الديب، وانعكست حدة الغضب في عينيها، وصرخت بقوة:

_ هاتها فيا واقلبها على دماغي... بقولك ايه يا حنفي!

ارتفعت أوتار صوتها بشكل يزيد من حدة السخط، حيث همست بقوة:

_ بقولك ايه!... أصطحب وقول يا صبح... متخلنيش أخلي يومك أسود، بقولك ايه اطلع برا، ده انت زي الحمار ولا فاهم أي حاجه... اطلع برا!

رد المعلم حنفي بسخرية:

=الله يكرم أصلك، كلك أدب وأخلاق .

نطقت أم الديب بصوت مرتفع:

_ يلا يا خويا اتكل على الله وهوينا... قال ايه عاوز يجيبها فيا... ماهو كل حاجة كده لازم يجيبها فوق دماغنا .

بعد أن انتهت من حديثها، أحضرت الخبز البلدي وكوب الاستانلس الممتلى بالماء حيث أسكبت الماء فوق الخبز، وبدأت في تقطيع الطماطم، والجزر، وفي ذلك الوقت، دخلت هايدي ابنتها الصغيرة البالغة من العمر ثمانية عشر عامًا إلى المطبخ، لتشاهد الوضع الكارثي. دائماً ما تتساءل لنفسها: لماذا تعتقد أم الديب أنهم أفراخ دجاج أو بط؟ ولماذا لا تدرك أنهم بشر ولهم حقوقهم، حتى في تناول الطعام؟ قالت وهي تعبر عن اشمزازها:

_ ايه ده؟ عيش مبلول تاني؟ لأ وكمان جزر!

ردت أم الديب وهي تقطع الطماطم:

=ده اللي عندنا إن كان عاجب .

في تلك اللحظة دخل أحمد البالغ من العمر ٢١ عامًا، ليرى نفس الكارثة. نظر إلى أخته هايدي في صمت، كأن بينهما حديثاً داخلياً يُنقل عبر لغة العيون. هزت هايدي رأسها، إيحاءً بأنه لا يوجد فائدة في محاولة التفاهم مع هذه المرأة. وأخذ أحمد يتحدث قائلاً:

_ هو ايه ده؟ مش ده جزر وطماطم؟

ردت أم الديب:

=الله ينور عليك، أيوه هو ده .

رد أحمد بحيرة:

=طيب بقولك مشوفتيش البنطلون بتاعي راح فين أصل أنا مسافر للمدينة النهارده عشان عندي محاضرات .

أجابت أم الديب بضيق:

_ معرفش شوف انت حاطه فين !

رد أحمد بياس:

=طيب .

ثم خرج من المطبخ وأتبعته أخته خلفه. وخلال خروجه، لمح بعينه طرف بنطاله متدلى في وسط القش الذي يحاوطه البقر. خرج يجري مُتجهاً نحوه بكل امتعاض، حتى أزاح الجاموس من أمامه، لينتشل بنطاله من وسط القش ويجده مغطى بفضلات الحيوانات، مما زاد من غضبه. ثم انطلق إلى المعلم حنفي الذي يجلس على الأريكة، وعلى ملامحه حزن السنين، وقال:

_شاي ف يا بابا؟ سألتها على البنطلون قالتلي معرفش إوفي الآخر ألقيه هنا؟ يا نهار أسود عليا، هروح أم الكلية ازاي دلوقتي؟ مانت عارف إن معنديش غيره .

نطق المعلم حنفي بصوت خافت بينما هو مذعور من أم الديب:

=معلش زي بعضه... هي أول مرة تعمل كده يعني؟ طب إحمد ربنا انك لقيته هنا... عارف أنا لقيت جلابيتي فين؟

رد أحمد بفضول:

_فين؟

نطق المعلم حنفي بصوت خافت، مقترباً بجسده نحو ابنه:

=في الترة وحياتك، أي مش فاهم ايه اللي وداه الترة... كان زهقان قال يخرج يشم هوا؟
رد أحمد بكمد:

_بقولك ايه يا بابا أنا فاضلي ثانيا وهنفجر فيكم كلكم... قولي أعمل ايه في المصيبة دي؟

رد المعلم حنفي بتفكير:

=تعالى معايا، أما نشوفله حل .

وقف المعلم حنفي واتجه إلى المرحاض في جو ملء بأصوات الحيوانات. خرجت نعمة من المرحاض وفي يدها ممسحة من القماش مُتسخة، ولا أحد يهتم بتنظيفها. وعندما رأت والدها وأخاها، قالت بنبرة حزينة، ومريرة:

_صباح الخير يابا .

رد المعلم حنفي:

=صباح النور يا نعمة .

بعد أن ذهبت نعمة بعيداً، دخل المعلم حنفي وأحمد إلى المرحاض. قام المعلم حنفي بفتح صنوبر الماء بحنان الأب وأحضر الصابون بأنامله التي كانت تعرف الجهد. وأحمد واقفاً بجانبه يشعر باليأس، وكأنه يحمل أثقال الحياة على كتفيه، وعلى وجهه تعب ينبئ عن معاناة لا تنتهي.

في بيت الرجل الكريم، عم سلامة، يتجسد السخاء، والسماحة. في عمره الذي تخطى الثمانية وأربعون عاماً، يستقبل الضيوف بابتسامة تشع نوراً. تاجر الأبقار والغنم، يمتلك ثلاثة أبناء: ليالي، وهبة، وصابر، كل واحد منهم يحمل قصة خاصة. يقيمون في جو من الكرم، والأصالة. ليالي، صاحبة البشرة البيضاء الجميلة، تتميز بجاذبيتها الريفية، ورغم رغبة العديد في الزواج منها، اكتفت بالتعليم الفني وتعمل في السوق برفقة والدتها. هبة تتابع دراستها في الجامعة، بينما صابر يعمل في الخارج لدعم أسرته. تباهي، زوجة عم سلامة، تشاركه في صفات الكرم والأصل الطيب. يعكس منزلهم بيع منتجات الأبقار والجاموس، وهو مكان يزخر بالحياة والعطاء. وفي هذا السياق، يظهر عم سلامة كعدو لأم الديب. أما في منزل أم الديب، تجلس العائلة على الحصيد لتناول الفطور الطريف على طاولة مصرية

أصيلة، إلا جلال الذي يتفرغ لأمر أخرى. وراءهم يعلو حبل معلق يحمل بنطال أحمد. نظرت أم الديب يمينًا ويسارًا بتساؤل في عينيها، حتى اهتمت بالسؤال عن جلال، ابنها الأكبر، في لمحة تعكس اهتمامها: =هو جلال راح فين يا عيال؟

ردت نعمة، وهي تتناول الطعام:
_ معرفش ياما، شكله خرج يشرب سيجارة ولا حاجة .

ردت أم الديب بجلبية:
=سجاير على الصبح يا بت؟ هو مش هيبطل المخروب ده ولا ايه نصيبته؟ احنا مش هنجري على المستشفيات عشان خاطر عيونه .
تلفظت نعمة:
_ ادعيله بالهداية ياما يمكن ربنا يهديه ويبطل شرب .

ردت أم الديب:
=يارب ياختي .
جاء جلال من الخارج، شاب طويل القامة يصل طوله إلى ١٨٠ سم، ببشرة داكنة، ولحية خفيفة باللون الأسود، مما يمنحه ملامح "سرسجية" حسب لهجة المصريين. يرث من أم الديب طبع العصبية الشديدة، حيث يظل صعب المراس ولا يُقهر. جلس بجانبهم، وعندما مد يده لتناول الطعام، نظرت أم الديب إليه بکراهية وقالت:
=ايه ياخويا ما لسه بدري، ده احنا كنا قربنا نفطر ونتغدى ونتعشا وانت لسه برا... ولا المحروسة كانت معديه من قدامنا؟
نفوه جلال بصوت حاد:
=هي مين ياما؟ أنا مش فاهم انتي بتتكلمي عن مين!

أم الديب بضحكة سخرية:
_ هيهيهيهي ياخويا بقى بتعملهم عليا أي؟ هيكون مين غيرها... البيت اللي انت حاكيلى عليها .
الحقيقة هنا أن جلال خدع أم الديب، وأقنعها بأنه يحب فتاة أخرى، دون أن يكشف لها عن الفتاة الحقيقية التي سرقت قلبه منذ سنوات طويلة. ثم قال:
=لا ياما ده أنا كنت مخنوق شوية، قولت أما اطلع برا أشم شوية هوا بدل ريحة البهايم اللي ماليه الدنيا ردت نعمة وهي تنشب منخارها بيدها باشمنزاز واضح:
_ الصراحه ياما الريحة دي وحشة أوي...دي تجيبنا أمراض الدنيا كلها، بقى بدمتك حد يعيش وسط البهايم؟ بقى بتساويهم بينا ياما؟
ردت هايدي باشمنزاز:
=أه والله يا نعمة، أنا هموت من الريحة مش قادرة أستحمل، ياريت تشوفولنا بيت تاني نعيش فيه بدل الحظيرة دي .

سرعان ما قامت أم الديب بنعلها، فنهض الجميع وأسرعوا بالهروب منها قبل أن يصيبهم نعلها، أو بالمعنى المصري "ششبها"، ثم قامت بسبهم، وقالت:
 =طب ايه رأيكم ان محدش طافح النهاردة؟ يلا يا ولاد الـ*** مش عاوزه أشوف وشكم، غوروا من قدامي بدل ما أعمل فيكم مصيبة!... يلا .

نطق جلال بصياح:

_وأنا مالي ياما؟ هو أنا اتكلمت ولا فتحت بؤي؟

صرخت أم الديب في وجهه، وقالت بانزعاج:

=لا أمي هي اللي اتكلمت... انت وش المصايب كلها... ماهو من كلامك لو مكنتش اتكلمت مكنش حد نطق .

رد جلال بكمد بينما الجميع كانوا يقفوا خلفه خائفين:

_بقولك ايه ياما... أنا مش عيل صغير على اللي بتعمله معايا ده، أنا راجل ملو هومي، وربنا هتجنن عليكى !

رفعت أم الديب نعلها في وجهه وقالت:

=اطلع برا يلا، جاتك ستين داهية... كان يوم أسود يوم ماخلفتك، آني اللي جيبته لنفسى .
 رد جلال بانزعاج:

_تمام ياما خليكى فاكرها... بس متبقيش تزعلي !

ردت أم الديب بصوت غليظ:

=يلا انتوا لسه واقفين؟ كل واحد يشوف اللي وراه... هعد لحد ثلاثة، ولو لقيت واحد فيكم قدامي هعمل فيه اللي ما يتعمل، واحد... اتنين... ثلاثة .

بمجرد أن نطقت الأرقام من واحد إلى ثلاثة، اختفى الجميع من أمامها. عادت إلى الطاولة الريفية وجلست لتكمل طعامها من دونهم، وفي رد فعل ساخرة قالت:

=مش كده أحسن؟ أهو وفرولي الطفح اللي كانوا هيطفحوه .

خرج المعلم حنفي وعقبه جلال، وأحمد، ونعمة، وهايدي. وفي لحظة، وقف جلال بعيداً ليشرب سيجارته بتأني. أما أحمد، فامتدت يده باتجاه المعلم حنفي، فلمحه بدهشة وقال:

_ايه يا أحمد عاوز ايه؟

أجاب أحمد بخجل:

=عايز فلوس المواصلات عشان مسافر .

رد المعلم حنفي، وهو مُحبط:

_بس أنا ممعايش فلوس... ولا أقولك تعالى معايا الجزارة .

وقبل أن يغادر نادى فتياته نعمة، وهايدي فقال:

_أنا هاخذ أخوكم ورايح الجزارة، وانتوا روحوا لستكم لحد ما أمكم ربنا يهديها وترجع لعقلها .
 أجابت نعمة بضيق:

=طيب بابا اللي تشوفه .

نظر المعلم حنفي إلى أحمد، وقال:

_يلا بينا .

ذهب المعلم حنفي مع ابنه، متجهين صوب الجزيرة. المعلم، جزار قديم، لا يزرع سوى بقطعة صغيرة من الدهن المتدلية أمام محله. يقطع يوميًا شريحة من الدهن، ويفذفها بين يدي الشوارع لتلتقطها أفواه القطط الجائعة. وفيما مضى المعلم وابنه مستكملين طريقهم، انفصل جلال عنهم واندلعت سيجارته، فتسلل الدخان الرقيق مع خيوطها إلى أرجاء الحي. بقيت نعمة وهايدي، شاهدتا اندفاع الحياة، حتى استحوذت هايدي على نصيبها، وبقيت نعمة تتأمل مصيرها البائس. وفي لحظة همسية، سحبت نعمة هايدي إلى جانبها، وقالت بصوت هامس يحمل الشجن:

=بقولك ايه يا هايدي، احنا ولا هنروح لستك ولا هباب، دي بخيلة زي أمي بالطبط، وهنروح نقعد عندها هتقعد تطقطك، وهتبقى مدايقة وكأنا قاعدين فوق قلبها... احنا الأحسنلنا نقعد ورا الزريبة لحد ما أمك تمشي وندخل نقعد!

تنهدت هايدي، وقالت بصياح:

=ما هي هترجع وهتلاقينا وهيحصل مشكلة، وبعدين بقولك ايه ده ثاني يوم يضيع عليا ومروحش المدرسة وأنا ثانوية عامة واللي بيحصل ده مينفعش... أنا اللي زي المفروض تنتشال على الراس مش تطرد من البيت .

ردت نعمة بابتسامة:

_ معلش يا هايدي هاتيها فيا، ومتخافيش لما ترجع نبقي نقولها أي حجة... مش هنغلب يعني .

تحدثت هايدي بإحباط:

=أنا مش مطمئة يا نعمة .

ردت نعمة:

_ متخافيش ياختي سيببها على ربنا بس... تعالي يلا .

ذهبت نعمة وهايدي خلف الحظيرة، مترقبين خروج أم الديب، بانتظار اللحظة المناسبة للدخول بدون علمها. فيما كانت المشاهد تتكشف خلف الحظيرة، كان المعلم حنفي في مقر جزارته، حيث كان يجمع النقود بعناية ليقدمها لابنه. وبعد اكتمال جمعه، وضع المال في يد ابنه بابتسامة رغم تعب، وقال:

_ خد ياوض كده معاك عشرين جنية بالتمام والكمال... لو احتاجت حاجة ثاني رن عليا .

ضحك أحمد بسخرية بعد أن نظر للمال، وقال:

=عشرين جنية ايه يا بابا؟ ودي تعمل ايه في الزمن ده؟ قول عشرين رايح، وعشرين جاي، ده غير

فلوس الأكل والشرب، غير فلوس الكتب .

نظر المعلم حنفي في الأرض بحسرة، وقال:

_ معلش يا أحمد يا بني... انت عارف الظروف بس متخافش ربك هيفرجها .

رد أحمد بحزن، وقال:

=طب ما ماما معاها الفلوس ومستخسره فينا... يا بابا أنا الوحيد اللي لسه مجيبتش الكتب، والصراحة

بقي شكلي وحش أوي وسط زمايلي .

رد المعلم حنفي:

_ وهى دي حد يقدر يتكلم معاها نص كلمة؟ خلينا ساكتين يا بني أحسن... طيب خليك هنا هجيب حاجة

وجاي .

رد أحمد:

=يا بابا مفيش وقت أنا كده هتأخر .

قال المعلم حنفي:

_ مش هنتأخر... اصبر بس ميفاش طلقك حامي .

رد أحمد:

=طيب .

خرج المعلم حنفي من الجزيرة، واتجه نحو جاره الكبير، عم إسماعيل، الذي يحمل عبء العجز ويشق عامه الثمانين، معتنيًا بمتجر صغير يحمل في طياته بضائع ضرورية. كان المكان يستعد لاستقبال الزبائن، وعم إسماعيل يبذل جهدًا في تنظيفه، ليكون استقباليًا لطيفًا لكل من يدخل. وبينما كان المعلم حنفي يتسارع في دخول المتجر، أعرب عن حالة العجلة في صوته حينما قال:

_ صباح الفل يا عم إسماعيل .

رد عم إسماعيل مبتسمًا:

=صباح النور على البنور، يجعل يومك هنا وسرور .

ابتسم له المعلم حنفي، وقال بإجراج:

_ أنا عارف ان أنا تقلت عليك اليومين دول... أنا بس عاوز خمسين جنية وهردهمك تاني... الواد عنده كلية ومستعجل!

رد عم إسماعيل بود:

=متقولش كده يا معلم حنفي، ده احنا جيران، والنبي عليه الصلاة والسلام وصى على سابع جار .

نطق المعلم حنفي بلطف:

_ عليه أفضل الصلاة والسلام... معلىش تاعينك معانا يا حاج .

وقف عم إسماعيل، وتحرك بخطواته البطيئة التي سيطر عليها العجز، حتى وصل إلى الجارور. باستمراره في فتح الجارور، تسلت برهة من الصمت الاحترامي حوله. أخرج منه المال بحرص وعناية، ثم عاد به ببطء متأني إلى المعلم حنفي مرة أخرى:

=دول خمسين جنية، وعلى أقل من مهلك، انشالله ترجعهم بعد سنة... المهم ابنك ينجح في كُليته، ومتنسوش تشربونا شربات نجاحه

مد المعلم حنفي يده وأخذ المال، وقال له:

_ ربنا ما يحرمنا منك يا عم اسماعيل، ويباركلنا في عمرك ويخليك لنا يارب .

خرج المعلم حنفي مُسرعًا، قيل أن يتسنى لعم إسماعيل الرد عليه، وسلم المال لأحمد باندفاع، ثم قال له:

=خذ ياخ خمسين جنية أهو...كده معاك سبعين جنية!

تعجب أحمد، فسأله باندهاش:

=انت جيبيت الفلوس دي منين؟ أوعى تكون شكك!

نطق المعلم حنفي:

_ ملكش دعوة شكك ولا مش شكك، انت اللي ليك تاخذ مصروفك عشان متقعدش هناك جيبك فاضي

وتقول للناس هاتوا واعملوا...يلا اتكل على الله!

نظر أحمد إليه نظرة حسرة، تعكس مرارة الفقر والضيق الذي يعيشونه. السبب الرئيسي وراء حالتهم المالية المتدهورة هو أم الديب، فهي المسؤولة الوحيدة عن الدخل المادي، دون إعطاء أي فرصة للمعلم حنفي ليكون المسئول بدلًا منها. يعتبر أحمد أنها دائمًا تتصرف كرجل المنزل، وتسعى لفرض سيطرتها على الجميع. نطق أحمد بكلماته، وقال:

=ماشى يا بابا، أشوفك على خير .

واقترب منه وقام بعناقه. قال المعلم حنفي بحُب:

_تروح وترجعلنا بألف سلامة .

رد أحمد:

=الله يسلمك .

ودعه أحمد، ثم خرج من الجزائر واتجه نحو موقف السيارات. ركب السيارة وغادر البلدة، في حين جلس المعلم حنفي ليديون حساباته في الورقة. أما أم الديب، فخرجت بعربة التسوق، وبعيدًا كانت نعمة وهايدي يراقبونها بانتباه. وبعد التأكد من خروجها، جرت نعمة، وخلفها هايدي، يشكلون مثلثًا حيث كانت نعمة كالزجاجة، وهايدي كالكوب. فنعمة طويلة ونحيفة، بينما هايدي قصيرة وممتلئة الجسم، لكن ليس بالقدر الذي يشبه أم الديب. وبوصولهم إلى الحظيرة، قامت نعمة بفتح الباب ليدخلوا، وأوصدوا الباب خلفهم.

أما عندما وصلت أم الديب إلى السوق، بدأت تتفحص الخضروات والفواكه المتساقطة، بحثًا عن الرخص. نظرت إلى البائع بتحديق، ثم قررت الانتقال نحوه والتساؤل عن الأسعار:

_بكام الطماطم، والخيار، والجزر؟

أجاب البائع:

=الطماطم بستة، والخيار بخمسة، والجزر بثلاثة .

ردت أم الديب بفضول:

_والدرجة الثانية، والثالثة بكام؟

أجاب البائع:

=الطماطم بثلاثة، والخيار باتنين، والجزر باتنين

ردت أم الديب:

_هاتلي اتنين كيلو طماطم، وكيلو جزر، وكيلو خيار، واتنين كيلو بطاطس .

رد البائع، منادياً الناس:

_بستة يا طماطم، يلا اشترى قبل ما الكمية تخلص .

بعد أن استلمت أم الديب طلبها من البائع، انطلقت متوجهة نحو بائع الفواكه. وأثناء سيرها، اصطدمت

بها سيارة شديدة الجمال، لامعة بسوادها، حتى سقطت أم الديب تعول وسط صدمة الموجددين الذين

اجتمعوا حولها. فجأة، نزلت سيدة جميلة من السيارة، وبجوارها اثنان من الحراس الذين كانوا يرتدون

البدل السوداء، مما جعلها تبدو كمشهد من فيلم سينمائي. صرخت أم الديب بصوت عالي، تعبر عن

حالة الصدمة، والرعب التي ألمت بها:

=الحقوني...رجلي يا عالم...رجلي يا خلق...مش قادرة... أه يا رجلي أه .

جلست الامراة الغنية بجوارها برقة، كي تظمن على حالتها، وكأنها وردة تنثر عبيرها في حديقة من

الصدمة. بينما كانت تتأمل اللحظة، قالت بلطف:

...I'm so sorry_ انتي كويسة؟

ردت ام الديب، بصراخ:

=حرام عليكى... هو عشان انتوا أغنيا وراكبين عربيات تعملوا في الناس الغلابة كده؟

ساد الصمت الجميع، مفتونين بجاذبية تلك السيدة الغنية، حيث لم يلتفت أحد إلى أم الديب، بل انصب

اهتمامهم كله نحوها. تعبيرًا عن مدى تأثرها بهذه اللحظة، قالت بصوت متأثر:

_ صدقيني أنا أسفه بجد... أكيد مش قصدنا نخبطك... على العموم أنا هاخذك للدكتور والعلاج هيكون على حسابي .

ثم أمرت الحرس بحملها برقة، وركبوا السيارة سوياً. طوال الطريق، كانت أم الديب تتشاهد السيارة من الداخل في صمت مليء بالتساؤلات. يعترئها العديد من الأفكار، بينها سؤال لماذا امرأة بهذا الجمال والثراء تأتي إلى قريتهم، وما هو الغرض؟ وفجأة، جاءت الإجابة من السيدة التي تدعى "أم قمر الدين"، كأنها استمعت لصوتها الداخلي، وقالت لها:

= أنا اسمي بسملة، بس شهرتي أم قمر الدين، كنت جايه هنا علشان افتتح مشروع جديد، وعندي شركة صحافة... وانتى؟

صرخت أم الديب، لكن لم تجد جواباً لحديث السيدة، وقالت:

_ أه يا رجلي... مش قادرة يا خلق، مش قادرة يا عالم، حسبنا الله ونعم الوكيل في الظالم والمفتري، هتروحو من ربنا فين؟

مررت أم قمر الدين يدها على كتف أم الديب، وقالت:

= بليز متصرخيش، كل اللي بتعمله ده بيأثر عليا وبيحسنني بالذنب زيادة!... أنا هصلح اللي اتكسر .
صرخت أم الديب قائلة بنواح:

_ وهو اللي إتكسر بيتصلح يا ست؟

ردت أم قمر الدين بابتسامة:

= طبعاً بيتصلح، وبيكون أجمل من الأول بكتير .

بعد وصولهم لمنزل أم قمر الدين، أخذتها ودخلوا إلى القصر، الذي كان ضخماً للغاية ومحاطاً بالجمال، والرفاهية. كانت البوابة الخارجية تتألق بفخامة، حيث كان يقف اثنان من الحرس بزي فخم، وأجساد رياضية وعيونهم محمية بنظارات شمسية. وحيال البوابة الداخلية، اثنان آخران يحميان الطريق. شعرت أم الديب وكأنها دخلت الجنة، بينما كانت حياتها السابقة محصورة بين الحيوانات في الحظيرة. وبعد دخولهم القصر، أصيبت أم الديب بذهول عارم عندما نظرت حولها، إذ كانت الديكورات تشع بالجمال، والفخامة. وعندما صعدا للطابق العلوي ودخلوا الغرفة، زادت دهشة أم الديب، حيث كانت تنظر في كل اتجاه وكأنها تعيش حلمًا لا تصدقه. وفي تلك اللحظة، دخل الطبيب بحقيبة أدواته، مضيئاً لمسة من الغموض للمشهد. قالت أم قمر الدين:

= دي ست غلبانة أوي، وهي للأسف غصب عننا خبطناها واحنا داخلين في السوق!... ممكن يا دكتور تشوف مالها؟

رد الطبيب بلطف:

_ ألف سلامه عليها، بنتشكي من ايه يا أسناذة؟

اقترب الطبيب لفحص الإصابات، وبمجرد أن لمس ساقها، أمسكت يده بقوة مدهشة، حيث بدا وكأن قوة غير مرئية تعترضه، وكانت عيناها تنطلق بشراسة وشر، وبينما تحاول بكل جهد إبعاد يده عنها، قالت بصوت حاد، مليئاً بالغضب:

= بقولك ايه يا راجل أنت، احترم نفسك وابعد إيدك لا توحشك .

ضحك الطبيب، وقال بسخرية:

_ هو أنا بعمل حاجة غلط؟ ده أنا هكشف عليك عشان أعالجك!

ردت أم الديب بصوت حاد:

=احترم نفسك بدل ما أوريك اللي عمرك ما شوفته... فاهم ولا لا؟

ردت أم قمر الدين بحكمة، لتتخذ الموقف قبل الوقوع في المشكلة:

_ممكن لو سمحتي تديه فرصة يكشف عليكي علشان تتعالجي!

نظرت أم الديب إلى أم قمر الدين بحقد، حتى لمس الطبيب ساقها، فصرخت من شدة الألم، وبعد التأكد من الحالة، أخرج الطبيب الإبرة ليعطيها إياها. هناك تعابير على وجه أم الديب من الألم، والخوف، حيث غلقت عينيها بإحكام لتجتنب النظر إلى الإبرة وزيادة الرهبة. وبعد أخذت الدواء، مالت أم قمر الدين نحوها وقالت بلطف:

=ألف سلامه عليكي، ممكن أعرف اسمك؟

ردت أم الديب بتألم:

_اسمي بسمه... والشهرة أم الديب .

ضحكت أم قمر الدين لما سمعته، فتحدثت بذهول:

_أم الديب؟ يعني ايه أم الديب؟

تفوهت أم الديب:

=هما هامين اللي خلوا الناس لبست فيا الإسم دهون... أول هام إن أني و أني صغيرة كنت برربي

ديابة. أه والله متسنغريش، وكانوا بيحبوني زي حباب عينيهم، ولا واحد فيهم كان يقدر يعضني ولا يهبشني... لحد ما واحده جارتني قالتلي يا أم الديب ومن ساعتها وكل الناس بتقوللي أم الديب... إنما بقى تاني هام، وده الأهم... أني من عيلة الديب لو تسمعي عنها يعني، وأنني الوحيدة فيهم اللي مسيطرة، وأمشي على العجين ملغبطوش... لحد ما كل الناس اجتمعوا على إن اسمي أم الديب ومن يومها، وأنني مشهورة بالاسم ده .

نظرت إليها أم قمر الدين، وهي مشمئزة، وقالت:

_أهلاً بيكي يا أم الديب .

نطق الطبيب قائلاً:

_بتشتكي من ايه بالظبط هنا يا أستاذة؟

ردت أم الديب :

=والنبي يا خويا ما تفحص في رجلي، أني طاقة نفسي بالعافية ده ربنا العالم !

تعجب الطبيب من ردها، فقال:

_يا خويا؟

نظر الطبيب للسيدة بدهشة، يتساءل عن مصدرها وكيف وصلت إليهم. ثم أخرج العلاج وسلمه لها،

قائلاً: =هتبقى كويسة !

اقتربت أم قمر الدين من أم الديب، وبكارتٍ جليلٍ في يدها، أخرجته من حقيبتها، مضيئة للحظة الأهمية والرصانة للموقف، وقالت:

=الحمد لله اتطمنا عليكي ده الكارنية بتاعي فيه رقمي اتصلي عليا لو احتاجتي أي حاجة، أوكي؟

أمسكت أم الديب بالكارت ونظرت فيه، تحاول قراءة ما فيه، وفي نظرتها تكمن مزيج من الفضول والإحراج الشديد، وقالت بصوتٍ هامسٍ مليء بالترقب:

_لا مؤاخذه ميعرفش أقرأ .

أم قمر الدين بلطف:

=أنا اسمي بسملة بينادوني أم قمر الدين .

أم الديب تضحك بشدة:

_مفيش بلح باللبن؟

تعجبت أم قمر الدين من قول أم الديب الغريب، وقالت :

=نعم؟

أم الديب بسخرية :

_مش احنا في رمضان؟

ضحكت أم قمر الدين، ثم قالت :

=أوه نو، ده ابني الكبير قمر الدين مسافر برا وفي علاء الدين ابني الصغير .

أم الديب:

_انشالله يخليهملك همشي أنا بقى .

وقبل أن تغادر أم الديب نادتها أم قمر الدين:

=لا لا استني .

ثم نادت على الخادمة بصوتٍ متردد، كأنها تطلب منها مهمة عظيمة، وقالت لها تعطيها ما فيه من نصيب، وبالطبع أم الديب كانت تعتقد أنها ستعطيها شئ بسيط، ولكنها أحضرت لها كل ما لذ وطاب لدرجة أنها كانت في حالة من الذهول الكامل. في منزل أم الديب، كانت نعمة، وهايدي تجلسان أمام التلفاز القديم يشاهدون المسلسلات، تتناغم أصواتهم مع ترددات البرامج وأحداثها، حتى جاء جلال، والمعلم حنفي من الخارج، فلم يجدوا أم الديب كالعادة، فنطق المعلم حنفي متعجبًا، وعبثت أسئلة الدهشة بأفكارهم، وهم يبحثون عن إجابة في لغز غياب أم البيت:

_هي أمكم راحت فين؟

ردت نعمة، بينما هي منشغله بالمسلسل:

=مشيت يابا... راحت السوق .

ابتسم المعلم حنفي، وكأن شمس السعادة قد أضاءت أرجاء الحظيرة، حيث انعكست الفرحة على

وجوههم. فجلس بجوار جلال، وأعاد الحياة للحظيرة بأجمل ما فيها، ثم قال بصوتٍ مرح:

_يارب ما ترجع دلوقتي... خلينا مرتاحين منها شوية .

وبعد ثلاث ساعات وصلت أم الديب بسيارة أم قمر الدين، وبينما خرجت تحمل عبوات الطعام، اتصل

السائق بأم قمر الدين وقال بلغةٍ مليئة بالاحترام:

_الست أم الديب وصلت .

ردت أم قمر الدين:

=أوكي .

فلم تستطع أم الديب المشي بكل هذه العبوات الثقيلة، ولكنها أخيرًا وصلت وقامت بحملها بصعوبة.

وعندما وصلت إلى الباب وقامت بطرقه، قام جلال بفتح الباب لها، فأصيبيوا بدهشة عميقة. قال جلال

بهمسٍ مليء بالتساؤلات:

_ياه ياما وأنا بقول مالك اتأخرتي كل ده ليه؟ اتاريكي بتشتريلنا خيرات ربنا كلها .

وحمل معها العبوات، بينما هي مُتعبة لدرجة عدم قدرتها على الوقوف على أرجلها. فجلست، وقالت

نعمة بهمسٍ مليء بالاهتمام:

=مالك ياما ايه اللي جراك؟

ردت أم الديب بتأوه:

_ هقولك يا نعمة... وأناي رايعه السوق خبطتني عربية فخمة أوي أوي، ونزلتلي منها ولية غنية أوي شبه اللي بيطلعوا في التلازيون، قعدت تتكلملي انجليزي وأناي مش فاهمه حاجة زي مأنأ لحد ما خدنتي معاها الدار، ومطلعش أي دار لا ده طلع قصر ملوك، وبعد ما أدوني الإبرة ولفولي رجلي راحت مدياني الورقة دهني، وجابتلي أكل كثير... دي ولية كريمة أوي بشكل يا عيال! نطقنت نعمة بفضول:

=مين دي ياما اسمها ايه؟

ردت أم الديب:

_ اسمها ست بسملة أو "أم قمر الدين"

ردت نعمة، بينما كان جلال يدعيب في العبوات ليري ما بها:

=غريب أوي الاسم ده ياما... بس الست دي شكلها كريمة أوي .

بعد أن فتح جلال العبوات، وجد بها الكيك الشهي بأنواعه، والمكسرات، والفاكهة، واللحوم، والجبن! فلم يستطع إخفاء إعجابه وقال بدهشة:

_ ايه الحلاوة دي؟ لأ وكمان فراخ مشوية!... يا حلاوة يا عيال

وبمجرد أن مد جلال يده في العبوة، نظرت له أم الديب نظرة شريرة، وضربته بقوة على يده، ثم صرخت في وجهه، وقالت بغضب متجاوز الحدود:

=محدش هيمد ايده في الأكل دهو... فاهمين ولا لا؟

في تلك اللحظة، غلبت الشخصية السرسجية على سكون جلال، حيث خرج عن صمته وتحول إلى سخط، وصرخ في وجهها:

_ بقولك ايه ياما... وربنا لأكل أنا، وأبويا، وأخواتي... ده انتي حرمانا من اللقمة ومعيشانا على العيش المبلول مائة ولا أجدعها دكر بط فوق السطح، سيبينا ندوق الأكل بقى .

نشل دبوس الدجاجة، وبعد أول قطعة منه، خلعت أم الديب حدائها كي تضربه، لكنه فر بعيداً حتى خرج من الحظيرة وهي خلفه تمسك الحذاء بيدها. وفيما يراقب الناس هذا الحدث بعيداً متعجبين من الأحداث، صرخت أم الديب قائلة:

_ استنى يا جلال، بقولك استنى متخلنيش أقلب عليك يا ولا، هخلي ليلتك طين لو موقفتش!... أه يا خرابي يا رجلي... يا ولا حرام عليك .

وفيما كانت تلك اللحظات المظلمة تلتهم جسد أم الديب المتعب، ينعكس الوجه الخفيف للكلب مثل شبح يتربص بفريسته. الصراخ المكثف يتزامن مع خطوات الكلب الذي يقترب بسرعة، كأنها لحظات حاسمة في صراع بين الحياة، والموت. الألم يلتصق بكل حركة وكأن اللحظات الثانية تتمدد إلى ساعات طويلة من الرعب. وبينما تهرب أم الديب بين أزقة الخوف، تتحول حياتها إلى مشهد مأساوي يعكس الضياع والضعف. الكلب لا يعرف الرحمة، وفي لحظة اليأس، تدخل "عم اسماعيل"، الجار الصالح، كالبطل المنقذ في قصة الخيال، حاملاً العصا كرمز للحماية، والدفاع. يتقدم بخطوات ثابتة نحو أم الديب، معبراً عن الرعاية في مشهد ينبض بالإنسانية والتراحم.

وبعد جهوده البطولية، يعيدها إلى دفء المنزل، حيث يفتح الباب وتظهر نعمة، تحمل في عينيها قلق الحب. تتعالى صيحات الدهشة، والفرح عند رؤية حالة أمها، لكنها تتماسك لتقديم الدعم في تجربة جديدة للعلاج. وبينما تخضع والدتها لفحوصات الطبيب، ينعكس على وجوههم جميعاً مزيج من القلق والأمل، في انتظار كلمات الطبيب التي قد تحمل معها شفاءً وتعافياً:

_ ياه دي عضه كبيرة أوي... هو الكلب كان بيتي ولا بلدي؟

رد عم إسماعيل:

=كلب بلدي يا دكتور، من كلاب الشوارع السعرائة .

نطقت أم الديب بصوت خافت:

_أه يا بختك المايل يا بسمة..أه ياني أه...خبطتين في رجل واحدة بتوجع .

تحدثت نعمة بتأثر:

=سلامتك ألف سلامة ياما... انشالله اللي يكرهك .

في المكان السري، حيث يلتقي جلال بحبيبته ليالي، وبينما تظهر خائفة تحيط نظرها في المكان بحذر،

ينطلق ضحك جلال كنغمة فرح تعزف ألحان اللقاء الخفي:

_يا بت أنا عاوز قلبك جامد، زي شكلك كده .

ردت ليالي بخوف:

=عاوز اية يا جلال؟ انت مش خايف لا أبويا يشوفنا وتحصل مشكلة؟

خلال لحظة الانفجار الفجائي، اكتست عيونها بلون الفزع، حين رأت عم سلامة يظهر في الخلف،

حاملاً في عيونه شرًا يشع بلا رحمة. وفي لحظة الصرخة، اندلعت عواطفها بقوة، محملة بالخوف من

مواجهة مصير قد يكون مُظلمًا.

يتبع.....

الفصل الثاني

تقدم عم سلامة نحو ليالي بخطى ثقيلة، وبدون أدنى رحمة، صاحب قوة الشر يصفع وجهها بشكل مُبرح، فتتحني ليالي بألم على الأرض، وسرعان ما تستيقظ من هذا الكابوس المروع، قلبها ينبض بسرعة وتتنفس بصعوبة. تضع يدها على صدرها، تحاول تهدئة ضربات قلبها السريعة. وفي هذا الوقت الحرج، تدخل والدتها تباهي أمام سريرها، وتقول:
_ أنا رايحة السوق يا ليالي، ابقى نضفي البيت على ما أرجع!
ردت ليالي بإرهاق:

=ماشى ياما .

خرجت تباهي متجهة نحو السوق، حاملةً في يدها باقة من الخضروات الطازجة، حتى وجدت مكانها المعتاد على قطعة الأرض، فجلست وبدأت في النداء:
_ باتناشر يا قوطة... حمراء، وتنفع لتفريز الصلصة... يلا قرب، قرب، قرب، قرب، قربي يا حاجة، تعالى يا أستاذ .

وفي المنزل، كانت ليالي تقوم بالتنظيف، وعندما عادت هبة أختها من جامعها، جلست على الأرض، مُظهرة إرهاقها. نظرت لها ليالي بشفقة وقالت:
=شوفتي الفرق بيني وبينك ايه دلوقتي؟ أنا قاعدة في بيت أبويا معززة مكرمة، وانتى متبهدة على السكك، وكل ده عشان ايه؟ الإسم معاكي شهادة؟
أجابت هبة وهي تمسح ماء وجهها بيدها:

_ والله مفيش حاجة مضمونه في الزمن ده، على الأقل الشهادة بتنفع، مش الرجالة... الرجل من دول دلوقتي مش هقول بيبعك، لأ ده بيع أبوه ذات نفسه في ثانية لو الفلوس كترت في ايده وشَم نفسه، ومبيطمرش فيهم في الآخر... انما الشهادة فالأ، هي سندك وضهرك وعمرها ما تبيعك، بالعكس يوم ما الدنيا كلها تيجي عليكى وتقعي، هي اللي هتقومك وهتوقفك على حيلك!
ضحكت ليالي، وردت:

=حلو كلام الأفلام ده، وانتى يا خايبة شايفة يعني إن احنا في بلدنا دي لاقيين شغل؟ ده الخريجين بيلفوا على القهاوي يبيعوا جرايد.
ردت هبة بنفور:

_ اطلعي انتى منها بس، وكله هيبقى تمام!

تحدثت ليالي باستياء:

=بقى كده؟ طيب يا هبة... على العموم اعلمي حسابك هتتنضفي معايا، وأنا مش هيطلع عيني من كل ناحية، وكمان مش لاقية اللي يساعدني!

وقفت هبة، ودخلت غرفتها في صمت، ثم ردت على ليالي:

_ أنا اللي منضفه الأسبوع اللي فات، الدور عليكى انتى

صكت هبة باب الغرفة في وجه ليالي، مما دهش عينيها، وشعرت بالصدمة من رد فعل أختها! ارتفع صوتها بينما كانت تعبر عن استيائها:

=طب ايه رأيك بقى، ان أنا مش عامله حاجة، إلا لما انتى ت.....

قبل أن تنتهي حديثها، رن هاتفها، وبعد أن أمسكته ونظرت به، وجدته جلال فصدحت صوتها بليوننة، واهتمام، وقالت:

_ جلال؟ غريبة انك بتتصل في الوقت ده يعني؟
 وقف جلال حيال التوكتوك الخاص به، وكأنه يعزف سيمفونية من الفخر، والاعتزاز، وهو يمرر يده بانسيابية على خصلات شعره المنسدلة. قال:
 =ايه، بلاش أكلم حبيبة القلب والروح؟ ولا الحلوة مشغولة وأنا معرفش؟
 ردت ليالي بصوت مُدلل:
 _ لا خالص، ده أنا فاضية، وحتى كنت بفكر فيك .
 تقوه جلال بينما هو يضحك:
 =وكنتي بتفكري فيا ازاى بقى؟
 ردت ليالي بصوت مُدلل:
 _ كنت بفكر، لو انت عرفت ان أنا جايلي عريس، هتعمل ايه!...بصراحة مترددة أوي وخايفة من رد فعلك!

بينما كان جلال يقف أمام التوكتوك، تغيرت نبرة صوته فجأة من اللبونة إلى الحدة:
 =عريس مين ابن ال-**** ده؟ وربنا أذفنهولك صاحي، مانتي أصلك متعرفينيش، لأ ده أنا أهد الدنيا يا بت!
 ليالي بتردد:
 _مانت يا جلال اتأخرت عليا أوي بصراحة، وأنا عمالة أرفض أرفض...لحد ما أبويا وأمي خدوا بالهم!
 جلال بصوت حاد:
 =مانتي عارفة اللي فيها، ولا هتيجي في نص الطريق تسيبيني وتخلي؟ ده أنا أقفللكم ملط قصاد البيت... جرا ايه؟

ليالي بخوف:
 _يبقى خلاص اتصرف وشوف حل يا جلال، ماحنا مش هنقضها كده كثير!
 جلال بضيق:
 =ربك يحلها من عنده، بس وربنا لو عرفت إنك وافقتي عليه، لأدفنك صاحبة، أمين؟
 بعد عودة أم الديب وبناتها إلى المنزل واستقرارهن في فراشهن، انغمست في النوم، وفي اليوم التالي، وجدت نعمة ابنتها الكبرى تقوم بتنظيف المنزل عندما عثرت على البطاقة ملقاة وسط القش. أخذت البطاقة وقررت الاتصال بالسيدة الثرية أم قمر الدين، ناوليةً مساعدتهم. في منزل أم قمر الدين، كانت تجلس في حديقة واسعة تحتسي فنجان القهوة اللذيذة، وعندما رن هاتفها برقم مجهول، فاجأتها الرنة، لكنها قبلت المكالمة بهدشة... نعمة:

_ السلام عليكم .
 أم قمر الدين برقة :
 =هاي مين معايا؟
 تساءلت نعمة:
 _ انتي الست اللي أمي راحتها امبارح؟
 أم قمر الدين بفضول :

=انتي بنت أم الديب؟

نعمة بضحكة:

_أيوه أيوه آني .

أم قمر الدين بقلق :

=خير في حاجة ماما كويسة؟

نعمة بتأثر :

_لا أمي الكلب نهشها إمبارح ياعيني عليها .

أم قمر الدين بتعجب شديد:

=يعني ايه نهشها؟

نعمة بإجراج :

_عضها يا مدام .

أم قمر الدين بصدمة:

=أوه ماي جاد، هي كويسة؟

نعمة بابتئاس عارم :

_لا أمي تعبانة والداكتور قال لازم ترتاح .

أم قمر الدين:

=قوليلي عنوانكم وأنا جايه حالاً .

نعمة بسعادة:

_مش عايزين نتعبك يا مدام!

أم قمر الدين:

=بلبليز عرفيني مكانكم ضروري .

بمجرد أن علمت أم قمر الدين بتفاصيل موقع منزل أم الديب، قررت الانتقال إليها. فوقفت مكانها لحظة،

ثم اتجهت نحو مطبخ الفيلا، وقالت للخادمة:

=توليناز... عايزاكي تجهزي الأكل على ما ألبس وأنزل، بس ياريت تجهزيلي أحسن حاجة!

تركت الخادمة ما في يدها، ووقفت حيال أم قمر الدين، وقالت لها:

_حضرتك هتتغدي دلوقتي يا ست هانم؟

ردت أم قمر الدين:

=لا طبعًا...مانتي عارفة ان ده مش ميعاد الغدا خالص، أنا عايزة الأكل ده لأم الديب، فakraها؟

بينما حاولت الخادمة جاهدة أن تسترجع ذاكرتها، باءت محاولاتها بالفشل! فأجابت بحزم :

_اعذريني يا ست هانم، مين أم الديب دي؟

تحركت أم قمر الدين، واتجهت لدرج المنزل، وقالت:

=الست اللي جات إمبارح، على العموم كل ده ميخصكيش أهم حاجة تعملي اللي قولتلك عليه وبس!

ردت الخادمة:

_حاضر اللي سعادتك تشوفيه .

بعدما سعدت أم قمر الدين إلى الطابق العلوي ووصلت إلى غرفة الملابس، بادرت الخادمة بتجهيز الأمور لها. فبدأت في تنظيم الطعام، حيث نوعت اللحوم، والأسماك، والجبن، والخبز، والكيك الشهي. وبعد نصف ساعة، انتهت أم قمر الدين من ارتداء ملابسها ورش العطر الفواح. ثم أمسكت بحقيبتها الثمينة ونزلت إلى الطابق السفلي، حيث اتجهت مباشرة إلى المطبخ وقالت للخادمة:

=هاتيلي الحاجات دي هناك في شنطة العربية .

ردت الخادمة، وهي تغلف العبوات:

_حاضر يا ست هانم .

بينما كانت أم قمر الدين تخرج من منزلها، لاحظت وجود ابنتها جميلة وهي تقف أمام سيارتها الخاصة، ووجهها به ملامح غضب واضحة. فاقتربت منها بسرعة، وقالت:

=مالك يا جميلة في ايه؟

ردت جميلة، والحزن يملأ وجهها:

_كاوتش العربية نايم يا مامي، وتأخرت على المحاضرات، مش عارفة أعمل ايه!

مالت أم قمر الدين نحو إطار السيارة، وتفحصته بعمق بيدها، وضبطت موقفها بحرفية، ونظرت بانتباه شديد إلى جميلة، ثم قالت:

=خلاص يا حبيبتى، أنا هوصلك في طريقى .

تحدثت جميلة:

_لا أنا المحاضرات ضاعت عليا خلاص، فاكس محاضرات النهاردة، هبقى أعدي على سامية بأوبر عشان نشترى شوية حاجات .

أم قمر الدين بابتسامة:

=لا يا حبيبتى أوبر ايه اللي تركبيه؟ بقى جميلة الهوارى تركب أوبر على آخر الزمن؟ تعالي معايا وأنا هوصلك... بس في مشكلة صغيرة !

جميلة بإحباط:

_ياربى، مشكلة ايه دي؟

أم قمر الدين بتردد:

=هعدي على ست أعرفها، هنتظمن عليها بس ربع ساعة بالكثير وهرجع وهوديكي المكان اللي تحبيه .

جميلة بدهشة:

_مين الست دي يا مامي؟ وتعرفيها منين؟

أم قمر الدين:

=دي ست غلبانة أوي من الريف، وحصلتها مشكلة كبيرة، ولازم أعمل الواجب معاها... انتي عارفة يا حبيبتى ان أنا في الحاجات دي مبتأخرش !

عندما علمت جميلة بأنهم سيتوجهون إلى الريف، تجلى في عينيها حماس لا مثيل له، حيث كانت تسمع عنه طوال عمرها دون زيارته، فازداد فضولها لاستكشاف حياة الريف، ونظامه المعيشي، وتجربة الطعام المحلي، ورؤية الحيوانات الريفية مثل الأبقار والجاموس. وهكذا، ابتسمت بفرح غامر وقالت ببهجة:

=وأنا حاجي معاكي، أنا نفسي أشوف الفلاحين من زمان...هو ممكن يا مامي أخذ صورة وسط الزرع؟

ضحكت أم قمر الدين على حديث ابنتها، وقالت:

_طبعا يا روجي، أنا بصراحة مستغربة أوي انك وافقتي، دي معجزة !

ردت جميلة بابتسامة:

=أهو تغيير جو .

فور وصول الخادمت بحقائب الطعام، ووضعها في حقيبة السيارة، انطلقت أم قمر الدين، وابنتها جميلة في رحلتها إلى قرية أبو حلاوة. ومن المعروف أن أم قمر الدين لديها عدد كبير من البنات الجميلات، ولكن الأجل بينهم هي جميلة، إذ تناسب اسمها تمامًا، وتتمتع بجمال وجاذبية لا مثيل لهما، حيث يسقط الناس في غرامها دون تردد. فضلًا عن جسدها المتناسق وطولها الذي يبلغ ١٧٠ سم. وتتميز أيضًا بالكاريزما التي تمتلكها. وبعد مرور ثلاث ساعات، نزلت أم قمر الدين وابنتها من السيارة، واتصلت بأم الديب. وفي هذه اللحظة، كان أحمد وهايدي يجلسان بجانب أم الديب للاطمئنان عليها. ردت هايدي:

_ألو مين معايا؟

أم قمر الدين بلطف:

=أنا بسملة اللي أم الديب جات بيتي امبارح .

وقفت هايدي وهي متوترة، وقالت:

_أه...أه..أهلاً بحضرتك يا طنط بسملة .

أم قمر الدين:

=أهلاً بيكي يا حبيبتى...ممكن حد ينزل يفتحي، أنا واقفة قصاد البيت!

تحركت هايدي بينما أحمد يعقبها، حتى خرجوا من الحظيرة، ثم قالت بحزم:

_أنا جاية لحضرتك أهو .

وضعت هايدي الهاتف في جيبها، ثم اقتربت من أم قمر الدين وجميلة، وعانقتهما واحده تلو الأخرى

بحنان، ودفء.. قائلة:

=نورتوا الدنيا كلها .

أم قمر الدين بذهول:

_ده بنورك انتي يا روجي... بجد ماشاء الله عليك، مش شبه مامتك خالص .

ردت هايدي، وقالت:

=طب الحمد لله دي كانت تبقى كارثة !

تغيرت نظرات أم قمر الدين وجميلة، وسرعان ما عدلت هايدي حديثها بلطف:

_أقصد ان أنا فيا شبه من بابا أكثر!

مد أحمد يده لمصافحة أم قمر الدين بوجه ثابت، فقال بود:

=أهلاً بحضرتك .

تحدثت أم قمر الدين بفضول:

_أهلاً بيك، انت ابن أم الديب؟

رد أحمد بابتسامة:

=أه أنا ابنها .

بمجرد أن مدّ أحمد يده ليصافح جميلة. عندما لامست أصابعه يدها ونظر في عينيها، تأسر قلبه ووقع في

غرامها، حتى لم يستطع سحب يده، إلى أن جذبتها هايدي بقوة من يد جميلة، وجزت على أنيابها، وفي

عينيها ابتسامة خبيثة، وقالت:

_اتفضلوا، ماما مستنياكم فوق...اتفضلوا .

بعد دخولهم الحظيرة، انتابتهم روائح ننتنة فظيعة، حيث وضعت أم قمر الدين يدها على فمها من شدة القذارة. وقامت جميلة بنفس الفعل تمامًا كوالدتها، فأصبح من الصعب عليهم التنفس أو حتى المشي على الأرض بسبب وجود فضلات الحيوانات والقش. فكانت الأرض غير مستوية تمامًا، حتى أمسكت أم قمر الدين بسور الدرج واتسخت يديها بفضلات البقر، فصرخت بشدة. سارعت هايدي لتجلب لها منديل، وبعد تنظيف يديها، شعرت بالغثيان تكاد تتقيأ. وأخيرًا وصلوا إلى منزل أم الديب، حيث كانت أم قمر الدين تبحث حولها عن السرير، ولكنها لم تجده، بل وجدت فقط غطاء مفروش على الأرض، وفوقه أم الديب مستلقية. ولم تجد كرسي لتجلس عليه هي وابنتها، فطلتا واقفتين، وقالت بحالة من الإحباط:

_سلامتك مليون سلامة يا أم الديب، بجد زعلت أوي لما عرفت اللي حصلك!

ردت أم الديب بتعب:

=انتي مين يا ولية؟

دخلت نعمة لترتب حديث والدتها:

_اية ياما انتي الكلب عضك من نفوذك ولا من فخادك؟ بقى لحقتي تنسي هي مين؟

ثم عانقت أم قمر الدين، وجميلة، وقالت لها بحُب:

_منوره الدنيا كلها يا ست .

ردت أم قمر الدين، وهي تتذكر صوتها:

=انتي اللي كلمتيني صح؟

ردت نعمة، وهي مبتسمة:

_ايوه أني اللي كلمتك يا ست هانم، ده انتي منورانا ومكترانا، هي دي بتك صح؟

ردت جميلة باشمزاز:

=بتك؟

ردت أم قمر الدين بإحراج:

_أه دي جميلة بنتي .

ردت نعمة بسعادة:

=اسم الله عليها زي العسل، ربنا يخليهاك يارب .

ردت أم قمر الدين:

_ميرسي .

ضغظت السيدة بأصابعها الناعمة على زر مفتاح السيارة، وبعد أن فتحت حقيبة السيارة قالت لنعمة:

=في حاجات تحت في العربية ممكن تنزلي تجيبهم كلهم؟ معلش بقى أصل مجيبتش الحرس معايا النهاردة!

فرحت نعمة بعد أن عرفت بما سيأتي لهم مجددًا، فقالت:

_بس كده؟ ده انتي تؤمري .

هرولت نعمة مُسرعة حتى وصلت لحقيبة السيارة، وبمهارة أخرجت حقائب الطعام منها، وهي تزغرد

بسعادة من داخلها، وتتحدث بصوتها الداخلي بحماس، كما لو كانت تتحدث مع الطعام:

_ياه ده ايه الكرم اللي حظ علينا مرة واحده ده؟ الست دي شكلها غنية أوي أوي، وأغنى من اللي

بيطلعوا في التلافزيون كمان، ولا بتها اللي شبه ممثلين السيماء، ده يا بختهم والله!

عادت نعمة إلى الحظيرة وهي تحمل الحقائب، فدخلت بها إلى المطبخ كما تعتاد، وهي تدعس بداخلها بكل جدية، وتفانٍ، وبينما كانت في ذلك، تفاجأت بشخص يقترب، فازدادت حدة الذعر في داخلها. وعندما ألقت نظرة، اكتشفت أنه المعلم حنفي، الذي انتقلت إليه الطمأنينة، فاقتراب منها ببساطة ليمد لها يد العون، وهو يقول:

=هي الست دي جايبه ايه؟

ردت نعمة بفزع:

_ كده يابا خضتتي؟ مش تقول إحم ولا داستور قبل ما تدخل؟

المعلم حنفي بهشة:

=هو أنا يعني دخلت عليكي الحمام؟ ناوليني طبق آكل لقمة أرم بيها عضمي!

نعمة بانفعال:

_ يوه جرا ايه يابا؟ مش تطلع تسلم على الست وبتها الأول؟

المعلم حنفي باشتيهاء عارم:

=ناكل وبعدين نسلم، اللي نضمنه أحسن من اللي منضمونش .

نعمة بتساؤل:

_ تقصد ايه بالظبط يابا ؟

المعلم حنفي:

=اللي أقصده ان أمك لو خفت من تعبها وقامت، مش هنطول نقطة من الهوليلة دي كلها!

تنهدت نعمة، وهي تخرج الأطباق من درج المطبخ:

_ أه والله، عندك حق...خد يابا خد .

أعطته الطبق في يده، فشعر المعلم حنفي بالحماس وهو يمسك بالطعام كالمشرد الجائع الذي لم يرَ طعامًا طوال حياته، وبينما خرجت نعمة من الحظيرة وصعدت للطابق العلوي، نظرت أم قمر الدين حولها باشمئزاز، وكأنها تمتلك قدرة فطرية على استشعار الدناءة، والقذارة، وعبارات الازدراء تنساب من شفثيها وهي تقول:

=انتوا ازاي عايشين وسط الحيوانات في المكان المقرف ده؟

ردت أم الديب بينما هي متعبة:

_ هنعمل ايه بس يا ست هانم؟ آدي الله، وآدي حكمته .

ردت أم قمر الدين:

=ده شئ حقير، وغير آدمي بالمره...طب لو انتي رضيتيها على نفسك، أولادك ذنبهم ايه يعيشوا هنا؟

ردت أم الديب:

_ احنا غلابة وعلى قدنا يا ست هانم، وبنقضي اليوم بيومه، ده ربنا العالم!

بعد أن استمعت أم قمر الدين إلى ما حدث، شعرت بالضيق، والحزن، وقررت التصرف بشكل فوري.

فقررت التبرع لها بمبلغ كبير من المال كتعبير عن دعمها وتضامنها معها في هذه الظروف الصعبة. ثم

أخرجت هاتفها بحركة متأنية، وقامت بالاتصال برقم معين، وبينما كانت تتحدث مع أم الديب، كانت

تنطق كلماتها بثقة، معبرة عن إرادتها الصادقة في تقديم المساعدة والدعم:

=متقلقيش يا أم الديب...أنا هتصرف .

ردت أم الديب ببهجة:

_اللهي يجبرك، ويفرحك، ويحبب فيكي خلقه يا ست هانم .
 نطقت أم قمر الدين في المكالمة الهاتفية باهتمام:
 =عايزاك تبعتلي مية ألف جنية، على اللوكيشن اللي هبعتهولك حالاً...أوكي...باي .
 أثناء ما كانت أم قمر الدين ترسل العنوان للحرس، كانت نظرات أحمد تغمر بإعجاب شديد تجاه جميلة،
 في حين هايدي كانت بجانبه تلاحظ كل لحظة تبادلها أحمد وجميلة، كما لو كانت تترجم لغة العيون،
 ولغة الحب، والإعجاب المتبادل. وبعد أن انتهت أم قمر الدين من الكتابة، نظرت لأم الديب وقالت
 بحنان، ودفء في صوتها، وكأنها تحمل رسالة من القلب المفعم بالحب:
 _في مبلغ هيوصلك يا أم الديب خلال ساعات...أعتقد إنه هيكون مناسب انك تبني بيت تعيشي فيه انتي
 وأولادك، بدل عيشتك في المكان الحقير ده!
 أطلقت نعمة الزغاريدي بفرحة غامرة، فنزلت دموع أم الديب من شدة احتفالها باللحظة التي كانت كالحلم
 بالنسبة لها، وليست حقيقة يمكن تصديقها! وعندما غادرت أم قمر الدين المنزل برفقة ابنتها، وقفت
 هايدي بجانب أحمد، وعيناه يتبعان السيارة وهي تسير في الطريق، حتى ضربته هايدي بيدها على
 صدره برقة، وقالت بابتسامة مليئة بالمرح:
 =علفكرا بقى أنا خدت بالي من كل حاجة حصلت!

تردد أحمد قليلاً، وتلعثم في حديثه، حيث بدا وكأنه يجمع كلماته بعناية قبل أن ينطق بها:

_انت بتتكلمي عن ايه بالطبط؟ أنا مش فاهم حاجة!

رفعت هايدي حاجبها، وقالت:

=استعبط استعبط، قال يعني أنا مش واخده بالي!...ده انت عينيك كانت هتطير عليها!

رفع أحمد أحد حاجبيه هو الآخر، وقال:

_بصراحة أه...البنت مفياهش غلطة، كل حاجة بحلم بيها موجودة فيها ويمكن أكثر بكثير!

نطقت هايدي بقلق:

=طب يلا ندخل، نلحقنا حاجة قبل ما ماما تخف .

دخلت هايدي الحظيرة مرة أخرى، وخلفها أحمد، حتى أخذت طعامها جانباً. ثم جلست في إحدى
 الركناات بالحظيرة، وفي يدها الكتب، وبدأت في المذاكرة بجدية، وتركيز. وبعد مرور أربع ساعات،
 جاء حارس أم قمر الدين، معه المال، ثم طلبت لهم سيارة كبيرة محملة بالطوب، والأسمنت، والحديد
 لبناء المنزل الجديد. قامت أم الديب، بعد أن سمعت الخبر، وغلبت تعب ساقبها، بينما هي تطلق
 الزغاريدي بفرح لا يوصف. وبعد مرور ساعتين، وصل الطوب، والحديد، والعمال، وبدأوا في العمل.
 وكان الجميع يتساءل، من يتبرع بهذا المبلغ الكبير لأحد لا يعرفه جيداً؟ وعندما رأى المعلم حنفي وجود
 السيارات، ذهب مُسرِعاً نحوهم بفرحة لا توصف. بينما قررت نعمة أن تتصل بجلال وتخبره بما
 حدث!...قالت بفرحه جسيمة :

_ولا يا جلال انت فين كل ده؟

جلال بتجاهل:

=أنا عند صاحبي .

نعمة ببهجة:

_افرح يا ولا هنبني البيت الجديد !

جلال بتعجب منين:

=بيت مين؟

نعمة بفرحة:

_بيتنا يا زفت تعالى أف مع ابوك .

جلال :

=آني مش فاهم حاجة !

نعمة :

_تعالى، وياخراي نسيت أقولك أمك الكلب نهشها امبارح .

جلال بشماتة مقترنة بابتسامة خبيثة:

=يا عيني ياما يعني كده أمان مش هتقدر تقوم؟

نعمة بفرح:

_لا مش هتقدر تعالى بس .

جلال:

=أنا جاي أهو .

قد جاء جلال ولكنه كان ينظر حوله بتوتر، خوفاً من أن تستيقظ أم الديب وتراه فتنهض لتبدأ مصارعة جديدة معه. لكنه ذهب إلى غرفتها بحذر، حتى تأكد من أنها نائمة، ثم ذهب لينضم إلى أبيه المعلم حنفي ويقف معه... قال جلال بفرحة:

=ياه يابا هيكون عندنا بيت جديد لا وياه قصاد الترعة يعني نشم الهوا حلو يابا .

المعلم حنفي بفرح:

_ده أنا عيشت تمانية وأربعين سنة ياض في عشش فراخ وحظاير، ياه هنعيش زي بقيت جيرانا .

جلال بفضول:

=أما قولي يابا الفلوس دي جات ازاي؟

المعلم حنفي بصدق:

_الست اللي أمك راحتها لما عرفت وجات شافت البيت حلفت لازم تشوفلنا بيت تاني هو احنا أي حد

ولا ايه؟

جلال بابتسامة :

=يابا أنا عايز أتجوز !

المعلم حنفي بصياح:

_جرا ايه ياض يابن الكلب مش لما نبنى البيت الأول؟

جلال بقلق :

=البت ليالي هتضيع مني يابا .

المعلم حنفي بامتعاض:

_يادي ليالي اللي ماسكلنا فيها .

جلال بابتسامة:

=تعالى يابا أف في ضره ابنك وجوزه !

المعلم حنفي بقهر :

_ ده أنا اللي نفسي .

جلال بانفعال :

=جرا ايه يابا؟ أنا اللي هتجوز الأول !

المعلم حنفي بتعجب:

_وأنا اللي فاكرك اتضايقت عشان أمك !

جلال، يستنكر الحقيقة التي بداخله:

= لا أمي على راسي، ولا أقولك بلاش راسي لا تتكسر... بس هتجوز أنا الأول ساعدني يابا في

الجوازة محتاج فلوس!

وبعدما علم جلال أن عائلته حصلت على مبلغ ضخم من المال، دخل بحذر متسلل إلى الغرفة في صمت

مرعب، حتى نهب الأموال بسرعة وهرب كاللص في الليل. وفي الصباح الباكر في اليوم التالي، دخلت

هايدي إلى المطبخ وهي تعاني من الخوف، وأخرجت كيسًا من النسكافية من ثيابها، وهي تتلفت حولها

يمينًا ويسارًا بقلق شديد، مخافة أن تراها والدتها الشحيحة. وأخرجت اللبن من الثلاجة، وصنعت كوبًا

من النسكافية، وخرجت لتبدأ المذاكرة بقلق متزايد. وكلما بدأت تكتب، زاد صدى شخير أم الديب،

فتركت قلمها وصممت الأصوات، لكنها لم تستطع التقدم في مذاكرتها بسبب هذا الضجيج المزعج. وفي

لحظة من الاسترخاء أمام النافذة لتتنفس بعض الهواء النقي، حدثت المأساة حيث نضحت عليها فضلات

البقرة فتأطخت ملابسها، مما دفعها للصراخ والدخول إلى المرحاض لتنظف نفسها بعناية. وبعد تنظيفها،

دق جلال باب الحظيرة بقلب مفعم باللامبالاة، والجرأة:

_ أمك فين؟

ردت هايدي وهي كامدة مما حدث لها:

_فوق أمال هتكون فين يعني؟

صعد جلال إلى الطابق العلوي، فاستيقظت أم الديب فجأة وركلت المعلم حنفي بقوة بفخذها، فصرخ

متألمًا وهو يتحسس المكان الذي تعرض للضرب فيه:

=الله يخربيتك... هو آني نايم جنب مراتي، ولا جنب حمار؟ بترفضي ليه وانتي مخموده؟ ما تنامي زي

بقية الناس!

صاحت أم الديب في وجهه، واستقامت:

_ انت اللي حمار وستين حمار فوق دماغك ودماغ اللي جابوك...لو آني حمار تبقى انت ايه؟ خنزير ولا

عجل؟

نطق المعلم حنفي بصوت حاد:

=ما بلاش نجيب سيرة العجول، لا تزعلي!

صرخت أم الديب في وجهه، وقالت:

_تقصد ايه يا راجل انت؟

صاح جلال في وجوههم، وقال بجديّة:

=بس متوجعوش دماغي..أنا جاي أكلمكم في موضوع مهم

جلس جلال أمامهم، وأم الديب تنظر إلى المعلم حنفي بكراهية، وانزعاج واضحين في عينيها. فاستكمل

جلال حديثه بصوت ثابت، في حين دخلت نعمة من خلفه:

=متبصليهاوش كده ياما... وخليكي معايا أنا .
 ردت أم الديب بصوت حاد:
 _عاوز ايه انت، خلص!
 جلال بخوف وتردد :
 =ما براحة ياما!... بصراحة كده ومن غير لف ودوران، أنا عايز أتجوز!
 أم الديب بضحكة سخريّة:
 _تتجوز منين يا حسرة؟ هو انت يا ض معاك مليم؟
 جلال بكذب :
 =لا ياما أنا دخلت مشروع مع صاحبي وخذت نسبتي وهتجوز بيهم .
 أم الديب بفضول :
 _وهتجوز مين يا خويا على كده؟
 جلال بتردد منين :
 =ليالي ياما .
 أم الديب بإعوال:
 _ليالي بت سلامة؟
 جلال بخوف، وترقب حدوث مشكلة كبيرة:
 =أيوه ياما .
 أم الديب بصراخ :
 _يا خرابي... يالهوري !
 المعلم حنفي بصوت حاد:
 =ما تقطمي يابت الجزمة فضحتينا!. الواد عايز يتجوز في الحلال !
 أم الديب بتعنّت شديد:
 _البت دبة لا، دي لا .
 جلال بإلحاح:
 =ياما دي بت طيبة جربي تحببها!
 أم الديب باستهزاء :
 _وهي فيها ايه يتحب ياخويا؟
 جلال محاولاً إقناع أم الديب :
 =إسمعي كلامي ونروحلهم بكرنا نقرأ الفاتحة .
 أم الديب ببغضاء جسيم تُجاه ليالي :
 _ايهي احنا هنقرأها على روحها قريب .
 جلال بعصبية مفرطة:
 =يوه بعد الشر ياما، متفوليش عليها!
 أم الديب، محاولة قلب الطاولة فوق رأسه:
 _بتيجي على أمك علشانها يا ولا؟
 جلال بذهول:

= أنا جيت ناحيتك ياما؟
المعلم حنفي بابتسامة :
_ ألف مبروك يا حبيب أبوك صبحني بكرة بدري عشان نروح سوا .
أم الديب بجلبة :
=وآني فين؟
المعلم حنفي بابتسامة خافتة :
_ ده كلام برضة؟ مانتي هتيجي معانا...يلا على البركة، عايزين نفرح .
أم الديب بضيق:
=أما نشوف آخرتها ايه!
أطلقت نعمة الزغاريد ببهجة، وأخيرًا وافقت أم الديب على الذهاب معهم إلى منزل عم سلامة، وفي
اليوم التالي، ارتدى المعلم حنفي جلبابه وأخذ جلال وأم الديب، ونعمة، وهايدي، وانطلقوا إلى منزل
العروس. وكانت أم الديب مستعدة لإفتعال أي مشكلة تهدد زواجهم، في محاولة منها لإنهاء هذا الأمر.
تحدث سلامة والد ليالي بسعادة:
_ نورتونا .
المعلم حنفي بابتسامة عارمة:
=الله يخليك يا معلم سلامة، احنا جايين نخش في الموضوع عالطول .
عم سلامة بود:
_ يا أهلاً يا حاج .
المعلم حنفي بخجل :
=الواد ابني جلال طالب ايد بنتك ليالي في الحلال ان شاء الله .
جلال بابتسامة:
_ أبوه واحنا من ايدينا دي لإيدينا دي .
عم سلامة بفرح:
=يا أهلاً واحنا موافقين... زغردي يا بت .
ازدادت زغاريد نساء العائلة، بما فيهم أخت ليالي، ترتفع بصوتٍ ملؤه الفرح، والبهجة، كالأنغام الجميلة
في حفل زفاف. وفجأة، بدت أم الديب وكأنها قطعة موسيقية مفقودة، ونبرة صوتها تزداد حدة قائلة:
_ جرا ايه ياخويا منك له مش تسألوا على الواد الأول، مش يمكن يطلع بيشر ب حشيش؟
ذُهلّت أعين جلال فنطق بصياح:
=ايه ياما اللي بتقوليه ده؟
أم الديب :
_ مش من الأصول يا خويا اسألوا عنه الأول وقدامكم سنة وابقوا ردوا علينا .
المعلم حنفي بصياح، ووعيد:
=هش يا ولية اسكتي!
أم الديب باستنكار ما فعلته:
_ ايهي أنا عملت حاجة؟
عم سلامة بضحك:
=لا جلال واد چدع .

أم الديب بصوت خافت:

_برضة؟

دخلت العروسة بصينية الشربات، تتأرجح خطواتها كأنغام تملأ الأجواء بالبهجة، حتى وضعت الصينية فوق الترابيزة بأناقة فائقة. واقتربت ببسمة ودودة، تتألق كالنجمة في سماء الليل، لتقبل حماتها المستقبلية بلطف. وفي لحظة من الرقة، والألفة، نطقت بصوت ناعم كسحابة صافية في سماء الربيع:

=ازيك يا حماتي؟

أم الديب باشمئزاز:

_أهلاً .

جلست ليالي بجانب أم الديب، وكأن الهواء قد تحول إلى مادة سامة تملأ الغرفة بالتوتر، بينما كانت أم الديب تنظر لها باشمئزاز واضح في عينيها، كموجة غضب قادمة تجتاح الأجواء الساكنة. وفي هذا الجو المشحون بالتوتر، نطق المعلم حنفي:

=ها آخر كلام يا عم سلامة؟

عم سلامة:

_آخر كلام بإذنك يارب .

جلال بلهفة:

=طب طلباتك ايه يا عم الحاج؟

وقفت والدة العروسة، محملة بمشاعر الترقب، وقامت بتوزيع المشروبات على الموجودين، وبمجرد أن أم الديب أمسكت الكوب، تحولت اللحظة الهادئة إلى عاصفة من الغضب، والتدمير. نسفتها بلا رحمة وقضت عليها في أقل من ثانية، فنظرت لها بابتسامة مليئة بالاستفزاز، بينما كانت تباهي عيناها تنطق بالاشمئزاز:

_بالهنا والشفاء يا حاجة .

نظرت أم الديب لها بكراهية، وقالت:

=ايهي وده شربات عروسة، ولا بول حمير ملونينه؟

صوب المعلم حنفي نظره لأم الديب بحدية، ثم غيّر الموضوع:

_طلباتك يا حاج سلامة .

رد صابر بابتسامة:

=احنا عايزين شبكة بسبعين ألف ان شاء الله .

صدحت أم الديب في وجهه، ووقفت مكانها، وقالت:

_يالهوري...سبعين ألف ليه؟ كانت الأميرة دويانا؟

ردت نعمة:

=ديانا ياما!

أجابت تباهي، والكراهية تغمر قلبها:

_أنا بنتي مش أقل من حد، والسبعين ألف اللي انتي شايفاهم كثير دول بالنسبالنا شوية ملاليم يا حاجة!

صرخت أم الديب مرة أخرى، وقالت بضجيج:

=والله يا ختي كل واحد على قده...احنا مش هنموت نفسنا عشان خاطر سواد عيون بتك!

وقف جلال مكانه، وتحدث مع أم الديب بنبرة صوت حاده تحمل الامتعاض:

_ أقعدي ياما، وخلينا نتكلم بالعقل.

ردت أم الديب بسخرية:

= وهما دول خلوا فيها عقل ياخويا؟ دول عايزين يخلوك على الجلد والسقط.

تقوه جلال بصياح:

_ أقعدي ياما بقولك... متخلنيش أتجنن!

تدخلت نعمة في حل المشكلة بسرعة البرق، وقالت:

= أقعدي عشان خاطرني أنا ياما، وحياتي عندك لتقعدي!

جلست أم الديب مرة أخرى، فواصل جلال حديثه:

_ وأنا موافق يا عم سلامة على اللي تطلبه.

رد عم سلامة بحزم:

= يبقى على بركة الله، زغردوا يا نسوان.

وبدلاً من أن تزغرد أم الديب، جلجلت بصوتها الجلف:

_ يالهوتي.

بعد أن انتهوا من قراءة الفاتحة، عادوا إلى المنزل، ودخلت أم الديب لتنام، بينما كان جلال يتحدث مع

خطيبته ليالي في الهاتف، ولكن المعلم حنفي كان يشعر بالغضب العارم تجاه أم الديب. وهذا الامتعاض

يرجع لأنه تزوجها تخليصاً لحقوق ضايح نحوه، دون أن يكون هناك مشاعر حقيقية بينهما. فنظر إلى

السماء بتفكير متأن، يبحث في عمق نفسه عن الإجابات، والحلول:

= ياه لو كان الواحد متجوز فرسة كده طويلة، وبيضة بتضاريس متقسمة، ياه مش الولية الفقر دي،

عايز حقوقي يا ناس تعبت!

جاء جلال، ووضع يده على كتف أبيه، وقال:

_ مالك يا حاج بتكلم نفسك ليه؟

وفي هذه اللحظة شعر المعلم حنفي بالجوع، فقال:

= أبداً ما تيجي يالا نعمل أكل ألا جعان أوي أوي.

نظر جلال حوله، وقال بإحباط:

_ زي مانت شايف البيت فاضي مفيهوش حاجة.

المعلم حنفي بقهر:

= ياض أنا بطني لزقت في ضهري من كتر العيش المبلول في الماية... نفسي في لحمه، وفراخ،

وبطاطس ياه.

جلال بإحباط:

_ عشم إبليس في الجنة يابا.

المعلم حنفي بكمد:

= انت دايمًا تحبطني كده ياض؟

ضحك جلال، وصمت، فتابع المعلم حنفي حديثه:

= أما قولني يا جلال هتجيب فلوس الشبكة منين؟

جلس جلال على الأريكة، وقال:

_مأنا قولتلكم يابا، إن أنا كنت داخل مشروع مع واحد صاحبي، وبفضل الله المشروع نجح، وخذت نسبتي والدنيا بقيت تمام وزى الفل .
المعلم حنفي بشك:
=مشروع برضة يالا...ولا ايديك الطويلة اتمدت في الشر؟

جلال بسُخط:

_ايه الكلام اللي بتقوله ده يابا؟ وانت تعرف حاجة زي دي عني؟
مرت نعمة على حافة جلال، والمعلم حنفي، وهي تزغرد بكل بهجة، وسعادة، معبرة عن فرحتها بلحظات الاتصال الأسري الحقيقي. ثم قالت بابتسامة تعبق بالسعادة:
=هتجيبوا الشبكة امتى يا جلال؟

جلال بفرحة:

_بكرا يا بت، عاوزكم تشرفوني قدام العروسة وأهلها!
نعمة ببهجة:

=ده احنا هنرفع راسك لفوق، ياه أخيراً يارب هنفرح بجلال أخويا، وهنشوفه مع عروسته؟
في اليوم التالي، بالتحديد، عند صائغ الذهب، كان جلال وعروسته ليالي يختاران الخواتم المناسبة سوياً وسط حضور أهلها من الجانبين. وفي هذا الجو المليء بالفرح، والتواصل، لم تكن أم الديب بعيدة عن التدخل فيما لا يعنيها، فقالت ليالي:

=حلو أوي ده يا جلال .

جلال بنظرات حب سعيدة :

_مبروك عليك يا بت يا ليالي .

أم الديب بغضب، وكراهية :

=لا ياخوتي وحش عليك مش حلو .

جلال بعناد:

_حلو .

أم الديب بإصرار:

=لا ياخويا وحش أوي .

اقترب منهم المعلم حنفي، وهو يلاحظ ما تفعله زوجته:

_انتي مالك يا ولية ما تسيبيهم !

نعمة بفرحة:

=ألف ألف مبروك .

ليالي بسرور:

_الله يبارك فيكي يا نعمة، وعقبالك .

نعمة بلهفة:

=يسمع من بوقك ربنا

سحبت أم الديب جلال من يده بعيداً بقوة، والنار تندفق من بين عينيها المشتعلتين، مما يعكس استيائها.

ثم قالت بصوت محمل بالغضب:

_ هتجيبها بكام يا جلال؟

جلال بصوت جلف:

=بسبعين ألف زي ماتفقنا ياما .

أم الديب بنواح:

_ليه كانت بت مين؟

جلال بعصبية:

=ميغلاش عليها ياما!

أم الديب بصوت خافت :

_اسمع مني هاتلها ذهب قشرة .

جلال بعصبية :

=هجيبلها ذهب حقيقي، واطلعي من نفوخي النهاردة مش علوز نكد!

أم الديب بدموع تمثيل :

_الحق عليا عايزة أوفرلك .

جلال:

=لا كتر خيرك يا حاجة .

ثم عاد مطرحة، وأردف للصائغ:

=هناخد الدبل دي يا حاج .

ازدادت زغاريد النساء، تعبيرًا عن الفرح. وبعد أن غادروا، وجدت هايدي نفسها تحاول الدراسة في المنزل، ولكن لا تستطيع التركيز بسبب صوت الحيوانات المحيطة بها، فتنهدت بعمق ووقفت من مكانها بتردد، واضطراب:

_أوف... هو أنا معرفش أذاكرلي كلمتين أبدًا في البيت ده؟ ولا بيت ايه صحيح؟ ده محصلش بيت حتى !

في هذا الوقت، دخلت أم الديب، والمعلم حنفي، ونعمة، وجلال من باب الحظيرة، وجلست أم الديب فوق الأريكة، وبدأت تسترجع ذكريات العداوة التي كانت بينها وبين عم سلامة. ومن خلال تذكراتها، تبين لها حادثة سابقة حينما اصطدم بها عم سلامة دون قصد في السوق، وهو يسير بحماره. فصرخت أم الديب وبادرت إلى سبه، لكنه لم يكتف بذلك بل أفحشها، مما أدى إلى تفاقم النزاع بينهما. فتدخل الناس لحل النزاع، ومنذ ذلك الحين، غمرتها الكراهية تجاهه، وتخللت قلبها مع كل نبضة. اقترب المعلم حنفي من جلال وعانقه بحنان، وقال له بصوتٍ مليء بالحب:

=ألف مبروك يا ض .

رد جلال بفرحة:

_الله يبارك فيك يابا .

ونظر حوله، وأخفض صوته، وأردف حديثه:

_وعقبالك !

نزلت دموع المعلم حنفي من ابتئاسه على نفسه:

=حاسس بأبوك يا جلال!

رد جلال، وهو يمرر يديه على ظهر أبيه:
 _أمال ايه، يمكن الجوازة تانية تكون وش الخير عليك .
 تحدثت أم الديب بنبرة حادة:
 =وتهعملوا الشبكة اللي ياكش تطربق فوق دماغها امتى؟
 أجاب جلال بموجدة:
 _ولازمته ايه الكلام ده ياما؟
 ردت نعمة بتأثر:
 =حرام عليكى ياما...ده البت غلبانة !
 ردت أم الديب بصوت حاد:
 _انتيلي يا بت ده محدش غلبان غيرك...هتعمل الشبكة امتى يا ولا؟
 أجاب جلال بقلق:
 =الخميس الجاي ياما .
 رفعت نعمة يدها بفرحة ملؤها السرور، وزغردت من فرحتها بشدة. وفي يوم الشبكة، استيقظت أم
 الديب مبكرًا من النوم، مُشددة على البحث عن الفُرط الذي اشترته لخطبة ابنها جلال. بدأت في التفتيش
 في كل مكان، ولكن دون جدوى. وأثناء بحثها عنه، قامت بفتح خزانة الثياب للتحقق من المال، وبعد
 فحص دقيق، لم تجد شيئاً!...فنطقت :
 =يا خرابي ياني !
 بقلب ينكسر وعينين تمزقهما الحزن، ضربت أم الديب يدها بقوة على صدرها، كأنها تحاول إخراج الألم
 الذي انتابها. وفي لحظة من التأمل المؤلم، استوقفتها الحقيقة المرة: ابنها جلال هو السارق الحقيقي! ففي
 هذا اللحظة العصيبة، قررت الانتقام منه، وكأنها تستعد لمعركة غير متكافئة مع جزء من نفسها
 المُحطمة... فقالت:
 _ماشى يا جلال صبرك عليا بقي تعمل كده في أمك يا ولا؟ استقبل بقى يا روح أمك!
 يتبع

الفصل الثالث

دخل المعلم حنفي ببريق عينيه المليئة بالحكمة، وهي تعانق في يأسها البحث عن قطعة قرطها المفقودة، كالفجر الذي يبث الأمل في كل قلب مُظلم.. فقال:

_ في حاجة يا ولية؟

أم الديب بإحباط:

=الحلق بتاعي مش لأقياه ياخويا .

نظر المعلم حنفي لها بلا رد، كما ينظر الملاك للعالم ببصيرة لا تُضاهى، ثم غادر الغرفة في هدوء تام، وبعد مضي عدة ساعات، تداعى الأقارب، والجيران إلى منزل أم الديب، ونشطت أختها سعاد لتقديم المساعدة في استعدادات الخطوبة، التي اقتصر على أرز، وسلطة خضراء فقط. وفي لحظة مُفاجئة، وقفت هايدي في عتبة المطبخ، فوجدت إزاءها الأرز والسلطة، كل منهما ينبض بألوان البؤس، فتساءلت في دهشة ممزوجة بالتعجب:

_ هو فين أكل الخطوبة؟

ردت أم الديب:

=قدامك أهو يا بت .

نطقت هايدي بدهشة:

=قدامي فين؟ ده رز، وسلطة... فين اللحم، والفراخ؟

أم الديب بصوت حاد:

_ لية وهو انتي كمان عايزانا نعمل الطفح بتاع شبكة أخوكي؟ أمال أهل السنيورة هيعملوا ايه؟ ماية بسكر؟

قالت سعاد بلُطف:

=براحة عليها يا بسمة، دي مهما كان عيلة صغيرة .

غمرت هايدي الغضب بكل ألوانه المشتعلة، وخرجت كلماتها كصواعق من السماء المظلمة، فقالت بصوتٍ يترنح بين الغضب، الانزعاج:

_ أنا مش عيلة صغيرة... أنا في ثانوية عامة وعارفة بقول ايه كويس!

أرادت أم الديب أن تُصيب هايدي بنعلها، فاستنجدت هايدي بصراخٍ مرتفع، وهربت بعيداً خارج المنزل، فلم تكتفِ أم الديب بذلك، بل بصقت أمامها بغضبٍ متراكم، وعبرت قائلة:

=يلا يا ولاد الكلب من هنا، جاتكم ستين داهية تاخذكم... هو انتوا هتدخلوا في اللي ملكمش فيه كمان؟ واست سعاد أختها بسمة، وقالت بتأثر:

_ براحة على عيالك شوية يا بسمة، انتي هتطلعي عقدك عليهم؟

صاحت أم الديب بأختها:

=بقولك ايه يا سعاد يا ختي، يا تشتغلي وانتي مكتومة، إيما تروحي بيتك... أديني قولتك أهو !

خافت سعاد من بسمة، فاحتشدت الكلمات في حلقها، وتزامن صمتها مع استمرارها في إكمال طهي الطعام الذي كانت تحمله بيديها... وبينما كانت ليالي تجلس في غرفتها برفقة أختها، وخبيرة التجميل في جو من الأنغام، والسعادة، كانت هبة تقف أمام المرأة تنتف شعراً حاجبياً وتحفظ بابتسامة خفية، في

حين كانت خبيرة التجميل تضع مسحوق التجميل على وجه ليالي ببراعة. وعندما اكتملت الاستعدادات توجه جلال مع عائلته إلى منزل عم سلامة، وفتح الباب ليفاجأ بجمال ليالي الخاطف للأنفاس وهي عروس متألقة، اطلقت نعمة الزغاريد، واقتربت هبة لتعانق أختها العروس، وخرجت كلماتها بفرح مشع مليء بالحب، والتهنئة:

_ زي القمر... اسم الله عليكى .
ردت ليالي بفرحة:
=ربنا يخليكي يا نعمة .

اقترب جلال وأمسك بيد ليالي، وعلى وجهه الابتسامة، وقال:

_ ايه يا بت الحلاوة والجمال دول كلهم؟ يخربيت حلاوتك يا بت !
وفي تلك اللحظة، خجلت ليالي ولم تستطع الكلمات التعبير عن مشاعرها، فأصبح الصمت هو لغتها الوحيدة، ولكنها اكتفت بالابتسامة التي كانت تتألق على شفتيها. وعندما، أكمل جلال حديثه بصوتٍ ينبض بالفخر، والسعادة:

=يلا بينا... ده أمي هتفرح أوي لما تشوفك .
ردت ليالي بعدم اقتناع:
_ مش حاسه يعني .

جلال بفخر:

=دلوقتي هتشوفي، وهتقولي جلال قال .
ليالي برهبة:
_ ربنا يستر .
خرج جلال بليالي وسط زغاريد المعازيم، حتى وصلوا إلى الكوشة وجلسوا، وفي لحظة مهمة، طافت أم الديب برفقة أختها سعاد، ووالدتها العجوز، والمعروفة بلسانها المُتسلط (خواطر) التي تعد تحدياً كبيراً للمعلم حنفي بعد أم الديب، حيث يشتعل الخلاف بينهما كلما حلت زيارتها على بسمة، ويُعتبر وجودها سبباً في تدهور شخصية أم الديب، فتفرض نفسها كعدوةٍ للسلام. وفي لقطةٍ مثيرة، لامست أم الديب بحقدٍ لاذع رأس العروس ليالي، فردت ليالي على هجومها بنبرةٍ متحدية، وعقبت الجدة خواطر بحركةٍ مفاجئة، مما جعل كلماتها تُزين الجو بصراخها الحاد، وقالت بكل قوة:

=هي دي العروسة يا ولا يا جلال؟

أجاب جلال بتعجب:
_ أه يا ستي، أمال أختها يعني؟

وفي تلك اللحظة المميزة، زغردت خالة العريس "سعاد" بفرح لا يُضاهى، ومن بين أشياء الفرح التي احتوتها حقيبتها الصغيرة، أخرجت مائة جنية وسلمتها لجلال بابتسامةٍ لامعة، وعبرت قائلة:

=مبروك يا جلال، عقبال الليلة الكبيرة .
أجاب جلال ببهجة:
_ الله يخليكي يا خالتي، وعقبال عيالك .

ردت الخالة سعاد:

=يارب .

تدخلت أم الديب في الحديث، وقالت:

_إيهي، هي الولية اللي بتحط الموكياچ بتحلي الواحد من دول ولا بتوحشها زيادة؟

ردت الجدة خواطر:

=دي وحشة أوي... تصدقي يا بسمه شكلها حطت دقيق بدل البودرة الزرقا اللي بيحطوها للعرايس؟ نظرت ليالي بعينٍ مليئة بالغضب، والاستياء نحو أم الديب ووالدتها، ثم أعادت النظر لجلال مرة أخرى بمعنى تدخل، ولكن ردّ جلال جاء بصوت حاد يخرق الهواء ويُعلن الاحتجاج المُقنع:

_جرا ايه ياما انتي وستي!... ماتلموا الدور، بدل ما ألمه أنا بطريقتي!

ردت أم الديب بصوت حاد:

=وهو من أولها وهتخلي البت تركب وتدلدل رجليها؟ يا عيني عليك يا بسمه، ابنك اتدبس في جوازة ملهاش ثلاثين لازمة، كان المف... .

فجأة جاءت نعمة بسرعة متنقلة بين الحضور، وبترت حديثها المستفز بحركة سريعة، وانتقلت جانب جدتها خواطر، وهي تسحب والدتها بقوة، وكانت كلماتها واضحة، وحاسمة، حيث قالت:

_بقولك ايه ياما، أبوس ايديكي ورجليكي انتي وستي تعدوها على خير النهاردة، احنا مش ناقصين مشاكل!

ردت أم الديب بجلبة:

=ليه يا بت حد قالك اننا بتوع مشاكل؟ ده احنا غُلب الدنيا كله فينا .

تحدثت نعمة بسخرية:

_أه ماهو باين، يلا عشان هيوز عوا الجاتوة .

فرحت أم الديب ووالدتها بشدة، حتى انطلقت الزغاريد بشكلٍ هستيري، ثم تحدثت العجوز بصوتٍ مليء بالفخر، والسعادة:

=خليهم يعملوا حساب كل واحد فينا في ثلاث تحتت كبار .

حاولت نعمة أخذهم بقدر عقولهم لذا قالت:

_حاضر يا ستى... يلا ياما قبل ما حد تاني ياخذ نصيبكم في الجاتوة والعصير... يلا الله يكرمكم .

ثم أخذتهم وجلسوا على الكراسي بين المعازيم، وفي تلك اللحظة الهامة، تقدم صابر، وهبة بعلب الكيك والعصير، وبدأوا في توزيعها بين الحضور، وعندما وصلوا إلى أم الديب ووالدتها، قالت أم الديب بابتسامٍ عريضة:

=هاتلنا خمس علب .

ردت خواطر بطمع:

_لا يا بسمه مش هيكفوا، خليهم يجيبوا عشر علب، خمسة ليا، وخمسة ليكي، وأهو يبقى مسح زور على ما ينزلوا الأكل .

أم الديب بإقتناع:

=على رأيك ياما...بقولك ايه آني هروح أشوف هما عاملين أكل ايه، حوسه لا يكونوا عاملين فراخ وبط بس!

بعد أن قدم صابر الحلويات لهم، وغادر، وقفت أم الديب، فقالت لها خواطر:

_خدي بالك لا حد ياكل نابي في الزفر والفراخ!

ردت أم الديب:

=متخافيش يا ولية، هو أني بلعب، ولا رايحة أشوف شغلي؟

دخلت أم الديب إلى منزل عم سلامة، وهناك وجدت أم ليالي تضع الطعام في العلب، فبينما كانت تقوم

بذلك، أخذت أم الديب علبتين من الطعام في صمت تام، ثم قالت لها تباهي بصدمة عارمة:

_جرا ايه يا حاجة أم الديب... حد يدخل على حد كده؟ مش تتكلمي الأول، ولا تقولي أي حاجة!

ردت أم الديب بصوت حاد:

=وآني كنت دخلت عليكي الحمام؟ وبعدين فين الفراخ، واللحمة، هو انتوا مش عامليننا اعتبار ولا ايه؟

نطقت تباهي باستغراب:

=أمال الكفتة، والكبيبة دول بيقوا ايه ان شاء الله؟

ردت أم الديب بصوت غليظ:

_الكفتة والكبيبة اللي بتقولي عليهم دهم، توفريهم لما يجيلك ناس من مصر، لكن احنا مبناكلش غير

الفراخ والزفر، لو بتك مقالتكيش، فأني بقولك أهو!

دخلت نعمة مُسرعة، وأمسكت بأم الديب، وقالت:

=يالهوري عليا، انتي ايه اللي جابك هنا ياما؟

ردت أم الديب بصوت جلف:

_صوتك ميعلاش عليا يا بت... أني أدخل مطرح ما يعجبني، وكويس إنني دخلت عشان ربنا يبينلي

حقيقتهم السوداء .

تغيرت نبرة صوت تباهي، وانسلت من داخلها الكلمات بتعبير عن مشاعرها بضيق، وقالت:

=حقيقتنا السوداء ايه يا أم حقيقة؟ واحنا كنا عملناك حاجة ولا دوسناك على طرف؟ ولا انتي بتدوري

على المشاكل بمنكاش؟

ردت نعمة قبل أم الديب:

_حقك عليا يا أم ليالي... أصل أمني مخها تعبان، وساعات الحالة بتجيلها !

وبلا تردد، خلعت أم الديب نعلها، وبسرعة مذهلة ضربت به ابنتها نعمة، التي بدأت تصرخ، في حين

حاولت أم ليالي الفصل بينهما، ولكن بصراخ عالٍ قالت أم الديب:

=هي مين ده اللي مخها تعبان يا بت الكلب يا واطية؟

صرخت نعمة:

_حرام عليكي ياما... هو انتي ايه مبتعتقش حد فينا أبدًا؟ ياما حرام عليكي ارحمينا بقى!

نطقت تباهي بسخرية:

=معلش يا نعمة، ماهو أصل محدش بيختار أهله، إرضي بنصيبك لحد ما يجيلك عوضك .

صرخت أم الديب في وجه تباهي:

_تقصدي يا ولية إن أني عفشه وبتي بختها مايل فيا؟ بقى بتقوي بتي عليا؟

قبل أن ترفع نعلها على تباهي، دخلت هايدي هي الأخرى لتتدخل، وبمساعدة نعمة، سحبت أم الديب

بعيدًا عن أم ليالي، وهي مازالت تسبها بكلمات حادة:

_يا ولية يا إيحة، يا ولية يا بت الـ.****
 وفجأة ظهر المعلم حنفي من خلفها، وهو يجز على أسنانه بنائي، كما يتلون الأسد قبل الانقضاض، حتى
 أمسكها من ذراعها بقوة كالصخرة التي لا تنزعزع، وانبعثت كلماته بقوة، وجسارة وهو يقول:
 =ايه الفضايح اللي انتي عاملها دي يا ولية؟
 ردت نعمة بخوف:
 _والنبي يابا تشوف حل ، ألا أنا غلبت معاها!
 رد المعلم حنفي بامتعاض جسيم:
 =خذي أختك يا نعمة، وخليكوا مع أخوكم .
 نعمة بحزن:

_حاضر... يلا يا هايدي .
 وبعد أن غادرت نعمة، وهايدي، اتكأ المعلم حنفي على ذراع أم الديب، وهي تتألم، حتى وصلوا بين
 المعازيم، وفي لحظة من الاصرار، والقوة، قال لها بصوتٍ حاد يشق الهواء:
 =أقعدني يا ولية...واياكي تتحركي من مكانك!
 جلست أم الديب، وهي في قمة غضبها، فامتألت عيناها بالغيظ، وانتابتها رغبة لم تنفك تتفاقم لتبوح
 بالسخط المكبوت تجاه عائلة عم سلامة، وأمسكت بعلب الحلويات بلا رحمة، فانطلقت إلى عالم الأنانية
 والهروب من الواقع المر، حيث أخذت تأكل بجشع ونهم حتى استنزفت خمس علب كاملة! وبينما كانت
 تتلذذ بالحلوى، خرجت أم ليالي من المنزل ووجدت أم الديب وهي تتناول الكيك بجنون، والكريم متناثرًا
 على شفتيها المتموجتين، فأدركت الكارثة التي تحدثت داخل الحفل، وقالت في نفسها متألمة بتفزز:
 _بالسم الهاري .

بعد أن حان وقت تبادل ارتداء الخواتم للعروسين، جاءت نعمة بعلبة الخواتم وهي تزغرد بسعادة،
 وأعطتها لجلال ليفتحها، ولكن بعد أن فتحها، كانت الصدمة الجسيمة تنتظرهم، حيث وجدوا خواتم
 بلاستيكية خضراء بدلاً من الخواتم الذهبية المتوقعة! فانصدم الجميع، ووقف جلال من مكانه بتعبيرٍ من
 الصدمة والغضب، وصاح قائلاً:
 =ايه ده؟ دبل بلاستيك؟

وقفت ليالي هي الأخرى، وبدت الصدمة واضحة على وجهها المتألم بالحزن، والاستغراب، وبينما
 كانت تحاول استيعاب ما حدث، أخرجت كلماتها بصوتٍ مرتعش من الصدمة، قائلة:
 _ايه ده يا جلال، بقى جايبنلي شبكة بلاستيك؟ هي دي قيمتي؟

صاح عم سلامة بقوة في جلال:
 =هو ده اتفاقنا على السبعين ألف جنيه شبكة يا جلال؟
 صاح صابر أخو ليالي هو الآخر:
 _فين شبكة ليالي أختي؟ بقى بتستغفلونا؟
 نظر جلال لأم الديب بصدمة، وصاح بها:
 =ايه اللي عملتيه ده ياما؟
 أم الديب بتمثيل:

_ ايه يا ولا مالك؟

اقترب جلال منها، وسلمها العلبة في يدها، وقال :

=ايه ده ياما؟

أم الديب تنظر بها متعجبة ما حدث :

_وآني مالي؟

وفي هذه اللحظة المفاجئة، أخرج جلال المطوى من جيب بنطاله، وفجأة، تحررت روح السرسجي التي كانت مخفية بداخله، كالعاصفة التي تندفع بقوة وجلبة فقال:

=فين ياما الشبكة؟

أم الديب بنواح:

_يا خرابي ياني الحقوني يا ناس...ابني بيرفع عليا المطوى عايز يموتني .

جلال بعقل مُغيب بينما يقترب منها أكثر فأكثر:

=فين ياما الشبكة؟

أما أم الديب، فقد رفعت حاجبيها بتساؤل، ووضعت يدها بثقة على خصرها، مُظهرةً استعدادًا لمواجهة ما قد يأتي، وقد نطقت :

_الشبكة اللي انت سرقت فلوسها من فلوس البيت؟

المعلم حنفي بصدمة عارمة:

=نهارك أسود انت سرقت فلوس البيت اللي كان حيلتنا؟

أنكر جلال الحقيقة برهبة :

_ لا يابا مش أنا شوف مين !

أم الديب بصراخ:

=الحقوني يا ناس يا خرابي

اقترب المعلم حنفي بخطوات ثابتة منها، وسحبها بقوة ثم قام بضربها بغضب، وفي لحظة من الانفعال، والامتعاض قال:

_ اسكتي يا ولية...اسكتي !

أم الديب بإعوال عارم :

=ابني بيرفع عليا المطوى

تدخل الشيخ أبو محمد في المشكلة، وهو أخو أم الديب، ولدى أم الديب ثلاثة أخوة هم: أبو محمد، وضايح، وسعاد. الشيخ أبو محمد هو رجل صالح يتمتع بمعرفة عميقة بالدين ويخدم في المسجد كشيخ، ومعلم للقرآن، وبيتعد عن كل ما هو محرم، بينما ضايح يتصف بالعكس تمامًا ويميل إلى فعل كل ما حرمه الله. وعلى الرغم من أنهم أشقاء، إلا أنهم يتباينون بشدة في السلوك، والأخلاق. فقال أبو محمد:

_يا ولدي وجدلهم بالتي هي أحسن !

جلال بعجيج :

=بقولك ايه يا خالي، أمي بوظتلي الشبكة، وخربتلي الدنيا فوق دماغي !

أبو محمد بروح الصالح النقي:

_ استغفر ربك متذنبش في حق أمك... استغفر الله العظيم، مالك يا ولدي؟

جلال بصياح :

=خالي فكنا من جو الشيوخ، أنا عايز الشبكة بتاعتي !

ليالي بنحيب:

_منك الله يا جلال، مش مسامحك !

نشبت ليالي بذيل فستانها، وخرجت من المكان وهي تبكي بحرقة، وفي لحظة من الاستياء الشديد، نطق المعلم حنفي بصوت مليء بالغضب المتأجج، والانزعاج العميق:

=أعمل فيكوا ايه؟ أنا ماشي وساييهاكم خرابانة!

غادر المعلم حنفي هو الآخر، أما جلال اتجه إلى منزل العروس، معلناً بذلك قراره بتصحيح ما أفسدته والدته بسلوكها. فقال جلال بقلب محبط وعزم قوي:

_يا عمي من الآخر كدة أمي مش موافقة وبتتلكك .

عم سلامة بحنق :

=مش شغلتنا .

جلال بإصرار:

_يا عمي اسمع مني أمي عايزه تبوظلي الجوازة...أمي بتناقز فيا وفيها!

عم سلامة ببغضاء:

=بعد اللي حصل النهاردة انسى ليالي !

جلال بصياح جارف:

_كله إلا ليالي يا عمي، وهتجوزها يعني هتجوزها!

عم سلامة بغضب قحاف:

=اتكل على الله برا...وبلاش وش!

جلال بسخط:

_خليك فاكرها يا عمي!

خرج جلال من المنزل، وقلبه يحترق ناراً، ممزوجة بالحزن، والإحباط. وفي غرفة ليالي كانت تبكي بشدة، وبجانبها والدتها، وأختها، فاقتربت تباهي من ابنتها بتعبير من الحنان، وعانقتها بدفء يملأ الغرفة:

=ميستا هلكيش يا ليالي، بكرار بنا يعوضك بالأحسن منه !

وبالخارج كان صابر يشتعل ناراً، حيث كان الغضب يتصاعد من داخله كالبركان الذي ينفجر بقوة.

فصاح بوجه أبيه بصوت يمزج بين الحسرة، والتمرد، كسيلان الحديد في النار:

_مأنا قولتلكم بلاش منها الجوازة الزفت دي...محدث فيكم سمع كلامي، اشربوا بقي .

جلس عم سلامة على الأرض، ووضع يده على رأسه من شدة التفكير، كأنما يحاول فهم الأسرار العميقة للحياة. وفي منزل أم الديب بعد عودتهم، كانت نعمة تلومها على ما فعلته، وهايدي صامته، تستمع إلى كلمات اللوم والانتقاد بصمت مُحبر، فتحاول استيعاب كل تفاصيل ما حدث. قالت نعمة بصوت مليء بالانكسار:

=مكنش ينفع ياما اللي عملتيه مانتي برضة فضحتي الواد قدام نسايبه .

أم الديب بصوت حاد:
 _ اسكتي يا بت مسمعش صوتك!
 هايدي بتأثر :
 =يا ماما حتى لو هو اللي خد الفلوس مكنش قدام الناس .
 أم الديب بكراهية جارفة:
 _ البت ليالي دية مش نازلالي من زور .
 كانت نعمة تحاول أن تعرف السبب الحقيقي، فقالت :
 =نفسى أعرف بتكرهها ليه ياما؟
 أم الديب بكذب:
 _ البت كانت بتبصلي بغل انتوا مشوفتوهاش، عايزة تخطف الواد مني .
 نعمة بسخرية :
 =قال يعني ياما انتي بتموتي فيه؟ ده انتي وهو عالطول بتناقروا في بعض .
 هايدي باتفاق:
 _ على رأيك .
 أم الديب بصوت حاد:
 =انتوا بتتفقوا عليا يا بت منك ليها ولا ايه؟ ماتلموا نفسكم .
 نعمة بفرع:
 _ خلاص... طب احنا عايزين ناكل .
 أم الديب بانفعال:
 =عندكم عيش بلوه .
 هايدي بعصبية :
 _ يوه ايه الأكل ده؟
 أم الديب بضجيج:
 =اتبطري على النعمة يا بت علشان تغور من وشكم... قرفنتوني .
 دخلت أم الديب الغرفة وهي تنفث غضبًا، وبعد أن صكت باب الغرفة بقوة، دخل جلال بخطواتٍ ثقيلة
 من باب المنزل، وكأنه يستعد لمواجهة عاصفة سخط لم يشهدها من قبل. جرت نعمة نحوه بخوفٍ،
 وصوتها يترنح بين الهمس، وقالت بصوتٍ مرتعش، ومليء بالخوف :
 _ أمانة عليك يا جلال متعملش مشاكل مع أمك وعدي الليلة على خير .
 جلال بقهر :
 =أنا مليش أم من النهاردة !
 نعمة بجوى :
 _ يا ساتر عليك قلبك جاحد زي أبوك .
 جلال بأسى :
 =أمك خربتها يا نعمة، وضيعت ليالي من ايدي، وبوظتلي فرحتي .
 نعمة بثبات:
 _ حد قالك تسرق يا جلال؟ بتسرق ليه؟
 جلال بصوت جاف :

=أتجوز منين وأمك منشفاها علينا، عندك طريقة غير كده؟

نعمة بكمد :

_ولو يا خويا مينفعش تمد ايدك في حاجة مش ليك، نسيت ربنا ولا ايه؟

جلال بندم :

=استغفر الله... على العموم أنا هلم الهدمتين بتوعي وماشي .

هايدي بدهشة:

_هتروح فين بس الوقت اتأخر!

جلال بغضب :

=أروح مطرح ما أروح .

بينما دخل الغرفة وقام بتعبئة ملابسه داخل الكيس، وغادر المنزل، وكل منهما ذهب غرفته للنوم، ولكن قبل أن تغفو نعمة في حزن الليل الساكن، أخرجت هاتفها الذكي وتوجهت نحو السيدة الغنية، لتطلب منها المساعدة في مواجهة الأزمة المتفاقمة. وفي الصباح الباكر، وجد المعلم حنفي نفسه مستلقياً على الأريكة البالية في الحظيرة، حيث لم يجد السلام بين أسوار المنزل، رافضاً قبول فكرة النوم إلى جانب زوجته في تلك الليلة المضطربة. وكانت عقليته تتأرجح بين أشجان القلق وتوتر الشك، متسائلاً في صمت متأني: من أين سيجدون السبيل لاستكمال بناء مسكنهم بعدما دبر جلال لسرقة الأموال؟ وكيف سيتمكنون من تجاوز هذه العقبة المدمرة؟ وفي هذا الوقت، خرجت أم الديب إلى الفناء وسط الصمت الكئيب، متعجبة من ابتعاد زوجها عنها في تلك الليلة المظلمة، حيث نطقت:

_انت جيت ياخويا؟

المعلم حنفي باستهزاء :

=لا مجيتش .

أم الديب بصوت حاد :

_ابقي جمعلنا فلوس البيت اللي ابنك سرقها .

أزاح المعلم حنفي الغطاء من فوقه، ووقف :

=أنا مليش عيال انتوا كرهتوني فيكم كلكم !

أم الديب بتعجب :

_رايح فين الساعة دي؟

المعلم حنفي بكراهية:

=ميخصكيش .

وخرج من المنزل، وفي الوقت ذاته جلست أم الديب على الأريكة مستريحة بعد ليلة شاقه، فاستقرت في مكانها للراحة. ولكن لم يمض وقت طويل حتى وجدت الهاتف يرن، فتعجبت من هذا التوقيت الغريب، وبعد أن رفعت الهاتف وردت على المكالمة بفضول:

_مين معايا؟

أم قمر الدين بلطف :

=هاي ازيك يا أم الديب؟

أم الديب بابتسامة خافتة :

_يا أهلاً وسهلاً يا ست هانم .

أم قمر الدين بإحراج :

=مش عارفة أبدأها معاكي ازاي بس أنا عرفت اللي حصل كله، ويعني كنت حابه أعوضك عن اللي ابنك خده .

أم الديب بتفكير :

_هتديني فلوس ثاني يا ست هانم؟

أم قمر الدين:

=خمسين ألف مكان اللي ضاعوا .

أم الديب بإحراج :

_هنودي جمايك علينا فين بس؟

أم قمر الدين بابتسامة :

=ولا أي حاجة عايزاكي بس تقولي لبابه إن هو اللي رجعهم، مش عايزين العلاقة تبوظ أكثر من كده !
أم الديب باستياء:

_ده عيل حرامي ابن كلب .

أم قمر الدين بابتسامة خافتة:

=معلش سامحيه ده ابنك مهما كان.

أم الديب بسرور:

_ماشى... أما قوليلي عرفتي منين؟

أم قمر الدين بتردد:

=بصراحة نعمة بنتك اتصلت بيا .

أم الديب :

_ماشى يا ست هانم متشكرين.

أم قمر الدين بابتسامة :

=لا ولا اي حاجة دي حاجة بسيطة.

وصل المال أخيراً إلى منزل أم الديب، فاتصلت بالعمال فوراً لكي يكملوا بناء المنزل، وبالفعل جاءوا وبدأوا في استكمال الأعمال. وعندما تحدثت أم الديب مع المعلم حنفي، أخبرته بأن جلال قام بإرجاع المال الذي سرقه، وفي تلك الأيام، كان الجميع يتساءل عن مكان جلال ومصيره الغامض. كانت أم الديب جالسة على الكرسي، وذهنها مشغول بأفكار متشابكة، تحاول فيها فك طلاسم مصير جلال وسبب اختفائه، بينما خرجت نعمة من غرفتها، لتتضم إلى جلوس أمها ومشاركتها في هذا الغموض المحيط بجلال. فقالت لنفسها:

_كده ناقصنا الشبابيك وناقصنا البيبان.

تحدثت نعمة بحب:

=صباح الخير ياما.

أم الديب :

_يا أهلاً يا ختي.

نعمة بتردد:

=كنت عايزه أكلمك في موضوع كده !

أم الديب بفضول :

_ هتجولي ايه؟

نعمة بخوف، وتردد :

=نف ...

أم الديب بعصبية:

_ انتي واكله سد الحنك يا بت؟ ما تكلمي!

نعمة بخوف :

=نفسنا في لحمة ياما.

وقفت نعمة مكانها، وجريت مُسرعة، كأنما تجري على حبل مشدود، وأم الديب تلاحقها بخطوات متثاقلة، حيث عبر وجهها عن الصدمة. قالت أم الديب بدهشة مُفاجئة تعكس حالة الذهول التي أصابتها:

_ لحمة؟ انتوا عايزين تشلونني؟ قومي يا بت بلي العيش وكلي.

نعمة بدموع :

=ياما حرام عليكى بقى احنا خسينا من قلة الأكل... ياما انتي بخيلة أوي بصراحة!

أم الديب بجلبة:

_ الحقوني يا ناس بتي مش عاجبها عيشتها، الحقوني.

ردت نعمة بدموع التوجع:

=ياما حرام احنا جعانين.

أم الديب بصراخ :

_ اسكتي يا بت مسمعش صوتك... قال لحمة قال ده اللي ناقص.

صعدت للطابق العلوي، ودخلت الغرفة، وأغلقت الباب بقوة، كأنها تحاول عزل نفسها عن العالم الخارجي، وأن تصون لحظة الانفصال والتأمل بداخلها. وفيما كانت أم قمر الدين جالسة في الحديقة، تستمتع بلحظات السكينة، والهدوء، وتغمرها رائحة القهوة العطرة وطعم الكيك اللذيذ، كانت الرياح تعزف لحناً هادئاً يروي الأرواح، حتى ظهرت ابنتها الغالية نرmin بسيارتها الفاخرة، وخرجت منها بأناقة وأنوثة لافتة. وفي بُعد آخر، كانت أم قمر الدين تنظر إليها بابتسامة تعكس مدى فرحها، واعتزازها. اقتربت نرmin وعانقتها وقبّلتها، تعبيراً عن مشاعرهما الصادقة، والمحبة التي تغمر قلبها. وبينما تحكي نرmin، الثانية من بنات أم قمر الدين، الجميلة، والناجحة، والتي تتمتع بوظيفة صحفية مرموقة في شركة كبيرة، وتحمل في جعبتها جمالاً يشبه جمال أخواتها، تتأمل برقة وعمق في الكلمات التي ستنتقل من شفثيها:

=هاي مامي !

أم قمر الدين باشتياق:

_ هاي روح قلب مامي، طمني عليكي عاملة ايه انتي ووائل؟

جلست نرmin حيال والدتها، وقالت :

=كويسين جدًا يا مامي... انتي عاملة ايه؟ وبابي مشوفتهوش بقالي فترة.

أم قمر الدين بابتسامة:

_ انتي عارفه يا روجي ان البيزنيس زاد عنده الفترة الأخيرة، حتى أنا مابقتش أشوفه يادوب يصحى يشرب فنجان القهوة، وينزل على شغله... المهم طمنييني عليكي عملتي ايه الدكتور ادبتك علاج؟
نرمين بأسف :
=والله يا مامي العلاج يمكن يقعد فترة بس وائل قالي مش لازم بببي دلوقتي احنا لسه في بداية حياتنا ولازم ندرس الموضوع صح.

أم قمر الدين بابتسامه:

_ ده حقيقي متستعجلوش بكرة يا روجي يكون البيت مليون أطفال!

نرمين بابتسامه خافتة:

=ياريت يا مامي.

أم قمر الدين بوجه بشوش :

_ متقلقيش.

فنادت على الخادمة توليناز:

_ توليناز تعالي من فضلك !

جاءت الخادمة، وفي يدها الممسحة، فقالت:

=أو مريني ست هانم.

أم قمر الدين :

_ جهزي الفطار، نرمين هتقضي اليوم معايا النهاردة، اتوصي بالأكل كويس!

توليناز بحب:

=من عينيا ست هانم.

أم قمر الدين باحترام، وتقدير :

_ اتفضلي .

غادرت الخادمة بعد إنهاء مهمتها، وأكملت أم قمر الدين حديثها الممتع مع ابنتها، وفي منزل أم الديب كانت هايدي تحاول للمرة المليون، أن تركز في الدراسة بتمعن، ولكنها لم تجد السلام بين أصوات الحيوانات، وضوضاء البيئة المحيطة، حتى وصلت إلى ذروة غضبها وصرخت بقوة، مما جذب انتباه نعمة التي حضرت على وقع الصراخ، معبرة عن دهشتها، وقالت:

=مالك يا هايدي فيكي ايه؟

ردت هايدي بقهر:

_ مش عارفة أذاكر يا نعمة... أنا بجد تعبت أوي، كل ما أفكر أذاكر ألاقى مليون حاجة بتعطلني!

صعدت أم الديب لدى بناتها، وقالت:

=يلا يا بت منك ليها، انزلوا نضفوا الزريبة، وشيلوا الجلة، وقرصوها، عندنا خبيز بكرة الصبح

ابتنست هايدي، وقالت:

_ وأنا مالي؟ ليه أمد ايدي في القرف ده؟

ردت نعمة باشمئزاز:

=ما تشوفي حد يعمل كده بدالنا ياما، دي بصراحة حاجة تقلب البطن .

نظرت أم الديب لهم بعدم رضا، وقالت:

_وانتي ياختي منك ليها لما تتجوزوا، هتعملوا ايه؟ ده انتوا اللي زيكم يغرق في شبر مائة... حوسة علينا وعلي وكستنا في عيالنا، عندكم بنات خالتكم اسم الله عليهم يعملوا اللي ما يتعمل، ده اللي زي دول بينضرب المثل بيهم في الشطارة، مش زيكم يا خايبة منك ليها!

نطقت هايدي بعصبية:

=اللي زي دول ميكملوش تعليمهم، هيقعدوا يعملوا ايه غير انهم يكوروا القرف ده، ويخبزوا ويعجنوا؟ لكن أنا في ثانوية عامة والمفروض أركز في مستقبلي عشان أبقى حاجة عليها القيمة . ردت أم الديب بصوت حاد:

_بلا ثانوية عامة بلا ثانوية زفت، بصولي آني كده يا سلام عليا، مفيش مني اتنين، وأهو لا كملت علامي ولا خدت دروس...الواحد ملهاش إلا بيت جوزها في الآخر .

ردت نعمة بانز عاج ملحوظ:

=طب وانتي عاوزه ايه ياما؟

أم الديب بحدية:

=تنصفوا الزريبة، واعملوا حسابكم، الصنایعية اللي بينوا الدار هيجوا هناهو يشربولهم كوبايتين شاي، مش عاوزين الناس تقول علينا حاجة... يلا خلصوا!

ثم نزلت للطابق السفلي مجددًا، وكأنها تهبط إلى عمق الغضب الذي يعتريها، ومن شدة امتعاض هايدي، أمسكت بالورقة بين يديها كمن يمسك بشظايا الابتئاس، وبقوة فائقة قطعتها إلى شرائح صغيرة، كأنها تحاول تمزيق جزء من الواقع المؤلم الذي يعصف بروحها، فاندحشت نعمة من هذا الفعل العنيف الذي قامت به أختها، وتعبير وجهها يكشف عن صدمتها واستغرابها المفاجئ. تحدثت:

_يخيبك، هو انتي مش هتبطلي عبط بقي؟

أجابت هايدي بعصبية:

=لما هي تبطل الأول...انتى مش شايقة كلامها المستفز؟

ردت نعمة بهدوء:

_معلش يا هايدي هاتيها فيا... مفهاش حاجة لو حطينا ايدينا في ايد بعض ونضفنا بسرعة، بدل ما أمك تخلي ليلتنا سودة...يلا يا هايدي الله يكرمك!

عند جلال، كان يحاول الاتصال بليليالي حيال منزلها، ولكنها ترفض جميع مكالماته، حتى وصل إلى حد ضرب يديه بقوة على التوك توك، ثم ركبته بغضب وغادر المكان، وقد بدت علامات اليأس واضحة على وجهه. وبعد مرور شهر من العمل الشاق في تكملة بناء المنزل. وبعد أن اكتمل البناء، وأصبح المنزل جاهزًا للسكن، تحقق حلمًا كبيرًا بالنسبة لأم الديب، حيث أصبح المنزل يتألف من طابقين فوق بعض، ويتمتع بسطح مزود بسور للخصوصية، ويحتوي على مدخل رئيسي مزين ببوابة صغيرة، فكانت هذه النهاية المثالية لجهودهم المضنية. وفي الهاتف، كانت أم قمر الدين تتحدث مع أم الديب، حيث قالت بصوت مليء بالفرح:

=كده البيت انتهى باقي الموبيليا .

أم الديب بإحراج:

_احنا لا مؤاخذا يا ست هانم محتاجين كنية جديدة لو مفهاش حاجة يعني .

أم قمر الدين باهتمام:
 =أوكي وايه تاني؟
 أم الديب بإحراج:
 _يعني محتاجين تلاجة جديدة .
 أم قمر الدين باندھاش:
 =بس كده؟
 أم الديب بتفكير :
 _وسجادة للصالة كلها، وبوتجاز، ومطبخ خشب، وطبالية .
 أم قمر الدين بتساؤل:
 =يعني ايه طبالية؟
 أم الديب :
 _ترابيزة يعني .
 أم قمر الدين باهتمام :
 =أوكي في حاجة تانية؟
 أم الديب:
 _وتلافزيون .
 أم قمر الدين بابتسامة خافتة:
 =كل ده هيجيلك بالليل .
 أم الديب بسعادة جسيمة:
 _ انشالله يخليكي يا مدام بسملة، ويسترك، ويطعمك ما يحرمك .
 أم قمر الدين باشمنزاز من ثرثرة أم الديب :
 =ايه اللت والعجن ده؟ يلا أنا هقفل وابقى طمنيني الحاجة وصلت ولا لا...باي باي!
 أم الديب بفرح:
 _سلامو عليكو يا مدام بسملة .

بعد أن حل الليل، وصل الأساس الجديد إلى منزل أم الديب، حيث قامت بنقل كل ما كان في الحظيرة إلى منزلهم الجديد بمساعدة زوجها وأبنائها. دخل الجميع البيت وهم يشعرون كما لو أنهم دخلوا إلى قصر ملكي، بالرغم من بساطة المنزل، فكانوا ينظرون في كل اتجاه بدهشة وإعجاب، وكأنهم يستكشفون عالمًا جديدًا مليئًا بالأمل. تحدث المعلم حنفي :
 _ياه بقي البيت ده بتاعنا احنا؟
 اتجهت أم الديب نحو غرفتها، وقالت :
 =أني داخله أنام .
 المعلم حنفي بكرهية:
 _ياكش تنامي ما تقومي .
 أم الديب بنبرة غليظة:
 =بتقول حاجة؟

وعادت إليه مرة أخرى، وبدت عليها ملامح الشر تتجلى في عينيها، فصاح المعلم حنفي بخوف:
_ لا بقولك نامي...نوم العوافي يارب .

اتجهت أم الديب لغرفتها مرة ثانية، وقالت:

=أه بحسب ياخويا .

نعمة ببهجة:

_ شايفة يا بت يا هايدي دي أوضتنا... ياه هنقعد زي بقية البشر .

هايدي بفرحة :

=أنا هطير أنام!

أحمد بلهفة:

_ أخيراً الواحد هينام في مكان نضيف !

نعمة بسعادة:

=أيوه ياخويا ناقص بس أمك تفك ايدها علينا، أه لو جلال يجي يتفرج على البيت .

أحمد :

_ جلال محدش يعرفله مكان .

هايدي :

=جلال لو جه أمكم هتمسك فيه ومش هتسيبه إلا بفضيحة .

حتى انتهى اليوم، ودخل الجميع ليناموا في سلام، وفي الصباح الباكر خرجوا من غرفهم ليتفاجئوا

بجلال وهو جالس على الأريكة في الصالة، فعبرت نعمة عن دهشتها قائلة بصوت مصدوم:

_ يخربيت عقلك جيت ازاي؟ ده البوابة مقفولة أمك لو شافتك هتخافك معاك تاني!

جلال بلا مبالاة:

=آني مش باقي على الدنيا يا نعمة وخلي أمك تتخافك معايا وأنا مش هعديها .

ولسوء الحظ، استيقظت أم الديب لتجد جلال أمامها، فلم تتردد في خلع النعل من قدمها، وبلا هوادة

ضربته به فوق رأسه بينما هو يصرخ متألماً! فصاحت أم الديب بغضب هائل:

_ يا كلب يابن الجزمة بتسرقنا يا كلب؟ آني هريبك وهعلمك الأدب !

جلال بألم شديد، ونواح:

=أه ياما...أه سيبيني .

أم الديب تقوم بوطئه:

_ بتستغفلنا يا كلب وبتسرق أمك وأبوك؟

جلال بجلبة :

=سيبيني ياما بقولك!

أم الديب بنواح:

_ ده آني هخلي حياتك جحيم يا ولا !

نطق جلال بعذاب:

=أكثر من كده ايه ياما؟

أم الديب بإعوال :

_ رايح تتجوزلنا بت سلامة؟

جلال بانفعال:

=مالها ليالي ياما ما هي بت زي الفل !

أم الديب بجلبة:

_ زي الهباب والقطران البت سحرالك يا ولا مخلياك مش شايفها على حقيقتها !

جلال بسخط :

=ياما أنا مش هتجوز غير ليالي!

أم الديب بسخرية:

_ أه وماله في المشمش .

تدخلت نعمة في الحال، وفصلت بينهم قائلة :

=خلاص يا حاجة سيبيه، تعالى معايا يا جلال .

وجرته من ملابسه بقوة، ثم أخذته بهمس فوق إلى شفته التي كانت على الطوب الأحمر لتريه إياها،

وبينما تتحرك، كان جلال يتبسم سعادة لما تراه عيناه:

_ اللهم صلي على النبي بقى دي شفتي؟ يا سلام يا سلام .

نعمة بابتسامة:

=ملكش دعوه بكلام أمك، وروح لعم سلامة واكتب الكتاب ملكش دعوة!

جلال بتفكير عميق :

_ انتي شايفه كدة؟

نعمة :

=امك مش هترضي إلا لما تتحط قدام الأمر الواقع .

جلال:

_ أنا هروح لعم سلامة وأخليه يجي يشوف الشقة .

وخرج من الشقة، فاتبعته نعمة بتعجب وفضول، وقالت بصوت متسائل:

=هتروح قوام كده مش هتفطر الأول؟

جلال بعجلة :

_ نفطر بعدين... هجيبه وأجي .

بعد خروج جلال من المنزل بأكمله، شعرت نعمة بالرهبة، مخافة رد والدتها على طلب الزواج من

حبيبها "حامد"، تاركاً وراءها رفضاً مماًثلاً لطلب جلال بالزواج من "ليالي". فنطقت نعمة بصوت

مرتجف من الخوف:

=يلا على البركة... حوسه لا أمي ثقلي في جوازتي من الواد حمو !

بعدما وصل جلال إلى منزل عم سلامة، كانوا يجلسون في مدخل المنزل على الكراسي، وتجاهل عم

سلامة أي ترحيب، بل كان يتجلى على وجهه ملامح التمرد، وهو يتحدث بصوت يعكس حالة من

الغضب المتقد:

_ اقفل موضوع ليالي بتي مش هتجوزك بعد اللي حصل !

جلال بالحاح :

=يا عم سلامة انت مش هتلاقي حد يحافظ على ليالي غيري، وبعدين ده أنا شقتي جاهزه...تعالى أفرجك عليها وبعدين اتكلم !

عم سلامة بتردد:

_وأمك يا جلال هتفضل تناقر في البت .
جلال بثقة :

=أمي مش هتقدر تقربلها طول مأنا موجود .

وبينما يبدو أن عم سلامة سيوافق على ما يُطلب منه، يظهر عليه حالة من التردد الملحوظ، فأدلى بتعليقه بصوت متحير قائلاً:

_مش عارف

جلال :

=اسمع مني وبعدين بتك كبرت وبقيت على وش جواز...تعالى معايا بس!

استطاع جلال أن يُفنع عم سلامة ويحصل على موافقته، ورافقه في طريق العودة إلى المنزل. وعندما وصلوا، وجدوا أم الديب تقف في شرفة المنزل تراقبهم بنظرات متوترة، وكأن بركان الغضب ينبثق من عينيها، جاهزاً ليحرق كل ما يقف في طريقه. وبعد جولة عم سلامة في شقة جلال، ألقى نظرة اعجاب وقال:

_الله ينور حلوة الشقة وكبيرة .

جلال بفرحه عارمة:

=شوفت يا عمي؟ ده أنا هعمل للبت ليالي أحسن حاجة انت بس وافق وسيبك من أمي !
عم سلامة :

_خلاص على البركة هتبدأ شغل امتي؟

جلال:

=من بكرة يا عمي لو عايز .

عم سلامة :

_خير البر عاجله اتكل على الله .

في شقة أم الديب، كانت تجلس على الأريكة، والموجدة تتلاطم على محيا وجهها، والخوف ينبض في أعماق قلبها مثل الزلزال الذي يهزُّ أسس الأرض. وبجانبها، تجلس نعمة، تشعر بالتوتر الذي يختلج في داخلها، في حين أَلقت أم الديب بكلماتها بصوتٍ مليء بالمرارة:

=ببعملوا ايه فوق وواحد الرجل الفقر ده معاه ليه؟

نعمة بضيق :

_ماتهدي ياما وكبري دماغك الواد جلال عايزها بتقفي في طريقهم ليه؟

أم الديب بشك :

=انتني يا بت مش مظبوطه كده ليه؟

نعمة برهبة :

_ازاي؟

أم الديب:

=مالك يا بت بتدافعي عنهم كده ليه كأن ليكي مصلحة معاهم... هيدوكي كام وتوافقي؟
نعمة بخور :

_الله يسامحك يا حاجة كل ده عشان عايزه أشوف أخويا في الكوشه مع اللي قلبه اختارها؟
أم الديب بشك:

=أه اللي قلبه اختارها برضة !

بعدما نزل جلال، وعم سلامة، ووقفوا في الشارع إزاء المنزل، ألقى جلال كلماته بينما يحمل ترقبًا، وترددًا في نبرة صوته:
_اعتبر إنك كده موافق يا عمي؟

رد عم سلامة:

=بإذن الله، بس خد بالك أنا بتي مش هتدخل وسطيكم كده بالساهل...لا، لازم أحط شروطي وإلا أمك هتاكلها زي كلاب السكك، اعذرني يعني .

أجاب جلال بتفهم:

_وأنا عارف اللي فيها يا عمي، فعشان كده بقولك حط شروطك براحتك، ومحدث فينا هيقولك حاجة!
رد عم سلامة:

=ماشى يا جلال توكلنا على الله...يلا مع السلامة .

بينما غادر عم سلامة وركب سيارته النصف نقل لينطلق في الطريق، انطلق جلال يرقص في الشارع وسط الناس من شدة فرحته، ثم توجه نحو التوكتوك وغادر هو الآخر، وفي شقة أم الديب، خرجت نعمة من المنزل متأملًا حولها بتوتر، متنقلة في الظلال، مخافة أن يراها أحد، حتى وصلت لموعد لقاء حبيبها حامد في قطعة الأرض الفارغة، وعندما رآها حامد، انبسطت شفتاه بابتسامة، ولطم قلبه السعادة، فقال:
_ايه العسل اللي جه عليا مرة واحدة ده؟

نعمة بحرص:

=بتتصل عليا ليه يا حمو؟ أمي لو عرفت هتموتنا احنا الاتنين .

حامد بجرأه :

_ما بصراحة كده أنا محتاج فلوس .

نعمة بإحباط:

=وأنا هجيبلك فلوس منين يا حسرة؟

حامد باستعطاف:

_اتصرفي يا نعومي معقول حمو يكون محتاج قرشين وتبخلي عليه؟

نعمة بتنهذ:

=عاوز كام؟

حامد بابتسامة:

٣٠٠ _ جنية بالتمام والكمال .

نعمة بتفكير:

=هشوفك صرفة .

حامد بضحكة ساذجة :

_تسلم الإيدى الحلوى دول .

نعمة بدلال:

=أنا ماشية .

بعدها انتهت من حديثها وانفصلت عنه، شعرت بقبضة تتسلل إلى يدها وتجذبها بقوة، وعندما نظرت إلى

الوراء، وجدت جلال أخيها يسحبها نحوه بغضب، وغيره ملحوظين على وجهه، فصاح:

_مين ده يا بت؟

يتبع.....

الفصل الرابع

نعمة بارتعاب جسيم:

_ده... ده ...

جلال بصوت حاد:

=انطقي مين ده؟

حاولت نعمة أن تتمالك أعصابها، فقالت برهبة:

_جرا ايه يا جلال ما تقفش جنب أختك زي مأنأ واقفة جنبك؟

نطق جلال بحصافة :

=قولي كده بقى وأنا أقول عايزه الجوازة تمشي ليه، بترشيني يا بت علشان أوافق عليه؟

وفي هذه اللحظة المشحونة بالتوتر، أدرك جلال بوضوح أن نعمة تقف جانبه في قرار زواجه من ليالي، وأنه ينبغي له أيضًا أن يقف إلى جانبها في قرار زواجها من حبيبها. تعبيرًا عن هذا التحول المفاجئ في وجهة نظره، همست نعمة بخوف متزايد:

_لا يا جلال ياخويا على العموم انت جوازتك في ايدي عكها معايا ووريني هنتجوز ازاي !

تشبث جلال بذراعها بقوة، وقال بصوت حاد :

=بتلوي دراعي يا بت؟

نعمة بتألم:

_في ايه يا جلال؟ ماتسيبيني أفرح .

جلال بصياح منين في وجه نعمة :

=اجري على البيت مشوفكيش برا!

فرت نعمة مُسرعة، كما لو كانت تهرب من فخ ينتظرها في الظلام، قبل أن يتسلط عليها العنف! وعندما

وصلت إلى المنزل، كانت دموعها تنهمر بحرارة كأنها نتيجة للألم الذي تسبب به هجوم جلال. فعندما

رأتها أم الديب، تعجبت من حالها، ومدت يدها بلطف لتضعها على كتفها، قائلة:

_مالك يا بت راجعه مهريه من العياط كده ليه؟

وأثناء مسحها لدموع نعمة، حاولت تهدئة مشاعرها الحارة وإخفاء الألم الذي يؤرقها، قالت بصوت

ينطلق من داخلها بقوة:

=مفيش حاجة ياما .

أمسكت أم الديب بيد نعمة بقوة، وبنبرة حادة، قالت:

_كده ومفيش؟ أمال لو في بقى؟

بينما صمنت نعمة، تابعت أم الديب حديثها بثبات:

_خشي غيري، عشان تجهزي الأكل، ألا آني مش هقدر أقف على رجلي وأعمل حاجة، آني خلاص

كبرت وبقيت صحتي على قدي .

ردت نعمة باستياء:

=ماشني ياما .

ثم انصرفت إلى غرفتها لتبدأ في تبديل ثيابها، فدخل أحمد من بوابة المنزل، حيث تأملته أم الديب

بدهشة، وقالت بفضول:

_كنت فين يا ولا؟

رد أحمد، وهو ينظر حوله:

=كنت على القهوة، أمال هدومي فين؟

ردت أم الديب بلا مبالاة:

=هدومك في الزريبة .

أجاب أحمد بسخرية:

_وياترى المرة دي هلاقهم وسط الجواميس، ولا هلاقهم في قاعدة الحمام؟

خلعت أم الديب نعلها بقسوة، مُتلهفة لتوجيه الضربة، لكن هرب أحمد بسرعة وخرج من الشقة، تاركًا الجو مليئًا بالتوتر، والغضب المتقاطع. ركض بسرعة نحو الحظيرة، حيث فتح الباب بعجلة وصعد إلى الطابق العلوي، وجلس على السرير المُتهالك، الذي تعانقه الأتربة والصدأ. أخرج هاتفه القديم، الذي اقتناه بتقسيط من المعلم حنفي، حتى لا يكون أقل حظًا من زملائه بالجامعة. حاول جاهدًا البحث عن حساب جميلة، وبعد محاولات مضيئة، وجده أخيرًا، فابتسم بفرح غامر. وأثناء تصفحه لصفحتها، كانت الصدمة تنتظره، حيث اكتشف أن جميلة تدرس بنفس الجامعة التي يدرس بها، ولكن في كلية الإعلام بينما هو في كلية التجارة.. نطق:

_ده ايه الصدفة دي؟ أما أشوف هي في مدرج كام !

فور اكتشافه صفحة الكلية، بدأ أحمد في البحث عن جدول المحاضرات، حتى وجد المدرج المناسب، فكانت جميلة تدرس في مدرج رقم سبعة بالفرقة الثانية. نظر أحمد إلى الشاشة وعلى وجهه عبارة من الدهشة، وقال:

_طب والله أنا مُرزق، جاتلي وأنا في مكاني .

بينما جلال كان يسوق التوكتوك بحذر، تحدث بحماس مع ليالي عبر الهاتف المحمول، وبينما كانا يتبادلان الكلمات، جهز أحمد حقيبته وبدأ يضع ملابسه في الكيس البلاستيكي. ثم خرج من الحظيرة وأغلق الباب وراءه بإحكام، ثم توجه إلى موقف السيارات في بلدة أبي حلاوة. ومن هناك، سافر إلى محافظة القاهرة، في حين كان جلال يتحدث بتأني مع ليالي، وقال لها:

_يا بت خلاص أبوكي وافق، والدنيا ماشية زي السكينة في الحلاوة أهو... مدايقة ليه بقى؟

بينما كانت ليالي تجلس في غرفتها على سريرها في الظلام، وبجانبتها أختها هبة نائمة، ألقت نظرة حزينة حول الغرفة المظلمة، وقالت:

=خايفة أوي لا أمك تعمل مشكلة جديدة، ساعتها أبويا هيعند أكثر وهيحلف بالله ما الجواز دي مكلمة !
رد جلال باستغراب:

_وايه بس اللي هيخليها تتكلم؟ هو انتي فاكرة أمي بتاعت مشاكل؟ أنا أمي بتطلع تطلع، وتنزل على مفيش .

ردت ليالي:

=بصراحة و متزعلش مني، أمك مش مضمونة وفي ثانية بتقلب... طب اللي انت متعرفوش بقى، إن أمك شتمت أمي يوم شبكتنا!

صاحت كلمات ليالي كالبرق في ليلٍ مظلم، فأصابت جلال صدمة عميقة، وقال بدهشة :

_يا نهار أسود، انتي بتتكلمي بجد؟

ردت ليالي باغتيال:

=أه والله، ومن يومها وأنا مش عايزة أقولك لا تقول عليا كدابة !

نطق جلال بعشق غامر:

_يا بت ده أنا أكذب الدنيا كلها، وأصدقك انتي، ده انتي العشق كله !

ضحكت ليالي، وقالت بدلال:

=بتحبنى يا جلال؟

رد جلال بود:

_أمال ايه، ده أنا مبحبش حد قدك !

ضحكت ليالي، وقالت بلطف:

=وأنا كمان .

حين وقعت لصدح أبيها في الهواء، انسكب التوتر في أضلعها، فنطقت بقول هامس:

=طيب يا جلال سلام دلوقتي، أبويا جه .

رد جلال بتعجب:

_جرا ايه يا بت هو أنا شاقطك؟ ده أنا خطيبك وكلها كام شهر ويتقفل علينا باب واحد!

وقف جلال عتيقاً على عتبات المنزل، وقد قبض جبينه الغضب، فأمسك بمقبض الباب بقوة، وكأنه

يحاول كبح زوبعة داخلية تعصف بروحه. ودخل إلى الصالة، فإذا بالعائلة متجمعة كالشموع المنتصبة

في ظلام الليل، تتربح أخبار العالم بقلوب مضطربة. فعبر جلال بصوت يتردد في الأفق المظلم:

_السلام عليكم .

رد الجميع:

=وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته .

وسط جوٍ من الهدوء في قرية أم الديب، تجتاح ذئابٌ سريعة وأصوات مفزعة تملأ الليل. جلال جالسٌ

بجوارهم، يرصد تلك اللحظات الصامتة وسط أهله، وكأن الصحراء تهمس بأسرارها. المذيعة تنطلق

بصوتٍ يفيض بالتشويق، وينتاب جلال شعورٌ بالقلق، كما لو أن الصحراء والجبل يشتركان في سرد هذا

الحدث المثير. تحدثت المذيعة:

_ظهر حيوان غريب الشكل في قرية أبي حلاوة المجاورة للجبل ويجب علي سكانها اتخاذ جميع

الإجراءات الاحترازية ونقل المنازل منذ بداية المغرب حفاظاً على سلامتكم وعلي سلامة أولادكم

ونتمنى لكم السلامة .

أم الديب بدهشة :

=يعني ايه الكلام ده؟

المعلم حنفي بتعجب :

_ما تفهمنا يا ض؟

جلال برصانة :

=يعني بابا في حيوان مفترس في البلد عندنا .

أم الديب بسخرية :

_مفيش الكلام ده كلام فاضي .

نعمة بذعر:

=ازاي بس ياما ألا يدخل البيت ياكلنا .
أم الديب باستنكار الحقيقة:
_يا عُبط حد يصدق الكلام ده؟

وقف المعلم حنفي بعدما تذكر شيئاً مهم، وقال برهبة:
=ده أنا مقفلتش الجزاره يا خبر مهيب...أما أروح أقفلها بسرعة .
ذهب المعلم حنفي مُسرّعاً إلى الجزاره لِيُغلق بابها بالقفل، ثم عاد إلى المنزل. وقبل الفجر، كانت جميع أفراد الأسرة نائمين بسكون. فجأة استيقظت أم الديب من نومها، فتحت باب المنزل وخرجت، تركته مفتوحاً وذهبت للحظيرة لتطمئن على البهائم في حين المعلم حنفي نائماً كطفل في سبات عميق، وروحه تطوف في سابع نومه. إذ فجأة، سمع الجميع صخب شديد أسفل المنزل، فاستيقظوا جميعاً ليروا ماذا يحدث، وسط هذا الظلام الذي لا يعرف نهاية، وللعلم، كان أخاهم أحمد، يغيب عن الأسرة معظم الوقت بسبب دراسته في جامعة القاهرة. قام المعلم حنفي، وهو يمسك الشمومة بيده، وظلوا جميعاً في دائرة البحث عن أم الديب!. نطق المعلم حنفي بصياح:
=يا ولية يا بت الكلب، الله يخربيتك بمخ أهلك الزنخ ده، يخربيت أمك هنموت !
جلال باهتياج:

_يادي المصيبة يابا شكلها سابت باب البيت مفتوح .
نعمة بانتحاب:

=مش عايزة أموت !

هايدي بيبكاء:

_ولا أنا .

ظلت الفتيات في حالة بكاء مستمرة، تعكس خوفهن الشديد. قال المعلم حنفي بصوتٍ ينبع من أعماق القلب:

=استنوا عليا .

خرج ينظر من شرفة البلكونة، فاكتشف أن باب المنزل مفتوحاً، وفجأة، سمعوا صوت حيوان مفترس يلعب بأظافره، كأن نعرات الموت تتسلل بين ألواح المنزل المُظلم. فقال المعلم حنفي بنواح، كلماته ترتفع في الليل كأصوات الشياطين المتجولة:

=يالهوري ياني...ده عايز يدخلنا!

وسط هذا الظلام المُرعب، كأن اللحظات تتجمد وتتسارع في آن واحد، حيث انعكست صرخات الهروب بين جدران المنزل. وفي لحظة تكاد تكون مُظلمة، استدركوا جميعاً صوت الباب المتأهب لاستقبال المجهول، وصدى خطواته يعكس رعب اللحظة. وكلما اقتربت الأنفاس، كلما تزايد الرعب في نبرة صوت المعلم حنفي الذي نطق كلماته بوهج الخوف الملتهب:

=أمكوا هتموتنا...اللهي يحرقها، ولية مخها قفل مايفهمش .

خرج جلال من الغرفة إلى شرفة البلكونة مُسرّعاً، وقال :

_أنا هنزل على المواسير .

المعلم حنفي بعصبية:

=هتسيينا يابن الكلب؟

نطق جلال أثناء ما كان يقفز من سور البلكونة:

_نطوا ورايا .

بينما يتدحرجون على الماسورة ككرة، ويستعرضون في السيارة التي يتسلقون مقاعدها كجسر أمان، اكتست كل كلمة بلغة الفزع. وفي تلك اللحظة الحرجة، وجدوا أم الديب، كالحياة تعود إليهم بركلة قوية، تصرخ، وتركض، وتتوسل بالانضمام إليهم. نطق المعلم حنفي بصراخ:

=امشي ياض متقلهاش .

أم الديب بإعوال :

_يا خرابي الحقوني .

أخرج المعلم حنفي رأسه من نافذة السيارة وقال لها بشماته:

=تستاھلي .

في لحظة الضياع، انتابتها حروف الصراخ. كانت تصدح صرخاتها كأواج اليأس ترتفع في سماء الفزع. وفي لحظة الانقاذ المفاجئة، اندلع صوت طلقة النار كالصاعقة. حينما نظرت وجدتهم الشرطة الواقفة كحراس السلام، جاءوا لينقذوا حكاية اللحظات الأخيرة من الموت المحتوم. أم الديب، بصوت مكسور وعيون ممزقة، تنادي الحياة وتستلم الأمان في طيات إغاثة مفاجئة:

_دراعي الحقوني يا ناس... أه ايديا!

الطبيب باهتمام:

=اديه حقة المسكن عايزين نشغل !

المرضة :

_حاضر .

بعد أن فحص الطبيب ذراع أم الديب بعناية، اكتشف أن هذا الكائن الغريب قد استهلك قسمًا كبيرًا منها، وعبر بدھشة:

=ياه دي حة لحمة كبيرة اللي كلها .

أم الديب بنواح :

_هموت يا دكتور .

حاول الدكتور أن يطمئنها قائلاً:

=اهدي عايزين نشغل .

بعدما انطلق جلال، ووالده، وأخواته في رحلتهم إلى القاهرة، كانوا يستريحون نائمين داخل السيارة، حتى استفاق جلال على صوت هاتفه، وبعد الرد وجد خاله أبو محمد. جلال يتحدى إغراءات النوم، قائلاً:

_أيوه يا خالي في ايه؟

أبو محمد باستياء :

=أمك حالتها خطر في المستشفى يا ولدي!...لازم تكونوا كلكم جنبها دلوقت!

جلال بقلق:

_مالها يا خالي؟

أبو محمد باستياء :

=تعالوا مفيش وقت هتعرفوا كله .

جلال بقلق:

_ ماشي يا خالي مسافة الطريق ونكون عندك .

رجرج جلال والده لييقظه، فقال:

_ اصحى بابا هنروح لأمي في المستشفى!

لكن في هذه اللحظة، كان المعلم حنفي يغوص في أحلام تلبى كل ما تشتهي نفسه، حيث تلفظ:

=أنا نفسي هفاني على طبق كشري .

رجرج جلال والده مرة أخرى بيده، وقال:

_ كشري ايه؟ بقولك أمي في المستشفى!

المعلم حنفي مازال يغوص في حلم الطعام، دون أن يُلقى اهتمام لتعب زوجته، حيث قال:

=وشوية دقة كده ياه .

جلال بصداح:

_ بابا أمي بتموت!

أصلح المعلم حنفي وضبط مجلسه، ثم نظر في وجه جلال، وقال:

=تيجي نروح يالا نجيب لحمة مشوية؟

جلال بضيق من حديث والده:

_ بابا مالك على الصبح؟

ثم نظر خلفه، وجلجل أخواته الفتيات، قائلاً:

_ اصحى يا نعمة... اصحى يا هايدي... اصحوا أمكم في المستشفى!

استيقظت نعمة والخور يضيء وجهها، فقالت:

=أمي مالها؟

هايدي بفرع:

_ في ايه؟

أدار جلال ماتور السيارة، وقال:

=أمكم في المستشفى!

وبدأ يتحرك بالسيارة حتى وصلوا المستشفى. هرع الجميع نحو خالهم أبو محمد، والخوف يعتلي

وجوههم ما عدا المعلم حنفي. قال جلال:

=أمي مالها يا خالي؟

وضع أبو محمد يده على كتف جلال، وقال:

_ أمك بخير لا تقلق!

جلال بتعجب:

=لا تقلق ايه هو احنا في فيلم كارتون مدبلج؟ أمي مالها؟

أبو محمد بحزن:

_ الحيوان طير حنة من يدها .

جلال بتركيز في التفاصيل الدقيقة:

=كبيرة، ولا صغيرة؟

أبو محمد باستياء بالغ :

_كبيرة أوي يا ولدي .

ظهر خالهم الذي كان عاملاً رئيسياً في هذا الزواج المرير، فهو رجل ذو شهرة مشؤومة، بلطجي بارع، معروف بشراسته في جميع أنحاء البلاد وحتى في البلدان المجاورة. لا يتردد أبداً في إثارة المشاكل، ولكن ليس ذلك فقط، بل تشبه وطئاته ركلات الحمير، ويده قوية كالصخر، ولسانه لا يصدر سوى بالسب والشتائم. عيناه تشع نيران الشر في نظراته الحادة. كان يُعتبر مثلاً حياً لجلال وكان صديقه المقرب قبل أن يكون خاله. اقترب جلال منه وعانقه!. فقال:

=ايه يا خالي؟ صباح الفل عليك .

بتكتيك وضيق، ظهر ضايح ببسمة غامضة، وكأنه ينوي الكشف عن خطة سرية. قال بلغة الإشارات وتحريك لسانه فوق شفثيه، مُلهماً بعض التساؤلات حول ما يدور في ذهنه، مُضيفاً على اللحظة لمسة من الغموض:

_ايه يا تلمذه؟ أمك الوحش عملها معاها ولا ايه؟

سحب جلال خاله ضايح بعيداً، وفي لحظة هدوء، تحدث بصوت منخفض قائلاً:

=بقولك ايه يا خالي عايزك في مصلحة .

فرك ضايح كفيه في بعضهما البعض، وفي حركة متناغمة تعبر عن فسقه الداخلي، يقول:

_من العين دي للعين دي...أؤمر يا باشا يابن الغالية .

التفت جلال حوله بترقب، وواصل حديثه :

=انت عارفني داخل على جواز .

ضايح بابتسامه خبيثة:

_عايز حب ...

بتر جلال كلماته الوضيعة، وسرعان ما وضع يده على فمه، قائلاً برهبة:

=اسكت يا خالي فضحتنا!

ضايح بصوت حاد:

_أمال عايز ايه ياوض؟

جلال:

=محتاج فلوس أوضب شقتي .

غمز ضايح بجفنه للمرة الثانية، وقال له بلطف:

_عندي مصلحة في الكبارية النهاردة أخلصها، وأشوفلك حوارك يا باشا .

جلال بابتسامه:

=تسلم يا خالي أنا برضه عارف انك جدع .

ضايح بابتسامه :

_اشطا يلا أظير أنا بقي .

لسوء الحظ سمع أبو محمد الحديث من بدايته إلى نهايته، فضرب كفاً على كف وهو يردد ورد

الاستغفار، قائلاً:

= لا إله إلا الله... لا إله إلا الله... استغفر الله... يا ناس فواحش في عز النهار... استغفر الله!

لاحظ جلال كمد خاله أبو محمد، فقال له:

_ ايه يا خالي انت شايفنا بنعمل ايه؟

أبو محمد بموجدة:

=ياما نصحت خالك ولا في منه أي فايده... يا ولدي هيجرك للحرام وأمك مش ناقصة!

جلال بتردد :

_ واحنا بتوع حرام؟ لا ده محتاج فلوس بس انت فهمت ايه؟

أبو محمد بسخط:

=الله يسترها معاك ما لك دعوة بيه!

جلال بلا مبالاة :

_كبر يا خالي أما نشوف أمي مالها .

فشلت محاولات الخال النقي في نصح جلال، حتى دخل الجميع لغرفة أم الديب بالمستشفى. هناك كانت

أم الديب تصرخ من شدة الألم، ففي لحظة من الصمت الثقيل، صاحت قائلة:

=يا خرابي ايدي بتاكلني .

المعلم حنفي بكراهية شديدة:

_تستاخلي أكثر من كده... ده أنا يا ولية لو أطول أقتلك هعملها، انتي السبب يا بت الجزمة .

أحنى جلال رأسه في الأرض، وقال :

=خلاص يابا أجل الكلام ده بعدين .

جاءت ليالي برفقة والدها سلامة، وأمها، وأختها. بمجرد أن رأى جلال وجهها، ارتسمت ابتسامة على

شفتيه، وراح قلبه ينبض بالسعادة. اقتربت ليالي بحنان، وقامت بتقبيل وجنتي أم الديب بلطف، قائلة

بنبرة مليئة بالحب:

_سلامتك يا حماتي .

أم الديب ببغضاء:

=هو انتي؟

تباهي بكراهية :

_سلامتك يا حاجة .

أم الديب بنفور:

=يا أهلاً .

عم سلامة بابتسامة خافتة:

_ احنا جينا ننظمن على الحاجة...أول ما عرفنا جينا قوام .

جلال بسعادة :

=فيك الخير يا حمايا يا أبو الكرم كله .

وقف جلال، ودعا عم سلامة للحديث بمفرده مع ليالي حيث قال بخجل:

=أما بقولك يا عمي، عاوز ليالي في كلمتين بس .

رد عم سلامة بتشدد:

_قدامنا متروحوش بعيد !

جلال بابتسامة:

=لا متقلقش، كله قصاد عينك .

وأردف لليالي بلطف:

=قومي يا ليالي عايزك .

ليالي برقة:

_عن إذتك بابا .

خرجت ليالي مع جلال من الغرفة، ووقفوا في زاوية الممر بجانب الحائط، فابتسم جلال، وقال:

=ووحشتيني يا بت .

ردت ليالي بخجل:

_وانت كمان يا جلجتي !

مرر جلال يده على شعره، وقال بلهفة:

=امتى بقى نتجوز، ونبقى مع بعض !

ضربته ليالي بيدها بلطف على صدره، وقالت :

_وانت مالك مستعجل كده ليه؟

رد جلال، بينما هو يضحك:

=حد يبقى معاه الجمال ده كله، وميستعجلش؟ طب ده أنا يا بختي بيكي !

ضحكت ليالي هي الأخرى، وقالت:

_اسكت بقى لا أبويا يسمع ويعملنا مشكلة .

قال جلال:

=جرا ايه يا بت هو أنا هخاف ولا ايه؟

ردت ليالي:

_أه المفروض تخاف من أبويا اللي هو حماك .

أجاب جلال بسخرية:

=لا تصدقي كنت فاكراه جوز أمي !

ردت ليالي بصوت حاد:

_طب اعدل نفسك بقى.

عادت ليالي إلى الحجرة مرة أخرى، وانضمت إلى عائلتها في جلوسهم، وبعد مرور ربع ساعة فقط،

عادوا إلى ديارهم، وفي اليوم التالي، قرر أحمد زيارة الكلية التي تدرس فيها جميلة ليراها، ووقف في

انتظارها أمام مدرجها، وهو يحرق حوله بصمت، وفجأة ظهرت جميلة من بعيد، وهي تتقدم بكامل

أنافتها، وتسير بين أصدقائها وهم يتبادلون الضحكات والحديث، وبينما كانت تتمتع بسحرها الخاص،

نظر أحمد لها بابتسامة، حتى اقتربت منه مع أصدقائها، ودخلوا المدرج، فشعر أحمد بالانتصار في هذه اللحظة، وكأنه وجد أخيراً السبيل للوصول إليها، وحين جاء الدكتور الجامعي وجد أحمد ينتظر خارج المدرج، فسأله:

=انت واقف هنا بتعمل ايه؟

فلم يعطيه الأستاذ الجامعي فرصة للرد، حتى واصل حديثه بجدية:

=ادخل مع زميلك يلا، انت واقف مستني ايه؟

أحمد بتردد:

_أنا مش هنا في....

بتر الأستاذ الجامعي حديثه، وتابع صياحه:

=ادخل على مدرجك، اتفضل... يلا !

دخل أحمد المدرج بالإجبار، واضطر إلى الجلوس في الصف الأخير بجوار جميلة وزملائها، وفي نفس اللحظة التي بدأ فيها الأستاذ الجامعي بفتح حقيبته واستخراج الأوراق، انخرط في حديثه مع الطلاب، وقال:

=صباح الخير .

أجاب الطلاب في صوت واحد:

_صباح النور .

رد الأستاذ الجامعي:

=عملتوا التكليف اللي طلبته منكم الأسبوع اللي فات؟

نطق الطلاب في صوت واحد:

_أه .

رد الأستاذ الجامعي، وهو يشير أمامه:

=تمام، سلموهولي هنا .

في حين أخرج الطلاب تكليفاتهم وانصرفوا لتسليمها، بقي أحمد جالساً، محتاراً فيما ينبغي عليه فعله، وعندما أدرك أن الأستاذ الجامعي مشغول مع الطلاب الآخرين، استغل الفرصة وخرج بسرعة من الباب الخلفي للمدرج، تجنباً للاطلاع عليه وطلب الكارنية، وتفادياً لأي مشكلة محتملة لكن عندما وصل إلى جامعته وجلس في مقعده بالمدرج، غمرته مشاعر الندم على تصرفه الخاطئ الذي كان قد يؤدي إلى فقدان سنة دراسية كاملة، فأخذ يندم على هذا القرار الذي اتخذته على عجل، وبينما كان يجلس بجوار أصدقائه، قال أحدهم له بتساؤل:

_عامل ايه؟

رد أحمد:

=الحمد لله .

تلفظ زميله:

_ايه أخبار المذاكرة؟

رد أحمد:

=خلاص يا عم هانت وهنتاح، متتكدش عليا بقى !

نطق زميله بابتسامة:

_خد بالك دكتور حسام بدل مع دكتور مجدي، وشكلها هتبقى سنة زرقا .

أجاب أحمد بإحباط:

=ربنا يبشرك بالخير .

وقتما عادت هايدي من الدرس مع زميلتها، وجدت أم الديب تنتظرها أمام المنزل، ووضعت يدها بحنق

على خصرها، مما جعل داليا صديقة هايدي، تشعر بالقلق، فقررت التراجع بسرعة والابتعاد، وقالت:

_طب أنا همشي بقى، سلام .

ردت هايدي بترقب:

=سلام .

عندما اقتربت هايدي من المنزل، نشبت أم الديب بقوة بملابسها، وألقت عليها نظرة حادة، وقالت بعين

حارة:

_كنتي فين يا بت؟

فزعت هايدي من رد فعل أم الديب العنيف لها، وقالت:

=انتي نزلتي ازاي، هو مش انتي تعبانة؟

ردت أم الديب بمكر:

_لية مكنتيش عاوزاني أنزل ولا ايه يا بت؟ أه مانتوا كلكم شمتانين في تعبي، وإن كان عليكم عايزني

أموت عشان ترتاحوا مني .

تلجلجت هايدي في حديثها، وابتلعت ريقها، فقالت:

=ومين قال الكلام ده؟ واحنا هنشمت فيكي ليه بس؟

قالت أم الديب:

_كنتي فين يا هايدي؟ آني مش هعيد كلامي تاني!

أمسكت هايدي بكتابها ورفعته في وجه أم الديب، وقالت بثقة وحزم:

=ده ايه؟

ردت أم الديب بضحكة ساخرة:

_حلة محشي، هيهيهي عسل يا أم الديب عسل .

انفعلت هايدي، واحتدت نبرة صوتها:

=ده كتاب، ودي كراسة...يعني كنت في الدرس بدرس عشان ابقى انسانة عليها القيمة، مكنتش رايحة

الكبارية أترقص وسط الغوازي!

صرخت أم الديب بغضب وانهالت ضرباتها على هايدي، فانبطحت على الأرض، ثم انحنت أم الديب

بألم وهي تستريح على جسد هايدي، وما زالت ابنتها تتلقى ضرباتها بكل عنف، وهما يتناوبان في

الصراخ، فقالت أم الديب بنبرة مليئة بالغضب:

_يالهوري بتي مفهماني انها رايحة تتعلم عشان ترفع راسنا وسط الخلق، وفي الآخر تطلع بتروح

الكبارية، الحقوني يا خلق، بتي فاجرة... يا خرابي، يا وكستك في بتك يا أم الديب .

وسط هذه الدراما الشاقة التي عاشتها أم الديب، وقفت هايدي مذهولة، ثم هربت مسرعة لتتجه نحو غرفتها وتغلق بابها بعنف، في حين دخل المعلم حنفي من باب المنزل مذعورًا بسبب صراخ أم الديب، يعتقد أن هناك مصيبة قد حلت عليهم، فسألها بخوف قائلاً:
=في ايه يا ولية؟ حد من العيال جراه حاجة؟

ردت أم الديب، بعد أن عادت إلى طبيعتها:
_بتك مش متربية يا حنفي، دي عيلة صايعة، وناقصة رباية .
أصابك الصدمة عقل المعلم حنفي، فقال:
=ايه الكلام اللي بتقوليه ده، انتي اتجننتي؟ أنا بتي متربية كويس .

ردت أم الديب وهي تضغط بقوة على عنقه بكل حق، بينما هو يشعر بالاختناق:
_أني برضة اللي اتجننت، ولا انت يا راجل يا قليل الرباية...أني اللي غلطانة إني بصيت لأشكالك، ده لولاي كان زمانك خللت وعتقت، ولا كان حد بصلك .
ضربت الدماء في رأس المعلم حنفي، فقال بجلجلة:
=طب ياريت، أهو كنت اترحمت منك...على الأقل كان زمانى لسة بصحتي، ولا كانش جرا اللي جرا!
برقت عين أم الديب، وقالت بصوت جاف:

_ايه هو اللي جرا يا راجل انت؟ انطق ايه اللي جرا؟
ثم خلعت أم الديب حجابها بقوة، فانفصل شعرها بقوة في يدها، وابتدأت في التحول، والنواح، فصرخ المعلم حنفي برعب، وفر هاربًا هو الآخر قبل أن تصل إليه يد الغضب لتقتله!، وفي لمحة من الترقب المثير، اختارت ليالي، وهبة، وتباهي أجمل الأطباق والأواني، كأنهن ترسمن لوحة فنية بأيديهن، وفي تلك اللحظات الساحرة، بدت كل قطعة من أدوات المطبخ تتراقص على أنغام فرح الانتظار، استعدادًا للمغامرة الكبرى، قبل موعد الزفاف المنتظر... سألت ليالي البائع:
=يعمله كام طقم الأطباق ده؟
رد البائع، وهو يضع الأكياس داخل العبوة:
١٣٠٠ _ جنية .

دُهلِت تباهي من غلاء السعر، فقالت:
=يا ساتر يارب، ليه كده بس؟ طب ده احنا أول مرة ننفك... متعملش الواجب علشاننا يعني؟
نظر البائع إلى الأرض لحظة، ثم قام بفرك يديه الاثنين في بعضهما، وابتسم ابتسامة خجولة، ثم قال:
_على عينا، وعلى راسنا يا ست الكل .
شعرت ليالي بالإحراج، فوجهت نظرة حادة لوالدتها في صمت، وقالت بصوت خافت:
=اسكتي ياما، بلاش تخرجينا قصاد الناس..احنا هنشتريه زي ما هو من غير ما نقص مليم واحد .
ردت والدتها بصوت خافت:

_يا خايبة، كل قرش هيفضل هيفيدك في بقيت جهازك، مانتي لو جيتي كل حاجة والتانية غالية، هتلاقي في الآخر جهازك صفى على شوية حاجات قد كده، ولا انتي عايزة الناس تاكل وشنا، وتقول اننا مجيبنا الكيش حاجة؟
ردت ليالي:

=مش مهم... المهم أجيب حاجة نضيفة، تعيش معايا العمر كله .

ثم أردفت للبائع:

=احنا هناخد طقم الأطباق ده، وشوفلنا طقمين حلل جرانيت، وصواني الكيك والبيتزا .

رد البائع:

_من عينيا الاتنين .

ثم بدأ في البحث عن القدر المصنوع من الجرانيت، ووالدها تنظر لها بحنان! وبعد أن وجده البائع،

أعطى الكرتونة إلى ليالي، فنظرت إليها بابتسامة سعيدة، فقال لها البائع بترقب:

_ايه رأيك؟

ردت ليالي بانبهار:

=زي الفل .

قالت لها تباهي:

_ربنا يكملها لك على خير يا بتي، ويسعد قلبك .

ردت ليالي:

=يارب ياما... اللهم آمين .

في الناحية الأخرى، عادت جميلة من الجامعة بسيارتها الخاصة، وبعد أن ركنتها، وجدت والدها

الحنون، باسم، ينتظرها أمام القبلا، فنزلت لتلتقط أحضانه الدافئة، وتسنقر فيها، فقبل رأسها بحنان، وقال

باشتياق:

_حمدالله على السلامة يا حبيبتي .

أجابت جميلة بارهاق:

=الله يسلمك يا بابي... بجد تعبت جدًا النهاردة .

دخلت مع والدها وهو مازال يعانقها بود، فقال:

_ليه كده يا جميلة؟

جلست جميلة ووالدها باسم على الأريكة، ووضعت ساقها فوق الأخرى بلطف، وأمسكت جهاز تحكم

التكييف، واتكأت على زر التشغيل لتخفيف حرارة الجو، وفي لحظة من الإرهاق، قالت بتعب:

=تكييف العربية بايظ يا بابي، وقولت لحضرتك كده امبارح، بس تقريبًا حضرتك مخدتش بالك!

رد باسم وهو يتذكر حديث ابنته ليلة أمس:

_أه أه افكرت... معلش يا حبيبتي كان في مشكلة في الشغل، ونسيت، بجد أنا أسف!... من دلوقتي حالًا

اعتبري تكييف العربية اتصلح!

اقتربت جميلة، وقبلت رأس والدها:

=ميرسي يا بابي، ربنا يخليك ليا .

رد باسم بحب:

_ويخليكي ليا انتي وبقيت اخواتك، قوليلي بقي كلتي ولا لا؟

ردت جميلة:

=لا أنا خلصت المحاضرات، ورجعت على البيت عالطول .

رد باسم ببشاشة:

_خلاص هنتغدا سوا، قبل ما أنزل الشغل تاني، وأهي فرصة!

ردت جميلة:

=أوكي يا حبيبي، هغير هدومي وهنزل تاني .
ثم وقفت، وواصلت حديثها، وهي تعدل حقيبتها:

=هي صحيح مامي فين؟

رد باسم:

_في الـ Poolمانتي عارفة بقى إن الجو الأيام دي لا يطاق، وأديكي شوفتي بنفسك!
نطقت جميلة:

=أوكي...أنا هطلع بقى .

ابتسمت جميلة لوالدها، ثم صعدت إلى غرفتها، وفي حمام السباحة كانت أم قمر الدين تستمتع بالسباحة وأغاني الخارج، تحتضن كل لحظة من البهجة، أما أم الديب فكانت نائمة في سريرها بينما هايدي في غرفتها تلعن كل دقيقة عاشتها في هذه الحياة المريرة، وترى أن والدتها السبب الرئيسي لهذا البؤس العظيم. وبجانبها، تحاول أختها نعمة أن تخفف من مرارة الوضع، فقالت:
_ هو انتي يعني مش عارفه أمك، جاية دلوقتي تكتشفي حقيقتها؟

ردت هايدي وهي منهمة بالبكاء:

=بس بقى أنا زهقت...أعمل ايه بس؟ أنط من الشباك؟، ولا أعلق مشنقه وأموت نفسي؟ ولا أولع في نفسي؟ أعمل ايه بس قوليلي؟

نطقت نعمة بحكمة:

_لا تموتي نفسك ولا تعملي حاجة، وطلعي الأفكار المنيلة دي من دماغك...بكر ا لما أمك تعجز، ربنا هيهدها .

ردت هايدي بسخط:

=جليني بقى على ما تعجز، يكون أنا شبابي ضاع في القرف ده...أنا أنضرب ليه بس يارب؟ وعشان ايه؟ هو ايه اللي حصل لكل ده أصلاً؟

ردت نعمة:

_ياختي متكلميش كأنك انتي اللي كده لواحدك...مأنا أمي سكعتني حنة دين علقة يوم شبكة جلال، وكل ده عشان كلامي مجاش على هواها .

نفوحت هايدي بغضب عارم، فوقفن مكانها، ثابتة في وجه عواصف الموجدة، إلى درجة أن صوتها ارتفع كالصاعقة المدوية في سماء الانفعال المشتعل:

=ده ظلم...دي عيشة قرف...يوه...ايه الهم، والزفت، والطين اللي فوق دماغي ده؟ أنا قرفت، وزهقت! فجأة دخلت أم الديب الغرفة على وقع صوتها المرتفع، فانتبهت نعمة بسرعة ووقفت، ونظرت إلى الأرض، وهي ترتجف خوفاً من رد فعل والدتها. اقتربت أم الديب منهما في صمت مليء بالتوتر، وشعرت هايدي في هذه اللحظة بالقلق، وأدركت أن الوقت قد حان لانشاء شجار إضافي. ثم قالت أم الديب بصوت ساخط:

_ اسمعي يا بت منك ليها... ستكم جاية كمان شوية، الشقة دهي تبقى بتبرق، آني دراعي وارم ومش قادرة أحرکه .

نطقت هايدي بصوت خافت، وهي تسخر منها:

=أمال لو مكنش وارم بقى كنتي عملتي ايه؟

ردت أم الديب بصوت غليظ:

_بتقولي ايه يا بت انتي؟

تلفظت هايدي بخوف:

=بقولك وهي هتيجي امتي؟

ردت أم الديب، وهي تلوج عيناها نحو نعمة، وهايدي:

_هتيجي دلوقتي...يلا خلصوا قبل ما توصل، وانتي يا بت انزلي اسندي ستك، انتي عارفة انها عجزت

وبقيت عضة كبيرة!

ردت نعمة بترقب:

=حاضر ياما .

خرجت أم الديب من الغرفة وانطلقت إلى حجرتها، وفي السكن الجامعي عند أحمد، كان يجلس على فراشه يتصفح هاتفه الذكي ويستمتع بتصفح صفحة جميلة، فكان مغرمًا بملامحها الرقيقة وشخصيتها الساحرة، وتساؤلاته تدور في دوائر الشك، هل سيكون له نفس المشاعر؟ ولكن تلك الأفكار تثير في نفسه القلق، هل ستوافق أسرتها على علاقتهم؟ ومع ذلك، قرر أن يتحمل المخاطرة، فأرسل لها طلب الصداقة وانتظر بشغف ردها، وكلما مر الزمن، زادت حالة القلق والتوتر في نفسه، لكن أخيرًا وافقت، فابتسم بدهشة وسعادة. دخل ليرسل لها أول رسالة، وكانت عبارة بسيطة: "مساء الخير"، لكنه لم يحصل على رد، ومرت ساعات طويلة وهو ينتظر ردها بشوق. وفي منزل أم الديب، دخلت والدتها العجوز خواطر برفقة نعمة حفيدتها التي كانت تدعمها وتساندها حتى جلست، ثم دخل المعلم حنفي من باب الشقة، وعند رؤيتها، تغيرت ملامحه من الهدوء إلى الغضب، ودخل وهو يتردد في تقديم التحية لها، ثم بدأ الحديث:

_ازيك يا حاجة، وأنا أقول البيت منور ليه؟

ردت خواطر بصوت حاد:

=عشان انت مضلمه بوجودك يا حنفي .

نظر المعلم حنفي لها بکراهية، وأفاقت في داخله مشاعر الاستياء والانزعاج، وقال في نفسه بتأني: اصمت، فهذه مهما كانت جدة أولادك. وفي منزلة والدتك الراحلة رحمها الله! فبادر إلى الصمت احترامًا لها، وفي ذلك الوقت، تمكنت هي من كسر الصمت بكلماتها:

_أنا بتي بتكرهك .

وهنا لن يستطيع المعلم حنفي أن يُبقي سيطرته على أعصابه، فانفلتت منه كلماته دون تفكير، وانهاالت كلماته بكل حدة، فقال لها بصوت متوتر، ومليء بالكمد:

=يارب ما تحبني، أنا عايزها تكرهني .

ثم رفع يديه في السماء، ودعا ربه:
 _روحي اللهي ربنا يزود الكره بينا كمان وكمان!
 وقفت خواطر، واستجمعت قوتها، وقالت له:
 =بتكره بتي؟ بتكره بتي ليه؟ كانت عملتك ايه؟ ده انت من غيرها برغوت، أفصك بين ايديا يا حنفي،
 ده هي اللي خلتك واحد... هي السبب في اللي انت فيه!
 رد المعلم حنفي بصياح:
 _تصدقي بالله، انتي مفيش ولا كلمة واحده قولتنيها صح إلا في الجملة الأخيرة...أبوه هي السبب في اللي
 أنا فيه، وأنا أقول هي جايها منين، أهو صحيح اقلب القدرة على فمها تطلع البيت لأمها، وانت ماشاء الله
 في اللسان الطويل متوصيش... بدل ما تعملي لأخرتك يا ولية، يا عجوزة، يا مخلعة؟
 صرخت خواطر، ورفعت يديها الأثنين للسماء، وقالت:
 =هاتلي حقي من جوز بتي يارب...يارب ده انت العالم بيا، من يوم ما اتجوزها وهو مبهدلني معاه،
 روح اللهي ربنا ينتقم منك يا حنفي، اللهي تتجنن وما تلاقي مستشفى تداوى فيها قادر يا كريم.
 رد المعلم حنفي بجلبة:
 _ماهو هيحصل يا ولية، وشكله هيبقى على ايد بتك .
 وفي لحظة توجه المعلم حنفي إلى غرفته وهو ساخط، وصك الباب خلفه بعنف. خرجت أم الديب من
 المرحاض وعلى وجهها علامات الاستفهام، فتحدثت بهمس:
 =جرا ايه ياما، هو حنفي كان بيتخانق معاكي ولا ايه؟

ردت خواطر بدموع تمثيل:

_جوزك مبهدلني معاه يا بسمة، بدل مايعاملني حلو الكام يوم اللي فاضلينلي من الدنيا؟
 اشتعلت كرة النار داخل أم الديب، واندلعت بداخلها أعاصير الغضب، وبكلمات ملتبهة قالت:
 =ماشني يا حنفي الكلب، أني هوريك ازاي تعامل أمي حلو بعد كده .
 اقتربت من الباب وقامت بدقه، وهي تسبه:
 =افتح يا حنفي، بقى بتعامل أمي وحش، وفكرني هسقلك؟ لا يا خويا تيقى غلطان!... أني أمي خط
 أحمر واياك تقرب ناحيتها، وإلا هكسرلك رجلك، لا رجلك ايه؟ أني هكسرلك انت كلك على بعضك ،
 ومش هخلي فيك حته سليمة...افتح يا حنفي!
 خرجت نعمة من المطبخ على جلبة أم الديب، فقالت:
 _ماهو كل مرة كده كل ما ستي تيجي، الدنيا بتولع حريق .
 صاحت أم الديب في وجه نعمة:
 =احترمي نفسك يا بت، ستك دي تشيلوها على راسك انتي وأخواتك كلهم واحد واحد، واتعدلي لا
 أعدلك!
 خافت نعمة من أم الديب، وتأثرت بالصمت الذي ساد المنزل، حتى فتح المعلم حنفي باب الغرفة،
 فتهاوت أم الديب نحوه، وهي تهشمه بنعلها المتسخ بفضلات الحيوانات، فلم تتردد في سحبه إلى البلكونة
 لتلقيه منها، فصاح المعلم حنفي بصوت مفرع:
 _الحقوني .
 يتبع....

الفصل الخامس

دخل جلال فجأة كصاعقة في الظلام، وهو يحمل غيمة من الغضب المتوهج، حيث تصاعدت أصواته كصوت الرعد في سماء مضطربة، ولامس المعلم حنفي بيديه القوية كأنها أيدي عمالقة تنتشل من أعماق الامتعاض، وهو ينادي بقوة على أم الديب، محاولاً إيقاف عاصفة السخط التي تجتاح الغرفة:

_ ايه العبط ده ياما، انتي اتجننتي ولا ايه؟

رد المعلم حنفي، وهو يبكي:

=كانت هتموتني يا جلال!

ردت أم الديب بصوت غليظ:

_ آني اللي يدوسلي على طرف... مالوش عندي إلا الجزمة، فاهمين ولا لا؟

رد جلال بصوت جلف:

=اسمعي كويس الكلمتين اللي هقولهملك دلوقتي ياما... لو شوفتك بتقربي ناحية أبويا، مش هيحصلك كويس!

ثم أخرج المطوى من جيب بنطاله ورفعها على أم الديب، حيث تصاعدت الفوضى وازدادت حدة الصراخ، فرت أم الديب هاربة إلى الخارج وهي تتنفس بصعوبة، في حين أبقى جلال ينظر إلى والده بعينين مليئتين بالأسى، فصمت لحظة مريرة تحكي قصة الظلم ثم قال:

=متز علش يابا، انا خلاص خوفتهالك، عايزك تبقى أسد وميهمكش حاجة .

تلفظ المعلم حنفي بقهر:

_ ربنا على القادر والمفتري .

خرج جلال من الغرفة ويعقبه والده، ووقفوا حيال جدته العجوز، فأخذت تراقبهم بعينين مليئتين بالتساؤل، ثم نظرت إلى جلال وقالت له بصوت متألم:

=ولا يا جلال!

رفع جلال حاجبيه بمجرد أن نادته، ونظر لها نظرة حادة، تعكس الكثير من الانزعاج، ثم خرج في صمت مُريب، دون أن يُجيب على نداءها، فتركته العجوز تتبعثر في الصمت، محاولة فهم ما يجري في عقله، ثم همست بحزن:

=الواد مبيردش عليا يا بسمة... هو أبوه كرهه فيا ولا ايه؟

ردت أم الديب بانفعال:

_ ده آني مستحلفاهم هما الجوز، بس يصبروا عليا بس .

بعد مرور يومين، حضر العمال بسيارات السيراميك، والأسمنت، مُستكملين بناء شقة جلال، وقف جلال يتأمل السيارات ويرجع ظهره إليها، وبينما كانوا يقومون بعملهم، نادى عليهم بصوت عالٍ:

=ارجع كمان... كمان!

وقفت السيارات ونزل منها العمال، اقترب أحدهم من جلال ووجه سؤالا إليه:

_ الدور الكام؟

رد جلال:

=الدور الثاني، يلا اتكلوا على الله .

وقف جلال بجوارهم وهو يلتقط غيمة من الدخان تتصاعد من سيارته، وعيناه تتبع حركة العمال بانديفاع. حضر المعلم حنفي كشاهد صامت يراقب الحركة الدؤوبة للعمال، وكأنه يحاول استخلاص

دروسًا حياتية من تلك الجهود الجماعية. وبعد انتهاء العمل، وبداية زيارة المقاول برفقة فريقه، توجهت أم الديب نحوهم محملة بنصف كوب من الشاي، كرمًا منها تجاه العمل الشاق الذي قاموا به، وأعربت بكلمات لطيفة عن امتنانها لمجهوداتهم:
_بألف هنا وشفا يا حاج .

نظر المقاول إلى نصف الكوب بتعجب، ثم قال:
=هو ايه ده يا حاجة؟

ردت أم الديب بجدية:
_شاي ليكم، أمال هتشتغلوا على بطن فاضية؟

قال الرجل بسخرية:
=شاي لينا احنا التلاته مرة واحدة؟

وأمسك الكوب بيده، وهو ينظر إليه باندهاش، كما لو أنه لم يكن يتوقع هذا اللفتة الكريمة، وأكمل حديثه بابتسامة خافتة، تعكس سخريته لهذه اللفتة الطيبة:
=وب دي؟

ردت أم الديب بصوت حاد:

_ايهي مالك ياخويا مستقل بيهم كده ليه؟ مش يمكن ربنا يحط فيهم الخير والبركة؟
ضحك المقاول، وهو يثني ركبتيه، ويقوم بتركيب السيراميك فوق الأسمنت، مبدئيًا إرهاقه، فقال
باستهزاء:

=لا كتر خيرك، كنتي وفريهم أحسن يمكن انتي وعيالك محتاجينهم لحد آخر الشهر الجاي .
ردت أم الديب بصوت حاد:

_وفرت... ماهو انتوا كدة يا صنايعية، تيجوا تاكلوا وتشربوا وتأنتخوا واللي يسألكم سؤال، تقولوله احنا شغالين على الهادي عشان نطلع شغل نضيف، جاكم عمل لما يشغلكم ويلفكم حوالين نفسكم يا شوية
...-

وقبل أن تكمل حديثها، دخلت نعمة، التي تُعتبر منقذة المواقف الصعبة، فقالت بنبرة متوتره:
=انزلي بسرعة ياما، ألا دكر البط نط وطلع برا البيت .

صُغقت أم الديب لما سمعته، فضربت يدها على صدرها بقوة، فقالت:
=وانتي كنتي فين يا بت؟

تلعثمت نعمة في حديثها، وقالت:

_ملحقتوش ياما، ده كان بيفر فر...الحقيه انتي قبل ما يدخل عند الجيران ويستولوا عليه!

نزلت أم الديب بسرعة، وهي تصرخ:

=يدخل عند مين؟ ده اللي ياخذ حاجة من حاجات أم الديب، يبقى حكمها على نفسه بالموت!
وبعد أن نزلت، اقتربت نعمة من المقاول، وقالت له:

_ معلى اعذرني يا عم الحاج...انت أصلك متعرفش أمي، هي عالطول كده...مش معاك انت بس.
رد المقاول بينما هو يكمل عمله:

=مانا حسيتها عندها عرق لاسع، هي الحاجة عندها أمراض في مخها؟
ردت نعمة بقلق، وهي تتلفت حولها بحذر:

_ انا أمي سليمة وزى الفل، هي بس اللي بتستعبط!
ضحك المقاول، وقال:

=ربنا يهدي.

رن هاتف نعمة، فوجدته حبيبها حامد حيث أخذت هاتفها بين يديها المرتعشتين من الفرح المفاجئ،
وصعدت إلى سطح المنزل. وجلست في زاوية مستورة، تحت ظلال الغروب الذي يلون السماء بألوان
الحب، و ردت عليه:

_ ألو يا حمو.

قال حامد:

=ايه يا نعومي، جيتي اللي قولتلك عليه ولا لا؟
ردت نعمة:

_ انا بيعت دكر البط بتاع أمي، وهجيبك الفلوس في أي يوم يكون جلال مسافر فيه...ألا ده من آخر مرة
وهو عاملي حوار، ده انا بحمد ربنا إنه متجننش ومد ايده عليا!
نطق حامد بابتسامة:

=جدعة يا بت، طول عمرك أصيلة...انا مش عارف أودي جمابلك عليا فين بس .
ردت نعمة بابتسامة:

_ انا أعمل أي حاجة عشان خاطرلك يا حمو، المهم تصدق بس وتيجي تخطبني !

رد حامد بحُب:

=الظروف مش تمام يا نعومي، بس أوعدك أول ما الحال يتحسن، هتلاقيني جابب أبويا وأمي وجايين
لحد عندك .

تحدثت نعمة بلهفة:

=وانا مستتية اليوم ده يا حمو، نفسي يجي بقى، بس نخلص الأول من جوازة جلال .
رد حامد بفضول:

_ أما صحيح، أخوكي هيتجوز امتي؟

ردت نعمة:

=شهرين ثلاثة كده، ويدخل .

نطق حامد بدهشة:

_ وهما مستعجلين كده ليه؟ ما يدوا لنفسهم فرصة!

ردت نعمة:

=ما اللي انت متعرفوش، ان أمي ممكن تغير رأيها في يوم وليلة، وكل التخطيط اللي جلال بيخططله
بيوظ!

رد حامد:

_ أه عشان كده بقى... عقبالنا يا نعومي .

ردت نعمة بلهفة:

=يارب .

كانت أم الديب تتركب التوكتوك، وتتأرجح به بين شوارع القرية كالقمر في ليلة صافية، وتمسك الميكروفون بيد ثابتة كصخرة في عاصفة، وتنادي بصوت يملأ الأفق ويداعب أذني السامعين، تعلن بكل جدية، وثبات:

_ يا أهل البلد، يا ولاد الكلب يا حرامية... اللي سرق دكر البط بتاعي أي مش هعتقه... أي هوريكم النجوم في عز الضهر، يا شوية رمامة... إن دكر البط بتاعي مرجعش، أي ههد الدنيا فوق نفوخم كلكم، واللي هيشغل نفوخته عليا ويجيبلي دكر بط غيره عشان يسكتني والحوار دهو يتقفل بالضبة والمفتاح، أي هعرفه، أصل دكر البط بتاعي فيه علامة... منقاره فيه حته حمراء... ايهي ايه الغباء ده يا أم الديب، ماهما كده هيلونوه... يا أهل البلد أديني بقولكم أهو! وأثناء سيرها، تراقبت أم الديب الشوارع المليئة بالحياة، فاستوقفتها نظرة حادة لذكر بط يتماشى في نفس اتجاه التوكتوك، حاملاً علامة مميزة على منقاره. لتتنقض على السائق بلهفة، قائلة:

_ أقف بسرعة... أقف .

نزلت أم الديب من التوكتوك بخطى متسارعة، وأمست بالمرأة التي تحمل الطائر، وبصوت عالٍ، وهي تصرخ:

=دكر البط بتاعي أهو يا خلق... انتي جييتيه منين يا ولية انتي، انطقي قبل ما أطلع بزمارة رقبتك!

ردت المرأة وهي ترتجف خوفاً:

_ والله العظيم واحدة اللي باعتهولي... انا مسرقتش حاجة .

تشبثت أم الديب بملابسها بعنف، وقالت بصوت حاد:

=مين اللي باعتهولك؟ مين؟

ردت المرأة وهي ترتجف خوفاً:

_ واحده ست اللي باعتهولي، أو شابة... الله أعلم متجوزة ولا لا!

ردت أم الديب بصياح:

=أوصفيها لي يا ولية، وهاتي دكر البط دهو... أوعي .

سحبته أم الديب بعنف، كموجة عاتية تجرف كل شيء في طريقها، فراحت المرأة تهرب، ووراءها أم الديب تسبها بصوت ملتهب! ثم اختفت المرأة من بصرها، وعادت أم الديب تتنفس بنفس متسارع، وجلست في التوكتوك تتفحص طائرها، وهي تسبح بين أفكارها المضطربة! وبعد وصولها إلى المنزل، سعدت سريعاً إلى السطح، ووضعت دكر البط في مكانه المعتاد، ثم نزلت إلى شقتها وبدأت في تحضير وجبتها بكل هدوء، كطقس يومية تمر بها دون تذكير. ووقفت أمام التلفاز وهي تتابع المسلسل بعين مليئة بالغموض. وبينما أحمد ينتظر ردًا من جميلة لمدة يومين، كانت تلك اللحظات تبدو له كأنها قرون من الزمن تمرّ ببطء شديد. وأخيرًا، بعد طول انتظار، وجاء الرد من جميلة بسؤال بسيط "انت مين؟". فأجابها أحمد بتواضع وحبور "أنا أحمد، مش فاكراي؟"، لكن رد جميلة كان جاف "أحمد مين؟"، فقام أحمد بتذكيرها بمرورهم السابق وصورة له، ولكنها لم ترد على الفور. بعد مرور ساعة مرة أخرى، قامت جميلة بالرد عليه بطريقة غير مؤكده، فقالت:

_ أها افتكرت... هاي ازيك؟

في هذه اللحظة، انتاب أحمد مشاعر السعادة العارمة، حيث شعر بالامتنان لجميلة التي تذكرته أخيراً. بدا وجهه مشرقاً بالفرح، فلم يتردد في الرد عليها بحماس، قائلاً:

=انا كويس، انتي ايه أخبارك؟

أجابت جميلة:

_كله تمام .

تفوه أحمد بلطف:

=انا شوفتك في الجامعة علفكرة، دي فرصة حلوه أوي اننا مع بعض في نفس الجامعة .

ردت جميلة بدهشة:

_بجد؟ مع ان انا مخدتش بالي قبل كده... انت مدرج كام؟

نطق أحمد بتردد:

=لا انا مش معاكي في نفس الكلية، انا في كلية تجارة!

ردت جميلة:

_أها عشان كده مشوفتكش ولا مرة .

رد أحمد بدون مقدمات:

=هو ينفع أشوفك في الجامعة؟

تفوهت جميلة بتساؤل:

_وتشوفني ليه؟

لم يجد أحمد الرد المناسب والمقنع لسبب مقابلته لجميلة! فقرر أن يخترع لها أي حجة! فقال:

=أصل انتوا نسيتموا حاجة مهمة عندنا، وانا لازم أديهالك ترجعيها لوالدتك !

ردت جميلة بتعجب:

_و ليه كل ده؟ انا هقول لمامي وهي تبعت أي حد من الحرس ياخذها .

رد أحمد:

=لا لا... أصلها حاجة بسيطة ومش مستاهلة، وبصراحة هنكون محرجين جداً، فهي فرصة بما اننا مع

بعض في نفس الجامعة، ولا انتي ايه رأيك؟

أجابت جميلة بتفكير عميق:

_خلاص أوكي .

رد أحمد ببهجة:

=هقابلك بكرة قصاد كليتك .

أجابت جميلة:

_أوكي...باي .

رد أحمد ببهجة:

=باي .

وقف على سريره وهو يترقص فرحاً من موافقة جميلة! فدخل أحد أصدقائه بالسكن، وعلى كتفه

المنشفة. فضحك، وسأله بابتسامه واسعة تكشف عن أسنانه المشرقة كلعبة ضوء في سماء الليل:

_في ايه، ما تفرحني معاك؟

شعر أحمد بالإحراج في هذه اللحظة، ونزل من على سريره، وجلس، وأمسك كتابه، وقال بتلثم:

=مفيش حاجة...ده...ده... ده ...

جلس صديقه حباله، ووضع ساقه فوق الأخرى بانسيابية، وأسند رأسه على يده بانغماس، وهو مبتسم ابتسامة تملأ الغرفة بأجواء الحماس:

_ ده ايه؟ ما تكمل؟

رد أحمد بصوت حاد:

=يا عم وانت مالك؟ خليك في حالك بس .

رد صديقه:

_ تصدق ان انا غلطان؟ طيب يا سيدي على العموم انا نازل أشتري حاجات، مش عايز حاجة أجيبها لك معايا؟

رد أحمد:

=لا مش عايز .

خرج صديقه من الغرفة، وأحمد ما زال مبتسمًا بتفاؤل، فترددت أفكاره حول ما سيفعله في أول لقاء له بجميلة، وهل سيكون لقاؤهما مثل ما تخيله أم سيحمل مفاجآت غير متوقعة؟ أما جلال، فقد صعد إلى شقته ليتابع عمل العمال، فوجد نفسه يفكر في الاستعدادات القادمة، والتحضيرات المطلوبة لاستكمال بناء شقته، ثم نطق:

_ تشربو ايه يا رجالة؟

رد المقاول:

=لا تسلّم .

رد أحد مساعدين المقاول:

_ هي الحاجة مالها؟

نطق جلال بتعجب:

=حاجة مين؟

رد أحد مساعدين المقاول:

_ أصلها بتهزقنا، جايالنا نص كوباية شاي، وعايزانا احنا الثلاثة نشرب منها .

تغيرت ملامح جلال للسخط بين لحظة، والثانية، فقال:

=معلش يا معلم هاتها فيا، ده انا هوجب معاكم أحلى واجب، وانسوا اللي أمي عملته ده !

رد المقاول بإحراج:

_ تسلّم يا أستاذ جلال، كلك ذوق .

رد جلال بابتسامة:

=ادوني عشر دقائق وراجع .

رد المقاول:

_ ماشي .

خرج جلال من شقته وتوجه إلى البقالة، حيث اشترى بعض العصائر والحلوى، ثم عاد مجددًا. وأثناء مروره أمام شقة أم الديب، لفت نظرها الأكياس الذي كان يحملها، فخرجت له بفضول، وهي تنتظر بداخلها، ثم قالت:

=جايب الحاجات دهى لمين يا ولا؟
رد جلال، وهو يواصل صعوده:
_وانتي مالك ياما؟ ما تخليكي في حالك .
نطقت أم الديب بصوت حاد:
=ما هما لسة طافحين شاي، هو كل شوية ولا ايه؟
رد جلال بسخرية:
_أه بأمارة نص كوباية الشاي اللي انتي شربتيتها .
صرخت أم الديب:
=يالهوري هما هيكدبوني كمان؟ ليه هو أني كدابة ولا نصابة ولا حوار تجية؟ ايهي أني كدابة؟ بقى أني يتغلط فيا وأعديها كدهو؟ الحقوني يا ناس، الصنايعية بيغلطوا فيا في داري!
خرجت نعمة، وسحبت أم الديب من ذراعها، فقالت:
_جرا ايه ياما؟ هو انتي ما بنزهقش؟ يا نهار أسود علينا وعلى سنينا السوداء... ادخلي ياما الله يكرمك وريحنا بقى .
ردت أم الديب بصوت حاد:
=خشى جوا يا بت، وعلى الله أشوفك برا... انتي عاوزه الصنايعية يبصولك ولا ايه؟ ده أني اللي يبص لبت من بناتي، أكله بإيدي وسناني !

أجابت نعمة بعصيبة:
_جرا ايه ياما، هو انتي هنتكلمي وتردي على نفسك؟ وهو كان في حاجة حصلت أساساً؟
ردت أم الديب بصوت حاد:
=خشى جوا...خشى!
ثاني يوم بمقر الجامعة، كان أحمد ينتظر جميلة حيال كليتها بشوق متوتر. كلما مرت دقيقتين، نظر في هاتفه بلا انقطاع، حتى ظهرت من بعيد، محملة بسحر النظارة الشمسية الثمينة وأناقاة الملابس، فأضفت لها هيبة تجذب الأنظار. وبعد وصولها وتبادل التحية، قالت:
_اتأخرت عليك؟
رد أحمد بابتسامة عارمة:
=لا لا، جيتي في وقتك المناسب .
تفوهت جميلة بصوت رهيف:
_طب كويس .
قال أحمد بابتسامة:
=مممكن نقعد؟ ماهو مينفعش نتكلم واحنا واقفين كده !
ردت جميلة بفضول:
_فين الحاجة المهمة اللي انت قولت عليها؟
قال أحمد بابتسامة:
=طيب نقعد، بدل وقفنا كده!... مممكن؟
ترددت جميلة، ونظرت حولها، وهي تفكر، فقالت:
Ok._

رد أحمد:

=انفضلي .

حتى وصلوا إلى كافتيريا الجامعة، سحب أحمد الكرسي لجميلة لتجلس عليه، وبعد أن جلست، وضعت حقيبتها على الطاولة وخلعت نظارتها، ووضعته بجانب حقيبتها. أثار هذا الجمال والأناقة إرتباك أحمد، ولمس جاذبية جمالها، فلم يتمالك نفسه وقال لها:

=بصراحة انتي اسم على مسمى..جميلة وفعلاً جميلة !

ردت جميلة، وهي تضحك:

_ميرسي...ممكن تديني الحاجة المهمة دي بقي؟

أخرج أحمد الخاتم من جيب بنطاله، وأعطاه لها، فنظرت جميلة بتعجب منين، وقالت باشمنزاز:

_لا لا لا...مستحيل يكون الخاتم ده بتاع حد فينا، ده مش ذوقنا خالص !

رد أحمد بإحراج:

=بجد؟ يعني ده مطلعش بتاعكم؟

ردت جميلة:

_أه طبعاً...ده ذوق بلدي.. سوري يعني !

أعاد أحمد الخاتم في جيب بنطاله مرة أخرى، وقال:

=خلاص مش مهم، أصل انا لقبته عندنا واحنا محدش فينا بيلبس خواتم... بس المهم يعني ان انا شوفتك!

ضحكت جميلة، وصمتت بخجل، فواصل أحمد حديثه:

=وطنط بسملة أخبارها ايه، ووالدك وأخواتك؟

ردت جميلة بشك:

_انت تعرف بابي واخواتي منين؟

في هذا الوقت، قال أحمد في داخل نفسه، إنه من الواضح أن جميلة ليست سهلة على الإطلاق في التعامل، خصوصاً أنها تهتم بأدق التفاصيل. فقال:

=لا ده انا بسأل بس مجرد سؤال.

أجابت جميلة:

_كلنا بخير، وطنط أم الديب؟

رد أحمد بضحك:

=قصداك بسملة، ماهي اسمها الحقيقي بسملة...أم الديب ده اسم الشهرة بس!

ردت جميلة، وهي تضحك:

_بس غريبة ان مامي ومامتك نفس الاسم، بإختلاف حرف!

نفوه أحمد بدهشة:

=أه تصدقي فعلاً!...انا ازاي مكنتش واخذ بالي من حاجة زي دي؟

ضحك الاثنان سويًا، فكان أحمد ينظر إلى جميلة وقلبه ينبض بالحب. وبعد أن عادت جميلة إلى منزلها

في نهاية اليوم، دخلت غرفتها وملامح السعادة على وجهها. ألقت حقيبتها على السرير وشغلت

الموسيقى، وأغلقت عينيها وهي ترقص بمفردها في الهواء، تتحرك كأنها تعزف على الجيتار. وبعد

الانتهاء من رقصتها، وقفت أمام المرأة، تنظر إلى نفسها بإعجاب. كانت تشعر وكأنها وقعت في غرامه،

على الرغم من أنها تحدثت مع الكثير، إلا أنه الوحيد الذي نال إعجابها. وبعد مرور شهر على تزايد المشاعر بينهم، كان جلال قد انتهى من تشطيب شقته، لكن ينقصها بعض الأشياء البسيطة. وفي هذا اليوم، دخل الغرفة لأبيه وأمه، وقال لهما:

_بقولك ايه يابا عايزين نتفق على كتب الكتاب ونخلص.

تحدث المعلم حنفي:

=مش لما امك تخف انت مش شايف دراعها وارم ازاي؟

جلس جلال على كرسي حيالهم، وقال :

_مش ناويه تحني على ليالي بقى ياما ده البت جاتلك مرتين بعدها وقدرتك هي وأهلها.

أم الديب بلا مبالاة :

=اعمل اللي انت عايزوا

جلال بفرحة شديدة:

_يعني موافقة ياما؟

أم الديب بلامبالاة :

=انت حر يا منيل.

وقف جلال من مكانه وهو مستعد، فقال :

_يلا بينا يابا على بيتهم.

المعلم حنفي بعصبية:

=جرا ايه يابن الجزمة انت هتطير عليهم كل مرة؟ مش لما الواحد يشرب كوباية الشاي ويعمل المزاج الأول؟

جلال باستعجال:

_يابا ما تشربها عندهم !

كان المعلم حنفي يحلم بشرب الشاي، وهو يستمتع بطعم البسكويت اللذيذ، وتنعكس على وجهه ابتسامة الرضا، والسعادة، وكأنما يغمره الشعور الاسترخاء:

=نفسى ياض في حنة بسكوتة كده أسقسقها في الشاي، حاجة كده تنسيني هم الدنيا واللي فيها !

نظرت له أم الديب ببغضاء، وقالت بحدة:

_بتقول ايه؟

المعلم حنفي برهبة:

=بسكوت اللي بيتاكل يا ولية مش اللي في بالك... هو اللي يتجوزك يجيله نفس لنسوان؟

أم الديب بصوت غليظ :

_بتقول حاجة؟

المعلم حنفي بأشمزاز منها :

=لا ياختي بقولك قايم في داهية .

ردت أم الديب:

_غور، ده انت قعدتلك في البيت تجيب الغم.

عاد المعلم حنفي لها بعبوة من الشر والانتقام، وغمر وجهه الغضب الجسيم، فاقترب منها بخطوات

ثقيلة، وتجلى في عينيه لهيب الغيظ، وصاح:

=ربنا يسامحك يا ولية.

وواصل لجلال:

=يلا بينا يا جلال .

خرج المعلم حنفي مع جلال، وساروا في اتجاه منزل عم سلامة، وعندما وصلوا إلى صالة المنزل وبدأوا بفتح الموضوع، خاطبهم عم سلامة قائلاً:

_بس انا ليا كلام تاني!

جلال بقلق:

=خير يا عمي؟

عم سلامة بوجه عابس:

=كتب الكتاب قبل الفرح بيوم!... احنا معندناش بنات تتعلق بالشهور مكتوب كتابها، وفي الآخر يا عالم الجوازة هتكمل ولا لا !

جلال برهبة:

_لا بعد الشر يا عمي فال الله ولا فالك، ربنا ما يجيب حاجة وحشة أبداً... احنا يادوب نجهز في شوار العروسة عايزين كله بدري بدري .

اقترب منه المعلم حنفي وقال له بصوت خافت:

=مالك يا ض مستعجل كده ليه؟

جلال بخوف :

_ياا اسكت ألا يسمعنا !

قال المعلم حنفي لعم سلامة بتساؤل:

_هنعمل الفرح امتي يا عم سلامة؟

رد عم سلامة بدهاء:

=لما جهاز العروسة يخلص، ونوديه على بيت عريسها، ساعتها نبقى نشوف هنعمل الفرح امتي ! نطق جلال بلهفة:

_على بركة الله يا حمايا .

رد عم سلامة بابتسامة مغمورة بالسخاء:

=اشربوا شايبكم .

رد المعلم حنفي، وهو يشرب الشاي:

_يدوم العز يا عم سلامة .

نفوه عم سلامة بابتسامة ودية:

=الله يخليك يا معلم حنفي .

في اليوم التالي، كانت أم الديب تفكر في غلاء أسعار اللحوم، والدجاج، وكيف تلبي طلبات أولادها دون أن تكلفها الكثير، فقررت البحث عن حلول بسيطة، فذهبت إلى سلة القمامة الضخمة حيث كان يقف عليها طائر أبو قردان، واستخدمت الشكارة لصيد سبعة منها. ثم ذهبت للقطار وطلبت الأرز المكسر بالدرجة الثالثة، ولم تجد نفعاً عند بائع الخضروات، فاضطرت لجمع البطاطا الفاسدة من على الأرض. عادت إلى المنزل وبدأت بتحضير الوجبة، وفي ذلك الوقت، كان المعلم حنفي يشم رائحة طيبة، ولذيذة في نومه، معتقداً أنها جزء من حلمه، وعندما استيقظ ودخل المطبخ، أعرب عن دهشته:

_ايه يا ولية الريحة دي هما الجيران طبخين ايه النهاردة؟
 أم الديب بصوت حاد، وهي تمسك السكين وتهدد به المعلم حنفي:
 =متخشش المطبخ يا راجل انت!
 المعلم حنفي بسخرية :
 _ليه في أسرار حربية؟

أم الديب بصوت حاد :
 =اتكل على الله روح اعمل حاجة تانية لحد ما أخلص فاهم ولا لا؟
 المعلم حنفي بخوف:

_ ما براحة علينا شوية... يا ساتر عليكى ولية فقر .
 ثم خرج من المطبخ بعظمة تتلألأ على وجهه، وبينما يتنفس الهواء النقي، اجتاحت رائحة الطعام الشهية التي لا تقاوم. فجاءت نعمة من الخارج، وعندما استنشقت نفس الرائحة الطيبة، انبهر وجهها. فقالت بسعادة مفعمة :

=الله ياما انتي بتطبخيلنا ايه؟
 ردت أم الديب، بينما هي تكمل الطهي :
 _روحي غيري كلها شوية وناكل كلنا .
 نعمة بسرور:
 =ماشى ياما .

خرجت نعمة من المطبخ وهي تحمل الفرح بين ذراعيها، وبعد أن انتهت أم الديب من تحضير الأطباق الشهية، وضعت على الطاولة الريفية بمهارة تُعكس العناية المُبذولة. وبينما جلسوا ينظرون إلى الطعام، تأوهوا كمن يغوص في عالم ساحر، وكأنهم في حلم تحقق. المعلم حنفي لم يتمالك نفسه، فحكّ يديه في عينيه كأنه يحاول إيقاعها من حلمها الجميل، وعيناه الاثنان لا تصدقان ما تراه. بينما يبتلع ريقه بتمنّياتٍ صامتة، يتفوّق صوته على الهمسات:

_دي فراخ يا ولية؟

أم الديب بخداع:

=أيون يا خويا...يلا كلوا بسم الله .

أمحوا الطعام، وتلألأت الأواني من شدة نظافتها كأنها تتألق بأشعة الشمس المباركة، صعد المعلم حنفي بصعوبة إلى الأريكة، وهو يتحسس كرشه الثقيل الممتلئ بنعم الطعام ولذته، وكأنه يحمل عالمًا من السعادة، والرضا. نطق وصوته يتأرجح بالراحة:

_بت يا نعمة اعمليلي كوباية شاي احبس ألا الاكلة كانت متينة !
 نعمة:

=ماشى يابا .

المعلم حنفي براحة عارمة:

_ياه الواحد كان محروم أوي .

أم الديب بصوت حاد:

=مش مليت كرشك ياخويا؟ متصدعناش بجى!

المعلم حنفي بصوت حاد:

_جرا ايه يا ولية يا بت الكل*؟ ما تلمي نفسك... ده انتي وشك يقطع الخميرة من البيت !

أم الديب بصوت غليظ:

=انت بتجولي الكلام ده ليا أني؟

بدأت تقترب منه وعيناها كفتحة الكهف، مليئة بغضبها الناري. قال المعلم حنفي بخوف متزايد :

_اقدي انا بهزر معاكي هيهيهيه .

أم الديب بصياح :

=اعدل نفسك بدل ما أدب السكنية في كرشك أفضيهولك!

المعلم حنفي بخوف:

_ماشي يا ولية .

نزلت أم الديب من المنزل، واستقرت فباله تتحاور مع جارتها حتى حضر الكلب نفسه ليخفف عن قلبه المستشيط مما جرى في المرة السابقة، ويأخذ بثأره من أم الديب، مُحافظاً على أنيابه! أما أم الديب فصاحت بشدة:

=يالهوري الكلب جاي ينهشني تاني .

ثم دخلت المنزل وأوصدت الباب وصعدت، واختبأت في الغرفة، لكن الكلب استمر في إصراره على متابعة أم الديب، وزاد صرح نباحه في الاحتجاج، حتى خرج المعلم حنفي من الغرفة ليبحث عن مصدر الصوت! فقال بتعجب:

_باينله كلب مسعور ولا ايه؟ هش هش... امشي، يلا امشي!

رجع الكلب بظهره، مشوشاً في اعتقاده أنه ثور هائج وليس بكلب، وعندما حكّ قدميه في تراب الشارع، زادت شبهته بالغرابة. ثم أنقض مرتفعاً إلى بلكونة أم الديب، فدخل المعلم حنفي مُسرِعاً، وصلك باب البلكونة، لكن الكلب مازال يصر على الدخول لمنزل أم الديب، مُصمماً على ذلك. حتى استجمعت أم الديب شجاعته وخرجت بالسكين لتقف وجهاً لوجه مع الكلب الشكس، وبكل قسوة قتلتته، وأخذت جثته بعيداً لتدفنه. وفي خطوة مفاجئة، ذهبت به إلى الحظيرة وقامت بسلخ جلده وقطعت لحمه، فأعبأته في الكيس الأسود. وعندما عادت إلى المنزل مرة أخرى، أبدى المعلم حنفي تعجبه بكل ما حدث:

_وديكي الكلب فين؟

أم الديب:

=دفنته بعيد .

نظر المعلم حنفي للكيس بتعجب، وقال:

_وايه اللي في ايدك ده؟

أم الديب بمكر:

=دي فضلة خيري لحمه لسه شاريها .

المعلم حنفي بشك :

_ايه يا ولية الكرم اللي دخل عليكي فجأة ده؟

أم الديب بدهاء:

=مش عايزين اللحم؟ أرجعها!

المعلم حنفي بتعجب :

_انت بتتلككي ولا ايه؟ حطيها .

أم الديب بصوت حاد :
 =أني هدخل أنام مش عايزة صوت!
 دخلت أم الديب المطبخ، ووضعت اللحم بداخل المبرد، ثم دخلت غرفتها، وجلست على سريرها، وقبل أن تنام جاءت لها فكرة لامعة كالنجمة في السماء حيث قررت الاتصال بأم قمر الدين لترتيب وليمة فخمة تليق بسخاءها الذي لا يُضاهى تجاهها، وتجاه أولادها. فبعدما راودتها ذكريات الخيرات التي منحتها إياها، قالت أم الديب بنفسها:
 _السلامو عليكو يا مدام بسملة .
 كانت أم قمر الدين تجلس في الريسبشن، ويدها كوب النسكافية، فقالت بصوتٍ هاديٍّ، ومُشبع بالدفء والترحيب:
 =هاي أم الديب أخبارك ايه؟
 أم الديب بإحسان :
 _نحمد ونشكر ربنا يا ست هانم، أما بقولك يعني أني عايزاكي تيجي انتي وبناتك .
 أم قمر الدين بتعجب:
 =ليه خير في حاجة؟
 أم الديب:
 _ناكل مع بعض .
 أم قمر الدين بدهشة:
 =ناكل مع بعض ازاي مش فاهمة؟ قصدك عزومة يعني؟
 أم الديب بسعادة:
 _أيون عزومة انشالله تتهني متكسفينيش وهاتي بناتك وتعالى .
 أم قمر الدين بتردد:
 =ماهو انا مش عارفة ظروفي وظروف البنات هتكون ايه .
 أم الديب :
 _ايهي ودي تيجي برضة؟ ده هو يوم!
 أم قمر الدين بحيرة:
 =مش عارفة بجد يا أم الديب .
 أم الديب بابتسامة:
 _هاتيهم بس يا ست هانم وتعالوا مستنياكم بعد بكرة .
 أم قمر الدين بابتسامة :
 =أوكي أشوفك على خير...ميرسي على العزومة بجد .
 أم الديب بسعادة:
 _انشالله تتهني وتتسعدى، يلا سلامو عليكو .
 أم قمر الدين :
 =أوكي باي .
 ثاني يوم في الصباح الباكر، خرجت أم الديب من غرفتها، لتجد أبناءها الثلاثة، جلال، ونعمة، وهايدي، مجتمعين في الصالة. فألقت نظرة بائسة عليهم وقالت:

_ اعملوا حسابكم الست أم قمر الدين جاية بكرأ فاهمين ولا لا؟

جلال بتعجب:

=جايين ليه ياما؟

أم الديب :

_ أني عازماهم عندنا .

جلال بسخرية:

=وانتي هتعمزيمهم على ايه ياما؟ على عيش ناشف وسلطة؟

أم الديب بثقة زائده :

_ هتشوفوا هعمل ايه !

نعمة بخور:

=ياما متكسفينااش قدام الناس دي، دول ناس أكابر احنا مش قدهم وأكلنا مش هيعجبهم .

أم الديب بثقة:

_ هو في زينا يا بت؟ ده أني ايدي تتلف في حرير في عمايل الأكل، هو انتي تفهمي حاجة؟

نعمة بخوف منها :

=يوه ياما!

تدخلت هايدي في الحديث، وقالت بحزم:

_ ماما انا اللي هقرر هتعملي أكل ايه!

أم الديب بصخب:

=ليه وانتي مالك يا بت؟ انا جهزت الأكل خلاص وخلصنا .

هايدي بخوف:

_ يا ماما مينفعش كده، لازم نعملهم أكل يليق بيهم وألا هيكون شكلنا وحش!

أم الديب بصوت حاد :

=محدث فيكم له دعوة .

اتجهت أم الديب نحو باب الشقة، فقالت نعمة:

_ طب انتي رايحه فين ياما؟

أم الديب:

=هجييب حاجة وجاية .

بعدما نزلت أم الديب، قالت هايدي لنعمة بقلق:

_ ربنا يستر، انا مقلقه منها !

ردت نعمة:

=وانا كمان والله .

خرجت أم الديب من باب منزلها، حاملة في يدها كيساً أسود كالمعتاد، ثم توقفت أمام شجرة حيث بدأت

باتقان في كطف أوراق الشجر بدلاً من شراء الملوخية. قررت القيام بصيد أبو قردان واستخدام لحم

الكلب الذي فرزته. عادت إلى المنزل وكأنها قامت بمهمة استثنائية. بينما في السكن الجامعي لأحمد،

وهو يسعد بمحادثة هاتفية مع جميلة، يجلس على سريره يتحرك بابتسامة على شفثيه، فيما تعبر جميلة

عن دهشتها:

_ تخيل ان طنط بسمة مصممة انها تعزم مامي وأخواتي على الغدا؟ وانا بصراحة معتقدش خالص أنهم هيوافقوا على حاجة زي دي!

تمسك أحمد بهذة الكلمة من أجل رؤية جميلة، فقال:
= لا لا ازاي؟ لازم كلكم تيجوا... انتي قولتيلي عندك كام أخ وأخت؟
ردت جميلة برفقة:

_ ياه كتير... سامية، ونرمين أخواتي الكبار، ومتجوزين وكل واحدة عندها بيزنيس خاص بيها، وقمر الدين أخويا الكبير، وفي منى، ونالا، وعلاء الدين!
ضحك أحمد، وقال بذهول:

=هما فعلاً كتير، بس مش مهم... ياريت كلكم تيجوا عشان نتعرف عليكم أكثر .
ضحكت جميلة، وقالت بتفكير:

_ على حسب ظروف كل واحد فينا .
رد أحمد بصوت حنون ينم عن الإصرار:
=بس انا لازم أشوفك يا جميلة !

أجابت جميلة بتعجب:
_ نعم؟ اشمعنا انا يعني؟

تلجلج أحمد في حديثه، وسرعان ما أصلحه:
=أقصد عشان هايدي ونعمة ارتاحولك أوي، ولا احنا بيتنا مش قد المقام؟
ردت جميلة بتواضع:

_ لا طبعاً قد المقام، بس بشرط !
رد أحمد بلهفة:

=شرط ايه؟ قولي بسرعة .
تفوهت جميلة:

_ انا من زمان أوي ونفسي أشوف الحقل الأخضر وأتصور فيه .
نطق أحمد بتساؤل:

=تقصدي الغيط؟
ردت جميلة:

=أبوة أقصد الغيط، وكمان نفسي أشوف الحيوانات على الطبيعة !
رد أحمد بفرحة:

_ بس كده؟ ده انتي هتتبسطي أوي .
ضحكت جميلة، وفي نفس الحين تلقى أحمد مكالمة من هايدي، فقال لها:

_ هكلمك تاني يا جميلة، أصل هايدي بتتصل .
ردت جميلة:

=اوكي، باي .
نطق أحمد بحُب:

=باي .
ثم استجاب لمكالمة هايدي، فقالت له:

_ألو يا أحمد عامل ايه؟
 أحمد بلطف:
 =الحمد لله انتوا عاملين ايه؟
 هايدي بتنهد:
 _الحمد لله...يرضيك اللي ماما بتعمله ده؟
 أحمد بقلق:
 =عملت ايه تاني؟ انا عارف انها مش هتسكت إلا لما تعملنا مشاكل !
 هايدي:
 _لا لا مش مشاكل ولا حاجة... هي بس عازمة طنط أم قمر الدين وبناتها، ومش عايزه تعرف حد فينا
 هتطبخلهم ايه وانا قلقانه منها !

حاول أحمد تمثيل أنه لا يعرف شئ عن هذا الموضوع، فقال باندهاش:
 =ايه ده هما جايبين؟
 هايدي بتعجب من لهفة أخيها:
 _أيوه مالك فرحت كده ليه؟
 أحمد بتردد:
 =ولا فرحت ولا حاجة... انا جاي بكرا خلصت كل محاضراتي في الكلية وزهقت من المدينة
 الجامعية .
 هايدي بتعجب:
 _غريبة يعني! احنا مستنين وربنا يستر .
 رد أحمد:
 =يارب .

في اليوم الثاني، عند الساعة السادسة صباحًا، كان الجميع مُستسلمًا لأحلامهم، إلا أم الديب التي
 استيقظت لتعد طعام العزومة. أخرجت اللحم من الفريزر وبدأت بتحضيره جنبًا إلى جانب. خرطت
 أوراق الشجر وسلقت أبو قردان في القدر، مسببة إزعاجًا شديدًا لكل من في المنزل، حيث لم يكن أحد
 قادرًا على الاستمتاع بنوم هادئ بسبب صوت تقفل الحلل. قال المعلم حنفي بضيق:
 _يخربيت اللي جابوكي ورازوني بيكي ايه وجع الدماغ اللي على الصبح ده؟
 ثم ناداها بصوت عالي:
 _انتني يا ولية! انتني يا بت الجزمة .
 أم الديب بجلبة :
 =عايز ايه؟

خرج المعلم حنفي وعلى وجهه تعبير الغضب، وبصوت متوتر قال:
 _ايه الدوشه اللي على الصبح دي؟
 أم الديب بعصبية:
 =بجهاز الأكل ياخويا...ايه بلاش أجهزه؟
 المعلم حنفي بانزعاج :
 _يا شيخة منك لله .

أم الديب بتعجب:

=ايهي انت حد جه جنبك؟

المعلم حنفي بصياح :

_ لا انا بتبلي عليكى .

استيقظ جلال غاضبًا من ارتفاع أصواتهم. بدأ جلال يصرخ ويرفع يده بامتعاض:

=بقولكم ايه مش كل يوم صداع، صداع، صداع... انا تعبت .

المعلم حنفي بانزعاج:

_ قول لأمك اللي وشتنا على الصبح .

جلال بعصبية:

=لا أقول ولا تقولوا .

ثم دخل المرحاض، وبعد عدة ساعات، دخلت أم قمر الدين وابنتاها الإثنتين، جميلة ونالا. نالا، الفتاة ذات

البشرة البيضاء، والعيون الخضراء، تتمتع بلامح هادئة وطول متوسط، وتدرس في الفرقة الأولى من

كلية الفنون التطبيقية. أم الديب قالت:

_ انزلي يا بت يا هايدي استقبلهم يا بت .

هايدي:

=حاضر .

نزلت هايدي لاستقبالهم وعانقت الجميع بحماس حيث قالت:

=أهلاً يا طنط... ازي حضرتك؟

أم قمر الدين:

_ هاي يا حبيبتى أخبارك ايه؟

هايدي بابتسامة:

=الحمد لله، أهلاً ببيكم .

جميلة، ونالا في آن واحد:

_ أهلاً .

هايدي بابتسامة:

=انفضلوا .

أخذتهم وصعدوا إلى شقة أم الديب، وفور وصولهم، أطلقت أم الديب الزغاريد بسعادة عارمة قائلة:

_ يا أهلاً وسهلاً... يا ألف مرحب... يا أهلاً وسهلاً .

أدارت هايدي وجهها، وشعرت بالإحراج المّنين من تصرفات أم الديب الطريفة، فقالت:

=ايه الإحراج ده؟

أم قمر الدين:

_ ميرسى لذوقك .

أم الديب بصباية:

=سلموا يا عيال على ستكم بسملة .

أحمد، وجلال في آن واحد:

_ أهلاً وسهلاً .

جاءت نعمة وقبّلت رأس أم قمر الدين، وقالت بفرحة:

=ازيك يا مدام؟

أم قمر الدين:

_ الحمد لله بخير .

أم الديب ببهجة:

=حالاً يكون الأكل جاهز... ورايا يا بت يا نعمة .

دخلت المطبخ هي وابنتها نعمة لتنسج فن الطهي، حيث امتزجت النكهات وتلاعبت الروائح بإجادة خاصة. جلست أم قمر الدين وبناتها بأناقة يملؤها الجمال، والترتيب. انضم جلال، وأحمد، وهايدي إلى هذه اللوحة الفنية، حيث تعاقبت الأحاديث برقة، ورقية. في هذا الجو المشحون بالتواصل الصامت، شددت هايدي انتباهها إلى تبادل النظرات الساحرة بين أحمد وجميلة، وكأن العشق يتراقص بينهما بلغة لا تحتاج إلى كلمات. وفي لمحة فاجأتهم خواطر، وهي والدة أم الديب، وقد اقتحمت المنزل بصوت يرنو إلى الدهشة، قالت:

_ ايه النسوان العريانة دهى يا بسمة، جيبتهم منين؟

يتبع

الفصل السادس

خرجت أم الديب من المطبخ بخطوات ثقيلة، ووجهها ممتلئ بالظلال، حيث انعكست عليه علامات الاستياء. صوت والدتها كان كفيلاً بإثارة هذه الانزعاجات، حيث ظهر في عينيها بريئاً من الاحتجاج الصامت، وبصوت متشنج، قالت:

_ انتي ايه اللي جابك هنا هو ياما؟ هو مش انتي راقدة في البيت عيانة؟

ردت خواطر وهي تتأمل في عالم أم قمر الدين وبناتها، حيث أعلنت:

=مين النسوان دهى يا بسمة؟ تعرفيهم منين؟

نظرت أم قمر الدين إلى بناتها، وهي تشعر بالإحراج، و فقط اكتفت بالصمت، فنادت أم الديب نعمة ابنتها:

_ بت يا نعمة... تعالي خدي ستك رجعيها الدار .

خرجت نعمة من المطبخ، وأمسكت بجدتها العجوز، فقالت:

=يلا بينا يا ستي .

أزاحت خواطر يد حفيدتها عنها بعنف، وصدحت:

_ أني مش همشي من هنا هو إلا لما تعرفيني مين النسوان دهى يا بسمة!

أجابت أم الديب بخوف:

=دي ست بسمة، ودول بناتها الحلوين اسم الله عليهم، يلا ياما اتكلي على الله... خدي ستك وامشوا يا نعمة!

جزت أم الديب على أنيابها، أما خواطر أخذتها نعمة وغادروا المنزل. وفي لحظات الهدوء بعد رحيلهم، قالت جميلة بصوت خافت لوالدتها:

_مامي !

ردت أم قمر الدين باهتمام:

=خير يا حبيبتي؟

تفوهت جميلة برجاء:

_ انا عايزة أتفرج علي الغيط، ينفع؟

ردت أم قمر الدين بتفكير:

=أه ينفع، مينفعش ليه؟

نادت هايدي، وأخبرتها بما تريد، فنطقت باحترام:

=هو ممكن يا حبيبتي تورينا الحقل الزراعي، أصل احنا معدناش الكلام ده خالص، ومش بنشوفه إلا في المسلسلات الريفية !

ردت هايدي بابتسامة:

_ أه طبعاً يا طنط ينفع، اتفضلوا معايا .

تحدثت أم قمر الدين بلهفة:

=أوكي، يلا بينا يا بنات!

وقف الجميع عدا جلال، وتوجهوا إلى الحقل الزراعي. عند وصولهم، سرحت جميلة، ونالا في دواخلهم كأنها تواجه بحرًا وليس مجرد حقل زراعي! ضحكت الشقيقتان من شدة جمال المنظر، وفي لحظة فرح، طلبت جميلة من أختها التقاط بعض الصور، فردت بابتسامة:
_ صوريني هنا .

ردت نالا:

=أوكي .

أخرجت نالا هاتفها بأناقة، وألتقطت ببراعة فائقة بعض اللحظات الساحرة لجميلة. وبينما كانت تتألق بجمال اللقطات، كان أحمد يحدق في جميلة بإعجاب ملحوظ، وكأنما كان يغوص في عالم ساحر. لم تفوت هايدي هذه اللحظة، بل أوجعت كتف أحمد بلطف، وقالت بنغمة مزاح:

_ اتلم لا مامتها وأختها ياخذوا بالهم!

احتدت نبرة صوت أحمد، وقال:

=وانا كنت عملت ايه يعني؟ انا بتفرج زي ما هما كمان بيتفرجوا !

ردت هايدي بسخرية:

_ أه بتفرج برضة... يمكن!

في شقة أم الديب، خرجت فلم تجدهم. سألت جلال بخوف ملموس، وجوابها اهتز كالورقة في عاصفة:

=ايهي هما مشوا ولا ايه؟ لا يكون كلام أمي ضايقهم!

رد جلال:

_ لا ياما دول نزلوا الغيط يتفرجوا عليه مع هايدي وأحمد .

تلقت أم الديب نفس عميق، وقالت بارتياح مَين:

=ده أني قلبي وقع في رجلي!

رد جلال باستهزاء:

_ ليه ياما هو انتي عندك قلب زينا؟

أجابت أم الديب بصوت حاد:

=ايهي أمال عايشة ازاي يابن الكلب يا واطي؟

رد جلال بانفعال:

_ ما بلاش غلط ياما... امسكي لسانك لا أنا اللي لساني يفلت وهترجي تزعلي في الآخر!

اقتربت أم الديب منه، وهي تفنجل عينيها بشر:

=ليه هو انت هتغلط في أمك كمان؟ مانت عيل صايع ومش لاقى اللي يربيك، لولا يا ولا إني مش

فاضيالك كنت نفختك، بس ماشي حسابك معايا بعدين!

بينما دخلت المطبخ، خرج جلال بسخط للتحدث مع خطيبته في البلكونة، حيث حاول التخلص من

الغضب الذي استحوذ به بواسطة والدته، وقال:

_ ألو يا ليالي... انتي في البيت ولا فين؟

وفي لحظة متأملة بصورها الرائعة، اقتربت جميلة لتلمح الأبقار عن قرب، وفي هذا الوقت، حظيت

برفقة هايدي وأحمد اللذين انضموا إليها. قالت هايدي ببساطة مغمورة بالابتسامة:

=ايه رأيك؟

ردت جميلة بسعادة:

_ واو تحفة أوي بجد!... انتوا بتيجوا هنا كل يوم؟

أجاب أحمد بضحك:

=ولا بنشوف الكلام ده من الأساس، احنا أربعة وعشرين ساعة قاعدين في البيت !

نطقت جميلة بتعجب:

_ معقول عايشين هنا، ومش بتيجوا كل يوم؟

ردت هايدي:

=احنا ملناش في الكلام ده... ماما هي بس اللي بتروح الزرايب، وبتحلب البقر، وبتنضف تحت منهم .

ردت جميلة باشمزاز:

_ أها، أوكي .

بعد انتهاء أم قمر الدين وبناتها من جلسة التقاط الصور، عادوا جميعهم إلى منزل أم الديب. هناك،

وجدوا المعلم حنفي في انتظارهم، وبمجرد أن لاحظ وجودهم، وقف مُسرِعًا واقترب ليُرحب بهم بكل

حفاوة، قائلاً:

=يا ألف مرحب، ده احنا زارنا النبي .

ردت أم قمر الدين بابتسامة:

_ ميرسي يا أستاذ....

لم تتذكر اسمه جيدًا، فنطق المعلم حنفي بإحسان:

=اسمي حنفي، بس الناس بيقولولي المعلم حنفي .

ردت أم قمر الدين بابتسامة:

_ ميرسي يا معلم حنفي .

تحدث المعلم حنفي بوجه بشوش:

=يا ألف أهلاً وسهلاً، اتفضلوا... اتفضلوا .

حينما جلست أم قمر الدين، وبناتها على الأريكة، جلس المعلم حنفي على الأرض بجوار جلال، وأحمد،

وهايدي. ثم ألقى نظرة حميمية وقال:

=أمال الحاج مجاش ليه؟

تعجبت أم قمر الدين، وبناتها ضحكوا وهم ينظرون لبعض بذهول، فقالت بتساؤل:

_ الحاج مين؟

أجاب المعلم حنفي:

=الحاج جوز سعادتك يا ست بسملة !

ردت أم قمر الدين:

_ باسم مش فاضي، عنده شغل .

نطق المعلم حنفي بود:

=ربنا يديله الصحة، ويقويه .

ردت أم قمر الدين بصوت رهيف:

_ ميرسي .

بعد مرور ربع ساعة من تبادل الحديث بينهم، جلس الجميع حول الطاولة البلدي، وكانت عيونهم متسلطة على المطبخ. الفضول يتسلل إليهم ليعرفوا ما قد أعدته أم الديب، وكيف يبدو الطعام. في لحظة من المفاجأة، خرجت أم الديب محملة بعشر دجاجات متوسطة الحجم، وطاجن من الأرز المعمر، ومرة الملوخية، وبطاطا، ولحم! نطق المعلم حنفي بصدمة عارمة:

=بسم الله الرحمن الرحيم... هو انا بحلم ولا ايه؟

جلال بشك :

_يا ابا الموضوع ده فيه إنه .

المعلم حنفي بجوع شديد :

=إنه ولا منة... أني جعان هاكل!

جلال بصوت خافت :

_كل يا ابا أني مليش دعوة لو طلع الأكل وحش .

المعلم حنفي:

=ماشي ياخويا متاكلش!...ناوليني الأكل يا ولية .

قامت أم الديب بتوزيع الطعام بعناية فائقة على أم قمر الدين وبناتها، وبينما كانت تقدم الأطباق، قالت ببساطة، وود:

_كلي يا مدام بسملة...كلوا يا بنات .

مدت أم قمر الدين يدها لتناول الطعام، وقالت:

=ميرسي .

بدأوا في استرقاق لذة الطعام، حيث اندمجت جميلة، ونالا، وهايدي في تذوق قطع صغيرة من الطهي الشهي، وبينما كانت الأطباق تُعرض بأناقة على المائدة، تلاعبت روائح الأطعمة بحواسهم. المعلم حنفي، وأم الديب، ونعمة، وأم قمر الدين استمتعوا بكل لحظة غمرتهم في عالم النكهات. في الهدوء الذي أحاط بهم، كان أحمد، وجلال يشاهدان المأساة الشهية من بعيد. اقترب جلال من أذن أحمد وهمس بهمته في كلمات منخفضة:

_انت مبتاكلش معاهم ليه؟

رد أحمد بصوت خافت:

=مش متظمن !

رد جلال:

_جدع يا ض، ده دلوقتي كلهم هيجيلهم تلبك معوي، ومش هنبقى عارفين نلحق مين ولا مين !

رد أحمد:

=طب بقولك... انا هبقى أروح أجيب أكل بعد ما يمشوا، أجيبك معايا؟

رد جلال بأشتهاء:

_وماله يا ض تبقى خدت فيا ثواب .

أثناء لحظات تناول الطعام، تبعثرت قطعة من فم المعلم حنفي في طبق أم قمر الدين، فتوقفت عن تناول الطعام في الحال. نظرت لها أم الديب بدهشة، وقالت بصوت مليء بالتساؤلات:

=ابهي مالك مبتاكلش ليه يا ست بسملة؟ ما تاكلي !

ردت أم قمر الدين باشمئزاز:

_ لا انا خلاص شبعت .

ردت أم الديب:

=وانتي لحقتي تاكلي حاجة؟ والنعمة دهى لا انتي واكله، كلي يا ست...كلي!
تابعت أم قمر الدين تناول الطعام بالغضب، وهي تطمح إلى التقبؤ. أمسكت أم الديب طرف جلبابها، وبينما كانوا في لحظات التناول المليئة بالغرابة، قامت بإخراج المخاط من أنفها ومسحته في جلبابها دون أي تردد. ثم استأنفت تناول طعامها بشكل طبيعي. نظرت جميلة، ونالا، وأم قمر الدين لبعضهن بصدمة، واكتسبت وجوههن تعبيرات التقرز في الحال. ولكن لم تتوقف أم الديب وزوجها عن افتعال الحركات القذرة، حيث كانوا يأكلون كأنهم في سباق، دون إعطاء أنفسهم فرصة لمضغ الطعام. وبعد مرور الوقت، قفز المعلم حنفي فجأة من مكانه وهرع إلى المرحاض كأنه في سباق جري، وصاح بشدة. فعبّرت أم قمر الدين عن استعرابها، وقالت:

_ هو ماله؟

لم تهتم أم الديب لأمر زوجها، فقالت بلا مبالاة:

=آني عارفة؟

كأن المعلم حنفي يخوض مرحلة الولادة، صرخ في المرحاض بنهج يشبه النساء اللواتي يلدن. وقف جلال متعجبًا، ثم طرق الباب، وقال:

_ رد يا با مالك؟

المعلم حنفي بصراخ قوي:

=سكاكين في بطني .

جلال بغضب:

_ مانا قولتلك بلاش تاكل يا با!

أم الديب بكمد:

=ليه ماله الأكل ياخويا؟ ماهو زي الفل أهو ولا انت غاوي تريقة وخلص؟

فجأة، صرخت أم قمر الدين من ألم في معدتها، ولاحقتها أم الديب، حيث كان جلال في حيرة حول من سيقدم له المساعدة أولاً! نطقت أم قمر الدين ببيكاء: _
أوه نو بطني فيها سكاكين...مش قادرة يا بنات لا .

وألقت نفسها بالأرض، وهي ترتعد من شدة الألم. وفي تلك اللحظة الصاخبة، قفزت جميلة، وأختها

مندھشتين، وقالت جميلة بصوت يحمل التوتر:

=اهدي يا مامي...انا هتصل بالاسعاف حالاً !

نالا بفرع :

_ متقلقيش يا مامي احنا معاكي !

أم الديب بنواح :

=يالھوتي بطني يا خلق...يا ناس حد يلحقتي!

اقترب أحمد من باب المرحاض، وقرر أن يطرق أيضًا. بينما كان يطرق، قال بتوتر:

_ ايه اللي حصلك يا بابا؟

رد المعلم حنفي وهو يتصبب عرقًا في المرحاض:

= لا ياخويا يادوب جالي تسمم بس...بطني !
 قامت نعمة، وهايدي بمساندة أم قمر الدين، واتصلت جميلة بفرقة الإسعاف. وحين وصلت السيارة
 وصعد رجال الإسعاف، قاموا بنقل المرضى إلى المستشفى. وأثناء الرحيل، وجه الطبيب أسئلته لهم
 وهو يجري:
 _ هما كلوا ايه؟

المرضة:

=مش عارفة يا دكتور .

الطبيب بعجلة:

_لازم غسيل معدة حالاً .

المرضة:

=حاضر يا دكتور .

بعد أن قاموا بعناية، وعلاج أم الديب، وأم قمر الدين، والمعلم حنفي، تم نقلهم إلى عنبر المستشفى. كانت
 أم قمر الدين مستلقية، عليلة حد الإرهاق بصحبة ابنتيها اللتين كانتا تهتمان بها بعاطفة. وفي لحظة
 ساحرة، دخلت ثلاث بنات ذوات جمال يأسر الألباب. يتجلى جمالهن ككنز فريد. وفي أعقابهن، ظهر
 رجل وسيم يتميز بعيون زرقاء وشعر بني، يرتدي ثوباً أنيقاً يبرز أناقته. اقتربت أم الديب من نعمة،
 وهمست بدهشة في أذنها:

_مين دول يا بت؟

نعمة بذهول :

=شكلهم قرايبها ياما .

أم الديب بروعة :

_ياختي ايه الناس دي؟

نظرت نعمة لملابسها، وقارنت نفسها بهم، فقالت بإحباط:

=مش زينا ياما .

نرمين بتأثر، وحزن لعة والدتها:

_مامي روح قلبي مليون سلامة .

سامية باستياء:

=انا أول ما عرفت جيت بسرعة يا حبيبتني .

مني ببكاء:

_حصلك ايه يا مامي طمنيني؟

أراد قمر الدين أن يطمئن أخواته الفتيات، فقال:

=بس يا بنات ماما كويسة جداً، ومفيهاش أي حاجة بلاش عياط !

أم قمر الدين بصوت حنون:

_متقلقوش يا ولادي انا كويسة .

ونظرت لابنها الأكبر قمر الدين، فأردفت له بإشتياق:

=وحشتني أوي يا قمر الدين !

اقترب منها قمر الدين، وقبّل يدها، وقال بلطف:

_وانتي كمان يا ماما .

نظرت أم قمر الدين حولها، تبحث عن ابنها الأصغر، فسألت مُكرثة:

=أخوك علاء الدين فين؟

نشب قمر الدين بيد والدته، وقال :

_قالي أنه جاي في الطريق...متقلّيش كلنا جنبك!

نظرت منى حولها، فوجدت المكان يتسم بالقدم، والتهالك، حيث زهقت السراير من الزمن المديد، وأصبحت تحتضن صداً الحديد بحزن. تفوح من الغرفة رائحة كريهة كأنها قصة طويلة من الإهمال، والقذارة، فقالت مشمئزة:

=ايه المكان المقرف ده يا مامي؟ مين جابك المستشفى القذرة دي؟ قومي معايا .

حاولت سحب يديها، فأزاحت أم قمر الدين يد ابنتها منى برفق حيث اقتربت سامية، وقالت هي الأخرى:

_حقيقي يا ماما المكان وحش جداً...انا هوديكي أحسن مستشفى برا مصر تتعالجي فيها .

أم قمر الدين بإعياء:

=متقلّوش عليا كان تعب بسيط وخف .

قمر الدين بعصبية:

_مين اللي كان سبب في تعبك وانا هوديه في مليون داهية .

وقتما التف حوله ليكتشف المسبب للمشكلة، جذبت أم الديب وجهها جانباً، مُظهرة قلقها من الكشف عن

حقيقة الوضع. همست بخوف:

=يا خراشي هيسجنوني !

جميلة بقلق:

_قمر الدين خلاص كل حاجة عدت على خير...مفيش داعي للمشاكل!

قمر الدين بشك:

=ليه بقي إن شاء الله؟

جميلة بتلعثم:

_عادي يعني .

اقترب قمر الدين من أم الديب، وقال لها بصوت حاد:

=انتي يا ست انتي!

أم الديب باستعباط:

_مين؟

قمر الدين بصوت حاد:

=انا بكلمك انتي!

أم الديب بخوف:

_ايهي...يا أهلاً ياخويا.

قمر الدين بتقزز:

=ياخويا؟ ايه الناس البلدي دي يا ماما؟ قابلتيهم فين وازاي؟

دخل جلال وهو كامد بعد سماعه حديث قمر الدين عنهم، يحمل في يده سلاحه الفتاك، وكانت نيته واضحة بتوجيه ضربة. في هذه اللحظة الحساسة، تدخل أحمد، ونعمة بسرعة، وفتح جلال الحوار بكلمات غاضبة:

_مين يا معلم اللي ناس بلدي؟

نظر قمر الدين لجلال باشمنزاز، وألقى عليه نظرة مليئة بالغرور، وفي هذه الأثناء، أعاد جلال حديثه بحزم، بينما كان أحمد يحاول بعثرة الهواء بينهما. وفي ذلك الوقت، قال جلال:

_رد عليا لا أشقك نصين يا ض... ماترد ولا بلعت لسانك؟

قال أحمد بارتياح:

=خلاص يا جلال! مالهاش داعي المشاكل!

وألقى نظرة نحو جميلة، حيث كان يخشى من حدوث مشكلة قد تؤثر على علاقته المستقبلية معها، وتكون نقطة سوداء في ذاكرتها بالنسبة لها، ولعائلتها. بعد أن تردد للحظة، قال قمر الدين بتكبر:

_ابعد القرف اللي في ايدك ده يا بتاع انت!

صاحت سامية في وجه جلال، وقالت بتعجرف:

=انت عبيط ولا ايه؟ انت ازاي تتجرأ وترفع المطوى على قمر الدين! ده احنا ممكن نوديك في ستين داهية بسبب حركة زي دي.

لم يهتم جلال بحديث سامية، إلا أن حديث قمر الدين أثر في داخله، حيث رفع المطوى مجددًا ونظر إلى أم الديب بعصبية، وقال:

=ده بيقولي يا بتاع انت ياما؟ ده بيهيني ياما، وانا ما عاش ولا كان اللي يتعبط عليا.

قبل أن يتجاوب بالعنف، وتنطلق نيران الشر داخله، تداخلت صرخة أم الديب، وبلطف حكم أحمد، ونعمة يد جلال، وفصلوا بينه وبين قمر الدين. انتعشت أم الديب بحنكتها، وأعلنت:

_خلاص يا ولا يا جلال اسكت... يلا بينا نمشي من هنا.

رد جلال بصداح:

=وانا مش ماشي ياما، ومش هسيب حقي، ولو على جثتي!

صاحت سامية في وجه جلال:

_اطلع برا، واللي انت عملته ده هنتحاسب عليه، احنا هنعرفك مقامك كويس أوي!

صاح جلال فيها، وقال:

=وانا مبتهددش، مابقاش ناقص إلا النسوان هي كمان اللي تتكلم!

صرخ قمر الدين في وجه جلال:

_اطلع برا يا عشوائي يا حقير... برا!

خرجت أم الديب بجلال من الغرفة ببراعة غير متوقعة، ثم عادوا إلى المنزل. وبعد وصولهم، دخل جلال بوجه عابس، والغضب يتجلى على محياه، وهو يصيح في الجميع، فقال:

=انا ياما تسكتيني عشان البتاع دهو؟ وربنا لو شوفته تاني لأفرمه تحت ايدي، وما هيهمني حد!

صرخت أم الديب في جلال:

_انت حمار يالا؟ هو احنا قد ست بسملة ولا قد مشاكلهم؟ دول ناس واصله أوي أوي واحنا منجيش نقطة في بحر جنبهم.

جلس جلال على الأريكة، وهو يفرك كفيه، والحرارة تتولد من جسده، فقالت أم الديب:

=خشى يا بت اعصري ليمونة على كوباية مائة، يمكن أخوكي يتهد، والشيطان اللي قدامه يختفي.
دخلت نعمة المطبخ بخطوات تتبعث منها رائحة الضيق في حين دخلت هايدي غرفتها بخطوات ثقيلة،
كما لو أن الامتعاض يتسلل في أثاث الغرفة. وأحمد يجلس بجانب جلال، وبينما تتلاطم مشاعر الغضب
في الهواء، قال له بصوت مليء بالحدة:
_ انت بصراحة زودتها أوي، وخليت شكلنا وحش! كان لازمته ايه تعمل الحركات الزفت دي قدامهم؟

صاح جلال فقال بانفعال:

=ياض احنا اتغلط فينا ومكنش ينفع أسكت! ده البيت اللي مفيهوش صايح حقه ضايح.

تذكرت أم الديب أخيها ضايح، فقالت:

_ يا حبيبي يا ضايح، أما أروح أكلمه... ياترى انت عامل ايه دلوقتي؟

ثم دخلت الغرفة، وجلال يضرب كف علو كف، وقال:

=وربنا ما حد هيجبيلي جلطة غيرها هي!

بعد دقيقتين، خرجت نعمة من المطبخ بخطوات مترددة تفرز رائحة الاستياء، وفي يدها كوب الليمون،
وسلمته لجلال، كمن يمتطي موجة مضطربة، ثم قالت بصوت حنون:

_ خذ يا جلال، اشرب وهدى أعصابك!

مد جلال يده، وبعد أن لمس الليمون شفتيه، بدا وكأنها عاصفة من الحموضة تجتاح فمه. بلا تردد، فر
إلى المراض بسرعة ليمضض فمه الذي انفجر بالحموضة. فتعجب أحمد، وقال:

=هو فيه ايه؟

ردت نعمة بتعجب:

_ مش عارفة!

خرج جلال من المراض، وهو يمسح فمه في ملابسه، فسألته نعمة:

_ في ايه يا جلال، ده الليمون زي الفل!

خرجت أم الديب من الغرفة، فسألته نعمة:

_ هي ازازة الماية اللي في التلاجة مالها ياما؟

ردت أم الديب:

=ده محلول طقم السنان بتاع ستك يا بت.

صرخ جلال، وقال لنعمة:

_ قابلي بقى ماهي ناقصة... طب وربنا مانا قاعد!

خرج من المنزل مُستاء فنطقت أم الديب بجلبة:

=في ستين داهية لما تاخذك!

بعد مرور شهرين، دخلت أم قمر الدين في خصومة مع أم الديب بسبب الأحداث الأخيرة، حيث رفضت
منحها الثقة مجددًا، وكان حاجز الخوف يقلل الأبواب بينهما. وفي هذا اليوم المحدد، قرر جلال أن يحمل
شوار العروس ليالي، بعد مضي شهرين من تدخلات أم الديب المتسلطة في ألوان الشقة، والأبواب،
والنوافذ، مما أدى إلى تصاعد المشاكل بينهما. يظهر واضحًا أن هذا اليوم سيكون مرهقًا على الجميع.
وقبل أن يغادر المنزل، جاءت أم الديب وسألته:

=رايح فين يا ولا؟

جلال بإبتدار:

_رايحين ياما نجيب العربيات عشان هننقل الحاجة، عايزك تفتحي الشقة!

أم الديب بمكيدة :

=ماشني آني طالعه أهو .

جلال بترقب:

_خلي نعمة تيجي معايا...ده اليوم طويل !

أم الديب بمكر :

=هقولها.

خرج جلال من المنزل واتجه إلى منزل العروس مصحوبًا بأخواته وثلاث شاحنات. كان المنزل ممتلئًا بأقارب أم الديب، وجيرانها يستعدون لترتيب منزل العروس وتزيينه قبل حفل الزفاف. في تلك اللحظة، دخلت جارة أم الديب وهي تطلق الزغاريد، وتقول:

_يا ألف ألف مبروك أخيرًا الواد ابنك كبر، وهيتجوز فين أيام ما كان بيلعب في الشارع؟

ضحكت أم الديب، وقالت :

=هيهيهي ياختي عقبال عيالك... بجولك ياختي يعني ما تحببي أخواتك وتيجوا تشيلوا معنا.

الجاره بتردد:

_ده انا بت سلفتي تعبانه بعيد عنك.

أم الديب بتعجب :

=ايهي وسايهاها وجايه تباركي لي ليه؟

الجاره بتردد:

_ماهو

أم الديب بصوت حاد:

=اتكلمي يا ولية!

الجاره بمكر:

_جيت أشيعلك خبر.

أم الديب بصوت حاد:

=ماتتطي انتي هتنقطينا؟

الجاره بصوت خافت:

_ابن عم ليالي خطيبة ابنك.

أم الديب بدهشة :

=ماله؟

الجاره بتردد :

_عليه حكم بمحاضر سرقة، دول ناس حرامية باين عليهم.

أم الديب بصدمة :

=ايهي دول أهلها ناس منيلة، والواد جلال ماسك في البت حالف ما يسيبها !

الجاره بمكر :

_ انا جيت أقولك تلحقي نفسك.

خرجت الجارة من الشقة، وعقبها أم الديب، فقالت لها:

=ماشي ياختي اشربي شاي.

الجارة بابتسامة :

_ مرة ثانية يلا بالعافية.

ذهبت أم الديب إلى قطعة أرض فارغة، لإحضار حمار بلدي، وبمكر شديد أدخلته إلى شقة جلال. طيلة تواجده في المنزل، كان يتساقط منه الفضلات بشكل لا هوادة فيه، حتى اتسخ منزل جلال بشكل لا يمكن تصوره. وبعد وصول جلال بأثاث المنزل، وهو يحمل الأثاث بجهد كبير فوق الدرج، سمعوا نهيق الحمار! فتعجب جلال من قرب الصوت وقال باندهاش:

=ايه جاب صوت الحمار في شقتي؟

ضحك الحمال ضحك هستيري، وقال:

_ انتوا عاملين زريبة فوق ولا ايه؟

جلال بتمعن شديد :

=إتكتم خلينا نسمع !

حتى وصلوا للشقة، دخل جلال وهو مصدوم! وإذا به يجد الحمار يسير في شقته، التي امتلأت بفضلاته! ونظر جانبًا وجد البرسيم يتساقط على الأرض، فصرخ من صدمته! قال جلال بصوت ينبض بالاهتياج:

_ ايه ده؟ ايه ده؟

نزل مُسرعًا في حين كانت أم الديب تقف مع نساء قريتها، يتبادلون الحديث، حتى وصل جلال غاضبًا!

حيث نطق بضجيج حار :

=ايه ده ياما؟

أم الديب بصداح :

_ وطي صوتك فضحتنا !

جلال بصياح :

=ايه اللي طلع الحمار في شقتي؟

أم الديب بكذب:

_ ايهي تلاقيه طلع لواحد... أني مالي؟

جلال بصياح :

=ردي ياما ايه طلعه؟

أم الديب باستنكار :

_ مانا قولتلك أني مالي؟

جلال بصياح :

=يالهوري ياما، يالهوري عليا وعلى سنيني... انتي كفرتيني يا شيخة دي عيشة هباب.

أم الديب بجلبة :

_ عيل مش متربي وقليل الأدب!

ضرب جلال يده في الحائط، وهبط لأسفل، ووجهه يشتعل بالنيران، فاقتربت جارة أم الديب منها، وقالت لها بتأثر:

= هدي نفسك يا أم الديب لا يطلقك عرق.

أم الديب بعصبية:

_ مآني معرفتش أربي !

ردت جارتها:

_ معلش ياختي ادعيه بالهداية.

بالطبع، سعدت نعمة وهايدي لتنظيف ما أفسدته أم الديب، وتولى المعلم حنفي مهمة إخراج الحمار من المنزل بهدف التخلص من الفوضى. ولكن كانت خطة جلال تتلون بالانتقام، بعد أن أفسدت أم الديب فرحته. ومنذ أن كانت أم الديب تتلقى علاجًا ليدها بعد حادث الوحش، قرر جلال استغلال هذه الفرصة للانتقام. قرر أن يبذل حبوب العلاج بحبوب منوم، فقام بتلك العملية بصمت، ودقة. وفي أثناء نوم أم الديب، قرر جلال تلوين ثيابها باللون الأحمر، ثم عاد مرة أخرى مع ثور ضخم حيث واجهته صعوبات في إدخاله، ولكنه نجح أخيرًا. وعندما رأى الثور أم الديب باللون الأحمر، ثار غضبه واستعد لنطحها، مما أزعج المعلم حنفي الذي استفاق وسط فزع فُحاف، قائلاً:

= يا خرابي يانا... خرجني يا جلال... خرجني !

فتح جلال باب الغرفة، وسحب والده خارجها، ثم أغلق الباب مرة أخرى، فاستيقظت أم الديب على صوته! اعتقدت أنها تحلم، لكنها بنواح قالت:

_ الحقوني يا خلق... الحقوني ياهو... يا ناس... افتح يا ولا... حد يفتحلي الطور هيموتني !

سرعان ما وصلت للباب، وقامت بدقه وهي تصرخ!. قال المعلم حنفي بذعر:

= ماتطلع أمك.

جلال بانتقام:

_ سيبها يا حاج خليها تتعلم ازاي تقف في طريقي تاني.

المعلم حنفي بذعر :

= يااض الطور هيموتها !

أم الديب بنواح من الداخل:

_ يا خرابي افتحولي.

لكن لم يستجب أحد لصرخاتها، وباغها اليأس، ففتحت البلكونة وغرقت في فراغ الليل. ورغم وجود الثور خلفها، سقطت بلا رحمة، وكان القدر قد تحالف مع الظلم. أما عندما نقلوها إلى الطبيب، اندهش من كثرة مرات زيارتها للمستشفى. نطق الطبيب:

= جرا ايه يا ست انتي هو انتي كل شوية هتيجي بمصيبة شكل؟

أم الديب بألم:

_ ياخويا هجولك... امبارح كان عزال ابني، فالواد بيكرهني ومش عايزني أفرشله شقته، جه بالليل وأني

نايمه جابلي طور فضل يجري ورايا وانا أصوت، يجري ورايا وانا أصوت وأقول الحقوني يا ناس،

جيت أنط رجلي اتكسرت !

الطبيب بامتعاض :

= لو جيتيلي بمصيبة جديدة انا مش هدخلك المستشفى... حلي مشاكلك بعيد عننا!

أم الديب بوعيد:

_ ماشي يا جلال أني هوريك وهربيك بس أقوم منها !

بعد مرور شهر، كانت أم الديب تخطط للانتقام من جلال، ولكنها قررت أن تنتقم منه، هو وزوجته بعد زواجهما، حيث ستكون الضربة موجّهة لكليهما. وفي هذه الفترة، لم يشف ساق أم الديب، فكانت تعاني من عجز في المشي، وعندما ذهب جلال لعم سلامة في منزله لتحديد موعد الزفاف، قال:

=نخلي الفرحة امتى يا عمى؟

تنهد عم سلامة، وقال بتمعن :

_بإذنك يارب الدُخلة يوم الخميس الجاي.

جلال بتساؤل:

=وانت قولتلي كتب الكتاب قبلها بيوم؟

عم سلامة:

_أيوه يبقى كتب الكتاب يوم الأربعاء.

فكر جلال في عدد الأيام المتبقية، فقال بشوق:

=واحنا النهارده الإثنين يا عم سلامة !

عم سلامة:

_عدهم بجى، يبقى بعد بكرة.

جلال بسعادة :

=على بركة الله...انا هعزم الدنيا كلها.

عم سلامة بسرور :

_الله يتمم بخير.

وقف جلال وفي رأسه مشاغل الدنيا بأكملها، فلا يدري كيف سيُرتب أموره. لكنه قال:

=حبيبي يا عم سلامة...هطير انا بقى.

وقف عم سلامة هو الآخر، ومد يده لجلال، وقال:

_طب كمل شايك!

جلال بعجلة :

=لا انا ورايا حاجات كتير أوي... يلا سلام.

عم سلامة بود:

_مع ألف سلامة.

خرج جلال من المنزل، وليالي تراقبه من نافذة غرفتها، والسعادة تغمر قلبها. خرجت في الصلاة لأبيها،

وقالت له بفضول:

=انفتتوا على ايه يابا؟

رد عم سلامة:

_كتب الكتاب بعد بكرة، والدخلة يوم الخميس بإذنك يارب.

خرجت تباهي من المطبخ، وأطلقت الزغاريد، وعانقت ابنتها، وقالت بفرحة:

=ألف ميروك يا ليالي، ربنا يتمملك بألف خير يارب.

ردت ليالي بسرور:

_الله يبارك فيكي ياما.

بعدما ذهب جلال لزيارة أبيه، وجلس على الكرسي، سأله المعلم حنفي بفضول:

=اتفقتوا على ايه ياوض؟
جلال بسعادة :
_كتب الكتاب يوم الأربعاء، والدخلة الخميس.
المعلم حنفي بخوف:
=البت ليالي صعبانة عليا...ده أمك هتمرمطها يالا !
جلال بثقة زائدة :
_متقدرش يابا... ده ابنك أسد!
المعلم حنفي بابتئاس:
=هتعيشنا في الغم أكثر ما احنا عايشين فيه...أما بقولك آني بفكر أغير وأدبح حمير ولا من شاف ولا من دري.
جلال بتعجب:
_وهتجيبهم منين يابا؟
المعلم حنفي :
=نروح سوق الحمير بالليل نسرقلنا حمارين ثلاثة
جلال باشمنزاز :
_يابا هتلاقي لحمهم زفر !
المعلم حنفي :
=لا يالا انت ايش فهمك؟ ده أحلي لحمة، لحمة الحمير زي السكر !
ضحك جلال، وقال بتقزز:
_بس انا مش هاكل حمير عشان تبقى عارف بس!
المعلم حنفي:
=ياض احنا مش هناكل منهم...شغل دماغك، احنا هنبيع وبس والفلوس اللي تيجي نجيب بيها لحمة بقري.
جلال باقتناع :
_فكرة برضة...ده احنا هنكسب ذهب.
المعلم حنفي:
=بيقي على البركة.
في منزل أم الديب، كانت تجلس في الصالة مع بناتها، وعندما وصل لها الخبر، غضبت غضبًا شديدًا، كون جلال قام بتحديد كتب الكتاب، والزفاف دون أن يأخذ رأيها أو يقوم بالاستشارة. تلفظت بكلمات ساخطة:
_يعني ايه أخوكم يتفق على فرحه يا بت منك ليها وانا آخر من يعلم؟
نعمة:
=انتى كل ما بتعرفي إنه هيخطي خطوة بتقيله فيها ما لازم يخبي، وبعدين ياما شيلي الكره من قلبك اعتبريها واحدة مننا.
أم الديب بضحكة سخرية:
_بت سلامة واحدة مننا؟ دول سيرتهم سابقاهم يا بت...ده أبوها دباح الحمير.

نعمة باندهاش :

=بيدبح الحمير ياما بجد؟

أم الديب:

_أيوه كان بيسرقهم ويدبحهم، أني لسه عارفة من قريب.

نعمة باشمئزاز:

=يا ساتر ياما ده معندوش قلب.

وصل المعلم حنفي، وجلال إلى المنزل، واحتشدوا في زاوية الصالة، حيث كانت أم الديب تمتطي موجة من الهدوء، مشغولة في تناول الجزر بتركيز. فبعد لحظات من الصمت المتوتر، قال جلال:

_ازيكوا؟

نعمة بفضول :

=كنت فين يا جلال؟

جلال بسخط:

_جرا ايه يا بت انتي هتعيشينا في سين وجيم؟ أكون مطرح ما أكون شاغله بالك ليه؟

نعمة باستياء:

=انا غلطانة !

المعلم حنفي:

_بفضل الله جالنا خمسة جنية من الجزارة، والدنيا هتلعب قريب.

نعمة:

=تصدق يابا إن عم سلامة كان بيدبح الحمير، وبيتاجر فيهم على انهم لحم بقري؟

وفي هذه اللحظة، شرّق المعلم حنفي بعد أن سمع سيرة التجارة في الحمير بدلاً من الأبقار، فصرخ:

_احم...احم... مائة.

أضفت نعمة الماء لوالدها كمنبع من رحيق الرحمة، وبينما استنشق الهواء بعمق، ازدادت أم الديب في

نظراتها مثل قصة مشوشة بالشك، والتساؤلات:

=مالك ياخويا وشك جاب ألوان ليه أول ما البت قالتلك؟

المعلم حنفي بارتعاب:

_واكل قصب يا ولية.

أم الديب بشك :

=أه وانت يا خويا متكن فين من الصبح محدش شافك؟

المعلم حنفي بتلعثم:

_كنت في... في... في...

أم الديب:

=في ايه؟

المعلم حنفي:

_في الجزارة أمال هكون فين؟

أم الديب بشك:

=طيب أي هتصل بأخواتي وقرابيننا أعزمهم.

المعلم حنفي بترقب :

_ ماشي.

دخلت أم الديب الغرفة، فاقترب جلال من المعلم حنفي، وسأله بصوت خافت:

=هي أمي عارفه حاجة؟

المعلم حنفي بشك:

_ هتعرف منين؟ انت قولتلها حاجة؟

جلال:

=لا مقولتتش.

فور جلوس أم الديب في الغرفة، اتصلت بأم قمر الدين، وكانت تشعر بالتردد في الاتصال، لكنها أخذت

قرارًا ونطقت أخيرًا، فقالت:

_ ألو يا ست هانم.

أم قمر الدين بانزعاج :

=نعم عايزة إيه؟

أم الديب بتمثيل:

_ أني مظلومة.

أم قمر الدين بسخرية:

=وفاكرة تتكلمي دلوقتي؟

أم الديب:

_ يا ست هانم أني مليش يد في اللي حصل !

أم قمر الدين:

=أوكي...أمال مين اللي له ايد؟

أم الديب:

_ واحدة جارتني بعيد عنك بتركهني حطتلي حاجات عفشة في الأكل وأنى غلبانة، ومعرفش !

أرادت أم الديب، بحنو، وحكمة، أن تنسج من خيوط الشفقة، والتعاطف غمامة تغمر قلب أم قمر الدين،

تلينه لها وتصفو بها العلاقة بينهما. ومع ذلك، ردت أم قمر الدين بقوة، واستقامة، معبرة عن عدم

اقتناعها بمحاولات الوصل والمصالحة:

=أوكي وبعدين؟

أم الديب:

_ وأنى بتصل بيكي أعزمك على فرح الواد جلال ابني !

أم قمر الدين باشمزاز:

=ميروك.

أم الديب بابتسامة:

_ تيجي تنورينا بجى ياست هانم.

أم قمر الدين:

=هشوف أموري وهاجي.

أم الديب بابتسامة:

_ كتب كتابه بعد بكرة، والفرح الخميس... لازم تيجي انتي والبنات !

أم قمر الدين ببغضاء:

=هحاول، باي.

أم الديب بفرحة:

_ مع ألف سلامة، ألف سلامة، سلام.

بعد انتهاء المكالمة، لم تكتف أم الديب بمجرد إغلاق الهاتف، بل قامت بالاتصال بأخواتها وجيرانها.

وعندما اتصلت بوالدتها الحنونة، خواطر، تبادلت معها الحديث، قائلة:

_ ألو، ازيك ياما... عاملة ايه؟

ردت خواطر:

=أني زينة، انتي عاملة ايه؟

ردت أم الديب:

_ زي الفل... مش احنا حددنا كتب كتاب وفرح الواد جلال؟

أجابت خواطر بتساؤل:

=جلال مين؟

ردت أم الديب:

_ هيكون جلال مين، جلال ابني !

نطقت خواطر بذهول:

=هو خطب امتي؟

ردت أم الديب بتعجب من نسيان والدتها:

_ ايهي خطب امتي؟ أمال مين اللي كان حاضر معنا الشبكة؟ انتي ولا الهوا يا ولية؟

تفوهت خواطر بجلبة حارة:

=أني محدش عزمي ولا اتكلم قصادي في الموضوع دهو، وخدي بالك يا بسمه أني مش هسكت على

اللي عملتيه دهو... بكرة عيالك يعملوا معاكي زي ما عملتي معايا .

ردت أم الديب بعصبية:

_ بقولك ايه يا ولية هكلمك بعدين، تكوني افكرتي، ده هي مرارة واحدة، وشكلها هتفرقع على

ايدك... سلام .

ثم أنهت المكالمة الهاتفية، فتعجبت خواطر، وقالت:

=يا نهار أسود... الواد اتجوز الخميس اللي فات، ومحدش قالي؟

يوم عُقد القرآن، اتفق جلال مع الطباخ لتجهيز وليمة تليق بالمناسبة السعيدة، فأعدوا سويًا ما أمكن من

اللحوم الشهية، والفراخ المتبلية، والخضروات الطازجة، والفواكه اللذيذة. وعندما نزلت أم الديب ورأت

كل هذه الفخامة، والترف، تنافرت مع طبيعتها البخيلة، فلم تستطع إخفاء تعجبها، وقالت:

_ بجولك ايه ماتلمها علينا شوية !

تعجب الطباخ، فقال:

=ازاي يا أمنا؟

أم الديب بإمساك :

_ياخويا وفر الأكل ده...خليه يكفيننا ليوم تاني .

الطباخ بتعجب:

=وانتي مزعله نفسك ليه ده فرح؟

أم الديب برد ضنين:

_اعملنا عيش وسلطة ووزعهم على الناس اللي تيجي وبلاش اللحمه .

ضحك الطباخ ضحك منين، وقال:

=انتي بتهزري يا حاجة؟ ايه الكلام ده؟

أم الديب بوعيد:

_بجولك ايه اسمع كلامي بدل ما أفتحك نفوذك ده !

خرجت نعمة من البلكونة، ونادت أم الديب:

=اطلعي ياما عايزاكي .

أم الديب بصوت مرتفع:

=طالعالك يا بت .

وواصلت للطباخ:

_اسمع كلامي عشان متندمش!

أكمل الطباخ وصلة الضحك، فقال:

=والله انتي ست عجيبة! انا عمري في حياتي ما شوفت كده !

بمجرد أن غادرت أم الديب وصعدت إلى ابنتها نعمة، كان جلال يتجول وهو يتحدث في الهاتف، فرأى

الطباخ جلال وناداه ليتناقش معه فيما قالته أم الديب. وهو يضحك، قال الطباخ:

_تعالى يا عريس...ينفع اللي الحاجة بتعمله ده؟ وتقولي هات عيش وسلطة، ووزعهم على الناس،

وبلاش لحمه، وعايزة توفرك...شكلكا بتحبك أوي .

جلال بصدمة :

=أمي قالت كده؟

الطباخ :

_لسه قايلة الكلام ده دلوقتي .

جلال بغضب :

=أمي مش عايزه تجيبها لبر!

اتجه جلال إلى المعلم حنفي، وجده جالساً مع مُعلمي الأسواق، يناقشون غلاء أسعار البهائم. بينما كانوا

في نقاشهم، قال المعلم حنفي وهو يضحك:

_ده الأسعار بقيت غالية أوي .

ضحك الجميع بقوة، بينما نطق جلال بسخط:

=عايزك في كلمتين يابا .

هاتف صديق المعلم حنفي جلال قائلاً:

_مبروك يا عريس .

رد جلال، وهو يرفع يده:

=الله يبارك فيك يا معلم .

بعدما وقف جلال، والمعلم حنفي بعيداً، نطق المعلم حنفي بفضول، يُظهر الفضول في عينيه، وهو يقول:
_ ايه حد دايقك؟

جلال:

=أمي عماله تلبخ زي كل مرة، وانا يابا ايدي بتاكلني عايز أطلع المطوى .

المعلم حنفي بتخطيط:

_ اهدي ياوض مبيقاش خلقك ضيق...انا هعرف ازاي اسكت أمك!

اتجه المعلم حنفي إلى أم الديب، باغي توبيخها، وصعد إلى الشقة، في حين كانت هي جالسة وسط بقية النساء على أرضية الصالة. وفجأة، ناداها بصوت مكرر، بينما يتوهج الذكاء في عينيه، يقول:
_ انتي يا ولية !

أم الديب بفضول:

=ايه؟

المعلم حنفي بخديعة:

_ البهيمة بتاعتك بتموت .

أم الديب بنواح:

=يا خبر أسود...آني نازلة .

نعمة بتعجب:

_ رايحه فين ياما؟

أم الديب بإعوال:

=البهيمة بتموت...خلي بالك من الأكل!

نزلت خلفه، تتبعه بحذر حتى وصلوا إلى الحظيرة، وبعد أن وصلوا، مد المعلم حنفي يده وسحب السوط، وهبط به بقوة على جسدها، فصرخت بألم جسيم .
يتبع.....

الفصل السابع

أم الديب بنواح:

_جتتي انت بتعمل ايه يا راجل؟

المعلم حنفي بعصبية:

=ايه اللي بتعمله ده يا ولية انتي؟

أم الديب بنواح:

_يعمل ايه ياخويا؟

المعلم حنفي بصياح:

=عايزه تبوظي فرحة الواد ليه؟ وعماله تناكفي فيه ليه؟

أم الديب بفرع:

_نزل البتاع دهو واني أقولك .

المعلم حنفي بعناد :

=مش هنزله ايه رأيك بقي؟

أم الديب بفرع:

_عايز ايه؟

المعلم حنفي:

=لو هوبتي ناحية الواد جلال تاني أني هدفنك، ومش هيهمني حد يا ولية! ده انا عايش معاكي سنين في

عذاب وقولت ماشي مراتك واستحمل يا جدع... إنما الواد ابنك بتناكفي فيه ليه؟

ثم قام بضربها بالسوط للمرة الثانية، وفي هذه اللحظة الأليمة، نطقت أم الديب بصرخة مؤلمة، تعبيراً

عن الألم الذي جرى في جسدها:

_خلاص ياخويا خلاص مش مقربه ناحيته تاني بس ابعده الكرياج عن جتتي !

توعد لها المعلم حنفي، فقال بيغضاء:

=قسمًا عظمًا يا ولية يا بت الكلد* انتي إن ما عدتها على خير لا أكسر عضم أمك... فاهمة ولا لا؟

أم الديب بألم :

_ماشي ياخويا .

خرج المعلم حنفي غاضبًا، وخلفه أم الديب تتألم، وعندما وصلت للمنزل، لاحظت هايدي تغير ملامح

وجه أم الديب. فتحدثت بتعجب:

=مالك يا ماما في ايه؟

أجابت أم الديب بمعاناة :

_ولا حاجة سيبوني في حالي .

ثم دخلت الغرفة وأوصدت بابها بعنف، وفي هذه اللحظة، جاءت نعمة متعجبة، وقالت بدهشة:

=أمك مالها؟

هايدي:

_مش عارفة .

في الأسفل، بعد أن عاد المعلم حنفي من الحظيرة، قال جلال بتعجب:

=عملتها ايه ياابا؟

المعلم حنفي:

_كربجتها عشان تحرم ماهو مش كل شوية يا ولا تطلعنا بمشكلة جديدة .

جلال:

=ياابا مش للدرجادي دية أمي برضة .

المعلم حنفي:

_ياض ده انا لو دخلت جوا منك مش هلاقي غير البت ليالي... تقولي أمك؟ ده انتوا مابتطيقوش بعض يالا .

رن هاتف جلال، فأجاب:

=ألو...طيب احنا جايبين أهو... سلام!

قال المعلم حنفي بفضول:

_ايه ياض في ايه؟

رد جلال:

=المأذون جاي في السكة ياابا، يلا بينا .

في لحظة عقد القرآن في منزل العروس، احتشدت عائلة جلال، وأقاربه مع عائلة ليالي، وجلسوا على الطاولة المزينة بأروع الزهور، والزينة، ممزوجين بأجواء الفرح، والسرور. وفي هذا السياق المليء بالبهجة، نطق المأذون بكلماته العذبة والمباركة:

=قول ورايا...إني توكلت على الله تعالى .

جلال ببهجة :

_إني توكلت على الله تعالى .

المأذون:

=وأطلب منك زواج ابنتك البكر الرشيد .

جلال بسعادة:

_وأطلب منك زواج ابنتك البكر الرشيد .

المأذون:

=ليالي سلامة محمد الفار .

بعد أن انتهوا من عقد القرآن، ارتفعت زغاريد النساء في أرجاء المنزل، تعبيرًا عن الفرح الذي امتلأت به القلوب. وفي هذه الأجواء المفعمة بالسعادة، اقتربت هبة من أختها وقامت بعناقها بحنان، وقالت ببهجة:

_ألف مبروك يا ليالي يا حبيبيتي .

قالت ليالي بسعادة:

=الله يبارك فيكي يا هبة وعقبالك يارب .

اقتربت نعمة، وعانقت ليالي وهي تطلق الزغاريد، والسعادة تملأ قلبها، فقالت:

_ألف ألف مبروك يا ليالي يا غالية، ربنا يتملكم على خير يارب .

ردت ليالي بسعادة:

=الله يبارك فيكي يا نعمة، وعقبالك إن شاء الله .
رفعت نعمة يديها في السماء، وردت بلهفة:
_يارب .

في الخارج عند جلال، كان الأقارب، والجيران يتبادلون معه العناق، وكانت الابتسامات تملو وجوههم، والجميع يباركون له في هذه المناسبة السعيدة. وفي هذا السياق الودي، قام الخال أبو محمد بعناق جلال، وهو يضرب يده بلطف على ظهره مبتسمًا، وقال بفرح:

=بارك الله لكما وبارك عليكما وجمع بينكما في خير يا بن أختي يا غالي!
رد جلال ببهجة:

=الله يخليك يا خالي، وعقبال عيالك .
اقترب أحمد، وعانق جلال، فقال بفرحة:
_ألف مليون مبروك، عقبال الليلة الكبيرة .
نطق جلال:

=الله يبارك فيك يا ض، وعقبال لما نخلص منك انت كمان !

دخلت الخالة، وعانقت ليالي، وهي تزغرد، وقالت:

_مبروك يا ليالي، كلها سواد الليل وتنوري بيتك .
ردت ليالي:

=الله يبارك فيكي يا خالة سعاد .

في منزل أم الديب، كانت تجلس مع جيرانها، ووالدتها العجوز، وهايدي. وفي هذا الجو المنزلي الدافئ، قالت لها جاريتها بود:

_يا ألف ألف مبروك عقبال بقية العرايس .
أم الديب بسعادة:

=انشالله يخليكي ياختي

نطقت الجارة الثانية لأم الديب بسرور يغمر الكون:
_مبروك يا أم الديب .

نظرت أم الديب حولها، وقالت بفضول:

=انشالله يخليكي انتي الثانية... أمال فين النقوط؟
ردت الجارة الثانية:

_بكر يا بقى إن شاء الله .

ردت أم الديب بصوت غليظ:

=ارجعي على بيتك يا ولية منك ليها... انتوا جابين تطفحوا ببلاش ولا ايه؟ لعلمكم محدش هيدوق فتفوتة غير لما يدفع الأول... هو ابني يدفع دم قلبه في الجوازة المنيلة ده، وفي الآخر تيجوا تاكلوا؟ ولا هو هيبقى موت وخراب ديار؟

انصدمت هايدي من حديث والدتها للجيران، فقررت أن تتدخل بسرعة، فتحدثت قائلة:

_ ايه يا ماما اللي بتقوليه ده؟ يعني ايه مش هياكلوا غير بالفلوس؟ هو احنا فاتحين مطعم، ولا بوفية كتب الكتاب؟

صاحت أم الديب في وجه هايدي:

=خشى جوا يا بت...متدخليش في كلام الكبار، لا أزعلك مني!

غطرت هايدي بفمها بغضب ملتهب، ودخلت الغرفة وهي تدبب بأرجلها في الأرض بانفعال جسيم، وأغلقت الباب بقسوة، فخرج الجيران من منزل أم الديب، وعلى وجوههم الامتعاض اللافت، وفي هذه اللحظة الصعبة، قالت أم الديب بلا مبالاة:

_ مع السلامة ياختي انتي وهي، واياكوا تيجوا بكر من غير النقوط، وإلا مش هتحضروا...اللهم بلغت اللهم فاشهد!

ثم أغلقت الباب بحزم خلفهم، وجلست على الأريكة بتوتر ملحوظ، فنظرت لها والدتها عدة مرات في صمت مشحون بالتعبيرات المختلطة، حتى أخيرًا قالت أم الديب بصوت متأمل:

_ ايهي مالك ياما بتبصيلي كده ليه؟

ردت خواطر بسُخَط:

=فين نايبى من الأكل يا بسمة؟

ردت أم الديب:

_ انزلي ياما، نلحقنا لقمتين قبل ما حنفي، وجلال يرجعوا .

وأمسكت والدتها بيدها واصطحبتها نحو المَحَل، الذي يفرش به الطباخ مستلزماته، حيث تعالت رائحة الأعشاب العطرية، والتوابل. وبمجرد أن دخلت أم الديب، واستنشقت الرائحة الطيبة للأطعمة الطازجة، نطقت ببهجة:

=بقولك ايه ياخويا نوعنا من الأكل دهو، ايشي فراخ على ايشي لحمة، وايه الرز الملون دهو؟

رد الطباخ:

_ ده رز بسمتي بالمكسرات يا حاجة .

نطق أم الديب بضحكة ساخرة:

=بسمتي ولا عبستي هيهيهي، يخبيك يا أم الديب طلعتي مثقفة .

ردت خواطر:

_ امالنا الأطباق على آخرها، آني عاوزة أرم عضمي وحطلنا من الحلويات دهي، وهاتلنا عصير، ده كتب كتاب حفيدي... عارف يعني ايه؟

رد الطباخ:

=حاضر يا حاجة من عينيا الاتنين .

قالت أم الديب:

_ يلا بينا نقعد هناك ياما، وهما بيقوا يجيبولنا الأكل .

ثم اصطحبت والدتها وجلسوا على المنضدة، في جو ملئ بالأغاني الحميمية، والأنوار متعددة الألوان التي تضيء على الجو سحرًا خاصًا. وفي منزل ليالي، كان جلال يجلس معها في الغرفة، فنطق لها بكلمات الحب:

=مبروك يا بت، بقيتي مراتي خلاص، واتكتبتى على اسمي! بقيتي حرم جلال الديب!

ضحكت ليالي، فقالت بصوت حنون:

_الله يبارك فيك يا جلجلي... ده والله ما عارفة هلحق أخلص كل اللي ورايا النهاردة ولا لا .
وقف جلال، وقال بعجلة:

=انا هقوم، وبكرا قبل ما تروحي الكوافير تعرفيني، عشان أظبط أموري .
ردت ليالي بابتسامة:

_اشطا يا جلال، خد بالك من نفسك أمانة عليك !
أجاب جلال ببشاشة:

=وانتي كمان يا لولتي...يلا مع السلامة .
ردت ليالي بفرحة:

_سلام .

خرج جلال من المنزل، وعاد مع عائلته إلى منزلهم، وفي دار عم سلامة، كانت تباهي تخبز الكعك والبسكويت، والفطير الفلاحي في الفرن، بينما كانت أخواتها النساء يجهزن عشاء العروسة للغد، الذي كان يشمل الحمام المحشي بالأرز، والفريك، والبط، واللحوم المشوية، والخضروات المطبوخة بالصلصة، مكملةً بتنسيق مذهل للأطباق وتقديمها بأناقة فائقة تدل على الاهتمام والدقة. دخلت ليالي غرفتها وأحضرت مستحضرات العروس، ومنها الحمام المغربي، وأخذته ودخلت للمرحاض، وبدأت في تجهيز نفسها بانسيابية، حيث تمازجت الألوان والروائح لتنتشر أجواء من الاسترخاء. وفي الليل بدأت ليلة الحناء، وهي في الطقوس المصرية، ليلة ما قبل يوم الزفاف، وفيها يأتي الأقارب والأصدقاء إلى منزل العريس، والعروس، يتشاركون الرقص والغناء، وصناعة تورتة الحناء، ووضع بها الشمع، والزينة، محاطين بأنوار السعادة التي تغمر الجو بالدفء، والمحبة. وفيها ترتدي العروس فستان سوارية أو زيًا هنديًا أو صينيًا، تعبيرًا عن ذوقها وشخصيتها المميزة. وثاني يوم في الصباح الباكر، كان العريس نائمًا، وأم الديب تسمع أغاني بصوت عالٍ وترقص عليها، وهذا أثر على نوم المعلم حنفي وأولاده، فلا أحد منهم يستطيع النوم بسبب الأجواء الحماسية التي تسود المكان. قال المعلم حنفي بعصبية، حيث انعكست الإيقاعات الموسيقية والحركات الراقصة على مشاعره المضطربة:

=يادي الهباب انتي يا ولية... انتي يا زفتة !
أم الديب بامتعاض:

_بنزعق ليه؟

خرج المعلم حنفي من الغرفة، وهو يشعر بالخمول الذي ألمّ به بسبب قلة النوم والاضطرابات التي حدثت في الصباح. وفي نفس الوقت، كان يغمره الغضب من أفعال أم الديب المستفزة والتي أثرت على حالته المزاجية. فعبر عن مشاعره بكلمات مُزعجة، قائلاً:

=الساعة سبعة الصبح مشغله أغاني ليه؟

أم الديب باستغراب:

_ايهي بلاش نفرح؟

استيقظ جلال، وأحمد من تحت أم الديب، حيث كانوا نائمين في الصالة التي كانت تترقص فيها. فرك جلال عينيه بيده، ووقف غاضبًا، مظهرًا انزعاجه، واستياءه الشديدين، ثم قال بصوت ملؤه السخط:

=ايه الزفت اللي على الصبح ده؟ وانا لما أتتيل أصحى بدري، هكمل باقية اليوم ازاي؟

ردت أم الديب بجلبة:

_ هو انتوا عاوزين ايه بالظبط؟ لا كده عاجب ولا كده عاجب؟

المعلم حنفي بجلبة:

=اطفي أم الاغاني بدل ما أكسرلك نفوخك!

اطفأت أم الديب الأغاني، وقالت بصوت حاد:

_ ماشي ياخويا طفيناها أهو!

عاد المعلم حنفي، وجلال، وأحمد للنوم مجددًا، وبعد مرور ساعات في منزل أم قمر الدين، كانوا يستعدون ليوم جديد. وفي غرفة الملابس، كانت تقف أم قمر الدين، وابنتها جميلة أمام المرآة، يجربون الفساتين على أجسادهن، في محاولة لاختيار الأنسب لهن. وفي هذا السياق، قالت جميلة بحماس:

=ايه رأيك فيه يا مامي؟

قالت أم قمر الدين، وهي منبهرة بجمالها:

_ يجنن يا حياتي، هياكل منك حته !

فرحت جميلة برأي والدتها لها، فاقتربت منها بامتنان، وقامت بتقبيلها من رأسها بلطف، وبدورها، عانقتها والدتها بكل حنان، ومحبة. ثم وقفت جميلة أمام المرآة مجددًا، حيث بدأت في تصفيف شعرها بالمكواة، بهدوء وتركيز، سعيًا للحصول على إطلالة مثالية تناسب ما يحمله اليوم من أحداث ومناسبات. وأثناء مرور الخادمة أمام الغرفة، نادتها أم قمر الدين بصوت لطيف، وقالت:

=توليناز، بليز تعالي !

دخلت الخادمة وبين يديها صينية تحمل فيها عصير، وتشيز كيك شهية، فردت:

_ تؤمريني بحاجة يا ست هانم؟

ردت أم قمر الدين:

=جهزي ظرف يكون شيك وحطيلي فيه ألفين جنية .

نطقت جميلة بتردد:

_ مامي انا حاسة ان المبلغ ده قليل جدًا، ممكن تزودي شوية كمان؟

ردت أم قمر الدين:

=خلاص أوكي حطي خمسة آلاف، واكتبي عليه الكلام اللي هبعتهولك في مسدج على الواتساب،

أوكي؟

ردت الخادمة:

_ حاضر يا ست هانم .

أم قمر الدين:

=انفضلي .

خرجت الخادمة، واتجهت لغرفة علاء الدين، الإبن الأصغر لأم قمر الدين، فهو أصغر شاب في أبنائها، يبلغ عمره ١٩ عامًا ويدرس في الثانوية العامة بإحدى أعلى المدارس في مصر، وهي مدرسة الكلية الأمريكية بالقاهرة. يتميز علاء الدين بجاذبيته الشبابية، وطوله الذي يبلغ ١٩٢ سم، مما يجعله أطول فرد في أفراد العائلة، وحتى أطول من شقيقته سامية. ومن أبرز عيوب شخصيته اللامبالاة والتهور، فهو لا يهتم لأي شيء سوى أن يكون سعيد فقط، حتى لو كان ذلك على حساب مشاعر الآخرين. طرقت الخادمة باب غرفته، فقال لها بصوت مرتفع، وغير مبال:

_أدخل!

دخلت الخادمة، ووضعت الصينية على المنضدة بحركة ثقيلة، وضمت الصينية الفارغة لصدرها بمظهر مُرهق، وقالت بصوت متعب:

=ست هانم بتقول لحضرتك، خلص الأكل كله.

رد علاء الدين بسخرية:

_وبعدين في جو البيبهات اللي مامي مصممة تعيشني فيه؟ ويفرض انا مش عايز أكل، ايه اللي هيحصل؟

ردت الخادمة بخجل:

=ده كلامها، مش كلامي أنا، وانا بكده وصلت الرسالة.

رد علاء الدين ببرود:

_طيب طيب... اخرجي وياريت تقفلي الباب وراكي!

ردت الخادمة:

=حاضر.

خرجت الخادمة وأوصدت باب الغرفة بحرص، ونزلت للطابق السفلي وسط جو من الهم، والتعب، وفي وقت الساعة الثالثة عصرًا، كان منزل أم الديب ملئ بالأقارب، والجيران استعدادًا لفرح جلال المنتظر بفاغ الصبر. وفي هذا الوقت، ذهب أحمد إلى جلال الذي كان يقف في الشارع بانتظار ذهابه لمصفف الشعر، ونطق أحمد بابتسامة مشرقة تعكس فرحته:

_هتروح للحلاق لواحدك ولا آجي معاك؟

جلال بسعادة:

=تعالى ياعم ده النهاردة الليلة خراب.

أحمد بفرحه:

_الله يسهله.

وضع جلال يده على كتف أخيه، وقال:

=عقبالك ياخويا.

ثم نظر لنعمة، ونادها قائلاً:

=بت يا نعمة.

جاءت نعمة بسرعة، وقالت باهتمام:

_جاية أهو... في ايه؟

جلال:

=اطلعي الشقة بتاعتي افرشي المفرش الأبيض على السرير، وحطي الورد على شكل قلوب، واثأكدي إن كل حاجة في مكانها، ولو حاجة ناقصة ظبطيها، وانا رايح للحلاق، وهطلع على العروسة يعني المفتاح في ايدك فاهمة ولا لا؟

في نفس الوقت الذي كان جلال يتحدث مع أخته، أمسك أحمد هاتفه، وأرسل رسالة لجميلة، كان مضمونها: "لازم أشوفك النهاردة!" أما نعمة ردت على جلال بابتسامة عريضة، وقالت:

_حاضر ياخويا متقلفش انا محرصة من أمك ألا تطلع تعمل حاجة... انا مش ضامنة .

جلال بابتسامة:

=كده تبقي بت شاطرة... يلا انا ماشي .

ذهب جلال إلى مصفف الشعر برفقة أخيه أحمد، في حين امتلأ المنزل بالمعازيم، حيث قام بعضهم بمساعدة أم الديب في طهي الطعام، وآخرون بتنظيف المنزل وترتيبه. وفجأة، جاءت هبة إلى منزل أم الديب بأكياس بلاستيكية ضخمة، فعانقتها نعمة بفرحة، وقالت بابتسامة ودية:

_ يا ألف مرحب...تعالى خشى يا هبة .

ردت هبة بإرهاق:

=لا انا هطلع الأكل فوق...هاتيلي المفتاح .

ردت نعمة:

_ استنى انا جاية معاكي عشان أفرش السرير بالمرة .

صعدت نعمة برفقة هبة أخت العروس، ودخلوا عش الزوجية، حيث كانت الشقة جديدة تمامًا، رائحتها طيبة، وأثاثها جديد ومتألق. كانت كل زاوية في الشقة تنادي العروس بالسعادة والتفاؤل، وكأنها تعد الدقائق وتنتظر بفارغ الصبر اللحظة التي ستدخل فيها العروس وتبدأ الحياة الزوجية. دخلت هبة إلى المطبخ ووضعت الطعام بداخل الثلاجة، وجهزت بعض الأطباق الأخرى على الرخام. أما نعمة، فقامت بفرش المفروش الأبيض الناصع على السرير، وأخرجت عبوة الورد وبدأت في رسم قلب ضخم على السرير، ثم رشت المعطر بثبات. وفي هذا الوقت، حدثت نفسها بابتسامة راضية وقالت في نفسها:

_ ياسلام على دي ريحة...ده البرفان ده شكله غالى، بس بصراحة الغالى تمنه فيه !

جاءت هبة من المطبخ، وأعطت نعمة عبوه صغيرة، وقالت بود:

=دي ليكي يا نعمة .

فرحت نعمة، وفتحت العبوة، فوجدت بها حلوى العروس من كعك، وبسكويت، وبيتيفور!، فتذوقت وهي تذوب من شدة اللذادة، فقالت باندھاش:

_ انتوا اللي عاملينه صح، ولا شارينه؟

ردت هبة:

=ودي تيجي برضة؟ احنا اللي عاملينه، بس قوليلي رأيك بصراحة .

نطق نعمة بفرحة، وهي تأكل:

_ ده حلو أوي بشكل، تسلم ايديكم والله، انا عمري ما دوقت حاجة بالحلاوة دي .

ردت هبة بابتسامة:

=بألف هنا وشفا، يلا انا هروح لليالي في الكوافير، عايزة حاجة؟

ردت نعمة:

_ عايزة سلامتک يا غالية .

خرجت هبة من الشقة، وخلفها نعمة التي مازالت تتناول الكعك بعين الجمل والسكر، مُستمتعة بطعمه اللذيذ. وقبل أن تنزل به الدرج، تذكرت شيئاً مهماً، فحدثت نفسها بابتسامة مليئة بالترقب:

_ يا نهار أسود، ده انا لو أمي شافته، هتاخده مني...أما أخيه بسرعة .

أخفت نعمة الحلوى تحت ملابسها بعناية، ثم نزلت إلى شقتهم بسرعة متناهية. وفي الكوافير، كانت خبيرة التجميل تضع المكياج على وجه ليالي ببراعة، وحرافية. فجاءت هبة، ولم تستطع إخفاء إعجابها وانبهارها بجمال أختها، فانطلقت الزغاريد من بين شفثيها، وقالت بفرح:

=زي القمر، تتحسدي يا ليالي .

ليالي بسعادة:

_ولسه بقى لما أخلص خالص... انا هموت وأعرف رد فعل جلال هيكون ايه!

هبة بابتسامه:

=هيفرح أوي، ويمكن أكثر مني كمان .

ليالي بسرور:

_طب قوليلي وديتي الأكل؟

ردت هبة:

=أه شيلتهولك في التلاجة .

ليالي بسعادة:

_طب خلصي بسرعة يا ست، احنا متفقين على الساعة ستة أكون جاهزة !

ردت خبيرة التجميل:

=حاضر، أدينا شغالين أهو .

بعد أن هل الليل، وجاء وقت ارتحال جلال لإحضار عروسته من الصالون، ذهب مع والده، وأخيه، وأقاربه، وركب سيارته المزينة بالورود، وفي منزل أم الديب، دخلت نعمة غرفة النوم بخطوات هادئة، وقالت بصوت مليء بالحماس:

_يلا ياما جلال بيقولك راح يجيب ليالي .

أم الديب بتجاهل:

=لما ناكل الأول .

نعمة بلهفة:

_ياما هناكل تحت! احنا عايزين نقف نستقبلهم !

أم الديب بسخرية:

=هما مش هيروحووا يتصوروا صور الندامة؟

نعمة بضيق:

_برضة ياما بتكرهيا؟

أم الديب ببغضاء:

=وعمري ما هحبها !

وصل جلال إلى الصالون الحريمي، فوجد نفسه منبهراً بجمال عروسته ليالي في هذه الليلة السعيدة، فلم يستطع إخفاء إعجابه وسعادته. بينما كان يحيط بها الضيوف وينظرون إليها بإعجاب، قال جلال بسرور، ودهشة مختلطة بالحب:

_ايه الجمر ده يا بت يا ليالي؟

ليالي بسعادة:

=عجبتك يا جلال؟

غمز جلال بعينه بتعبير من الحب، ثم قال بصوت مليء بالفرح:

_جمر يا بت .

ومد لها يده، وتابع حديثه:

=يلا بينا .

أمسك بيدها بلطف، وانسجام، وخرجوا وسط أجواء من البهجة المتألقة، حيث كانت زغاريد النساء تعلو وتغمر المكان بأنغام السعادة، وركبوا السيارة المزينة بأجمل الورود، مغمورين بعبيرها الفواح، حتى وصلوا إلى مبنى التصوير ليخلدوا أجمل اللحظات في صور الزفاف التي ستظل ذكرى لا تنسى، وعندما انتهوا وخرجوا متوجهين إلى مكان حفل الزفاف، انضم الخال ضايح وهو يرتدي الشورت ويزين صدره المكشوف بوردة حمراء مميزة، ويتراقص بنشاط مع أصدقائه، فتعجب المعلم حنفي واندفع بخطى متسارعة ليقترب منه، وفي لحظة من الفزع، نطق المعلم حنفي:

_يا نهاري!

ضايح بأخلاق وضيعة:

=اللي مش هيسقف هيضطرني أقل... .

المعلم حنفي بصياح:

_ياخويا انت جاي تقلعلنا هنا؟ ماتلم سكاكينك بعيد عن الواد لا تطيرله رقبتة!

ضايح بضحكة سخرية:

=لو طارت ألزقهاله... يلا يلا نرقص واديله .

رقص ضايح على صخب المزمار، والطبل هو ومن معه، ثم أمسك الميكروفون، وبدأ يتحدث:

=العريس يعني ابن أختي...العريس يعني انا خاله... العريس يعني انا اللي معلمه الصياغة على أصولها العريس يعني... .

جاءت أم الديب من بعيد، وصوت نواحها يختلط مع ضجيج الحفل، فأثارت استغراب الحضور الذين

توقفوا ليتأملوا مصدر الصوت، ثم أطلقت صرخة عالية قائلة:

_يا خرابي ياني .

المعلم حنفي بصياح:

=مالك يا ولية؟

أم الديب بانتحاب :

_الواد هيتجوز، ويسيني يا راجل .

المعلم حنفي بصياح:

=مايتجوز ولا يولع هتركيبنا الهم ليه؟

ضايح في الميكروفون:

_هوس هوس جايلكم المفاجأة الكبيرة .

وأشار بإصبعه على المكان المطلوب، وأردف:

_يلا يا رجاله هاتوا الصندوق هنا .

كان الجميع في حالة تركيز عارمة، حتى وضع الرجال صندوق خشب كبير أمام الكوشة، وبعد أن فتحه ظهرت منه الراقصة الشعبية وهي تترقص بحماس، مما أثار اندهاش الحضور وخاصةً أبو محمد الذي غضب وتألّم بشدة من هذا الموقف المحرج وغير المتوقع، نطق أبو محمد باستياء منين:

=استغفر الله... استغفر الله... فسق وفجور... اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا... استغفر الله... توبوا إلى الله!

ضايح في الميكروفون بسخرية:

_ اركن على جنب يا عم الشيخ... النهاردة فرحة الواد جلال ابن أختي يعني الدنيا لازم تبقى مليطة .
استمر ضايح في رقصته مع الراقصة وفي يده المطوى، متجاهلاً ردود الفعل من حوله. وبعد لحظات قليلة، بدأ الطباخون في توزيع الطعام على الحاضرين، وفجأة، ظهرت أم قمر الدين بسيارتها الفاخرة برفقة ابنتها جميلة، فعبرت أم الديب عن فرحتها الشديدة وصرخت من شدة السعادة، ثم سارعت نحوهم، وهي تبتسم، قائلة:

=يا ألف مرحب... يا خرابي ياني ست هانم وصلت!

أم قمر الدين:

_ هاي أم الديب ازيك؟

أم الديب بسعادة:

=يا أهلاً يا مدام بسملة... اتفضلي يا مدام .

أم قمر الدين بابتسامة:

_ ميرسي، كونجراتيوليشن لإبنك!

أم الديب بعدم فهم:

=ايه لا مؤاخذة؟

أم قمر الدين:

_ يعني مبروك!

أم الديب:

=انشالله يخليكي... عجال عيالك .

ثم أخذتهم على طاولة مميزة بينما كان أحمد يقترب منهم بابتسامة عريضة ويمد يده ليُرحب بأم قمر الدين، أبدى إعجابه الشديد بقسامة جميلة وشعر وكأنها العروسة المثالية بدلاً من ليالي، حيث قال:

_ ازي حضرتك يا طنط بسملة؟

ردت أم قمر الدين بابتسامة:

_ الحمدلله يا حبيبي .

عندما مد يده ليرحب بجميلة، كانت هي أيضاً تمد يدها، فتلامست أيديهما، شعر بحرارة تنبعث من يديهما، وتسارع نبضات قلبه، وغرق في عينيها الجميلتين، وتخيل أنهما يرقصان سواً في عالم من السعادة، والفرح. وفجأة، انقطع خياله على صوت أم الديب الغليظ، حيث قالت:

=ايه ماتفك ايدك... ايه هتسلم عليها سنة؟

بعد أحمد يده بحرج وجلس معهم، أخرجت أم قمر الدين الظرف من حقيبتها وسلمته لأم الديب، قائلة:

_ مبروك يا أم الديب، وعقبال بقية أولادك .

أمسكت أم الديب الظرف بعجلة، وفتحته وجدت مبلغاً ضخماً من المال، فبرقت عيناها ولمعت فرحة في وجهها، وهمست:

=دول كام؟

سحب أحمد الظرف من يد أم الديب، وقال بصوت حاد:

_ اسكتي يا ماما! هو ايه اللي كام؟

ووضع الظرف على الطاولة حيالهم، وواصل حديثه:

=شكرًا يا طنط، تعبتني نفسك ليه بس؟

ردت أم قمر الدين:

_ دول ولا أي حاجة .

ظهرت نعمة، وهايدي من بعيد، ثم عانقوا أم قمر الدين، وجميلة بلطف، فقالت نعمة:

=نورتي الدنيا كلها يا ست، انتي وبتك العسل دي !

ردت أم قمر الدين بابتسامة:

_ ميرسي كلك ذوق .

قالت هايدي باندهاش:

=ايه القمر ده يا جميلة؟ بجد انتي غطيتي على العروسة خالص !

ضحكت جميلة، وقالت برقة:

_ ميرسي يا روي .

ردت أم الديب بامتعاض:

=وهي ليالي العرة بت العرر دهي تيجي ايه جنب ستها جميلة؟ دي ضوفرها برقية ميت واحده منها .

دغزت نعمة أم الديب في ظهرها بمجرد أن جاءت تباهي، وهبة بإتجاههم، فقالت نعمة:

_ دي الحاجة تباهي أم العروسة، ودي هبة أختها .

أم قمر الدين:

=مبروك يا حبيبتني .

ردت تباهي:

_ الله يبارك فيكي، وعقبال الأنسة .

نطقت هبة ببغضاء:

=يلا ياما .

في لحظة اختلاط الأصوات وتداخلها تعالت الأغاني الشعبية والمهرجانات، تمايل جلال بعشوائية بين الحضور كسابق عازف يرقص بين الألحان. وفي زاوية الكوشة، جلس جلال بجوار ليالي، وكأنهما يغمران الفضاء بأنوار حضورهما. وفجأة، حضر ضايح وبادر بسحب جلال، مما أثار حماس الحاضرين ودفعهم للانضمام إلى هذا الدوران المفعم بالحيوية. وفيما يستمتع الجميع بالأجواء المفرحة، تبذل أم الديب مجهودًا كبيرًا في تقديم أشهى الأطعمة وأفخم الوجبات لأم قمر الدين وجميلة، ورغم جهودها الحثيثة في إقناعها بتناول الطعام، إلا أن صمود أم قمر الدين واستمرارها في رفض الطعام كان له بالغ الأثر. وبعد انقضاء الساعات وتبدل الأجواء، خرجت أم قمر الدين، وابنتها جميلة من هذا الاحتفال المليء بالفرح، والبهجة، وعادت إلى محبة منزلها بخطوات ثابتة تعكس قوتها الداخلية، وهنا بادرت أم الديب بإشعال نيران الفتن وإثارة الفوضى، وهناك وقفت نعمة بجانب كوشة أخيها، تثبت السرور بتناغم مع تناغم الزهور التي تطلقها في الهواء بينما تتمايل ببهجة. خرجت أم الديب بخطوات ثابتة من حفل الزفاف، متجهة نحو قطعة الأرض الفارغة التي يحكمها كلب بلدي مسعور. هذا الكلب،

بغض النظر عن من يراه، لا يفرق بين الطيب والشرير، فهو لا بد له من نصيبه. استحوذت أم الديب على قطعة اللحم وهربت بمجرد أن استنشقت الكلب رائحتها، وهو يجري خلفها يتبعها بشراسة حتى وصلت إلى حفل الزفاف وألقت اللحم على مقعد العريس، والعروس. لم يتمالك الكلب الساغب نفسه ودخل ليبحث عن اللحم بين الحاضرين، فأصاب أحدهم بالعض وسط صياح الحشود واضطرابهم في محاولة للهروب، وفي ذلك الوقت، جاء الكلب وأمسك بربطة عنق جلال وهو ينبح بعنف، فلم يتردد في التصدي له والدفاع عن نفسه. تصاعدت حدة الصراخ والفوضى مع تحول الحفل إلى حلبة معركة. لم تكتفِ أم الديب بذلك، بل انتقلت إلى سطح المنزل واستخدمت خرطوم المياه لتروي المعازيم من فوق، ثم اتجهت إلى شقة جلال وأطلقت الدجاجة بشكل عنيف أما عم سلامة انتفض مندهشاً وغضبه يغلي في عروقه، واستعرت الأحداث لتشتعل مشكلة جديدة بين العريس، وأهل العروس، مما دفع جلال إلى التوجه بانفعال للبحث عن والدته. وفي لحظة من العصبية العارمة، نطق جلال بكلمات من نار:

_ أمي فين؟

فلم يجدها في شقتها، وبعد أن فتح شققته ودخل وخلفه العروس وجد أم الديب تجلس على الأريكة وتمسك بالدجاجة لتأكلها العلف والبرسيم!. استفاق جلال مذهولاً من هذا المشهد الطريف والمثير للدهشة:

=ايه ده ياما؟

أم الديب ببرود:

_ ايهي... الفرخة جعانة .

جلال بصخب قوي:

=ايه ده ياما بقولك؟

صعد المعلم حنفي، ونعمة، وأحمد، وهايدي خلفهم بخطوات متسارعة، كأنهم جنود يتقدمون في ساحة المعركة. قال المعلم حنفي بصوت مرتفع، وهو يحاول بجهد قوي سحب الدجاجة من يد أم الديب، كأنه يتصارع مع قوى خارقة تحاول مقاومته:

_ يا ولية يا بت الكلب... انزلي يلا !

أم الديب ببرود:

=آني جاعدة في شقة ابني، هبات هنا .

المعلم حنفي بعصبية يغمرها الوعيد:

_ يا ولية همد ايدي عليكي! انزلي !

نعمة بخوف:

=استهدي بالله ياما، وتعالى معانا تحت .

أم الديب ببرود:

_ آني هانام هنا .

جلال بصداح:

=اتصرف انت يابا!

المعلم حنفي بتوعد:

_ ماشي انا جايلك تاني !

نزل شققته بخطوات سريعة، وأحضر الساطور كسلاح يستعد لاستخدامه، ثم صعد مجدداً بسرعة لتوجيه تهديده لأم الديب. قال المعلم حنفي بنبرة مليئة بالتحذير:

_ يلا يا ولية انزلي معايا .

أم الديب بصدمة:
 =انت بترفع عليا السكينة يا راجل؟
 المعلم حنفي بصوت حاد:
 _أه برفعها عليك... يلا انزلي!
 نشب المعلم حنفي بأم الديب بإحكام وثيق، كمن يمسك بغصن متمرد يحاول الهروب، ونزل السلم
 بخطوات ثابتة، وخلفه بقية أبناءه ممتثلين لأوامره، وواصل التحذير قائلاً:
 _قسماً بالله يا ولية لأوريكي أيام سودة... اصبري عليا!
 نعمة بخوف:
 =خلاص يابا .
 المعلم حنفي بصوت حاد:
 _لا خلاص ولا مخلصش، واضح إن أمكم اتعبت، بس أني بقى هوريكي!
 أم الديب باستنكار:
 =ايهي انا عملت ايه؟
 المعلم حنفي بعصبية:
 _ماشي اصبري عليا يا بت الجزمة .
 أدخل المعلم حنفي أم الديب إلى الغرفة، وصك الباب خلفها بصلاية، ثم جلس على الأريكة بسخط يعتلي
 وجهه. وفي المقابل، في منزل عم سلامة، كانت تباهي تبكي بحرقة على حظ ابنتها ليالي، وبجانبها
 زوجها سلامة وأبنائها، هبة، وصابر. فقالت بصوت مكسور بالأسى:
 =يا عيني عليك يا بتي طول عمرك بختك مايل...حتى يوم فرحك متهنتيش بيه !
 رد صابر بعصبية:
 _شوفتوا خدنا ايه من وش عيلة الديب؟ أهو ده اللي انا كنت خايف منه...ليالي لو كملت في الجوازة دي
 هتخسر كتير أوي!
 نطق هبة بعقلانية:
 =ليالي مينفعش ترجع، وإلا الناس هتتكلم وهيجيوا الغلط من عندنا احنا، ومهما قولنا وعيدنا محدش
 هيصدقنا...مانتوا عارفين إن كلام الناس ميخلصش .
 رد عم سلامة باتفاق:
 _كلام هبة أختك صح، لكن اللي حصل ده أني مش هسكت عليه، وليا حساب معاهم بعدين .
 بكت تباهي، وقالت:
 =حقك عليا أني يا بتي! حقك عليا يا ضنايا .
 في منزل العروسين، كانت ليالي تجلس على السرير تعول بحرقة، وبجانبها جلال يحاول جاهداً
 إرضائها بكل الطرق الممكنة. قال جلال بتأثر، وحنان:
 _خلاص يا ليالي خليها عليا انا .
 ليالي ببيكاء:
 =أمك بوظتلي فرحتي يا جلال، وخربت عليا اليوم اللي كنت مستتياه من زمان .
 جلال بتعجب:

_ أنا مش عارف أمي بتعمل معايا كده ليه؟

ليالي بانتحاب:

=وأخرتها ايه يا جلال أمك بتكرهني !

جلال برومانسية :

_ أني مش هسكتلها... متعيطيش يا بت!

وضع جلال يده بلطف على كتف ليالي، وهو يضمها لحضنه بحب وتأثر، فأزاحت ليالي يده بعيدًا عنها

بضيق، وقالت ببيكاء:

=هملني يا جلال!

جلال برومانسية :

_ لا يا بت يا ليالي النهاردة فرحتنا... انسي اللي أمي عملته، هي عالطول كده!

ليالي بانتحاب:

=وفرحنا اللي اتخرب، اعمل فيه ايه؟

جلال برومانسية :

_ هيبتي لسه... ادخلي خدي دش عشان تفكي كده، ومتبكيش!

ليالي ببيكاء:

=ماشني يا جلال .

مسحت ليالي دموعها برفقة، ودخلت المرحاض وحدها، وهناك خلعت فستانها بتأن، وأزالت المكياج، ووقفت تحت المنضحة، وهي تبكي بكاءً مؤلمًا. ومع كل دمعة تتساقط من عينيها، كانت تمتزج مع الماء الجاري، فوضعت يدها على قلبها من شدة الحزن، وفي هذا الوقت، كانت تتساءل ما الذي سنفعله مع حماتها الشريرة القوية التي لا تعترف بالرحمة تجاه أحد منهم أبدًا، وفي الخارج، كان جلال يقوم بتغيير ملابسه، فخلع البدلة بتأنٍ وعلقها على الشماعة، ثم ارتدى الملابس المنزلية وجلس على الأريكة في انتظار خروج ليالي من المرحاض. وبعد وصول أم قمر الدين، وجميلة إلى منزلهم، اقتربت منها بحنان، وقبّلتها على خدها برفقة، وقالت بصوت مليء بالحب:

_ تصبحي على خير يا حبيبي .

ردت جميلة بلطف:

=وحضرتك من أهله يا مامي

صعدت جميلة لغرفتها وأغلقت الباب، وفتحت هاتفها، فوجدت رسالة واردة من أحمد، كان مضمونها "كنتي أحلى واحدة النهاردة.. أو مش النهاردة بس، انتي حلوة عالطول."، فابتسمت جميلة وقالت بخفة: "ميرسي."، ثم وضعت هاتفها جانبًا وبدأت بتغيير ملابسها ومسح المكياج قبالة المرآة. بعد ذلك، اتجهت للفراش واستعدت للنوم، وفي اليوم التالي في تمام الساعة الحادية عشر صباحًا، كانت أم الديب تنادي على ليالي، أمام شقتها، وتنظر لأعلى في انتظار ردًا منها. قالت أم الديب بنداء مليء بالشوق:

_ بت يا ليالي... بت يا ليالي... انتي يا بت!

خرج المعلم حنفي جانبها وهو ينظر لها بكل شر، حتى نزل وخرج من المنزل بأكمله، فشعرت أم الديب أنه يدبر لها مكيدة، وكأنه يخطط لها بمكر. وفي الأعلى، عند جلال في شقته، كان يمزح مع زوجته وهي نائمة، فابتسمت ليالي بسعادة وهي مترنحة بين اليقظة والنوم، وقالت بصوت مليء بالمرح: =سيبني أنام يا جلال.

جلال بابتسامة:

_قومي يا بت النهارده الصباحية !

جلست ليالي، ولامست ظهرها بظهر السرير، وقالت:

=عايز ايه؟

جلال بابتسامة:

_كفاية نوم ده الساعة بقيت ١١، يلا ناكل.

ليالي بتعجب :

=عالطول كدة؟

جلال باستغراب:

_هو بعد امبارح واللي حصل مش عايزانا ناكل؟ انا عايز أرم عضمي اللي اتدغدغ ده.

ليالي بدلال:

_انا هقوم تعالى ورايا خد الأكل.

جلال بسعادة:

=اشط.

كان جلال يصفق بيديه فرحًا، معبرًا عن سعادته، حتى نهضت ليالي وخلفها جلال، ووصلوا إلى المطبخ لتناول الطعام معًا بسرور. وأسفل في شقة أم الديب، كانت تجلس بجانب ابنتها نعمة، وتنتظر بفارغ الصبر نزول ليالي لخدمتها، فقالت بانزعاج شديد:

_الساعة ١١، يا خرابي البت منزلتش تخدمني... ده أي رجلي اتكسحت !

نعمة بتعجب:

=ايه ياما ده؟ البت لسه دخلتها كانت امبارح، مش من ثاني يوم.

أم الديب بانفعال:

_ايهي ومنتزلش ليه كانت بت مين؟ ده أبوها سلامة يا بت.

نعمة بعصبية:

=يوه ياما انا مش فاهمة ايه بينك وبين أبوها خليكي مش طايقة حد منهم؟

أم الديب بامتعاض عارم:

_انتي مالك بينا ولا مييناش؟ قومي يا بت اطلعي اندهيهم...يلا بدل ما أطلعهم !

نعمة بعصبية:

=يوه ماشي، ماشي.

ثم سعدت للطابق الأعلى، وطرقت باب أخيها جلال، ولم يمر الكثير حتى جاءت ليالي وفتحت الباب

لها. قالت ليالي بتعجب، وفضول:

_ ايه ده نعمة؟ ادخلي.

دخلت نعمة الشقة، وقالت بتردد :

=حماتك حالفه عليا تنزلي تساعديها.

ليالي بصدمة:

_ أنزل أساعدها ليه؟ ما تقول حاجة يا جلال!

جلال بصوت حاد:

=يعني ايه تنزل تساعدها؟ هي أمك كبرت وخرفت ولا ايه؟ مفيش حد نازل!

ليالي بكمد :

_ جرا ايه يا جلال هي أمك فاكراني الخدمة اللي جابتها؟

ثم وضعت يدها بجانب خصرها، وهي تهتز رفضاً لما سمعته. نطق جلال بصوت عالٍ، ومتوتر:

=أني تعبت يا ناس... هي أمي مالها ومالنا؟

نعمة برهبة:

_ بصراحة يا بت يا ليالي انتي صعبانة عليا... ده أمي مستحلفالك، ده الحرب جاية.

ليالي باعتراض:

=مش نازله... انا داخله أوضتي.

جلال بصوت حاد :

_ اتكلي على الله يا نعمة بدل ما أنزل لأمك وأسمع البلد كلها!

نعمة بفرع:

=طيب.

عادت نعمة شقة أم الديب مرة أخرى وهي مترقبة رد فعلها العنيف، فتعجبت أم الديب من رؤيتها تنزل

بمفردها، حيث قالت بدهشة:

_ ايه يا بت منزلوش ليه؟

نعمة بتردد:

=مرضوش ياما.

أم الديب بضحكة سخريية :

_ أني كلامي هينزل الارض ولا ايه؟ لما أجول ينزلوا يبقى ينزلوا.

نعمة بعصبية :

=بقولك ايه أني داخلة أكمل نوم.

أم الديب بصياح :

_ في داهية.

دخلت نعمة غرفتها، وخرجت أم الديب من شقتها، صاعدة إلى الطابق العلوي باستفحال. وفي هذه

اللحظة، جاء المعلم حنفي من خلفها، وهو يستشعر حدوث مصيبة جديدة، فقال لها بصوت حاد:

=رايحه فين يا مرا؟

ابتلعت أم الديب ريقها، وتلجلجت في حديثها، فقالت:

_ طالعة على السطح.

اقترب منها المعلم حنفي، وعلى وجهه الكمد الملحوظ، فكان يتوعد لها بنبرة حادة، وقال بصوت مليء بالاستياء:

=قسماً عظماً يا ولية إن طلعتي في حنة لا أقتلك وأشرب من دمك!
أم الديب بضجيج:

_ أني زهجت منك يا راجل يا عرة مالك ومالي؟ سييني!

المعلم حنفي بكراهية:

=مش هسيبك يا ولية!

ونشب بعنقها بكل افتراء، كأن أصابعه تحاول نزع الحياة من جسدها، فصرخت أم الديب بصوت مكتوم يرتفع في الهواء الملتهب، واختنقت تحت قبضته القاسية. فزاد في الإتكاء بيده على عنقها، فوجدت نفسها محاصرة بين جراح الظلم، حتى لم يتبقى في قلبها سوى صرخة النداء الصامتة:

_ سييني بجولك!

دخل أهل العروس، وبين يديهم صواني الصباحية المُعبأة بالطعام، وعلى وجوههم زخات من الحزن الثقيل. فقال عم سلامة وهو كله ندم، وأسف:

=يا صباح الخرا كانت جوازة الشوم والندامة... يا عيني عليك يا بتي.

اقتربت أم الديب منه وأمسكته من عنقه، والشر يفوح من عينيها، حيث قالت بصياح:

_ جرا ايه يا سلامة يا دباح الحمير؟ يا حرامي الغلة، ده أني هوديك في داهية انت وبتك العجربة دي.

المعلم حنفي بصداح:

=قلبي.

وضع المعلم حنفي يده على قلبه، ثم فاجأته لحظة من الصدمة الجسيمة حتى سقط على الأرض، كمن

انهارت كل قواه. انقضت نعمة نحوه بسرعة مذعورة، وقالت بصراخ مليء بالخوف، واليأس:

_ مالك ياأبا؟ يالهوري أبويا!

يتبع.....

الفصل الثامن

بعدما اشتدت نداءات الجلجلة التي تنبعث من حنجرة نعمة، هرع جلال إلى الأسفل بخطى مُسرعة، حتى وصل إليهما وهم يتجهون إلى المستشفى في طريقهم، وانطلقوا بسرعة نحو الواجهة المطلوبة. وبينما كانوا في طريقهم، وقف المعلم حنفي فجأة على قدميه بين الحشود المتجمعة حولهم، وألقى نظرة متوجسة نحو عم سلامة، ثم أخذ يتحدث بصوت مرتفع وهو يتلو بعض الكلمات الحانية:
 _اطلع انت يا عم سلامة ملكش دعوه وأني هاخذ جلال مشوار على السريع وجايين .
 تعجب عم سلامة، وقال بدهشة:
 =ايه ده انت مش تعبان يا معلم حنفي؟

المعلم حنفي بتماسك:
 _أني عصب أهو... اطلع لبتك ألا الولية تعمل فيها حاجة !

نعمة بفرع:
 =حرام عليك بابا قلقتنا عليك !
 هايدي بيؤس:
 _يا بابا وأخرتها ايه بس؟
 المعلم حنفي بصوت حاد:
 =خذي أختك واطلعوا عايز أخوكم في كلمتين على السريع...يلا !

نعمة، وهايدي في صوت واحد:
 _حاضر .

وفيما سعد الجميع إلى الأعلى، وجدوا أم الديب جالسة على الأرض في صالة منزلها، بابها مفتوحًا لتري كل من يصعد على الدرج، وهي تستمتع بوجبتها المفضلة، الجزر المسلوق، فلما رأت عم سلامة، اشتعلت نيران الكراهية داخلها. أما في شقة العروس ليالي، كانت تجلس برفقة والدتها، وأختها، نطقت تباهي لها قائلة بإعزاز:
 =انتي كويسة يا بتي؟
 ليالي بسخط:
 _أيوه ياما، بس حماتي دي ست عجربة!

أرادت تباهي أن تنصح ابنتها، فقالت بحصافة:
 =هقولك كلمتين خليم حلقة في ودنك... علمي عليها دي وليه قادرة ومفترية، لو سكتيلها يا بت متلوميش إلا نفسك!
 ليالي بحيرة:
 _حاضر ياما لما نشوف الدنيا هترسي على ايه!

دخل عم سلامة شقة ليالي، وجلس على الكرسي، وتلفظ بارهاق:

=معلى يا بتي اتأخرت عليكى.

ليالى بقلق:

_حمايا حصله حاجة يابا؟

عم سلامة بضيق :

=لا صاغ سليم.

في لحظة مفاجئة، قررت أم الديب أن تنظف منزلها، فاستحضرت الماء والصابون، ونزلت إلى مدخل المنزل حيث قامت برشه، في حين كان أحمد يسافر إلى القاهرة استعدادًا لاختبارات نهاية العام. وبعد مرور ساعتين منذ أن اطمأن عم سلامة على ابنته ليالى، نزل هو، وزوجته، وابنته هبة، وعبر عن إرهاقه قائلاً:

_السلم هلكنى.

تباهى بارتياح:

=المهم بتك بخير.

هبة بكراهية:

_تصدقى إن حماتها دي عايزة ضرب النار !

تباهى بصوت خافت:

=اسكتى دي قدامنا !

لسوء الحظ، انزلت قدم عم سلامة فسقط على الأرض مع كل ما كان بيده، حتى انتثر الطعام واتسخت الأرض، ومالت تباهى نحوه بهيعة. وفي حالة من الاستغاثة، تحدث عم سلامة قائلاً:

_أه رجلى...رجلى أه رجلى .

تباهى بصراخ :

=انت كويس؟

أم الديب بعجيج:

_انت وجعتلى الأكل على الارض يا راجل انت؟ وأنى اللى تعبانة فى الغسيل والكنس... بدل ما تقول لبتك تنزل تساعدنى بتوسخلى دارى؟ أنى هوديك فى داهية!

تباهى بجلبة:

=ما براحة على نفسك يا مرا انتى... انتى بتتلكيلنا ولا ايه؟

أم الديب بضحكة سخرية :

_اتلكك لسلامة دباح الحمير؟ لا ياختى اللى يدخل بيتنا يلم نفسه!

بعد أن سمعت ليالى ضجيج أم الديب ووالدتها، نزلت إلى الأسفل وهي مستعدة للتصدي لأي اشتباك قد يحدث، فنطقت بصياح:

=والله يا حماتى إن ما عدلتى نفسك معانا لا ألم هدومي وعلى بيت أهلى!

أم الديب بصراخ :

_انتى بتزعجى لحماتك يا بت؟ بتعلي صوتك عليها؟

خرجت أم الديب من باب المنزل، ووقفت في منتصف الشارع بتقلب، وهي تصدح بأعلى صوت ممكن، فنطقت بنواح:

=يالهوي الحقوني يا ناس اتملوا شوفوا قلة أدب مرات ابني وآني ست غلبانة وضعيفة... البت بتغلط فيا
عشان سكتالها !

خرج الجيران من منازلهم مستجيبين للضحيج الذي انتشر في الحي، فانطلقت أم الديب بنواح مفرط
وهي تتوجه نحو أم ليالي، فاندفعت بقسوة مبالغ فيها، وكانت الأيدي، والأرجل تتلاقى في رقصة من
العنف والجنون على أرض الشارع المزدهم. وبعيدًا، كان المعلم حنفي وجلال يتقدمان بخطى سريعة،
يتشابهان في تعجبهما ودهشتهما لما يجري أمام أعينهما، حيث كانت المشهد يوحى بمزيج من الفوضى
والعنف الذي لم يكونا يتوقعاه. نطق المعلم حنفي بتعجب:
_مين اللي بيتخانقوا؟

جلال بدهشة :

=مش عارف... ده صوت أمي!

عندما تأكدوا أن الضحيج ناجم عن أم الديب، دخلوا في قلب الصراع، وسحب المعلم حنفي أم الديب بقوة
بينما كانوا يحاولون فصلها عن تباهي وإنهاء الشجار، حتى وصلت يده إلى شعر أم الديب وجذبه بقوة،
مما جعلها تصرخ بألم. وبينما كانت تتمايل بين يديه، نطق المعلم حنفي بغضب حار:
_يا بت الكلب...يا بت الكلب آني هجتلك!

عصر حلق أم الديب في يده بقوة، وهو يتكئ ساخطًا بكل قوته، فسارعت ليالي بالجري نحو الأعلى،
ودخلت شقتها بسرعة لتحضر حقيبتها، متعمدة العودة إلى منزل أهلها وهي كامدة. وجلال يسارع خلفها
بخور شديد، نطق جلال بصوت مرتجف:

=وحياة أبوكي مانتي ماشيه يا ليالي .

ليالي بأعوال يشوبه الندم الجسيم:

_سيبني وهملني يا جلال...ياريتني ما اتجوزتك ياريت .

تشبث جلال بيد زوجته، وقال بالحاح :

=مش هتخرجي من هنا يا ليالي !

صرخت ليالي، وباعدت يده عنها باعتراض، وقالت:

_سيبني يا جلال...سيبني!

اقترب جلال من الباب ليغلقه، وقال بخشية:

=مش هتمشي يا ليالي... هقفل الباب .

حاول جلال مرارًا، وتكرارًا إيقاف ليالي عن الرحيل لكنها رفضت بعناد، وانطلقت بالفعل إلى منزل
والدها. ولكن بعد أن ذهبوا إلى المستشفى لتجبيس ساق عم سلامة، لم يتوان الجيران عن التدخل بسبب
ما شاهدوه أمام أعينهم، فاتصلوا بالشرطة ووصلت سيارة الشرطة لاعتقالها. وفي نقطة الشرطة تحدث
الضابط قائلاً:

_ايه اللي حصل؟ احكي من الأول !

أم الديب بدموع تمثيل:

=بص يا سعادة الباشا آني ست كبيرة، وغلبانة، ومكسورة الجناح .

الضابط بتركيز:

_وبعدين؟

أم الديب بدموع تمثيل:

=مرات ابني بتكرهني! فكنت بنصف البيت عشان أهلها اللي هيجوا، جه أبوها وقعلي الأكل على الأرض فبقوله ليه تتعبنى يا راجل انت؟ قام ضاريني واتعدى عليا يا سعادة الباشا .

الضابط بشك:

_أه يعني انتي مكسرتلوش رجله وضربتني مراته؟

قررت أم الديب تغيير الموضوع واللجوء إلى تقمص شخصية سيدة مجنونة، فقالت:

=بص آني هجولك حاجة... جارتنا بتحب الفراخ أه أمال ايه؟ راحت جابت فرخة وطبختها فمعجبتش جوزها فطلقها وقالها مشوفكيش في البيت تاني .

الضابط بانفعال:

_انتي متخلفة؟ ايه علاقة ده بسؤالى؟ انتي ضربتني الراجل ومراته ولا لا؟

أم الديب :

=بس جوزها رجعلها تاني أه أمال ايه؟

الضابط بصياح:

_انتى بتخرجي برا عن الموضوع ليه؟

أم الديب بتساؤل:

=بتحب أكل ايه يا سعادة الباشا؟

وقف الضابط، ورد بصياح:

_انتى هتصاحبيني يا روح أمك؟ لو مش هتعتزفي هبيتك ثلاث أيام في الحجز لحد ما تقررى تعترفى!

أم الديب بدهشة:

=مين ياخويا اللى هيعترف؟

ضرب الضابط يده بقوة في المكتب، وقال بصياح :

_خدها على الحجز يابني احنا ناقصين عاهات؟

خرج الضابط عن شعوره بعدما التقى بأم الديب وتجاوز معها، وكاد أن يفقد أعصابه بسبب تصرفاتها

الغريبة. وفي اليوم التالي، ذهب جلال إلى منزل أهل زوجته بندم عارم، وجلس بصالة المنزل مع

والدتها، فبادر بالحديث قائلاً:

=يا حماتي انا مليش ذنب !

تباهى بسخط:

_أمك زودتها لما تعرف ازاي تحفظ كرامة مراتك وأهلها تبقى تيجي وتتكلم !

جلال باستياء:

=خلي ليالي تطلع بس هقولها حاجة !

تباهى بعناد:

_مفيش ليالي بعد اللى حصل !

جلال بحزن:

=يا حماتي خليها تطلع... ده شيطان ودخل مابيننا، انتي عاوزة الخلق تاكل وشنا ولا ايه لما يلاقوا بتك غضبانة تاني يوم جوازها؟ إن كان على أمي فأمرها سهل، وأقدر أكل بعقلها حلاوة، انا مش عايزكم تخافوا من أيها حاجة، وتدوني فرصة أصلح اللي أمي كسرتة!
اقتنعت تباهي بحديث جلال، خصوصًا مع تزايد كلام الناس، وكانت تدرك أن هذا الأمر سيؤثر بشكل كبير على سيرة ابنتها. فالناس غالبًا لا يعرفون السبب الحقيقي وراء اعتراب ليالي، لذا قالت بتردد:
_طيب هقوم .

تقدمت تباهي لتنادي ليالي، فخرجت ليالي معها، ووضعته يدها في خصرها وهي ترتجف سخطًا.
رفعت ليالي حاجبها بتحدي، وقالت برفض:
=ملكش كلام عليا يا جلال .
وقف جلال أمامها، ونطق متعجبًا:
_يعني ايه يا ليالي؟ انتي مراتي!
ليالي بغضب:
=أمك هانتنا وكسرت لأبويا رجله وفضحتنا !
جلال بندم:
_وأمي خدت جزائها وفي الحجز دلوقتي !

ليالي بكمد:

=وانا المطلوب مني ايه دلوقتي؟

رد جلال:

_ارجعي بيتك يا ليالي انتي لسة عروسة، متخليش الناس تاكل وشنا !
أجابت ليالي بسخط:

=انا هرجع معاك يا جلال بس أمك متقربليش... هتعبط عليها يا جلال .
جلال بسعادة:

_يبقي هاتي حاجاتك ويلا يا بت .

غمزت له بعينها وهي مبتسمة، ثم قالت بسرور:

=هجيهم وجايه .

رد جلال بسعادة:

_متتأخريش يا بت !

ردت ليالي:

=طيب.

ثم دخلت ليالي الغرفة وبدأت في تجهيز حقيبة ملابسها، في حين جلس جلال مرة أخرى ينتظرها. وفي شقة أم الديق، كان المعلم حنفي يتوعد لها ويقرر الانتقام، فقال:

_ماشى يا بت الجزمة انا هعلمك الأدب، وازاي تبطلي عملي كده معنا!

دخل المعلم حنفي إلى غرفة ابنته هايدي، وطلب منها أن تسلمه هاتفها وتساعدته في إنشاء حساب على فيسبوك. وبعد أن أنجزت هايدي المهمة وغادرت لحصة دراستها، أمسك المعلم حنفي الهاتف وأرسل طلب صداقة لامرأة لبنانية، ثم اتصل بها عبر الفيديو وهو يبتسم. وقال:

_السلامو عليكو.

اللبنانية بتساؤل:

=هالو مين معي هالأ؟

المعلم حنفي بابتسامة عريضة:

_المعلم حنفي يا فرصة .

اللبنانية بابتسامة:

=تشرفت فيك .

المعلم حنفي :

_انا اللي اتشرفت يا فرصة...منين الحلوة؟

اللبنانية برقة :

=بيروت وانت من وين؟

المعلم حنفي بابتسامة :

_مصر أم الدنيا...قرية أبو حلاوة .

اللبنانية ببشاشة :

=كثير اتشرفت فيك، أحسن ناس عنجد .

المعلم حنفي بسعادة:

_الله يخليكي...لو عوزتي حاجة كده ولا كده انا تحت أمرك !

اللبنانية برقة:

=ميرسي .

المعلم حنفي بضحك:

_ما تورينا اللي مستخبي... أصل أنا متجوز راجل!

تعجبت اللبنانية من حديث المعلم حنفي، فقالت:

=كيف متزوج راجل؟

المعلم حنفي:

_دي ست معفنة بعيد عنك مفيهاش ريحة الأنوثة مش زيك كده .

نظر المعلم حنفي أمامه، فوجد أم الديب تلوج عينيها بکراهية نحوه، وشعرها مشعث كأنها تشبثت في أسلاك الكهرباء، ما أضفى على مظهرها لمسة من الفزع والغضب القاتلين. نطق المعلم حنفي بصراخ ملؤه الدهشة، والهلع:

_آه الحقوني .

غاب عقل المعلم حنفي عنه، وسقط أرضًا بلا وعي. وفي تلك اللحظة، كان جلال، وزوجته يصعدان درج المنزل، وقبل أن يتمكن جلال من الوصول إلى شفته، لاحظ باب شقة أم الديب مفتوحًا. فأسرع جلال إلى الداخل، ووجد المعلم حنفي ملقى على الأرض، فهرع نحوه بخوف شديد. وتحدث بصوت مرتعش من الخوف:

=مالك يابا مالك؟ اصحى يابا .

المعلم حنفي بهلوسة:

_ أمك... أمك .

أشار المعلم حنفي بإصبعه إلى الأمام، فتلفت جلال حوله بحذر، لكنه لم يجد أحدًا في المكان، فقال:

=مالك يابا حصلك ايه؟

المعلم حنفي بصوت منخفض:

_ أمك عايزه تقتلني .

جلال باستغراب:

=أمي ايه؟ هي خرجت؟

المعلم حنفي بارتجاف:

_ لا شوفتها ياض...شوفتها وكانت بتبصلي عايزه تموتني .

جلال بشك :

=واضح يابا انك بقيت تخرف... يلا قوم معايا .

حتى رفعه على السرير، وعادل ساقى المعلم حنفي بحرص، وفي شقة ليالي كانت تجلس على الأريكة، متأملة في خطة انتقامها من أم الديب، وكانت تشعر بالقوة والتحدي في رد القلم قلمين إليها، لتعود لها قوة التحكم، والقرار. وفي هذه اللحظة، دخل جلال وتوجه نحوها بخطوات ثابتة، وقال:

_ بت يا ليالي .

ليالي باهتمام:

=ايه؟

جلال:

_ عايزين نساfer إسكندرية يومين .

ليالي باعتراض:

=لا إسكندرية ايه يا جلال؟ نروح راس البر أحسن .

جلال باقتناع:

_ تصدقي فكرة يا بت ونفعدلنا يومين نهيص هناك...ده هيبقى شهر عسل جامد أوي .

صفق جلال بابتسامه وهو يضحك، فانطلقت ضحكة ليالي، وقالت:

=طبعا ياخويا وأهو نبعد عن أمك يومين ونرتاح من همها .

جلال بسعادة:

_ احنا لسه فيها شنطتك جاهزة...يادوب انا هدخل ألم الهدمتين اللي حيلتي ويلا بينا .

دخل جلال الغرفة بسرعة مثل الريح، وكأنه يسابق الزمن نحو الاستعداد للسفر، وهو يشعر بالحماس والاندفاع. وفي تلك اللحظة الساحرة، كانت ليالي تشعر بالسعادة التي تملأ قلبها، وكأن نجمة من الفرح قد انبثقت في سماء حياتها، فخطت في قلبها كلمات الامتنان للحظة الجميلة التي تعيشها:

=ياه أخيرًا هشوف البحر !

بعد أن خرج جلال محملاً بحقيبة السفر جلب زوجته لينضموا سوياً إلى رحلتهم، وركبوا السيارة الملقبة بـ "التمناية"، وانطلقوا في اتجاه شقة براس البر، التي كانت تأجيرها يبلغ مائتي جنيه في اليوم، وكانت تعتبرها ملاذهم الخاص في أوقات الاسترخاء، والاستمتاع بالهدوء وجمال الطبيعة المحيطة. وفي منزل

حامد حبيب نعمة، كان يجلس مع عائلته ويتأمل في فتح موضوع الزواج معهم، فأبدى رغبته لوالدته بكلمات مفعمة بالقلق، قائلاً:

_ انا كنت عايز أكلمك في موضوع مهم ياما، بس مش عارف أجيبها لك ازاي !
ردت أم أشرف بدهشة:

=موضوع ايه ده يا حامد؟

شعر حامد بالتردد، ولكنه قرر أن يأخذ الخطوة ويتجرأ، لذا قال:

_ انا عايز أخطب .

أجابت أم أشرف بفضول:

=تخطب مين؟

رد حامد بتردد:

_ نعمة .

تعجبت أم أشرف من قول حامد، فقالت بفضول:

=نعمة مين؟

نطق حامد بتردد:

_ نعمة الديب .

صرخت أم أشرف فقالت بضجيج:

=نعمة بت الولية الشكالة، أم ايد طويلة؟

رد حامد بفزع:

_ أمها مش شكالة ولا حاجة، دي ست طيبة .

صرخت أم أشرف مجدداً، وضربت فخذها بيدها، قائلة:

=الله يخربيتك، وملقتش إلا دي؟ دول سيرتهم سابقاهم .

رد حامد:

_ نعمة بت طيبة، وملهاش دعوة باللي أمها بتعمله، مانتي أصلك متعاملتيش معاها في الحقيقة !

وقفت أم أشرف، وما زالت تصرخ بغضب معترضة ما يبدو أمامها، فهي لا تستسلم لفكرة زواج حامد

من نعمة، ابنة أكبر سيدة بلطجية في البلدة. فكل من يسمع عن هذه العائلة يصيبه الرعب والهلع من

مجرد الحديث عنهم. وبينما كان يتأجج الغضب في داخلها، قالت بصوت مليء بالانزعاج:

=دي لو آخر واحدة في الدنيا عمري ما أجوزها لك مهما يحصل .

رد حامد بياس:

_ ليه كده بس ياما؟ وهي كانت عملتك ايه؟

نطقت أم أشرف بصراخ:

=هي معملتش حاجة... أمها البلطجية اللي عملت، انت نسيت عملت فيا ايه؟ لو نسيت أفكرك!

استرجعت أم أشرف ذاكرتها، وتذكرت حينما كانت تتجول في السوق، ووجدت شجاراً بين امرأتين،

فاقتربت لفض النزاع وتهدة الأوضاع. وبدلاً من أن تصمت أم الديب وتقبل التهدة، قامت بسبها بألفاظ

بذيئة، ولم تكتف بذلك، بل كانت تحاول ضربها بالنعل. لكن النساء الأخريات تدخلن وفضوا النزاع

بينهم، ومنذ ذلك الحين، أبدت أم أشرف العداوة، والبغضاء تجاه أم الديب. فقال حامد، وهو يراقب

تعبيرات وجه والدته بحذر:

_ ده حوار وانتهي خلينا في اللي جاي !

ردت أم أشرف بصياح:

=ده لو على جتتي مش هيحصل، وانسى انك تتجوز البت دي... أبقى اتجوزها لما تاخذ عزايا .
رد حامد بسرعة:

_ بعد الشر عليكى ياما، متقوليش كده على نفسك !

دخلت أم أشرف إلى الغرفة وهي غاضبة، وأوصدت الباب بقوة في وجه ابنها، فانفجر من المنزل ووجهه غضبًا. وعلى الناحية الأخرى، ذهب أبو محمد إلى قسم الشرطة، مهمته إجراء اللازم لضمان إطلاق سراح أم الديب وإعادتها إلى أولادها، وذلك بعد توجيه اتهامات لها. حيث تحدث الضابط، وهو يتعامل مع القضية بحرص:

=انت الضامن؟

أبو محمد:

_ أيوه يا باشا .

قدم الضابط له الورقة، وقال:

=تمام .

بعد أن مضى أبو محمد على الورقة التي قدمها له الضابط، أخرج من جيب القفطان مبلغًا من المال وقام بدفعه، مما ساعد في إطلاق سراح أم الديب من سجنها. وعندما خرجوا، تحدث أبو محمد بصوت مليء بالتسامح:

_ يا أختاه الله يسترك ويستر عرضك ما ليكي دخل بابنك ومرته .

أم الديب بدموع تمثيل:

=اهى اهى... يا عيني عليا ابني سجني عشان مراته العقربة .

أبو محمد بضيق:

_ يا ست الله يسترك طلعي نفسك منها... الدنيا مش مستاهله!

أم الديب بتوعد:

=أني هطين عيشتها .

أبو محمد بصوت حاد:

_ انا عملت اللي عليا قدام ربنا... انتي اللي هتتحاسبي يا أختاه!

تركها أبو محمد وذهب، وفي منزل أم الديب، كانت نعمة تجلس بجانب أبيها على السرير بعد عودتها بعد أن عرفت ما حدث له. فتحدثت بصوت ممزوج بالقلق، والحزن:

=يا بابا دي هلاوس... انت كبرت ولا ايه؟

المعلم حنفي بكمد:

_ انا مخرفتش يا بت انا صاغ سليم .

نعمة بذهول:

=أمال شوفت أمي ازاي يابا؟

المعلم حنفي:

_ كنت بحلم... أما بقولك ما تندهي هايدي تيجي تفتحي البرنامج تاني .

نعمة:

=ماشى بابا .

ذهبت نعمة لنداء هايدي، فجاءت وفتحت البرنامج للمعلم حنفي، ثم خرجت مرة أخرى. فوقف المعلم حنفي ليتأمل بعض الوقت، محاولاً تهدئة أعصابه المضطربة، ثم أمسك الهاتف ليجري اتصالاً بالإمرأة اللبنانية. وفي لحظة من الفرح الغامر، نطق المعلم حنفي بسعادة غامرة:
_يا صباح القشطة .

اللبنانية بابتسامة:

=صباح النورات والحلويات عليك .

المعلم حنفي:

_عاملة ايه يا مزة يا قشطة؟

اللبنانية:

=كثير منيحة، وانت شو أخبارك؟

المعلم حنفي بسعادة غامرة:

_سمنة على سكر...بقولك يا حلوة الحلوين ماتنزلي مصر أشوفك !

اللبنانية:

=عن قريب إن شاء الله راح أنزل مصر مشان بس أشوفك .

المعلم حنفي:

_يا حلاوة يا عيال أصل انا أول مرة أشوف حريم بالحلاوة دي انا مشوفتش حريم قبل كده .

نظر أمامه بصدمة، وجد أم الديب تقف حiale، فألقى هاتفه بعيداً على الفور وهو مصدوم من اللقاء

المفاجئ. تحدثت أم الديب بصوت غليظ ينطلق من داخلها كالرعد:

=بتخوني يا راجل؟

اقتربت منه أم الديب وأمسكته من لياقته بعنف، ووضعت يدها بقوة على عنقه، فصرخ المعلم حنفي وهو

يشعر بالاختناق، وقال بينما يكافح للتنفس:

_يا ناس... نَفسي هموت... عايز أتنفس... سيبيني يا ولية!

أم الديب بصوت حاد:

=مين دي؟ انطق!

خرجت نعمة، وهايدي من غرفتهما، وأصابتهما الصدمة عندما شاهدتا الموقف. تدخلوا لحل المعضلة

بسرعة، فصرخت نعمة بغضب وهي تقول:

_سيبيه ياما، انتي بتعملي فيه ايه؟

ضربت أم الديب ابنتها بقوة، وبعد ذلك باعدتها عنها بقسوة، ثم اقتربت من المعلم حنفي للمرة الثانية،

وهي تتقدم بخطوات مُتسارعة، وهو يتأوه من الألم. ثم نطقت بصوت يحمل ضجة الانتقام:

=مين الولية اللي كنت بتكلمها دهني؟

المعلم حنفي باختناق:

_هقولك بس... بس سيبيني!

تركته أم الديب، وقالت بصوت حاد:

=أهو مين دي؟

بمجرد أن تركته أم الديب، أخذ ذيله في أسنانه كثعلب ماکر، وفر هاربًا، وكأنه يهرب من فم الأسد. قالت أم الديب بشر معبرة:

=هتروح مني فين انت وابنك ومراته؟ انا وراكم والزمن طويل .

دخلت أم الديب شقتها وصكت الباب بقوة، كأنها تحاول إبعاد العالم الخارجي بكل قسوة. وفي الوقت نفسه، كان جلال وزوجته يجلسان أمام البحر، يستنشقان هواءه العليل ويستمعان إلى صوت موجاته المتلاطمة، وكأنهما في عالم ساحر لا يعرفان للهموم مكانًا. وكانت هذه التجربة خاصة بالنسبة لجلال الذي لم ير البحر من قبل، فقد احتجزتهم أم الديب في حياة الريف والعمل الشاق، فكانوا يعيشون كأنهم في عالم منعزل عن باقي البشر. وبعد أن نظر جلال للبحر بسعادة غامرة وهو يتناول الطعام برفقة زوجته، قال بابتسامة عريضة:

_ياه الواحد أول مرة يشم ريحة البحر .

تناولت ليالي طعامها، وقالت:

=مروحتش البحر قبل كده ليه يا جلال؟

جلال بضحكة سخرية:

_أروح فين يا بت هو احنا كان معانا قرش؟ ده أمي كانت منشفاها علينا لحد ما اشتغلت على التوكتوك وبقي ربنا يسهل بقرشين .

ليالي بتسأل:

=وأبوك فين من كل ده؟

جلال:

_مآني حاكيلك أول جواز أبويا وأمي، لما أبويا اتجوزها تخليص حق، واتدبس في جوازتها ياما كانوا هيقتلوه .

ليالي بصدمة:

=مين اللي هيقتلوه؟

جلال:

_أهل أمي... انا خالي ضايع واخذ ثلاثين حالة قتل، خمسة وعشرين سرقة، ثلاث قواضي اغتصاب، ثلاث قواضي تجارة سلاح، واتنين تجارة أعضاء ب... .

ضحكت ليالي، وقالت بذهول:

=بس بس... ايه كل ده يا جلال؟ ده انت خالك ضايع ده كسر الأرقام القياسية .

جلال:

_ماهو ده اللي خوف أبويا منه فاتجوز أمي واتدبس فيها...أه أمال انتي فكرك ايه؟

ليالي:

=برضة أبوك راح فين، ايه مكنش له كلمة عليكم، والكلمة كلمة أمك؟

جلال:

_مآني جايلك في الكلام أهو يا ليالي في أول جواز أبويا وأمي كانت أمي بتحطه تحت تهديد السلاح، يديها الفلوس يا إما هتطير رقبتة فالراجل جاله عقده ومبفاش عارف يشتغل لحد ما بقى يجيله مبالغ خفيفة أوي .

ليالي بدهشة:

=وأملك يا جلال مالها بكل ده؟

جلال:

_أمي بقي كانت هي اللي بتدير الفلوس اللي بتدخل، وبتتحكم فيها، ومحدث يقدر يفتح بؤه معاها .
ليالي بوضوح:

=بصراحة يا جلال أمك ست قادرة ومفترية .

جلال:

_أمال انا يا بت في مشاكل معاها عالطول ليه؟

ليالي بكرهية:

=فكنا من سيرة أمك.. احنا جايين نستجم!

غازل جلال زوجته بعينه، وهو يضحك.. فقال:

_طب ما تيجي؟

ضحكت ليالي، وضربته بيدها بلطف:

=آجي فين يا ولا؟ بس !

في موطن أم قمر الدين، كانت ابنتها جميلة تجلس في غرفتها، وعقلها مليء بأفكار متناقضة حول علاقتها مع أحمد. تفكر فيما إذا كان من الممكن لهم أن يكونوا معًا، متسائلة عما إذا كانت عائلتها الثرية، التي تمتلك قصورًا، وسيارات، وشركات في كل مكان، ستوافق على علاقتها بشخص بسيط مثل أحمد. وإذا كانوا سيوافقون عليها، فما الذي سيوافقون عليه بالضبط، وهم فقراء لا يمتلكون شيئًا؟... فقالت جميلة بداخلها، وهي تعبر عن حيرتها، وتردها:

_ لا مينفعش حقيقي، أكيد مامي، وبابي، وقمر الدين هيرفضوا بس انا شكلي حبيته بس... بس ايه؟ الحب مالوش قوانين! ما تقربي ايه المشكلة؟ بس هو متكلمش! هو لازم يتكلم؟ بس كرامتك وشكلك؟ لا أوعي تاخدي قرار انتي مش قده دلوقتي!

طرقت أم قمر الدين باب غرفتها، ثم دخلت بابتسامة، وقالت بلطف:

=حبيبة مامي...يلا الأكل جاهز !

جميلة بتعجب:

_معقول يا مامي طلعتي بنفسك؟

أم قمر الدين بابتسامة:

=لو انا مطلعش بنفسي مين يطلع؟ يلا يا روعي مستنينك تحت .

جميلة بابتسامة:

_أوكي يا مامي جايه وراكي .

نزلت جميلة إلى الطابق السفلي، حيث كانت تتواجد عائلتها في غرفة الطعام الفخمة. وكان والدها رجل الأعمال الثري، ووالدتها، وأخواتها يجلسون حول الطاولة الضخمة المزدانة بالأطعمة المتنوعة اللذيذة، بينما الخادmates يقفون حولهم لخدمتهم. مالت جميلة نحو والدها وقبّلته من خده بودّ، ثم قالت بهدوء، واحترام:

_صباح الخير .

ابتسم والدها، وقال:

=صباح النور... اقدي .

تحدث قمر الدين:

_تصوري يا ماما إن الشركات أسعارها ارتفعت... انا عارض شركتي للبيع من شهرين فاتوا تخيلي ببص لقيت شركات منافسه ليا بسعر أعلي، ده انا بحمد ربنا إني مبيعتهاش قبل ما أدخل في المنافسة التجارية معاهم !

أم قمر الدين بابتسامة:

=حبيب مامي... انت ذكي وانا واثقة إن أي حاجة هتعملها هتبقى في السما .

قمر الدين بابتسامة:

_حبييتي يا ماما .

تحدث علاء الدين ابنها الأصغر بتردد:

=ماما انا كنت محتاج مبلغ .

باسم بتعجب:

_ماطلب مني يا بني بتطلب من والدتك ليه؟

علاء الدين بتردد:

=عايز أجيب عربية جديدة بصراحة بس متردد شوية .

باسم بفضول:

_متردد ليه؟

علاء الدين بصراحة:

=خايف يعني أخسرها زي العربية اللي فاتت .

رد باسم بلا مبالاة، وهو يواصل طعامه:

_انت اللي متهور وبتجري بسرعة !

توقفت أم قمر الدين عن تناول الطعام، وقالت بغضب:

=لالا متقولش كده يا باسم... علاء ذكي جدًا، انا أولادي مفيش حد فيهم متهور هو بس شاب زي أي

شاب وانت عارف الشباب دلوقتي بيجروا قد ايه ومش بيخافوا .

ضحك باسم، وقال:

_هتفضلي طول عمرك تخافي على احساسهم مهما كبروا .

ردت أم قمر الدين:

=طبعا مش أولادي؟

بعد مرور شهر، قام المعلم حنفي بالتعاهد مع أم الديب على معاهدة صلح، وذلك من خلال تقديم هدية عبارة عن جلباب جديد، فمنحته تصريحًا رسميًا بالدخول، والخروج. وخلال هذا الشهر، كانت أم الديب ممتعة عن إثارة المشاكل مع جلال وزوجته. وفي أحد الأيام، وهي جالسة أمام التلفاز تتابع مسلسلًا تلفزيونيًا ومندمجة فيه، عاد جلال من عمله وفي يديه أكياس المشتريات، ودخل بها إلى الشقة، فقال ببساطة:

_ايه ياما؟

أم الديب بصوت حاد:
=اسكت خلينا نسمع الحلقة الجديدة .
جلال:
_طيب انا هطلع ياما .

قبل أن يخرج جلال من الشقة، وقفت أم الديب، وقالت بصوت حاد:
=استنى هنا!
ثم جلست على الأريكة، وهي ترفع حاجبيها، وواصلت:
_أما مسمعناش خبر يعني.
جلال بتعجب:
=خبر عن مين ياما؟
أم الديب بسخرية:
_مراتك المحروسة من العين.

جلال بامتعاض:
=عايزه ايه ياما من الآخر متلفيش وتدوري كتير عشان مقلبش عليكي !
أم الديب بفضول:
_البت حبة ولا لسه؟
جلال بتنهيده :
=لا ياما لسه.
أم الديب:
_ايهي مش عايزني أشيل عيالك يا ولا؟
جلال:

=ياما دي حاجه مش بإيدي ولا ايدها !
أرادت أم الديب أن تزيد المشاكل بين جلال، وزوجته عن طريق التحريض بالقول، فقالت بصوت
مُشوب بالتأنيب:
_متبقاش واد أهبل...سيبها يا واد وانا أجوزك ست ستهها، وهتجيبلك العيل من أول يوم.
جلال بعصبية:
=ياما اقلبي الحوار ده انا هطلع بدل ما أقل أدبي !
أم الديب بدموع تمثيل:
_يا عيني عليا ست كبيرة، و محدش عاوز يفرحني، والواد متجوز من شهر ومراته مجابتلهوش حنة
عيل... يا عيني عليا.
جلال بسخرية:
=وهي يعني ياما هتحمل وتولده في نفس الشهر؟ ياما ابعدني عن سكتي هبدأ أتعبط!
أم الديب بصياح:
_مآني معرفتش أربي بس ماشي انا وراكم والزمن طويل !

بعدما سعد جلال إلى شفته، أدرك وجود زوجته في حالة تعب شديدة، وهي تتقيأ في المراض، فوقف لحظة متردداً قبل أن يضع المشتريات جانباً، واتجه نحوها بخطواتٍ متسارعة تعكس قلقه العميق، وحنانه الصادق. وهو يتحسس حالتها بأنامل مضطربة، وترتسم على وجهه تعبيرات الخوف، والاهتمام المخلصة.. فقال:

=مالك يا بت يا ليالي؟

ليالي بإعياء:

_نفسي غم عليا يا جلال مش قادرة.

مد جلال يده لها، وقال:

=طيب قومي ناخذك للدكتور.

ليالي بإعياء:

_مش قادرة يا جلال.

أمسك جلال بيدها، وقال:

=قومي معايا بس... بلا !

بما أن باب شقة أم الديب دائماً مفتوحاً، رأت جلال يساند زوجته ليالي ويقدم لها الدعم، حتى خرجت لهم، وهي تضع يدها بجانبها، وتتنشمت بها كعلامة من الحديث المزعج. وقالت بنبرة ساخرة:

_على فين المحروسة جالها برد ولا ايه؟

جلال :

=انا مش هرد عليك ياما .

بعد أن نزلوا، وركبوا التوكتوك، توجهوا إلى عيادة الطبيب حيث جلسوا في انتظار دورهم بالقلق المتزايد. وعندما دخلوا إلى الطبيب، وجه سؤاله لزوجة جلال حول الأعراض التي تشعر بها، بينما يراقبهم بعين متدبرة، فقال بترقب:

_ها بتشتكي من ايه؟

ليالي بإرهاق :

=انا يا دكتور من امبارح وانا نفسي غم عليا اوي، ويرجع كل شوية، ومش طايقة ريحة الأكل، ودايخة اوي .

الطبيب بذهول:

_دي أعراض حمل!

ثم أشار بإصبعه على السرير، وقال:

_طيب اتفضلي هناك علشان نتأكد .

فرح جلال وشعر بتحسن في مزاجه، وكان يتمنى أن تكون زوجته حامل، حتى يتخلص من ثرثرة أم الديب اللا نهائية، وعلى وجهه ابتسامة خفيفة تعكس أمله الكبير، فقال ببهجة:

=يا مسهل الحال يارب .

كشف الطبيب على ليالي، وجلس على مكتبه، وقال:

_هتروحوا دلوقتي تعملوا تحليل دم... نص ساعة وهيطلع ترجعولي بيه تاني !

جلال:

=ماشي يا دكتور هنرجعلك تاني .

الطبيب باحترام:

_انفضلوا .

ثم توجهوا إلى معمل التحاليل، حيث كانت ليالي تشعر بالخوف من أن تؤلمها الإبرة، فقالت بتوتر، وقلق:

=آني خايقة أوي يا جلال .

جلال:

_متخافيش يا بت مش هتحسي بأياها حاجة !

جاءت الممرضة بإبرة التحليل، ورفعت كم ليالي بحرص، ثم قالت بلطف:

=افردي ايدك يا مدام .

نظرت ليالي بخوف، وتردد، وقالت:

_ماشي .

ثم أخذت منها عينة الدماء، وبعد مرور نصف ساعة من الانتظار، ذهب جلال، وزوجته إلى الطبيب لمعرفة نتيجة التحليل. نظر الطبيب بتردد للورقة ثم نظر إليهم بنظرة مترقبة، وقال بتوتر:
=الحقيقه إن المدام عندها نزله معوية، وشوية دور تعب....هيروح إن شاء الله بالعلاج ده .
يتبع.....

الفصل التاسع

الطبيب بتساؤل:

_ انتوا متجوزين من قد ايه؟

جلال بإحباط:

=شهر .

الطبيب:

_ متستعجلوش على الإنجاب لسه قدامكم وقت كثير .

جلال بضيق:

=شكرًا يا دكتور .

استلم جلال الروشتة من يد الطبيب، وعلى وجهه الامتعاض يظهر، وكأنه تعشم بحمل ليالي، ثم خرج.

فبكيت ليالي، وقالت له بصوت مهزوم:

_ مالك يا جلال بتبصلي كده ليه؟

جلال بصوت حاد:

=قدامي على البيت !

ليالي بانتحاب:

_ وانا مالي يا جلال؟

جلال بصوت حاد:

=ليالي هتعفرت عليكي! مش عايز نص كلمة... يلا !

وعادوا إلى منزلهم، فكان كل حرف من حديث أم الديب يخترق عقله وهو يتذكره بتمعن، بينما في اليوم التالي كان المعلم حنفي يحدث اللبنانية فيديو وهو جالس في جزارته، وفي تلك اللحظة الساحرة، انبثقت الابتسامة على شفاه المعلم حنفي، كماء النهر العذب يتدفق من قلب الربيع المنعش، فقال بصوت يشع نورًا:

_ صباح العسل .

اللبنانية بابتسامة:

=صباح الفل عليك .

المعلم حنفي:

_ مش ناوية تنزلي مصر؟

اللبنانية بتفكير :

=مو بعرف بس أكيد راح أفكر في هيك الموضوع .

المعلم حنفي:

_ لازم تيجي أمال مين يشوف الأهرامات؟

ضحكت اللبنانية، وقالت:

=أكيد راح آجي ونبرم سوا في كل الأماكن .

المعلم حنفي بسعادة:

_ ده انتي هنتوري الدنيا .

اللبنانية بابتسامة:

=ميرسي كثير، راح أفوت على الشغل... كثير اتأخرت على الميتينج .

المعلم حنفي بفرحة:

_وماله يا فرسة .

نظر المعلم حنفي حياله، فاستقبله صاروخ بلا دليل، ولكن هذه المرة بنت بلاده، فهي راقصة ترتدي الكساء الأسود، والكعب العالي، وتضع كيلوغراماً من المكياج على وجهها، والروج الأحمر يظهر من بعيد كإشارة المرور. وبعد أن استمر في التأمل معها، وخرج من جزارته، ومشى خلفها وهو يتحسس بيده على صدره ويضحك... فصاح بصوت مرتفع:

_ يا سلام على البلدي يكسب.

التفت البنت، وضحكت ضحكة فاسقة، وقالت:

=ابعد يا راجل بدل ما أنسل الكعب ده على بوز أمك!

المعلم حنفي بابتسامة :

_وليه الغلط يا فرسة؟ ده انا راجل تعبنا وشقيان حتى!

البنت بصوت حاد:

=ابعد عني لا أصوت وألم الناس وأقول بيتحرش بيا!

المعلم حنفي بابتسامة:

_ ده انا عايزك في الحلال حتى !

ضحكت البنت ضحكة وضيعة للمرة الثانية، وقالت:

=هيهيهيهيهيه يا حبيبي كان زمان وخلص .

المعلم حنفي:

_ اسمعي مني يا بت ده انا راجل جامد أوي وأعجبك !

كبحت البنت لبانتها، وبينما تتملكها حركات أنثوية ساحرة، خرجت كلماتها كأنغام قديمة ترنو نحو

الأعماق، قالت بصوت يتخلله لذة الإغراء:

=بص ياخويا انا هعمل معاك الصبح عشان شكلك راجل كبرت وخرفت .

ثم أخرجت الكارت من ملبسها، وأعطته للمعلم حنفي، وقالت باهتمام:

=ده رقمي وعنواني تيجيلي على الكبارية بالليل، ونشوف آخرتها .

رد المعلم حنفي بسعادة:

_ البلدي يكسب .

بينما صفق، انفجرت ضحكته بصوت عالٍ، كأنه يعزف سيمفونية من الفرح، في حين كان جلال وزوجته يصعدان على الدرج بخطوات كامده. وفجأة، خرجت أم الديب من شقتها ووقفت أمامهم، وبينما تتلأأ عيناها ببريق السخط، قالت بصوت يملؤه الثبات، والقوة:

=على فين يالا؟

جلال:

_ عايزة ايه ياما؟

أم الديب:

=تخلي مراتك تيجي تخدمني أمال رجلي يا ولا توجعني وملاقيش حد يساعدي وانا ست كبيرة
وتعبانة؟

ردت ليالي بجلبة:

_بقولك ايه يا حماتي لا ليكي دعوة بيا ولا بجلال، وعندك بناتك يخدموكي محدش قالك إنني الخدمة
اللي ابنك جابهالك!

ثم تركتهم وصعدت، وفي لحظة من السخط المتقد، نطقت أم الديب بصياح يخترق الهواء كالسيف الحاد،
وصدحت كلماتها بقوة تحطم الصخور:

=ايهي البت صوتها طلع وبتقل أدبها على حماتها وابني اللي عامل نفسه راجل م....

لم يتردد جلال ثانية في إخراج المطواه من جيبه. نطق جلال بصياح عارم، يكاد يقطع الصمت بحدته،
وهو يوجه المطواه ناحية أم الديب، كمن يلقي بكلماته كالصواعق المهولة:

_انا راجل غصب عنك ياما، ومراتي مش هتخدمك خلي بتينك يساعوكي .

أم الديب بصراخ:

=الحقوني ابني بيرفع عليا المطوى بدل ما يلطش مراته قلمين لا بيحي على أمه... أني هوريك انت
ومراتك !

دخل جلال شقة أم الديب، وكسر التلفاز بقدمه بكل انفعال، وغل، ثم خرج، وأم الديب تضع يديها فوق
رأسها، وتعول بشدة. تحدثت أم الديب بصوت ملئ باليأس والألم، وكلماتها تتراقص كالأموح المتلاطمة
في عتمة الليل:

_يا لهوتي .

أما نعمة، وهايدي خرجتا لفض النزاع، لكنها لم تتركه إلا وهو فريسة مستسلمة تحت يديها، فوجدت
نعمة نفسها في حيرة، فاتصلت بالمعلم حنفي، وقد فعلتها حيث قالت بصوت ينبعث منه القلق:

=ألو يابا الحقنا، أمي هاربه جلال ضرب، وحالفة ما تسببه... تعالى بسرعة!

بعد مرور خمس دقائق حضر المعلم حنفي وأمسك بأم الديب، وسحبها بقسوة، وحبسها في الغرفة،
وأغلق القفل عليها حيث نطق بصياح هائج، يرن كصدى زئير الأسد:

_في ايه؟ اطلع ياض عند مراتك يلا .

جلال بعصبية:

=ماشني يابا بس انا مش هسكت على اللي حصل ده .

كأنها غزت مملكته الخاصة، فقرر فجأة أن يستعين بوسيلة جديدة لإظهار سلطته، فاقتنى لها أسداً من
صديقه الذي يمتلك مزرعة لتربية الوحوش المفترسة. وفتح باب الدار مع ثلاثة رجال، يحملون
الصندوق الذي يحوي الوحش، ودخلوا الشقة وأفرغوا حمولتهم. وكان جلال يرتقب بفارغ الصبر ما
سيحدث، وبينما انطلق لشقته، أقفل الباب بحذر واتصل على نعمة. تحدثت جلال بصوت يرن كالهدير في
أعماق الظلام:

_بقولك يا نعمة !

نعمة بقلق:

=ايه ياخويا في حاجة ولا ايه؟

جلال:

_ اقلني باب أوضتك عليكي ومتفتحيهوش .

نعمة بدهشة:

=ليه؟

جلال بمكر:

_ هتعرفي بعدين اعلمي اللي قولتلك عليه ده .

نعمة بقلق:

=طيب سلام .

جلال بمكر:

_ سلام .

خرج المعلم حنفي من المرحاض وهو ينشد وعلى كتفه المنشفة، فإذا بصندوق ضخم مستور بغطاء من القماش يوجد أمامه. اقترب منه بحذر، حتى أزال الستار من فوقه، فاكتشف الأسد بداخله، فصرخ بشدة. نطق المعلم حنفي بصراخ يمزج بين الهلع، والدهشة:
=ياما الحقوني .

فتح المعلم حنفي غرفة أم الديب وترك المنزل، وهرب لجزارته، في حين لعب الأسد بأسنانه في باب الصندوق حتى انفتح وخرج منه، ليجد نفسه مقابلاً لغرفة أم الديب، فتوغل إليها بحذر متنقلاً بين أشلاء الظلام، وهو يزار بنبرة غاضبة تتراقص مع أصداؤها في أرجاء الغرفة. استيقظت أم الديب على صدح زئيره، فتجمدت في مكانها، معبرةً عن خوفها العميق، وبمجرد أن أدار الأسد ظهره لها، أفاقت من سباتها القاتم وأصبح الهواء يتغلغل في أنفها برائحة شديدة النتانة لا يمكن تحملها، فامتأ منزلها بالدخان المتصاعد، فسقط الأسد على الأرض، وفقد عقله، وفي شقة جلال كان يستنشق هو وزوجته الروائح النتنة المتناثرة في الجو، حتى وضعت ليالي يدها على أنفها، وقالت بصوت مكتوم مليء بالضيق:
_ ايه الريحة دي يا جلال؟ انا مخنوقه !

جلال باختناق:

=ايه الدخان اللي في الشارع ده؟

بعد أن خرجوا في البلكونة وجدوا أن هذه الرائحة تخرج من غرفة أم الديب، فنظرت ليالي حولها لتجد مصدر الرائحة، وبعيون ملتبهة من الدهشة، وهي تتأمل في كل زاوية من الشارع، قالت بصوت متعب مليء بالاستغراب:

_ الدخان ده جه منين؟

وضع جلال يده على أنفه، وقال:

=انا مش عارف أتنفس يا بت يا ليالي !

سعلت ليالي، وقالت باختناق:

_ ولا انا .

جلال:

=تعالي معايا بسرعة .

بينما كانوا يخرجون من منزلهم ويهربون، وصلوا إلى القاهرة، حيث تجمعت الناس إزاء منزل أم الديب، متوقعين حدوث حريق، فاتصلوا بالمطافي، ولكن عندما وصلت سيارة الإطفاء، لم تجد سوى أم الديب تتناول الطعام بسلام، والأسد ملقى على الأرض، فاتصلوا بالشرطة لتأخذ الأسد وتحقق في الموضوع. وصلت أم الديب إلى موقع البرنامج لإجراء حلقة تلفزيونية، فقالت المذيعة بحماس: _ حضرتك جاهزة؟ هنطلع هوا كمان دقيقة ونص .

أم الديب:

=وماله .

المذيعة :

_ ها خلاص؟

نطق المخرج:

_ أيوه واحد... اتنين... ثلاثة أكشن.

تحدثت المذيعة بطلاقة:

=أهلاً وسهلاً بكم في برنامج لقاءنا اليوم الحقيقة اللي حصل شيء غريب جداً ولا يستوعبه العقل، الحقيقة إن هناك سيدة مصرية من قرية مجاورة لمحافظة القاهرة تدعى قرية أبو حلاوة، السيدة دي من الواضح إن حد زق عليها أسد بداخل منزلها، ولكن الجيران اتفاجئوا بدخان خارج من غرفتها والأسد مغم عليه وطبعاً المطافي، والشرطة وصلت وبدأوا يحققوا في الموضوع بعد ما اكتشفوا إن مكنش في نار تسببت في الدخان ده، أهلاً بيكي السیده أم الديب، ممكن تفهمينا اللي حصل؟

أم الديب بكذب:

=بصي ياختي ابني بيكرهني هو ومراته وعايزين يموتوني .

المذيعة بتساؤل:

_ ابن حضرتك متزوج من شهر وشوية؟

أم الديب ببغضاء:

=أيوه بس مراته بومة هي وأهلها .

المذيعة بصدمة:

_ لو سمحتي من فضلك بلاش نخرج عن سياق الحديث بألفاظ خارجة!

أم الديب بكرهية:

=أني بس حبيت أعرفكم إنه عايز يموتني وأني كنت في المطبخ بعمل الأكل.

المذيعة باهتمام:

_ اتفضلي كملني .

أم الديب:

=جيب خضرة عشرة كيلو مآني اللي زرعه.

المذيعة بوجه عابس:

_ لو سمحتي كملني اللي حصل!

أم الديب بعفوية :

= غليته وحطيتله الملح، والكمون.

المذيعة بنبرة حادة:

_ من فضلك استكملي حديثك!

أم الديب:

= وضربته في الخلاط كان زي الزبدة.

المذيعة بإحراج:

_ لو سمحتي من فضلك كملي كلامك!

أم الديب:

= وشربته كله مرة واحدة.

المذيعة بإحراج:

_ طيب احنا هنطلع فاصل وهرجعكم مرة ثانية خليك معنا .

بعدها بدأت الإعلانات، ردت المذيعة بعصبية ملحوظة، حيث تواجهت بعيون منيرة، ونبرة صوت

متوترة:

= انتي يا ست انتي شكلك مجنونة ومش طبيعية، ايه اللي بتقوليه ده؟ انا دلوقتي بسألك عن تفاصيل

القصة انا مالي بسلفتي ولا كلتي ايه؟

أم الديب بابتسامة:

_ أجيبك كوباية منه؟

المذيعة بعصبية:

= يوه ايه يا أستاذ محمد الست اللي انت جاييها في البرنامج دي؟ دي حاجة تعصب بجد مش معقول

الاستفزاز ده!

رد المخرج:

_ طولي بالك شوية يا أستاذة سامية .

عادوا للبرنامج مرة أخرى، والمذيعة تحاول أن تتمالك أعصابها، فتغيرت ملامحها للأفضل، وظهرت

عليها ابتسامة مشرقة، وهي تلملم قوتها، وتقول:

= أهلاً بيكم ورجعناكم مرة ثانية، السيدة أم الديب هل الخلافات دي ما بينكم من زمان؟

أم الديب بصوت غاضب:

_ أمال ايه؟ ده الواد بيكرهني هو وأبوه. ده حتى أنني لسه غسله الكلسون بتاعه قبل ما آجي وناشرهوله

على الكنبة بس شكله لسه منشفش، قولت أجيبه معايا أوريهلمكم .

أخرجت أم الديب الكلسون المبتل بالماء من داخل كيس بلاستيكي أسود، وكانت تنفضه، وقطراته تتناثر

على وجه المذيعة مثل قطرات الفضيحة التي تسقط على سطح العفن، حيث قالت بصوت مليء بالثبات:

_ شايفين يا خلق؟ لا حد يقول إنني كدابة... ده أنني حطاهم في حباب عينيا، وشايفة طلباتهم، إكمني ست

غلبانة وطيبة، ده ربنا العالم .

ردت المذيعة بسخط، ووجهت نفسها للكاميرا، وهي تتصدى للموقف بقوة، وقالت بصوت ينطلق كالصاعقة:

=طب متشكرين جدًا لحضرتك نتمنى لجميع مشاهدنا بالسلامة، والعافية ونشوفكم في حلقة قادمة من برنامج لقاءنا اليوم... تصبحوا على خير .

انتهت الحلقة التلفزيونية، فبادرت المذيعة بالوقوف، وعلى ملامحها الغضب المُنين من أم الديب، وقالت:
_ انتي انسانة تافهة، ومتخلفة، وانا غلطانة إني طلعت مع الأشكال دي في البرنامج... مش معقول يا أستاذ محمد، ايه الناس دي جايهم منين بالظبط؟

رن هاتف المذيعة، فهذأت، وردت على والدتها، وهنا كانت الصدمة، المذيعة التي أجرت حوارًا تلفزيونيًا مع أم الديب، هي الابنة الأكبر لأم قمر الدين، فقالت سامية بسعادة:
=أيوه يا ماما عاملة ايه؟ وحشاني موت .
أم قمر الدين بابتسامة:

_ حبيبة قلب مامي فينك مين واخذك مني؟

سامية هي امرأة ذات جمال ملفت للنظر، ولاسيما أنها طويلة القامة حيث يبلغ طولها ١٧٩ سم، وتتميز بالكاريزما، والشهرة بين زملائها، فهي تعد شخصية بارزة في الدوائر الاجتماعية. وهي متزوجة من رجل ثري يُدعى (معتز)، وعلى الرغم من هذا الثراء، إلا أنهما لا يملكان أبناء، ووسط الحديث، كانت أم الديب تُصغي بانتباه شديد لما تقوله سامية مع والدتها، وفي ذلك السياق، قالت أم قمر الدين بتعبير مندهش:

=شكالك يا روجي كنتي طالعه هوا، هو انا أتوه عنك يعني؟
سامية بضيق:

_ أعمل ايه يا مامي بس؟ جاتلي ضيفة النهاردة شلنتني بجد، وبتقول كلام مقرف وغريب !
أم قمر الدين باهتمام:
=مين يمكن أسمع عنها؟
سامية باشمزاز :

_ ست فلاحه اسمها أم الديب... بس مقولكيش فظيعة كنت هموت على ايديها النهارده .
أم قمر الدين بتفكير:
=سمره وقصيرة كده صح؟
سامية بذهول:

_ أيوه يا ماما انتي شوفتي الحلقة ولا ايه؟
أم قمر الدين بابتسامة:

=خالص بس انا عارفاها معرفة شخصية... أرجوكي هاتيها معاكي وتعالى !
سامية بموجدة:

_ ايه يا ماما ده؟ مش معقول مينفعش أجيبها فين؟ دي فضحتني في البرنامج !
أم قمر الدين بإصرار:
=معلش يا حبيبتني خليها تيجي .
سامية بتفكير:

_ أوكي هحاول .
 بمجرد أن خرجت سامية بأَم الديب، انطلقت طلقات النار عليهم، وأصابَت الرصاصَة أم الديب، فسقطت،
 وصرخت سامية من هول المنظر، وحاولت مساعدتها، فقالت بنواح ممزوج بالصدمة:
 =أم الديب قومي هنروح في داهية!
 وإذ فجأةً، يتصل رقم مجهول على سامية. استجابت سامية وقالت بقلق، وتوتر:
 _ أبوة مين؟
 عند جلال كان يجلس مع ليالي في السيارة، حيث تَلَفَظَت زوجته بصوت مترقب:
 =احنا هنفضل في العربية يا جلال لحد امتي؟
 جلال بتنهذ:
 _ لحد ما نشوف ايه اللي هيحصل !
 ليالي بجوع :
 =ماتجيبنا أكل، وعصير وظبطنا بدل قعدتنا دي !
 جلال:
 _ خليك هنا متحركيش .

ردت ليالي:

=طيب .

خرج جلال من السيارة لإحضار الطعام، وبعد أن عاد وأعطاه لها، قال بابتسامة ودية:
 _ خدي يا بت .
 ابتسمت ليالي ومدت يدها بلهفة، وقالت:
 =انشالله يخليك انا جعانة أوي من بدري .
 رن هاتف جلال، فأمسك به وقام بالرد، فنطق بصدمة:
 _ ايه؟ أمي اتضربت بالنار؟ انا جاي على بيتنا .
 تحدثت ليالي بقلق، وهي تتناول الطعام:
 =في ايه يا جلال؟

أدار جلال محرك سيارته، وقال بخوف:

_ لازم نتحرك دلوقتي... أمي اتضربت بالنار .

شمتت ليالي في حماتها، وكانت تتمنى موتها بدلاً من ضربها بالنار، فحاولت أن تظهر متأثرة أمام
 زوجها، فقالت بصوت مليء بالزعم:

=يا عيني يا حماتي .

وتحدثت في داخلها، وعلى وجهها الابتسامة:

_ ياريتها كانت اتقتلت وارتاحنا منها .

عاد جلال، وزوجته إلى منزلهم، حيث أراد جلال معرفة ما حدث:

=أمي مالها حصلها ايه؟

المعلم حنفي بکراهية:

_انا ياض اللي عملت كده .

جلال بصياح:

=ليه يابا؟

المعلم حنفي بروح انتقامية:

_خليها تتربى...المرا دي عايزة كسر رقبتها .

جلال بصياح:

=يابا حرام عليك!

المعلم حنفي بدهاء:

_وانت ياض مش حرام عليك لما جيبتلها الأسد من صاحبك؟

ابتلع جلال ريقه بصعوبة، وتردد، وقال:

=انت عرفت منين؟

المعلم حنفي بابتسامة خفيفة:

_لا تكون ياض فاكرني عبيط بريالة...لا انا مفوق أوي!

جلال بصوت حاد:

=ماهو يابا أمي زودتها برضة !

المعلم حنفي بصوت حاد:

_يبقى متتكلمش ياض وكأنك متعرفش حاجة، ومفيش مخلوق يعرف!

جلال بقلق:

=ماشي يابا احنا هنطلع فوق .

المعلم حنفي بلا مبالاة:

_بالسلامة .

أخذ جلال زوجته برفق، وصعدوا معًا إلى شقتهم، بينما كانت أم الديب في المستشفى متعبة للغاية بعد

تعرضها للإصابة بالرصاص. وفي رحلتها تلك، كانت العائلة برفقة المذيعة سامية في وجود نعمة،

وهايدي، وأحمد. وبعد أن أبلغت سامية والدتها بما حدث لأم الديب، جاءت مخصوص من أجلها،

مصحوبةً معها ابنتها جميلة. وعندما اقتربت أم قمر الدين من أم الديب، قامت بتحية تلك السيدة، وهي

متأثرة جدًا بمرضها، فقالت:

=مليون سلامة عليكي يا أم الديب... بجد زعلت أوي لما عرفت اللي حصلك .

أم الديب بإعياء:

_تسلمي يا ست هانم .

كانت جميلة تلقي نظراتها نحو أحمد في تلك اللحظة، حتى لاحظت هايدي تبادل النظرات بينهما. في

حين قالت سامية:

=ماما أول ما عرفت جات عالطول .

أم قمر الدين:

_طبعا أم الديب غالية علينا كلنا .

ثم استخرجت المال من حقيبتها، فشعر أحمد بالإحراج يتسلل إليه وهو أمام جميلة، فتدخل مسرعاً، وقال:

= لا لا متشكرين لحضرتك احنا مش محتاجين فلوس !
أم قمر الدين:
_أوه ازاي بس؟ لازم أساعدكم .

أحمد بإحراج:

=متشكرين بس احنا معانا فلوس .
لكن هذا لا يُرضى طمع أم الديب، فقالت بصوت حاد:
_ماتسيبها يا ولا!
أم قمر الدين:
=بليز متكسفونيش دي حاجة بسيطة !

أم الديب بلطف:

_واحنا نقدر نكسفك برضة يا ست هانم؟
استلمت المال من يدها بسرعة قبل أن تغير أم قمر الدين رأيها! وفي ذات الوقت، لم يبدي المعلم حنفي أي اهتمام لتعب زوجته المريضة، بل كان همه الوحيد هو تذكر الموعد الذي اتفق عليه مع الراقصة، فوقف في مكانه مرتعباً، وبألم في قلبه قال:
=يا خبر أسود انا نسيت الراقصة!
ثم فر مُسرعاً نحو الكبارية، ولسوء حظه أن أم الديب قد خرجت بصحبة أبنائها وركبوا التاكسي في نفس الشارع. وعندما دخل المعلم حنفي إلى الكبارية، وهو يتلفت حوله بخوف جسيم، لم يكن يتوقع أن يصادف أم الديب بالصدفة! فنظرت أم الديب إليه بنظرات حادة، تعكس الانتقام:
_مش هو ده أبوكوا؟

نظر أحمد، وهائدي، ونعمة بتمعن إلى المعلم حنفي، وعندما تأكدوا من هويته، قالوا بصوت واحد:
=أبوه يا ماما .

أم الديب بصراخ:

_ده ليلته طين... أقف هنا بسرعة يا رجل انت، أقف بقولك!
توقف السائق عن القيادة، ونزلت أم الديب من التاكسي، وكان على وجهها بواذر الغضب. حاولت دخول الكبارية، ولكن منعها الحارس بصوت حاد، قائلاً:
=امشي يا حاجة من هنا... يلا!
أحمد بتردد:

_معلش من فضلك عايزين ندخل .

الحارس بصوت حاد:

=ممنوع الدخول... يلا امشوا!

أم الديب بنواح:

_الحقوني جوزي سكران جوا، جوزي بيخوني يا ناس...الحقوني .

هايدي بخوف:

=خلاص يا ماما يلا نمشي!

نعمة برهبة:

_يلا ياما الله يكرمك، احنا مش ناقصين مشاكل .

أخرج الحارس المسدس بحركة بارعة من جيب البنطال، وتصاعدت غمرة السلطة، والجبروت في وجهه، فظهر وكأنه حامي الكبارية بكل قوة. وبصوت ينبعث منه الحدة، قال بينما يتقدم بخطواته اتجاه أم الديب المستاءة:

=هضربكم بالنار لو ممشيتوش من هنا!

تراجعت أم الديب بخوف ملموس، وأمسكت هايدي بها، وباعدتها بعيداً عن الملهى الليلي، ووقفوا الأربعة بعيداً عن الضوضاء، والإثارة. وظلت أم الديب تنتظر لساعات طويلة في الخارج، حتى انقضت الساعات الأولى من فجر اليوم التالي، وحين خرج المعلم حنفي طارت نحوه بزجاجة مكسورة، شقت رأسه بقوة، صرخت هايدي، ونعمة بفرع، واندفع أحمد بسرعة ليقدم الدعم للمعلم حنفي، وصاح بصوت عالٍ:

_ايه اللي انتي عملتيه ده؟

ردت أم الديب بصراخ:

=أبوك خاين...ده أي هوريه اللي عمره ما شافه ولا هيشوفه!

نقل أحمد المعلم حنفي على وجه السرعة إلى المستشفى، وأرادت نعمة، وهايدي أن يرافقوهما، لكن قاطعتهما أم الديب بقوة، قائلة:

_رايحة فين يا بت منك ليها؟

ردت هايدي برهبة:

=هنروح معاهم .

تشبثت أم الديب بهم عنف من أيديهم، وقالت:

_مش هتروحوا في حطة، وهرجعوا معايا الدار، يلا بينا...يلا !

رجعت هايدي، ونعمة إلى المنزل بالإكراه، ووجدن أنفسهن مجبرين على البقاء برققة أم الديب. وعندما دخلت أم الديب إلى غرفتها وجلست على سريرها، دخلت بناتها الاثنتين وعلى وجوههم ملامح الغضب الواضح، فقالت هايدي بصوت جاف:

=مكنش ينفع اللي انتي عملتيه ده يا ماما!

أم الديب بغضب:

_بس يا بت، أي الرصاصة اللي دخلت فيا تاعباني، وعايظه أنام .

نعمة بخوف:

=حرام عليك ياما اللي عملتيه في أبويا ده، هو انتوا كل حاجة عندكم ضرب، أمال اللسان ده لازمته ايه؟

ردت أم الديب بصوت حاد:

_اخرسي يا بت، مسمعش صوتك انتي الثانية .

أجابت نعمة بغضب جسيم:

=انتوا بتعملوا في بعض كده ليه ياما؟

ردت أم الديب بجلبة:

_ راجل خاين يبص على كرشه اللي قدامه مترين، ولا كأنه واحده في شهرها التاسع يا بت!
نظرت حولها وتذكرت غياب جلال عن جانبها في هذه الظروف العصيبة، فتحدثت بصوت مليء
بالحسرة، قائلة:

_ أمال أخوكي ومراته فين؟

نعمة بتردد:

=فوق ياما .

أم الديب بخبث:

_ مجاش يشوف أمه يعني !

نعمة باستياء:

=معلش ياما هاتيا فيا !

أم الديب بكرهية:

_ جاتهم ستين داهية لما تاخدهم في ساعة واحدة !

بعد مرور شهر، هرب المعلم حنفي إلى تركيا بعد الأحداث التي وقعت بينه، وبين أم الديب في المرة
الأخيرة، فلم يعرف أحد وجهته. أما جلال، فكانت الحالة المادية له متردية للغاية، ولم يكن قادرًا على
توفير الاحتياجات الأساسية لزوجته. وفي هذا اليوم، وجد نفسه يجلس على الأريكة في شقته، متأملًا في
الأفكار، حيث قال بتأمل:

=الحالة مقشرفة أوي يا بت يا ليالي .

أجابت ليالي:

_ البيت ناقصه كتير يا جلال .

نطق جلال بإحباط:

=آني ممعايش جنية .

ليالي بضيق:

_ والحل ايه ياخويا؟

رد جلال بمكر:

=أمي زمان معاها قرشين مدكناهم .

نفوحت ليالي بتعجب:

_ وهتاخدهم منها ازاي؟

جلال بتخطيط لعين:

=اخدميا واحنا نطلع منها بقرشين .

ليالي بصدمة:

_ أخدم مين يا جلال؟ ماننت عارفني انا وأمك مستحيل تلمنا على بعض !

جلال بملامح كامدة:

=تعالى على نفسك عشاني يا ليالى .
بعد أن أقنعها جلال بتلك الخطة، أخذ زوجته ونزلوا لخدمة أم الديب، لكنها تعجبت لمجيئهم، فقالت
بدهشة:
_ ابهى غريبة جايب مراتك ونازل .

جلال بتمثيل:
=أبوه ياما ليالى بتحبك... انتي اللي ظالماها!
أم الديب بتعجب:
_ومن امتى الحب ده يا ولا؟
ليالى بابتسامة شيطانية:
=من النهارده يا حماتي .
أم الديب ببغضاء :
=اقعدي ياختي، ولا أقولك استني يا بت .
ونادت ابنتها نعمة:
=بت يا نعمة .
خرجت نعمة من غرفتها، وقالت باهتمام:
_ ايه ياما؟
أم الديب:
=نضفي الصالة وليالى هتنضف الأوض .
ليالى:

_ أني رايحة أنضف يا حماتي .
أثناء تنظيف ليالى للغرفة، اكتشفت مائة جنيه موضوعة تحت الوسادة. فأديرت وجهها بسرعة للتأكد مما
إذا كان أحد يراقبها أم لا، وبعد التأكد من عدم وجود أحد ينتبه لها، أمسكت بالنقود بسرعة وأخفتها في
ملابسها، ثم استكملت تنظيف الغرفة. وفجأة، شعرت ليالى بدوار قوي وغثيان، فخرجت مُسرعة من
الغرفة ودخلت المرحاض، وهي تصرخ من الألم، وعندما رأى جلال، ونعمة ما حدث، اقتربا منها
ليقدما لها المساعدة، وقال جلال بقلق، وانزعاج:

=مالك يا بت؟
ليالى باعياء:
_ تعبانة أوي يا جلال... داخنة .
جلال بتعجب:
=جالك نزله معوية زي كل مرة ولا ايه؟
ردت نعمة بخوف:
_ مالك يا ليالى مانتي كنتي كويسة .
تقيأت ليالى، فقالت نعمة بشك:
_ لا يا جلال مراتك فيها حاجة!

جلال:

=المرة اللي فاتت فضلت ترجع وبرضة الداكتور قال عندها شوية تعب وهتخف .
نعمة:

_ احنا لسه فيها يا جلال ناخذها ونروح للداكتور قبل ما الضلمة تهل !
أخذ جلال ليالي، وذهبوا لزيارة الطبيب برفقة نعمة، ولكن بعد إجراء التحاليل اللازمة، نظر الطبيب لحالتها، فقال:
=انتي جيتيلي قبل كده؟

ليالي بالم:

_ أيوه، آني يا داكتور نفسي غم عليا وبرجع، ومش طايقة الأكل!
جلال بقلق:

=ماتطمنا يا داكتور بدل ما حنا على أعصابنا!
الطبيب بابتسامة:

_ نتيجة التحاليل إيجابية... ألف مبروك .
جلال بفرحة:

=ايه يا داكتور يعني مراتي حامل؟
قرب الطبيب ورقة التحليل من جلال، وجعله يشاهد ما فيها، ثم قال بجدية:
_ أهو بص.... بس هي حامل في شهر ونص !
رد جلال بفرحة:

=ما تورينا السونار .

وقف الطبيب، وقال :

_ اتفضلي يا مدام على السرير .

ليالي بسعادة:

=ماشني .

وقف الجميع في الغرفة، وجلست ليالي على السرير بينما اقترب الطبيب بأداة الكشف، وبدأ في وضع
الجل على بطنها بحذر، ثم وضع الأداة وبدأ في تحريكها بلطف. وعندما ظهرت نقطة صغيرة على
الشاشة التي تعكس السونار، قال الطبيب بجديّة:

_ شايفين النقطة الصغيرة اللي هناك دي؟

جلال، ونعمة في آنٍ واحد بتمعن:

=أه .

رد الطبيب:

_ ده الجنين .

لم يقتنع جلال بحديث الطبيب وشعر أنه يمزح معهم، فرد بغضب متزايد:

=جرا ايه يا داكتور هو ايه اللي نقطة؟ فين الجنين؟

أخرج جلال المطوى من جيبه، ورفعها بغضب نحو الطبيب، فصرخت نعمة بفرح، وأمسكت ذراعه
بقوة، وقالت:

_ خربيتك هتعملنا فضيحة!

جلال باهتياج:

=انتي مش شايفه بيقول ايه؟

رد الطبيب بصياح:

_من فضلك نزل اللي في ايدك ده...انا ممكن أعملك محضر تعدي على طبيب أثناء عمله .

وقفت ليالي بسرعة، واعتذرت للطبيب، فقالت:

=احنا أسفين يا دكتور !

جلس الطبيب بغضب على كرسيه في مكتبه، وأخرج الورقة، والقلم بحرص، وبدأ في كتابة النظام الغذائي بينما يبيض جبينه بالاستياء تتسارع أنامله فوق الورقة وقتما حاول ترتيب الأفكار، وتحديد الخطوات اللازمة، ثم ألقى نظرة حادة نحو جلال، ونعمة، وقال بصوت ينطلق منه طابع الاستياء، والتحذير:

_على العموم انا هكتبك على نظام غذائي، ولو هتيجي ببقى من غير الأخ ده .

جلال بصوت حاد:

=ما جرا ايه يا معلم ما تعدل نفسك لا أشقك نصين !

الطبيب بغضب:

_احترم نفسك !

نشبت نعمة بيد جلال بقوة، وأخرجته خارج الغرفة بسرعة، محاولةً حمايتهم من أي جريمة قد يقترفها،

فأجاب جلال بعصبية متزايدة:

=أو عي يا بت...انتي مش شايفة بيتكلم ازاى؟

في الداخل أخذت ليالي الروشته، وقالت بإجراج:

_انا أسفة يا دكتور حقك على راسي، متزعلش مننا .

ثم خرجت عقب جلال، ونعمة بعدما غادرا الغرفة، وعادوا إلى المنزل. وعندما وصلوا وبدءوا في

صعود الدرج، وجدوا أم الديب تنتظرهم، والفرح يملأ وجهها بالكامل. حيث قالت بتطفل، وسعادة

مفرطة:

=كننتوا فين؟

نعمة بسعادة:

_كنا بنكشف على ليالي ياما .

وضعت أم الديب يدها في خصرها، وردت بسخرية:

=سلامتها المحروسة .

جلال بفرحة:

_باركيلها ياما !

أم الديب بضحكة سخرية:

=أباركلها على ايه يا ولا؟

جلال بسعادة:

_ليالي حامل ياما .

أم الديب بصدمة:
=حبله من مين يا ولا؟

امتألت ليالي بالكراهية، والانزعاج أكثر من السابق، حيث انعكس استيائها بوضوح على ملامحها،
وأصدرت كلماتها بصوت حاد ينم عن الاستياء:
=شاييف اللي أمك بتعمله يا جلال؟
جلال بغضب:

_ ما جرا ايه ياما ايه اللي بتقوليه ده؟
أم الديب بكراهية:
=اتأكد يا ولا متبقاش عبيط ومغفل .

صاحت ليالي في جلال، وقالت:
=شاييف أمك؟ انا طالعه شقتي .
وتركتهم وصعدت كامدة، فنطق جلال بصوت حاد:
_ ماشي ياما شوفي مين هينزلك ولا يبص في وشك من بعدنا!
أم الديب بضجيج :
=في داهية ياخويا .

ثم أوصدت الباب بقسوة في وجه جلال، وبينما صعد جلال الدرج وجلس بجانب زوجته على الأريكة،
أطلق عليها ابتسامة بهجة وقال لها بسعادة لا متناهية:

_مبروك يا بت...ياه أخيراً هبقى أب!
ليالي بنفور:

=ابعد عن وشي يا جلال .
جلال بدهشة:

_مالك يا بت حد داسلك على طرف؟
ليالي بحزن:

=أمك بتغلط في حقي يا جلال... يرضيك اللي قالته عليا ده؟
جلال:

_انتي عارفة أمي مخها مقفل .
ليالي بانفعال:

=لأ وكمان هتيجي الصبح تنده عليا زي كل يوم .
نطق جلال:

_لا تنده عليك ايه يا ليالي؟ انتي متتحركيش من السرير لحد ما يجي الواد !
ردت ليالي:

=خلي أمك هي اللي تخدمني .

بعد أن فكرت ليالي في حديثها، تراجعت عن التصريح به خوفاً من أن تؤذيها أم الديب في جنينها
المتكون، كانت كلماتها تتردد كأوراق الخريف في رقة وهشاشة، تحمل عبء القلق المتزايد:

_ولا أقولك بلاش لا تسمني انا واللي في بطني .

ضحك جلال فقال بسخرية:

=انتي عبيطه يا بت؟ أمي هتموت حفيدها؟ ده هي اللي كانت بتزن على وداني كل يوم !

ليالي بدلال:

_طيب لو قربت مني محدش يلوم إلا نفسه!

جلال بابتسامه :

=لا يا حلوة محدش هيقرب منك .

اليوم التالي في الصباح الباكر عند الساعة السابعة صباحًا، استيقظت أم الديب من نومها بثبات ملحوظ،

ووقفت على السلم بكل ثبات، ونادت ليالي بصوت مرتفع يحمل تسلطها، كمن ينبئ بقرارات لا جدال

فيها ولا تردد:

_بت يا ليالي...انتي يا بت سلامة دباح الحمير... ايهي انتي يا بت...ما تفتحي بابك وتردي عليا... يا

ليالي!

خرج جلال من شفته وهو ناعس، ونظر لأم الديب من بئر الدرج، وقال بصياح:

=هو انتي كل يوم ياما هتندهي على ليالي؟

أم الديب :

_خلي البت تيجي معايا تحلب البقرة.

جلال بصياح:

=ياما، البت حامل وممنوعة من الحركة... يعني اعلمي حسابك تمن شهور هتفضل نائمة في السرير !

أم الديب بكيد:

_ومتساعدنيش ليه بت دباح الحمير؟

جلال بصياح:

=جرا ايه ياما؟ ما تفكك من حمايا مالك وماله بتناكفي فيه في الرايحة والجاية ليه؟

صعدت أم الديب بثبات إلى شقة جلال، في حين خرجت ليالي من شقتها، وهي تضع يدها برفق على

بطنها المنتفخ، وفي لحظة من الهدوء، قالت بصوت ناعم يعكس الرقة:

_صباح الخير يا حماتي.

أم الديب باشمئزاز:

=أهلاً ياختي.

جلال بتعجب:

_قومني من على السرير ليه يا ليالي مش الداكتور قالك متتحركيش؟

ليالي بصوت ناعم، وهي مازالت تضع يدها برهة على بطنها المنتفخ، وأعدت القول بلطف:

=يا جلال انا حامل ولازم أرتاح، وانت أمك عاملاي دوشة كل يوم، يرضيك الواد يتعب؟

جلال بصوت حاد:

_لا ميرضنيش... يلا انزلي شقتك ياما

أعوجت أم الديب فمها، وتحولت نظراتها للشر ببرودة مُخيفة، ثم قالت بغضب يعكس قسوتها:

=ايهي ده بيتي مش بيتها يا ولا، أعمل دوشة براحتي واللي مش عاجبه ينط في البحر مش يشرب منه !
جلال بضجيج:

_انزلي تحت ياما، واتقي الشر!

أم الديب بصياح:

=آني هطين عيشتكم...بقي بتعمل كدهو عشان بت سلامة؟

ليالي بلا مبالاة:

_ماله أبويا يا حماتي؟ ماهو الراجل اللي رباني وكبرني لإبنك.

أم الديب بكراهية:

=محدث عايزك، ياما قولتله البنات على قفا من يشيل بس انتي اللي سحراله.

ليالي بتجاهل:

_بيحبني يا حماتي بقي.

جلال بصياح:

=كل واحده تدخل شقتها بدل ما أطلع المطوى من جيبي، ومش هيهمني حد!

وفجأة سمعوا صدح شخص يفتح باب المنزل ويصعد على الدرج، فتوجه نظر أم الديب بحيرة،

وتوسعت طبله أذنيها، وسرعان ما نزلت الدرج وخلفها جلال، وزوجته، وكانوا جميعًا مندهشين!.

الصدمة أصابتهم عندما اكتشفوا أن الراقصة المصرية التي عرفها المعلم حنفي هي التي دخلت منزلهم.

يتبع.....

الفصل العاشر

جلال بتعجب:

_ انتي مين يا ست؟

ضحكت الراقصة ضحكة وضيفة، وقالت:

=انت اللي مين ياخويا؟ ومين الولية المكوره دي؟

مضغت علكتها بهدوء، ثم اقتربت منها أم الديب، وقالت بصوت متهور، وملية بالغضب:

_ هي مين اللي ولية مكوره يا بت الـ***؟

الراقصة بسخرية:

=يالهوري دي بتشتمني! لا بقولك ايه يا حاجة شكلك كده خدامة هنا... اجري هاتيلي كوباية ليمون

جري .

أم الديب بإعوال:

_ يا خرابي بتتهجم عليا في بيتي! الحقوني يا ناس .

جلال بوعيد:

=اطلعي برا يا ست بدل ما أشقك نصين!

طارت أم الديب فوق الراقصة كالتائر المفترس، وبينما تتراوح في هذه الحالة الهستيرية، نزعت بعنف

الباروكة الاصطناعية من رأسها، مما أدى إلى سقوطها بقسوة على الأرض، وهي ما زالت تضربها

بوحشية لتفكيرها الخاطئ بأنها طائر وليست إنسان. ومع تزايد صراخ الراقصة في كل ضربة، أتى

الجيران بالشرطة التي أحضرتها إلى القسم، فوجدت أم الديب نفسها أمام الضابط، تبكي بشدة كمظلومة

في الأمر، بينما يتعجب الضابط من تكرار مجيئها المتواصل، يعكس غرابة الموقف وتصرفاتها

العنيفة... فقال:

_ ايه ده هو انتي يا ست كل شوية جاية في مشكلة شكل؟

أم الديب ببيكاء:

=ضربتني يا سعادة الباشا... اتعديت عليا في بيتي وهدمتني العافية!

الراقصة ببيكاء:

_ كدابة محصلش، ده هي اللي ضربتني وبهدلتني، حتى شوف .

وأرته الكدمات التي بجسدها، فقال الضابط:

=نفهم الأول سبب المشكلة .

بعد مرور ربع ساعة من الجدل الناري بينهم، بعد أن حكى كل طرف ما حدث من وجهة نظره، تحدث

الضابط بصوت حاد ينم عن الحزم، والوضوح:

_ خد الاتنين على الحجز .

تدخل جلال في الحديث، وقال:

=يا سعادة الباشا أمي ست كبيرة ومش هتستحمل!

الضابط بسخرية:

_ ده احنا اللي مش هنستحمل، شكلكم ناس لبط .

خرج جلال من القسم، واتصل بخاله المُصلح الاجتماعي أبو محمد، وبعد أن حكى له كل ما حدث من البداية للنهاية، غضب أبو محمد غضبًا شديدًا، وفي صوته بريق من الحزم، قال:
=يا ولدي انا قولت لأمك تبطل مشاكل! هو مفيش فايده فيها?
جلال بيأس:

_يا خالي طلعتها انت بس، وملكش دعوة!

أبو محمد بحزم:

=المحامي معانا يا ولدي، بس والدتك انا ليا كلام تاني معاها .
جلال باختناق:

_خلصنا بس من الحوار ده يا خالي !

حضر أبو محمد بالمحامي وأخرج أم الديب من السجن، كان يسير بجانبها والكمد يملأ قلبه ويعكس ذلك في خطواته الثقيلة، وفي نبرة صوته المحمومة، والحادة، فقال بصوت متجدد للتأكيد على استيائه من الأحداث:

=انا عملت اللي عليا وبزيادة يا أختاه، ولو رجعتي للمشاكل يبقى لا انتي أختي ولا أعرفك، استغفر الله العظيم .

ثم تركهم، وغادر المكان، فصرخت أم الديب قائلة بنواح:

_الراجل متجوز عليا، و مقرطسني مع الرقاصة .

جلال بتعجب:

=ايه ياما اللي بتقوليه ده؟

أم الديب بصوت غليظ:

_أبوك مقرطسني يا ولا... أني هطير رقبتة وهعرفه مين هي أم الديب .

جلال بلا مبالاة:

=ما أبويا عنده حق... انتي ياما اللي منشفاها عليه في كل حاجة .

أم الديب بنظرة حادة:

_انت بتنحاز لأبوك يا جلال؟

جلال بجرأة:

=أه ياما .

وغادر هو الآخر، فصرخت أم الديب مجددًا:

_يا ناس الحقوني، يا خرابي، جوزي طلع خاين، ماهو ديل الكلب عمره ما يتعدل، وأني بقى هقطعلك ديلك دهو .

في خضم مرور شهر، بقي المعلم حنفي مفقودًا في أرجاء البلاد البعيدة، حيث لا يعرف عنه أحد، وبينما تتقدم ليالي في الشهر الثاني من حملها، وجدت نفسها مقيدة بعادة النوم في السرير طيلة الليل، والنهار، مما لم يكن يلقى استحسانًا من أم الديب، فإنها تطمح إلى رؤية شعورها بالذل، والإهانة. وبهذا، فانتقلت كلمات أم الديب إلى جلال قائلة:

=مراتك ما بتنزلش تخدمني ليه؟

جلال بعصبية:

_ يوه ياما انتي كل ما هتشوفيني هتقوليلي نفس الكلمتين؟

أم الديب بحزن:

=إبوا يا ولا أصلك انت عيل مش عارف تحكم على مراتك تنزل تساعدني...مآني اللي معرفتش أربي وأطلع رجالة... يا عيني عليا .

جلال بصياح :

_ياما لو قولتي الكلام ده تاني انا هدغدغ الدنيا، ومش عايز ياما أمد ايدي عليكى!

صعقت الديب لما قاله جلال، فصاحت به، وقالت:

=تمد ايديك على أمك يابن الكلب؟ ده انت أبوك هريان برا زي فار الجحر...أبوك الجبان اللي ميسواش نكلة في سوق الرجالة، ما لازم تطلعه تربية قذرة!

دخلت الوالدة المتسلطة غرفتها، أما جلال صعد إلى شقته، فوجد ليالي مستلقية على السرير وتتناول الفاكهة ببطء. وبمجرد دخول جلال وجلوسه بجانبها، قالت له بلطف:

_مالك يا جلال، راجع وانت شايل طاجن ستك ليه؟

رد جلال بتنهد:

=هو في غيرها اللي بتحرقلي دمي؟

غضبت ليالي، وقالت بانزعاج:

_تاني؟ هو ايه مفيش فايدة فيها؟

رد جلال بضيق:

=هتعيش وتموت زي ماهي... ده انا ربنا يعيني !

بينما في الطابق السفلي، حيث كانت تقوم هايدي بالاستعداد لامتحانات الثانوية العامة في غرفتها، دخلت أم الديب محملة بطبق الفراخ المذبوحة، وللأسف، كانت الدماء تتناثر على صفحات كتاب اللغة العربية الفصحى. انفجرت هايدي غضباً وصرخت بوجه أم الديب، ثم وقفت غاضبة، ونطقت قائلة:

_ايه القرف ده؟ كتابي باظ بسببك، يا نهار أسود ومنيل! ده انا اشتريته بالعافية...أعمل ايه دلوقتي؟

ردت أم الديب بصياح:

=سيبي المخروب دهو، وقومي معايا يا بت عشان تنتفي ريش الفراخ اللي هتطفحوها !

بكت هايدي من شدة اليأس بسبب فقدانها للحيلة، وعندما سمعت نعمة صوت انتحابها، دخلت إليهما

الغرفة. فردت أم الديب بصوت غليظ، كان يحمل طابع القسوة:

_انتحنحي يا بت...لعلمك أنني مبحبش دلح البنات دهو... انا أمي ربنا يديها الصحة لما كانت واحدة فينا تنزل منها دمة كانت تجيب الخشبة وتكسرها فوق نفوخها .

صرخت هايدي في وجه أم الديب:

=ده تخلف... انا كرهت المذاكرة، مش عايزة أذاكر، يوه بقى انا زهقت، زهقت !

خرجت هايدي من الشقة وهي تصدح، وعندما وصلت إلى سطح المنزل، كانت تبكي بحرقة. في هذا الوقت، قالت نعمة بصوت مليء بالتعاطف:

_حرام عليكى ياما، كده كسرتي بخاطرها بدل ما كنتي قولتيلها كلمتين حلوين؟

خرجت نعمة وصعدت خلف هايدي حتى وصلت لسطح المنزل، ووضعت يدها بلطف على كتف أختها، ثم قالت بصوت هادئ، ومعاً بالحنان:

_يا هبله انتي هتاخدي برضة على كلام أمك؟

بكت هايدي، وقالت:
 =وانا أعمل ايه بس في الكتاب اللي اتغرق دم بسببها، دي مش عايضة تسييني في حالي أبدًا، وطول الوقت حرقة دم، وقرف .
 عانقت نعمة أختها هايدي، وقالت بحنان:
 _حقك على راسي من فوق يا هايدي... شدي حيلك وهاتي مجموع عشان تدخلني كلية حلوة يا بت وترتاحي من أمك ومشاكلها !
 بكت هايدي فقالت بإحباط:
 =الله أعلم بقي، ده انا بالشكل ده مش حصلت معهد سنتين حتى .
 رن هاتف نعمة، فردت باهتمام:
 _اهدي بس يا هايدي ليها حل...ألو .
 بينما وقف حامد في مكان عمله، أمام عربة الكبدة والسجق البلدي، ردّ قائلاً:
 =ازيك يا نعومي؟

ردت نعمة بكمد:
 _جاي تفكرني دلوقتي يا حامد؟ بقالك شهر مابتدش على اللي جابوني، ده انا قولت شكله اتجوز وطلعتني من دماغه !

رد حامد بابتسامة:
 =وانا أقدر برضة؟ انا بس كان في شوية حوارات في البيت كده، والدنيا كانت والعة حريق .
 ردت نعمة بخوف:
 _يا ساتر يارب ايه اللي حصل بس؟
 أجاب حامد بحزن:
 =فاتحت أبويا، وأمي في الموضوع...أبويا معندوش مشاكل، لكن أمي مش موافقة .
 ردت نعمة بحزن:
 _مش موافقة ليه؟ هي كانت شافت مني حاجة وحشة؟
 رد حامد في حين هو يُقلب الكبدة في الطاجن:
 =لا يا نعومي، الوحش اللي بتقولي عليه ده، شافته من أمك مش منك انتي .
 ردت نعمة بحزن:
 _وهي لسة مش قادرة تنسى اللي حصل برضة؟

رد حامد، وهو يضع الكبدة بداخل الخبز:
 =أه ومش هتنسى... مفيش غير اننا نصبر شوية، وانا كل يوم هزن عليها لحد ماتوافق .
 نزلت دموع نعمة غصباً عنها، فقالت:
 _منك لله ياما، طول عمرك نقطة سودة في حياتنا .
 في آخر يوم للاختبارات الجامعية، خرجت جميلة من مدرجها، لتجد أحمد ينتظرها في الخارج بشغف.
 فتعجبت من رؤيته، وابتسمت وهي تقترب منه، وقالت بدهشة:
 =أحمد؟ غريبة يعني؟

رد أحمد بابتسامة:

_ علفكره هي مش صدفة انا اللي قاصد آجي .

ردت جميلة بخجل:

=ليه هو في حاجة؟

تردد أحمد وصمت قليلاً ليفكر، فقال:

_ ممكن نتكلم شوية؟

ردت جميلة:

=أه أوكي... اتفضل .

أشار أحمد بيده لجميلة، دللاً على الاتجاه الذي سيسلكونه، ووجهه ابتساماً ودودة. ردت جميلة بالضحك وبدأت تسيير أمامه، حتى وصلوا إلى كافيتريا الجامعة. وكالعادة، قام أحمد بسحب كرسي لجميلة قبل أن تجلس. وبعد أن جلست، قالت له بابتسامة:

=ميرسي .

جلس أحمد أمامها، وقد بدا وجهه مليئاً بالتفكير، وعلى محياه لمعة خافتة تكاد تكشف عن سر الأنفاس التي تكبت داخل صدره. كان ينظر حوله بقلق، وهو يبحث في عيونها عن إجابة لأسئلته الكامنة. وبينما كانت الكلمات تتلوى في ذهنه برغبة ملحة في الاعتراف بمشاعره، ظل محافظاً على صمته الممتد. لكن في عمق قلبه، كان يتربص اللحظة المناسبة ليخرج بها الحب الذي كان يختبئ في أعماقه... قالت جميلة بقلق:

_ ممكن تتكلم؟ انا بجد بدأت أقلق!

تلجلج أحمد في حديثه، وقال:

=انا يعني... انا... انا عايزك في موضوع مهم يا جميلة، وخايف بصراحة... بس قبل أي حاجة لو انتي مش موافقة بلاش يكون الرد قاسي وانا هفهم من غير أي حاجة .

تعجبت جميلة، فقالت بفضول:

_ أوكي اتكلم !

رد أحمد، وهو يشعر بالخجل:

=جميلة انا معجب بيكي من زمان، وبحبك، ويعني... انا عارف إن الفرق بيننا كبير، فرق السما من الأرض ويمكن دي الحاجة اللي مخلياني مش قادر أتكلم بعين قوية، فلو انتي بتبادليني نفس المشاعر هكون مبسوط جداً، ولو مش بتبادليني فانا أكيد مش هجبرك عليا بالعافية وانتي أكيد قصادك الأحسن مني بمليون مرة .

ردت جميلة بابتسامة، وهي تحني رأسها للأسفل بخجل:

_ مين قال إن انا هرفض؟ انت بجد شخص كويس جداً وأي بنت تتمناك .

رد أحمد بوجه حزين:

=انا مش حابب إن يكون ده الرد يا جميلة، انتي موافقة عشان انا شخص كويس، ولا عشان بتحبيني؟ صممت جميلة، ولم تظهر على وجهها أي علامة تدل على مشاعر مماثلة. شعر أحمد بأنها لا تشاركه نفس الشعور، فوقف وهو يبتسم ابتسامة ممزوجة بالحزن، وقال بلطف:

=انا عرفت الإجابة، انتي مش محتاجة تتكلمي .

وقبل أن يغادر، ردت جميلة:

_ انا كمان بحبك!

التف أحمد، وهو مذهول، فضحك، وقال:

=بتحبيبي بجد؟

هزت جميلة رأسها وضحكت، فجلس أحمد مرة أخرى، وقال:

=بتحبيبي بجد، ولا بتجامليني عشان ميتكسرش بخاطري؟

ردت جميلة بتردد:

_ الحب مفيهوش مجاملة، ده قرار مصيري!... بس...

رد أحمد بدهشة:

=بس ايه؟

ردت جميلة بإحباط:

_ انا كدة هدخل في حرب قوية مع عيلتي، وانا مش حابة أخسرهم، وبرضة مش حابة أخسرك انت

كمان!

رد أحمد:

=بس اللي بيحب بيحارب، مبيستسلمش للظروف .

ردت جميلة:

_ ده حقيقي... بس انا هفتح الموضوع مع عيلتي وهعرف رأيهم ايه، وبعدين نشوف هنعمل ايه .

رد أحمد بحزن:

=بس انا معايش فلوس دلوقتي... بس أو عدك ان انا هيكون معايا قريب .

ردت جميلة:

_ سوري انا مبرتبطش .

وقفت جميلة، فنشب أحمد بيدها، وقال:

=وانا مش عايز أرتبط بيكي يا جميلة، انا عايز أتجوزك، بس ممكن تديني فرصة؟

ردت جميلة بحيرة:

_ حتى لو مش معاك فلوس، لازم تكلم بابي... لكن انا مش هقدر أرتبط بيك .

أجاب أحمد بابتسامة:

=خلاص يا جميلة، ياريت تكلمي طنط بسملة في الموضوع ده، وانا لو حسيت إن في موافقة هاجي .

ضحكت جميلة، وقالت:

_ خلاص أوكي .

رد أحمد بابتسامة:

=ممكن تقعدني بقي؟

جلست جميلة للمرة الثانية، وبعد مرور ساعة عادت إلى منزلها. فوجدت والدتها تجلس في حديقة

المنزل، وتحتسي النسكافية. اقتربت جميلة من والدتها وعانقتها بحنان، ثم جلست بجوارها ووضعت

ساقها فوق الأخرى بانسيابية. في هذا الوقت، قالت أم قمر الدين بحنان:

_ هالو يا قمر... جي تي امتي؟

جميلة بقلق:

=دلوقتي يا مامي .

أم قمر الدين بحنان:

_طب ايه يا روح مامي أجيبك حاجة سريعة لحد ما الغدا يجهز؟

جميلة بابتسامة:

=لا يا حبيبتي ميرسي .

شعرت أم قمر الدين بانغماس غموض يلف حول جميلة، ابنتها العزيزة، كأنها تخفي سرًا ما في أعماق قلبها. بينما تطل عليها بعينين ممتلئتين بالحنان، والاهتمام، انطلقت كلماتها برقة مفعمة بالشوق:

_مالك مشغولة بايه؟

جميلة بتردد:

=مامي كنت عايزه أكلمك في موضوع بس

أم قمر الدين:

_بس ايه؟

جميلة بتردد:

=يعني كنت ...

أم قمر الدين بتعجب:

_كملي يا حبيبتي مالك!

جميلة بجرأه:

=مامي انا جايلي عريس .

ضحكت أم قمر الدين، فقالت:

_أوه ده حقيقي؟

جميلة بخوف:

=أيوه .

أم قمر الدين بشوق:

_مين سعيد الحظ؟

جميلة بتردد:

=أحمد ابن أم ...

أم قمر الدين بتعجب:

_كملي يا بنتي مالك؟

جميلة بخوف:

=ابن أم الديب !

وقفت أم قمر الدين مذهولة، فظلت تتلفت حول نفسها بدهشة، لا تصدق ما سمعته من ابنتها. ثم صاحت بصوت ينطلق من أعماقها بقوة:

_أوه...لا... انتي بتهزري؟ دي ست بيئة أوي، دي هتفضحنا وهتخلي راسنا في الأرض !

جميلة بنبرة خائفة:

=يا مامي ملناش دعوة بيها خلينا في العريس...هو مش هيفضحنا أوكي؟

أم قمر الدين بصراخ:
 _نوو... لا لا لا... مش معقول انتي مفتنعة باللي بتقوليه؟ دول ناس وحشين موت وبلدي!
 جميلة بإصرار:
 =يا مامي انتي شايعة الموضوع بصورة غلط، لو جيتي مكاني هتعرفي إن الحياة غير كده، وهو شخص
 كويس ولطيف أوي .
 أم قمر الدين بصدمة :
 _تجوزي واحد أمه تقي أم الديب؟ مش معقول أصلاً... ازاي هفاتح باباكي في الموضوع ده، ده
 هيموتنا !

شعرت جميلة بحزن جسيم يسكن قلبها في تلك اللحظة المريرة، وفقدت الأمل في أن تتحقق أحلامها
 بالزواج ممن تحب. وفي اليوم التالي، كانت أم الديب بالمطبخ، تجهز وجبة أبو قردان، والأرز،
 والبطاطا، مع بعض أوراق الجرجير. وفي هذا الوقت، عاد جلال وزوجته من زيارة الطبيب، ودخلوا
 المطبخ. ولكن بدلاً من الترحيب بالضيوف، زادت حدة نار غضب أم الديب عند رؤيتهم، وصاحت
 بسخط:
 =كننتوا فين؟

وضعت ليالي يدها على بطنها، وردت بصوت خافت:
 _كنا عند الداكتور يا حماتي... أصل تعبانة أوي .
 نظر جلال لأبو قردان بتعجب، وقال:
 =ايه ياما انتي جايبه الفراخ دي منين؟
 أم الديب بنبرة جافة:
 _دي فضلة خير ييا ولا... يلا اطلع شفتك وخذ مراتك .
 جلال بتعجب:
 =اشمعنا وقت الأكل ياما؟
 أم الديب بصوت حاد:
 _وانتوا مالكم؟ أي اللي تعبت في الأكل يبقى محدش يلمس منه حته، فاهم ولا لا؟
 جلال بنفور:
 =يا ساتر عليك ياما .
 وضعت أم الديب البصل في المرقعة، وقالت:
 _وانتي يا بت يا ليالي تبقي تنزلي بكره الصبح تغسليلي الشقة... عايزاها بتبرق .
 ليالي بدلال:
 =لا يا حماتي ده كان زمان... إنما دلوقتي انا أنام في سريري واللي أشاور عليه يجي لحد عندي .
 جلال بابتسامة:
 _حقك يا بت أمال الواد اللي في بطنك يضعف؟
 أم الديب بغيرة، وحقق:
 =ايه هو مفيش واحدة حبله غيرها ولا ايه؟ مآني كنت حبله فيك من ثمانية وعشرين سنة، وبحلب
 البقر، وطالعة نازلة، ونازلة طالعة... بلاش دلح ماسخ!

ليالي بلا مبالاة:

_ انا طالعة يا جلال متنساش تجيب العلاج بتاعي من الأجزخانة .
صعدت ليالي الدرج ببرود، ولا مبالاة، وهي تضع يدها بحرارة على بطنها المتضخم، بينما كانت أم
الديب تنظر لها بكرهية شديدة، كما لو كانت ترى فيها مصدرًا لكل مشاكلها. وفي اليوم التالي، استيقظ
جلال على صوت رنين هاتفه، فقال بهدوء:
=ألو مين؟

رقم مجهول :

_ اسمع يالا يا جلال .

وهنا اكتشف جلال أنه المعلم حنفي، فقال بذهول:

=ايه ده أبويا؟ انت فين يابا كل ده؟ ده احنا قالين عليك الدنيا!
المعلم حنفي:

_ أمك فتحطلي نفوخي ياض آخر مرة وانا خارج من الكبارية، خوفت أرجع تقتلني... انا في تركيا ياض
بجمع قرشين عشان أتجوز!
جلال بتعجب:

=تتجوز؟ مانتي يابا متجوز عليها...أني مش فاهم أيها حاجة .
المعلم حنفي:

_ ياض ده عرفي إنما انا هتجوز على سنة الله ورسوله...أو عى ياض حد يعرف أي حاجة ولا يعرف
مكاني!

جلال بابتسامة:

=لا يابا شرك في بير... مش تباركلي؟

المعلم حنفي بتعجب:

_ على ايه؟

جلال:

=هتبقى جد يابا .

المعلم حنفي بسعادة:

_ البت ليالي حيلة ولا ايه؟

جلال:

=أيوه يابا بس أمي مش راحماها وعالطول في خناق !

أيقن المعلم حنفي أنه كان على حق حينما تنبأ بما سيحدث، فقال:

_ مش قولتلك ياض؟ قعدت تقاوح معايا، عمومًا يالا انا بجمع قرشين وهقهر أمك .

استيقظت أم الديب مبكرًا كأنها على موعد مع مغامرة غير متوقعة، وارتدت جلبابها المقطوع. وعندما
ذهبت للتسوق، كانت وكأنها تعبر ساحة معركة مليئة بالتحديات. وبعد أن قامت بشراء الخضار،
والفواكه، دخلت للحظيرة وهناك وجدت البقرة تنتظرها كمقاتلة مستعدة للانتقام. فجلست لتحلب البقرة
ولكنها ضغطت بقوة على ضرعها، فألمتها وأثارت غضب البقرة التي ردت بركلة قوية، فسقطت أم

الديب وانتصبت فوقها البقرة كسيده السلطة. وفيما لازالت تصرخ، لم يكن هناك من يسمعها سوى الأرض الصماء. وفي مكان آخر خرجت نعمة من غرفتها وواجهت مشهداً من الهدوء لم تتوقعه أبداً، وقالت بدهشة تامة:

=ايه ده؟ البيت ساكت كده ليه النهارده؟

دخلت نعمة المرحاض، حيث قامت بغسل وجهها بماء بارد ينعش حواسها، ثم خرجت للبحث عن أم الديب، ولكن دون جدوى، فوجدت نفسها في حالة من القلق، والتوتر. فقالت بصوت مرتفع:

=انتي روحتي فين ياما؟

خرجت هايدي من غرفتها، وهي تحك عينيها بخفة، فلمحتها نعمة وسألتها بفضول:

=هايدي مشوفتيش أمك؟

ردت هايدي بنعاس:

_ لا انا لسه صاحية... هشوفها فين؟

نعمة بخوف:

=يا نهاري لا تكون أمك طلعت تتخانق مع ليالي !

هايدي بضيق:

_ والله انا تعبت بجد، مش معقول كل شوية خناق ومشاكل ما تسيبهم في حالهم بقى !

دخل أحمد من باب الشقة وهو يحمل حقيبة السفر، فانطلقت نعمة، وهايدي بابتسامة فرحة واسعة تعبيراً عن سرورهما بعودته. فقال لهما أحمد بلباقة:

=عاملين ايه؟

نعمة بسعادة:

_ يا أهلاً ياخويا محدش بيشفوك إلا كل فين وفين !

أحمد بابتسامة:

=انا الحمدلله خلاص خلصت امتحانات .

ردت نعمة بإحسان:

_ عقبال السنة الجاية ياخويا وانت متخرج ومعاك الشهادة الكبيرة ورافع راسنا وسط الناس يارب !

رد أحمد، وهو ينظر حوله:

=يارب...أمال ماما فين؟

نعمة:

_ أمك صحينا ملقيناهاش معرفش راحت فين بالطبط .

أحمد بتفكير:

=تلاقيها راحت تتخانق زي كل مرة...على العموم انا هدخل أغير، وعايذك في موضوع مهم .

هايدي بفضول:

_خير؟

أحمد:

=هتعرفوا...اتصلوا بجلال خلوه ينزل عشان عايذك انتوا الثلاثة .

ردت نعمة:

_ حاضر هطلع أندھولك .

دخل أحمد الغرفة ومعه حقيبته، وبينما سعدت نعمة لنداء جلال، اجتمع الأخوات في انتظار حديثه. ثم ألقى أحمد الكلمة المنتظرة قائلاً:
=بصراحة يعني انا قررت أخطب .

جلال بفخر:

_ عملت الصبح ياض...أيوه كده اتجوز زي أخوك وابني بيت!

نطق نعمة بفضول:

=مين دي يا أحمد؟

هايدي بشك:

_ حد احنا نعرفه؟

أحمد بتردد:

=هي....

الجميع في آن واحد:

_ هي مين؟

أحمد بترقب:

=جميلة.

الجميع بصدمة:

_ جميلة بنت أم قمر الدين؟

أحمد بتردد:

=أيوه هي بنت محترمة وانا يعني معجب بيها بقالي فترة.

هايدي بدهاء:

_كنت عارفة !

أحمد بذهول:

=عارفة منين يا هايدي؟

كان جلال يدرك أنهم ليسوا على نفس المستوى الاجتماعي، فأخذ نفساً عميقاً قبل أن يبدأ الحديث، ثم

قال:

_بس يا واد يا أحمد احنا مش قد الناس دي !

ونعمة أيضاً كانت تدرك نفس المشكلة، فقالت:

=هيوافقوا عليك ازاي يا ولا؟

رد أحمد:

_مانا عايزكم كلكم تفقوا في ضهري، وتساعدوني وتقنعوا أمي !

تفوه جلال:

=ياض انت هتخط راسك براس ناس أكابر؟

أجاب أحمد:

_ اقف جنب أخوك يا جلال ما حنا وقفنا جنبك لما أمك رفضت ليالي!

رد جلال:

=اللي عملتوه على راسي... بس انت عارف مين دول؟

رد أحمد بإحباط:

_ أبوه يا جلال عارف.

نظر جلال حوله، وقال:

=طب أمي فين؟

ردت نعمة:

_ صحيت من النوم ملقيتهاش.

نطق جلال بتساؤل:

=هتكون راحت فين يعني؟ تعالى معايا ياض يا أحمد !

غادر جلال، وأحمد المنزل، وانطلقوا في رحلة البحث عن أم الديب. وفي طريقهم، وجدوا جارهم

الودود عم إسماعيل وهو يروي الزهور في حديقته الصغيرة. فتوقف جلال، وسأله بلطف:

=بقولك إيه يا عم الحاج مشوفتش أمي؟

عم إسماعيل:

_ دخلت الحظيرة.

جلال بامتعاض:

=يا دي أم الحظيرة !

وقفوا حيال الحظيرة، وقاموا بدق الباب، ولكن لم يتلقوا ردًا. فوقف جلال تحت نافذة الحظيرة، يحاول

التفكير في الوضع، بينما مال أحمد نحو النافذة. دون تردد، قفز أحمد على ظهر جلال ودخل إلى

الحظيرة من خلال الشباك المفتوح. وعندما دخلوا، وقفوا هناك يشاهدون مشهدًا يثير الصدمة، والذعر،

البقرة نائمة فوق أم الديب، التي كانت تلقي أنفاسها الأخيرة. جلال أحضر خشبة وحاول بيأس إبعاد

البقرة عنها، لكن دون جدوى، فنهضت البقرة وتتبعتهم، وهم يصرخون عاجزين عن تفادي الوضع

المأساوي. نطق جلال بصراخ يعبر عن الفزع:

=يالهوري اجري يالا.

أحمد بصراخ:

_ يا نهار أزرق... ياريتني ما رجعت!

وفجأةً استيقظت أم الديب من غيبوبتها، وقالت:

=انت جيت امتى يا ولا؟

أحمد بفزع:

_ لسه جاي.

وقفت أم الديب بالقرب من جلال، وقالت له:

=انده ليالي تيجي تنصف الحظيرة.

جلال بعصبية:

_تاني ياما؟ طب وربنا لا انا ماشي.
 أم الديب بامتعاض :
 =في داهية.

تحدث أحمد بخوف:
 _كنت عايز أفتحك في موضوع !
 أم الديب بتساؤل:
 =مين؟
 أحمد بتردد:
 _ انتي يا حاجة!

أم الديب بصوت حاد:
 =عايز ايه؟
 أحمد بتردد:
 _كنت عايز
 أم الديب بصوت حاد:
 =انت واكل سد الحنك؟ ماتنطق!

أحمد بخوف:
 _بصراحة انا عايز أخطب.
 أم الديب بسخرية:
 =هيهيهيهي منين هو احنا حيلتنا مليم؟
 أحمد:

_مش مشكلة كل حاجة محلولة.
 أم الديب بفضول عارم:
 =مين اللي عايز تخطبها دي؟
 أحمد بتردد:
 _جميلة.

أم الديب بتعجب:
 =جميلة مين يا ولا؟

أحمد بخوف:
 _جميلة بنت أم قمر الدين.
 صرخت أم الديب صرخة قوية، تعبيرًا عن صدمتها العميقة والقلق الذي اجتاح قلبها. جرت في الحظيرة بخطوات مترنحة، وهي تضرب يدها بعنف على رأسها كمن يحاول استيعاب ما يحدث، وتتسائل نفسها بتردد، وارتباك:
 =يا خرابي هو احنا قدهم؟ ولا هنتجوزها بالحصيرة اللي حيلتنا؟

رد أحمد :

_ لا يا ماما بس انا قررت خلاص !

أم الديب بصراخ :

_ انتوا هتشلوني؟ هلاقيها منك، ولا من أخوك ومراته، ولا من أبوك؟

رد أحمد بإلحاح:

=أرجوكي حاولي!

أم الديب :

_ والبت موافقة؟

أحمد:

=جميلة موافقة وفاتحت مامتها في الموضوع!

ردت أم الديب بصياح:

_ يا خراب بيتك يا أم الديب، واحنا هنجيب لهم طلباتهم ازاى، واحنا محيلتناش اللضا؟ يا خرابي...يا

خرابي!

في منزل أم قمر الدين، كانت جميلة تجلس في غرفتها، تشعر بالاكئاب، والحزن الجسيم، وكأنها عالقة

في غياهب اليأس. لم ترغب في الخروج أو تناول الطعام أو حتى التفاعل مع بقية أفراد عائلتها. وفي

هذا الوقت، كانت أم قمر الدين جالسة مع زوجها الثري في مكتبهما، ويظهر على ملامحها الحزن،

والقلق بوضوح، تأثرًا بابنتها جميلة. لم يفوت هذا التأثير زوجها، الذي لاحظ التغيير في مزاجها، فقال

بصوت مليء بالاهتمام:

=مالك متغيرة ليه يا بسملة؟

ردت أم قمر الدين بحزن:

_ باسم بصراحة كنت عايزه أفتحك في موضوع... هو يمكن صعب ليك بس هيفرق مع البنت جدًا

باسم بتعجب:

=أي بنت فيهم؟

ردت أم قمر الدين:

_ جميلة.

باسم بفرع:

=مالها جميلة...كويسة؟

أم قمر الدين بحزن، وتردد:

_ معتقدش، بص هو يعني متقدمها عريس.

باسم باهتمام:

=مين ده؟ احكيلي عنه !

أم قمر الدين بتردد:

_ هو شاب محترم وكل حاجة بس مش من هنا.

نطق باسم بجدية:

=مين هو؟ ماتتكمي يا بسملة في ايه؟

أم قمر الدين بخوف من رد فعله:

_أم الديب .

حاول باسم أن يتذكر من هي أم الديب التي تتحدث عنها زوجته، فعبر عن استغرابه، وفضوله قائلاً:
=مين؟ أه قصدك على الست اللي جاتك هنا كذا مرة دي؟

أم قمر الدين بترقب:

_أيوه .

حاول باسم أن يفهم ما علاقتها بهذا الشاب، فقال:

=ايه علاقتها بالموضوع؟ مش فاهم!

أم قمر الدين برهبة:

_ده ابنها بس هو شخص كيوت جدًا، ومحترم، وشاري جميلة .

صرخ باسم في وجه زوجته كموجة من الغضب المتصاعد، ورفض النقاش في الموضوع بمجرد سماعه، فهو ينتمي إلى إحدى أعظم عائلات مصر، ويحملون ثروات لا تُحصى، فكيف سيوافق على زواج ابنته من شاب فقير خالٍ من كل الثراء؟ وقال بلسانه الذي يعبر عن ضيقه، واستياءه العارم:
=انتي اتجننتي عايزه تجوزي بنتك لناس زي دول؟ وانا لما أحب أتفرد، وأطلب هقوله هاتلى بقرتين وحمار؟

أم قمر الدين بخوف:

_لا خالص جرب تقعد مع الولد صدقني هتنبهر بيه .

باسم بغضب:

=أرجوكي يا بسملة اقفلي الموضوع ده !

بعد هذا الحديث الحاد، وفتت جميلة خلف باب المكتب مستمعة إلى كل ما دار بين والدها، ووالدتها، وألمحت إلى عدم وجود أي أمل في زواجها من الشاب الذي تحبّه. بكت بحرقة، ثم سرعان ما سعدت إلى غرفتها، وأخرجت القلم والورقة من الدرج، وبدأت في كتابة رسالة الوداع لوالديها. وعندما انتهت، أمسكت بأداة حادة وقطعت شريانها، وفي لحظة من الجنون واليأس حاولت أم قمر الدين تهدئة الأمور وإغلاق هذا الشأن قبل أن تزداد المشاكل، فقالت بانزعاج:

_خالص يا باسم .

رد باسم بضيق:

=قولي لتوليناز تحضر الفطار .

أم قمر الدين بمزاج متعكر:

_الفطار جاهز من بدري .

ونادت الخادمة:

_توليناز .

جاءت الخادمة توليناز، ووقفت حيالهم، وقالت:

=أؤمري ست هانم .

ردت أم قمر الدين بضيق:

_روحي صحي البنات .

ردت توليناز بابتسامة:

=كله صاحي ست هانم .

ردت أم قمر الدين بضيق:

_روحي قوليلهم الفطار جاهز .

ردت توليناز:

=حاضر ست هانم .

ذهبت الخادمة لنداء جميلة، وبعد أن طرقت الباب مرارًا، وتكرارًا دون أي رد قالت بصوت مليء بالاضطراب:

=مدموزيل جميلة...مدموزيل جميلة...انتي كويسة؟

ظلت تطرق الباب بشدة دون أي رد، فشعرت بالقلق ينتابها بشكل متزايد، ونزلت مسرعة إلى الطابق السفلي. وهناك، وجدت العائلة قد اجتمعت حول طاولة الإفطار، فنطقت بصوت مليء بالقلق:

_ست هانم الحقي بنتك مش بترد !

أم قمر الدين بصدمة:

=جميلة؟

باسم بفرع:

_جميلة مالها؟

صعد الجميع إلى الطابق العلوي، وقام والد جميلة بطرق الباب مرارًا، وتكرارًا دون أي استجابة منها، ولاحظوا أن الباب مغلق من الداخل. فقرر والدها كسر الباب ودخل الغرفة، وكانت الكارثة تنتظرهم، إذ وجدوا جميلة ملقاة على الأرض وحولها الدماء. فصرخت والدتها بينما تغمرها الدموع:

_جميلة بنتي !

خاف الجميع على ابنتهم، وأصاب الذعر قلوبهم، فحمل والد جميلة ابنته على ذراعيه بعناية، وسارع بوضعها في السيارة لنقلها إلى المستشفى. وطيلة الطريق، كانت تبكي أم قمر الدين بحزن، وخوف شديد على ابنتها. وبعد وصولهم للمستشفى، دخل والد جميلة بها وهو يحملها على ذراعيه بحنان. وفور دخولهم، اقترب الطبيب بسرعة، وقال بجديّة، وترقب:

=هاتوها بسرعة .

كانت أم قمر الدين تقف بالخارج، وهي تبكي بكاء شديدًا على ابنتها، وقد انعكست حالة الحزن، والقلق على ملامحها. فجاء قمر الدين يهرول مُسرّعًا، هو، وأخيه الأصغر علاء الدين، حتى وصلوا لوالدهم الذي كان ينتظر في الاستقبال، وكانت علامات الاستفهام ترتسم على وجوههم. فسارع قمر الدين ليقول باهتمام:

_ازاي يا بابا يحصلها كل ده؟ حد يفهمني !

رد باسم بإرهاق:

=من فضلك يا قمر الدين خيلنا نتظمن الأول !

رد علاء الدين بقلق:

_إن شاء الله خير يا ماما...متقلقيش!

بكت أم قمر الدين بكاء هستيريًا، وفي غمرة الحزن العميق، والضياح، قالت بصوت مليء بالألم:
=بنتي هتروح مني! عايزه أشوفها، مش عايزه أبعد عنها ثاني .
ردت سامية بحزن:

_متفلقيش يا ماما هتبقى كويسة والله .

ردت نرمين هي الأخرى:

=خير يا حبيبتي .

بعد مرور نصف ساعة طويلة كالعمر، خرج الطبيب من غرفة العمليات، وهو يتنفس بصعوبة من شدة التركيز، والتحدي في مواجهة المأساة. وبمجرد أن رأته عائلة جميلة، انعكست على وجوههم علامات القلق، حيث اندفعوا بسرعة للوقوف حوله، وفي جو من الهمسات المتقطعة والتوتر الملموس، قال الطبيب بصوت متعب، ومليء بالحزن:

_دي معجزة من عند ربنا إننا لحقناها في آخر لحظة، لو كنتوا تأخرتوا دقيقة كان زمانها راحت، بس الحمد لله لحقناها .

ردت أم قمر الدين بانتحاب:

=عايزه أشوفها يا دكتور بليز.... عايزه أشوفها وأكون جنبها .
رد الطبيب:

_هنقلها حالاً على أوضتها، وتقدروا تشوفوها... بس بلاش أي ضغط نفسي !

بعد أن دخلوا إليها في غرفتها كان الجميع يجلس حولها كأنهم يحاولون حمايتها من عواصف الحياة، متأثرين بما حدث لها. وكانت والدتها تجلس بجانبها وتمسك بيدها بقوة، وهي تبكي بحرقة وألم. فقالت بصوت مليء بالعتاب:

=ينفع كده؟ بقى تخوفي مامي وبابي واخواتك كلهم عليكى؟

جميلة ببكاء:

_كان لازم أخلص من حياتي وأرتاح يا مامي .

باسم بعتاب:

=ليه عملتي كده يا بنتي؟ ليه؟

لكن سامية شعرت أن هذا ليس الوقت المناسب للعتاب، وأدركت أن عتابهم لها في هذه اللحظة سيكون ردًا قاسيًا لن تستطيع تحمله. فبينما كانت تمسك يد والدها برهة من الزمن، قررت أن تعبر عن مشاعرها بشكل مختلف. فقالت بصوت متألم، ومنفطر بالحزن:

_من فضلك يا بابا براحة عليها... هي مش مستحيلة .

دخلت الممرضة إلى غرفة جميلة، وفي يدها ورقة مطوية بعناية. فأعطتها لباسم، وبينما كان الجميع ينتظر بقلق، قالت بصوت متأثر:

=احنا لقينا الورقة دي في هدومها !

بعد أن قرأها باسم كان محتواها كالاتي:

(ازيك يا بابي؟ ازيك يا مامي؟ انا قررت قرار ومش هتراجع عنه، انا بعد ما سمعتكم وعرفت إنكم رافضين الشخص اللي حبيته، أتأكدت إن مش من حقي أعيش في الدنيا دي! انتوا حكمتوا عليا بالموت وإني أعيش تعيسة لو كان ربنا لسة كاتبلي عمر، انا مستحيل أقدر أعيش من غيره، ومش هسمح لأي حد إنه يحرمني من البني آدم اللي اتمنيته من الدنيا... انتوا كنتوا دايماً بتقولولي إن أهم حاجة عندكم

راحتنا، بس النهاردة حسيت لأول مرة إن كلامكم ده مكنش صح، كان مجرد كلام وخلاص مش أكثر!... انا مش هقدر أستحمل رفضكم له، وسامحوني على قراري ده، اتمنى إنكم منزعلوش مني مهما يحصل، بنتكم جميلة. ()
 نزلت دموع باسم بعد أن قرأ هذه الرسالة المؤثرة، فاختلع نظارته برهة من الزمن، ومسح عينيه بحركة خافتة، وبينما كان الصمت يخيم في الغرفة، نظر في وجه ابنته بعيون ممتلئة بالحنان، والألم. ثم اقترب منها ببطء، وقال بصوت متأثر ومليء بالحب:
 _حبيبتي ده قرارك وانتي حره.

فرحت جميلة في هذه اللحظة، وشعرت أن ما زال الأمل موجود فقالت:
 =أفهم من كده يا بابي إنك موافق؟
 رد باسم بابتسامة:

_موافق بس بشرط يجي يقعد معايا وأفهم حياته معاكي هتكون عامله ازاي!
 رد قمر الدين بتعجب:
 =هو مين ده؟ انا مش فاهم حاجة!
 نطقت سامية بتساؤل:

_هو مين اللي يجي يقعد معاك؟ هو حضرتك بتتكلم عن ايه بالظبط؟
 رد باسم:
 =هتفهموا بعدين!

في منزل أم الديب، كان أحمد يجلس بجانب والدته وأخواته أمام التلفاز، وأم الديب تاكل الترمس بحركات متأنية، في حين كانت نعمة، وهايدي يشربان الشاي بصمت ممزوج بالتفكير. فجأة رن هاتف أحمد، وبعد أن نظر في شاشة الهاتف وجد رقمًا غريبًا، فسارع إلى البلكونة وقام بالرد، وفي هذه الأثناء قالت أم قمر الدين بصوت حزين:
 _هاي أحمد أخبارك ايه؟
 بعدما اشتبه أحمد بالصوت، قال:
 =حضرتك أم قمر الدين؟
 أم قمر الدين بحزن:

_أيوه... انا كنت عايزه أقولك جميلة في المستشفى وتعبانة!
 فرح أحمد بعد أن علم بمرض جميلة، وتغيرت نبرة صوته بشكل ملحوظ، وقال مُسرعًا بانقباض في قلبه، وقلق عميق:

=جميلة مالها حد عملها حاجة؟

أم قمر الدين باستياء جسيم:

_جميلة ضغطت علينا علشانك!

أحمد بدهشة:

=يعني ايه؟ ممكن حضرتك توضحني!

أم قمر الدين بحزن:

_جميله كانت هتنتحر علشان احنا نوافق عليك

صعق أحمد بما سمعه، فقال بخوف جسيم:

=هتنتحر؟ جميلة كويسة؟

أم قمر الدين بحزن:

_روح قابل باباها عايز يشوفك !

لكن أحمد وُضِعَ في موقفٍ عسير، فهو لا يملك الأموال في الوقت الحالي، وكيف سيذهب ويتحدث مع والدها الثري؟ كانت الحيرة تسكن قلبه، والتردد يعترى أفكاره، فحاول التفكير في خطواته القادمة بحذر شديد، وعندها ترددت كلماته قائلاً:

=بس

أم قمر الدين:

_متقلقش من حاجة... دي هتكون مجرد قاعدة تعارف مش أكثر !

أجاب أحمد بقلق:

=طيب...ممكن حضرتك تبعيتلي العنوان؟

ردت أم قمر الدين:

_أوكي، هبعتهولك في مسدج...باي

أرسلت أم قمر الدين العنوان في رسالة نصية، فدخل أحمد إلى الصالة، وقبل أن يخرج من باب الشقة، أرادت أم الديب أن تعرف خط سيره. فوقفت أمامه بنظرة متسائلة، وقالت بصوت مليء بالفضول:

=في ايه يا ولا؟

رد أحمد بضيق:

_بابا جميلة عايز يقابلني !

أم الديب بصُداح:

=ليه في ايه؟ انت هبيت ايه؟

رد أحمد بانفعال:

_معملتش حاجة.... هو لازم أكون عملت وخلص؟

خرج أحمد من المنزل في حين أم الديب واصلت طعامها، فقالت:

=قومي يا بت هاتيلي الترمس من جوا.

نعمة بعصبية:

_ماتخلي هايدي تقوم...اشمعنا انا؟

أم الديب بغضب:

=اسمعي الكلام بدل ما أنفخك يا بت!

نعمة بعصبية:

_يوه، ماشي.

دخلت نعمة المطبخ، وقامت بإحضار الترمس لأم الديب، ثم عادت، وهي تنفخ غضباً بفمها، وقد تصاعدت ملامح الانفعال على وجهها. فردت أم الديب بصوت حاد، مظهرةً قوة، وثبات في ردودها:

=متنفخيش يا بت، لا أني أنفخك!

وصل أحمد للعنوان، ووقف إزاء بوابة المنزل، فتجلى أمامه منظر الثراء الفاحش الذي تعيش فيه جميلة وعائلتها، حيث انعكست الأضواء الزاهية على الزجاج الشفاف للمبنى الضخم، مما جعله يشعر بالصغر أمام هذا البهاء الساحر. كان يدرك تمامًا الفارق الهائل بينه وبينهم، فتسللت له لحظات من التردد،

والخوف حيال دخول هذا القصر الفخم، حيث لم يكن يعرف ما الذي ينتظره بعد هذه الزيارة. ومع ذلك، تغلب على رهبته وأسرع داخل القصر، فوجد أمامه الخادمة التي استقبلته ببساطة، فتحت له الباب ليخطو إلى داخل العالم الذي طالما أعجز عن تخيله، قائلة:
_ باسم باشا في إنتظارك .

أشارت له بيدها على باب مكتبه، فدخل وهو يقدم رجلاً ويأخر الأخرى، ومع كل خطوة تصاعدت مشاعر التوتر، والحيرة في داخله. حتى وجد والدها يجلس على المكتب، مما زاد من توتره وقلقه. فاقترب أحمد منه وصافحه بينما كانت الكلمات تعجز عن الخروج من حنجرته، فقال باسم بصوت مليء بالثبات:

=أحمد مش كده؟

رد أحمد بقلق:

_ أه أنا.

رد باسم بنبرة حازمة:

=أقعد.

وبعد أن أحمد جلس، قال بنبرة مهزوزه:
_ متشكر.

وبدون أي مقدمات، رد باسم مباشرة:
=مبدأياً انا مقبلش إن بنتي تعيش عيشة أقل من المستوى اللي عاشته، لازم تكون نفس العيشة اللي عاشتها.

أحمد بإحباط:

_ ربنا يقدرني على كل ده.

رد باسم بابتسامة:

=شكلك ابن حلال، على العموم انا هوافق بشرط واحد بس!

رد أحمد بترقب:

_ ايه هو؟

يتبع....

الفصل الحادي عشر

رد باسم:

_ تجيب لبنتي فيلا قريبة منا .

تردد أحمد، وهو يحمل عبء الحيرة بين يديه، خصوصاً أنه لم يمتلك ما يكفي لشراء حتى شقة صغيرة، فكيف سيقوم بشراء فيلا مرة واحدة؟ كان يعصف به الشك، والقلق، حيث لم يكن أمامه سوى الخيار الصعب: الموافقة على طلبات والد جميلة، وإلا سيفقدّها للأبد!، قال:

=موافق .

أراد باسم أن يجعل تعجيزه أكثر فعالية من السابق، حتى لا يتم الزواج، فنطق بثقة متجددة:

_ و عايز بمية ألف جنية شبكة، وهيكون ألماس، احنا محدش فينا بيحبيب شبكة ذهب !

انصدم أحمد من طلبات باسم الباهظة، فقال بتردد:

=مش كثير؟

باسم بثقة:

_ أخواتها البنات كلهم جالهم بملايين... المية ألف اللي بقولك عليهم دول بالنسبانا شوية ملايم .

أحمد بحيرة :

=يعني لو انا نفذت طلبات حضرتك هتوافق؟

باسم بثقة:

_ طبعاً بس اعمل اللي قولتلك عليه الأول !

أحمد بإحباط:

=متشكر جداً... عن إذتك .

باسم بإحسان:

_ اتفضل .

عندما خرج أحمد من المكتب، لم يعير باسم اهتماماً، بل استمر في العمل كأن شيئاً لم يحدث، وعندما غادر أحمد المبنى واتجه إلى موقف السيارات، جلس في السيارة وألقى نظرة من النافذة، وعقله يراوغه بأفكار متناقضة. كانت هناك صراعات داخلية بين قلبه، وعقله. شعر لحظة بأنه يقوم بتحطيم ذاته بيديه. فعلى الرغم من أنه وعائلته يعيشون في فقر، ويواجهون الحياة بصعوبة، ويحاولون عيش اليوم بيومه إلا أنه كان مضطراً للتقبل. وكان في صراع دائم بين حبه وبين الفقر. في المقابل، في منزل باسم، دخل قمر الدين بصحبة سامية، وكلاهما يبدوان غاضبين للغاية بعد ما سمعوه. فانفجر قمر الدين بصوت عال:

=يعني ايه عايز تجوز بنتك لناس زي دي؟ جميلة اللي عاشت طول حياتها ملكة، والخدم حواليتها، تكون

نهايتها تتجوز واحد من الفلاحين؟

وقف باسم أمام ابنه، ووضع يديه في جيب بنطاله، ثم قال بصوت متردد:

_ ومين قالك إن انا هجوزه جميلة؟ انا عجزته وانا عارف كويس إنه مش هيقدر يعمل أي حاجة من اللي

انا طلبتها منه !

ردت سامية بسخط مليء بالاعتراض:

=الجوازة دي مستحيل تكمل يا بابا... الناس دي مش شبهننا، ده كفاية والدته، ست بيئة وبلدي أوي، الناس دي تفضح...متشرفش أبدًا .

رد باسم بحزم:

_وانا قولت وهفضل أقول إنها مش هتكمل!...انا عملت كل ده عشان أرضي ضميري، ومتجيش جميلة أختكم تقول إن انا وقفت في طريقها، أديني قعدت معاه وطلبت منه طلبات بسيطة جدًا، وانا عارف ومتأكد إنه مش هينفذها، بس قدامكم انا كده عملت اللي عليا وزيادة .

نطق قمر الدين بصياح:

=محدث فينا موافق على الجوازة الزفت اللي تكسف دي... ده لو الجوازة دي كملت هنتفضح وسط الناس وهيبقى شكلنا زباله، متجيش ناس زي دي تهد اسم عيلة الهواري، وسيرتنا اللي عملناها في سنين .

رد باسم بامتعاض، وعبر عن استيائه بتعابير وجهه المتجهمة، مع بعض اللمحات الغاضبة في عينيه:

_ولد، اتكلم بأسلوب لائق عن كده، ومتنساش انت وأختك إن انا هنا والدكم مش واحد صاحبكم من سنكم، لما هتقعدوا تحاسبوني كده !

نفوحت سامية بهدوء:

=يا بابا احنا مش قصدنا، انا كل اللي....

بتر باسم حديثها بكمد، وقال:

_انا اللي أقول ايه يحصل، وايه ميحصلش، أه احنا طول عمرنا بنتشارك في كل حاجة بس مش للدرجة اللي تنسيكم إن انا هنا الأب والكلمة في النهاية كلمتي انا .

وضع قمر الدين رأسه بخجل على الأرض، معبرًا عن احترامه لوالده، وقال بصوت متواضع:

=أسف يا بابا .

جلس باسم على الكرسي مرة أخرى، وقال بحزم:

_كل اللي تقدروا تعملوه دلوقتي إنكم تكونوا جنب جميلة في الظروف الصعبة دي .

جلست سامية حياله، وقالت بهدوء:

=وانا مش هسيب جميلة، وهفضل جنبها لحد ما تبقى كويسة، ممكن بس حضرتك نفهنا انت ناوي على ايه؟

رد باسم وهو منشغل في أداء عمله على الحاسوب:

_هتعرفوا بعدين، خلينا في دلوقتي !

بينما في شقة جلال لاحظ تعب زوجته، وهو يجلس على الأرض يشرب النارجيلة، في حين تتناول زوجته الفاكهة على الأريكة، ومع تصاعد الدخان من النارجيلة، شعرت ليالي بالاختناق ووضعت يدها على فمها وسعلت، فأدرك جلال أنها تعاني، فقال بلطف، واهتمام:

=مالك يا بت؟

سعلت ليالي مجددًا، وقالت بانزعاج:

_ريحته تاعباني !

وضع جلال النارجيلة بعيدًا، وجلس بجانب زوجته، وقال باهتمام:

=الواد عامل ايه؟

ليالي بتعجب:

_ هو احنا لسه عرفنا له ملامح؟

نطق جلال:

= ياريت يطلع واد...محبش دلع البنات الماسخ ده .

ردت ليالي :

_ واد بت مش هتفرق كله حلو من عند ربنا .

جلال باهتمام شديد:

= طب متعرفيش ده واد ولا بت؟

ليالي بدهشة:

_ لسه يا جلال انا في الشهر الثاني !

جلال بتفكير:

= يعني باقيلك كده سبع شهور... لا لسه بدري!

ليالي بموجدة:

_ وانت عايز ايه يعني؟

جلال بصوت حاد:

= ما تتعدلي يا ليالي بدل ما أتعبط عليكي!

ليالي باستياء:

_ تتعبط عليا وانا حامل؟ شكرًا يا جلال .

خلت يديها من كل ما كانت تحمله، وخطت داخل الغرفة، واستقرت على سريرها، وهي تنهمر دموع الحزن، والضعف. كانت هرمونات الحمل تتسبب في تقلبات عاطفية شديدة، فأغرقتها في بحر من الألم، وحين دخل جلال الغرفة، وجلس بجوارها محاولاً تهدئة غصة الحزن، وضع يده الحانية برفق على كتفها، وفي لحظة من الصمت العميق، قال بألفة:

=مقصدش يا بت متبقيش حلوفة كده !

ليالي ببيكاء:

= طول عمرك بهيم في مشاعرك، مستخسر فيا كلمة حلوه .

ضحك جلال قائلاً:

_ يا بت بهزر معاكي وانا برضة هتعبط على حبيبة القلب، والروح؟

ضحكت ليالي فقالت بدلال:

=أيوة كده، اتعدل!

بينما المعلم حنفي كان ينوي العودة إلى مصر عن طريق الهجرة غير الشرعية، بعد أن نجح في جمع مبلغ من المال من الخارج، بهدف تمويل مشروعه الجديد. وفعلاً، عاد المعلم حنفي إلى مصر، وأول ما فعله كان التسلل إلى الحظيرة وهو يرتدي قناعاً على وجهه، وقام بسرقة بعض الأبقار التابعة لأم الديب، ثم خرج بها وباعها في السوق. ووقف جالساً على الرصيف يعد الأموال، وعلى وجهه ابتسامة النجاح والرضا، وقال بسعادة مشتملة بالريح:

_ والله والزهرة هيلعب معاك يا حنفي، وهتبقى من أعيان البلد .

بعد مرور ساعة منذ رحيل جلال إلى عمله، اشتد الألم على ليالي حتى خرجت تصرخ من غرفتها، ونزلت إلى شقة أم الديب وهي تضع يدها على بطنها وتعاني من آلام الولادة، وزادت صرخاتها بشدة. فاندفعت نعمة من غرفتها قلقة، وفي الوقت نفسه خرجت أم الديب من المطبخ وعلى وجهها ابتسامة الانتصار، وقالت بشماتة مليئة بالفرح:
=مالك يا مخفية بتصوتي ليه؟

ليالي بصراخ:

_مش قادرة يا حماتي... بطني بتقطع!

نعمة بفرع:

=مالك يا ليالي؟

ليالي بإعياء:

_بطني... أه .

التفتت نعمة حول نفسها، وعبرت عن حالة من الحيرة، والقلق بشأن ليالي، فتلفتت بخوف، وقالت:
=طب أعمل ايه... أعمل ايه؟

حين دخلت غرفتها، أمسكت بالهاتف واتصلت بجلال، وبصوت مهتز قلقة قالت:

=الحق يا جلال... مراتك تعبانة .

وفيما كان جلال يسوق التوكتوك، رد بصوت مرتعش من الفرع:

_ليالي مالها؟

نعمة بخوف:

=مش عارفة... نزلت من شقتها تعبانة!

جلال بقلق:

_انا جاي دلوقتي، سلام .

بعد أن عاد جلال للمنزل، قرر هو وزوجته الذهاب للطبيب، وبعد الكشف عليها، أعلن الطبيب:

=مراتك سليمة مفيهاش أي حاجة .

شعر جلال لوهلة أن زوجته تكذب عليه، فقال بامتعاض:

_يعني انتي بتضحكي عليا يا ليالي؟

رد الطبيب:

=اللي فيها ده محتاج شيخ .

وقف جلال من مكانه، وقال بنبرة حادة:

_عن إذنك يا دكتور .

رد الطبيب:

=انفضلوا .

خرج جلال، وزوجته من عيادة الطبيب، واتجهوا إلى دجال القرية، فوجدوا المبنى يعلوه الظلام المخيف، وترسم أشكال غريبة على جدرانه، كأنها تتحرك بمفردها. الجو كان ملبدًا بالصمت المرعب، وقرعت خطواتهم على الأرض كانت تتردد كصدى صوت خافت يعود إليهم بلا رحمة. وعندما جلسوا

أمام الدجال، ووجه نظره إلى عيني ليالي، بدت العينان كفوّهتين مظلمتين تبتلع النور، مرعبة كأعماق الجحيم المظلمة... فقال:

_مرتك معمولها عمل بالإجهاض .

جلال بصدمة:

=ممين اللي عامله؟

بعثر الدجال الملح في طبق النار، وقال:

_أمك .

ردت ليالي ببيكاء:

=عاملاه من امتي؟

الدجال بنظرات مخيفه:

_من أول يوم عرفت فيه إن مرتك حيلة .

ليالي بأعوال:

=منك لله... عايزه تسقطي اللي في بطني؟ منك لله!

جلال بصدمة:

_والحل ايه يا شيخنا؟

رد الدجال بشر:

=إقلب سحرها عليها .

جلال بذهول:

_هقلب السحر على أمي؟

صاحت ليالي في جلال، وقالت:

=ماهي أمك سحرتنا... عاوز ايه ثاني؟

الدجال بشر:

_هعملها سحر يخلي النمل يمشي في راسها يجننها... وانتوا علاجكم بسيط .

ليالي بضجيج:

=العلاج ايه يا شيخنا؟

رد الدجال وهو يخرج زجاجة حمراء من حقيبة أمامه:

_هتاخدي حته من قطرها وتحطي عليها الماية دي، وسحرك هيتفك .

ليالي بصراخ:

=منك لله يا حماتي...منك لله .

وصل جلال، وزوجته إلى المنزل، فأحسّت ليالي بالرغبة في أن تنصح جلال، فجاء صوتها كالنسمة

الهادئة وقالت بصوتٍ خافتٍ، كالهمس الذي يحمل بين طياته عبق التحذير:

=اسمع كويس يا جلال... إياك تتكلم قصاد أمك في حاجة... احنا قصادها منعرفش!

رد جلال بصوت خافت:

_عيب عليكي يا بت، وهو ده كلام برضة؟ اطلعي انتي بس، وسيبي الباقي عليا .

نطقت ليالي:

=طيب .

رد جلال بقلق بينما هو يتتبع خطواتها:

_براحة على مهلك .

عندما وصلت ليالي، وجلال إلى أم الديب، وجدوها تنتظرهم في صالة المنزل، وكانت تبتسم بشماتة، كمن يعرف ما سيحدث وينتظر اللحظة المناسبة للإفصاح عنها... قالت:

=البت طلع مالها؟

ردت ليالي بكراهية:

_انا كويسة يا حماتي...أما قوليلي مش عايزة أروقلك الشقة؟

جلال بتمثيل:

=ما بلاش يا ليالي انتي تعبانة .

ليالي بمكر:

_انا كويسة يا جلال، ولو تعبانة فأهو يهون عشان خاطر حماتي الغالية .

أم الديب بتعجب:

=ايهي غريبة، ومن امتي وانت بتنصفي؟

ردت ليالي بمكيدة:

_من النهاردة .

دخلت ليالي المطبخ وأحضرت المكنسة، ثم دخلت غرفة أم الديب وأوصدت الباب، فتعجبت أم الديب من غلقها للباب، وسألت بدهشة:

=هي قفلت الباب ليه يا ولا؟

رد جلال بذكاء:

_عشان تغير ياما...أمال هتتنصف بعباية الخروج وتبهلها؟

ردت أم الديب بصوت حاد:

=ياكش تولع فوق دماغها... أني أهم حاجة عندي بيتي يبقى زي الفل .

بينما في الداخل، فتحت ليالي الخزانة، وأخرجت عباءة أم الديب الملتصق بها فضلات الحيوانات، وبعد أن استنشقت رائحتها القذرة، قالت مشمئزة:

_أفف...هي ازاي مستحمله نفسها كده؟

ثم استرجعت ليالي كل شيء كما كان، وخرجت من الغرفة بخفة تاركة وراءها رائحة عطرها، وأم

الديب تبصرها بعين الدهشة، والتساؤل قائلة:

=رايحة فين يا بت؟ مش قولتي هتتنصفي الشقة؟

ردت ليالي بخبث:

_هطلع أغير يا حماتي ونازلالك أصل ملقنتش العباية بتاعتي في الكيس، شكلي نسيتها !

ردت أم الديب بتعجب مكتوم، وعيناها تتبع خطوات ليالي بتعجب واضح، كأنها تحاول فك رموز

تصرفاتها الغامضة:

=غريبة...البت مراتك متغيره!

رد جلال بقلق:

_ لا ياما هي لقيتك تعبانة قالت تساعدك .

ردت أم الديب:

=مقولتش هتطفحوا ايه؟

جلال بصوت حاد:

_ ما جرا ايه ياما ما تعدلي أفاظك!

وقفت ام الديب، واتجهت نحو الباب، وقالت:

=أني جيت ناحيتك؟

رد جلال بتعجب:

_ رايحة فين ياما؟

ردت أم الديب:

=رايحه أتطمئن على البقرة.

انتاب جلال قلق عميق عندما علم أن أم الديب ستكتشف سرقة البهائم الخاصة بها، فحل الصمت على شفثيه وزادت التوترات تفاقماً على محياه، حتى لاحظت أم الديب هذا الصمت الثقيل، فأطلقت:

_ مالك يا ولا؟

جلال بتردد:

=لا ياما مفيش، روعي .

سارعت أم الديب نحو الحظيرة، ودخلت لتواجه مأساة لا تصدق. إذ لم تجد أي أثر للبهائم، فاندفعت في الحظيرة كالعاصفة، وعيناها تجوب المكان بتركيز شديد، لدرجة أنها كادت تفقد بصرها، ثم رفعت يديها وصرخت بينما الذعر يتسلل إلى قلبها:

_ يالهوري البهائم بتاعتي يا خلق...يا مصيبيتي السوداء، يالهوري .

على الجانب الآخر بعد أن وصلت ليالي، وزوجها جلال للدجال مرة أخرى، قال الدجال:

=هعملها العمل وهيبداً مفعوله من النهاردة .

نطق جلال:

_ ماشي يا شيخنا .

رد الدجال:

=عايز قربان .

ليالي باستفهام:

_ يعني ايه؟

الدجال:

=عايز راس الكلب وديله .

رد جلال بصوت حاد:

_ واحنا نجيبهولك منين؟ ده مكنش اتفاقنا مانت واخذ منا فلوس قد كده !

ردت ليالي:

=اهدي يا جلال سهله مجاتش على دي !

في غمرة الظلام الدامس، وبينما يسود الصمت العميق، انطلق جلال بالتوكتوك الصامت نحو أفق اللا محدود، حيث رسا في قطعة أرض فارغة، تنتظره ليالي بأنين مكتوم داخل جوف التوكتوك. اقترب من ذلك الكلب الشارد، الذي بات لا حراك في جسده سوى همسات الموت، ووضع برفق داخل الشكارة، وعاد به إلى مرمى الدجال الطامع. بينما تتحرك أم الديب كالشجاعة الحائرة في متاهات البحث، تطوف بكل ناحية من نواحي قريتها، لتتبع أثر البهائم المفقودة، فتصدح خطواتها على دروب الشجاعة، ولا باب في بيوت القرية إلا وقد مرت عليه، ولا قلب من قلوبها إلا وقد نبضت لأمل مفقود حتى وصلت إلى محل عصائر، يعلوه عبير الرحمة والعطاء، ودخلته وهي تحمل قلبها المنكسر، هناك وجدت رجلاً يستريح في غمار الظلمة، فتوجهت نحوه، وتسللت كلماتها بين صمت العتمة، وسكون الليل:

_ بقولك ايه يا راجل انت؟ مشوفتش بقرتين حد صاحبهم وماشي بيهم؟

أشار المعلم حنفي بيده:

= لا .

اقتربت أم الديب منه، وهي تتشبه عليه، فقالت بصوت غليظ:

_ انت مش غريب عليا !

وبيد مترددة تمتد لنزع القماشة المظلمة عن وجهه، اكتشفت هويته المفاجئة، فانطلقت الدهشة تغمر وجهها المرتعش، وصرخت بعبارة تعبق بالسخط:

_ يا خرابي... هو انت يا راجل يا خاين يا عرة الرجالة؟

واختلعت نعلها، وضربته على رأسه، وهو يعول قائلاً:

= ابعدي يا ولية... ابعدي بقولك !

أم الديب بصراخ:

_ جيبت فلوس الدكان ده منين؟

ومازالت تضربه، وهو ينوح قائلاً:

= ابعدي يا ولية يا فقيرة .

أم الديب بجلبة:

_ يا خرابي... الحقوني .

اجتمع الناس حولهم، وسط افتراضاتهم المتباينة، فبعضهم اعتقد أنه حرامي تسلل إلى المكان، بينما ظن البعض الآخر أنه شخص توفى!، وفي هذا الجو المشحون بالتوتر، صاحت أم الديب مجددًا بصوت يجلب الانتباه:

_ انت اللي سرقت البقرتين اللي كانوا حيلتي عشان تفتح بيهم الدكان؟ يا راجل يا عرة، يا حرامي يا خاين .

فجأة، انقطعت كلمات أم الديب، وانكشمت بألم ممزوج بالفزع، ووضعت يدها المرتجفة على رأسها، واندفعت في جريان متوحش داخل المحل، معبرة بصرخة تنبعث من أعماقها:

_ دماغي في حاجه بتجري فيها!

ردت سيدة من الموجودين:

= مالك يا أم الديب؟ انتي كويسة؟

أم الديب بإعوال حار:

_ كأنه نمل يبجري في دماغي، هموت منه...الحقوني يا ناس!
وعلى الفور، انهارت على الأرض، وبالسرعة اللازمة، تم نقلها إلى المستشفى، حيث جرى استقبالها في
غرفة العمليات، وهناك، أثارت كمية النمل الضخمة التي تواجدت في صورة الأشعة دهشة الأطباء، فلم
يمكنهم إخفاء استغرابهم، فقال أحدهم بدهشة ممزوجة بالتساؤل:
=لازم عملية حالاً .

في ظل همجية الجراحة المستمرة، عاد المعلم حنفي إلى محل العصائر، حيث بدأ بتشغيل أغاني أم كلثوم
بمنتهى الاستمتاع، وهو يستمتع بتدوق كوب البرتقال، وفي لحظة من الراحة، ساطعًا بتألؤ البيهة قال
بابتسامة:

_ يا سلام على المزاج، والروقان !

بعدما انتهى جلال وزوجته من رد السحر على أم الديب، دخلوا المنزل وسط جو من الفرحة العارمة،
حيث ارتقت ليالي إلى قمة السعادة، فلم تستطع إلا أن تعبر عن فرحها الجارف قائلة:
=زمان أمك عماله تجري تصوت دلوقتي .
جلال بتأنيب ضمير:

_ حاسس إني غلطان يا ليالي...إنا ازاي طاو عنك؟ دي مهما كان أمي!
ليالي بشر:

=وهي أمك انا مصعبتش عليها ليه وهي عايزه تسقط اللي في بطني؟ ولا ده مش همك؟
جلال بحزن:

_ أمي دماغها جزمة قديمة، وصعبة بس كنا عاقبناها بحاجة غير كده .
ليالي بأفكار لعينة:

=أمك تستاهلها ومافيهاش كلام .
رن هاتف جلال، فقال بانتباه:

_ استني التليفون بيرن .

أجاب جلال باهتمام:

_ ألو...أيوه يا نعمة .

نعمة ببيكاء:

=الحق يا جلال أمك في المستشفى بتعمل عملية في راسها .
رد جلال بمكر، وهو يعلم ما حدث:

_ ليه مالها؟

نعمة بانتحاب:

=راسها مليونه نمل يبجري تحت الجلد وحالتها خطر .

نطق جلال بتساؤل:

_ انتوا فين؟

ردت نعمة بجلبية:

=احنا في مستشفى البلد، تعالى بسرعة والنبي !

رد جلال:

_ طيب احنا جايين أهو .

في لحظة وصول أحمد إلى القرية، وهو يتوجه نحو المنزل بخطى ثابتة، استقبله اتصال هاتفي من
نعمة، فأجاب قائلاً:

=ايه يا نعمة؟

نعمة بإعوال:

_ أمك في العمليات يا ولا بيقولك لقوا نمل بيجري في راسها .

أحمد بصدمة:

=ايه؟ ازاي يعني؟

وقفت هايدي تتأمل في مشاكلهم المتركمة، وهي جالسة على الكرسي في طرقة المستشفى، وفي داخلها
تداول الأفكار بين أروقة التفكير، فلامست حدود اليأس، والتساؤل، متحدثة في صمت مع نفسها:

_ انا مش عارفه هنفضل لحد امتي في المشاكل دي؟

وصل جلال، وزوجته، وحاولوا بكل ما أوتوا من قوة التظاهر أمام بقية العائلة، كأنهم لا يعلمون شيئاً
عما جرى، ففتح جلال محادثة قائلاً:

=أمي مالها؟

ليالي بشماتة، وخبث:

_ حماتي مالها؟

نعمة بحزن:

=لقوا نمل بيجري تحت راسها .

ليالي في داخلها:

_ غريبة يعني المفعول اشتغل بسرعة .

جاء أحمد خلفهم مُسرِع، وبعدهما أقترَب، قال:

=ماما فين؟

رد جلال:

_ أمي دخلت العمليات، ادعيها .

خرج الطبيب من غرفة العمليات، فبادرت علامات الاستفهام لتتعالى على وجهه، وبينما يراوح بين

التعجب، والتساؤل، اضطر للتعبير قائلاً:

=والدتكم حالتها عجيبة... أول مرة في حياتي أقابل حالة حصلها كده، احنا طلعتنا كمية نمل مش طبيعية
أبدًا .

أحمد بذهول:

_ النمل ده جالها ازاي يا دكتور؟

رد الطبيب:

=معرش كلنا هنتجنن .

جلال بحنق:

_ مش عيب على دكتور زيك ميكونش عارف ده حصلها ازاي؟
الطبيب باحتدام:

= انا لو رديت عليك ردي مش هيعجبك... عن اذنكم .
ومشي غاضباً، وجلال يتبعه، فقال بصوت حاد:

_ لا رد يا معلم رد وانا أجيبك الشلة تعمل معاك الصبح ما أصلك متعرفنيش!
سحب أحمد جلال نحوه، وكان يشعر بالخوف من تصرفات جلال التي قد تفتح باباً لمشكلات جديدة،
فأدلى بتعليقه قائلاً:

= خلاص يا جلال مش وقت مشاكل!

دخلت نعمة، وهايدي، وليالي إلى غرفة أم الديب، حيث وقف جلال، وأحمد جانباً حيث شعر جلال
برغبة ملحة في معرفة ما جرى مع أهل جميلة في اللقاء الأول لهم، أراد التسلل إلى أعماق الحقيقة،
فأطلق سؤاله قائلاً:

_ عملت ايه يا ض مع أبو البت؟

أحمد بدهشة:

= ايه ده انت عرفت؟

رد جلال:

_ نعمة قالتلي .

أحمد بضيق:

= عجزني شويتين .

أخرج جلال سيجارته، وأشعلها، وتابع حديثه:

_ ما عاش ولا كان اللي يعجزك يا ض .

أحمد بحزن:

= طلب مني مية ألف شبكة وعايز فيلا قريبة منهم، وانا مش معايا فلوس كتير كده .

رد جلال بابتسامة:

_ لا يا ض انا معايا مصلحة... أبوك رجع .

أحمد بفرحه:

= رجع بجد؟

جلال بسعادة:

_ أبوه رجع وفتح مشروع يكسب ذهب .

رد أحمد بيأس:

= طب وانا؟

نطق جلال بود:

_ هشغلك معاه يا ض... تعالى معايا نروحله .

بينما كان جلال، وأحمد يغادران المستشفى، متجهين نحو محل المعلم حنفي، كانت أم الديب ما زالت
تعاني على سريرها بالغرفة، وحولها ابنتاها وزوجة ابنها، فاندلعت صرخة ألم أليمة من بين شفيتها
المرهقة:

=أه يا راسي يأتي .

ردت نعمة بحسرة:

_ اهدي ياما...الداكتور كتبك على علاج، وهتاخديه بانتظام .

ردت هايدي باستياء:

=معلش يا ماما هتخفي وتبقي كويسة .

ليالي بلا مبالاة:

_سلامتك يا حماتي...ده انا أول ما عرفت جيت جري .

أم الديق بغضب:

=غوري في داهية .

ثم أكملت حديثها متألمة:

=أه يا راسي أه .

ليالي بحزن:

_يرضيكوا اللي أمكم بتعمله فيا ده؟

نعمة باستياء:

=هاتبها فيا يا ليالي .

وصل جلال، وأحمد إلى المشروع الجديد الخاص بالمعلم حنفي، لم يتأخر الوالد في استقبالهم بابتسامة

واسعة، وجرى عليهم بفرح ليُرحب بهم، وقال بسعادة:

_يا أهلاً بعيالي...كنت فين ياوض؟

رد أحمد بود:

=كان عندي امتحانات الفترة اللي فاتت في الكلية .

المعلم حنفي بابتسامة:

_ياض سيبك من شغل الكليات ده وخليك مع أبوك هتكسب الشهد !

تحدث جلال:

=اسمع كلام أبوك، واشتغل معاه حتى انت داخل على جواز ومحتاج كل قرش .

المعلم حنفي بصدمة:

_جواز؟ جواز ايه؟

جلس جلال، وقال:

=مانت يابا متعرفش أحمد هيخطب...بس أبو العروسة طالب منه كتير .

جلس المعلم حنفي هو، وأحمد، فقال:

_كام يالا؟

رد أحمد بيأس:

=ميه ألف شبكة وقيلا .

المعلم حنفي بصدمة:

_كثير أوي أوي .

أحمد بضحكة سخرية:

=أمال لو تعرف إن أخواتها جايلهم بملايين؟ ده أبوها عامل معايا الصبح كده .

رد المعلم حنفي:

_ولا يهملك يالا، اشتغل معايا واسمع الكلام، عايزين نجوزك زي أخوك... أما قولي يا جلال مراتك عامله ايه؟

رد جلال بتنهيده:

=أمي مطلع عينها بابا والببت حامل ومش مستحيلة عميل أمي .

المعلم حنفي بروح إنتقامية:

_انا راجع البيت النهارده، وهمشي أمك زي المسطرة زي زمان !

صفق جلال وهو يضحك بشدة:

=أبوه بابا يا مسيطر .

وهنا، قرر أحمد أن ينضم إلى والده في العمل لتلبية طلبات والد جميلة، ووافق الأب بفرح، وبعد مرور فترة زمنية، ازدادت أرباحهم وتكاثرت أموالهم لحسن الحظ، وكل هذا بلا علم من أم الديب، وبعد شهرين، لاحظت ليالي أن بطنها بدأت في النمو، فخرجت أم الديب من شقتها ونادت عليها بصدق:

_بت يا ليالي!

فتحت ليالي باب شقتها، وخرجت منها، وقالت:

=ايه يا حماتي عايزه ايه؟

أم الديب بصوت عالٍ:

_اطلعي معايا على السطح ندبح الفرخة.

ردت ليالي بسخرية:

=ماتدبجها لواحدك!

أم الديب بصوت حاد:

_ايهي أمال انتي لازمك ايه يا بت؟

ليالي بصوت حاد:

=لازمتي في بيتي مش في بيتك يا حماتي !

أم الديب بمكر:

_اطلعي يا بت شميلك شوية هوا فوق.

ردت ليالي بتجاهل:

=طيب.

وبخطى حذرة، صعدت مع أم الديب إلى سطح المنزل، وباختراق أشعة الشمس بمجرد دخولهما عش الفراخ الضيق، اندلعت صرخة قوية من حنجرة أم الديب، فسقطت مغشيًا عليها على الأرض الحارة، وهي تتهرش بين أيديها بشدة، كأنها تحاول كسر قيود الألم المكبوتة في داخلها، وحينما اندفع جلال نحو مصدر النواح، لم يجد إلا ليالي واقفة بصمت مطبق، تستنشق الهواء بمزاج، فغمره القلق، والهلع، وعبارة التساؤل تلوح في عينيه بوضوح:

_ايه اللي طلعتك فوق يا ليالي؟

أم الديب بصخب:
= هو ده كل اللي همك؟ الحقوني .

ليالي بدلال:
_ تعبانة يا جلال .
جلال برومانسية:
=تعالى يا بت نروح لأمك نقضي معاها اليوم .
أم الديب بصراخ:
_ يا خرابي... الحقوني !

وبمساندة جلال لزوجته ليالي، ونزولهما الدرج، تركوا أم الديب تعول دون أن يلتفت أحد لها أو بيدي
أدنى اهتمام، وهي مستمرة في صراخها المرير، وعندما سعد المعلم حنفي أيضًا لملاحظة الضجيج
رأى أم الديب ملقاة على الأرض، فأطلق:
= هو انتي؟ أني فكرت في مصيبة حصلت !

وبعد ذلك، نزل المعلم حنفي إلى شقته، ودخل المراض حيث قام بالاستحمام وهو يغني ببهجة. في حين
زحفت أم الديب على الأرض من شدة الألم، حتى وصلت إلى الدرج وزحفت عبره، ووصلت إلى مدخل
المنزل بصعوبة، وخرجت تمامًا، ومن هناك، اندفعت واندثرت في وسط قطيع الأغنام، والبقر، حتى تم
نقلها إلى البلدة المجاورة، وبينما كانت ليالي تستقبل زيارة مفاجئة من عائلتها كانوا يجلسون في صالة
شقته، قال عم سلامة بصوت ينبع من القلب:

_ عاملة ايه يا بتي؟

ردت ليالي:

=الحمد لله يابا نحمده ونشكره.

فجأة، أخرجت تباهي كيس الحمام من الحقيبة البلاستيكية، وابتسامة مشرقة، نطقت قائلة:

_ جيبنتك يا بت عشر أجواز حمام إنما ايه تربيتنا احنا.

ليالي بابتسامة:

=تعبتي نفسك ليه ياما؟ ما خير ربنا كثير.

تباهي بحنان:

_ كله يهون... غذي اللي في بطنك يا بتي.

ردت ليالي:

=باكل والله ياما.

خرج جلال من الغرفة، واقترب من عم سلامة ليصافحه:

_ ايه ده حمايا، وحماتي؟ وانا أقول البيت منور ليه؟

عم سلامة بابتسامة:

=منور بأصحابه يا جلال.

وفي الوقت نفسه، استيقظت أم الديب لتجد نفسها في حظيرة البهائم، على الفور، قامت بفك قيد البقرة
وأخذتها معها وهربت إلى حظيرتها الخاصة، وبعد أن اطمأنت أن كل شيء في مأمن، دخلت

للاستحمام. في الوقت الذي انتهى فيه المعلم حنفي، وأحمد من العمل وجمعوا مبلغًا جيدًا من الأموال، كان المعلم حنفي يحسب النقود مع أحمد، فقال ببهجة:
 _ كده يا ض يا أحمد احنا جمعنا النهارده متين جنية، عايزك تاخدهم تحطهم في البوسطة .
 رد احمد، وهو يمتد خياله إلى بعيد:
 =تفتكر يا بابا هنقدر نجمع الفلوس اللي طلبها مني بابا جميلة؟

المعلم حنفي:

_ طبعًا ليه لآ؟ انت بس شغل الجمجمة دي يا ض، واحنا هنكسب ذهب، ويلا نقفل ونرجع ألا انا على لحم بطني .
 عندما أطفأوا الأنوار وخرجوا من الحظيرة، وأغلقوا الباب وراءهم، تفاجأ المعلم حنفي بوجود أم الديب قبالة، فصدمه الذعر وهو يقول بصوت مرتعش:
 _ أعوذ بالله .
 أم الديب بجَلْبَة:
 =شوفت عفريت ولا ايه يا راجل انت؟

نظر المعلم حنفي لأحمد، وقال له:

_ طب روح انت .

رد أحمد:

=حاضر .

عاد أحمد إلى المنزل في حين انطلق المعلم حنفي متجهًا نحو المنزل وراء أم الديب، وعندما وصلوا إلى هناك، لاحظها تلقي عليه نظرات حادة مليئة بالشر، فخرج صوته بهلع:

_ عايزه ايه يا ولية؟

أم الديب بفضول عارم:

=مروح ولا ايه ياخويا؟

المعلم حنفي بخوف، وترقب:

_ أه خلصت ومروح .

أم الديب بتطفل جسيم:

=جالك كام؟

المعلم حنفي بكذب:

_ جالي نص جنية، وجيبت بيه أربع ساندوتشات .

أم الديب ببغضاء :

=الراجل ضحك عليك... هتفضل لحد امتي عبيط والناس بتلسعك على قفاك؟

المعلم حنفي بصياح:

_ لا احترمي نفسك ألا ارزعك علقة يا ولية... انا محدش يقدر يضحك عليا !

بعدما وصلوا، شاهدوا عم سلامة، وزوجته، وابنته يخرجون من المنزل، وكانت ليالي تطمئن عليهم من البلكونة، لكن فجأة، اشتعلت نيران البغضاء في عيون أم الديب، واندلعت بكل شدة، وقالت بغضب حار:

=ايهي ده سلامة دباح الحمير يا ولاد!

رد عم سلامة بانفعال:

_مالك يا ولية؟

ام الديب بكراهية:

=مالك انت ياخويا؟ وناطط للبت ليل نهار ليه هو كان بيت أبوك، ولا بيت أبوك؟

المعلم حنفي بصياح:

_اكتمي يا ولية انتي!

عم سلامة بضجيج:

=انا باجي لبتى كل كام شهر مرة .

أم الديب بصياح:

_شهر مين يا أبو شهر؟ ده انت ناطط هنا كل يوم، هو في ايه ياخويا مالك ومالنا؟

عم سلامة بغضب:

=قسمًا عظمًا إن ما كنتي مرا لا كنت قتلتك بإيديا دول !

أم الديب بسخرية:

_مرا هتضرب مرا ولا ايه؟

وصل حد الضجيج لدرجة أن ليالي قررت النزول للتحدث مع أم الديب وإيقافها عند حدها، فبينما كانت

تنطلق بخطوات مصممة، صاحت بغضب:

=شكلك مش هتجيبها لبر يا حماتي .

ونزلت وهي مستعدة للإشتباك معها، فواصلت بصياح:

_مالك يا حماتي ومال أبويا كان داسلك على طرف؟

أم الديب بجَلْبَة:

=اطلعي يا بت احنا ناقصينك انتي كمان؟

ليالي بصياح، وعناد:

_مش طالعه يا حماتي.

ثم نادى على جلال من الشارع:

_يا جلال... جلال!

وفي هذا الوقت، كان جلال يغسل وجهه في المرحاض، وعندما سمع نداء ليالي، خرج سريعًا من

البلكونة، ليجد أم الديب تتشابك مع عم سلامة وليالي، فنزل مسرعًا، أما المعلم حنفي، فأمسك بأم الديب

بقوة، وصاح بها باهتياج:

=اطلعي فوق يا بت الكلب لا أطحك بالنار أجيب أجلك!

بعد مشادات طويلة، تمكنوا أخيرًا من فض النزاع بنجاح، حتى سعدت أم الديب إلى شقتها بخطوات

ثقيلة، وغادرت عائلة ليالي البلدة وسط أجواء من التوتر، والغضب المكبوت، ومع مرور الأيام، وصولاً

إلى شهرها السادس من الحمل، تأنقت ليالي بحلة من النضارة، وكانت دائمًا تهتم بنظافة منزلها، في

مقابل تفضيل أم الديب للفأذورات، والفوضى، وفي مسيرة تطوير المشروع، لم يبخل المعلم حنفي

بمساعدة أحمد لإكمال المبلغ المطلوب، وفي هذا اليوم الخاص، ذهب أحمد بمفرده إلى منزل جميلة، حيث جلس مع والدها، ووالدتها، وخرجت كلماته من مشاعره الصادقة بجدية مطلقة:
_انا جاهز.

تعجب باسم كون أحمد جمع المبلغ المطلوب، فقد فشل في الرهان الذي خاضه مع قمر الدين، وسامية، عندما أقنعهم بأنه لن يتمكن من تلبية طلباتهم، فانبهر وهو يتساءل بدهشة:
=جمعت المية الف شبكة؟
رد أحمد بثقة:
_أيوه.

تلفظ باسم باهتمام:

=والفيلا؟

تدخلت أم قمر الدين في الحديث، وقالت بصوت حنون:

_باسم ممكن تسهلها على الولد شوية، ونشوف موضوع الفيلا ده في فترة الخطوبة!
رد باسم بدهشة:

=ازاي يا بسملة؟ لازم أضمن حق بنتي!

أحمد بنبرة مهزوزة:

_حضرتك هي هتاخذ حقها كامل، بس اديني فرصة في فتره الخطوبة!

باسم بعدم إقتناع:

=انا مش راضي عن اللي بيحصل ده!

أم قمر الدين بنبرة ودوده:

_أرجوك يا باسم اديله فرصة، كل الشباب في أول حياتهم بيكونوا محتاجين فرص!
باسم بتفكير:

=اممم خلاص اديني فرصة أفكر في الموضوع ده.

أم قمر الدين بابتسامة:

_خلاص يا حبيبي هو هيفكر في الموضوع وهيرد عليك .

رد أحمد بابتسامة في حين هو يقف:

=خذوا وقتكم... مبسوط إنني كنت معاكم النهاردة، عن إنكم.

رد باسم:

_انفضل.

خرج أحمد من المنزل، فقالت أم قمر الدين بإعجاب:

=الولد محترم جدًا زي مانت شايف.

باسم بقلق:

_المشكلة في والدته.

ردت أم قمر الدين:

=وايه علاقة جميلة بيها بعد كده؟ انت خلي الحياة سهله، صدقني البنيت عايزه تفرح!

باسم بتفكير:

_ربنا يسهل يا بسملة.

في منزل أم الديب، كان جلال وزوجته يجلسان معها في الصالة، ينتظران ميعاد كشف الطبيب، وكانت أم الديب تنتقل بين الضحك، والصمت، وبين كل ثانية والأخرى، كانت تلقي نظرات استهزاء نحو بطن ليالي، فاقتربت من نعمة بنبرة ساخرة، وقالت لها بسخرية:
=بصي يا بت على كرشها عامل ازاي!

نعمة بخوف:

_ياما اسكتي دي حامل...أمال هتودي بطنها فين؟

ردت أم الديب بسخرية:

=ياختي كل ده كرش؟

ردت ليالي بخبث:

_بتقولوا حاجة يا حماتي؟

أم الديب بسخرية:

=أما قوليلي يا بت يا ليالي ايه الكرش ده كله؟

غضبت ليالي من سخرية أم الديب لها، فقالت:

_وانتي مالك بكرشي يا حماتي؟

جلال بجلبة:

=مالك ياما ومالها؟

بكت أم الديب، وقالت:

_يا عيني عليا ابني ومراته مش طايقين هزاري... يا بختي المايل يأتي .

جلال بنبرة حادة:

=اتعدلي ياما بلاش تلقيح النسوان ده !

أم الديب بصياح:

_انت بتقل أدبك على أمك يا ولا؟

نعمة بضيق:

=يادي النيلة انتوا مش هتبتلوا خناق ياما؟

وقف جلال، وقال:

_قومي يا ليالي يلا... عشان متأخرش على ميعاد الداكتور.

ليالي بدلال:

=اسدني يا جلال.

ردت نعمة:

_عايزه أجي معاكم يا جلال !

أم الديب بعُيظ:

=تروحي فين يابت؟ والشقة اللي عايزه تنتنصف دي مين ينصفها؟

جلال بنبرة حادة:

_عشر دقائق وتكوني جاهزة.

دخلت نعمة غرفتها بسرعة، وفي الوقت نفسه، نزل جلال، وزوجته إلى الشارع، حيث انطلقوا للصعود إلى السيارة، وبعد انتهاء نعمة من ارتداء ملابسها، نزلت هي الأخرى وانضمت إليهم للذهاب إلى الطبيب، وبعد وصولهم إلى العيادة، نطق الطبيب:
=اتفضلوا.

وبعدما جلس الجميع ردت ليالي:

_عايزه أعرف العيل نوعه ايه يا دكتور.

الطبيب باهتمام:

=انتي كملتي الشهر السادس امتي؟

أجابت ليالي:

_من ثلاث أيام .

رد الطبيب:

=تمام وانتظمتي على العلاج؟

ردت ليالي:

_أيوه باخده كل يوم .

رد الطبيب:

=طيب اتفضلي نشوف .

حينما استلقت ليالي على سرير الكشف، وبدأ الطبيب في الفحص، شعر جلال بالغيرة على زوجته، فقال بهمس:

_براحه يا دكتور ومتبصش عليها أوي .

رد الطبيب بضيق:

=لو سمحت ده شغلي!

نعمة بنظرات حادة:

_اسكت يا جلال خليه يكشف عليها .

وبعدما ظهر نوع الجنين على الشاشة، قال الطبيب:

=ماشاء الله...واضح إن الجنين ولد .

جلال بسعادة:

_بجد يا دكتور؟

الدكتور بسرور:

=أهو ولد ماشاء الله .

ثم جلس على المكتب، وبدأ في كتابة الروشتة، ثم أوصاها قائلاً بلطف:

_انتظمي على التغذية كويس...ممنوع تاكلي موالح أو سكريات، وهتيجي كمان مرتين الشهر ده علشان نتابع .

ردت ليالي بفرحة:

=شكرًا يا دكتور .

ثم غادروا، وعندما دخلت نعمة المنزل، وجدت أحمد يجلس على الأريكة، فسألها بفضول :
_كنتي فين؟

ردت نعمة بفرح:

=كنت مع جلال، وليالي... مش ليالي طلعت حامل في واد! ده أمك كان نفسها تشمت .
رد أحمد باستغراب:

_وهتفرق ايه ولد من بنت؟ كله واحد .

نعمة:

=مانت عارف أمك يا ولا بتفكر ازاي، دي كانت ما هتصدق تعمل مشاكل لو طلعت بت .
خرجت أم الديب من المطبخ، وهي مبتسمة، فقالت:

_ابهي انتي جيتي يا محروسة؟

نعمة:

=أبوة ياما .

ردت أم الديب بكراهية:

_المنيلة على عينها هتجيب ايه؟

نعمة بعفوية:

=هتجيب واد .

يتبع.....

الفصل الثاني عشر

صرخت أم الديب صراخٍ عاتٍ، وأرادت أن تفتن في اثاره مشكلةً على الرغم من أنها استمعت جيدًا، فقالت:

_ يا خرابي هتجيب بت؟ يا عيني عليك يا جلال .

نعمة بصوت أوضح:

=بقولك واد ياما واد !

أم الديب بأسلوب طريف:

_ واد مين؟

ردت نعمة:

=ليالي هتجيب واد مش بت .

أم الديب بحزن:

_ ايهي جات الحزينة تفرح ملقتلهاش مطرح .

ردت نعمة بدهشة:

=ايه ياما اللي بتعمليه ده؟ انا بقولك واد من ساعتها انتي اللي مصممة!

أم الديب بغضب مَنين:

_ كان نفسي أشمت يا بت... كان نفسي!

في اليوم الثاني، وفي لحظات ساعات الصباح الباكر، كان أحمد مستلقياً على الأريكة في زاوية الصالة،

حيث يسودها الظلام المُظلم، وفجأة اشتعل هاتفه المحمول برنينه الصاخب، وعلى الرغم من نعاسه

الشديد، تمكن من الرد على المكالمة، وهو يترنح بين وعيه، وغفوته، وفي ذلك الوقت الضبابي، سمع

صوت جميلة تنطق ببهجة مفرطة:

=بابي وافق !

جلس أحمد بسرعة مذعورًا، وأزاح الغطاء الثقيل المُلقى فوق جسده بحركةٍ مُتسارعة، بينما انبعث السرور، والبهجة ليملاً ملامح وجهه المتعب، وانبتقت ابتسامةً عريضة كالقمر على شفثيه المرهقتين،

وعبر بصوتٍ مفعم بالفرح:

_ ايه ده بجد؟

جميلة بسعادة:

=أها تعالي بليز... متتأخرش!

أحمد بسعادة:

_ هلبس وجاي حالاً .

ضحكت جميلة، وقالت برقة:

=أوكي، وانا مستنياك، باي .

رد أحمد بلهفة:

_ سلام .

بعد انتهاء المكالمة القصيرة بينهما، هرع أحمد بخطى مُتسارعة نحو المراض، حيث قام بغسل وجهه

بالماء البارد، والصابون بدقة فائقة، مُجدياً جهده في تنظيف البشرة من أي أثر للتعب أو النعاس، ثم

استخدم فرشاة الأسنان بانتباه شديد، حتى أصبحت أسنانه تلمع كاللؤلؤ وتزخر بالنضارة، والبياض الناصع، وعندما دخل الغرفة، استأنف ترتيب ملابسه بعناية فائقة، وواجه تحدي اختيار الطقم المناسب من بين القليل من الخيارات المتاحة أمامه، وبعد البحث والتفكير، وجد ما يراه ملائمًا وارتداه بانسجام، ثم واجه المرأة بنفاعة حيوي وبدأ في ترتيب شعره بأنامله الناعمة، ورش العطر الذي يعتمده بانتظام، وأخذ هاتفه، ومحفظته بتنظيم متناهٍ، وبسرعة لا مثيل لها نزل الدرج المؤدي للطابق السفلي، حيث كانت تجلس أم الديب بصحبة نعمة في مدخل المنزل، متفاعلتين في عملية العجن، والخبز، ولفتت عيناها بدهشة سرعة خروجه وتحضيره الفوري، كما لو كان هناك حدثٌ غير متوقع، فلم تتمالك نفسها عن التعبير وقالت بدهشة:

=رايح على فين ياخويا؟

أحمد بسعادة:

_أبو جميلة وافق .

أم الديب بفرحة:

=يا ألف بركة .

ثم انطلقت الزغاريد بصوتٍ عالٍ من أم الديب، ونعمة، وامتأ المنزل بأجواء الفرح، والسرور، فرد أحمد على هذه البهجة بابتسامةٍ تعبيريةٍ تعكس سعادته الكبيرة:

_هعرف منه التفاصيل وهقولكم .

ردت أم الديب بسعادة:

=ماشى ياخويا ربنا يسترك .

وصل أحمد إلى منزل جميلة، حيث قابل والدها في المكتب، وفي لحظة من التقاء الأنظار، والأفكار، أطلق باسم بابتسامةٍ معبرة، تعبيرًا عن سعادته واحترامه:

_أقعد يا أحمد .

أحمد بسعادة:

=متشكر ليك .

بعدما جلس أحمد، قال باسم بجدية:

_أكيد جميلة عرفتك إن انا موافق... ها نتفق على الخطوبة امتى؟

شعر أحمد بأن هناك شيئًا ما يجري بشكل غير مألوف، فكيف يمكنه تحديد ميعاد الخطبة دون وجود أهله؟ بعد تفكيرٍ عميق، قال:

=مش المفروض أجيب أهلي الأول؟

لكن على الرغم من رغبة أحمد في تحديد ميعاد الخطبة، إلا أن باسم كان يفضل عدم التعامل مع عائلته، متجنبًا بذلك حدوث أي مشاكل، خاصةً أنهم غير متوافقين في العديد من الأمور، فقال:

_لالا أهلك ايه؟ انا هتفق معاك انت !

رد أحمد بتعجب:

=اتفضل .

نطق باسم بجدية:

_هنعمل خطوبتين .

أحمد بدهشة:

=ليه خطوبتين؟

أراد باسم فصل عائلته عن عائلة أحمد، حرصاً على تجنب الإحراج المحتمل وتسهيل عملية التواصل،
والنفاهم، فقال:

_يوم لعيلتك ويوم لعيلتنا .

أحمد باستفهام :

=و ليه ميفاش كله في نفس اليوم؟

باسم بكذب:

_احنا عاداتنا كده..تحب نتفق امتى؟

رد أحمد بتفكير:

=زني ما حضرتك تحب .

قال باسم:

_الشبكة نخليها بكرة، والخطوبة الأسبوع الجاي .

زادت فرحة أحمد الضعف، فقال:

=حضرتك بتتكلم بجد؟

رد باسم ببهجة:

_طبعاً وبكامل قواي العقلية .

أحمد بسعادة جارفة:

=مش عارف أقول لحضرتك ايه !

رد باسم بابتسامة:

_مبروك يا أحمد ليك انت وجميلة .

وقف أحمد متأملاً لحظة، ثم اقترب بخطوات ثابتة وقام بعناق والد جميلة بكل ود، تعبيراً عن شدة فرحه،
وامتنانه، وبعد لحظة من الصمت العميق، قال:

=الله يبارك في حضرتك، انا مش مصدق إن حضرتك وافقت، انا أكيد بحلم !

ضحك باسم واكتفى بالصمت، في حين وقف أحمد بعيداً وقام بالاتصال على هايدي، إلا أنه وجد أن
هايدي في تلك اللحظة مشغولة بالذاكرة، فردت بفضول:

_ألو يا أحمد عملت ايه طمنا؟

رد أحمد بسعادة:

=بلغي اللي عندك إن عمي وافق، وهنروح نختار الشبكة بكرة!

ردت هايدي بدهشة جسيمة:

_بتتكلم بجد والله؟ وافق، وافق؟

رد أحمد بسعادة غامرة:

=أه والله وافق، بلغيهم بقى .

تلفظت هايدي بسعادة مفرطة:

_حاضر هقولهم .

تركت هايدي كل ما في يديها، واندفعت بسرعة نحو الأسفل، حيث واجهت أم الديب، ونعمة، وصوتها يرتفع بالاستعجال، وهي تقول:

_بابا جميلة وافق، وهيروحووا يجيبوا الشبكة بكرة !

امتلاً منزل أم الديب بالزغاريد، حيث انعكست أصداء الفرحة في كل زاوية، وفي هذا الجو المليء بالبهجة، والسعادة، ردت نعمة بابتسامة واضحة:

=ياه ياما هنفرح كمان مرة!

بعدما انعكست أصداء الزغاريد في كل ركن من أركان المنزل، هبطت ليالي بسرعة مُتناهية نحو الطابق السفلي، وهي تضع يدها بحنان على جنينها، حتى وصلت إليهم، وبينما تتمايل بين السلالم، نطقت بعبارة مليئة بالفضول:

_ايه يا حماتي ما تفرحين!

أم الديب بسعادة:

=الواد أحمد ابني هيخطب بت الأكاير .

عادت الزغاريد تترنح في الهواء من جديد، فانبعثت ليالي بالبهجة وسارعت لاستخراج المزيد من الزغاريد، وفي لحظة من السرور، نطقت بكل فرح:

_مبروك يا حماتي...عقبالك يا بت يا نعمة .

ردت نعمة، وهي تخبز الخبز في الفرن:

=انشالله يخليكي ويسترك .

ردت أم الديب بفرحة:

_اعملي حسابك يا بت يا ليالي تيجي معانا نشترى الجلايب .

عندما علمت هايدي بنية أم الديب في ارتداء الجلاب في حفل الخطبة الفاخر، تفاجأت للغاية، وشعرت بالانزعاج. فقد كانت تتوقع أن ترتدي أم الديب ملابساً أنيقة تليق بمناسبة الحفل. فعبرت هايدي عن استيائها بتعبير مشمئز، حيث لم تكن مقتنعة بالفكرة ورأت أنها لا تتناسب مع شكل العائلة:

=جلايب ايه يا ماما اللي هتحضري بيها خطوبة في أفخم الأماكن؟

أم الديب بصوت حاد:

_هتفضلي حاطالنا راسك في العالي ليه يا بت؟

شعرت هايدي بقلق شديد من احتمالية حدوث فضيحة خلال حفل الخطبة، خاصة بسبب قرار أم الديب في ارتداء الجلاب، وهو ما قد يثير الجدل، ويؤدي إلى تعليقات سلبية من الحضور... فنطقت:

=مينفعش انتوا هتفضحونا! جلايب ايه اللي تروحووا بيها؟ ده بدل ما تجيبوا فساتين !

أم الديب بتعنت:

_مالها الجلايب ماهي زي الفل...انتوا اللي مش بتفهموا .

ردت ليالي بخبث:

=وهيجيبوا الشبكة امتى يا حماتي؟

أرادت أم الديب أن تثير استياء ليالي، فأعلنت بثبات:

_ بكر ياختي أصل البت جميلة دي بت ناس أكابر في العالي... بت بيضة، وجميلة، وتعليم عالي ياختي، والواد ابني هيجيبها أحلى حاجة مش زي ناس عاملين نفسهم مفيش منهم اتنين!
ردت ليالي بدهاء:

=ليه يا حماتي هي الواحده بقى بيجيلها على قد جمالها؟
ردت أم الديب بثقة:

_ أمال ايه؟

ردت ليالي بثقة:

=علشان كده يا حماتي جالك حصيرتين في جهازك .

صعدت ليالي شقتها بعد أن أطلقت النار بحديثها الذي أصاب قلب أم الديب كالصاعقة، فجعلتها تبتلع ريقها بصعوبة، وبينما تتحلى بغائها اللافت، سألت أم الديب نعمة بدهشة:

_ هي البت دي تقصد ايه؟

ضحكت نعمة، وقالت:

=بتقصف جبهتك ياما .

أم الديب بغباء:

_ ايهي بتقصفها ازاي يا بت؟

نعمة بروح فكاوية:

=يعني بتغلط فيكي ياما .

بدأت أم الديب بالتوعد، وكأنها تلمح إلى نية الانتقام، مُظهرة قوة، وعزمًا يُثيران الرعب:

_ أني يتغلط فيا من بت سلامة؟ ماشي يا بت دباج الحمير!

في اليوم الثاني وضع أحمد المال داخل الحقيبة السوداء بدقة فائقة، مُظهرًا تركيزه الشديد، واهتمامه بالتفاصيل الدقيقة، وبعد انتهاءه من هذه المهمة، خرج إلى الخارج وهو ينبض بالحيوية، والنشاط، ولكن لم تكتفِ أم الديب بالمشاهدة من الخارج، بل أصرت بقوة على مرافقة ابنها، يعكس ذلك ثقته الكبيرة بقدرتها على حمايته، وفي لحظة من التأكيد، والحزم، قالت:

_ أني هاجي معاكم .

رد المعلم حنفي:

=يلا يا ولية البسي .

لكن في حال مرافقة أم الديب له، سيكون زواجه من جميلة في حالة من الانهيار، والفساد، فأدرك أحمد الوضع بعمق، وعبر عن اعتراضه بتعبير متزن، وواعٍ:

_ لا لا مفيش حد هيجي، والد جميلة رافض إن حد يروح غيري !

شعر المعلم حنفي بأن عائلة جميلة تشمنز من وجودهم، فاندلع غضبه بشكل واضح وصريح، معبرًا عن استيائه بكلمات مليئة بالحدة:

=ليه ياض مش قد المقام ولا ايه؟

ردت أم الديب بإصرار:

_ أني هروح ومليش دعوة .

أجاب أحمد بكمد:

=مش هينفع انا بس اللي هروح، وهقولكم عملت ايه !

رفعت أم الديب حاجبها، ووضعت يدها بقوة على خصرها، معبرة عن استياءها بوضوح، حيث تحاول بكل حيلة إظهار قوتها، وحزمها، وفي لحظة من الانفعال، قالت بصوت مليء بالسخط:
_وفي شبكتك هتعمل معانا كده برضة يا ولا؟
رد أحمد بعجلة:

=لا أكيد هتيجوا طبعًا...بس يلا علشان اتأخرت .

خرج أحمد من الشقة، وتوجه نحو موقف السيارات بالبلدة، بينما جلست أم الديب على الأريكة، وعبرت عن عدم رضاها بوضعية حازمة على وجهها، وفي تلك اللحظة، تدخل المعلم حنفي في الموقف، فقال لها بصوت مليء بالثبات:

_خلاص يا ولية... ما حنا هنعرض شبكته .

أم الديب بسخط:

=ابيهي هو احنا الكلب عاملها علينا ولا ايه؟

بعد مرور ثلاث ساعات من الانتظار المترقب، ووصول أحمد إلى أفخم متاجر الألبسة، كانت الأجواء مليئة بالرفاهية، حيث كان يشارك في عملية اختيار الشبكة الفاخرة، وكان والد، ووالدة جميلة متواجدين بالإضافة إلى العروس، وسامية، أما قمر الدين فقد صدم الجميع برفضه القاطع لحضور الحدث، وفي لحظة من التأمل بينما كانت العروس تختار الخاتم المثالي، فاجأهم باسم برد فعله الغير متوقع، كما لو أنه يعبر عن شيء معين بتلك الإجابة القاطعة:

_المية ألف اللي معاك دي هنجيب بيها خاتم ألماس .

رد أحمد بعدم رضا:

=بس كثير على خاتم واحد!

رد باسم بصوت حاد:

_قصدك قليل... انا بنتي مفيش حاجة تكثر عليها، ولو مش حابب انك تدفع المبلغ ده تقدر تشوف حد ثاني .

ردت أم قمر الدين بابتسامة:

=الأمر مش بنتاخذ كده يا حبيبي، احنا عايزين الأولاد يفرحوا .

رد باسم بصوت حاد:

_بس مش على حساب بنتي يا بسملة!

كانت الظروف تتطلب من أحمد الموافقة، وكان الحب هو الحل الوحيد، فأجاب بكلمات تنم عن قوة العواطف، وقدرتها على تحقيق المعجزات:

=خلاص انا موافق .

رد باسم:

_اختارتي يا جميلة؟

اختارت جميلة الخاتم المناسب، وأعربت عن سعادتها، واكتمال فرحتها، فقالت ببساطة:

=ده حلو أوي يا بابي .

رد باسم:

_ احنا خلاص قررنا هناخد ده .

تلفظ البائع بابتسامه:

=مبروك يا فندم .

رد باسم:

_ الله يبارك فيك .

لكن في تلك اللحظة المفصلية، تلاشت ذكريات مشقة جمع الأموال وعبء الساعات الطويلة التي قضاها أحمد في سبيل الوصول إلى جميلة، حيث غمرتهم مشاعر الفرحه، والسرور، وتناثرت الابتسامات الساطعة على وجوههم، وشعر أحمد لأول مرة في حياته بأنه قد تحقق حلمه الذي طالما تمناه. وبعد أن قام بدفع المبالغ المطلوبة، توجهوا سويًا لاختيار قاعة حفل الخطوبة، وعندما وقعت أعينهم على قاعة الاحتفالات، أعرب باسم عن إعجابه ورضاه التام بتلك الاختيارات الفخمة، والراقية:
=حلوه القاعة دي .

لكنها لم تنل إعجاب أم قمر الدين، فقالت:

_ مش حاساها أوي، وبعدين انا بفكر يعني يا حبيبي إننا نخلي الخطوبة في نفس اليوم احنا كده هنصرف كثير!

رد باسم بلا مبالاة:

=ايه المشكلة انا كده كده هاخذهم منه بعد الجواز... انا بنتي مش أقل من حد، ولو إني شايف بعد المية ألف دول إنها بقيت أقل من كل أخواتها .

ثم نظر لأحمد، وواصل حديثه:

_ سامية بنتي عريسها جابلها من ثلاث سنين شبكة بخمسة مليون، إنما نرمين جالها بتلاتة مليون .
شعر أحمد بالعجز يسكنه، أمام جميلة وعائلتها، وكأنه يواجه جدارًا من الصعوبات يحجب طريقه، فأدلى كلماته بصوت مهتز وضعيف، ينم عن هشاشة حاله وضعف قوته حيال الظروف القاسية:
=انا هعوض جميلة بس في الوقت المناسب .

رد باسم:

_ وانا معنديش مشكلة!

في منزل أم الديب بعد مرور ثلاث ساعات، كانت توصب رأس زوجها، وأولادها بتفانٍ، حيث كانت تتحرك بمعدل خمسمائة مرة في الدقيقة الواحدة، وكانت تعجز عن الجلوس لفترة طويلة على الأريكة نظرًا لشدة تركيزها، وتفكيرها العميق، وفي لحظة من الاستغراب، والتعبير عن الحالة القائمة، قالت
نعمة بكلمات تنم عن إرهاقها البصري:

=ما خلاص ياما... ايه رجلكي موجعتكيش؟

ردت أم الديب بانفعال:

_ أخوكي تلافونه مقبول يا بت، وأني عاوزه أعرف هبب ايه في سنته الزرقا ده، حوسه لا يكونوا ضحكوا عليه ودبسوه في مبلغ كبير!

ردت هايدي بتعبير متجاوز يدل على ازدرائها، واستهزائها من شأن عائلتها، مما يظهر عدم رضاها:
=ده انتي تحمدي ربنا إنهم وافقوا علينا أساسًا... انا لحد دلوقتي مش قادرة أقتنع انهم وافقوا!

ردت نعمة:

_ تصدقي بالله يا بت يا هايدي، والمصحف وانا كمان، حاسة في حاجة غلط!

ردت أم الديب، وهي تكن البغضاء لليالي:

=ده انتوا تصلوا لله ركعتين شكر أنهم وافقوا علينا، دول ناس واصلين أوي، ده اللي زي دول ضوفرهم
برقبة بت سلامة دباح الحمير، هما دول اللي يتقال عليهم نسوان بحق وحقيقي مش الثانية!

ردت نعمة بصياح:

_ وايه اللي جاب سيرتها في الكلام دلوقتي ياما؟

ردت أم الديب بصوت غليظ:

=وانتي مدايقة ليه يا بت الكلب؟ بتدافعي عنها ليه؟ حوسه لا تكون بتحتلك العمل الأزرق في الأكل اللي
بتطفيه عندها!

ردت نعمة:

_ لا ياما، ليالي عمرها ما تعمل كده، دي محترمة وطالعة من بيت محترم .

ردت أم الديب بسخرية:

=محترمة أه... ده في خيالك يا بت!

دخل أحمد من باب الشقة، وفي يده الحقيبة الفارغة، حيث لا تحتوي إلا على الهواء، وجلس على
الأريكة وهو مُنهك، فاجتمع حوله أم الديب، ونعمة، وهايدي بتعبيرات الاهتمام، وفي لحظة من التأمل،
قالت أم الديب بصوتٍ يحمل الفضول:

=عملت ايه يا ولا؟

رد أحمد بعفوية:

_ دفعت مية ألف في خاتم .

صرخت أم الديب صراخ منين قائلة بصدمة:

=يا خرابي كل ده؟

غضب أحمد، فقال:

_ ايه يا ماما؟ ده بالنسبالهم قليل جدًا، ده أخواتها جايلهم بملايين .

أم الديب بجلية:

=احنا على قدنا يا منيل، وجيبتهم منين دول؟

توتر أحمد، فقال:

_ كنت بشتغل .

أم الديب بصراخ:

=يا نهاري ياني، الواد دفع اللي في جيبه كله على حته دبله... يا مصيبتني ياني!

خرج المعلم حنفي من الغرفة، وقال بسعادة:

_ ما خلاص يا ولية انتي هتوجعي دماغنا ليه؟ ألف مبروك ياوض، الشبكة امتي؟

رد أحمد بسعادة:

=الله يبارك فيك... الحد الجاي .

المعلم حنفي بسرور :

_ يلا على البركة .

توجهت أم الديب إلى الحظيرة وفي يدها إناء استانلس لحلب الأبقار، بينما دخلت هايدي غرفتها لتواصل المذاكرة، وفي الوقت نفسه، جلست نعمة أمام التلفاز وهي تقوم بتقشير البطاطا بإتقان، أما أحمد، والمعلم حنفي فتوجهها إلى مكان عملهما سويًا. وهناك، جلس المعلم حنفي أمام ابنه، وبينما كانت الهموم تختلج في أفق عينيه، قال بصوت يحمل الحنان:
=انا بديتك على نفسي .

رد أحمد بتعجب:

_ازاي مش فاهم؟

رد المعلم حنفي بروح الأبوة الطاغية، معبرًا عن اهتمامه، ورعايته لابنه بنبرة تتم عن الحنان، والعناية الأبوية العميقة:

=القرشين اللي خدتهم من بلاد براء، والبقرتين اللي سرقتهم من أمك، لولا هم كان زمانك مش عارف تخطب بت الأكابر، ماهو أصل أني كنت محوشهم عشان أتجوز، بس بيني وبينك لما فكرت، قولت انت هتاخذ زمانك، وزمن غيرك؟ ابنك غلبان ومالوش إلا انت، خليه هو يتجوز، وانت يبقى ربنا يسهلك بعدين .

رد أحمد بامتنان:

_على دماغي اللي انت عملته معايا يا بابا... انا أول ما ربنا يكرمني هرجلك كل اللي انت صرفته عليا .

ضحك المعلم حنفي، وقال:

=هو أني بحكيلك عشان مستني منك حاجة؟ يا ض انا اللي عاوز أفهمهولك إن أمك عمرها ما حبتكم زي مانا بحبكم وبديكم على نفسي، لكن هي ولا فارق معاها أي حاجة!
رد أحمد:

_هو ده طبعها ومش هتغيره، مستحيل هتغير طبعها في يومين، وهي عاشت سنين تكون فيه!... انا عن نفسي مابقتش مستني منها حاجة .

رد المعلم حنفي:

=جدع يا ض، ده اللي يتسند عليها يقع، دي حيلة مايله... المهم هتروح تجيب البدلة امتي؟

رد أحمد بإرهاق:

_بكره ألا النهاردة كان يوم متعب أوي... ست ساعات رايح جاي في نفس الطريق، بس كله يهون عشان خاطر عيونها .

ضحك المعلم حنفي، ونطق بذكاء:

=شكالك وقعت يالا .

ضحك أحمد، وقال:

_ده انا وقعت حنة دين وقعة، ولما جم يقوموني، قولتلهم لا انا عاجباني الواقعة دي، وهفضل هنا مش متحرك من مكاني!

ضحكوا معًا. بينما في الحظيرة، وسط الروائح القاسية، والبيئة المليئة بالقذارة، حيث وجدت أم الديب نفسها تقف أمام البقرة، فكانت تلبس الجلباب المتسخ الذي لا يخفي عنه آثار العمل الشاق، فقامت بمسح فضلات البقرة الملتصقة على جسدها بدقة، ثم جلست وبدأت في حلب البقرة، وسط الأوساخ، والرائحة

الكريهة التي تعكرت مع تداخلها مع الحليب، مما جعله يفقد نقاوته، ونكهته الطبيعية. وبعد الانتهاء من المهمة، عادت إلى المنزل وبدأت في تصفية اللبن من الشوائب وغليه، محاولةً تحويله إلى مشروب صافٍ، ونقي، ثم أحضرت ثلاثة أكواب نظيفة وخرجت بها إلى الصالة، حيث جلست مع ابنتيها، وبينما كانت ترابطهما بعيون مليئة بالرعاية، نادت ابنتها الصغيرة "هايدي"، فجاء الجواب السريع مصحوبًا بابتسامة المراهقة المليئة بالبراءة:
=انتي يا بت، تعالي اشربي لبن .

خرجت هايدي من الغرفة، ومدت يدها لتمسك الكوب بحثًا عن الانتعاش، لكن بمجرد أن شربت منه، شعرت بالتقرز، والاشمئزاز، فتعاطمت تلك الردة في داخلها وسط الغثيان، فلم تتمكن إلا من القول بصوت مليء بالانزعاج:
_ اففف...ايه ريحة الجلة اللي في اللبن دي؟
ردت أم الديب بصوت غليظ:
=اللبن زي الفل مافيهوش حاجة... بلاش دلع، اشربي وانتي ساكتة!

ردت نعمة باشمئزاز:
_ تصدقي ياما إن اللبن ده ريحته منتنة فعلاً .
ولكي تثبت أم الديب لبناتها أنهم على خطأ، قررت أن تتخذ خطوة جريئة، فأمسكت بالكوب وشربت منه بلا تردد أمام أعينهم، وكأنها تحاول إظهار لهم أن الأمور ليست كما يتصورون. ثم قالت بصوت واثق:
=زي الفل أهو...لو كان فيه حاجة كانت بانتي!
ردت هايدي بتقرز:
_ انا مش عايزة أشرب لبن .

وتركت الكوب جانبًا، فصرخت أم الديب بها:
=هتشربيه ورجلك فوق رقبتك، آني لما أقول كلمة تتنفذ...اشربيه يلا .
فزعت هايدي من رد فعل والدتها، فأخذت الكوب بحذر ودخلت به إلى غرفتها، ثم قامت بسكب محتواه في كيس ورمته من النافذة، مع الشعور بالتخفيف، والارتياح. بعد ذلك، جلست لتستأنف مذاكرتها، ومرت الأيام بسلاسة حتى وصلت إلى يوم حفل خطبة أحمد، وجميلة. كان أحمد يسعى جاهدًا ليكون في أفضل حال في هذا اليوم المهم، حتى قرر شراء عباءة جديدة لأم الديب، لعلها لا ترتدي الجلابب الريفي المتسخ. وبعد أن أعدل أحمد بدلته أمام المرأة، وقفت هايدي أمامه بتعبير يخفي خلفه مشاعر مختلطة، فقالت بصوت هامس:

_ ما شاء الله عليك، عريس زي القمر .

ضحك أحمد، وعانق هايدي قائلاً:

=ربنا يخليكي ليا يا هايدي، وعقبال ما أوصلك لعريسك بايدي .

ردت هايدي بسعادة:

_ يارب .

انطلق الجميع بفرحة متجددة من محيط المنزل، وتوجهوا نحو السيارة، التي كانت تُشعّ بريق الأمل، والسعادة، وتحملهم بأجنحتها الواسعة في رحلة مليئة بالبهجة، وكانت الأغاني تعزف لحن السعادة وتملاً

الأجواء برائحة الفرح، وكانت الزغاريد ترتفع في السماء، وحتى أصوات الطلقات النارية كانت ترنو إلى السماء وكأنها تحتفل بالمناسبة السعيدة. وبعد وصولهم إلى القاعة المفتوحة، دخل أحمد وهو يحمل باقة من الورود الزاهية، تنبعث منها رائحة طيبة، فتجسدت في لحظة التقاءه بباسم، وقمر الدين، وعلاء الدين، حيث انصهرت الأفئدة ببعض في لحظة عانقت فيها المشاعر الصادقة.. نطق أحمد ببهجة:

=ازيك يا عمي؟

رد باسم بابتسامة:

_بخير، ازيك انت يا عريس؟

أجاب أحمد بسعادة:

=الحمد لله .

جاء المعلم حنفي، ورافقه جلال بخلفيته الشعبوية، فأشار أحمد بيده نحوهم بابتسامة دافئة، وبأنفاس مليئة بالسعادة، وقال بود: َ

=ده والدي، وده جلال أخويا .

مد المعلم حنفي يده لباسم ببهجة، وصافحه قائلاً:

_لما أحمد قالي انك برنس، صدقته، بس لما شوفتك النهاردة أتأكدت .

ضحك باسم، وقال:

=متشكر .

نظر قمر الدين في وجه جلال، فتجددت في ذاكرته لحظات مريرة عاشها في المستشفى، وبادر بتعبيرات الغرور، والازدراء التي تجسدت على وجهه بوضوح، ثم غادر القاعة بخطوات ثقيلة، فلم ترق لجلال هذه النظرات المهينة، إلا أنه أمسك نفسه بقوة حتى لا يفسد الأجواء الاحتفالية على الحضور. بينما ذهبت أم الديب لتتبادل التحايا مع أم قمر الدين، حيث كانت تقف بجانب ابنتها منى، ونالا، أشرق جميعهم بأنفتهم، وجمالهم، فمنظرهم جميعاً يرسم البهجة، والسعادة في الأجواء. ومن يرى أم الديب، ونعمة برفقتهم يشعر وكأنهم خدم في هذا الحفل المهيّب. فأطلقت أم الديب الزغاريد بحماس، وعانقت أم قمر الدين بحرارة، ومودة، ولكنها بمجرد شعورها بروائح غير مرغوبة، ابتعدت بسرعة، حيث قالت أم الديب ببهجة:

_ازيك يا أم العروسة عاملة ايه؟

ردت أم قمر الدين:

=بخير... انتي عاملة ايه؟

ردت أم الديب بسعادة:

_زي الفل... ده أني النهارده الفرحة مش سايعاني .

ردت أم قمر الدين بفرحة:

=طبعا، كلنا النهاردة سعداء يا حبييتي .

نظرت أم قمر الدين لليالي وهي تحاول أن تتذكرها، وفجأة تحدثت بصوتٍ هاديٍ مليءً بالذكريات، والتأملات:

_دي عروسة ابنك صح؟

ردت أم الديب بنظرات حاقدة:
=هي بعينها ليالي .

اقتربت ليالي، وعانقت أم قمر الدين، وقالت بأطف:
_مبروك يا أم العروسة .
ردت أم قمر الدين بابتسامة:
=ميرسي...طب اتفضلوا!

ثم أخذتهم وجلسوا في البهو الرحيب، وبعيد كان جلال يقف بجانب المعلم حنفي، وينظر حوله بعينين مفتوحتين على مشهد الجمال الباهر الذي يحيط بهم. فقاعة الاحتفال كانت بالفعل بليغة الجمال، وكان كل الحاضرين من أصحاب الطبقات العليا، تلك التي لم يتوقعها أحد سوى أم الديب، وزوجها، وأبناؤها في تلك اللحظات التي رأوا فيها اللقطات على شاشة التلفزيون. وكان جلال يتحدث بتعبيرات الدهشة، والإعجاب التي تحيط به:
_يالهي يا...ايه المكان الفخم ده؟
المعلم حنفي بإحباط:
=ده احنا مش عايشين يا ض !

كادت أم الديب أن تجن من جمال المنظر، فقالت:
_يا حلاوة يا ولاد...ايه الجمال ده؟
تحدثت ليالي بنار الغيرة:
=عاملين كده وأغنياء؟ أمال لو فقراء بقى كانوا عملوا ايه؟ بقى ده منظر قاعة؟
ردت أم الديب بسخط:
_اسم الله على اللي كانوا عاملينها فرحها في الشارع، صحيح الناس مقامات .
جاءت سامية من بعيد، واقتربت من أم الديب بخطوات ثابتة، وواثقة، ثم ألقَت السلام عليها بابتسامة ودية، وقالت بلباقة:
=هاي يا أم الديب أخبارك ايه؟
أم الديب بسعادة:
_نحمد ونشكر ربنا يا ست سامية .
قالت أم قمر الدين بإعجاب:
=ما شاء الله، أم الديب منورة النهاردة .
ردت أم الديب بسعادة، وهي تلتفت حولها:
_انشالله يخليكي...أمال فين الأكل؟
نطقت أم قمر الدين بصدمة:
=نعم؟

وفي لحظة حاولت هايدي تعديل قول أم الديب، حتى لا ينظروا إليهم من منظور الفقر، فوضعت كفها بسرعة على فم أم الديب، كأنها تحاول أن تحتضن كلماتها قبل أن تطلقها، وبروح فكاهية شديدة، ألقت كلماتها محاولةً أن تلطف من حدة الوضع وتحافظ على كرامة عائلتها:

_ماما قصدنا فين التراييزة بتاعتنا؟

ردت أم قمر الدين:

=أوه يا هايدي...معقول هتستأذنونني؟ اقعدي في المكان اللي يعجبكم، مادام الـ Table دي مش لطيفة بالنسبالكم!

تحدثت أم الديب باهتمام:

_أمال عروستنا فين؟

ردت أم قمر الدين:

=جميلة بتجهز في أوصتها .

بمجرد أن انتهت أم قمر الدين من حديثها، تنفس الجميع بغمرة الانتظار، حينما نزل العريس، والعروس متحدتين الجمال بمشهد ينم عن الحب. فكانت جميلة تتألق كالبدنر المضيء في سماء الليل، وبينما كان الجميع يتوقف بدهشة، وضعت أم قمر الدين يدها بحنان على قلبها المتسارع من شدة المشاعر العميقة التي تجتاحها، وبلهفة ورومانسية تغمر الأجواء، أطلقت كلماتها بصوت ينبض بالعاطفة:

_أوه حبيبة قلب مامي زي القمر .

ردت أم الديب بذهول:

=طالعالك ياست هانم .

أم قمر الدين:

_ميرسي يا أم الديب كلك ذوق .

جلس العريس، والعروس على مقاعدهم المميزة، فاشتعلت نيران الغيرة في قلب ليالي، فحاولت بكل قوتها التقليل من شأن العروس وإظهار أنها لا تُبالي، فقالت بصوت مليء بالاهتياج:

=ماهي عادية أهو، أمال طالعين بيها السما ليه؟

رد جلال بثبات، وهو مدرك قصد ليالي:

_شغل السلايف اشتغل أهو .

ردت ليالي بامتعاض:

=والله؟ بقى كده يا جلال؟

صمت جلال، وهو يركز انتباهه على العريس والعروس، وفي تلك اللحظة كان أحمد يشعر بأقصى درجات السعادة بجانب عروسته، فنطق بكلمات مليئة بالعشق، قائلاً لها بصوت عذب، ومفعم بالعاطفة:

_انا مش مصدق انك بقيتي ليا يا جميلة!

ردت جميلة بسعادة:

=ولا انا مصدقة يا روجي .

تقدمت أم الديب لتهنئة العريس، والعروس، ولكنها لم تكتفِ بذلك، بل قامت بتقبيلهما خمسمائة قبلة بمشاعر من الفرح، لكن عندما اقتربت جميلة منها، شعرت بالاشمزاز من رائحتها السيئة، فلم تستطع كبح رد فعلها، وقالت بانزعاج:
=خلاص يا طنط كفاية!

أطلقت أم الديب الزغاريد بحماس، ووقفت بجانب ابنها في الكوشة، وهي تفرك كفيها، وتخرج لسانها بلا تحكم، لتوجيه رسالة غير مباشرة لليالي، لكن لاحظت ليالي الحركات المفرطة، وغير المتزنة، فاستدارت لتنظر إليها نظرة ساخرة، وعلى شفيتها ابتسامة تتم عن استهزاءها:
_ربنا يشفي .

في لقاء أسري لعائلة باسم، كانوا يتحدثون بشأن زواج جميلة، ابنة أحد أكبر رجال الأعمال، من عائلة فقيرة بالريف. وبينما كانوا يتناولون هذا الموضوع، كانت عشوائية الحديث، والأفعال سائدة بينهم، وفي هذا السياق، قالت واحدة للأخرى:
=ياي...ناس بلدي أوي .

ردت الأخرى باشمزاز:
_هما بلدي بعقل؟ انا مش عارفة بجد جميلة كان عقلها فين لما وافقت على حد كده؟
ردت الأولى بذهول:
=سيبك من جميلة... طيب باسم ازاي تعدي عليه حاجة زي دي؟ وهما من امتي بيجوزوا بناتهم لناس من الريف؟

تحدث باسم مع زوجته قائلاً:
_ايه المناظر اللي تكسف دي؟ ياريتني ما سمعت كلامك وخليت كله في نفس اليوم .
أم قمر الدين بإحراج:
=معلش استحمل كلها ساعتين بالكثير والخطوبة تخلص .
باسم بضيق:

_يا بسملة انا شكلي بقى وحش... انا أناسب الناس دي؟
أم قمر الدين بقلق :
=أرجوك مش عايزة البننت تزعل في يوم زي ده .
قمر الدين بسخط:

_بس بابا عنده حق بدمتك دي ناس نناسبها؟ شكلنا ايه قدام قرابيننا؟
علاء الدين بانفعال:

=انا محرج جداً... انا معرفتش أعزم حد من صحابي، هبص في وشهم ثاني ازاي؟
جاءت سامية، ووقفت معهم، وقالت بفضول:
_في ايه يا ماما؟

أم قمر الدين باستياء:
=تعالى شوفي أخواتك مصممين ينكدوا عليا يوم خطوبة أختك .
ثم غادرت، وذهبت لجميلة، فقالت سامية:
_ليه كده يا حبايبي؟

أراد "ضايح" البلطجي بعناده المعهود دخول حفل الخطبة المهم، ولكن جاءه تصدي حراس الحفل كحائط من الصخور يحول دون دخوله. فغلبه غيظه، وصاح بهم بصوت يهز الجو قائلاً:
 =جرا ايه يا جدع منك له، ده انا خال العريس، مش حد غريب!
 قاموا بإدخاله بعناء إلى الحفل، وبعد دخوله ووصوله إلى العريس، أخرج "المطوى" من جيبه ببطء متردد، ثم اقترب من العريس وصافحه بتحفظ، وعبر قائلاً:
 _مبروك يا عريس .

رد أحمد بإحراج:
 =الله يبارك فيك يا خالي .
 عندما لاحظ جلال وجود خاله، تحولت الابتسامة على وجهه من الأذن اليمنى إلى الأذن اليسرى، وانطلق نحوه بسرعة متناهية، وأغرقه في عناق وثيق، معبراً:
 _نورت الدنيا يا خالي .
 رد ضايح بسعادة:
 =الله يبارك فيك يا جلال .
 ثم أمسك بالميكروفون ووقف على المسرح، وفجأة قام بخلع القميص الداخلي الأبيض الذي كان يرتديه، وبلغه عفوية، وعشوائية، صاح قائلاً:
 _سلامو عليكم يا منطقة... النهارده خطوبة ابن أختي الغالية أم الديب... يعني الشهامة يعني الحلاوة، يعني الكرم .

ثم تحدث بصوت خافت بينه، ونفسه، وقال:
 =ربنا يسامحني .
 وتابع حديثه بصوت مرتفع قائلاً:
 _يعني الأخت اللي في الشده، جلال أخو العريس يعني المطاوي، والسكاكين، واللذي منه، وشعارنا
 رد جلال مع خاله ضايح في صوت واحد:
 =اللي يجي على جلال، وخاله يبقى مسك سلك الكهرباء وحطه في سنانه... وإيدله .
 أخرج جلال المطوى من جيبه، وأمسك به بين يديه، وبدأ يلهو به. وفجأة، اقترب خاله "ضايح" من العريس، وهو يتلاعب بالمطوى قرب رأسه، فانفعل أحمد، وصاح بغضب:
 _ما تبعد يا خالي في ايه؟

في بُعد آخر، كان باسم يعبر عن غضبه بنظراته المليئة بالامتعاض، وصوته الذي انطلق بصرخة كامدة، وهو يقول:
 =ايه القرف والمهزله اللي بتحصل دي؟

قمر الدين بغضب جسيم:
 _انا مش هسكت.
 اتجه باسم لضايح، وعقبه قمر الدين، وعلاء الدين، فنطق بصوت حاد:

=خذ بعضك وامشي يا بتاع انت من هنا!
ونظر للحرس، وأكمل حديثه:
=انتوا ازاي تدخلوه؟

رد الحارس:

_ احنا متأسفين !

باسم بصياح:

=طلعوه برا هو واللي معاه...يلا!

وفجأة، اندفع جلال بعيدًا عن العريس وأمسك المطوى بين يديه، متجهًا نحو والد العروسة بنية واضحة للتصدي له، وفي هذه اللحظة الحرجة، صرخ ضايح بكمد هائج، قائلاً:
_ ضايح ثلاثين حالة قتل، ومستعد أخليهم واحد وتلاتين دلوقتي.

قال جلال بشر:

=انا في ضمرك يا خالي.

رد ضايح بصياح:

_ لا ماهو ما عاش ولا كان اللي يحط علينا.

باسم باشمئزاز:

=ايه القرف ده ؟ خدوا الأشكال دي، وبرأ !

وقف أحمد، وجميلة متأملين الرهبة، بينما كانت عائلة باسم تراقب عائلة أحمد باشمئزاز، فلا تدري أم قمر الدين كيف ستتصرف في هذه المشكلة العويصة، وسرعان ما تدخلت في الموضوع بنبرة خائفة، ومتوترة، قائلة:

_ بليز يا باسم بلاش مشاكل، خليهم يمشوا عايزين اليوم يعدي على خير .

لكن باسم كان مصممًا على الاتصال بالشرطة، لكي تتم معاقبة هذه السلوكيات السيئة، فقال بانزعاج:
=انا هتصل بالشرطة تيجي تاخذكم في الحجز .

تحدث الحرس:

_ نتدخل يا فندم؟

باسم بجلبية :

=أيوه أمال انتوا واقفين تهيبوا ايه؟

تشبث الحرس بجلال، وخاله ضايح، وأقتادوهما بالقوة لإخراجهما من قاعة الحفل، وفي الوقت نفسه كانت ليالي، ونعمة تعولان بشدة، بينما استغلت أم الديب الفرصة ودخلت البوفيه، حيث لم يلتفت أحد لها في ظل هذه المشاكل. وبينما كان أحمد يشعر وكأن الماء البارد يتدفق عليه أمام جميلة، صاحت ليالي بصوت مليء بالخرع:

_ هيعملوا فيك ايه يا جلال؟ هيعملوا فيك ايه؟

دخلت أم الديب إلى البوفيه، وفي يدها كيس أسود، فسارعت لجمع اللحوم، والفراخ المتوفرة هناك، ووضعتها داخل الكيس. وعندما وصلت إلى أطباق الأرز، والخضروات، أمسكت أكبر ملعقة وبدأت في تناول الطعام بشراهة، كأن شيئًا ما يطاردها. نسيت تمامًا وجود الكاميرات في البوفيه، وأدركت لاحقًا

أن شاشة القاعة كانت مفتوحة على كاميرات البوفيه، ما جعل الحضور يضحكون عندما شاهدوا أم الديب في هذا الموقف المحرج، في حين أصيب أحمد بالصدمة، حيث عبرت هايدي تلك الحرج بكلماتها:

=ياربي على الفضايح!

أم قمر الدين بإحراج أمام أقاربها:

_أوه ماي جاد... مش قادره أستحمل أكثر من كده !

رد باسم بصراخ:

=عاجبك اللي بيحصل ده؟ بقى باسم باشا الهواري، يتحط في الموقف الحقير ده؟

بكت جميلة بكاء قوي، وقالت:

_فرحتي باظت... باظت .

بالضبط كما حدث مع ليالي ليلة خطبتها، جرت بعيدًا وهي تبكي، وخلفها أخواتها يتبعنها. وفي أثرهن

جری أحمد، يناديها بقهر:

=استني يا جميلة... متمشيش!

لكن أم الديب لا تشعر بالحدث الذي يجري خلفها، فهي في عالم آخر، مشغولة بتناول الطعام بلا هم، كما

لو كانت تأكل من قشور البطاطس، وسط ضحكات المعازيم التي ما زالت تعلو أصواتها. وفي هذا

الوقت العصيب، صاح باسم بغضب مطلق:

_طلعوا أهل العريس برا .

بمجرد خروج العائلة من القاعة، جميعًا بما في ذلك أحمد، أخرجوا بوحشية من قَبَل الحراس. وفي

الخارج، كان جلال، وضايح ينتظرانهم بشكل ملحوظ، وعندما خرجوا، اندلع ضجيجهم بشكل عنيف،

فصاح جلال بصوت مرتفع:

=مين اللي طردكم ياما وانا أدبجه !

ضايح بجلبة:

_مين ياختي؟ قوللنا واحنا نظير رقبتة... ده انا هعمل مديحة هنا، ولو فيكم راجل يبقى يطلعي ويشوف

هنعمل فيه ايه !

أم الديب بصراخ:

=امشي يالا انت وخالك... يلا روحوا !

المعلم حنفي بامتعاض يشوبه الندم:

_ احنا غطانين يا ولية إننا سمعنا كلام ابنك وخطبنا له بت الأكاير .

ضحكت ليالي ضحكة شامتة، وقالت:

=هي دي بت الأكاير البيضة، والجميلة واللي ابنك هيجيلها احسن حاجة يا حماتي؟ أهي رميتكم برا

رمية الكلاب .

جلال بصياح:

_ اكنمي يا بت بدل ما أطشلك !

ليالي بصدمة:

=انت بتز عقلي يا جلال؟

رفعت أم الديب يديها الاثنتين لأعلى، وصرخت صرخة قوية:

_يا خرابي...يا لهوتي .

المعلم حنفي بغضب:

=آني مروح...اتصرفوا مع بعض .

ليالي بانتحاب:

_ما ترد عليا يا جلال بتز عقلي قدام أمك؟

جلال بدوى:

=اسكتي يا ليالي بدل ما أعملها معاكى !

ليالي بغضب:

_آني مروحة .

غادرت ليالي وفي الحال قام جلال بسحبها من يدها، وقال بصوت جلف:

=رايحه فين يا بت؟ ده الدنيا ليل!

ليالي بنواح:

_أوعى يا جلال...أوعى بقولك!

جلال وهو يتكى على يدها بقوة، والشر على وجهه:

=اتمسي، وقولي يا مسا!

ليالي بصراخ:

_أوعى بقولك!

وتركته، وغادرت بعيد وهي تبكي، فقال ضايح:

=روح يا معلم هات مراتك .

أم الديب بصداح:

_أه يآني... أه .

وضعت نعمة يدها على كتف أم الديب، وقالت:

=خلاص ياما اهدي .

أحمد بحزن عارم، ودموع:

_حسبنا الله ونعم الوكيل فيكم بوظتولي فرحتي، أعمل فيكم ايه؟ عالطول فاضحيني في كل مكان... انا

ماشى ومش عايز أشوف وش حد فيكم تاني!

ردت هايدي بحزن:

=انا جايه معاك... استنى!

سارت هايدي خلف ظل أخيها، وهمس الزمان بأسراره المكتومة، وجلال يسرع وراء ليالي، حيث

تتجلى الدموع على وجنتيها كندى الصباح. وفي لحظة تعب، خرج صوته المُنهك يتلوث بالإرهاق،

فقال:

_بت يا ليالي قطعتي نفسي...يا بت ماتردي عليا!

ليالي ببياء:

=ملكش كلام عليا وامشي!

جلال بدهشة:

_ امشي ايه يا ليالي؟ انتي مراتي !

ليالي بصياح:

=عايز مني ايه يا خويا؟

جلال بجلبة:

_ انا مش عايز أمد ايدي عليكي علشان انتي حامل !

ليالي باعوال:

=وديني بيت أبويا لحد ما أولد .

جلال بصياح:

_ مش هتروحي في حنة يا بت، وهتقعدي في بيتك لحد ما الواد يشرف... فاهمة ولا لا؟

اتكأ جلال على يد زوجته بقوة، فانفجرت ليالي بصوت يمزق السكون، قائلة بصداح:

=أه ايدي... أوعى!

جلال بصوت حاد:

_ يلا روعي مع أمي، وأخواتي .

أمسك جلال يد زوجته بقوة، مع إرجاعها مجددًا إلى أم الديب، وفي لحظة من التأمل، نطق جلال قائلاً:

=يلا ياما خدوا ليالي، وروحوا .

عادت هايدي بعدما مضى أحمد، ورجعوا جميعًا للمنزل إلا جلال، وخاله ينتظران خروج باسم، وأبناؤه،

وبينما كان المعلم حنفي مشغولاً في الذهاب لمتجره، اقترب جلال بحيرة، وتوتر منهم وهم يخططون

لأذيتهم، وفي لحظة من الشجاعة قال جلال :

_ شرفت يا معلم .

باسم بغضب:

=انت عايز ايه، وايه اللي موقفكم هنا لحد دلوقتي؟

ضايع بروح إنتقامية:

_ سيبها عليا يابن أختي .

قبل أن يخرج سلاحه من جيبه، ويقوم بضرب باسم وأبناؤه، ظهرت سيارة الشرطة، وانبتق منها رجال

الشرطة بكلبشاتهم المشهورة، ليضعوا حدًا للفوضى المحتملة .

يتبع....

الفصل الثالث عشر

مد باسم يده لمصافحة الضابط، وقال بابتسامة:

_متشكر جدًا لجهود حضرتك .

رد الضابط بابتسامة:

=احنا تحت أمر حضرتك المهم تكونوا بأمان وخير... دلوقتي تقدرُوا تروحوا البيت من غير قلق .

رد باسم بنبرة ثابتة:

_متشكر ليك... عن إذنك .

غادر باسم، وأبناؤه الموقع، وصعد كل منهم إلى سيارته الفاخرة. فاندلع غضب جلال، وصرخ:

=جرا ايه يا سعادة الباشا... احنا عملنا ايه؟

ضايح بسخط:

_ماتسيبينا يا عمنا!

نشب العسكري بجلال بقبضة قوية، وصدح صوته في الهواء الطلق:

=اطلع يا ض... اطلع !

جلال بجلبة:

_ما براحة يا عم !

انطلقوا بمهابة إلى سيارة الشرطة، وبعدما وصلوا للقسم، وقف الضابط أمام مكتبه الضخم، وترنح

صوت ضربات يده القوية في جدران المكتب، وهو ينفجر بصوت يهز الأرجاء:

=انتوا ألينتكم طين هنا... جرا ايه يا شوية صيغ؟ انتوا عارفين انتوا عملتوا ايه؟

في الصباح الباكر، استيقظت ليالي من سباتها العميق، ولاجت عينيها في الغرفة بحثًا عن جلال دون

جدوى، حينها ارتدت حجابها بتأنٍ ونزلت إلى شقة أم الديب، حيث تصدح أصوات اليقظة، وأشعة

الشمس الأولى تتسلل من خلال النوافذ. وعندما وصلت، طرقت الباب بقوة، فانفجرت أم الديب بصوت

يهز الجدران:

_أيوه جاية أهو... ما براحة !

وبعدما فُتح الباب من قبل أم الديب، نطقت ليالي بخوف متدفق:

=مشوفتيش جلال؟

أم الديب بتعجب:

_ابهي هو مرجعش؟

ليالي بخوف:

=لا يا حماتي مجاش من إمبراح .

أم الديب بصداح:

_يا خرابي لا يكون الواد حصله حاجة!

ليالي بخوف:

=حرام عليك يا حماتي... طب ما تشوفي حمايا يسأل عليه!

وضعت أم الديب يدها في خصرها، وقالت:

_ حماكي مش هنا يا بت .

استيقظت نعمة من نومها، وهي تتنأب بكسل، فنطقت بتثاقل:

= صباح الخير .

نظرت نعمة أمامها، واكتشفت ليالي تقف بجوار أم الديب، فتحدثت بعد أن تمعنت النظر:

= ايه ده ليالي؟ ما تدخلني!

دخلت ليالي الشقة، ونطقت بخوف، وتوتر ملحوظ:

_ أخوكي مرجعش من امبارح .

نعمة بصدمة:

= يا نهارى، وبعدين؟

فجأة، رن جرس المنزل في تلك اللحظة الحرجة، وعندما تسلل الصمت ليخيم على الجميع، سُمع صوت

نداء الراقصة بوضوح، وهي تنادي المعلم حنفي بصوت مرتفع، وملء بالاستغاثة:

_ يا حنفي... يا حنفي .

خرجت أم الديب من البلكونة، وإذا بها تصادف الراقصة التي تزوجها المعلم حنفي في السر، فانفجرت

بالشر، ونطقت:

= هو انتي يا بت الكلب؟

خرجت نعمة هي الأخرى، وقالت:

_ مين ياما؟

أم الديب بصوت غليظ:

= أني هنزل أقتلها .

نزلت أم الديب بسرعة، ولذا استغربت ليالي من شدة موجدتها، فنطقت بدهشة:

_ أمك مالها؟

نعمة بقلق:

= مش عارفة .

فرت أم الديب وعقبها نعمة، وليالي، حتى اقتربت من الراقصة، وكأن لها جبلاً من الكراهية تتهدم،

فانفجرت بصوت مهيب، و عنفوان يفوق الوصف:

_ انتي جاية عايزه ايه يا بت الكلب؟

الراقصة بضحكة سخرية فاسقة:

= هو انتي فاكراني هسيب جوزي ليكي يا ولية يا مكورة؟

جاء المعلم حنفي من بعيد، وكلما اقترب خاف من رد فعل أم الديب العاتي، فحاول تمثيل عدم معرفته

بالراقصة، فنطق بخوف، وتوتر، وجسده يرتجف:

_ انتي مين؟

وضعت الراقصة يدها ببطء متناسق في خصرها، ونطقت بكلمات متلألئة، ومُغرية:

= هو ده وقت زهايمر يا حبيبي؟ فين حقي؟

أم الديب بصوت غليظ:

_مين دي يا راجل انت؟

ابتلع المعلم حنفي ريقه بصعوبة، وتلجلجت كلماته في حلقه، فنطق بتوتر، وقلق:

=دي... دي...

أم الديب بصوت غليظ:

_انطق !

المعلم حنفي بتردد:

=دي مراتي !

أم الديب بنواح:

_مآني عارفة أنها مراتك اللي متجوزها عليا في السر...مين دي بت مين؟

الراقصة بهدوء:

=تؤ تؤ مينفعش كده...تعالى معايا يا حنفي، وانا أقولك عايزه ايه، وسيبك من البومة دي.

نطق المعلم حنفي لأم الديب بقلق متزايد :

_ثانية يا ولية.

سحبته الراقصة بعيداً بحركة متقنة، كما يفعل الثور الهائج بفريسته، فاشتدت حرارة غضب أم الديب لتقارب درجات الغليان. وبسرعة الصاروخ هرولت بعيداً، كما ينطلق الفهد المفترس خلف فريسته. وعادت بقلب من الطوب الأحمر، لتصبح يداها مصنوعتان من مادة الغضب الملتهبة، وهي تستعد لتلك اللحظة القاسية. فصوبت القلب بدقة نحو رأس المعلم حنفي، كمن يرمي السهم نحو هدفه المحدد، فسقط المعلم أرضاً وهو يتجلى هشاشة القوة. لم تكتفِ أم الديب بذلك الفعل العنيف، بل جاء دور الراقصة لتتذوق مرارة الانتقام، فضربتها بلا هوادة. فسقطت الراقصة تحت ضربات الجهاد العنيف، تنادي بألم لا مجال للحجب عنه. وتحركت أم الديب من موقعها بسرعة، كسيول النهر تحمل معها حمولتها من الغضب، محاولة إنهاء فصل الظلم والاضطهاد بيديها العارمتين، فقالت:

=يلا معايا يا بت منك ليها هنروح نشوف الواد جلال فين.

بالفعل، قامت أم الديب بأخذ نعمة، وليالي، وانطلقوا في رحلة البحث عن جلال، كما يبحث الملاح عن شاطئ الأمان في عواصف البحر المضطربة. بينما كان المعلم حنفي، والراقصة يجلسان على الرصيف، وهما يمسخان الدماء بالمنديل، فانفجرت الراقصة قائلة:

_أه يا نفوخي... أه.

المعلم حنفي بألم:

=قولتلك بلاش تيجي هنا، انتي نسييتي العلقة اللي خدناها آخر مرة؟ أه دماغى !

الراقصة بألم:

_براحه ياخويا...ده الدم لسه طازه.

المعلم حنفي بامتعاض:

=انتي السبب يا بت!

وصلت أم الديب إلى مكان احتجاز جلال، فوجدته يتوسل إليها بشدة لتحريره من قيود السجن، فنطق

جلال بكلمات مليئة بالتضرع:

_اضمني ياما...انا متبهدل جوا.

أم الديب باستياء:

=منين يا حسرة؟

جلال بحزن:

_ياما طلعي ابنك، خليه يرجع لبيته !

ردت أم الديب بتفكير:

=هخلي خالك يجيلك يطلعك.

رد جلال:

_ياريت ياما.

أعطت أم الديب الهاتف لنعمة بيديها، ونطقت:

=خدي يا بت التلافون واتصلي بخالك.

أخذته، وقامت بالاتصال على أبو محمد وصبت في أذنه كل ما جرى، بينما عند أحمد كان يجلس على الرصيف من ليلة أمس فكانت عيناه تتبعثر في صور جميلة توارقه وتذكّره بما مر فانسابت دموعه بكثافة وحملت ألمًا، وحرًا لا يوصف على ما حلّ به من فراق وضياع. وجميلة طوال الليل لم يغمض جفنها، فكانت تبكي في غرفتها حتى استهلكت علبة المناديل بأكملها. وفجأة دخلت والدتها، وأخواتها سامية، ونرمين وجلسن أمامها، ونطقت أم قمر الدين بصوت محتضر ممزوج بالألم، والتأثر، حيث اهتزت كلماتها كأوراق الشجر في عاصفة قوية:

_مش كفاية كده يا حبيبتى ولا ايه؟

صمتت جميلة واكتفت بدموعها، مما أجبر والدتها على مواصلة حديثها:

_طول الليل وانتي بتعيطي، وانا قلبي موجوع عليكي... مش عارفة أعملك ايه !

تحدثت سامية بثبات:

=انا مش عايزاكي تزعلي، انا شايفة إن الموضوع مش مستاهل ده كله... كل شئ في الدنيا ده نصيب،

ويمكن انتي نصيبك مع حد تاني أحسن بكثير.

ردت نرمين:

_بصراحة الناس دي مش شبهننا خالص... انتي بعد اللي مامته وأهله عملوه ولسه زعلانه عليه؟ ده انتي

تحمدي ربنا إنه بعده عنك، الله أعلم كان ايه ممكن يحصل لو كنتوا كملتوا مع بعض.

أجابت جميلة ببيكاء:

=محدش فيكم حاسس بيا... انا مجروحة أوي بجد، فيا شئ اتكسر...اشمعنا انا اللي فرحتي مكملتش؟

وليه وعشان ايه؟ لما كان ممكن تكمل وأكون مبسوفة !

نطقت أم قمر الدين بصوت حنون:

_متز عlish يا حبيبيتي، بكرا ربنا بيعتلك اللي يناسبك، الناس دي مش هتناسبنا أبدًا.
قالت سامية:

=قولي الحمدلله إن ده حصل في البداية قبل ما كنتي تتعلقي بيه زيادة عن كده.
ردت جميلة برضاء:

_الحمدلله.

اقتربت أم قمر الدين من جميلة بخطوات هادئة، تسير كموج البحر اللطيف، وعانقتها بذراعيها الدافئتين، كأنها تحاول تدفئة قلبها المتألم بنسمات الرحمة، والحنان، وحاولت إيصال رسالة الأمومة بكلمات العطف، والحب، فانهمرت جميلة دموعًا أكثر، وتأوهت وهي تحتضن والدتها بكل قوة، وأعلنت بصوت مكسور:

_انا مش ز علانة... انا بقيت كويسة!

ضحكت سامية، وقالت:

=بجد بقيتي كويسة ولا بتضحكي علينا؟

ردت جميلة بدموع:

_لا بقيت كويسة.

وقفت أم قمر الدين، ومدت يدها برفق لتوقف جميلة عن الانتحاب، معيرة عن رغبتها في أخذها إلى المطبخ، ونطقت بكلماتها بصوت مليء بالعبارة:

=ده انا عاملالك الأكلة اللي بتموتي فيها، وبعد ما تاكلي هتاخدي الشاور، وهاخدك ونروح المكان اللي بتحبيه كمان !

ضحكت جميلة ضحكة خافتة، وقالت:

_مش هقدر يا مامي، انا محتاجة أكون لواحدي !

ردت سامية بابتسامة:

=واحنا محدش فينا هيسيبك لواحدك مهما حصل، وهتسمعي الكلام يعني هتسمعي الكلام...ها؟
نطقت نرمين بروح فكاوية:

_يلا بقى !

قام الثلاثة بسحب جميلة برفق، حتى وقفت مترددة، ثم أخذوها بين ذراعيهم وخرجوا بها من الغرفة، وبعد أن وصل أبو محمد إلى قسم الشرطة، اندلعت عصبية ونطق بكلماته بصوت متوتر، ومليء بالغضب:

=لا إله إلا الله انتوا مفيش فايده فيكم وفي مشاكلكم؟ هو انا مورايش غيركم ولا ايه؟

أم الديق بوجه عابس:

_طلع الواد ده مالوش غيرك.

أبو محمد بضجيج:

=وأخوكي ضايع اللي مخلي وشنا في الأرض، نعمل فيه ايه ده كمان؟

أم الديق بحزن:

_طلعه هو كمان ياخويا.

أبو محمد بجلبة:

=استغفر الله العظيم، لا يمكن اللي بيحصل ده.

دخل أبو محمد إلى مكتب الضابط، وواجه الواقع بقوة متجسدة في دفع غرامة مالية ضخمة، وأخرج جلالاً، وضايح من القسم، وفي تلك اللحظات التي تكدست فيها أخطاؤهم بأساليب متعددة، لم يكن هناك حلاً سوى تلقينهم درساً لا ينسونه لاحترام القوانين، والقيم، حتى لا تتكرر أخطاؤهم المروعة التي قد تؤثر على المجتمع بأسره. فنطق بكلماته بغضب لا يلين وعبر عن استيائه بكلمات حادة، وصارمة، تحمل في طياتها صلابة القرار، وعمق الانتقاد اللاذع:

=قسماً بالله العظيم، اللي تتهزله سبع سموات إن سمعت إن حد فيكم عمل مصيبة، ولا مشكلة، وحد اتصل يستنجد بيا ولا كأني شايف مكالمته، وإن جالي بيتي هقفل الباب في وشه، اللهم بلغت... اللهم فاشهد.

بينما غادر أبو محمد قسم الشرطة، يغمره غضبٌ لا يخفى على أحد، تعجب ضايح متسائلاً بدهشة:

_ هو متعصب كده ليه؟ ايه اللي حصل لكل ده؟

ردت أم الديب بسخرية:

=لا ولا أي حاجة ياخويا، هو بقى وراه غيرنا؟ ده بقى يجي القسم عشانا أكثر ما بيستحمي.

جرى ضايح أمامهم بخفية، وسرعة، وفجأة قام بسرقة حقيبة امرأة بلا رحمة، واندفع بسرعة بعيداً. فصرخت المرأة بصوت مرتفع مليئاً بالاستغاثة، وهي تلاحقه، ونطقت بكلمات مليئة بالإيمان بالعدالة، والمطالبة بحقوقها:

_ حرامي...حرامي سرق شنطتي...حرامي...حرامي !

جرى الناس عقبه حتى اختفى، وسط هرج، ومرج من الصراخ، والهرب. نظرت نعمة لأم الديب بنظرة مليئة بالتساؤل، والقلق، ونطقت بكلمات تحمل في طياتها التفكير العميق، وقالت:

=والنعمة دي ما في فائدة في خالي ضايح...الكلام يدخل من هنا، يخرج من الناحية الثانية!

بعد أن عادوا للمنزل، دخلت أم الديب بغضب مقتد في قلبها، وجدت هايدي تذاكر في غرفتها، فدخلت إليها بخطوات ثقيلة كصدمات البرق، ونطقت بكلمات تحمل في طياتها قوة التوبيخ:

_ أخوكي وخالك محبوسين، وانتي ولا هنا يا بت؟

ردت هايدي بتجاهل:

=وانا مالي، أشغل نفسي بمشاكلهم ليه؟

ردت أم الديب بعصبية:

_ يعني ايه يا بت؟ تقصدي إن أخوكي، وخالك ميفرقوش معاكي؟ مانتي عيلة صايعة وناقصة رباية.

دخلت نعمة بانزعاج مقتد في عينيها، وسحبت أم الديب بقوة من ملابسها، مما يدل على انزعاجها، ونطقت بتردد:

=أما بقولك ياما.

ردت أم الديب:

_ ايه ياخوتي، عاوزه ايه؟

ردت نعمة باشتيهاء عارم:

=ماتيجي نعمل الأكل، ده انا جوعت من المشوار.

ردت أم الديب بتجاهل:

_أسلقيلك بيضة.

ثم دخلت غرفتها، وسرعان ما أعوجت نعمة فمها معترضة، معبرة عن عدم رضاها، واستيائها، ونطقت بكلمات تعكس استيائها على ما حدث:

=هو ده اللي ربنا قدرك عليه؟

في عمل المعلم حنفي، كان يجلس على الكرسي وهو يربط رأسه بيديه بحركة بطيئة، ومتأنية، تعكس حمل الأعباء الثقيلة التي تعاضمت على كاهله. فتفاجأ بدخول أحمد عليه، وهو يرتدي بدلة الخطبة، وعلى وجهه الحزن، والقهر المؤلم، فلم يستطع المعلم حنفي إلا أن يستقبله بذراعه المفتوح بينما تتناثر الدموع من عينيه، وعانقه بحنان مؤلم، ونطق بكلمات ممزوجة بالمرارة، تعبيرًا عن معاناتهما والأحزان التي تسكن قلوبهما المكسورين:

_مالك يا ض فيك ايه؟

رد أحمد بحزن مغموم وصوت ضعيف يعكس مدى تأثره، وحزنه العميق:

=انا اللي فيا مش في حد .

جلس المعلم حنفي وأحمد أمام بعضهم البعض، حيث كان المعلم حنفي يعبر عن تأثره العميق لحزن ابنه، ولكنه كان مدرغًا للواقع وعدم قدرته على تغييره، فقال له بصوت ممزوج بالحنان:

_اللي فاتك مش ليك، واللي ليك مش هيفوتك !

رد أحمد بألم نفسي جسيم:

=بس انا اتعلقت بيها أوي، وكانت أمنية حياتي إن جوازتنا تكمل.

أجاب المعلم حنفي بابتسامة خافتة:

_محدث عارف الخير فين يا أحمد، يمكن ربك شايلك الأحسن... هو انا ولا انت نعرف ايه المكتوب؟

رد أحمد بحزن مؤثر، وتلمع الدموع في عينيه، معبرًا عن الألم الذي يختنق به داخليًا:

=بس انا مش هقدر أنسى !

أجاب المعلم حنفي بحكمة:

_الأيام هتنسبك غصب عنك... من الأول انت وهي مكننوش زي بعض، انت شايف أهلها ربنا كارمهم

ازاي، واحنا غلابة ازاي؟ وبعد ده كله كنت متعشم إن الجوازة تكمل؟

نزلت دموع أحمد، ومد يده برقة ليمسحها، ونطق بكلمات مؤثرة:

=انا بحب جميلة أوي، ومش هقدر أنساها، ولا حتى هقدر أعوضها !

رد المعلم حنفي بتأثر:

_صدقني هتنسى... انا هتصل بنعمة تبعث هدومك.

وقام بالإتصال على نعمة، فقال:

_ألو يا نعمة، هاتي هدوم أحمد، وتعالى الدكان... طيب انا مستنيكي...مع السلامة.

ووضع الهاتف إزاءه، وواصل لأحمد:

_تاكل ايه؟

رد أحمد باستياء جسيم:

=مليش نفس.

في نفس اليوم أعلن جدول امتحانات الثانوية العامة، فكانت هايدي دائماً متوترة، وتعمل بجد واجتهاد للمذاكرة ليلاً، ونهاراً. وفي نفس ذات الوقت دخلت نعمة الغرفة وأحضرت ملابس أحمد، وأخذتها بين يديها بحنان يتغلغل في القلب، ثم خرجت من المنزل بخطوات ثقيلة كأنها تحمل العالم على كتفيها. بينما سعدت هايدي إلى سطح المنزل وجلست تواصل مذكرتها في جو هادئ يخترقه صوت تلاطم أفكارها، وتقلبات مشاعرها. بينما عند ليالي، كانت تأخذ الأدوية الخاصة بالحمل، كادت أن تختنق من الشراهة التي تثقل كاهلها. فنظر جلال لها وهي تأكل بشرهه، وتسرب منه الدهشة، والتساؤل حول سبب هذا التصرف الغريب، فقال:

_ جرا ايه يا بت، مالك اتفجعتي كده ليه؟ ده انا من ساعة ما رجعت وانتي مش راحمة نفسك!

ردت ليالي بصوت حاد:

=جرا ايه يا جلال؟ انا مش باكل لواحدي... اللي باكله ده بيكفيني انا وابنك!

تحدث جلال بصياح:

_ طب متسرحيش أوي كده... سيبيلي حاجة أكلها.

نطقت ليالي بتجاهل:

=طيب.

وسرعان ما وقفت، ودخلت المرحاض تنقياً، وكأن كل قذارة الحمل، وعبء الحمولة تتجمع في لحظة واحده من هذا العذاب. فتحدث جلال بغضب متأجج يعكس حجم الضغوط، والمشقة التي تتحملها ليالي في هذه الفترة الصعبة:

_ أهو ده اللي انا كنت خايف منه، كل يوم على الحال ده تفضلي تاكلي، وهوب تخشي ترجعي اللي كلتيه.

ردت ليالي بتعب ملحوظ، وهي تنقياً بشدة، كمن يحمل على عاتقيه عالماً من الألم، والمعاناة:

=أه بطني مش قادرة... انت باصصلي في اللقمة باينلك كده.

رد جلال بسخرية:

_ ليه يا بت شايفاني عيني تندب فيها رصاصة زي أمي اللي ربنا يمسيها بالخير؟

جلست ليالي مرة أخرى، وقامت بمسح فمها بحركة خافتة، ووضعت يدها الرقيقة على بطنها المنتفخ، وهي تتحسس جنينها بحنان ممزوج بالألم، والتعب. ثم نطقت بكلماتٍ ممزوجة بالمشقة:

=دي كانت تبقى مصيبة لو كنت زي أمك!

بعد أن وصلت نعمة لعمل والدها، أعطت الملابس لأحمد بين يديه بلطف، وقالت بصوت ممزوج

بالحزن العميق، والتأثر:

_ شد حيلك يا أحمد ياخويا، ياما ناس حبوا بعض ومكملوش، لا انت أول ولا آخر واحد تفسخ الخطوبة.

لم يستطع أحمد تحمل حديث أخته، فخرج خارج المحل، وحاول أن يداري دموعه ويكبت ألمه، وضعفه

داخله، حتى لا يظهر وجعه أمام أحد. فقال المعلم حنفي بصوتٍ مهدئ، ومعبر:

=ارجعي البيت انتي يا نعمة، وطميني لما توصلي.

ردت نعمة بغم:

_حاضر يابا .

خرجت نعمة وعادت للمنزل، وبعد مرور ساعة، وصلت سيارة فاخرة أمام محل المعلم حنفي، ونزل منها الحارس، وأقترب من أحمد بتأنٍ، ثم سلمه الخاتم الألماس بحركة مليئة بالرمزية، وقال بصوتٍ خافت يحمل في طياته التقدير:
=باسم باشا رجعلك الأمانة .

لم يرد أحمد، واكتفى بالصمت، وهو يحني رأسه لأسفل من شدة حزنه، وتأثره العميق، فرد المعلم حنفي بدلاً منه بكلمات مليئة بالتفهم:

_طب اتفضل يا أستاذ اشرب حاجة .

رد الحارس:

=شكرًا .

ثم ركب السيارة، وغادر، فاقترب المعلم حنفي من أحمد، ووضع يده على كتفه بلطف محاولاً مواساته وتوجيه الدعم له. وفي ليلة امتحان هايدي، كانت نعمة تقف في المطبخ تصنع الساندوتشات بتركيز شديد، فدخلت هايدي المطبخ محملة بكتابها، ونطقت بكلمات متوترة، ومليئة بالقلق:

_بقولك ايه يا نعمة، ما تسمعي الحتة دي!

ردت نعمة وقتما كانت تضع الجبن داخل الساندوتش:

=ماشى يا هايدي... هاتي كده .

أخذت منها الكتاب، ونظرت فيه بانتباه شديد، ثم قالت هايدي بتعبير مليء بالقلق، والترقب:

_اسأليني !

سألتها نعمة:

=ما الذى ترتب علي ترسخ الإحساس بتراث الأجداد، والماضي العريق مع الإيمان بفكرة الجامعة الإسلامية لدي تلاميذ البارودي؟

حاولت هايدي جاهده تذكّر الإجابة، فأجابت:

_النضال الوطني، وإنشاء الجامعة الإسلامية لتكون رمزاً لوحدة المسلمين ضد الوجود الانجليزي .

ردت نعمة بدهشة:

=ده ايه الكلام الغريب ده؟ طيب السؤال اللي بعده... علل عدل شوقي عن المديح إلى التاريخ؟

ردت هايدي مُسرعة:

_لتأثره بمظاهر التجديد التي أطلع عليها في فرنسا وعمق النضال الوطني إليه، والدفاع عن بعض الشخصيات التاريخية .

ردت نعمة بسعادة، وفخر:

=برافو عليكى يا بت، شاطرة اسم الله عليكى .

وأعطتها الكتاب في يدها بلطف، ثم أكملت حديثها باهتمام واضح في صوتها:

_الساندوتشات دي هشيهاالك في الفريزر، طلعيها الصبح بدري قبل ما تروحي المدرسة .

ردت هايدي بقلق:

=صدقيني مليش نفس خالص... انا خايفة أوي يا نعمة لا مجهود سنة كاملة يترمي على الأرض!

ردت نعمة بابتسامة:

_ربنا مش هيصيح تعبك، مادام عملتي اللي عليكي يبقى متخافيش!

في منزل أم قمر الدين، كان قمر الدين يجلس مع والده في المكتب، وهم يتذوقون طعم فنجان القهوة

العربية الرائعة، فقال قمر الدين بابتسامة مليئة بالسورور، والرضا:

=أهو انا كدة قلبي ارتاح... ياريت جميلة تعقل وتعرف إن اللي حصل ده لمصلحتها!

رد باسم بتأثر:

_أختك دلوقتي مش شايفة غير حاجة واحدة... حياة سودة قصاد منها... بس هي مش هتتعرف مصلحتها

زي ما حانا هنعرفها! انا أكيد مكنتش هفرح لو كانت جميلة اتجوزته وحصلت ظروف خلتهم ميكملوش!

أجاب قمر الدين براحة مَنيّة:

=تتعجب شوية أحسن ما تتعب العمر كله .

رد باسم وهو يحتسي القهوة:

_على رأيك... المهم مضيت على الأوراق اللي بعتهالك مع ممدوح؟

رد قمر الدين بعد تفكير عميق:

=أه، بس الشغل تفل عليا أوي الفترة اللي فاتت... انا بفكر إننا نجيب حد معانا، انا مش هقدر أشيل الليلة

دي كلها لواحد!

رد باسم:

_انا لو عارف انك مش قدها، مكنتش مسكتك مدير، لكن انا عارف انك قد المسؤولية، وزيادة .

تلفظ قمر الدين:

=ماهي دي المشكلة... اللي بيثيل المسؤولية ده أكثر واحد بيتعب .

دخلت أم قمر الدين وجلست معهم، وكانت الحزن يعتلي وجهها، فتحدثت باسم بلطف، وتفهم:

_جميلة عاملة ايه دلوقتي يا بسملة؟

ردت أم قمر الدين بتأثر:

=جميلة مش كويسة خالص، حاولنا معاها بكل الطرق ومفيش فايده، انا خايفة جميلة تضيع مني!

نطق قمر الدين بثبات:

_ده الطبيعي، هو أول كام يوم في أي حاجة بتكون صعبة، بس بعد كده هتتأقلم على حياتها من غيره .

ردت أم قمر الدين باستياء ملحوظ:

=خايفة عليها أوي يا قمر الدين!

رد قمر الدين بابتسامة:

_متخافيش ده العادي... صدقيني .

تجتاح جميلة موجة من الحنين العميق كلما جلست تسترجع ذكرياتها بأحمد، كأن كل لحظة عاشتها معه كانت نجمة ساطعة في سماء حياتها، والآن تسقط هذه النجوم واحدة تلو الأخرى، تاركة وراءها سماء مظلمة لا تزال تصارع لتحيا بدون ضوءها. يتلاطم الحزن في صدرها كموجات عاتية تهدم كل ما في طريقها، وتتعالى صرخة صامته من بين أضلعها تستغيث بالزمن ليعيد لها ما فقدت. تلتف حولها أوجاع الفراق كحبال متشابكة لا تدري كيف تفكها، وتبحث بعينها الحزینتين في أفق الغد بلا أمل، وكأن الحياة بأسرها قد فقدت جمالها ولونها برحيل أحمد. عانقت دموعها مع أمواج الألم، وصدى صرخات قلبها المكسور يتردد في كل ركن من ركني الكون، كأنها تناجي السماء أن تُرحمها وتخفف عنها وطأة هذا العذاب المستمر. وسط ثراء مادي لا يعني شيئاً بالنسبة لها، تشعر بوحشة تعصف بروحها، وكأن كل المذات، والرفاهية لا تُعوض ما فقدته من حب، ودفء. حتى أن لون الحياة في عينيها أصبح باهتاً كشمعة تلتهب وتخدم مع كل نفس تنتفسها. وثاني يوم في فجر هادي، استيقظت هايدي مبكراً وأدت صلاة الفجر بتركيز وخشوع، متمنية في كل سجدة أن يمر يوم امتحاناتها بسلام وتجاوزة بنجاح، قائلة: =يارب... يارب متضيعش تعبي على الفاضي، وأجبر بخاطري، ومتشمتش فيا حد... يارب! بعد أن انتهت من الصلاة، دخلت هايدي غرفتها وأمسكت كتابها، وبدأت في مراجعة ما حفظته بانتباه شديد. فاستيقظت نعمة على صوتها وقالت بود: _صباح الخير يا هايدي.

ردت هايدي:

=صباح النور يا نعمة .

جلست نعمة على السرير، وهي تمسح وجهها ببطء، ثم وقفت مكانها لحظة متألمة. بعد ذلك، خرجت من الغرفة وقالت بصوت هادي: _انا هطعلك العيش يفك .

ردت هايدي:

=ماشني .

دخلت نعمة المطبخ، وقامت بإخراج عبوة الساندوتشات من المبرد، ووضعها خارجاً لتفك الثلج. ثم دخلت المرحاض وأدت الوضوء، وخرجت لأداء الصلاة، متلهفة قائلة: _الله أكبر .

خرجت أم الديب من الغرفة، وجدت ابنتها تصلي، ومرت من جانبها بصمت حتى وصلت إلى المطبخ. هناك، انغمست في الظلام وأكلت الساندوتشات الخاصة بهايدي، ثم عادت لتتجه نحو غرفتها لتنام مجدداً. وبعد أن انتهت نعمة من الصلاة والدعاء، دخلت المطبخ بفارغ الصبر، فوجدت الكيس فارغاً، فتفحصت حولها بحثاً عن أثر للساندوتشات، لتكتشف بأسى أن أم الديب قد استهلكتها بلا أدنى اعتبار، فاندلعت غضباً متوهجاً داخلها، فهمست بصوت مكتوم:

=يا حول الله يارب... هي مفيش فايده فيها أبداً؟ طب أشيل الأكل فين؟ أشيله تحت السرير عشان أرتاح؟ ظلت نعمة جالسة حتى تمام الساعة السابعة والنصف صباحاً، معانقة الصمت الذي تغلفها. وعندما انتهت هايدي من ارتداء ملابسها وجمع حقيبتها، قبلتها نعمة بلطف، وقالت بصوت مليء بالحنان: _روحي اللهم ربنا يسهلك الامتحان يارب، وترجعي مجبورة خاطر .

ردت هايدي بقلق:

=يارب يا نعمة، ادعيلي كتير والنبى، انا بجد خايفة أوي!

ردت نعمة بود:

_متخافيش انا دعيتك، وهدعيلك تاني!

نطقت هايدي بقلق:

=ماشى يا نعمة، انا رايحة الإمتحان بقى .

ردت نعمة بلطف:

_تروحي وترجعي بالسلامة يارب .

خرجت هايدي من المنزل، ومرت نعمة من غرفة أم الديب حتى وصلت للبلكونة، حيث وقفت تطمئن على أختها بنظرة حنونة. وبعد أن اطمأنت على سلامتها، عادت نعمة إلى غرفتها لتواصل نومها الهادئ. وفي الوقت نفسه، دخلت هايدي إلى قاعة الامتحان، وجلست على الكرسي مستعدة لبدء التحدي. بدأت ترديد آيات القرآن في داخلها، وحين دخل المراقبون ووقف المراقب أمام الطلاب، أعلن بجديّة: =كل سنة وانتوا طيبين، ونتمنى إن كل واحد فيكم ينجح بتعبه ومجهوده، ويدخل الكلية اللي نفسه فيها... انا أستاذ سعد جاي مراقبة من مدرسة الثانوية بنات في الاسكندرية، وعشان نبتدي يومنا علي رواقه، انا مش عايز حد يلتفت جنبه... خليكي باصة في ورقتك، وإلا هتخلوني أعمل حاجات محدش فيكم هيجبها، اتفقنا؟

ردت البنات في صوت واحد:

_اتفقنا .

تحدث المراقب بجديّة:

=يلا كل واحدة تطلع أدواتها الشخصية، والشنط هتخرج برا الفصل .

بدأت الفتيات يخرجن أدواتهن بحرص، وعندما انتهين، خرجن من الفصل ووضعن حقيبتهن خارجه، ثم عادن، وجلسن في أماكنهن بانتظار بدء الامتحان. وبعد مرور ربع ساعة، بدأ المراقب في توزيع الأوراق، فتم تجهيز كل طالبة في كرسي منفصل، وكان البعد بينهن يملؤه الصمت، والترقب. عندما استلمت هايدي ورقتها وتفحصتها، انغمست في عالم الذكريات لتجد الإجابات، ثم أمسكت بقلمها بثقة لتبدأ في التجاوب.

في الناحية الأخرى، كانت أم الديب تجلس في الصالة أمام التلفاز، تمضغ الجزر بلا اكترات، ولا تلقي بالألا لابنتها. فعندما خرجت نعمة من الغرفة، وشاهدت المشهد الطريف، فلم تتمالك نفسها قائلة بتعجب:

_انتي قاعدة تاكلي ولا همك ياما؟

ردت أم الديب بصوت حاد:

=وانتوا كمان هتجو عوني؟

ردت نعمة بتعجب:

_ده انا فاكراكي مقطعة سجادة الصلاة! كده ياما بقى مش همك بتك اللي في الامتحانات دلوقتي؟

نطقت أم الديب بلا مبالاة، وهي تستكمل تناول طعامها:

=وآني مالي، حد كان قالها تكمل علامها؟ ولا كان حد ضربها على ايديها؟

ردت نعمة بامتعاظ:

_والله هايدي دي بختها مايل طول عمرها .

ثم دخلت المرحاض، فانفعلت أم الديب وانتزعت نعلها، ثم ألقته بكل سخط على نعمة وصاحت بها قائلة:

=لمي نفسك يا بت... عدي يومك اللي مش فايت ده!

في منزل أم قمر الدين، طرقت الباب بحنان، ودخلت حاملة طبق الطعام لابنتها الغالية جميلة في غرفتها. ووضعت الطبق بعناية على الطاولة، ثم جلست بجانب ابنتها، تراقبها بعيون مليئة بالحنان، والرعاية، وقالت بلطف:
_ عاملة ايه دلوقتي يا روعي؟

نطقت جميلة بألم نفسي شرس ينهك روحها:
=الحمد لله .

ردت أم قمر الدين:

_ لسة متأثرة باللي حصل؟

ردت جميلة بعذاب:

=لا خلاص يا مامي، انا نسيت، ومش عايزة أفكر... ممكن متتكلميش معايا في الموضوع ده بعد كده؟
ردت أم قمر الدين بابتسامة خافته:

_ أوكي يا حبيبتي، انا هشوف ايه يريحك، وهعمله المهم انا حضرتلك أكلك، لازم تاكلي كويس وتهتمي بصحتك زي زمان !

ردت جميلة بارهاق نفسي عارم:

=مليش نفس .

ردت أم قمر الدين بصوت حنون:

_ منين بتقولي انك نسيتي، ومنين مش عايزه تاكلي؟

ردت جميلة بحزن:

=دي حاجة ملهاش علاقة بالنسيان .

ردت أم قمر الدين:

_ لا ليها علاقة طبعًا... الانسان السعيد اللي المفروض من جواه مرتاح، هياكل، ويشرب، وينام، ويخرج، وهيمارس حياته طبيعي، إنما اللي بيمثل إنه كويس قصاد الناس وهو من جواه مش سليم... مش هيقدر يعمل أي حاجة من الحاجات اللي كل الناس متعوده تعملها، ومعنى إنك رافضة تعيشي حياتك طبيعي، يبقى انتي أكيد مش كويسة من جواكي !

ردت جميلة بضيق:

=مامي لو سمحتي، ممكن متضغطيش عليا؟

أجابت أم قمر الدين بتفهم:

_ حاضر يا جميلة، الأكل قدامك، ومنين ماتحبي تاكلي كلي .

ردت جميلة:

=حاضر .

وقفت أم قمر الدين، وقبلت رأس ابنتها بحنان لا يُضاهى، ثم خرجت وأوصدت الباب خلفها، تاركة جميلة وحيدة أمام المرأة، حيث تلاحقها دموع الحزن، والوحدة. تنهمر الدموع بغزارة، مبللة ملابسها. أمسكت هاتفها ونظرت لصورة لها مع أحمد في ليلة خطبتهما، فانهمرت دموعها بقوة، وانتابها حزن عميق. في منزل أم الديب، بعد عودة هايدي من الامتحان، كانت نعمة تستقبلها على باب المنزل بحنان ودفء، فعانقتها برفق وتولت رعايتها كأب بديلة، محاولة تعويض الحنان الذي تفتقر إليه من أمها. وبعد أن جلست هايدي بحقيبتها، جلست نعمة بجانبها وسألته عن تجربتها في الامتحان قائلة:

_ عملتي ايه طمنييني؟

ردت هايدي بفرحة:

=الحمدلله حليت كله، ومسيبتش أي حاجة !

ردت نعمة بسعادة:

_ عقبال بقية المواد يا بت .

ردت هايدي:

=يارب .

خرجت أم الديب من الغرفة، وعندما رأت هايدي، أطلقت صوتها بحدة قائلة:

_ عملتي ايه يا بت؟ على الله تكوني حلتي طين .

امتعضت هايدي من رد أم الديب لها، فقالت:

=الحمدلله حليت كويس .

ردت أم الديب بسخرية:

_ولو حلتي طين، أهو كله واحد، في الآخر هنجوزك ببيع خضار، ولا سباك، وهتقدي في بيتك تربي

العيال، وهيبقي كله زي بعضه في الآخر .

وقفت هايدي لشدة سخطها، وقالت:

=ايه الاحباط ده؟ وانتي ايه عرفك إن انا هتجوز ببيع خضار، ولا سباك، واشمعنا دول بالذات؟ هو حد

فيينا يعرف المستقبل فيه ايه؟

ردت أم الديب بصوت حاد:

_وانتي ياختي الداكتور ولا المهندس هيجيلك منين اسم الله؟ عيشي عيشة أهلك، وبطلني أنعرة كدابة !

صرخت هايدي في وجه أم الديب بغضب متأجج، ثم دخلت غرفتها وأغلقت الباب بقوة في وجهها، مما

أثار سخطها. وقفت أم الديب أمام باب الغرفة وبدأت بطرقه بقوة، وهي تصرخ قائلة:

_ افتحي يا بت الكلب يا صايعة يا قليلة الرباية... بقى أني تهدي الباب في وشي يالي جاكى هبده في

دماغك؟ افتحي يا بت !

تشبثت نعمة بيد أم الديب، وقالت:

=أحب على راسك ياما تعديها على خير...أحب على رجليكي وايديكي تسببها في حالها... دي في

ثانوية عامة وعايزة تركيز... ياما أبوس ايديكي!

ردت أم الديب بصياح:

_ دي عيلة صايعة، ناقصة تربية... اسفوخس على دي تربية .

دخلت أم الديب غرفتها وجلست على السرير، تثرثر بالحديث بينما كانت هايدي تبكي بحرقة في

غرفتها. كانت حياتها تبدو لها كالجحيم، فتشعر بأن والدتها تكن لها البغضاء، وتعاملها بطريقة مهينة،

متجاهلة آمها، واحتياجاتها، وخلوها من الحب، والأمان الذي يمنحها الأمهات لأبنائهن. وبينما كانت

هايدي في قمة اليأس، اقتربت نعمة وطرقت الباب، فصرخت هايدي بغضب قائلة:

=مش عايزه حد بقى...سيبوني في حالي !

أحنت نعمة رأسها لأسفل بتأثر، ثم غادرت المكان، مشاعرها متألمة لأختها الصغرى. والحقيقة أن

هايدي ليست بمفردها في تجربتها مع معاملة أم الديب السيئة، بل الجميع يعانون منها. وبعد مرور ثلاثة

شهور من انتهاء هايدي من امتحانات الثانوية العامة، ترشحت لكلية التربية، مختارةً قسم اللغة العربية.

وفي هذا اليوم، ذهبت للجامعة برفقة المعلم حنفي وأحمد. فدخل أحمد، وهايدي لنافذة دفع المصاريف، بينما كان المعلم حنفي ينتظرهم بعيدًا ويلاحظ فتيات الفرقة الرابعة، فقال:
_مبيانش عليكو... بس ايه من الآخر .

وضحك بينما كان ينظر إلى الفتيات، ولكن فجأة وجد أحمد خلفه غاضبًا، وقال:
=ايه اللي انت بتعمله ده يا بابا؟ انت بسبب حركة زي دي ممكن توديني انا وهايدي في ستين داهية .
رد المعلم حنفي بضحك:
_اديني بسلي نفسي على ماتخلصوا .
رد أحمد بصوت جلف:

=مينفمش!... عشان خاطري بلاش كده!
غادر أحمد مرة أخرى بينما ترك وراءه زمناً مليئاً بالاستياء. وبعد أن تمت عملية دفع المصاريف، استقروا في حديقة الجامعة ليريحوا أرواحهم المجهدة. أما في عيادة الطبيب، فكانت ليالي تمر بلحظات من التوتر، حيث كانت تجري آخر متابعة لحملها، وعندما جلست متعبة من الانتظار، والفحص، خرجت كلمات تباهي بشكل يثير الدهشة، والتساؤلات:
_طمنا يا دكتور، ليالي هتولد امتي إن شاء الله؟

رد الطبيب:
=إن شاء الله ليالي هتولد الخميس الجاي في الوحده الصحية .

ردت تباهي بتأثر:
_على خيرة الله يا دكتور... ده والله ماهي قادرة، ده نفسها رايح خالص، وعالطول بنتشكي من رجليها .
رد الطبيب:
=ده الطبيعي يا حاجة لأي واحدة حامل، كل ما تقرب من الولادة كل ما التعب بيزيد... انا مش عايزكم تخافوا !

نطقت تباهي:
_يعني خلاص آخر كلام، هتولد يوم الخميس الجاي؟
رد الطبيب بتأكيد:
=إن شاء الله .

نطقت تباهي بحب:
_ربنا يقومك بالسلامة يا بتي، ويكتبها لك ساعة سهلة .
ردت ليالي بذعر:
=يارب ياما .

عادت ليالي إلى المنزل، ودخلت شقتها، وانغمست في ترتيب ملابس، ومستلزمات مولودها داخل الحقيبة، مرتبة كل شيء بعناية، وحنان. وضعت العبوات التي سترتديها في المستشفى بجانبها بترتيب

محكم، معبرة عن انتظارها المتلهف لحظة الولادة. وفي هذا الوقت، دخل جلال من باب الشقة، وقال بصوت مليء بالحب:
_ ايه يا ليالي انتي فين؟

ردت ليالي بصوت عالٍ من داخل الغرفة:
= انا هنا يا جلال .

دخل جلال عند زوجته، وقال بدهشة:
_ أنتي بتعملي ايه يا بت؟
أجابت ليالي بينما هي ترتب الملابس:
= زي مانت شايف كده... بجهز هدموم المستشفى .

جلس جلال على السرير، وعلى وجهه علامات الاستفهام، فتساءل قائلاً:
_ هدموم مستشفى ايه؟
ردت ليالي:

= أصل الداكتور حدلي ميعاد الولادة وخلاها الخميس الجاي .
تعجب جلال، فقال:

_ ولادة ايه اللي الخميس الجاي؟ ده انا كنت جاي أقولك إني حجزتلكم مصيف ثلاث أيام قبل ما تولدي،
واحنا هنلحق نروح؟
سعدت ليالي، فقالت بلهفة:
= بجد والله؟

رد جلال بفرحة:

_ أه والله يا بت، أصل العالم اللي حوالينا، بيقولوا الحقوا اتفسحوا قبل ما العيل يشرف، ده احنا لا
هنشوف نومه عدلة، ولا لقمة هنية... فقولت نلحق نتفسح كام يوم قبل ما تولدي !
ردت ليالي بفرحه:

= ومين قالك إننا مش هنلحق؟ ده احنا هنلحق ونص، ده انا لسة قدامي خمس أيام وأولد يعني نكون
روحنا، ورجعنا، وعملنا كل اللي نفسنا فيه !
رد جلال بقلق:

_ مانا خايف تعملها فينا !

نطقت ليالي بسعادة:

= سيبها على الله، أصل الحاجات دي بتاعت ربنا، كويس إنك قولتلي علشان أعمل حسابي .
رد جلال بترقب:

_ بس خدي بالك أمي، وأبويا، وأخواتي هيجوا معانا .

غضبت ليالي، وبدت علامات الاستياء واضحة على وجهها، فألقت الملابس على السرير بعنف، وقالت
بصوت مرتفع، وحاد:

= طب وليه النكد ده طيب؟ ما احنا كنا كويسين لواحدنا!

رد جلال مُحاول إقناعها:

_ماهو يابت افهمي... أبويا وأخواتي غلبانين ومن نفسهم يتفسحوا هما كمان، فلو روحنا كلنا من غير أمي هتعملنا مناقحة، وحوار، ووجع دماغ، وانتي عارفة الباقي .
نفثت ليالي عن سخطها، فقالت:

=يا حول الله يارب، سبحان الله مفيش حاجة بتكملنا على خير أبدًا .
يوم السفر، انبعثت نسمات الصباح الباكر بأناقة تعكس الهدوء، والتحضر، حيث كانت نعمة، وهايدي تجهزان حقيبة الملابس بدقة، واهتمام، في حين كانت أم الديب تنهي شؤونها في المرحاض بسرعة.
وفي البلكونة، كان المعلم حنفي يستمتع بشمس الصباح، متلذذًا بنكهة الخبز المحمص وشربة الشاي الدافئة، فيما كان جلال يتأنق تحت ندى الدش. وفي الغرفة، كانت ليالي ترتب الملابس في الحقيبة بعناية فائقة، معبرة عن انتظارها المتلهف للرحيل. وعندما اكتملت التجهيزات وانتهى الجميع من استعداداتهم للسفر، دخل جلال إلى غرفة ليالي ونطق كلماته بلطف:

_جهزتي الهدوم يا بت؟

ردت ليالي:

=أه أهو... خد شيل وانا هلبس الطرحة .

رد جلال:

_هنزل دول في التمنية، وهطلعك تاني .

نزل جلال بالحقائب، بينما أكملت ليالي آخر التجهيزات بإتقان وحرفية متناهية. وفيما كانت العائلة تتأهب للسفر، أبدى أحمد رفضه للمشاركة معهم في الرحلة، فاختار الجلوس في متجر المعلم حنفي، يقوم ببيع العصائر للزبائن المارة. وعندما اكتملت التحضيرات انطلقت العائلة في السيارة، كان جو الطريق هادئًا، ومريحًا، وكانت أشعة الشمس تلعب بلطف على الأرض، مع بداية شروقها الممتع. وفي هذا الجو الجميل، قال المعلم حنفي بهدوء:

=الطريق هادي ياض، والجو قشطة .

رد جلال:

_أيوه يابا ده الساعة لسه ستة .

رد المعلم حنفي:

=يلا كله على الله .

بعد مرور نصف ساعة، توقف جلال على الطريق أمام متجر لبيع المنتجات الغذائية، ودخل لشراء بعض الحلويات والمقرمشات التي يحبها الجميع. ثم خرج وركب سيارته، ووجه كلماته ببساطة، قائلاً:
_جيبتلكم بسكاويت على شوية عصاير، وجايبلكم شوية بلح هتاكلوا صوابكم وراه .

مد المعلم حنفي يده، وقام بأخذ البسكويت، والشيبسي بابتساماة على وجهه، ثم قال بهدوء:
=هات ياض ألا الواحد على لحم بطنه .

أم الديب بكراهية:

_ايهي ماننت ضارب ياخويا كوباية شاي ورغيف عيش مقمر قبل مانيجي!

رد المعلم حنفي بابتساماة، وهو يفتتح أول علبة بسكويت ببراعة، معبرًا عن استمتاعه:

=لا لا التسالي دي حاجة تانية .

أعطى جلال علبة التمر لأم الديب، وقال:

_خدي ياما أدي البنات، وأدي ليالي .

ردت ليالي بإرهاق:

=مش قادرة أكل .

جلال بتعجب:

=ليه يا بت يا ليالي؟ كلي وغذي اللي في بطنك .

أم الديب باعتراض:

_بلا دلع ماسخ .

مدت نعمة يدها بعلبة البلح، وقالت بإلحاح:

=خدي يا ليالي كلي بلح حتى .

بعد مرور ربع ساعة، بعدما تناولت ليالي بعض البلح، صرخت فجأة ووضعت يدها على بطنها بتوتر،

مما جعل الجميع يلتفتون إليها بقلق، وقالت بصوت مرتفع:

_جلال... أه!

جلال بخوف:

=مالك يا بت؟

ليالي بصراخ:

_بطني بتقطع.

أم الديب بضحكة سخرية:

=ما يمكن الأكل ملوث... أصل بطنها فافي، هيهيه ياخويا.

نعمة بقلق:

_لا ياما ده شكلها بتولد !

صاحت أم الديب في إبنتها، قائلة:

=وانتي ايه عرفك يا بت في الحاجات دي، انتي كنتي اتجوزتي قبل كده؟

جلال بقلق:

_ليالي انتي كويسة؟

ليالي بصراخ:

=آه بولد الحقوني!

يتبع....

الفصل الرابع عشر

المعلم حنفي بصياح:

_ اطلع يا ض على المستشفى بسرعة !

ليالي باعوال:

=بسرعة يا جلال...بسرعة!

زاد جلال سرعته، وأعرب عن قلقه قائلاً:

_ حاضر أهو .

جرى جلال بسرعة فائقة، حتى وصل لدرجة أنه يسير بين السيارات يميناً، ويساراً، ومن شدة السرعة في تلك اللحظة، اصطدمت أم الديب بنعمة والعكس صحيح، حتى وصلوا إلى أروقة المستشفى، وما زالت ليالي تعول بشدة، فحملها جلال بين ذراعيه، ووشاح القلق يعلو وجهه، ودخل بها إلى المستشفى، ووراءه العائلة بأسرها، ولم يتأخر موظفو الاستقبال في نقل ليالي على الكرسي المتحرك، ودخلوا بها إلى غرفة الطوارئ. وهناك، كان جلال يتلمس بين الأوراق الطبية. اقترب الطبيب من ليالي ملتفتاً إليها بترقب، وبدأ بتوجيه بعض الأسئلة لها، قائلاً:

=انا هسألك كذا سؤال .

وبعد أن سألها، تأكد الطبيب أن ليالي قد جاء لها طلق الولادة، فقال لها بصوت ملؤه الاطمئنان:

_ لا دي ولادة .

ثم نظر للممرضة، وواصل:

_ هيام هاتلي الكانيولا .

ليالي بصراخ:

=بطني مش قادرة !

ركبت الممرضة الكانيولا ببراعة في يد ليالي، حيث اندمجت مهارتها بدقة في هذا العمل الدقيق، ثم أخذوها ببطنها متناهي داخل غرفة العمليات، بينما كان جلال يترنح بلا هدوء في الخارج، يتلهف بكل أعصابه المتوترة، لا يستطيع أن يجلس كبقية أخواته، مما أثار انزعاج أم الديب، فانفجرت بصوت يفوق الأمواج الصاخبة:

_ ماتقعد ياخويا...خيلتنا .

جلال بقلق:

=اسكتي ياما انا على أعصابي !

أم الديب بضيق:

_ يا عيني على السفرية اللي باظت، كان زمانا بنبلبط في البحر... منها لله البعيدة !

نعمة بدهشة:

=ماتسكتي ياما...هي دي حاجة بمزاجها؟

أم الديب بكراهية:

_ دي بتدلع يا بت، وأهو سامعة؟ عماله تصوتلهم أهو .

في حضور نعمة، التي كانت متأثرة بتعب ليالي وتشعر بألمها، لم تتمالك نفسها وانفجرت بدموع، قائلة بصوت مهزوز بالحزن:

=يا عيني عليكي يا ليالي...قلبي ينتقطع عليكي .
 أم الديق بجلبة:
 _اسكتي يا بت الجزمة ميصعبش عليكي غالي !

نعمة بعصيبة:

=يوه ياما... هو كل حاجة شتيمه؟

أم الديق بصوت حاد:

_اخرسي يا بت!

داخل غرفة العمليات، تمزجت أصوات الأجهزة الطبية بصرخات ليالي المرعبة، حيث كانت تصرخ من شدة خوفها من إبرة الظهر، وكلما اقترب الطبيب منها بها، هربت بسرعة كالفراشة المذعورة، حتى ثبتها بقية الأطباء بقوة، فاندلعت قائلة بصوت مليء بالخوف:

=والنبي لا...بلاش حقنة الظهر .

رد الطبيب:

_هنديكي منوم ومش هتحسي بحاجة .

ليالي بخوف:

=انا خايفة يا دكتور .

رد الطبيب بصياح:

_لو سمحتي احنا وانا ثلاث حالات ولادة بعد منك...خلصينا !

ليالي بصداح:

=انا خايفة .

رد الطبيب بصوت حاد:

_أدوها الإبرة يلا .

صرخت ليالي بشدة:

=أه...الحقوني!

بينما تتوجع ليالي من سن الإبرة التي دخلت في ظهرها، تنزلق بمساعدة الطبيب ببراعة فائقة، ليعينها في تخطي ألم اللحظة، حتى يستطيع أخيراً استخراج الجنين من داخلها، فتنام ليالي بشكل هادئ على ظهرها، بينما يستمر الطبيب بجهوده المتواصلة لمساعدتها، فيبصر الجنين النور ويصدح بأول صرخة له في هذا العالم، التي تترقبها الأرواح بفارغ الصبر، وتتبسم الحياة بحب، وجمال، وفي تلك اللحظة، يتجلي الفرح على وجه جلال، حيث يبتسم ببهجة لهذه اللحظة المميزة، في حين تعبر نعمة عن سعادتها بكلمات مفعمة بالفرح:

_شكلها ولدت يا جلال...سامع صوت الواد؟

رد جلال بسعادة:

=يا ماننت كريم يارب .

بعد مرور خمس دقائق مليئة بالترقب، والانتظار، خرجت الممرضة بالمولود، وهو يتلألأ ببريق الحياة الجديدة، وسلمته لجلال بكل ابتسامة تعكس البهجة، وقالت بصوت دافئ مفعم بالتهاني:

_ ألف مبروك، يتربى في عزكم.

ردت نعمة بسعادة:

=الله يبارك فيكي.

بينما جلال يحمل طفله لأول مرة، يظهر الصغير بريئاً، وضعيفاً، لا يحمل هموم الحياة مثلما يحملها الكبار، بل يظل غافلاً عن مكانه السابق في حماية رحم والدته. رائحة المسك تتعطر من بشرته الناعمة، وصوته يملأ الغرفة كالنغمة الموسيقية العذبة، وفي حين يقف الجميع حول جلال وهو يحمل المولود الجديد، تنطلق نعمة بالزغاريد الفرحية، وتظل أم الديب متفردة، ومتأملة، لا تتحرك شعره منها، جالسة في مكانها، وتراقب الحدث من بعيد، وفي هذا الوقت يتحدث المعلم حنفي بفرحة:

_ ألف مبروك يا ص بقت أب !

ضحك جلال، وقال:

=الله يبارك فيك يابا.

نطقت أم الديب بسخرية من بعيد:

_ يا أهلاً بالمحروس الصغير.

تحدثت نعمة بسعادة:

=تصدق ده فيه شبه منك!

نطقت هايدي بكراهية:

_ لا انا مش شايفة أنه شبه جلال.

رد المعلم حنفي بسعادة:

=بكرا يكبر وينور علينا حياتنا .

توجهت نعمة إلى أم الديب، وقالت لها:

_ ايه ياما مش عاوزه تشوفي حفيدك؟

ردت أم الديب بلا مبالاة:

=أني عاوزه أنام .

نطقت نعمة بتعجب:

_ وهو ده وقت نوم؟

ردت أم الديب بصوت حاد:

=أه هي حبكت أنام دلوقتي .

ثم دخلت غرفة ليالي، واستلقت على سريرها براحة تامة، وفي لحظة التفت نعمة لترى جلال وابنه، وهما يشعان السعادة، والحنان، فامتألت قلوبهم بالانبهار بوجود فرد جديد في حياتهم. وبعد مضي ربع ساعة، انفتح باب العمليات مرة أخرى بحركة هادئة، وخرجت الممرضات منه، وعلى السرير المتحرك تسترخي ليالي، مغمورة في عالم النوم والراحة، حيث تغوص في أعماق الهدوء، والسكينة، فحملوها برفق ودخلوا بها إلى غرفتها، حيث وجدوا أم الديب نائمة بسلام فوق سريرها، فألقت الممرضة كلماتها بلطف قائلة:

_ لو سمحتي يا حاجة قومي عشان نحط المريضة !

ردت أم الديب بنعاس:

=لحقوها في أي داهية .

ردت الممرضة:

_يا حاجة لو سمحتي، احنا ورانا شغل، مش عايزين عطله!

ردت أم الديب بصوت حاد:

=وهي ضاقت على اللي جابوكم، ومش لاقيين غير السرير اللي هلقح عليه جنتي؟ مش كفاية السفيرية

باظت علينا من تحت وشها الفقري؟

دخلت نعمة الغرفة، ووقفت في صمت متأملة، حيث وجدت أم الديب نائمة بسلام فوق سرير ليالي،

فألقت الممرضة نظرة متأملة للوضع، وقالت بلطف:

_خليها تقوم... عايزين نخلص بقي !

سحبت نعمة ذراع أم الديب، وأبعدتها برفق عن سرير ليالي، لتفسح المجال للممرضات بنقل ليالي إلى

مكانها المناسب، ثم خرجوا من الغرفة تاركينها تستريح بعد العملية. وبعد مرور نصف ساعة، بدأت

ليالي تستعيد وعيها ببطء، وفي لحظة من الضعف، قالت بصوت متخبط:

=حماتي العقربة...اللهي ربنا ياخذها، منها لله .

أم الديب بصدمة:

_دي بنتشمني يا ولا!

رد جلال، وهو يحمل طفله:

=ياما متاخذيش في بالك .

ردت أم الديب بصداح:

_بقولك بنتشتم أمك!

سلم جلال طفله لنعمة، وقال:

=اتصلي على عيلة عم سلامة وعرفيهم يا نعمة، وانا هروح أدفع الفلوس عشان نمشي، ألا الليلة هنا

غالية أوي

ردت نعمة:

_حاضر يا جلال .

بعد خروج جلال من الغرفة، جلست نعمة على الكرسي المجاور، ومدت يدها للهاتف لتتصل بتباهي،

وعندما ردت، قالت بصوت مليء بالفرح:

_ألو...ازيك يا أم ليالي أخبارك ايه؟

أجابت تباهي:

=الحمدلله بخير، انتي عاملة ايه يا نعمة؟

ردت نعمة بسعادة:

_ده انا النهاردة الفرحة مش سايعاني، قوليلي ليه !

نطقت تباهي بدهشة:

=ليه؟

ردت نعمة بفرحة:

_ عشان بقيت عمه، ليالي بتك ولدت وجابت واد زي العسل .

ردت تباهي بسرور:

=بتتكلمي بجد؟ ليالي ولدت؟

ردت نعمة بحُب:

_ أه والله .

تعجبت تباهي من ولادة ابنتها قبل الميعاد الذي حدده الطبيب، فبينما تمسك الهاتف بين يديها بارتياح

ممزوج بالدهشة، قالت بصوت مليء بالتعجب، كما لو أنها تتحدث لأقرب الأصدقاء:

=ازاي والداكتور محددلها تولد يوم الخميس؟

ردت نعمة:

_ جالها الطلق، مكنش ينفع نستنى روحنا واخدينها وجرينا على المستشفى .

عندما أطلقت تباهي الزغاريد بفرح وانبهار بسبب ولادة ابنتها قبل الميعاد المحدد، هرعت مسرعة نحو

المرحاض، وهناك وجدت عم سلامة يقوم بغسل وجهه بانتعاش، فتسللت البهجة إلى قلبها وعبرت عن

سعادتها بابتسامة وافرة، وهي تقول بلهفة:

=افرح يا سلامة..بتك ولدت وجابت الواد .

فرح عم سلامة فرح منين، وقال:

_ بتتكلمي بجد يا أم ليالي؟

ردت تباهي بسعادة:

=أه والله ولدت .

أمسكت تباهي هاتفها بيد مرتعشة من الفرح، وأكملت حديثها مع نعمة بكل شغف، فقالت بلهفة مليئة

بالانبهار:

_ انتوا فين؟ احنا جاينلكم!

ردت نعمة باعتراض:

=لا لا احنا هنرجع على البيت، محدش يجيلنا في حنة، ابقوا تعالوا على البيت هناك !

بعدما دفع جلال الأموال المتعلقة بالفواتير، وضعوا ليالي في السيارة، حيث انغمست في النوم على ساق

نعمة، بينما كانت هايدي تحمل ابن أخيها بعناية، وحنان عادوا بها إلى المنزل، حيث كانت تباهي،

وزوجها، وأولادها ينتظرون ليالي بشوق أمام منزل أم الديب، وبعد وصولهم إلى الشقة، كانت ليالي

نائمة في سريرها وبجانبها الطفل الرضيع وسط تجمع عائلتها، زغردت تباهي من شدة فرحها، وتحدثت

بكلمات مفعمة بالحب:

_ ألف ألف مبروك يا بتي .

ردت ليالي بألم شديد:

=الله يبارك فيكي .

عم سلامة بسعادة:

_ الواد طالع شبهك .

أم الديب بسخط:

=ايهي ده شبهك انت .

عم سلامة بعدم إقتناع:

_يا سلام؟

أم الديب بصوت خافت:

=نفس السحنة المهيبة .

رد عم سلامة بذكاء:

_بتقولي حاجة يا أم الديب؟

ردت أم الديب بعدم قبول:

=لا ياخويا .

تحدثت تباهي بسعادة:

_هتسموه ايه يا بتي؟

ليالي بألم:

=هسميه حمود .

رد جلال بسعادة:

_يا زين ما اختارتي يا ليالي، حلو اسم حمود ده .

رد صابر بابتسامة:

=تعيش وتشوفه عريس يا جلال .

رد جلال:

_الله يخليك، وعقبال ما نشيل عيالك قريب .

في مطبخ مليء برائحة الطعام الشهى، والأجواء الدافئة، كانت نعمة تتألق في طهي الطعام، حيث كانت تقوم بسلق الدجاجة، وتهيئة لسان العصفور بعناية، بينما كانت هبة تأخذ قسطاً من الراحة وتشرب كأساً من اليببسي لتنعش حواسها. وفي ذات الوقت، كانت هايدي تستمتع باللحظات الهادئة في شقة أم الديب، وتشارك المعلم حنفي بالحديث والضحكات الدافئة بينما يتذوقون قهوتهم المنعشة. وفجأة، قررت نعمة الاتصال بأحمد، الذي كان في ذلك الوقت يجلس على القماشة التي فرشها داخل المحل، فامتلك هاتفه ورد على المكالمة، قالت نعمة بشوق:

=ازيك يا أحمد ياخويا عامل ايه؟

أجاب أحمد بغم:

_كويس، انتي عاملة ايه؟

ردت نعمة:

=الحمد لله بألف خير، كده ياخويا متجيش تشوف ابن أخوك؟ بقى يهون عليك بعدنا؟

تلفظ أحمد بذهول:

_هي ليالي ولدت؟

ردت نعمة بابتسامة:

=أمال ايه، جابت حمود... ده واد زي السكر، ربنا يحفظه ويخليه لأبوه وأمه .

أجاب أحمد بنبرة مستاءة:

_ قوليلهم مبروك .

ردت نعمة:

=الكلام لواحدة مينفعش، لازم تيجي بنفسك وتباركلهم، ولا انت نسيت انك أخونا ومن لحمنا، ودمنا؟

رد أحمد بألم نفسي عارم:

_ مابقتش قادر أشوفهم بعد ما اتسببوا في دمار حياتي... انا مش قادر أسامحهم على اللي حصل ده !

قالت نعمة بتأثر:

=خلاص ياخويا انسى، اللي حصل حصل...كله مكتوب عند ربنا من قبل مانا وانت نيجي للدنيا،

وزعلك ده مش هيغير اللي راح، بالعكس سامح وانسى وعيش حياتك، وافتح صفحة جديدة !

رد أحمد على المكالمة بحزن يعكس تأثيره بما يحدث، حيث ترنحت كلماته بثقل الأسى:

_ افتح صفحة جديدة؟ مش لما القديم يتنسى الأول؟

تحدثت نعمة:

=وغلاوتي انا وهايدي عندك لا تسامح وتيجي، ده احنا أهلك وفي الأول والآخر ملناش إلا بعض !

رد أحمد بحزن:

_ ربنا يسهل يا نعمة... هقرر وبعدين أبقى أشوف !

ردت نعمة بصوت حنون:

=طيب ياخويا شوف وعلى أقل من مهلك...فكر براحتك خالص، وهتيجي هتلاقينا مستنينك !

تلفظ أحمد:

_ ماشي يا نعمة، ربنا يسهل... عايزة حاجة؟

ردت نعمة بابتسامة:

=سلامتك .

بعدما انتهى أحمد من المكالمة الهاتفية، وضع هاتفه جانباً برفق، وانغمس في عالم النوم، حيث وضع الغطاء فوقه برفق واستسلم للسكون الهادئ ليتأمل في أحلامه. وفي خلال أسبوع من الزمن، كانت ليالي

تعيش على شوربة الدجاج، ولسان العصفور، حيث بدأت في الشفاء تدريجياً واستعادة قواها. وفي يوم

حفل السبوع كان المولود يصرخ بشدة، مما جعل أم الديب لا تستطيع النوم من صوته المزعج، وكانت

تتقلب في السرير يميناً، ويساراً بلا هدوء. حتى استيقظت من نومها بشكل مفاجئ، وشعرت بالنعاس

الشديد يسكن أطرافها، فقامت بالصعود إلى شقة ليالي، وطرقت الباب بقوة، فانفجرت أم الديب بسخط

محتقن، وقالت بصوت متوتر:

_ بت يا ليالي...انتي يا منيلة .

فتحت ليالي الباب، وقالت:

=ايه يا حماتي؟

ردت أم الديب :

_ الواد عمال يعيط ليه؟ ما ترضعيه ياختي .

أجابت ليالي ببغضاء:

=انا لسه مرضعاه .

ردت أم الديب في حين هي تتنأب:

_وأأمك وأخواتك هيجوا امتي؟

نطقت ليالي بوجه عابس:

=هيجوا من الضهر يادوب أنتشطف علشان أنزلك .

ردت أم الديب بتأكيد:

_متتأخريش يا بت !

ثم نظرت حولها بتطفل، وقالت:

_أمال جلال نزل ولا جوا؟

ردت ليالي بضيق:

=لا نزل من بدري .

تلفظت أم الديب:

_طيب مستنياكي تحت .

ردت ليالي:

=طيب .

أغلقت ليالي الباب برفق، ونزلت أم الديب إلى شقتها بخطوات ثقيلة، حيث كانوا ينصبون شادرًا تحت المنزل لاستقبال القادمين وتحضير مراسم السبوع. وفي وقت الظهر، حضرت سعاد، أخت أم الديب، ووالدتها، وأقاربهم، وبدأوا في تنفيذ عادات قرية أم الديب المتعارف عليها في مراسم السبوع، حيث قاموا بعجن الخبز بالحليب، ثم وضع السكر والبكينج باودر، وإدخاله للفرن، وعندما خرج من الفرن، قاموا بسكب السمن الذي يعطي طعمًا خاصًا للخبز. وجلست أم الديب وأختها يجلسان على الأرض في المطبخ، أمامهم صحن كبير يحتوي على العجين، حيث بدأوا في عجن الخبز البلدي بتركيز، واهتمام، وفي تلك اللحظة قالت أم الديب:

_حطي ياختي شوية عيش .

ردت سعاد، وهي تضع خبز إضافي:

=أهو .

في هذا الوقت، دخلت ليالي شقة أم الديب وهي تحمل طفلها بحنان، فاقتربت هايدي بابتسامة دافئة، وقالت:

_هاتيه أشيله منك .

ردت ليالي:

=خدي بالك منه !

نطقت هايدي، وهي تحمل حمود:

_حاضر... تعالى يا حبيبي، متعيطش!

ثم أخذته ودخلت به إلى الغرفة، حيث كانت تشعر بالفرح، والارتياح لوجوده بجانبها. بينما دخلت ليالي

المطبخ عند أم الديب، وهي تتدلل في مشيتها وتتنظر بفضول. فعوجت أم الديب فمها بتوجس، وقالت

بصوت حاد ينم عن عدم الرضا، والاستياء:

=اتأخرتي ليه يا ليالي؟

ردت ليالي بدلال:

_معلش يا حماتي كنت بغير للواد .

لم يعجب أم الديب حديث ليالي، فانعكست عباراتها بنبرة حادة كسخرية مُركزة، تنم عن انزعاجها، ورفضها للموقف بشكل لافت:

=كل ده بتغيريله؟

ليالي باشمئزاز:

_أه بغيرله .

ثم خرجت مرة أخرى، وجلست بجانب نعمة فكانت أناملها ترقص على أزرار الهاتف، وبدأت بالاتصال على والدتها. نادى أم الديب ابنتها بصوت ينبض بالحنان:

=بت يا نعمة.. تعالي خدي الصواني دهى، سويها تحت .

في ذلك الوقت، دخلت نعمة المطبخ بخطواتٍ هادئة، في حين كان جلال يتبادل الضحكات مع أفراد عائلته في الشادر المظلل، أما نعمة قامت بأخذ الصينية اللامعة، التي ترتدي عليها زخارف الفن، والحلويات الشهية، ونزلت بها بحرصٍ إلى الطابق السفلي، وهناك ببراعة، أشعلت النيران في أعماق الفرن، مُحدثَةً نسيماً دافئاً يعم المكان بطيبة، ثم قامت بإدخال الصاج المحمل بالحلويات المغربية داخل فم الفرن، وبينما كانت تتألق بإبتسامةٍ واثقة، كان جلال ورفاقه يستمتعون بجلسة الهدوء في أحداث اليوم. وفي زاوية الشادر، كان أحمد يمسك هاتفه بيدٍ مرتجفة، ويتأمل صور خطوبته على جميلة بعينين ممثلتين بالحنين، والحب، حتى أفاضت دموع الشوق على خديه بلا رادع، فاستدعت ذكرياتهما، ومعاني الحب العميقة التي تجمعهما، ولكن بينما حاول أحمد الاتصال بها، تجاهلت جميلة نداءاته بلا شعور، فتكاثرت آهات الأسى في داخله، وفي هذا السياق، تعانقت ألحان أغنية "طمني عليك" للفنان محمد فؤاد مع أوتار قلبه المنكسر، حيث تحاكي كلمات الأغنية قصة حياته ومعاناته العاطفية، وفي الخلفية الصامتة لعقله، كانت تتلاشى أحداث السعادة، والحب السابقة، محلها ذكريات الماضي المؤلم، والأحزان المستترة، فرأى المعلم حنفي حزنه المكبوت، فلم تتوانَ مشاعره الرقيقة عن التعبير، فقام المعلم حنفي بترك مقعده برفقة رفيق دربه، وجلس بعيداً عن أنظار الآخرين، ليقدم له كلمات الراحة، والتوجيه الحكيم، فأخذ بيده بلطف وقال بصوت ينبع من القلب:

_مالك يا ض؟

رد أحمد وهو يحاول إخفاء أوجاعه، قائلاً:

=مفيش حاجة... هو السبوع هيخلص امتى؟

نطق المعلم حنفي:

_وانت عايز تعرف ليه؟

رد أحمد بحزن:

=بفكر أسافر .

رد المعلم حنفي بتعجب:

_هتسافر فين؟

رد أحمد بتنهد:

=أي حنة، المهم أسافر وخلص .

رد المعلم حنفي:

_لحد دلوقتي مش عارف تنسى؟

كادت دموع أحمد أن تنحدر، فحاول بكل قوة التماسك، والتحمل، ولكنه تمالك نفسه بجهد شديد، وقال بنبرة مهزوزة تختلط فيها مشاعر الحزن، والقوة:

=ومش هنسى!

بعد وصول أم ليالي، وهبة إلى شقة أم الديب، استقبلتهما نعمة، وهايدي بابتسامة دافئة، وفي لحظة ترحيب مليئة بالود، ألقى نعمة بكل اعتزاز:

_يا ألف مرحب، نورتونا والله .

ردت تباهي بسعادة:

=منور بيكي يا نعمة .

اقتربت تباهي من حفيدها الصغير بعناية، ورفعته بين ذراعيها بلطف، وهي تتلذذ بلحظة الفرح، وزغردت بابتسامة واسعة قائلة بفخر:

_اسم الله، اسم الله...ربنا يحفظه ويخليهولنا

ردت ليالي بسعادة:

=يارب ياما .

حين خرجت "خواطر" العجوزة من المطبخ، لم يمر لحظة حتى لاحظت حضور تباهي، وهبة، وعلى الفور، انطلقت بصوت ساخط يعكس حالة من الاستياء:

_انتوا ايه اللي جابكم؟ جايبين تعملوا ايه في بيت بتي؟

ردت نعمة بسرعة، وهي تحاول تهدئة الأوضاع بتعبير هادئ:

=جرا ايه يا ستي، وهما كانوا داسولك على طرف؟

ردت خواطر بكمد:

_أني بتي بتكرهكم... ايه اللي جابكم عندنا؟ جايبين تطفحوا الطفح اللي بالسم الهاري وتمشوا؟

أجابت تباهي بصياح:

=بقى ده اسمه كلام؟ انتوا جايبينا تهزقونا هنا ولا ايه؟

ردت ليالي بجلبة:

_ما تلمي نفسك يا ست، هي الناس بتكبر وتعقل، ولا بتخيب؟

صرخت خواطر قائلة:

=الحقوني، مرات حفيدي بتغلط فيا، وبتشتمني إكمني ست عجوزة، بدل ما تعاملوني كويس في اليومين

اللي فاضليني؟

انفجرت ليالي في وجهها، قائلة بجلبة:

_جرا ايه يا ست، ايه وش التبالي ده! هو كان حد جه ناحيتك؟

تشبثت نعمة بيد جدتها برفق، وهممت بها لدخول الغرفة، في حين خرجت أم الديب مستعدة لمواجهة ليالي وأهلها، وعلى لسانها كلمات مفعمة بالموجدة، والقوة، قالت بصوت غليظ ينطلق كالصاعقة:
=ايه اللي جرا يا بت؟
ردت هايدي بفرع:

_مفيش حاجة والله، ده سوء تفاهم والحمدلله اتحل .
نظرت أم الديب باشمئزاز لتباهي، ثم استأنفت مهمتها بقسوة، وفي هذه الأثناء، قالت هبة بصوت خافت متوجهة لوالدتها برغبة في المغادرة:
=تصدقني بالله انا غلطانة إني جيت هنا، بلا قرف .
وقت اجتماع النساء حول ليالي، وهي تعبر فوق مولودها المستريح داخل الغريال، كانت أم الديب تنشب الهون بقوة، وتقوم بدقه بتعبير عن جبروتها، قائلة بصوت محموم:
_ اسمع كلام ستك !

تباهي بعناد:

=لا اسمع كلام أمك يا ولا، وستك أم أمك!
أما أم الديب، فكانت تدق الهون بعنف معيرة عن سخطها بكل حدة، حيث كان صوتها يرتد من جدران الغرفة كتوهج نار الغضب المقتدة في داخلها:
_ متسمعش كلام أمك، ولا ستك ام أمك!
شعرت ليالي أنهم في قلب سباق محموم، بدلاً من أن يكونوا في جو من الفرح، والاحتفال بحفل سبوع المولود، فلم تتمالك نفسها وقالت بغضب ملؤه الاستياء :
=في ايه يا حماتي؟
أما أم الديب، فبصوتٍ حاد واستعدادٍ للمشاكل، حيث بدت عليها علامات الاستعداد لمواجهة أي تحدي قد يطرأ، مظهره قوتها واستعدادها للصراع بكل قوة قالت:
_ مالك يا بت؟ كان حد داسلك على طرف؟
ليالي بصوت حاد:
=مالك يا حماتي انتي مش طابقانا ليه؟
دخل جلال وهو يرفع يديه الاثنتين لأعلى، مبدياً ترحيبه بالنساء الحاضرات بابتسامة ودية، وقائلاً بصوتٍ واضح:

_السلامو عليكمو يا نسوان يالي هنا...يلا انزلوا عشان نحتفل كلنا تحت.
اقتربت ليالي من جلال، وبنبرة مليئة بالانزعاج، قالت له بصوت مرتفع:
=كنت فين يا جلال كل ده؟
رد جلال:

_كنت بجيب حاجات يا بت...يلا هاتي حمود وتعلي.
حملت ليالي مولودها بحنان، ونزلت بجانب جلال، ووراءهما تجمعوا أقاربهم، وجيرانهم، وكانت هايدي تلقي الورود بفرح، وبهجة على الحاضرين، حتى وصلوا إلى الشادر المنسوب. جلست ليالي بجانب جلال، تحتضن مولودها في جو مليء بأغاني السبوع، وفرحة الاحتفال. وفي هذا الوقت، تقدمت جارة أم الديب بابتسامة سعيدة لرؤية ليالي، وقالت لأم الديب ببنبرة مليئة بالفرح:

=ما شاء الله ياختي، مرات ابنك زي العسل، انا شوفتها يوم الفرح، ولما كانت لسه حبله، شكلها متغيرش !

أم الديب بغيرة جسيمة:

_ ايهي دي منيلة، ومطلعه عين الواد ابني... هي مهنياه على نومه؟
جارتها بتعجب:

=ليه يا أم الديب؟ دي شكلها بت حلال.

أم الديب بسخرية:

_ ده انتي اللي طيبة.

جاءت سعاد، وهي تطلق الزغاريد بكل فرحة، فقالت:

=ألف مبروك... عقبال ما تجوزي أحمد، ونعمة، وهايدي.

ردت أم الديب بسعادة:

_ انشالله يخليكي عقبال بناتك، وابنك.

بمجرد أن التفت أم الديب، دخلت الراقصة ببدة الرقص، وهي تتأرجح بين الرجال بإثارة وجاذبية، فأثارت انتباه المعلم حنفي الذي قام ليشاركها في الرقص، متناسياً وجود زوجته في المكان، إلى درجة أنه اندمج بشكل كامل معها دون أن يلتفت إلى العواقب المحتملة. وبينما كان الحضور يشاهدون بذهول رقصاتهم، دخلت أم الديب بين الرجال وهي مصدومة، وأمسكت المعلم حنفي من ملابسه بقوة، وصرخت في وجهه بصوت عالٍ مسببةً حالة من الهلع في الجو، حتى سقط أحد المعازيم من على كرسيه، وعدل الحضور موقفه حتى استقر مرة أخرى، وهو يتنفس بصعوبة، ثم قالت أم الديب بصوت مليء بالاستياء:

=ايه ده؟

المعلم حنفي بلا مبالاة:

_ سيببها تهز يا ولية، الرجالة عايزين اللي يطري عليهم القاعدة .

أم الديب بإعوال:

=بتخوني يا راجل؟

المعلم حنفي بسخرية:

_ وانتي يا ولية اللي يعيش معاكي هيجيله نفس يخون؟ ده انا نفسي اتسدت !

وقفت أم الديب بمنتصف الشادر، ورفعت يديها الاثنتين تجاه السماء، وهي تلمم وجهها بقوة، معبرة عن حالة من الاستياء، وصرخت قائلة:

=يا خرابي!

اقترب المعلم حنفي بخوف من الخزي الذي يهدده، وهو يختلط عليه القلق، وقال بصوت حاد مليء بالانفعال:

_ ما بس يا بت الجزمة، انتي عالطول فضحانا؟ اطلعي فوق يلا !

أم الديب بعناد:

=مش هطلع!

نظر المعلم حنفي لجلال، ونطق بعصبية:

_ واد يا جلال خد أمك بعيد عن هنا.

أم الديب بشر:

=يعني مش هتمشي الرقاصة؟

رد المعلم حنفي بقلق:

_لا.

أم الديب بمكر:

=ماشى.

بدأت أم الديب في اقتلاع ملابسها أمام الحاضرين، فاندفعت نعمة، وهايدي بصراخ، وحاول المعلم حنفي، وجلال السيطرة عليها بسرعة قبل أن تتسبب في مذلة كبيرة، ولكن عندما فشلوا في ذلك، تدخل أحمد وأمسك بها أيضاً، فاجتمع الثلاثة ليقوموا بإعادتها إلى المنزل، حيث قاموا بحبسها في الغرفة وهي تعول بينما عادوا للاحتفال في الطابق السفلي. وبعد أن عادوا لأسفل مجدداً، وقف المعلم حنفي وسط الحاضرين، وفي حالة من الإحراج، قال:

_معلش يا جماعة ولا كأن حاجه حصلت، هنكمل يومنا عادي !

في الأعلى، كانت أم الديب ترفع صراخاً مليئاً باليأس وتطرق الباب بقوة، ولكن كان صداه يتلاشى في أروقة البيت الهادئ، حيث لم يكن هناك من يستجيب لصراخها المائل. وبعد دقائق، انتقلت نعمة، وهايدي إلى توزيع المخبوزات على الحاضرين، وكانت كل لمسة منهما تنثر الفرح في الهواء، حتى انتهى اليوم بأجواء من السعادة، والتلاحم. ومرت سنة كاملة منذ ذلك اليوم المشحون بالأحداث، حيث شهدت تغيرات كثيرة في حياة الجميع. في هذا اليوم الجديد، ذهب أحمد لاستخراج أوراقه استعداداً للتقديم في الجيش، ودخل المكتب بخطوات ثابتة، وكلماته تنطلق بثقة، واستعداد للمرحلة الجديدة التي تنتظره:

=صباح الخير.

ردت الموظفة:

_صباح النور.

نطق أحمد:

=عايز أسحب ورق رابعة.

ردت الموظفة:

_هاتلي بطاقتك .

أخرج أحمد بطاقته من جيب بنطاله بحركة ثابتة، ثم أعطاها للموظفة بينما يحمل هاتفه بيد مرتفعة ينظر إلى الساعة بترقب واضح. وفي هذا الوقت، دخلت امرأة مبتسمة بشكلٍ لافت، وسألت الموظفة بصوتٍ مليء بالاهتمام، والفضول:

=مممكن أعرف كارنية فرقة رابعة ظهر ولا لا؟

ردت الموظفة:

_لا لسة، عدي عليا بعد أسبوعين .

اشتبه أحمد عندما سمع الصوت، وبينما نظر إلى الأمر، وجدها جميلة، وعندما التقت عيناها ببعضهما البعض، انفتحت أمامهما أبواب الذكريات القديمة التي جمعت بينهما من قبل، فزادت نبضات قلب أحمد

وأصبحت تتسارع بفعل الشوق، والحنين. وشعر بالضعف أمام جاذبيتها المدهشة التي أثرت فيه بشدة. أما جميلة، فكانت على وشك البكاء بمجرد أن رآته، لكنها قررت أن تقهر مشاعرهما وتتبع دون أن تفاجئه بدموعها، فرحلت بخطوات هامسة، بينما أحمد خرج خلفها بخطواتٍ ملتهبة بالشوق، وعيناه تتلألأان بلون الحنين، والأسى. وقال لها دون سابق مقدم، بكلمات تتبع من أعماق الحب:

=جميلة انتي وحشتيني أوي !

ردت جميلة بحزن:

_سوري يا أحمد مابقاش ينفع !

نطق أحمد بحزن ينبعث من عمق قلبه، وعيناه تعكسان مشاعر الأسى، والحنين التي يعاني منها:

=مشاعرك انتهت ناحيتي يا جميلة، صح؟

بكت جميلة، وكان نبرة صوتها تعكس آلام الروح المتأججة، فتحولت من قوية إلى ضعيفة كنغمة متلاطمة في ساحة الحنين، حيث اهتزت كلماتها بالحنن، والضعف، وهي تعبر بصدق مطلق عن معاناتها العميقة:

_هتصدقني لو قولتلك أني لسه بحبك ومش عارفة أحب حد غيرك؟

أخرج أحمد المنديل من جيبه بلطف، وقام بمسح دموع جميلة بحنان، ولكنه لم يستطع تحمل بكائها المؤثر، فاندفعت الكلمات من شفتيه بصوت مليء بالعاطفة:

=لازم نرجع يا جميلة... لسه في وقت !

ردت جميلة بإحباط عارم:

_وهنعرف؟

لكن الأمل كان يتسلل إلى قلب أحمد، يضيء دربه بنور التفاؤل، فخرجت كلماته بثقة:

=هنعرف ليه لأ؟

وهنا قرر أحمد، وجميلة عدم الاستسلام لما حدث، والعودة مجددًا لبدأوا رحلة تصليح الأمور. وبلغية مليئة بالإصرار، ذهبوا إلى منزل أم قمر الدين، وافتتحوا الموضوع معها بكل وضوح، وصراحة.

ولكن، برغم محاولاتهم الصادقة، رفضت أم قمر الدين بحزم، قائلة:

_مبقاش ينفع بعد اللي حصل... انا من ساعتها ومش عارفة أبص في وش حد .

أحمد بإصرار:

=أرجوكي يا طنط حاولي، انا وجميلة بنحب بعض .

أم قمر الدين بتردد:

_حاول تنساها، وأكد هتلاقي اللي يناسبك .

رد أحمد بوجه تعبس:

=مستحيل يا طنط، مستحيل... أرجوكي ساعدينا!

ردت أم قمر الدين بتردد:

_هحاول .

بالفعل، بعد أن افتتحت أم قمر الدين الموضوع مع باسم، صاح في وجهها كالبركان الذي انفجر، واشتعلت النار في قلبه، حيث تأججت مشاعر الاستياء داخله، فكيف يمكن أن يزوج ابنته لشخص لا ينتمي إلى مستواهم الاجتماعي، أو الثقافي، أو المادي؟! فقد اختلفوا في كل شيء، كما لو أنهم من عوالم متباينة. وقال بسخط يشتعل كاللهب المتزايد:

=انتي أكيد اتجننتي... احنا مش قولنا إن الموضوع ده خلاص انتهى، بنفتحوه تاني ليه؟

ردت أم قمر الدين بضيق:

_الولد جاي، وكله ندم... ما انت أصلك مشوقنوش، شكله اتغير خالص عن يوم الخطوبة، الحزن بقى واضح جدًا على وشه، حتى كان محرج وهو بيكلمني في الموضوع... انا بصراحة مكنتش عارفة أعمل ايه... بس كل اللي انا عملته إني قولتله هفكر !

أجاب باسم بموجدة:

=تفكري في ايه بس يا بسمة؟ ما كل حاجة واضحة زي الشمس، الناس دي مش قيمتنا، وعمرنا ما هنرتاح معاهم... ده انا شكلي كان زي الزفت يوم الخطوبة، انا آجي على آخر الزمن وأرمي بنتي لناس زي دي؟

ردت أم قمر الدين باستياء:

_عشان خاطري يا باسم، أديهم فرصة جديدة، فرصة واحدة بس... ولو حسيت إنه متغيرش، انهبي الخطوبة فورًا !

رد باسم بسخرية:

=ما احنا خلاص مابقاش ورانا غير العيلة دي، نسيب أشغالنا وحياتنا، ونقعد نفكر نجوزهم جميلة ولا لا !

دخلت جميلة إلى مكتب والدتها، وشبكت أيديها في بعضهم البعض، كأنها تحمل في يديها قوة لا تقهر، وهي تنظر لهم نظرة حادة، تعكس الثقة المطلقة التي تملكها، ثم قالت بصوت مليء بالثبات:

_وانا مش هتجوز غيره يا بابي، ومهما عملتوا، انا برضة مش هغير رأيي!

رد باسم بصوت حنون:

=يا حبيبتى احنا كل اللي يهنا مصلحتك وبس، وانا شايف إن مصلحتك مش مع الناس دي!... انتي تستحقي واحد أحسن من كده بكثير.

ردت جميلة باحتدام:

_وانا مش هغير رأيي يا بابي، وهتجوزه يعني هتجوزه، انا المرة اللي فاتت كنت هموت وبسببكم!، المرة دي مش هيكون قدامي أي أوبشن غير اني أموت بجد.

ردت أم قمر الدين باحتراس:

=لا يا حبيبتى بعد الشر عليكى... أو عي تقولي كدة تاني أبدًا، ومهما يحصل احنا مش هنقدر نيجي عليكى، بس يا حبيبتى افكري إن ده هيكون اختيارك انتي، ولازم انتي اللي تتحملي نتيجة اختيارك في النهاية.

رد باسم بصوت حاد:

_يعني لو جيتي تشتكيلي منه في يوم من الأيام، أسف، مش هسمعك !

أجابت جميلة بثقة:

=وانا مش هشتكي منه، ومستعدة أتحمّل نتيجة اختياري، المهم انتوا توافقوا.

جلس باسم على مكتبه، وساد الصمت لحظات قليلة، حيث بدا وكأنه يفكر بعمق، ثم قال بصوت هادئ، ومتماسك:

_انا موافق... بس بشرط !

ردت جميلة، وأم قمر الدين في آن واحد:

=ايه هو؟

ردَّ باسم رد حازم:

_محدث من أهله هيحضر الفرح، ده لو عايزاني أوافق عليه !

بعدما سردت جميلة شروط والدها للموافقة على زواجهم، أبدى أحمد رفضه، وأجاب بثبات:

=ازاي يا جميلة؟ مينفعش طبعًا، انا مقدرش أقول لأهلي انا هتجوز من غير ما حد فيكم يحضر فرحي،

انا مش مستعد أخسر أهلي مهما يحصل !

ردت جميلة بعدما تأملت في إيجاد حلًا أفضل، وبنقته قالت:

_خلاص انا عندي حل أحسن...مش هنعمل فرح و نوفر الفلوس ونسافر إيطاليا .

فرح أحمد بهذا الاقتراح العظيم، وعبر عن موافقته قائلاً:

=فكرة عظيمة، وانا موافق عليها.

قررت جميلة أن تقترح هذا الاقتراح لعائلتها، فوافق الجميع عليه. وفي اليوم التالي، طلب باسم أن يلتقي

بأحمد مرة أخرى، وبالفعل حضر أحمد للقاءه، لكن هذه المرة في ريسيشن الفيلا الفاخرة، حيث امتلأت

الطاولات بالعصائر الفاخرة، والحلويات الشهية، ما أضفى على اللقاء لمسة من البهجة. فكان باسم

يرتدي ملابس كاجوال بدلاً من البدلة الرسمية كما كان معتادًا، مما أظهر تربيته لأسلوب أكثر بساطة

وقربًا من القلوب. وفي لحظة تعبير عن قبوله، ألقى باسم ابتسامة تنبعث من داخله، تعكس إرادته

الصادقة في بناء جسور التقارب:

_بص يا أحمد...انا عندي شباب من سنك، وفي يوم من الأيام انا كنت زيك كده، انا طبعًا حاسس ببيك

وبظروف كل الشباب، بس ده ميدنيش الحق إني أتهاون في حقوق بنتي! انا عارف إنك شاريها وبتتمنى

إني أوافق، بس إني أديك بنتي اللي هي جزء من روعي كده مش بالساهل! لا لازم أكون عارف إنك

هتعاظ عليها وهتخطها في عينيك الاتنين ده أهم من أي حاجة تانية !

رد أحمد بلهفة:

=جميلة في عينيا الاتنين يا عمي، انا مش عايزك تقلق من حاجة... انا مقدر قيمتها كويس، وعارف

الجوهرة اللي معايا.

رد باسم بابتسامة:

_وانا مش عايز أكثر من كده... خلينا نتكلم في المهم، انت معاك كام دلوقتي؟

رد أحمد بخوف، وتوتر، حيث انعكست تلك المشاعر على وجهه بوضوح، وأصدرت تلك الردود

القصيرة الهامشية بصوت متردد، مما يدل على حالة القلق التي يعيشها:

=معايا حوالي تسعين ألف !

رد باسم بتفكير:

_عندك استعداد تتغير للأحسن؟

رد أحمد بابتسامة:

=أكيد، ومين فينا مش عايز يتغير للأحسن؟

أجاب باسم بابتسامة خافتة:

_الهاني مون هدية مني ليكوا، وانا عندي شقة هاييلة جدًا... انا متأكد إنها هتعجبكم، ومش عليك حاجة غير إنك هتدفع إيجارها كل شهر... ده طبعًا لحد ما تشتغل في مكان أحسن، وتشتري فيلا جميلة ! فرح أحمد فرحًا شديدًا، فلا يصدق أن أخيرًا والد جميلة وافق عليه! كانت هذه اللحظة بمثابة معجزة بالنسبة له، فانبعثت السعادة من قلبه وانعكست على وجهه بابتسامة تشع بالفرح، وبكل سعادة شديدة، قال:

=حضرتك موافق؟ موافق بجد؟

رد باسم بسعادة:

_أه موافق، بس متنساش اللي وصيتك بيه.

وقف أحمد، وقام بعناق باسم من شدة فرحته، فعبر باسم عن سعادته بضرب يده على ظهره، وقال

بصوت مليء بالفرح:

_ألف ميروك يا أحمد .

رد أحمد بسعادة:

=الله يبارك فيك يا عمي... حضرتك متأكد انك موافق؟

ضحك باسم، وقال:

_أه متأكد، وأعمل حسابك هنروح نشوف الشقة كمان شوية، وكويس إنني فاضي الساعتين دول، لولا

كده مكنتش قدرت لا أقابلك، ولا حتى أروح معاكم .

رد أحمد بسعادة:

=ربنا يخليك لينا...حتي لو مجيتش كفاية إنك وافقت بس دي أهم حاجة !

رد باسم بابتسامة:

_بلغ والدتك وأخواتك.

رد أحمد بسعادة:

=حالًا هبلغهم.

أمسك أحمد هاتفه وقام بالاتصال على هايدي، وأبلغها بموافقة باسم، فانطلقت زغاريد الفرحة تملأ

المنزل، حيث انبعثت البهجة من كل زاوية. وبعد مرور ساعة، وصل أحمد، وجميلة، وباسم، وأم قمر

الدين إلى عش الزوجية، حيث بدأوا رحلة جديدة من الحب، والسعادة. فكان أحمد، وجميلة يتجولان

داخل الشقة، والسرور يغمر قلوبهم بعد كل ما مروا به من ألم. وفي هذا الجو المليء بالفرح، قالت

جميلة:

_الشقة تجنن...ايه رأيك فيها؟

رد أحمد بسعادة:

=وانا أقدر أقول حاجة بعد ما عجبتك؟

ضحكت جميلة، وقالت بدلال:

_مبسوط بيها يعني؟

رد أحمد بسعادة مفرطة:

=انا مبسوط بيكي انتي مش بالشقة !

ضحكت جميلة وهي تتجول في الشقة، وأحمد يتبعها بنظرات مليئة بالحب، والإعجاب، وفي الخلفية، كانت أم قمر الدين تشعر بالسعادة الغامرة لرؤية ابنتها تنعم بالفرح، والسرور. كانت تتمنى لها السعادة مع كل تفاصيل حياتها، وفي هذا الوقت، كانت أم الديب تتذوق الشرابات بفرح، وانبساط، وعند دخول جلال وتفاجئه بالسعادة الجارفة التي تعم قلبها، أبدى دهشته بابتسامة خفيفة على شفثيه وسأل بفضول:

_خير ياما... أبويا مات ولا ايه؟

ردت أم الديب بسعادة:

=أخوك وخطيبته رجعوا لبعض يا ولا، وقريب هيتجوزوا، وبت الأكاير هتيجي وسطنا تنورنا.

أجاب جلال بامتعاض جسيم، حيث انعكست حدة الغضب على ملامح وجهه، وتجلى ذلك في توتر عضلاته وانفخ أنفه، مما أظهر انزعاجه العميق واستيائه من الموقف، وصدرت الكلمات بنبرة قاسية:

_يعني ايه رجعلها ياما؟ رجعلها بعد اللي أبوها عمله فيا وفي خالي ضايح؟ رجعلها بعد ما رمونا برا

رامية الكلاب؟

نطق أم الديب بصوت حاد:

=انت وخالك اللي غلطانين من ساسكم لراسكم، ناس غيركم كانت عدلت نفسها لحد ما الشبكة خلصت.

رد جلال بسخرية:

_مابقاش ناقص غير اللي بيسرقوا الفراخ واللحمة هما اللي يتكلموا.

ردت أم الديب بصوت غليظ:

=ايهي هي بت دباح الحمير قالتك ولا ايه؟

تلفظ جلال بصوت حاد:

_ده الدنيا بحالها اللي قالتلي، مش ليالي بس، ده انتي فضيحتك بقيت على كل لسان ياما.

صرخت أم الديب بصوت عالٍ، وقوي، حاملةً في صوتها نبرةً من الاستياء:

=يا خرابي هي حصلت يا ولا؟ بقي بتعاير أمك اللي شالتك، وحميتك، ونيمتك، وشربتك، و....

بتر جلال حديثها بينما يحسب على أصابعه عدد المشكلات التي واجهها معها، معبراً عن استيائه، وانزعاجه من الأمور التي تكررت مراراً، وتكراراً:

_واللي سوحنتي، واللي بهدلتني، واللي طلعت عيني، واللي هيجيلي الضغط قريب على ايديها .

تحدثت نعمة:

=هو انتي ياما مستنياه يرجع عشان تتشاكلوا؟

ردت أم الديب بصياح:

_اسكتي انتي يا بت... ماشي يا جلال، أني هوريك !

جلال بسخرية:

=خلاص مانتى معنديش إلا غيرها !

خلعت أم الديب نعلها بسخط، وصوبته في رأس جلال، مما دفعه لترك ما بيده من أكياس، وصاح

محاولاً ضربها. فصاحت أم الديب بانفعال قائلة:

_الحقوني يا خلق، ابني عاوز يضربني... ابني قليل الرباية، كبرته وفي الآخر عاوز يمد ايده عليا

ياللهوتي !

خرجت هايدي من غرفتها كملاك يحمل السلام، ووقفت في المنتصف بين جلال، وأم الديب كحاملة
لشعلة الونام، وفي محاولة يائسة لإبعادهم عن بعضهم البعض، تدخلت نعمة بسعة صدر، ولكن
العواصف لم تهدأ. خلعت أم الديب نعلها الثاني كرمز لاستعدادها للمواجهة، وصوبته في رأس جلال
كصاعقة من الاستياء، حيث اضطر جلال للهبوط بسرعة، وفجأة، كأنما وقعت الصدفة العابرة في رأس
المعلم حنفي، فنطق بامتعاض:
=يا بت الكلب يا رمة!
يتبع....

الفصل الخامس عشر

صرخ المعلم حنفي في وجه أم الديب بغضب متقدّمًا نحوها، وكلماته تنفجر:

_ ماتلمي نفسك يا ولية، هو انتي ايه، كبرتي وخيبتني؟

ردت أم الديب بعصبية:

=لم ابنك الصايح قبل ما تتكلم معايا نص كلمة !

تحدث جلال بصياح:

_ انا اللي غلطان إني عديت عليكى بعد كل اللي عملتنيه معايا انا ومراتي.

وأردف لوالده بجلبة:

_ خليك شاهد يابا انت، ونعمة، وهايدي، انا مش معتب البيت ده تاني، وإياكوا حد يكلمني ويقولني

مبتجيش ليه، أديكوا شايفين أهو!

ردت أم الديب بصراخ:

=في ستين داهية لما تاخذك، هو انت هتلوي دراعي ولا ايه؟ اللي بتديهولي امنعه ياخويا !

بينما يصعد جلال درجات شقته، اقتحمت أم الديب غرفتها بكل قسوة، وأوصدت الباب بقوة في وجوه

كل من المعلم حنفي، وبناتها. حينها، نطقت نعمة بصوت حزين:

_ معلش يابا حقك على راسي من فوق .

رد المعلم حنفي بسخط:

=دي ولية مش لاقية اللي يلماها، ماهي لاقية اللي تتحامى فيه عشان كده واخده راحتها بزيادة .

أجابت نعمة باستياء:

_ انا شايفة إنكم لو بعدتوا عن بعض هترتاحوا وهتريحونا من المشاكل .

رد المعلم حنفي بجلبة:

=طب ياريت، بس خالك يقطع الشيكات اللي ممضيني عليها الأول !

نطقت نعمة بصدمة:

_ لا يابا انا مش قصدي انكم لقدر الله تطلقوا، انا قصدي تبعدوا عن بعض بمعنى انك تنام في مكان،

وهي تنام في مكان !

رد المعلم حنفي بدهشة:

=لقدر الله تطلقوا؟ ولقدر الله ليه؟ ده يوم المنى .

بعدما صعد جلال إلى شقته، وجد ليالي تهتم بتغيير حفاض حمود، الذي لا يتجاوز عامه الأول. وفي

الخلفية، كان يتصاعد صوت غليان الطعام على موقد الغاز. حيث جلس جلال، ووضع أكياس الطعام

على الطاولة، فلاحظت ليالي تغيرًا في ملامح زوجها، فسألت بدهشة:

_ مالك يا جلال... ايه اللي جرا؟

رد جلال بضيق:

=مادام لابس الوش ده، اعرفي أنه بسبب أمي !

ردت ليالي بغضب عارم:

_ تاني؟

أجاب جلال بسخرية:

=قولي تالت، ورابع، ومليون، ولو في أكثر من كده أبقى عدي .

ردت ليالي بامتعاض:

_ ايه اللي حصل طيب؟ احكي لي!

بدأ جلال في حكاية كل ما حدث لليالي، وفي الوقت نفسه، استقر أحمد، وجميلة على عش الزوجية الذي نال إعجابهم بشدة، وبعد عودة أحمد للمنزل وضع هاتفه جانباً، فجلست هايدي على سيفه، وبينما تنظر إليه بعيون مليئة بالفضول، سألته بصوت هادي، ومندهش: =
=اتفقتوا على ايه؟

أجاب أحمد، وهو يشعر بالإرهاق من السفر، بصوت مُتعب:

_ خدنا الشقة الحمد لله، وعمي هيخلي شهر العسل هدية منه لينا، وبالنسبة للفرح مش عاملين فرح المشكلة كلها في الموبيليا... انا مش عارف ازاى التسعين ألف اللي معايا هيكفوا عش الشقة .

ردت هايدي بتفكير:

=ممكن تلموا الدنيا في العفش، وتخلوها عمولة من هنا، ومش هتتكلف كثير زي الجاهز .

رد أحمد بحيرة:

_ مستحيل الشغل ده يعجب جميلة، وأهلها... هما عايزين حاجات معينة، ومعتقدش إن النجارين اللي هنا يقدرُوا يعملوه .

في لحظة، خرجت نعمة من المطبخ، وفي يدها مقوار الباذنجان، وجلست أمامهم، ثم قالت بلطف:

=انا عندي فكرة يا أحمد ياخويا، في راجل في البلد اللي جنبنا شغله حلو أوي... شوف انت بس جميلة ذوقها ايه، ووريله الصور وهو يعملك زيه، وأسعاره مقولكش...حنية أوي أوي، هتصرف وهيفضل معاك باقي كمان !

رد أحمد بتفكير:

_ خلاص هشوف، حد بس يديني عنوانه .

نطقت نعمة بإحسان:

=هاخدك ونروحله بكرا، بس جهز الصور في تلافونك الأول .

رد أحمد بابتسامة:

_ هو ده العشم يا نعمة، عقبال ما نفرح بيكي قريب انتي كمان !

ردت نعمة بلهفة:

=يارب ياخويا، يارب .

بعد مرور يومين، قررت نعمة أن تأخذ بيد أحمد، وتوجهان إلى النجار، حيث اتفقوا معه على تصميم، وتنفيذ أثاث المنزل بطريقة تلائم جميلة، وعائلتها بأكملها. وبعد الاتفاق، قام أحمد بدفع مبلغ عربون قدره عشرة آلاف جنيه، بعد ذلك، غادر الاثنان المكان، حيث عادت نعمة إلى منزلها، بينما اتجه أحمد إلى مكتب التجنيد المحلي لتقديم أوراقه للالتحاق بالخدمة العسكرية. وهناك، التقى بأصدقائه الذين درسوا معه في الجامعة، وتبادلوا التحايا، والأحاديث مصاحبة لمصافحات حارة تعكس الود، والاحترام المتبادل. وبعد الانتهاء من إجراءات التقديم في ذلك اليوم الذي عاد فيه من مكتب التجنيد، وهو يشعر بالإرهاق من جميع التحركات التي قام بها، انطلقت أم الديب في ترديد الزغاريد بفرحة غامرة، معبرة عن سعادتها واعتزازها بابنها الذي يخوض تجربة جديدة في حياته:

_ مبروك ياخويا... أخيراً هيريحونا منك؟

رد أحمد بسخط:

= هو ايه اللي مبروك؟ هو انا حددت فرحي؟ ده انا رايح الجيش، يعني سنة كاملة هتبهدل على السكك .
نطقت نعمة بسعادة:

_مانت متعود على كده يا أحمد، مش كنت بتروح الكلية كل يوم، وكنت متبهدل على السكك برضة؟

رد أحمد باقتناع:

=على رأيك .

في لحظة مؤلمة، خرجت هايدي من الغرفة، ودموع الحزن تملأ عينيها لفراق أخيها الأعز لها، فألقت أم
الديب نظرة ساخرة نحوها، وبصوت مملوء بالسخرية، قالت:

_انتي بتعيطي على ايه يا بت؟ هو هيتسجن ولا هيروح يخدم بلده زي بقية الخلق؟

ردت هايدي ببكاء:

=انا مش مصدقة انك هتروح الجيش، ومش هشوفك إلا كل أربعين يوم مرة!

عانق أحمد أخته هايدي، وقال متأثرًا:

_مش عايزك تزعلي أوي كده يا هايدي، ده هي سنة واحدة، وهتعدي وكل حاجة هترجع لطبيعتها .

ردت هايدي بانتحاب:

=صدقتي مش هقدر أستحمل بُعدك عني، انت يوم ما كنت بتغيب عننا، كان أسبوع واحد، وترجع تقعد

معانا يومين، وبعدين تسافر تاني .

رد أحمد بلطف:

_حاولي تشغلي نفسك في دراستك، لحد مانا أخلص!

مع علم جميلة بتفاصيل تجنيد أحمد، لم تتمكن من تحمل فكرة ابتعاده عنها، فاتخذت قرارًا جريئًا بأخذ
حقيبتها والانطلاق بسيارتها إلى شركة والدها، حيث واجهت موظفون باسم في استقبال حافل بالترحيب.

ومع الحقيقة الواضحة بأن باسم يحتكر شركة التوصية بالأسهم، وأن ابنه قمر الدين هو شريكه في

العمل، بالإضافة إلى امتلاكه لشركات أخرى تجعله ثريًا بثروة فاحشة، فإن الابتسامة التي رسمها

الموظف على وجهه عند رؤيته لجميلة لم تكن إلا تعبيرًا عن فرحته بلقائها... فقال:

=معقول، مدموزيل جميلة عندنا في الشركة؟

ردت جميلة بابتسامة:

_هاي ازيك؟

رد الموظف بسعادة:

=انا بخير...إزي حضرتك انتي يا مدموزيل جميلة؟

ردت جميلة بابتسامة:

_بخير، بأبي جوا؟

رد الموظف بلطف:

=طبعًا...افضلي .

طرقت جميلة الباب بحنكتها، ثم اخترقت أروقة المكتب، لتجد باسم ينشغل على شاشة اللابتوب بانتباه

شديد. وعندما لامست عيناه تواجدها، انبثقت ابتسامة دافئة على شفثيه، وانتقل من مكانه بسرعة

ليحتضنها بلمسة من الحنان، والترحيب، وهو يقول بصوت ينبع من القلب:

_ يا حبيبة قلب بابي... ايه المفاجأة الحلوة دي؟

ردت جميلة بابتسامة:

=عامل ايه يا حبيبي؟

رد باسم بابتسامة ودية، وهو يقول :

_ لو فيا هموم الكون... بتروح بمجرد إني أشوفك !

جلست جميلة، ووضعت ساقاً فوق الأخرى بأناقة متناسقة، بينما جلس والدها أمامها بترقب. كانت تلعب جميلة بأصابعها في شعرها وتقوم بلفه بلطف، وتنظر حولها بصمت عميق. فاستغرب باسم من صمتها، وقال بدهشة:

=مالك يا جميلة، ساكتة ليه؟

ردت جميلة بحزن:

_بابي انا محتاجك في خدمة، وأتمنى أنك متكسفينش !

رد باسم بفضول:

=أو ميري يا حبيبتني، من العين دي قبل العين دي .

ردت جميلة بود:

_ميرسي يا حبيبي .

فيما كانت تتردد في أفكارها، بدأت جميلة تفكر مترددة، هل تختار الكلام أم الصمت؟ ومع تردد

أفكارها، قررت أن تكسر الصمت، فقالت بحسم:

=بابي انا عايزاك تدي إعفاء لأحمد من الجيش، انا بجد مش هقدر أستحمل إنه يبعد عني سنة كاملة... انا ممكن يحصلني حاجة لو دخل وسابني !

رد باسم بتفكير:

_مش عارف يا جميلة... بس هو المفروض يتجنده، وعادي يا حبيبتني اشغلي نفسك الفترة دي في أي حاجة تانية لحد ما يخرج بالسلامة .

نزلت دموع جميلة بحرقة، واشتعلت نار الألم في عينيها أثناء بكائها الجارح، وبينما تنساب الدموع

بحرية، أطلقت كلماتها بصوت مليء بالرهبة:

=علشان خاطري يا بابي، انا مش هقدر أستحمل بجد، وبعدين احنا ورانا حاجات كتير عايزين نعملها عشان جوازنا... كده الجيش هيعطلنا زيادة .

رد باسم بعقلانية:

_يا حبيبتني انتوا كده كده مدة خطوبتكم هتكون سنة، يعني لحد ما يدخل ويخرج تكون السنة دي عدت، ساعتها تتجوزوا بقي.

بكت جميلة أكثر من الأول، وقالت بألم:

=لا يا بابي انا بجد نفسييتي هتدمر أوي، كفاية الاكتئاب اللي مريت بيه سنة لواحد، معقول هرجهله تاني؟

تنهّد باسم بعمق، ثم جلس مرة أخرى على كرسي مكتبه، وأمسك بسماعة الهاتف بين يديه، وبدأ في

طلب رقم محدد، وفي تلك اللحظة، انبثقت ابتسامة خفيفة على شفثيه وهو يقول:

_ألو...ازي حضرتك يا فريد باشا، أخبارك ايه؟

ثم ضحك، وتابع حديثه:
 _ طب الحمد لله... انا كويس جدًا، طمني عليك انت أهم حاجة؟... طب حلو أوي... انا كنت طالبك في خدمة... متشكر ربنا يخليك... كنت عايز طلب إعفاء لشاب اسمه...
 وهنا نسي باسم اسم أحمد بالكامل، فقالت جميلة بصوت خافت:
 =أحمد حنفي الديب.
 رد باسم مرة أخرى:
 _ اسمه أحمد حنفي الديب... لا لا من قرية في الفلاحين اسمها أبو حلاوة... أه... أه... أيوة بالظبط... لا ده لسه حديث التخرج .
 ثم نظر لجميلة، وواصل:
 _ كلية ايه يا جميلة؟
 ردت جميلة:
 =تجارة يا بابي .

واصل باسم حديثه قائلاً:
 _ في كلية تجارة... طيب خلاص تمام... هترد عليا امتي؟ خلاص اتفقنا... بجد متشكر ليك جدًا... سلام.
 انتهى باسم من مكالمته، ونظر إلى جميلة، وقال بلطف:
 _ اعتبري أنه خد إعفاء .
 صرخت جميلة بفرح متواجد في كل زاوية من وجودها، وقالت:
 =بنتكلم بجد يا بابي؟
 رد باسم بابتسامة:
 _ أيوه يا جميلة، بلغيه وقوليله ميجهزش أي حاجة للسفر .
 وبسرعة وفتت جميلة، وتوجهت نحو باسم، وأحاطته بعناق شديد، وهي تعبر عن سعادتها الفائقة، وقالت ببهجة:
 =انت أحلى داد في الدنيا كلها .
 أخذت جميلة حقيبتها، وخرجت من المكتب، بينما كان باسم يضحك على رد فعل ابنته العفوي. ثم عاود التركيز في عمله، وفي تلك اللحظة التي ركبت فيها جميلة سيارتها، قامت بالاتصال على أحمد، وقالت بصوت مليء بالبهجة:
 _ هاي يا روحي، عايزاك تطمن خالص، بابي جابلك إعفاء من التجنيد!
 نطق أحمد بتعجب:
 =ازاي ده؟
 ردت جميلة بسعادة:
 _ وانا معقول كنت أقدر على بعدك عني؟ فعلشان كده اتصرفت .
 تحدث أحمد بلا استيعاب:
 =انتي متأكدة كويس من اللي بتقوليه ده يا جميلة؟
 ردت جميلة بثقة:
 _ طبعًا .
 رد أحمد بسعادة:

=انا بجد مش عارف أودي جمالك عليا دي كلها فين! انا فعلاً اختارت صح، انتي أحسن وأجمل واحدة شافتها عيني، انا بجد بحبك أوي يا جميلة!
ردت جميلة برومانسية:
Me too=يا حياتي، امواه .

ضحك أحمد بقوة من شدة ابتهاجه، حيث لم يكن يدري ماذا يفعل أو يقول، فكان يغمره الفرح، والحماس. وكل يوم كان يشعر بتأكيد حب جميلة له، فكانت الأجواء دائماً مليئة بالمودة، والراحة. وبعد مرور شهور، استمرت الأمور على نفس الحال، إلا أن أحمد كان قد انتهى من تجهيز أثاث المنزل، وفي هذا اليوم الخاص قرروا نقل الأثاث إلى عش الزوجية في سيارات مخصصة. واكتفى أحمد بأخذ هايدي، والمعلم حنفي فقط، دون غيرهم. وعندما وصلوا إلى الكمبوند ووقفوا أمام العمارة السكنية، نزل أحمد، وهايدي من السيارة، ووقف أحمد بجوار الحمالين، حيث ألقى إليهم كلماته بترقب:
_ على مهلكم، خدوا بالكم بس لا حاجة تتخدش .

رد الحمال:

=متخافش كله على الله .

بدأ الحمالون بحمل الأريكة بجهد متواصل، حيث انطلقوا بها صعوداً عبر السلالم الواسعه، وخلفهم، كان أحمد يحمل التلفاز بمساعدة المعلم حنفي، بينما كانت هايدي تحمل بنفس الجهد كرتونة المفروشات. وعندما وصلوا للشقة، أفرغوا محتوياتهم على الأرض، ثم نزلوا من جديد لحمل المزيد من الأشياء. وبعد لحظات، وصل باسم بزوجه وابنتيه، جميلة، وسامية، وعندما رآهم الحمالون، تركوا ما كانوا يحملون ووقفوا احتراماً، وتقديرًا لهم، حيث أعرب أحدهم عن احترامه بكلمات ممتنة:
_ يا أهلاً بسعادتك، نورت الدنيا .

رد باسم بتواضع:

=أهلاً بيك .

دخل باسم، وزوجه، وابنتيه في المصعد، وانطلقوا باتجاه الشقة، ولحقت بهم جميلة وراءها بقية أفراد أسرته. وفي الوقت الذي وصلوا فيه إلى الشقة، اقترب أحمد من حماه بحنان، وأحاطه بذراعيه بكل مودة، وحب، وقال بصوتٍ مليء بالعاطفة:
_ ازيك يا عمي أخبارك ايه؟

رد باسم بتواضع:

=بخير الحمد لله .

اقترب المعلم حنفي هو الآخر، وصافح باسم، وقال:

_ ازيك يا أبو العروسة؟

رد باسم بسعادة:

=الحمد لله .

نظر المعلم حنفي بإحراج إلى أم قمر الدين وابنتيهما، ثم مدّ يده ليصافحهم بود، وقال بصوتٍ خجول:
_ نورتوا الدنيا كلها يا ست أم قمر الدين .

ردت أم قمر الدين بابتسامة:

=ميرسي يا معلم حنفي، منور بيك انت وأولادك .

عانقت هايدي أم قمر الدين، وبناتها بحرارة، وبعد أن قام الجميع بتبادل التحيات، والأحضان، دخل أحمد، وجميلة إلى المطبخ ليبيدي لها ما وعداها به، حيث قال بابتسامة:

_ ايه رأيك يا جميلة، زي ما اتفقنا صح !

ردت جميلة بابتسامة:

=أه لطيف أوي لون المطبخ، انت عملت الشغل ده فين؟

رد أحمد بسرور:

_ في واحد في البلد اللي جنبنا، نعمة هي اللي عرفنتي عليه، ولما جربت اكتشفت إن كلامها صح...المهم بس إنه يكون عاجبك وراضية عنه .

بالرغم من عدم اقتناع جميلة بلون المطبخ، إلا أنها قررت التضحية برغباتها الشخصية من أجل سعادة أحمد، وبثت الاطمئنان، والراحة في قلبه بتصرفاتها. تجلت في كلماتها وضوح الرؤية، والقرار الثابت، كما عبرت عن تفاؤلها بالمستقبل وقدرتها على تحويل الظروف إلى الأفضل، فقالت:

=طبعا عاجبني جدا، بجد الشغل لطيف أوي.

فرح أحمد بشدة لعلمه بإعجاب جميلة للأثاث، وشعر بتسهيل الأمور في طريقهم نحو الزواج بعدما كانت الأمور معقدة ومحيرة في السابق. وبعدما أكد باسم أن كل شيء يسير بسلاسة، غادر للذهاب إلى عمله، تاركًا أم قمر الدين، وجميلة، وسامية يجلسن على الأريكة. فكانت سامية تنظر نظرة سلبية إلى كل شيء حولها، دون أن تجد إعجابها بأي شيء، ولكنها اضطرت للصمت وعدم التعبير عن رأيها. وبينما كانت الخادومات يقمن بترتيب المنزل وتنظيم الأشياء بطريقة تلائم رغبات جميلة، والدتها، كانت هايدي تهتم بفرش المفروشات على السرير. وخلال اليوم، لم تقم أم قمر الدين وبناتها بأي نشاط سوى الجلوس على الأريكة أو إطلاق الأوامر للخادومات، مما أظهر الفارق الكبير بين أسلوب حياتهم، وحياة أم الديب، وفي المنزل الآخر، كانت تجلس أم الديب مع ابنتها نعمة يتطلعون بشدة إلى معرفة التطورات، فقالت أم الديب:

_ ما تتصلي يا بت بهايدي ولا أحمد، تشوفي عملوا ايه !

ردت نعمة:

=ماشي ياما .

أمسكت نعمة هاتفها بيديها المرتجتين، ووجهت اتصالها نحو هايدي، بينما كانت ليالي تقوم بتحضير الطعام في الأعلى، وحمود، الذي بدأ يتعلم المشي، كان يتدحرج ويمسك بأي شيء يقع تحت يديه، مسببًا الفوضى. وفي لحظة من الغفلة، أمسك بالمزهريّة وأسقطها على الأرض، فتحطمت بقوة، وصدر صدح عالٍ من الكسر. هرعت ليالي بسرعة من المطبخ، وأبعدت حمود عن الزجاج المتناثر قبل أن يجرح جسده الصغير، وصاحت به بصوت ينبع من القلب بقلق عميق:

_ حرام عليك، ده انا لسة شارياها الأسبوع اللي فات، ما هو انا الخدمة اللي أبوك جابهالك!

وحملته بين يديها بعناية، ووضعته بعيدًا بحرص شديد، ثم عادت للمطبخ وأخذت المكنسة، والجاروف بتأن، وبدأت بتنظيف الزجاج المتناثر على الأرض بحذر شديد، مدققة النظر للتأكد من عدم وجود أي شظية صغيرة تهدد بإيذاء أقدامهم، وعادت إلى المطبخ مُسرعة لبدء الطهي، وبعد لحظات قليلة، قام حمود بسكب كوب من الماء على الأرض، فعندها دخلت ليالي الغرفة ووجدت السجادة مبللة بالماء، فارتفع صراخها إلى درجة تبلغ أذن أم الديب في شقتها، فصعدت على وجه السرعة وطرقت الباب

بقوة، وعندما فتحت لها الباب، كانت أم الديب ملامح السخط تتسيد وجهها، فألقت أم الديب نظرة منزعة، وقالت:

=ابهي مالك يا بت صوتك عالي ليه؟

ردت ليالي بعصبية:

_ الواد مبهدلني ومطلع عيني، أبوه رامي ايديه، وانا اللي متدبسة في كل حاجة !

ردت أم الديب بسخرية:

=وانتي ياختي عاوزاه يربي الواد معاك، وكمان يشتغل، هو هيقسم نفسه نصين؟ أمال انتي لازمك ايه؟

أجابت ليالي باهتياج:

_ انزلي تحت يا حماتي، أصل السلم صعب على اللي في سنك !

وبعد ذلك، صكت الباب بقوة محاولةً إيقاف الزمن في وجه أم الديب، وفي تلك اللحظة، كانت تحاول أم الديب فهم وتصديق ما فعلته ليالي بها، فضربت يدها على صدرها بعصبية ملحوظة، وقالت بصوت منقطع:

=ابهي انتي بترزعي الباب في وشي يا بت؟ ده أني هخلي جلال يلبك حنة علكة تحلفي بيها طول عمرك، بس لما يرجع بس!

ثم هبطت إلى شقتها، وقلبا ينبض بشدة، فأمسكت هاتفها الجوال بين يديها، وبدأت الاتصال بجلال، وفي صوتها يتجلى غضب واضحًا، حيث قالت:

=شايف اللي مراتك عملته يا ولا؟ بقى أني أطلعها وتهب باب الشقة في وشي؟

رد جلال بلا مبالاة:

_ ليالي تعمل اللي على كيفها ياما، واقفلي عشان انا سابق .

أنهى المكالمة بوضوح قاطع، وترك أم الديب الامتعاض يطغى على ملامحها، فارتطمت الهاتف بقوة بالحائط بين يديها، تعبيرًا عن كدها العارم، وفي تلك اللحظة، دخلت نعمة مُسرعة إلى الغرفة، وصوتها يحمل نبرة الفزع، وقالت:

=ايه ياما في ايه؟

ردت أم الديب باستياء بالغ:

_ أني هوريهم هما الاتنين، ده ليلتهم معايا طين، بقى بت دباح الحمير تعمل مابدها وابني الواطي

ميرجيليش حقي منها؟ لا أم الديب مبتخليش حد يرجعها حقها، أم الديب بترجع حقها بايديها .

ليلة عقد قرآن أحمد، وجميلة، كانت لحظة الزفاف قد حلت. فكانت جميلة، وأخواتها البنات في غرفتها بالفندق، وبجانبهن خبيرة التجميل تهتم بإطلالتهن، وكانت الغرفة مزينة بالبالونات الملونة، والورود الفاتنة، وفي الخلفية موسيقى رومانسية هادئة يعزفها عازف ماهر، بينما كان أحمد يقضي وقته في غرفته مع مصفف الشعر، يختاران معًا أنسب قصة شعر له في هذا اليوم الخاص، وفي منزل أم الديب، وقفت تنظر إلى نفسها في المرآة وهي ترتدي عباءة ذات ألوان مميزة، بينما كانت هايدي تستعد في غرفتها بفستان بسيط جدًا برفقة نعمة، وبعد انتهائهم من التجهيز، خرج الجميع وركبوا السيارة في أجواء مليئة بأغاني المهرجانات المُبهجة، وبعد ثلاث ساعات من الرحلة ووصولهم إلى الفندق، نزلوا جميعًا ودخلوا البهو، فوجدوا أنفسهم وسط جمال المكان، وتوجهت أعينهم حولهم لاستكشاف جمال

الديكور، والاستمتاع بالموسيقى الهادئة التي تحيط بهم، وفي هذه اللحظة، شعرت ليالي بنار تشتعل داخلها، وخطت في نفسها:

=بقي دي يتعملها كتب كتاب في مكان فخم زي ده؟ وانا كتب كتابي يتعمل في بيت أبويا؟ ليه هي أحسن مني في ايه؟

في بُعد آخر من الفندق، كانت أم قمر الدين تجلس في الريسبشن بجانب ابنها قمر الدين، وتستمع بتذوق فجان من القهوة العربية الفاخرة، وبمجرد أن رأت أم الديب تظهر في الأفق، قامت بالوقوف وسارعت بالاقتراب منها، وبدون تردد، أحاطتها بذراعيها في عناق دافئ، وقالت بصوت مليء بالحنان:

_منورة الدنيا كلها يا أم الديب .

ردت أم الديب بسعادة:

=بنورك يا ست بسملة .

رفعت أم الديب يدها ببهجة وأطلقت الزغاريد إلى السماء، وجلست بجانب أم قمر الدين، بين بقية أفراد العائلة بعيدًا. وبعد مرور ربع ساعة، نزل أحمد مرتديًا بدلة الزفاف، حاملاً باقة من الورود، وكانت إطلالته بالفعل لافتة للنظر، مع شعره الناعم، والقصة الرائعة، ورائحة العطر الفواحة تعبق من حوله، والساعة الفاخرة التي تزين يده، ونعله الأسود اللامع. وبمجرد أن لاحت أعين أم الديب، ونعمة، وليالي برويته، انضموا الثلاثة لإطلاق الزغاريد، ملؤوا الفندق بصدى أصواتهم المبهجة. وكان أول من قام بعناق أحمد هو المعلم حنفي، الذي قال ببهجة:

_ألف مبروك يا ض، عريس عشرة على عشرة .

ضحك أحمد، وقال:

=الله يبارك فيك يا بابا .

اقترب جلال بخطوات واثقة من أحمد، وأحاطه بذراعيه بشدة، وفي عينيه انعكست فرحة لا توصف، وقال بصوت مليء بالعاطفة:

_ألف مبروك يا جدع، ربنا يملئ حياتنا أفراح كمان، وكمان .

رد أحمد بسعادة:

=الله يبارك فيك يا جلال، وعقبال ماتشوف ابنك عريس .

اقتربت هايدي بخجل وتأثر من أحمد، واحتضنته بقوة وهي تبكي، وبينما كانت دموعها تتساقط، قالت بصوت منقطع مليء بالمشاعر:

_خد بالك من نفسك، ومن جميلة، وياريت متبعدهش عننا، وتفضل فاكرا دايماً!

رد أحمد بسعادة:

=طب متعيطيش عشان خاطري، انا قلبي كده بيتقطع عليك!

ردت هايدي باستياء:

_مش قادرة أصدق أنك بنتجوز .

باعدت أم الديب هايدي عن أحمد بقوة، واحتضنته بشدة شديدة حتى كادت تختلع رأسه من شدة العناق، وفورًا ابتعد أحمد بسرعة، وقال بصوت متوتر:

=خلاص... قصة الشعر هتبوظ!

وقفت أم الديب بعيدًا، وبدأت تبكي بصوت غليظ، فاندلعت ضحكات ليالي بصوت مرتفع، حيث قام جلال بدغزها في خصرها بلطف، قائلاً بابتسامة:

_ خلاص يابت ألا تخلي ليلتنا سواد !

ردت ليالي بضحك:

=مش قادرة بصراحة .

بعد مرور ربع ساعة، استقرت أنظار الحضور على أحمد وهو يقف في منتصف الفندق، وبين يديه باقة الورد التي تعكس ألوان الحب، والفرح، في انتظار نزول جميلة التي كانت تمثل رمزًا للجمال، والأناقة في فستانها الأبيض المتألق. وأخيرًا وبعد طول انتظار، جاءت اللحظة المنتظرة، حيث هبطت جميلة على الدرج، مرتدية فستانها الأبيض الجميل، وتألقت ببريق يضاهي بريق النجوم في سماء الليل. وفي يدها كان يتألق والدها باسم، الذي كان يرتدي أفخم البدل السوداء، وسط أنغام فرقة الطبل، والمزمار التي أضفت جواً من الفرح والحماس للحظة الساحرة. وكانوا يتقدمون ببطء نحو أحمد، وكلما اقتربوا أكثر، زادت حدة الترقب. وعندما وصل باسم قبل أن يسلمها بيده لعريسها، خرجت من داخل قلبه كلمات معبرة قالها بصوت يحمل مشاعر العاطفة:

_ جميلة في عينك يا أحمد، أوعى تزعلها منك في يوم، وشيلها على راسك، انت معاك أغلى ما أمك،

عشان خاطري خد بالك منها كويس !

رد أحمد بسعادة وفيرة:

=في عينيا والله يا عمي، أوعدك إن انا عمري ما هزعلها، وهفضل شايلها في عيني لحد آخر يوم في عمري!

توجه باسم بعناق دافئ نحو أحمد، معبرًا عن سعادته بلحظة الزفاف، ثم سلمه العروس جميلة في يده بتفانٍ. وقف أحمد، وجميلة بمنتصف الفندق، محاطين بأفراد عائلتهم، وكانوا يلتقطون صورًا تذكارية لهذه اللحظة المميزة. وفي جانبهما، وقفت هايدي بجانب أحمد، وجميلة، وقامت نعمة بتصويرهم سويًا، وفي الجهة المقابلة، وقفت أم الديب بجانبهم، وقبلت جميلة في جبينها بدفء، لكن ردة فعل ليالي كانت مختلفة، حيث انعكست غضبًا واضحًا في تعبيرها الوجهي، وصوتها الساخط، فقالت بانز عاج:

_ طب والله عال، ده عمرها ما عملتها معايا، ولا هتعملها... صحيح مينفعش معاها غير اللي بيديها بالجزمة.

لاحظ جلال تغير ملامح زوجته، وعلى الفور أدرك أن هناك شيئًا غير عادي يحدث، فبادر بالتحدث قائلاً:

=اعدلي وشك يا بت... الكامورا بتصور!

ردت ليالي بوجه عابس:

_ طيب.

بينما الأجواء مليئة بالبهجة، قرر أحمد، وجميلة أن يتراقصا سويًا، يحتضنان بعضهما بحنان ويتأرجحان وسط أنغام الموسيقى. وبعد أن انتهوا من الرقص، قرروا الانتقال إلى الحديقة، حيث كان المصور الفوتوغرافي ينتظرهم لالتقاط صور الزفاف الخالدة. وبعد اكتمال جلسة التصوير، جلسوا جميعًا على الطاولة أمام المأذون، وحيالهم عائلتهم تجلس على الكراسي بجانب بعضهم، وحينما أمسك المأذون بالميكروفون، بدأ في الحديث قائلاً:

=إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده، لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

رد الجميع:

_ عليّة أفضل الصلاة والسلام.

بعدما انتهى المأذون من خطبة عقد القرآن، بدأ في صياغة العقد قائلاً:

=قول ورايا يا عريس...إني توكلت على الله تعالى.

ردد أحمد ما يقوله المأذون الشرعي، فواصل المأذون حديثه:

=وأطلب منك زواج ابنتك الأنسة جميلة باسم غالي الهواري لنفسي على كتاب الله تعالى، وسنة رسوله، صل الله عليه وسلم، وعلى الصداق المسمى بيننا عاجله وأجله وعلى شهادة الشهود، والله خير الشاهدين .

انتهى أحمد من ترديد كل ما يقوله المأذون، فحان دور والد العروس لإتمام العقد. وفي هذه اللحظة المهمة، كانت ليالي تحمل طفلها الرضيع الذي كان يبكي بقوة بعيد، مما جعلها تشعر بالضغط. وبدون تردد، قررت اتخاذ قرار سريع بدخول المرحاض لتغيير حفاظته، فاستخرجت الحفاضات من حقيبتها بينما تسكب الدموع من عينيه، انغمست في مهمتها اليومية كأم. وفي هذه الأثناء، دخلت نرمين فوجدت ليالي تقوم بتغيير حفاض الطفل، فظهرت علامات الاشمزاز على وجهها المتجهم، وعلى الفور دخلت المرحاض وأصدت الباب خلفها بقسوة. وعلى وجه ليالي انفجرت عاصفة من الاستياء، وقالت بصوت مليء بالانزعاج:

_ ايه هما مالهم الناس دي طالعين فيها أوي كده ليه؟

انتهت ليالي من تغيير حفاضة طفلها، وخرجت به من المرحاض مرة أخرى، لتجد والد جميلة قد انتهى من ترديد ما يقوله المأذون. وبعد ذلك، استخرج المأذون من حقيبته قسيمة الزواج، وعلبة الكربون الأزرق، وأشار للعروس أن تبصم في المكان المُراد على الوثيقة. وعندما انتهت جميلة من التوقيع، قام أحمد بتكرار نفس الإجراءات، وبعد أن انتهوا جميعًا، أمسك المأذون الميكروفون مرة أخرى، وقال بابتسامة ودية:

=بالرفاء والبنين إن شاء الله.

تعالت زغاريد النساء بصوت عالٍ ملؤه الفرح، وفي هذه الأجواء المُبهجة، عانق أحمد جميلة بكل تنيم، وكان الانتصار واضحًا على وجوههم، وكأنهم لم يصدقوا أن الحلم الذي كانوا يتمنونونه قد تحقق أخيرًا في أرض الواقع. ولم تكتف الفرحة بالعروسين فقط، بل امتدت لتشمل العائلة بأكملها، حيث قاموا بعناق كل من العريس، والعروس بكل حب. ثم انطلقوا بركوب السيارة المزينة بالورود، وتليهم بقية سيارات العائلة، في رحلة مليئة بالبهجة، والسرور، حتى وصلوا إلى مطار القاهرة الدولي، حيث كان الجو مليئًا بالزغاريد، والأغاني، والتنهاني. في هذه اللحظة الخاصة، أمسكت أم قمر الدين بابنتها بين ذراعيها، وبعبارة مفعمة بالحنان، قالت:

_ خدي بالك من نفسك يا روعي، وطمينيني عليكي لما توصلي !

ردت جميلة بفرحة:

=حاضر يا مامي متقلقيش !

تحدث قمر الدين بابتسامة غير راضية، وفي عينيه انعكست بوضوح مشاعر القلق:

_مبروك يا جميلة.

ردت جميلة بفرحة:

=الله يبارك فيك.

تشبث أحمد بيد جميلة، وسارا معًا عبر المطار وهما يحملان حقائبهما، وكان مشهد العريس، والعروس في المطار ساحرًا ومثيرًا للدهشة. نظر أحمد حوله، ولاحظ تصفيق الناس، وابتساماتهم التي كانت تملأ الجو. بثَّ السعادة، والفخر قائلاً ببهجة:

_شايقة الناس بتبصلنا ازاي؟

ردت جميلة بسعادة:

=انا مبسوطة أوي إن بابي ومامي وافقوا!

أمسك أحمد بيد جميلة بلطف، وانحنى ليقبل يدها بمحبة، معبرًا عن حبه، وتقديره لها، وقال بصوت مليء بالعاطفة:

_انا أكثر !

ثم ركبوا الطائرة، وخلال الرحلة كانت أم الديب تبكي بحزن مَنين، مما أثار انزعاج الجميع حولها. لكن بدلاً من التوقف عن البكاء، زادت دموعها وهي تقول بحسرة:

=يا عيني عليك يابني، سافرت انت، ومراتك وسيبتنا .

المعلم حنفي بصوت حاد:

_جرا ايه يا ولية؟ ده بدل ما تفرحي إن ابنك اتجوز وسافر؟ ده ياريت انا أعرف أعملها.

نظرت أم الديب له نظرة قوية، وقالت:

=هي ايه دي يا راجل؟

المعلم حنفي بترقب:

_هيكون ايه يعني يا ولية؟ أكيد السفر.

أم الديب بذكاء:

=أه بحسب.

بينما نزل الجميع من السيارة لاحظوا أن أم الديب لا تزال تبكي بحرقة، أدرك جلال أنها بحاجة إلى توجيه، فتحدث بصوت حاد قائلاً:

_طب يلا ياما اطلعي، مش عايزين واقفة كتير في الشارع!

أم الديب باستياء:

=عايزاك يا ولا تروح تجيب ليمون يهدي أعصابي.

جلال بضيق:

_يا دي النيلة ياما...أهو ده عيبه !

أم الديب بصوت حاد:

=هتروح ولا لا؟

جلال، وهو يشعر بالهزيمة:

_هروح .

ثم أردف لزوجته:

_بت يا ليالي خدي حمود واطلعي، ومتفتحيش غير لما آجي !

ردت ليالي:

=ماشى يا جلال .

دخلت العائلة المنزل، وتوجه كل فرد إلى شقته الخاصة، فيما اتجه جلال إلى متجر المعلم حنفي لفتحه، لكنه وجد كائنًا طويل القامة، وأصابه ممتدة، وبينما كان يتمايل الكائن نحوه، بدأ يخرج شعاعًا أحمر من عينيه، مما دفع جلال إلى الصراخ، والفرار بسرعة، وعلى الرغم من رجولته، إلا أنه لم يتمالك نفسه وانهار، ودخل شقته مُسرعًا، وصك الباب وهو يرتجف بقوة. لاحظت ليالي تغير السلوك في زوجها، فألقت نظرة قلقة، وقالت بتفكير عميق:

_مالك يا جلال فيك ايه؟

دخل جلال الغرفة، وجلس على سريره بتوتر جسيم، ولا زالت حركاته تتأرجح بين الخوف، والقلق، ثم قال بصوت مرتجف:

=حاجة غريبة أوي يا بت يا ليالي شوفتها في الدكان بتاع أبويا، طويلة، وعينها حمراء، وشكلها مرعب أوي .

رن هاتف جلال بعد أن لاحظته المعلم حنفي من البلكونة وهو يجري، فسارعت ليالي للرد على الهاتف وقالت بصوت متردد:

_ألو يا حمايا .

المعلم حنفي بتعجب:

=جلال ماله يا بتي؟

ردت ليالي:

_طالع بيتر عش، بيقول إنه شاف حاجة في دكانك .

سمع المعلم حنفي صراخ، فقال:

=ايه ده؟ استنتي!

ثم خرج ليطلع من البلكونة، فوجد الناس يركضون بسرعة وهم يصرخون، وكأنهم يتجنبون شيئًا ما غير معروف، فتأمل الوضع بدهشة. بعد ذلك، نزل إلى مدخل المنزل وقام بإغلاق الباب بحرص وأمنه بشكل جيد، وبعد ذلك صعد إلى شقته وأغلق بابها بعناية، ثم عاد إلى غرفته وهو يفكر فيما حدث. بينما كانت ليالي تتساءل بدهشة عن سلوك زوجها البلطجي الذي يثير رعب الجيران بدءًا من بداية أذان العصر، فقالت بتساؤل:

_أول مرة أشوفك جبان كده .

جلال برهبة:

=يا بت لو شوفتها هيغم عليكي !

ضحكت ليالي، وقالت:

_متخافش ياخويا انا هقوم أعملك لبن سخن، وأجيبلك بقسمات تنقنق فيه على السرير، واحنا قدام التلفزيون .

ثم دخلت غرفة حمود، وألقت عليه نظرة سريعة وهو سابح في نوم عميق، كمن يتلذذ بوجبة من الأرز باللبن مع الملائكة. ثم دخلت المطبخ وقامت بتسخين الحليب، في حين كانت أم الديب تفرك كثيرًا، معاناتها لا تسمح لها بالنوم، فسردت بتضجر:

=ماتيجي ياخويا نروح نجيب بيض .

ألقي المعلم حنفي الوسادة على أم الديب بانفعال، وقال بصياح:
_بيض ايه يا بت الجزمة؟ انتي مشوفتيش اللي حصل لإبنك؟

ردت أم الديب بصوت حاد:

=شوفت ياخويا بس ايه المانع؟ أني جعانة ومش مستحيلة!

المعلم حنفي بخشية:

_أني مش رايح في حنة يا ولية، روجي انتي!

أم الديب باهتياج:

=بقي كده؟

المعلم حنفي بخور:

_أه .

أم الديب بإغتيال:

=ماشى ياخويا .

نزلت أم الديب، وكأنها شخصية محاطة بغموض لا يُكشف، والمعلم حنفي يراقبها في صمت كالظل الذي يلتف حول الجدران. وبمجرد أن خرجت من المنزل بأكمله، غلق الباب خلفها بتأن، ولكنه لم يكتفِ بهذا الإجراء الوقائي، بل أوصد باب الشقة بحرص مضاعف، كأنه يحاول حصن مملكته من كل التهديدات المحتملة. ثم عاد إلى غرفته، حاملاً عبء الحذر، والانتباه كمثل على كتفيه. وفي هذه الأثناء، كانت أم الديب تمشي في شوارع البلدة ليلاً، وكأنها تتسلل في ظلمة الليل بحثاً عن شيء ما، وفجأة، ظهر لها الكائن الغريب كالشبح الذي ينبثق فجأة من سوء الظنون، وسحبها بعيداً كالتيار الذي يجرف السفن إلى غياهب البحار المجهولة. وفي اليوم التالي، في الساعة الثالثة بتوقيت إيطاليا، استيقظ أحمد من نومه، وشعر بحضور الجمال الساحر بجانبه، كأنما الملائكة قد نزلت من السماء لتمنحه روعة الاستيقاظ. وحرك يده برقة على وجه جميلة، فاستبشرت الحياة وابتسمت، وكأنها وجدت السلام والراحة في تلك اللمسة العاطفية الدافئة، نطقت جميلة برقة:

_صباح الخير .

أحمد بسعادة:

=صباح النور... كل ده نوم؟

أعدلت جميلة وضعية نومها، ثم جلست على الفراش، وبينما تستعيد توازنها الداخلي، قالت بصوت هادئ:

_تعبت يا حبيبي، امبارح كان يوم طويل .

رد أحمد بسعادة، وهو يُقبل يد جميلة بكل حب:

=بس كان أحلى يوم في حياتي !

شعرت جميلة بالإحراج في هذه اللحظة، ولم تستطع التعبير عن مشاعرهما بالكلمات، فاكتفت بالصمت، واستمر أحمد في حديثه قائلاً:

_ يلا نقوم نفطر؟

ردت جميلة:

=أوكي هاخذ شاور وننزل .

رد أحمد بسعادة:

_وانا مستنيكي .

دخلت جميلة المرحاض لتستحم، بينما خرج أحمد إلى البلكونة ونظر للبحر المتلألئ أمامه. لامست رياح الهواء جسده، مما جعله يستمتع باللحظة وهو يستنشق عبق البحر. وفي المنزل، نزلت ليالي لشقة أم الديب وطرقت الباب، ففتح لها المعلم حنفي، وقال بخوف:

=ايه يا بتي حصل حاجة لجلال؟

ليالي بحزن:

_ جلال من امبارح يا عمي وهو عمال يترعش من بعد ما شاف المخلوق ده في دكانك .

خرج المعلم حنفي من شقته، وقال:

=لا استنتي انا طالع معاكي .

صعد المعلم حنفي معها للأعلى، ودخلوا الغرفة، فتأكد المعلم حنفي من صحة حديث ليالي عندما رأى جلال يرتجف من ليلة أمس. جلس بجانبه، وبدأ يتحدث بلطف، قائلاً:

=مالك يا ض؟ مش انت اللي تخاف كده!

جلال بارتعاش:

_بابا شكله مرعب أوي!

رد المعلم حنفي:

=انا مشوقتهاش بس الناس كانت بتجري ليلتها .

نطقت ليالي:

_ طول الليل يترعش لحد ما خلصت كل الالحفة عليه يا عمي .

أجاب المعلم حنفي:

=اعمله كوباية نعناع سخن وادعيلي .

ردت ليالي:

_ طب أعملك حاجة تشربها يا عمي؟

نطق المعلم حنفي:

=كوباية شاي بالنعناع الله يكرمك .

ردت ليالي بابتسامة:

_ من عينيا .

أحضرت ليالي المشروبات وعادت بها، وألقت نظرة منمقة باتجاه المعلم حنفي، وهمست بلطف:

=خذ يا عمي .

رد المعلم حنفي بابتسامة:

_ تسلميلي، ده البت ليالي مفيش أجدع منها .

ونظر حوله يبحث عن حفيده، قائلاً:

_أمال الواد حمود فين يا بت؟

أجابت ليالي:

=حمود نايم في الأوضة الثانية .

نطق جلال بتعب:

_أمال أمي فين يابا؟

توتر المعلم حنفي بمجرد أن سأله جلال، وأصابه الصمت، فأعاد جلال حديثه مجددًا، مما زاد من حرج

المعلم حنفي وارتبأكه:

=ماتتكلم يابا؟

رد المعلم حنفي:

_أمك صممت تخرج بالليل تجيب حاجات، وانا منعنتها وهي أبدًا راسها وألف سيف تنزل، فنزلتها

وقفلت الباب وراها، ومرجعتش من ساعتها .

جلال بفرع:

=ألا يكون كلها!

المعلم حنفي بلا مبالاة:

_ياكلها ولا انشالله يبلعها، يا ض انا نفسي أتجوز الجوازة الثانية!

رد جلال، وهو يحتسي النعناع:

=مانت متجوزها يابا !

رد المعلم حنفي، وهو يشرب الشاي:

_ياض ده عرفي...إنما انا عايز جواز في الحلال .

ليالي براهية جسيمة لأم الديب:

=وانا أول الحاضرين يا عمي...أما بقولك الست بسملة دي تقدر تشوفلنا حل، دي ست واعييه أوي !

رد المعلم حنفي:

_عندك حق بس هتعملنا ايه؟

أجابت ليالي:

=تدينا فلوس أو تقعدنا في القيلا بتاعتها .

رد المعلم حنفي:

_وهي هترضى؟

نفوخت ليالي:

=ومترضاش ليه؟ ماهي على قلبها فلوس قد كدة !

نادى عم إسماعيل المعلم حنفي من الشارع، قائلاً بصوت مرتفع:

_يا معلم حنفي، يا جلال، يا معلم حنفي .

خرج المعلم حنفي من البلكونة، وقال باهتمام:

=أيوه عايز ايه يا عم إسماعيل؟

رد عم إسماعيل:

_للأسف الست أم الديب...
تحدث المعلم حنفي بصوت خافت مع نفسه، قائلاً في داخله ببهجة:
=ياه مانت أخيراً!
رد عم إسماعيل بفرحة:
_الست أم الديب لقوها .
يتبع.....

الفصل السادس عشر

انتفض غضب المعلم حنفي حين علم أن أم الديب ما زالت تتنفس، واندلعت كلماته بغضب يُشبهه بركاناً مُتوهجاً:

_ ياريتها ماتت !

رد عم إسماعيل بكلماتٍ ثقيلة الوزن، تملأ الأذن بثقلها، كأنها تصدح بقوة الجبال:

=بتقول حاجة؟

رد المعلم حنفي بكمَد:

_ لا ياخويا .

رد عم إسماعيل:

=تعالوا خدوها .

المعلم حنفي بعصبية:

_ ياخويا ياريتك ما لقيتها... ياريتك!

خرج جلال بخطواتٍ هادئةٍ من غرفة النوم إلى البلكونة، وفي غمرة الدهشة من صياح المعلم حنفي،

سأله الوالد بصوتٍ مليءٍ بالاهتمام :

=عامل ايه دلوقتي ياوض؟

رد جلال:

_ بقيت كويس يا بابا .

نطق المعلم حنفي:

=يا ألف بركة... عندي خبر وحش ياوض .

رد جلال بفضول:

_ ايه هو؟

ظهرت ابتسامة على وجه المعلم حنفي، وهو ينظر بترقب إلى رد فعل جلال، كما لو كان ينتظر تفسيراً،

أو ردًا مفاجئًا:

=لقوا أمك !

جلال بصدمة:

_ يا نهار مهيب لقوها فين؟

المعلم حنفي بسخط:

=آني عارف لقوها فين، أهو لقوها .

فيما كان أحمد، وجميلة يجلسان على طاولة في شاطئ البحر، ويتناولان وجبة الإفطار، استنفس أحمد

بابتسامةٍ ودودةٍ:

_ ايه رأيك في الأكل؟

ردت جميلة بسعادة، وهي تتناول الطعام:

=واو تحفة أوي !

أحمد بابتسامة:

_كنت متأكد إنه هيعجبك...عايزين نخلص أكل عشان ننزل البحر .

ردت جميلة بصوتٍ هادي، وهي تحدق بالبحر بتأملٍ:

=بحب ريحة البحر أوي، ومنظره !

أحمد بابتسامة:

_ومين ميحبش البحر؟

فجأة، رنّ هاتف أحمد، وعندما نظر إلى الشاشة، وجد اسم والده يظهر، فقال بترقب واضح:

_ايه ده بابا؟

ثم قام بالرد، وهو يقول بصوتٍ مبتسمٍ:

_ألو...أيوه يا بابا عامل ايه؟

المعلم حنفي بسعادة:

=صباحية مباركة يا سيد العرسان .

أحمد بابتسامة:

_حبيبي يا بابا .

رد المعلم حنفي:

=ازيك وازي العروسة ياض؟

رد أحمد بابتسامة:

_كلنا بخير .

ضحك المعلم حنفي، وقال بدهاء:

=ايه كسفتنا ولا ايه؟

شعر أحمد بالإحراج تجاه والده، ولكنه لم يتمالك نفسه، وقال وهو يضحك:

_ايه اللي بتقوله ده يا بابا؟

ضحك المعلم حنفي، وقال:

=ايه انت ياض يابن الكلب؟

أحمد بإحراج:

_ايه يا بابا بس...مالك كده في ايه؟

رد المعلم حنفي بروح من الفكاهة:

=يبقى كسفتنا وانا عيالي جامدين أوي طالعين لأبوهم، أوعى ياض تحط راسنا في الطين، عايزك أسد!

ضحك أحمد بابتسامة ترتسم على شفثيه، وحاول تغيير الموضوع بطريقة متميزة، مستعيناً بجملةٍ مفعمةٍ

بالعفوية:

_لا متقلتش وانتوا عاملين ايه...ماما، وجلال، وكلكم؟

رد المعلم حنفي بسرور عارم:

=أمك مش لاقينها ياض .

أحمد بصدمة:

_ازاي؟

رد المعلم حنفي:

=صممت تخرج امبارح .

لكن أحمد وجد نفسه غارقاً في بحر كلمات المعلم حنفي دون فهم، فأدرك أنه لا يستطيع استيعاب ما يقوله، فقال بصوت مليء بالقلق:

_انا مش فاهم حاجة !

أمام شاطئ البحر، وقفت جميلة مهياةً لالتقاط صور السيلفي بأناقة، فيما كانت أمواج البحر ترقص خلفها كأنها ترحب بجمالها، وبعد أن شرح المعلم حنفي تفاصيل الأحداث التي جرت ليلة أمس، تسلت كلمات أحمد بحزن محيط:

=ازاي يا بابا كل ده يحصل ومتقوليش؟

رد المعلم حنفي:

_انت عريس وفي شهر العسل، مش عايزين ننكد عليك من أولها!

نطق أحمد بامتعاض:

=مينفعش كان لازم تعرفوني !

رد المعلم حنفي بلا مبالاة:

_مش مهم ياض اللي حصل حصل، المهم عايزك بعد ما تخلص تيجي انت ومراتك تقعدوا معنا يومين فاهم ولا لا؟

لكن أحمد شعر بالقلق من تجاهل أو رفض جميلة، فهي لم تكن متأقلمة على هذا النمط من الحياة، لذا تحدث بتردد:

=أيوه بس....

رد المعلم حنفي بتساؤل:

_بس ايه؟

أحمد بتردد:

=جميلة مش هترضى .

المعلم حنفي بصدمة:

_ومتراضاش ليه هو احنا مش قد المقام؟

رد أحمد بخوف:

=صدقني كده أحسن لينا، وليكم .

نطق المعلم حنفي بإصرار:

_ياض اسمع كلامي وهات مراتك وتعالوا!

رد أحمد بقلق:

=حاضر هحاول، المهم أبقى طمني على ماما لو لقيتوها .

رد المعلم حنفي بود:

_من عينيا...مش عاوز أعطلك يا عريس، خد بالك من نفسك انت والعروسة !

رد أحمد بابتسامة:

=حاضر متقلقش .

رد المعلم حنفي بابتسامة:

_ مع السلامة .

بعد انقضاء المكالمة الهاتفية بينهما، جلست جميلة على الرمال الناعمة، وهي يتسلل إليها شعور غريب من الفضول يعترئها، فلم تتمالك نفسها وقالت بصوتٍ يتناغم مع همس البحر، وصفير الرياح:

=في ايه؟

أحمد بتردد:

_ لا يا حبيبتي مفيش حاجة، هو بابا بس كان عايزنا نقعد معاهم يومين .

رفضت جميلة الذهاب لمنزل أم الديب، فهي عالمةٌ بنظام المعيشة القائم هناك، ويتعارض ذلك مع جوهريتها، وطبيعتها، إذ تدرك أن الحياة في تلك البيئة لا تتلاءم مع تطلعاتها، ومبادئها، لذا بادرت بالرفض بصوتٍ ثابت، ووثق:

=مستحيل أقعد هناك، وهنقعد فين أصلاً؟

حاول أحمد بكل إقناع، مستخدمًا كلماتٍ معبرة، وأفكارٍ مقنعة، ليبث روح الإيجابية، والتفاؤل في قلب جميلة، محاولًا تجاوز عوائق المخاوف التي تعترض طريقهما:

_ عادي يا حبيبتي هما يومين وهيخلصوا!

في تلك اللحظة، وعائلة أم الديب يتوجهون في رحلة البحث عن مكانها، ترنحت الأشجار حولهم وكأنها تحييهم على الدرب، وبعد أن توقف جلال ليركن سيارته بحرفية نزلوا منها بخطواتٍ ثابتة، ثم دخلوا مبنىً يعتليه الزمن، حيث ترحب بهم أبوابه العتيقة بدفءٍ، وسكينة، وفي لقاءهم مع صاحب المنزل، ازدادت الأجواء ودًا، وخيمت روح الضيافة بينهم، فنطق صاحب المنزل بكلماتٍ مليئة بالترحيب:

=اتفضلوا يا حاج .

وبدخول الجميع للغرفة، لاحظوا أن رأس أم الديب مربوطة بقماشة بيضاء، فكانت تضع يدها على رأسها وهي تتمتم بكلمات غير واضحة، فلم يتمالك المعلم حنفي أعصابه، وقال بضيق:

_ يا أهلاً ياختي، لسه مكتوبلك عمر جديد .

تحدث جلال:

=كده ياما تقلقنا عليكي؟

نعمة باستياء:

_ ارجعي بيتك ياما !

ردت هايدي:

=يارب تكوني بخير !

من الواضح أن أم الديب قد أصيبت بمرض الزهايمر، فقد كانت عيناها تتحول إلى عالمٍ مجهول، حيث لا تتذكر من هم أو حتى أسماء أحبائها، وفي لحظة من الضياع، انطلق صوتها بصرخةٍ حادة كالصاعقة:

_ انتوا مين؟

المعلم حنفي بجلبية:

=هو ايه اللي مين يا ولية؟ انتي نسييتينا ولا ايه؟

ردت أم الديب:

_ معرفكمش .

جلال بعصبية:

=ما جرا ايه ياما انتي جايه تنسينا دلوقتي؟ ماتفتكري!

ردت أم الديب بتوهان:

_مش فاكراكم .

تحدث مالك المنزل بتأثر:

=أمكم من ساعة ما جييناها وهي كده، ورافضه تروح أي مستشفى تتعالج !

تحدث المعلم حنفي:

_طب يلا ياض يا جلال شيل أمك معايا ناخدها على البيت .

قام جلال بمساعدة المعلم حنفي في حمل أم الديب بحذر شديد، ورعاية فائقة، وعادوا بها إلى المنزل،

حيث كانت ليالي تتحمل عبء ابنها الصغير في صالة أم الديب، وهو يبكي بشدة، فلم يستطع المعلم حنفي التحدث مع جلال بسبب بكائه العنيف، والمؤثر، فوقفت ليالي مقتربة منهم، وبأنفاس هادئة وأداء مؤثر، قالت:

=يابنى اسكت بقي... اسكت... طب بس، بس !

تحدث المعلم حنفي بتوجيه:

_أدخلي يا بتي رضيعيه جوا، عايز جلال في كلمتين وخدي نعمة معاكي !

ردت ليالي:

=ماشني يا عمي .

في تلك اللحظة، دخلت ليالي، ونعمة إلى الغرفة، وفي وسط الصخب الثقيل تحدث جلال بصوت

متأثر:

_خير بابا عايز ايه؟

سرت الفكرة في ذهن المعلم حنفي بأن يحاول استرجاع ذاكرة أم الديب مرة أخرى، فبينما جلال يراقبه

بانتهابه، نطق بثقة:

=آني عندي خطة تخلي أمك ترجع تفتكر !

رد جلال بفضول:

_ايه هي؟

أجاب المعلم حنفي بثقة:

=هتشوف !

دخل المعلم حنفي المطبخ بخطوات ثابتة، وأحضر خشبة متينة، ثم دخل غرفة أم الديب، وبلا تردد قام

بضربها بقوة على رأسها، فاندلعت صرخة مؤلمة من بين شفثيها، وهي تكاد تنفجر بالألم، وصدحت

كلماتها بصوت يتأجج بالشجب:

_أه... أه... دماغى!

تساقطت الدماء بغزارة من رأسها المنكوب، فاندلع جلال بغضبٍ جسيم في وجه والده، متوجهاً إليه

بصوتٍ مليءٍ بالاستياء، قائلاً:

=ايه اللي انت عملته ده بابا؟

رد المعلم حنفي بثقة:

_استنى عليا خمس دقائق !

بالفعل، بعد مرور خمس دقائق من ذلك الحادث المروع، وقفت أم الديب على أرجلها بثبات، وبينما تقترب من المعلم حنفي، يفوح الشرُّ من عينيها كاللهيب المشتعل في عتمة الليل، وبوجه يتأجج من الانفعال، نطقت بصوت هائج يهز الأرض تحت أقدامها، تلك الكلمات الحادة التي تتسرب من بين شفثيها كسحابة سوداء مليئة بالبركان المندفع، وهي تقول بكمد متوهج:

=بتخوني يا راجل انت؟

وتشبثت في عنقه، فقال المعلم حنفي بفرحه:

_ شوفت ياض؟...أهي جابت نتيجة !

جلال بذهول:

=انتي فاكرانا ياما؟

أم الديب بصياح:

_ ابهي كنتوا راميني في الشارع يا ولاد الكلب؟ راميين أمكم؟ بقى دي آخرتها؟

سرعان ما دخلت أم الديب المطبخ، وأحضرت السكين بيديها المرتجفتين، وخرجت لهم وهي تحاول قتلهم بسخط لا يُوصف، وكأن الشرارة قد أشعلت قلبها، فأخذت تلاحقهم بجنون تام، حيث فقدت السيطرة على نفسها وتسلطت عليها غيوم الانتقام، ولكن بينما تركض وراءهم بشكل هستيري، فإذا بجلال، والمعلم حنفي يختفيان فجأةً من أمامها، ويبدو كأنهما ذابا في الهواء، وكان يركض جلال بسرعة مذهلة، فربما كان ذلك بسبب ساقه الطويلة التي منحته القدرة على التحرك بسرعة، حتى وصلوا إلى توكتوك بالقرب منهم، وهربوا به بعيداً عن موقع الحادث المرعب، ولكن لم تنصرف أم الديب عنهم، بل ما زالت تلاحقهم في الشارع، معترضة طريقهم بكل جنون، وهي تصرخ بصوت مرتفع، قائلة:

_ أني مش هسيبكم...هجيبي أجلكم !

في الوقت نفسه، بدأ جلال بضجيج مرتفعٍ من داخل التوكتوك، صوت ينطلق بقوةٍ مذهلة، يعبر عن الهلع الذي يخيم أرواحهم:

=يالهوري يابا دي عايزة تقتلنا !

المعلم حنفي بصراخ:

_ يا عم اجري بسرعة عن كده !

زود السائق سرعته، فصاح بصوتٍ مليء بالاندفاع:

=أهو .

بعد أن أرهقت أم الديب من الجري عقبهم، توقفت لتستريح للحظات، حيث اتجهت بعدها نحو محل المعلم حنفي بخطى ثابتة، وعزم متجدد، وهناك أمسكت قالباً من الطوب الأحمر، وبقوة كسرت القفل الموجود على الباب، ثم احتلت المشروع وأصبح ملكاً لها، وبدأت في تصنيع المشروبات العشوائية ببراعة وابتكار، فأصبحت ملكة الاختراعات المميّنة في القرية، حيث كانت تقوم ببيع مجموعة متنوعة من العصائر مثل عصير الفراولة، والجزر، والتفاح، والموز، والبرتقال، والأناناس، بالإضافة إلى مشروبات أخرى من اختراعها مثل عصير الطماطم بالخيار، وعصير الخيار بالنعناع، وعصير الليمون بالجرجير، وعصير البرسيم، وغيرها، وكانت هذه المشروبات تحظى شعبية كبيرة بين سكان قرية أبو

حلاوة، مما جعل ربحها يتضاعف بشكل ملحوظ مقارنةً بربح المعلم حنفي. وفي تلك الفترة، كان المعلم حنفي يعيش في حالة من الهلع من عودة أم الديب إلى المنزل، وبعد مرور شهر كامل، عاد أحمد، وجميلة من شهر العسل، فبدأ أحمد يوميًا بإقناع جميلة بزيارة منزل عائلته، حتى أخيرًا وافقت بأعجوبة، فبادرت بتجهيز بعض الملابس لهم في الحقيبة، ثم ركبوا سيارتهم وانطلقوا باتجاه القرية، وفي الوقت نفسه، صعدت أم الديب إلى شقة ليالي، وطرقت بابها بقوة، معبرة عن مشاعرها بأسلوب مفزع، قائلة:
_بت يا ليالي... انتي يا بت!
خرجت ليالي من شقتها بخطواتٍ ثابتة، وبين ذراعيها حمود، وبنبرة صوتٍ مليئة بالدلال، نطقت قائلة:
=عايزه ايه؟

أرادت أم الديب أن تؤكد ليالي بجميلة، فبينما تتأملها بعينين مليئتين بالحقد، والغيرة، نطقت بصوت مرتفع:
_جميلة مرات أحمد جايه النهارده، عايزاكي يا بت تنزلي وتساعديني، انتي عارفه مين اللي جاية؟ دي سنك، وتاج راسك انتي واللي خلفوكي كلهم يا بت !

نظرت ليالي لابنها حمود بلا مبالاة، وبرود، وفي عينيها بريق من الانتقام، ثم نطقت بصوت متجمد وخالٍ من العاطفة، قائلة:
=مالك يا حبيبي بتعيط تاني ليه؟ شكلك عايز تاكل، طب يلا ندخل نكمل أكل .
عادت ليالي لشقتها، وصكت الباب بقسوة في وجه أم الديب للمرة الثانية، فاستفاقت أم الديب غضبًا، واندلعت بكلمات ملتهبة، قائلة:

_ماشى يا بت دباح الحمير !
عادت أم الديب لشقتها مرة ثانية، وفي الشارع كان المعلم حنفي، وجلال ينتظرون مجيء أحمد، وجميلة بشوق متلهف، والغريب أن أحمد كان يقود سيارة جميلة ببراعة، وعندما نزلوا منها، انغمس المعلم حنفي في ذراعي أحمد بحنان يمزج بين الفرح، واللهفة، وقد ارتسمت السعادة على وجهه، وكانت كلماته مليئة بالعواطف المخلصة:
=ايه ياض الطريق كان طويل عليك ولا ايه؟
ضحك أحمد، وقال:

_لا ولا طويل ولا حاجة... عامل ايه؟
رد المعلم حنفي بسعادة:
=زي الفل... ازيك يا عروستنا، ايه الأخبار؟
ردت جميلة برقة:

_بخير يا أونكل .
عائق جلال أحمد قائلاً:
=ازيك ياض يا حبيب أخوك؟ كده منشوفكش من يوم فرحك؟
بادل أحمد عناقه لجلال، وهو يتألق بابتسامة مشرقة، وفي لحظةٍ من الفرح الغامر، نطق قائلاً:
_لا ياعم أدينا جينا أهو .
رد جلال بسعادة:
=ده انتوا نورتوا الدنيا كلها .

بعدما صعّدوا لشقة أم الديب، كانت تنتظرهم الوالدة أمام الباب بحماس، وعندما رأت جميلة، انفجرت بالزغاريد الفرحة، ثم اندفعت نحوها بلهفة، متشبّثة بها بقوة، وأطلقت عليها سلسلةً من القبلات على خديها بعفوية، بلغت حدّ الإفراط، مما جعل جميلة تشعر بالاشمئزاز، وهي تعبر بصوتٍ مليء بالاستياء:

_ خلاص كفاية يا طنط!

أم الديب بفرحة:

=إيهي هو احنا نطول تيجي تزورينا؟

جاءت نعمة، وهايدي تحملان بين ذراعيهما زهور الترحيب، لتعانقا جميلة وسط جو من السعادة المشعة، وبينما كانوا يعبرون عن فرحتهم، أبهجتهم جميلة بحضورها المشرق، فاستحقت أن تكرم بكرسي فاخر مخصص لها من قبل أم الديب، وكانت تلك اللمسة الراقية تعبيراً عن التقدير العميق، والاحترام الذي تحظى به جميلة في قلوبهم، فقالت:

=اقعدي ارتاحي، ده انتوا زمان الطريق قطع نفسكم .

ردت جميلة بدّهشة، وهي تجلس:

_ خالص يا طنط، بالعكس العربية مُريحة جدًّا .

أما أم الديب، فاختارت الجلوس على الأرض إزاء جميلة، حيث نطقت كلماتها بحنكة، ووجهتها نحو نعمة، قائلة:

=خشّي يا نعمة اعلمي الأكل انتي .

ردت نعمة:

_ حاضر ياما .

تحدثت أم الديب بسرور:

=اسم الله عليكى تتحسدي، هو احنا كنا نطول نجوز ابننا واحدة في مقام اسم الله عليكى؟
نظر أحمد لأم الديب نظرة حادة، شعر بأنها تحاول تقليل قيمته أمام زوجته، فاندلعت داخله نار الاستياء، وتحدث بصوت ينطلق من بين أسنانه المضغوطة:

_ خلاص يا ماما، أصل جميلة ما بتحبش الكلام الكثير !

نطقت أم الديب بفرحة:

=اعلمي حسابك يا جميلة، كمان تسع شهور بالتمام والكمال، تكوني جايبة الواد !

أجابت جميلة بتفكير:

_ نعم يا طنط؟ يعني ايه؟

رد أحمد بصوت حاد في حين هو كامد:

=في ايه يا ماما؟ انا وجميلة مأجلين الخلفة سنتين .

بصوت عالٍ، وقوة تحلّق في الهواء، صرخت أم الديب، ووجهت ضربة عنيفة بيدها إلى صدرها، كلماتها تتدفق بشدة، وهي تقول:

_ يا خرابي، مين فيكم اللي عنده النايبة، انت ولا هي؟ يا داهية دقي... هو احنا لحقنا نخرج من فلوس

الجوازة لما هندخل على فلوس العمليات هي الثانية؟

نطق المعلم حنفي بصوت حاد:

=اسكتي يا ولية! ابنك ومراته زي الفل مفيهمش حاجة، هما اللي مأجلين بمزاجهم .

ردت جميلة برقعة:

_ احنا محدش في عيلتنا بيخلف أول ما بيتجوز... لازم ندي لنفسنا فرصة ندرس الموضوع صح الأول،
وبعدين نفكر .

نطقت أم الديب بصدمة:

= لا احنا سلونا غير سلوككم... احنا عندنا إن الواحدة محبلتش بعد شهر جواز تبقى مصيبة سودة وحطت
على دماغ الكل .
أراد أحمد تغيير اتجاه الحديث المتوتر، فألقى بكلماته كالخطاف الرشيق للسفينة في عرض البحر، قائلاً:
_ أمال صحيح ابنك فين يا جلال، ده جميلة عايزة تشوفه !

رد جلال بابتسامة:

=وماله يا معلم، هتصلك على ليالي تجيبه وتنزل .
أمسك جلال هاتفه النقال وبدأ في الاتصال بليالي، حيث ألقى بكلماته بلطفٍ، قائلاً:
_ انزلي يا ليالي وهاتي الواد، أبله جميلة عاوزه تشوفه .
ردت ليالي بنبرة حادة:
=مش هيصصل... اللي عايزنا يجيلنا، انا مش نازلة لحد .
دخلت أم الديب المطبخ، وقالت لنعمة:
_ خلي مرات أخوكي تنزل تساعدنا !
ردت نعمة بابتسامةٍ خفيفة، وهي تقلب الأرز في القدر ببراعة، وعبارة الدهشة تعتلج محياها، فقالت
بصوتٍ مليءٍ بالتعجب:
=وهي منزلتتش ليه؟
أم الديب بامتعاض:
_ عامله نفسها حاجة بت سلامة المقرح .
ضحكت نعمة، وقالت:
=هو مش كان دباح الحمير ياما؟ لحقتي تطلعي عليه اسم جديد؟
أم الديب بكراهية:
_ ده ريحته سابقاه يا بت .
ردت نعمة بصوت خافت:
=مانتي ياما ريحتك مقرفة .
نظرت أم الديب لها نظرة حادة، وقالت:
_ بتقولي حاجة يا بت؟

نعمة بهلع:

= لا أبدًا .

صعدت نعمة لنداء ليالي، وفي لحظةٍ من الانتظار المشحون بالتوتر، قامت بطرق الباب بحرارة، حتى
فتحت لها ليالي باب شقتها بحركةٍ مفاجئة، وفي تعبيرٍ عن استياءها، نطقت ليالي بصوتٍ محتد:
_ أمك عايزه ايه؟

ردت نعمة:

=انزلي سلمى على جميلة .

نطقت ليالي بغيرة:

_ ما تطلع هي !

ردت نعمة:

=وهو ده وقته ياختي؟ ماتنزلي بدل ما أمي تطلع، وتعملنا فضيحة زي كل مرة !

تفوهت ليالي بصوت حاد:

_ هنزل بس علشان بمزاجي مش بمزاج أمك !

حملت ليالي طفلها حمود بحنان، ولامست يديها هاتفها ومفاتيحها، ثم نزلت مع نعمة إلى شقة أم الديب بخطوات واثقة. وعند وصولها، وضعت حمود يلهو على الأرض، ثم اقتربت من جميلة، وغمرتها بعناق يعبر عن مشاعرها بكل ود، ولم يفوتها فرصة لنطق الكلمات الحانية بقلبها الصافي، قائلة:
=يا أهلاً بيكي يا جميلة، منورة الدنيا وأنا أقول البيت النحس ده منور ليه؟
فيما نظرت ليالي لأم الديب بتعبير يوحى بأنها تعنيها بهذا القول، جرت أم الديب على أنيابها بسخط، في حين أن جميلة ردت بصوت رهيف، وهادئ، معبرة عن صفاء قلبها، ورقة مشاعرها:
_ميرسي .

دخلت ليالي المطبخ بخطوات هادئة، وبدأت نعمة في تقديم الطعام في الأطباق، وتسليمه لليالي لتضعه على المنضدة الريفية بعناية. والغريب هنا أن أم الديب كانت تحضّر مجموعة متنوعة من الأطباق الشهية مثل الدجاج، والأرز المعمر، والملوخية، والبطاطا بالصلصة، واللحمة المسلوقة، والبادنجان المخلل. وعندما جلست العائلة حول المنضدة، نظرت جميلة للطعام باشمئزاز، فأراد أحمد أن يقنعها بتناول الطعام، فنطق بكلمات التشجيع:
=ما تاكلي يا جميلة !
ردت جميلة:

_ لا لا ميرسي، انا عايزة لارج تشيكن برجر، وفرايز .

في هذه اللحظة، حل الصمت الثقيل على الجميع نتيجة عدم فهمهم لما تقصده جميلة، فأبدت أم الديب تعجبها بتعابير غريبة على وجهها، وقالت بدهشة:

=ايه اعذرنا ياختي ما بنفهمش عنجليزي .

ردت جميلة باشمئزاز:

_ عنجليزي؟ ده أكلي يا طنط !

اقترب أحمد من جميلة، وقال لها بصوت خافت:

=مش هيفهموا اللي بتقوليه ده !

ردت جميلة:

_ أه... أوكي .

تحدث المعلم حنفي، وهو يلقي نظرة بتعجب على الدجاج، معبراً عن دهشته:

=هي الفراخ دي مالها مسلوقة كده ليه؟

ردت أم الديب، وهي تتناول الطعام:

_ دي فراخ بلدي، والراجل كان مجوعهم، مبيحطلهمش العلف، والعليقة .

نطق المعلم حنفي بضيق:

=وانتي بتتنيلي بتشتري منه ليه؟ ما احنا عندنا طير فوق السطح !

ردت أم الديب بصوت حاد:

_ اطفح وانت ساكت !

ثم نظرت لنعمة، وواصلت:

=املي طبق لجميلة من كل حاجة .

ردت جميلة باشمنزاز:

_ لا لا يا طنط بجد مش عايزة !

ردت أم الديب:

=تعدميني إن ما كلتي .

أجابت جميلة بتعجب:

_ يعني ايه، مش فاهمة؟

ردت نعمة وهي تضع الطعام في الطبق باحترافية، مبديةً تفانيها في تقديم الوجبة بأفضل شكل ممكن:

=كلي بس يا جميلة، وملكيش دعوة، ده أمي عاملة العزومة دي مخصوص عشانك والله .

بعد الانتهاء من وضع الطعام، سلمت نعمة الطبق لجميلة بأسلوب مميز يتجاوز براعته العادية، مما أثار

سخط ليالي، وفي لحظة هدوء، همست في أذن جلال بصوتٍ خافت:

_ شايف أمك بتتعامل معاها ازاي؟ لأ وايه جايبالها كرسي جديد، ولا الطبق سيراميك، واحنا ناكل في

استانلس قديم مصدي... تصدق بالله أمك دي هتدخل جهنم حذف كده إن شاء الله .

رد جلال بلا مبالاة، وهو يتناول الدجاج:

=كبري دماغك يا بت، وكلي منابك قبل ما أمي تسرح عليه .

بدأت جميلة في تناول الطعام، وقد فرح أحمد بهذا التقدم، ورأى في ذلك بدايةً لتأقلمها على نظام حياتهم.

وفي الوقت نفسه، كانت أم الديب تقضم قطعة لحم الدجاج بشراهة شديدة، تشبه تصرف الكلب يقضم

العظمة، حيث لم تمنح نفسها لحظة للمضغ اللطيف كما يفعل البشر الآخرون. بينما المعلم حنفي كان

يأكل بشهية رحيبة، وكأنه يتناول آخر وجبة في حياته، وكانوا جميعًا يظهرون جهلاً تامًا بالآداب،

والسلوكيات أثناء تناول الطعام. كانت أم الديب تصدر أصواتًا عالية من فمها، تتناثر قطع الطعام خارج

فمها وتسقط في الأطباق المجاورة، مما أثار اشمزاز جميلة وإحراج أحمد. وبعد فترة، وقف جلال،

وذهب إلى المطبخ لجلب المياه، ولمح برؤية سريعة كيسًا ملفوفًا تحت حوض المطبخ، فاستحوذ عليه

الشك، وقرر التحقق، وبمجرد أن فتحه، اكتشف رأس حمار مقطوعاً بداخله. أمسك به بشجاعة وخرج

به إلى الجميع، فأصابت النساء صرخة من الهلع وهربوا بسرعة، بينما اختبأت جميلة خلف أحمد،

تصرخ بالرعب. في هذا الوقت، قال جلال بصوت مرتعب:

_ ايه ده ياما؟ راس حمار في بيتنا؟

ردت أم الديب باستنكار:

=وايه اللي هيجيبها عندنا؟

تحدث جلال بصدمة:

_ انا اللي بسألك!... دي بتعمل عندنا ايه؟

أما أم الديب فقد صمتت واستمرت في تناول الطعام دون أن تعبر عن أي انزعاج، في حين دخل جلال إلى المطبخ لبحث في الثلاجة، حيث كان يده قلبه بوجود شيء مشبوه هناك. وعندما وجد كيساً أسود اللون، قام بفتحه ليجد بداخله رؤوساً مقطوعة لأبي قردان، فترك رأس الحمار جانباً وخرج بالرؤوس، معبراً بدهشة:

_ طب الثانية وقولنا هتعملي عليها لحمة راس حمير، إنما دي هتعملي عليها ايه؟ شوربة روس أبو قردان صديق الفلاح ياما؟

ابتلعت أم الديب ريقها بصعوبة، وقالت بتلثم:

=ايهي...الحاجات دهي جات منين ياخويا؟

جلال بعصبية:

_ ايه اللي جاب القرف ده هنا؟

ردت أم الديب بإستنكار:

=معرفش شوف مين اللي حاظه .

نظر جلال لأحمد، ونطق بصياح جسيم:

_ أمك ياض مأكلانا حمير، وأبو قردان، أصلها بتستخسر فينا اللحمة، والفراخ .

اقترب المعلم حنفي من أم الديب بخطوات ثقيلة، وسألها بصوت مليء بالدهشة:

=الكلام ده بجد يا بت الكلب؟

ردت أم الديب رد كاذب، قائله:

_ ده عيل كداب .

اقتلع المعلم حنفي نعله بيده، ثم صوبه على رأس أم الديب، وبدأ يتخبطها به بوحشية، وعنف متكرراً،

والشر يتسرب من عينيه الملتهبتين، وهو يصرخ بها بغضب هائج، قائلاً:

=بتستغفلينا يا بت الكلب؟

ردت أم الديب بصراخ:

_ يالهوي...الحقوني !

نطق المعلم حنفي بانفعال، وهو ما زال يوطأها بالنعل:

=آني هقتلك، وهشرب من دمك !

ضحكت ليالي ضحكة مطولة مليئة بالسخرية، وقالت بشماتة، وتعابير الاستهزاء:

_ انا برضة اللي أبويا دباج الحمير؟

تحدث جلال بجلبة:

=خذي حمود وقدامي على شفتنا، يلا!

حملت ليالي حمود وخرجت به من باب الشقة، وعندما نظر أحمد إلى جميلة رأى حالة الصدمة العارمة

بسبب ما رآته، فأطلق منه فزعاً، وقال بإجراج:

_ جميلة انتي معانا؟

ردت جميلة ببيكاء:

=أوه ماي جاد... انا كلت لحمة حمار؟

رد أحمد بإجراج:

_ لا لا ده سوء تفاهم !
وضعت جميلة يدها على بطنها، وصرخت متألمة:
=أه... بطني !

دخلت جميلة المرحاض بسرعة، وانفجرت في القىء، فعاودتها نعمة، وهايدي، وأخذوها إلى شقة جلال حيث قدموا لها المسكنات، والأدوية المطهرة للمعدة. ووقفوا جميعًا في صالة الشقة بعد ما حدث، فعبرت نعمة بإحراج:
_ معلى يا جميلة اعذرينا في اللي حصل.

ردت جميلة بإعياء:
=انا مستحيل أكل حاجة من ايد طنط تاني بعد اللي عملته فينا كلنا.
تحدث أحمد بإحراج:
_ هي مش عايزه تعقل بقى؟
رد جلال:
=أمك عمرها ما هتعقل، أمك هتعيش وتموت زي ماهي.
وقفت جميلة، وهي مُنهكة، فوقف أحمد هو الآخر، وعبر عن دهشته بسؤال متعجب:

_ مالك يا جميلة؟
ردت جميلة بإعياء:
=انا عايزه أروح البيت!
تحدثت ليالي بدهاء:
_ لا ازاي؟ انتوا لازم تباتوا عندنا النهاردة، مش كده ولا ايه يا جلال؟
رد جلال:

=أه يا ض هتباتوا عندنا، مينفعش تمشوا على السكك في الوقت ده، ومتقلقش انا هروح أجيبكم فراخ مشوية بدل العك اللي أمي عملته.
نطق أحمد بانفعال:

_ لا احنا هنرجع البيت، أرحمنا من قعدتنا هنا.
نفوه جلال بصوت حاد:
=انت هتكسر كلمتي ولا ايه؟ انا قولت هتباتوا يعني هتباتوا، وخشوا ربحوا جتتكم على ما أجيب الأكل وأرجع.

بالفعل نزل جلال لشراء الدجاج المشوي في حين أحمد، وجميلة دخلوا غرفة الأطفال، وأوصدوا الباب، وفي تلك اللحظة الهادئة، وجد أحمد نفسه يحاول تهدئة جميلة بنبرات صوته الدافئة، وكأنه يعزف لحناً من السكينة، والراحة في أروقة الغرفة المظلمة، قائلاً:
_ أرجوكي يا جميلة حاولي تاخدي المسكن !

ردت جميلة بإرهاق:
=انا ازاي سمعت كلامك؟ انا كنت هروح فيها، مامي لو عرفت هتعلم مشكلة !

تحدث أحمد:

_وايه هيعرف طنط بسملة بس؟ انا عايزك تاخدي الدوا وصدقيني هتبقى كويسة.

جميلة بحزن:

=أرجوك لازم نمشي في أقرب وقت، انا مقدرش أتعايش هنا أبدًا...مستحيل!

رد أحمد على جميلة بابتسامة تحمل شيئاً من الارتياح، وهو يمد يده لها بالعلاج، وكوب المياة، كأنه يقدم لها قطعة من السلام، والراحة في عالم مليء بالضجيج:

_أوعدك، بس خدي العلاج، ولما يطلع النهار هنرجع على بيتنا!

أخذت جميلة العلاج، ثم هوت في نوم عميق، فاقترب أحمد منها بلطف، ووضع الغطاء فوقها بعناية فائقة، ثم قبل جبينها بتأثر ممزوج بالحزن لمرضها. ثم نام على السرير الآخر، وفي الصباح الباكر، خرجت ليالي من غرفتها، تحمل طفلها حمود. لكن لسوء الحظ، خرجت جميلة أيضاً من الغرفة، فلم تترك ليالي جميلة وحدها، وهو كانت اللحظة المناسبة لكيدها، فقالت بدلال، واستفزاز:

=يا صباح الخير يالي هنا.

ردت جميلة برقة:

_هاي، صباح النور.

ليالي بتعجب:

=هاي؟ هاي ايه؟ انتي ليه فافي كده؟

ردت جميلة بدهشة:

_يعني ايه فافي كده؟

تلفظت ليالي بكراهية:

=يعني طرية.

ردت جميلة باشمزاز:

_طرية؟ ايه الألفاظ البلدي دي؟

نطقت ليالي بموجدة حارقة:

=مالك ياختي عاملاه عينا كده ليه؟

ردت جميلة بتقزز:

_عاملاه؟ لا انتي مش طبيعية بجد!

ثم دخلت الغرفة مُسرعة، وأيقظت أحمد بلطف قائلة:

_أحمد، احنا لازم نمشي من هنا بليز...الست الغريبة اللي برا دي اتكلمت معايا بأسلوب مش لطيف

خالص!

استيقظ أحمد ببطء، وجلس على السرير وهو يتمتم بكلماته بسبب نعاسه، ثم قال بصوت خافت، ومتعب:

=ست مين؟ تقصدي ليالي؟

ردت جميلة بانفعال:

_أيوه هي...عشان خاطري لازم نمشي من هنا!

وقف أحمد، وأعدل ملابسه ببطء، وقال بصوت خافت:

=طيب هاتي الشنطة، وتعالى!

أمسكت جميلة حقيبتها بقوة، وخرجت عقب أحمد، حتى وصلوا خارج المنزل، ثم ركبوا سيارة جميلة. ولكن لم تكتف ليالي بما فعلته، بل وقفت في البلكونة تتابع تحركاتهم بانزعاج ملحوظ، والغضب يملؤها، وهي ترفع صوتها قائلة:

_متبقاش الواحده مننا نافشة ريشها، وهي متسواش ربع جنية، ايه النسوان دي ياختي؟
بعدها ركبت جميلة السيارة بثبات، خرج أحمد متأملاً الطريق أمامه، ووقف في منتصف الشارع، وأطلق نداء جلال:

=جلال...جلال...جلال!

استيقظ جلال مفتوح العينين على نداء أحمد الذي اخترق أحلامه، واندفع خارج الفراش مُتجهًا نحو البلكونة، حيث رأى زوجته، فلامس عينيها بنظرة مليئة بالدهشة، وقال لأخيه:
_في ايه يا أحمد؟

رد أحمد ببعضاء:

=ينفع اللي مراتك بتعمله ده؟

تلفظت ليالي بصوت مرتفع يعلو، معبرةً عن انزعاجها بوضوح أكبر:
_يا عيني تبقي الواحدة لا شكل ولا منظر، وعاملة فيها بت زوات .
صاح جلال في ليالي، قائلاً باهتياج:

=خشى جوا !

ردت ليالي بفزع:

_طيب .

ثم دخلت البيت، وعبر جلال قائلاً بانفعال:

=متر عئش ياعم، انا هربيهالك !

لكن أحمد لا يرغب في تفاقم الأمور، حيث أعرب قائلاً:

_خلاص يا جلال مالوش لزوم .

رد جلال بابتسامة:

=اسمع بس، وبعدين يا ض لو عوزت حاجة انا رقبتي سداة .

رد أحمد بابتسامة خافتة:

_تسلم يا جلال، يلا عايز حاجة؟

نطق جلال بابتسامة:

=سلامتك .

ظل جلال واقفًا بصمت مطول، يراقبه حتى ركب أحمد السيارة وغادر هو، وزوجته، وفي ذلك الوقت كانت جميلة تبكي بينما تتساءل عن سبب وغاية حديث ليالي، حتى اختلطت مشاعرها، وسألت زوجها:
_ينفع اللي أهلك بيعملوه ده؟

أمسك أحمد بيد جميلة بلطف، وقبّلها برقة، وهو يقول:

=حقك عليا يا جميلة، أوعدك مش هتكرر تاني !

جميلة بسخط:

_ايه الناس البيئة دي؟

رد أحمد بامتعاض في الحال:

=بعد إذنك يا جميلة اعطني في اللي ضايحك وبس، لكن متعميش!
جميلة بانتحاب:

_ انا مش هسكت وهقول لمامي.

في لحظة أمسكت جميلة هاتفها، وقامت بالاتصال على أم قمر الدين، بينما أحمد يحافظ على صمته الواعي، كي لا تزداد آلام جميلة. وفي غرفة جلال، بعد خطوته الأولى داخل البيت، وجد زوجته تجلس بكل لامبالاة على الأريكة، متمسكة بجهاز الهاتف كقلعة محاصرة، فلم يستطع جلال كبح غضبه، وانفجر بصوت يهز الجدران:

=ايه يا ليالي اللي عملتبه ده؟

ردت ليالي على جلال بتجاهل متعمد، وكأنها غارقة في عالم آخر وهي تحرق في شاشة هاتفها، كما لو كانت مغمورة في بحر من الغيبوبة الإلكترونية:

_ عملت ايه؟

رد جلال بصوت حاد:

=ازاي يا بت تتكلمي بالاسلوب ده مع أحمد، وجميلة؟ انتي عارفه بنتكلمي مع مين؟

ردت ليالي بسخرية:

_ كانوا مين يعني يا جلال؟

قبل أن تخطو ليالي إلى داخل الغرفة، أمسكها جلال بقوة شديدة من يدها، وفي عينيه انعكس الامتعاض المتأجج، وقال بصوت ملتهب من الانفصال:

=انا خلصت كلامي؟

ردت ليالي بصراخ:

_ سيب ايدي .

نطقت جلال بصوت حاد:

=هتعبط عليك يا بت !

ردت ليالي بنواح:

_ اتعبط عليا يا جلال، وشوف انا هعمل ايه!

رد جلال بعصبية:

=هتعملي ايه يعني يا بت؟

نطقت ليالي بأعوال:

_ انا أقدر أعمل كثير، لكن انت ولا تقدر تعمل حاجة!

لأول مرة، ينكسر حاجز الكرامة، والاحترام في علاقة جلال، وليالي، حيث وطأ جلال زوجته بالقلم على وجهها كصاعقة غير متوقعة، فتأثرت بصدمة شديدة جعلتها تنهمر بالبكاء الحار، بينما لم يتردد جلال ثانية في جلب هاتفه من الغرفة، ومغادرة المنزل، وعندما وصل إلى الخارج، صدم الباب بقوة خلفه، ثم ركب التوكتوك الخاص به وانطلق في اتجاه عمله، وبينما كان يتجه لمكان عمله، دخلت ليالي غرفتها بينما تحمل طفلها، وبدأت في وضع ملابسها في حقيبتها، وفي تلك اللحظة، لاحظت أم الديب

خروجها أثناء وقوفها في البلكونة وقامت بالتعبير عن سخريتها وسخطها تجاه ليالي، ثم عادت داخل المنزل بسرعة وبادرت بإجراء مكالمة هاتفية، فرد عليها جلال بصوت مليء بالتأثر:

=عايزه ايه ياما؟

تحدثت أم الديب بفضول:

_أخوك مشى امتي؟

رد جلال بامتعاض:

=مشى الصبح هو ومراته .

ردت أم الديب:

_ومحدث صحاني ليه يا ولا؟

نطق جلال باختناق جسيم:

=اسكتي ياما، الواحد مش ناقص .

ردت أم الديب بسعادة:

_ايه اللي حصل يا منيل؟

رد جلال باحتدام، وهو يقود التوكتوك بسرعة، وفي صدره تلتهب الانفعالات، والأفكار المتضاربة،

حيث ترنحت مشاعره بين الغضب الجارف، والندم المؤلم، وهو يواصل مسيرته:

=ليالي شرشحت لجميلة، ومشيت ابنك، ومراته زعلانين، فلطشتها بالقلم !

ردت أم الديب بصدمة:

_ايهي علشان كده لمت حاجتها؟

جلال بذهول:

=هي لميت حاجتها؟

أم الديب بسخط ساحق:

_أيون... بقى بت سلامة دباح الحمير تفرد عضلاتها على بت بسملة؟

رد جلال بينما تعتريه موجة من الندم، والأسى على ما فعله مع ليالي، وصوته يتأثر بالحزن، والتأنيب،

معيّرًا عن تأسفه العميق وترجّعه لتصرفه السابق، قائلاً:

=خلاص ياما هبقى أعدي عليها بالليل .

أم الديب بصراخ:

_تعدي على مين؟ دي تستاهل مية شبشب يا ولا، ده آني هربيها !

في لحظة من القوة، ألقت هاتفها بعيدًا بعنف، وسارعت لتغطية جسدها بعباءتها، ثم سارت بخطى ثابتة

نحو منزل عائلة ليالي، متحضرة لمواجهة العواقب. وفي ذات الوقت، كانت جميلة خطأً أحمرًا بالنسبة

لأم الديب، حيث لم يكن لها الحق في تجاوزها، ولذا عبّرت عن غضبها بصوت عالٍ يملأ الشارع:

_افتحي يا ولية يالي إسمك تباهي... افتحي ياختي، افتحوا بدل ما أفتح نفوكم !

فتحت تباهي باب المنزل، وقالت بدهشة:

=يا مرحب ياختي، غريبة جايالنا بنفسك؟

ردت أم الديب بصداح:

_آني هعلم بتك الأدب... هي فين؟

دخلت أم الديب بسرعة إلى غرفة ليالي، وعقبها تباهي، أدركت ليالي نشوب نزاع، وعلى الفور وقفت مكانها، وصاحت بحدة اتجاهها، معبرة عن استيائها، واستنكارها لتصرفاتها:

=حد يدخل على حد كده من غير ما يخبط؟

في لحظة من الغضب اللافت، أمسكت أم الديب رأس ليالي بيد من حديد، وأسقتها بلا رحمة على السرير، وزادت في ضربها بالنعل بكل قوة، وعنف، حيث انعكست صرخات العذاب في أرجاء الغرفة، وصدحت بصوت مرتفع:

_ أني هموتك وهيتم ابنك .

حاولت ليالي بكل قوتها أن تصرف أم الديب عنها، وهي تصرخ بصوت ملتهب قائلة:

=أه... الحقوني!

صرخت تباهي، وهبة، وحاولوا بكل ما أوتوا من قوة أن يزيحوا أم الديب عن ليالي، لكن دون جدوى، حيث استمرت أم الديب في تنفيذ عملها بلا رحمة. ووصل حد الفرع إلى درجة أن تباهي خرجت تعول في الشارع، معبرة عن فقدان حيلتها:

_بتي يا ناس... الحقوا بتي من حماتها البلطجية!

اندلعت حالة من الفوضى، والذعر حيث اجتمع الناس حول نواح والدة ليالي، كالأموج التي تتلاطم على شاطئ البحر، ودخلوا معها إلى المنزل كجوش من الغضب المتقد. وفي الوقت نفسه، استمرت أم الديب في ضرب زوجة ابنها بلا رحمة، حتى وصلت إلى حد خلع حجابها بيدها كرمز للقوة. ومع تفاقم الموقف، قامت هبة بالاتصال على الشرطة، وحضرت القوى الأمنية كالفارس المنفذ في لحظة اليأس، وأخذوا أم الديب، وليالي في السيارة، وقاموا بترحيلهما إلى القسم، وعندما رأى الضابط أم الديب، انفعلت غرائزه وصاح فيها بغضب متقد، قائلاً بكلمات حادة كالسيف القاطع في وجه الظلم، والظالمين:

=جرا ايه يا روح أمك، احنا مورناش غيرك؟ ده انتي شوية في القسم، وشوية في المستشفى...مش ناوية تخفي رجلك من علينا؟

بكت أم الديب، وتدفقت دموعها كنهر من الحزن، وحاولت بكل جهدها كسب تعاطف الضابط لها، معبرة عن ألمها العميق، وفي لحظة من الضعف، قالت بصوت مليء بالشجن:

_يا عيني عليا ابني ومراته مبهدلني .

رد الضابط بذكاء:

=بس انتي مفيكيش أي جروح، وده دليل قوي إنك انتي اللي ضربتيا مش العكس .

أم الديب بدموع تمثيل:

_ أني هحكيلك اللي حصل...روحت أزور مرات ابني وأصالحها أصل ابني كان متخاف معاها، لقيتها

هي وأمها استفردوا بيا وهاتك يا ضرب !

رد الضابط بصوت حاد:

=فين الجروح اللي تثبت أنك انتي الضحية؟

صمتت أم الديب، وارتفعت نظراتها نحو السقف، وفي هذا الوقت الحرج، صاح الضابط بها بصوت ينبض بالقوة، داعياً إياها للتصرف بشكل منطقي:

=فين؟

صمتت أم الديب للمرة الثانية، وفي وقتها قال الضابط بصوت حازم، يعكس قسوة الموقف:

_ انتي ليلتك مش فايئة !

ونظر للعسكري، وواصل:

=خذها يا بني على الحجز!

أخذ العسكري أم الديب بقسوة إلى الحجز، وفي الوقت نفسه، خاطب الضابط ليالي بينما كانت تنهار، وتبكي بشدة، وقالت بين شهقات الألم:

_ضربتني يا باشا، مسابتش فيا حتة سليمة .

ثم صرخت ليالي صرخة قوية تمزق الهواء، فاندفع الضابط نحوها بسرعة، وقال بصوت مليء بالاهتزاز:

=مالك؟

نظر الضابط لساق ليالي بدهشة، فرأى الدماء تنزلق عليها بقوة، فأمر العساكر بسرعة بترحيلها للمستشفى لتلقي العلاج الفوري. وبعد أن كشف الطبيب عليها، نطق بعد لحظات من التفحص:

_دي حالة إجهاض! خدوها على العمليات!

قد جاء جلال، وأخواته البنات من بعيد، حيث كانت عائلة ليالي تنتظرها في الخارج بقلق، وتوتر شديد. فاقترب جلال من الطبيب برهبة، وسأله بصوت مرتجف:

=طمنا يا دكتور!

الطبيب بتردد:

_مراتك نزفت نزيف شديد، والجنين توفى .

جلال بصدمة:

=جنين ايه يا دكتور؟

رد الطبيب بأسف عارم:

_مراتك كانت حامل في شهرين، احنا دخلناها العمليات وهنعمل اللازم .

دخل الطبيب إلى غرفة العمليات بسرعة مُذهلة، وفي الوقت نفسه، انطلقت صرخة عالية من والدته ليالي، حيث لطمت وجهها بقوة كمظهر للجرح العميق، فكانت هبة تحاول بكل جهدها إسنادها، ومواساتها، حيث قالت لها بصوت ينبعث منه الحسرة:

=يا حول الله يارب... كان كل ده مستنينا فين؟

صرخت تباهي قائلة:

_منك لله يا أم الديب، منك لله سقطتي البت .

وانهارت على الأرض من صدمتها العارمة!

يتبع....

الفصل السابع عشر

صرخت هبة بشدة، مشيرةً بيديها نحو والدتها بانتقام، فانتبه عم سلامة للوضع بدهشة وصاح قائلاً:
_حسبي الله ونعم الوكيل .

بعيداً، وقف جلال إزاء غرفة العمليات، وقد أصابته صدمة عميقة جراء ما حدث لزوجته. فجأة، توجهت
نعمة بخطوات هادئة من خلفه، ووضعت يدها الدافئة بلطف على كتفه. كانت متأثرة بما مروا به،
فتحدثت بصوت هزيل:

=اهدى يا جلال !

جلال باستياء:

_امشي يا نعمة !

ردت نعمة بتأثر:

=اهدى يا جلال عشان أعصابك!

أجاب جلال بانفعال:

_بقولك امشي يا نعمة!

تقدم المعلم حنفي بخطوات حذرة من بعيد، وكانت علامات الخوف واضحة على محياه، وهو يقول
بصوت مرتجف:

=مراتك مالها؟

رد جلال بابتئاس:

_سقطت يابا .

رد المعلم حنفي بصدمة:

=سقطت ازاي؟

رد جلال بحسرة:

_كانت حامل وسقطت بسبب أمي .

ظهر عم سلامة وهو يتجه نحو المعلم حنفي، وجلال، ووجهه يعبر عن كمد بوضوح، وقال بصوت
ملؤه الغضب:

=أني لا يمكن أسكت على اللي حصل ده، أني هوديكم في ستين داهية!

رد المعلم حنفي برهبة:

_اهدى بس يا عم سلامة، وحق بتك هيرجع زي مانت عايز !

تلفظ عم سلامة بانفعال قوي:

=أم الديب دي تستاهل العدم مش الحبس بس، المرا دي لو أطولها هفرمها تحت ايدي!

رد المعلم حنفي بسعادة:

_طب ياريت، تبقى عملت فيا جميل كبير مش هنسأهولك طول عمري !

بسبب هذا الحادث، أصدر الضابط حكمه بسجن أم الديب لمدة سنة كاملة، وفي غرفة العناية المركزة
بالمستشفى استيقظت ليالي، لتجد عائلتها محاطة بها، وكانت والدتها تعول بشدة، متأثرة بابنتها، وهي

تقول بصوت مكسور:

=يا عيني عليكي يا بتي، منها لله اللي كانت السبب !

ردت ليالي بإرهاق جسدي منين:

_حصلي ايه ياما؟

تباهي بنواح:

=كنتي حيلة يا بتي...كان زمانك هتخاوي ابنك !

نظرت ليالي إلى بطنها بحنان، ولمستها بيديها برقة، فلم تتمالك دموعها، قائلة بصوت مكسور:

_كنت؟ وراح فين؟

تباهي بإعوال:

=سقطتي بسبب حماتك .

ليالي بصراخ:

_منك لله يا حماتي، ربنا ينتقم منك .

دخل جلال ووراءه عائلته، فكانت رأسه مطأطأة بالأسفل، مشعرًا بالحيرة حول ما سيقول لليالي، لكنه

أخيرًا قال بصوت متألم:

=عامله ايه يا ليالي؟

ليالي بنواح:

_امشي يا جلال مش عايزه أشوفك تاني!

جلال بندم:

=كانت ساعة شيطان وراحت لحالها .

ليالي بصراخ:

_تضربني بالقلم؟ وأمك تسقطني؟

جلال بتأثر:

=أمي هتاخذ جزائها .

وقفت تباهي بموقف حازم حيال جلال، وارتفعت السبابة كراية للتحذير، وفي عينيها بريق الاستياء،

وهي تتوعد له بكلمات تنطلق كالصاعقة:

_ورحمة أبويا ما احنا ساكتين، والموضوع مش هيعدي على خير!

ردت نعمة بانتحاب:

=عشان خاطري يا حاجة تباهي تسامحيننا... هاتينها فيا انا طيب، بس وحياة أعلى حاجة عندكم

تسامحونا!

أجابت تباهي بعناد:

_مش هيحصل، وأعلى ما في خيلكم اركبوه !

بعد مضي شهرين، كانت جميلة تجلس في حديقة منزل أم قمر الدين، وتشكو لها عن كل ما مرت به مع

ليالي، فلم تستطع أن تكتم الألم الذي يعتصر قلبها، بل شاركته مع والدتها بكل تفاصيله. وبالطبع، اشتعل

اهتياج أم قمر الدين لأجل ابنتها، وهي تقول بصوت ملؤه الانزعاج:

=ازاي كل ده حصل ومحكيتيش منه أي حاجة؟

ردت جميلة بتردد:

_خوفت يحصل مشاكل وقتها .

وضعت أم قمر الدين كوب العصير برفق على المنضدة، وأعلنت قائلة:
 =يا حبيبتى احنا محدش فينا كان هيسكت أكيد لأنك بنتنا وغاليه علينا، بس ازاي أم الديب اتحبست كل
 الفترة دي؟
 ردت جميلة:

_أحمد أصر عليا محكيش أي حاجة !
 ردت أم قمر الدين بصوت لطيف، ومُحب، قائلة:
 =جميلة حبيبتى بعد كده متخبيش أي حاجة بليز، وانا هعرف أتصرف!
 ردت جميلة بابتسامة خافتة:
 _حاضر يا مامي .

تحدثت أم قمر الدين:
 =المهم طمنيني، عاملة ايه انتي، وأحمد؟
 ردت جميلة بابتسامة:
 _بخير .

ردت أم قمر الدين بسرور:
 =لازم تيجوا تتغدوا معنا يوم... النهاردة مش هيتحسب ها!
 ضحكت جميلة، وقالت:
 _حاضر يا مامي، قريب إن شاء الله .

في لحظات الزيارة الهادئة، كان جلال يجلس بجانب ليالي في الصلاة، وهي تضع ابنها على ساقها
 كرمز لرابطة الأمومة القوية التي تجمعهما. بحنان يملؤه الحنين، حاول جلال بكل طرق الإقناع، وكأنه
 يزرع بذرة الأمل في أرض يائسه، يطرق باب قلبها بألفاظ منمقة قائلاً:
 =اسمعي كلامي يا ليالي، وارجعي !
 ليالي بعناد:
 _مش راجعة يا جلال !

رد جلال باشتياق:
 =يرضيكي تحرميني منك ومن الواد؟
 ليالي بسخرية:
 _خده ياخويا، خده وشيل همه بدالي...أكله، وغيرله وحميه، وهشكه !
 لكن جلال كان يدرك تمامًا أنه لن يستطيع مطابقة كل ما تفعله ليالي مع ابنهم. بدا مترددًا وكلماته تنقطع
 وهو يقول:

=مانا يا ليالي مقدرش على كل ده لواحدى !
 ازدادت ثقة ليالي بنفسها في هذه اللحظة، وأطلقت بجرأة:
 _عرفت قيمتي دلوقتي يا جلال؟

رد جلال بحُب:
 =انا عارف قيمتك من زمان...بس كانت ساعة شيطان، ارجعي لبيتك، وابنك .

دخلت تباهي لتتضم إلى الحوار بعد أن استمعت إليه بأكمله، فهي لا تقبل أن يُخرب عش ابنتها، وتسعى دائماً لرؤيتها سعيدة، ومستقرة. رغم صعوبة الوضع، حاولت التغاضي عن ما حدث، وقالت بصوت متماسك:

_ ارجعي معاه يا بتي !

بينما كانوا يقتربون من المنزل، وجدوا أم الديب جالسة هناك على درج المدخل، كأنها صورة مشهدية تنتظر عودتهم. تجلى تعبير الدهشة على وجه جلال، وتفجرت عيناه ببرق من الصدمة، ولم يستطع منع نفسه من القول بصوت مرتجف:

=ايه ده أمي؟ انتي رجعتي ازاي ياما؟

وقفت أم الديب، تتسامر الرياح حولها، واقتربت منهم بخطى ملؤها السكينة، وقالت بابتسامة تتلألأ كالشمس في صباح الربيع:

_ مكنتش عايزني أخرج ولا ايه؟

رد جلال بدهشة:

=انتى واخده سنة سجن، خرجتى ازاي؟ مانا مش فاهم!

أجابت أم الديب بلا مبالاة:

_ ايهي وايه المشكلة؟

صرخت ليالي بعنف يتراقص في الهواء الملبد بالغموض، وجهًا لوجه مع أم الديب، وقالت بصوت يترنم بالشجن:

=منك لله يا بعيدة، سقطتي اللي في بطني، وضيعتيني !

ردت أم الديب بسخرية:

_ بطن مين ياختي؟ ومخبيه ليه أنك كنتى حيلة لتانى مرة؟ شوفي بقى كنتى حيلة من مين المرة دي! أمسكت ليالي بيد أم الديب بقوة، وأصرت على الانتقام بكل عنف، وهي تفحشها من يدها، وصرخت في وجهها صرخة تعلوها نبرة الحزن المرير، وأخذت طفلها بسرعة، فصرخت أم الديب من ألم يدها، صرخة تلتوي فيها جميع ألوان الأسى، قائلة بصوت يعيق بالمأساة:

=يا خرابى إيدي... أوف أوف، الحقنى يا ولا...شوف الكلبة السعرانة اللي انت متجوزها .

رد جلال بعصبية:

_ مش هشوف حد ياما، تستاهليها، ولو هوبتى ناحيتى انا ومراتى بعد كده انا هقتل قتيل !

بعد مرور سنة ونصف، مع نضوج عمر حمود الذي بلغ سنتين، كانت والدته تعتاد على تعليمه بعض الهجاء القبيح، فتتطلق من شفيتها ألفاظ السخرية، ليتردها ببراءة وكأنها نغمات مؤلمة تعزف على أوتار قلب أم الديب المكسور، حيث قالت:

=قول ورايا يا حمود...ستى البجرة .

نطق حمود ببراءة الأطفال:

_ستى البجرة .

صفقت ليالي سعادةً بابنها، وقالت بابتسامة تملأ الغرفة بنورها:

=شاطر يا حبيب أمك .

ثم قبلته من خده بلطف يشفي كل الجروح، وحملته بحنانٍ عميق ونزلت به إلى شقة حماتها، حيث تعالت كلمات أم الديب بصوت مرتفع محملاً بالسخرية، وهي تتحدث بكلمات تتداخل فيها المرارة مع الضحك المرَدِّد:

_ ما لسه بدري ياختي .

ردت ليالي بدهشة:

=بدري على ايه يا حماتي؟

تحدثت أم الديب بكراهية:

_ نازلالي متأخر ليه يا بت؟

ردت ليالي بضيق:

= هو احنا كل يوم على الموال ده؟

اتجه حمود إلى جدته، وبينما كان يسير في دروب البيت القديم، أعاد نفس الكلمات التي قامت والدته بتحفيظها له، قائلاً بصوتٍ يرتفع بثبات:

_ستي البجرة .

ردت أم الديب بموجدة حارقة:

= ده انت اللي بجرة انت وستك أم أمك يا ولا... أما انت عيل مش متربي، أمك، وأبوك معروفش يربوك!

ثم خلعت نعلها، ووقفت حيال حمود بينما يشتد السخط في عينيها، فقامت بضرب يده بقوة، فانكسر صمت الصالة بصوت بكاء حمود العالي، وفي تلك اللحظة العصبية، شعرت ليالي بالغضب يتجاوز حدوده ناحية أم الديب، فصاحت بها بكلمات مليئة بالانتقام، وهي تحمل طفلها بين يديها من على الأرض، قائلة بصوت يرن في الصالة كالصاعقة:

_ جرا ايه يا حماتي بتضربي ابني ليه؟ ولا هو علشان صغير ومسكين طالع لأمه عملي فيه كده؟

أم الديب بسخرية:

= ايهي مسكين مين؟ ده أمه وجده اللي هو سلامة دباح الحمير ميعرفوش يعني ايه مسكنة ياختي .

ردت ليالي بموجده:

_ لا بقولك ايه يا حماتي، انا هنصل بجلال يجي يشوف صرفة معاكي، ألا انتي زودتيها أوي!

أمسكت ليالي هاتفها بيد مرتجفة، وقامت بالاتصال على جلال، وبينما تتأجج الموجدة في عينيها،

خرجت كلماتها بصوتٍ ملتهبٍ إزاء أم الديب، قائلة بغضبٍ ينبعث كالبركان المتفجر:

=ألو يا جلال، انا عايزك تيجي دلوقتي وتشوفلي حل في أمك... بقى انا إبني يتلب العلقة قصاد عيني؟

ليه رجل كنبه، ولا كيس جوافة؟

بينما كانت هايدي تنتمي إلى الفرقة الثالثة في الجامعة، وتقيم في السكن الجامعي برفقة صديقاتها خلال فترة الدراسة، وهذا كان أكثر راحة لها من أن تعيش في منزل أم الديب، وفي هذا السياق، قد اقترح عليها أحمد أن تعيش معه ومع زوجته جميلة حتى تنتهي من دراستها، ولكنها رفضت هذا الاقتراح احتراماً لخصوصية أخيها، وزوجته، مع الحرص على راحتهم. وفي هذا الوقت، كانت جميلة قد تخرجت من الجامعة بتقدير عام جيد جداً، وفي هذا اليوم المميز، كانوا في جامعتها يلتقطون صور التخرج، وعندما كانت تلتقط جميلة الصور برفقة أحمد، قال لها بابتسامة عريضة:

_ ثواني يا جميلة، هجيب حاجة وجاي تاني !

ردت جميلة:

=أوكي .

في يوم التخرج المشرق، حيث تتسم الأجواء بالفرح والاحتفال، ذهب أحمد بخطوات ثابتة، وأخرج باقة الورد الجميلة من حقيبة السيارة بعناية، ثم عاد إليها وهو يبتسم بسعادة لا توصف، تنعكس في عينيه الشفافيتين. وفي تلك اللحظة المميزة، لم تتمالك جميلة نفسها واندفعت لتضحك بشدة، كموجة من السعادة الغامرة تجتاح قلبها، وبدأت اللحظة كمشهد من فيلم رومانسي مثالي. وفي لحظة عميقة من المودة، عانقته بحنان يعبر عن مشاعرها الصادقة، وقالت بابتسامة مشرقة وصوت مليء بالحب:

=ميرسي يا روجي، معقول البوكيه التحفة ده عشاني أنا؟

رد أحمد ببهجة:

_طبعًا يا حبيبتي، المهم أنه يكون عجبك !

ردت جميلة بسرور، وقالت:

=I Love You So So Much. بجد.

قبلت جميلة أحمد من وجنته بلطف وهي تعانقه بفرحة غامرة، تتسابق مشاعر الامتنان في قلبها، وفي لحظة من السعادة العارمة، ظهرت سامية، ونرمين، ومنى وهن يحملن هدايا التخرج، تحمل كل هدية قطعة من الذكريات الجميلة، والتمنيات بالنجاح، والتوفيق. وعندما وصلت سامية، كانت أول من عانقت جميلة بحب، وفرحة، وفي لحظة من الحماس، قالت:

_ألف مبروك على التخرج يا روجي .

ردت جميلة بفرحة:

=الله يبارك فيكي يا حياتي .

عانقتها نرمين، وقالت:

_مبروك يا حبيبتي، عقبال البيزنيس .

ردت جميلة بسعادة:

=الله يبارك فيكي يا نرمين .

وأخرًا عانقتها منى، وقالت ببهجة:

Congratulations للتخرج .

ردت جميلة بسعادة:

=الله يبارك فيكي يا حياتي، وعقبالك .

تحدثت سامية وهي تمسك هاتفها بيدٍ مستعدة، وفتحت تطبيق الكاميرا بسرعة، وهي تتنطق بكلمات مليئة بالحماس:

_يلا صورة بقى .

رد الجميع:

=يلا بينا .

منحت سامية هاتفها لأحمد، ووقفت بجانب جميلة، بينما وقفت نرمين، ومنى إلى جانبهما، وبدأ أحمد في التقاط الصور لهم ببراعة، وابتسامة واسعة على وجهه، وعندما انتهوا، أعاد الهاتف لسامية بلطف، ثم وقف بجانب جميلة، وأخذت منى تصورهم سوياً بابتسامة تعكس الفرح. بينما كانت نعمة تتوجه لمقابلة حبيبها حامد في قطعة أرض فارغة كالعادة، حيث تألفت حولها بخوف مستشعرة الخطر المحتمل، وبصوت مرتجف قالت:

_ أتأخرت عليك؟

رد حامد رومانسية، وهو يتغزل في نعمة:

= لا يا مزة... إنما ايه الحلاوة دي؟

ضحكت نعمة، وقالت بخجل:

_ يخربيتك يا ولا اسكت... أما قولي هتخطبني امتي؟ انت اتأخرت أوي بصراحة !

رد حامد باستعداد:

= خلاص انا جهزت من كله، وهدخل البيت من بابه يا نعومي .

ضحكت نعمة، وقالت بفضول عارم:

_ هتيجي امتي؟

رد حامد:

= بكرة لو عايزه !

تلفظت نعمة بسعادة غامرة:

_ خلاص تعالى بكرة... مستنياك!

رد حامد، وهو يغمز لنعمة بعينه بنظره مليئة بالدفء، قائلاً بصوت ينبض بالحب:

= اشطأ من النجمة تلاقيني عندكم .

ضحكت نعمة، وقالت:

_ لا مش للدرجادي، تعالانا العصر ولا حاجة .

رد حامد بسعادة:

= من عينيا الإثنين يا نعومي .

أخيراً، بعد ارتباط نعمة بحامد لمدة أربع سنوات، سيأتي لخطبتها من المعلم حنفي، وجمال، وهي تسير على درب الحياة وهمها الأسمى يتحقق، فكانت طيلة الطريق تمشي وكل خطوة تتبع منها تملأها السعادة، وتدلل في مشيتها كأميرة في قصرها، حتى وصلت إلى المنزل، ودخلت غرفتها بقلب مليء بالتفاؤل، وجلست على السرير وهي تتخيل شكل حامد غداً وهو يدخل بعائلته المحبة، ويطلبون يدها بكل احترام، فلا تعلم هل سيوافق جلال أم يرفض، وفي هذه الأثناء، دخلت هايدي للغرفة فوجدت نعمة سارحة بخيالها، فجلست بجانبها بعينين مليئتين بالفضول، وقالت:

_ مالك سرحانة في ايه؟

ردت نعمة بدلال:

= الليلة الوقفة يا هايدي، وبكرة العيد !

ضحكت هايدي، وقالت:

_ عيد ايه، ووقفة ايه؟ هو في عيد زيادة غير الفطر، والأضحى وانا معرفش؟

ضحكت نعمة بابتسامة تنطلق من قلبها، وقالت بصوت منخفض يعبق بالسرية، والثقة في أذن هايدي:

= حمو جاي يطلب ايدي بكرة من أبويا .

ضحكت هايدي، وقالت باستهزاء:

_حمو بتاع عربية الكبدية؟

ضحكت نعمة، وقالت بصراحة:

=أه هو .

لاحظت نعمة أن هايدي تستهزأ بها، فانتابها الاستياء، وقالت بصوت مليء بالغضب:

=ماله بتاع عربية الكبدية يا هايدي؟ مش أحسن ما يمشي في سكك غلط؟

ردت هايدي بفزع:

_مش قصدي، وبعدين انا مالي؟ هو انا اللي هتجوزه ولا انتي؟

وقفت نعمة أمام المرأة، وهي تغني بصوت يعكس الثقة، قائلة بأنغام مليئة بالحماس:

=النهاردة هكلم أبوكى، قالها وروحي راحت يانى، قالي خدودك كسفوكى، لونهم برتقالى، قالى دة

عيونى استنوكى، ردت روى جيه فستانى .

في هذه اللحظة الحاسمة، دخلت أم الديب الغرفة بخطوات ثقيلة، وعبوس الوجه، فلم يمض وقت طويل

حتى انطلقت بصوت غليظ يخترق الهواء المحيط بالغرفة:

_فستان مين يا بت؟ هو أني مش قولت مفيش مرواح أفراح وزفت؟

تلجلجت نعمة بمجرد رؤية أم الديب، وقالت برهبة:

=لا ياما، لا دي أغنية، انتي فهمتي ايه؟

ردت أم الديب بصوت حاد:

_خشى أسلقي الجزر، أني جعانة ومفطرتش !

نطقت نعمة بتعجب:

=يادي النيلة... هو انتي مش ناوية تغيري شوية؟ هو كل يوم جزر، جزر... ده انا زهقتك !

صاحت أم الديب في وجه نعمة، قائلة:

_آني مبحبش كتر الكلام، انتي تسمعي اللي بقولك عليه وبس، فاهمة ولا أقول تاني؟

ردت نعمة بضيق:

=فاهمة ياما .

دخلت نعمة المطبخ بخطوات ثابتة، وسحبت الجزر من الثلاجة بحركة متوترة، ووضعته في قدر الماء

بتركيز شديد، ثم أشعلت نار الموقد بحرارة غاضبة، وقالت بصوت محمل بالاستياء:

=هو في عروسة تنبهدل قبل قراية فاتحتها كده؟

اقتربت أم الديب منها، وقالت بنبرة حادة:

_كنتي بتقولي ايه؟

ردت نعمة بتلعثم:

=بقولك أحطلك ملح في الماية، ولا بلاش؟

ردت أم الديب بصوت حاد:

_حطي بس متكتريش .

ردت نعمة بقلق:

=طيب .

انتهى أحمد، وجميلة من الاحتفال بالتخرج، وسارا إلى النادي برفقة سامية، ونرمين لمقابلة أم قمر الدين، فكانت متشوقة لرؤية بناتها، فأخبرتهم:
_وحشثوني موت بجد .

جميلة بحب:

=وانتي كمان أوي يا مامي !

رد أحمد بابتسامة ودية:

_انتي أكثر يا طنط !

في رد فعل مفاجئ، انطلقت أم قمر الدين بضيق متقد لا ترغب في أن يتسلل إليها أدنى شعور بكبر سنها، وهي ترتجف بشدة من الضيق، وفي حنجرتها يتقاطر العتاب، فنطقت بصوت هادئ مختلط باليأس:

=انا مش قولتلك مليون مرة بلاش طنط؟ يا حبيبي هو انت غريب؟ قولي بسملة عالطول !

لكن أحمد اعترض بشكل قاطع فكرة نزع الألقاب من بينهم، مؤكداً على أنها تمثل لهم تقاليد عائلية تستحق الاحترام، خصوصاً أنها ترتبط بسن والدته التي تعني له الكثير، فأعلن بوضوح:

_ازاي بس؟ انا بقول كده تقديرًا لحضرتك !

ردت نرمين بضحك:

=اسمع كلام مامي...حتى انا جوزي بيندها بإسمها عالطول، حتى جوز سامية، وكلنا بنكلمها وبنشيل التكاليف دي من بينا .

بينما كان أحمد يجلس باسترخاء، ويشرب العصير ببطء، تعبرت الحنكة في عينيه، وهو يتأمل في الكأس المليء بالسائل العذب، وبعد لحظات من التفكير العميق، أجاب ببساطة:

_خلاص زي ماتحبوا .

فيما كانت أم قمر الدين تستمتع بتناول قطعة من التشيز كيك اللذيذة، تفوح رائحة السعادة، والرضا من تعابير وجهها، قالت بنبرة ينبعث منها الدفاء:

=أخواتك عاملين ايه بقى، ومامي؟

رد أحمد بابتسامة:

_ماما كويسة الحمدلله، كلهم بخير .

نطقت أم قمر الدين بابتسامة:

=قول لمامي لازم تيجي تفعد معانا أسبوع تغير جو شوية .

رد أحمد بإحراج:

_مش عايزين نتقل عليكي .

تحدثت أم قمر الدين بتواضع:

=عيب متقولش كده، احنا بقينا أهل!

ضحك أحمد، وقال:

_حاضر إن شاء الله .

كأن الجميع يستمتعون بمشروباتهم، وأطعمتهم، وفي اليوم التالي كان جلال يجلس مع المعلم في صالة شقة أم الديب، وفجأة سمعوا صوت دق الباب القوي يخترق الهدوء المحيط، فعبّر المعلم حنفي باندهاش:

=اطلع شوف مين .

خرج جلال ينظر من البلكونة، ووقعت عيناه على منظر غير متوقع، إذ وجد حامد، ووالده عبد الغني، وأخوه أشرف يقفون حيال باب المنزل، والده يحمل بين يديه باقة من الزهور، وأشرف يحمل صندوقاً مليئاً بالحلوى والهدايا، فاندفعت تساؤلات جلال بفضول واضح، وبينما كان ينظر باهتمام، كأنه يحاول فك رموز اللحظة المليئة بالغموض، استقر سؤاله المتعجب على شفتيه، وهو يقول بدهشة:

_مين؟

رد حامد:

=عايزين نقابلكم .

نزل جلال بعجلة متناهية، وأسرع إلى باب المنزل بكل فضول، ففتحه، واستقبلهم، وأخذ بيديهم وأدخلهم داخل المنزل، وصعدوا معاً الدرجات المؤدية إلى شقة أم الديب بخطى ملؤها الانتظار، ودخلوا الصالة بمظهر يشع الفرح، وجلسوا متجمعين في دائرة واسعة من الحماس، حيث لاحظ حامد الجو المليء بالدهشة، فقرر أن ينطلق بأول كلماته بحنكة، وقال بصوته الهادئ:

_دي حاجة بسيطة كده .

بينما جلال كان يجلس مترقباً في الصالة، قدم له حامد طبق الحلوى بترقب، فأخذه جلال من يده، ووضعه جانباً ببساطة، معبراً عن تواضعه لضيوفهم. وفي هذا الوقت، أراد الحاج عبد الغني المخضرم أن يشارك بكلمة موجزة، فانطلق بصوته الثقيل المحمل بالحكمة، قائلاً:

=احنا هنجيلكم دوغري عالطول .

نطق المعلم حنفي بفضول:

_ماتتكلم !

رد عبد الغني:

=احنا عايزين بتكم نعمة لإبننا حمو .

تحدث المعلم حنفي بفضول:

_ابنك عنده ايه يا حاج؟

رد عبد الغني بثقة عارمة:

=عنده عربية كارو إنما ايه بحمارين مش حمار واحد، وشقة بتطل على الترعَة، ده غير عربية الكبدة اللي شغال عليها .

نطق جلال بنبرة ثابتة:

_ احنا بالصلاة على النبي كده عايزينكم تبينوا شقة فوق، احنا معندناش بنات تتجوز برا !

رد حامد بتعجب:

=ازاي يا باشا؟

رد جلال:

_يعني نعمة أختي هتقع فوق مننا .

أبدى حامد تأييده بابتسامة وافق فيها بكل احترام، مظهرًا استعداده للمتابعة، دون أدنى شك أو تردد، حيث أعطى إشارة برأسه تعبيراً عن موافقته وتقديره لما قاله جلال:

=وآني موافق .

رد جلال بسعادة:

_ يبقى على بركة الله... زغردي يا بت منك ليها !

أطلقت ليالي الزغاريد من غرفة نعمة، فانبهرت هايدي من سرعة موافقة أهلها لعريس أختها نعمة، فاستغربت كيف أنهم اتخذوا القرار بهذه السرعة، واليسر، وهي تعبر عن استغرابها بهذه الكلمات:
=ايه السهولة دي؟

ردت نعمة بسرور:

_ ملكيش دعوة يا بت... انتي غيرانه مني عشان هتخطب وانتي لا !
ردت هايدي بسخرية:

=هغير منك عشان هتخطبي لبيع على عربية كبده وسجق؟
قالت ليالي بهجة:

_ اسكتي يا بت منك ليها خلونا نفرح !

أطلقت ليالي الزغاريد مرة أخرى، فاستيقظت أم الديب فجأة من نومها، وعندما فتحت عينيها ونظرت حولها، وجدت ناسًا غرباء يتجمعون في منزلها، فخرجت كلمة التعجب من فمها وهي تتساءل بها:
=مين دول؟

المعلم حنفي بسعادة:

_ باركي لنعمة اتخطبت .

أم الديب بصوت حاد:

=وآني فين يا راجل؟ بقى موتني بالحياة؟

المعلم حنفي بصخب:

_ انا راجل البيت يا ولية، وكلمتي اللي هتمشي!

اقتربت أم الديب بخطى ثابتة، وعينيها تشتعلان بالنيران، وهي تنظر بعين حاده نحو المعلم حنفي، فتصاعدت حدة صوتها، وغلظتها، وهي تقول بصوت محمل بالاستياء:
=بقولك ايه!

لدرجة أن المعلم حنفي شعر بالفزع، والرعب الشديدين من سخط أم الديب الذي بدا واضحًا في عينيها المتألمتين بالغضب، والعريس، ووالده، وأخيه وقفوا متجمدين مكانهم، ملبدين توترًا، حيث ترجمت تعابير وجوههم الصامته خوفًا واضحًا من تصاعد الأمور. ثم ألقى المعلم حنفي ببضع كلمات مرتجفة، محاولاً بشدة تهدئة الأوضاع وتهدئة أم الديب المنفعلة:

_ خلاص يا ولية... انتي ليكي راي برضة !

ابتعدت أم الديب بخطوات ثقيلة عن المعلم حنفي، وقالت بصوت مليء بالانفعال:

=ماشني ياخويا .

لاحت أم الديب عينيها حولها، فوجدت حامد يقف بعيدًا مع أهله، فتقدمت نحوهم بخطوات متأنية، وعندما وصلت إليهم، قالت بابتسامة عريضة تملأ وجهها:

_ ايهي ده الواد حمو... ازيك يا ولا؟

رد حامد بقلق جسيم:

=ازيك ياما الديب أخبارك ايه؟

ردت أم الديب بسعادة:

_نحمد ونشكر ربنا .

أراد المعلم حنفي أن يكسب قلب أم الديب ببعض الكلمات الكاذبة، فتحدث بلطف مُصطنع، وقال بتأثير مُدروس:

=يلا يا ولية ده انتي قمر النهاردة حتى... ادخلي اعلمي كوبايتين شاي، واتوصي !

نطقت أم الديب بعدم اقتناع:

_بتثبتتي يا راجل؟

المعلم حنفي بكذب:

=لا دي الحقيقة .

ردت أم الديب بدلال حقير:

_ماشني آني رايحة .

تحدث المعلم حنفي في سره المكنون، وفي داخله يتردد صوت الكذب:

=سامحني يارب .

ثم نظر المعلم حنفي بعيون مليئة بالترقب، والتأمل نحو حامد، وأهله، كأنه يستمع إلى صدى أفكارهم في صمت متأن، ثم خرجت كلماته ببطء كأنها تتراقص على أطراف لسانه بينما قال:

_أقعد يا حاج... أقعد يا حامد... اقعدوا متخافوش !

جلس حامد، وعائلته مرة أخرى في الصالة المليئة بالترقب، وفي زاوية أخرى بحجرة الفتيات كانت

ليالي تحمل ابنها الرضيع بين يديها، وفي نفس الوقت تضع الروح لنعمة بابتسامة خافتة تنم عن

الاهتمام. وفي الخارج، كان جلال يراقب الوضع بانتباه شديد، وكأنه يشعر بأنه شاهد هذه اللقطة من

قبل، فبينما كان يتأمل، أخرج المطوى من جيب بنطاله بحركة سريعة، وأطلق صوته بحدة، وقوة، معبراً عن رفضه:

=هو مش انت يا ض اللي كنت بتقابل أختي؟

أجاب حامد بتلعثم:

_لا يا باشا تلاقيه شبه بينا .

رد جلال بامتعاض:

=بس انا حاسس أنه انت... ده لو طلع انت هشقك!

نزل الوحي على عقل حامد في ثانية والأخرى، وشعر بضرورة كسب قلب جلال ببعض الكلمات

المعسولة، فأعاد التفكير في استراتيجيته، وقرر الاقتراب بطريقة أكثر دبلوماسية، وودية، فوجه إليه

ابتسامة محببة، وقال بلباقة ونبرة مملوءة بالحنان:

_بس مش هتيجي منك يا معلم، انت شكلك بتفهم في الأصول ومش هتعملها .

أخفى جلال المطوى في جيبه مرة أخرى بحركة سريعة، وأبعدها عن الأنظار، ثم قال بثبات:

=عرفت منين؟

رد حامد بابتسامة:

_باين عليك راجل جدع .

تحدث جلال بسعادة:

=الله يخليك... على العموم عايز الشقة بداكورات حلوة .

رد حامد بابتسامة ودية، وهو يستوعب ما قاله جلال بتفهم، فظهرت على وجهه علامات الاستفهام:

_ ايه الداكورات دي؟

امتعض جلال قائلاً:

=انت شكلك عيل جاهل ومش فاهم حاجة وهنتعبننا .

أراد حامد أن يأخذ جلال على قدر عقله، فأبدى حماساً لتواصل فعّال وبنّاء، فقال:

_ معلش علامي على قدي .

رد جلال بثقة وهو يحاول أن يظهر بمظهر الشخص الحاذق، قائلاً ببساطة وبهمس متحفظ:

=الداكورات دي حاجات شكلها حلو ياض للشقة .

رد حامد:

_ أه .

في لحظة غير متوقعة دخلت أم الديب بكوب شاي واحد، وجلست أمامهم، ما أثار استغراب الحاضرين،

ولم يتمالك المعلم حنفي تعبيره، وقال بدهشة:

=فين الشاي يا ولية؟

وضعت أم الديب الشاي حيال المعلم حنفي، وقالت:

_ الشاي قدامك .

المعلم حنفي بدهشة:

=فين يا ولية؟ انتي شربتيه في المطبخ ولا ايه؟

ردت أم الديب بثقة متجاوزة، وكأنها تحمل مفاجأة في كلماتها، فأجابت بتأكيد:

_ كل واحد ياخذله بؤ .

رد عبد الغني باستهزاء:

=شكلك ست كريمة .

ردت أم الديب بثقة في النفس، حيث بدت واثقة، وقوية، وصدرت كلماتها بثبات:

_ أمال انت فكرك ايه؟ هو في حد زينا؟

نادى المعلم حنفي نعمة، قائلاً :

=بت يا نعمة، تعالي سلمى على عريسك !

خرجت نعمة من الغرفة، ووجهها مليء بالاحراج، وخلفها كانت ليالي تحمل ابنتها بين ذراعيها، وهابدي

تلتصق بجانبها، وفي عيونهن بصيص من الخجل، فخرجت كلماتها بصوتٍ خجول:

_ جيت يابا .

ثم جلست معهم، وبدا الحياء واضحاً على وجهها، حيث كانت توجه نظرها إلى الأرض بخجل عارم،

وفي هذا الوقت، قطع الصمت كلمات جلال بصوت ملؤه الدفء:

=العريس حمو هيعيشك في شقة فوق مننا، بس إنما ايه هيعملهاك على مستوي عالي .

ردت نعمة بخجل، وهي تضم أيديها لأرجلها، وظهرت علامات الإحراج على وجهها، فبادرت بلفت

النظر إلى أرضية الصلاة:

_ وانا موافقة .

رد جلال بسعادة:

=زغردى يا بت يا ليالي .

زغردت ليالي بفرحة غامرة، ثم دخلت المطبخ حيث قامت بصب العصير في الأكواب ببراعة، وبعد ذلك خرجت، وقامت بتوزيعه على الموجودين بنشاط، بينما وقفت هايدي بهاتفها تلتقط بعض الصور للعريس، والعروس بتركيز، فلم يملك المعلم حنفي سوى قول:

_ نقرأ الفاتحة بقي .

رد عبد الغني بفرحة:

=على بركة الله .

رفع الجميع أيديهم تُجاه السماء، وتلاوا الفاتحة بتأمل، وخشوع، وفي ذات الوقت زغردت أم الديب بفرح غامر، وانضمت لها ليالي في فرحة جديدة، وفي هذا السياق، عبر جلال بدهشة:

_ هو مش المفروض نقرأ الفاتحة بعد ما نتفق؟

رد حامد بسعادة:

=مش هتفرق كثير يا معلم، كله في النهاية واحد .

رد جلال:

_ احنا بإذن الله عايزين شبكة بخمسين ألف جنية .

نطقت أم الديب باعتراض:

=ايه دول قليلين أوي على البيت، ماهي بت سلامة مش أحسن منها في حاجة... أني عاوزة شبكة

بخمسة وتسعين ألف جنية !

رد المعلم حنفي بدهشة:

_ جرا ايه هو احنا في مزاد؟ احنا أهم حاجة عندنا عريس بتك يشيلها في عينه، وميز عليهاش !

رد جلال بإقتناع:

=كلام موزون يابا، بس انا حاسس أني شوفته قبل كده !

قبل أن يخرج المطوى من جيبه مرة ثانية، أمسك حامد بيده بقلق، ولكنه لم يمنع ضحكته المتوترة من

الظهور، وقال بصوت مرتعش، محاولاً تخفيف الجو المتوتر:

_ يا باشا يخلق من الشبه أربعين .

رد جلال بإقتناع:

=كلام موزون...يبقى متفقين على خمسين ألف .

صاحت أم الديب في وجه جلال، وقالت:

_ وأناي قولت بت سلامة مش أحسن منها في حاجة... أني عاوزة شبكة لبتني بمليون جنية !

ضحك حامد، وعائلته، فقال:

=انتي بتهزري يا حاجة؟ لا الصراحة وسعت منك أوي المرة دي .

أشار المعلم حنفي بوجهه بحركة خفيفة نحو حامد، وكانت هناك لغة إشارة تنقل بينهما بمعنى "خذها

على حجم عقلها"، فرد حامد بابتسامة ملتوية، تعبيراً عن فهمه للتوجيه الذي وصل له الإشارة:

_ خلاص وماله، احنا نخليهم اتنين مليون جنية، ولا تزعلي نفسك يا حاجة .

ردت أم الديب بسعادة:

=وأني موافقة .

فرح الجميع بمزاج، وانقضى اليوم على خير، وسعادة، وبعد مضي يومين، انطلقت العائلة لشراء شبكة

العروسين بصحبة جلال، وزوجته، وابنه، في حين كان أحمد، وجميلة في عالم النوم في ذلك الوقت.

فجأة، استيقظت جميلة متألمة من تعب شنيع، فوضعت يدها على شفتيها وركضت إلى المرحاض لتتقيأ، فلاحظ أحمد تعب زوجته، فانتابه القلق، حيث وقف خلفها يعبر عن قلقه بصوتٍ مليء بالتوتر:
_مالك يا جميلة، حصلك ايه؟

ردت جميلة بتعب مَنين، حيث بدت ملامح الإرهاق واضحة على وجهها، وصوتها ينطلق بصعوبة:
=مفيش حاجة انا.... انا كويسة .

تقيأت مرة أخرى، كموجة من التعب الذي اجتاح جسدها، وعندما خرجت من المرحاض، كانت تشعر بضعف قوي يعصف بها. وهناك، وقف أحمد في ركنًا مضيئًا من الراحة، ينتظرها بكوب الماء المنعش، والمسكن. وعندما دخلت الغرفة وجلست على السرير، أحس بأحمد بقسوة معاناتها وتعبها، فجلس بجانبها، وكأن يديه تعبيرًا عن حنانه، ورعايته، بينما أعطاها الدواء، والمياه بلطف، وبعد أن تناولت جميلة الدواء بانتباه، غمرتها موجة من الإرهاق، واستسلمت للتعب المهول، بينما وضع أحمد يده الدافئة برفق على جبينها، يبحث عن آثار الحمى، وفي لحظة هادئة من القلق، انسكب منه صوتٌ مليء بالرفق:
_حرارتك عادية...أمال مالك في ايه؟

ردت جميلة بألم:

=مش عارفة .

رد أحمد:

_احنا لازم نروح للدكتور، نكشف ونطمئن عليك!

ردت جميلة بإعياء:

=مالوش لزوم...انا هبقى كويسة!

تحدث أحمد وهو يحمل في قلبه قلقًا عميقًا على جميلة، وكأن كلماته تنبعث من دواخله المضطربة، بصوت متأثر:

_لا يا جميلة، لازم نروح نكشف عليك، انا مش هكون مرتاح كده .

ردت جميلة بابتسامة:

=صدقني انا كويسة، الموضوع مش مستاهل !

رن هاتف جميلة بصوت يعلو في الغرفة، فسارعت للرد عليه بحركة سريعة، تعكس قلقها، وفضولها لمعرفة هوية المتصل:

=ألو .

رد قمر الدين بود:

_عاملة ايه يا جميلة؟

ردت جميلة بحب:

=الحمدلله، انت عامل ايه يا حبيبي؟

رد قمر الدين بسعادة:

_الحمدلله بخير، انتي وأحمد موجودين في البيت؟

ردت جميلة بتعجب:

=أه موجودين، بس ليه؟

رد قمر الدين:

_ هاجي أقعد معاكوا انا وعلاء الدين شوية... انتي عارفة ان علاء محدش بيعرفله طريق، وانا بصراحة ما صدقت أنه جه، المهم بس انكوا تكونوا فاضيين !

ردت جميلة باشتياق:

=طبعًا يا حبيبي تيجوا تنورونا، احنا في إنتظاركم !

أجاب قمر الدين بابتسامة:

_ ماشي يا جميلة، مسافة الطريق ونكون عندكم .

نطقت جميلة بلطف:

=أوكي يا حبيبي، باي !

انتهت المكالمة الهاتفية، وظهرت على وجه أحمد علامات الفضول، والقلق، فسألها باهتمام:

_ بتكلمي مين؟

ردت جميلة:

=ده قمر الدين... هيجي هو وعلاء يقعدوا معنا شوية .

رد أحمد بتعجب، وهو يلقي نظرة سريعة على ملابسه، بينما يتأمل تفاصيلها باندھاش، قائلاً بصوتٍ

متسائل:

_ دلوقتي؟

ردت جميلة:

=أه دلوقتي، يادوب نغير هدومنا .

وقفت جميلة إزاء خزانة الملابس، حيث بدأت تتصفح الأزياء بحثًا عن الطقم الملائم لأحمد، وعندما

وجدت ما تبحث عنه، استخرجته برفق، ثم أعطته لأحمد، وقالت بابتسامة دافئة، وحب:

=ده هيكون حلو أوي عليك .

اختارت لها طقمًا يشابه ثيابها بنفس الشكل واللون، مبديةً تضامنها وتوافقها معه، وأردفت بلطف:

=هيكون ماتشينج حلو جدًا .

استلم أحمد ملابسه وبدأ في تغييرها، بينما فعلت جميلة الأمر نفسه بكل هدوء. وبعد مرور نصف ساعة،

وصل قمر الدين، وعلاء الدين، أخوا جميلة، في زيارة محملة بالحلوى. استقبلتهم جميلة بابتسامة دافئة

وابتهاج لهذه الزيارة المبهجة. عانقها قمر الدين بحنان، معبرًا عن فرحته برويتها، قائلاً بصوت مملوء

بالمحبة:

_ طمني عليكي، انتي كويسة؟

ردت جميلة بابتسامة:

=أه يا حبيبي انا بخير .

عانق أحمد قمر الدين، في لحظة تعبير عن الترحيب، بينما قام علاء الدين بعناق جميلة بتقدير، وفي

تعبير عن الود، قال بصوتٍ مليء بالمودة:

Hey_ يا مزة، أخبارك ايه؟

ردت جميلة بابتسامة:

=Good.

دخل الجميع خلف أحمد في الريسبيشن، وجلسوا متراصين بين الأجواء الحميمية، والترحيب. وعندما وضع قمر الدين الحلوى على الطاولة أمامهم، أعرب أحمد عن شكره وتقديره بابتسامة دافئة، قائلاً بلطف:

_منورين الدنيا كلها.

رد قمر الدين بابتسامة:

=منورة بيك انت وجميلة.

قالت جميلة باهتمام:

_تشرب ايه يا قمر الدين انت وعلاء؟

رد قمر الدين في حين هو يستخرج العبوة، قائلاً:

=أه صحيح، ماما بعنالك السالمون اللي بتحببيه.

وأمسك عبوة الحلوى، وأردف:

=دي بقى التحلية.

ردت جميلة بسرور:

_ميرسي يا روجي...ها تشربوا ايه؟

أجاب قمر الدين:

=قهوة سادة .

رد علاء الدين:

_وانا برتقان .

ردت جميلة:

=أوكي .

دخلت جميلة المطبخ، حيث استأذن أحمد من أخوات جميلة لمساعدتها في التحضيرات. فلم يتأخر خلفها، فسارع وراءها إلى المطبخ، ثم نطق بقلق:

_انتي بتعملي ايه؟ انتي تعبانة... سيبي اللي في ايدك ده وانا هعمل بدالك !

قبل أن تجيب جميلة، استنشقت رائحة السالمون المشوي التي انتشرت في المطبخ، فشعرت بالاشمئزاز، ووضعت يدها على فمها بتعبير عن عدم ارتياحها ورفضها للرائحة:

=ايه ده؟ السالمون بايظ !

اقترب أحمد من السالمون واستنشق رائحته، فوجده ذا جاذبية مُغرية. فقرر تذوقه، وعندما فعل، وجد الطعم سليماً، وممتازاً، فعبر بدهشة:

_انا مش شايف أنه فيه أي حاجة!... حتى بصي !

قرب أحمد منها قطعة السالمون بثقة، لكن جميلة صرخت بشدة ووضعت يدها على فمها بانزعاج، واشمئزاز، إذ لا تتحمل استنشاق أي رائحة، وهزلت بسرعة نحو المرحاض حيث قامت بالتقيؤ للمرة الثانية. بينما عادت نعمة إلى المنزل وجلست على الأريكة بعلبة الذهب بين يديها، أطلقت أم الديب الزغاريد بسرور، معبرة عن فرحتها، وسعادتها:

=مبروك يا بت .

ردت نعمة بسعادة:

_ الله يبارك فيكي ياما .

جلست أم الديب بجانبها، وقالت:

=هتعملوا الشبكة امتي؟

ردت نعمة بضيق:

_ حمو مش عاوز يعمل شبكة، يادوب هنلبس الدبل على الضيق كده .

تفوهت أم الديب بصياح:

=ايهي، بقى هو مستخسر فيكي الشبكة؟ من أولها بخيل و إيحة؟

ردت نعمة بدهشة:

_ ياما الشبكة علينا احنا... الفرح هو اللي عليهم!

ردت أم الديب:

=بس الواد دهو بيفهم، بلا شبكة بلا كلام فاضي... دي فلوس على الفاضي يا بت !

تعجبت نعمة من تغيّر حديث أم الديب بين لحظةٍ، وأخرى، حيث اندهشت من سرعة تبديل الموضوع

فور معرفتها بأنهم هم الملزمون بتكاليف الخطبة، وليس العريس. وبينما تتأمل هذا التحول المفاجئ في

الحديث، لم تستطع سوى التعبير عن استغرابها بصوتٍ مليء بالدهشة:

_ سبحان مغير الأحوال ياما، مش من شوية كان بخيل، وإيحه... دلوقتي بقدرة قادر بقيت الشبكة كخه

وفلوس على الفاضي؟

ردت أم الديب بصياح:

=واحنا لية نصرف، ده احنا مجوزين أخواتك الاتنين بخلع الضرس، ولا هو كل كام شهر يطلعنا واحد

شكل؟

ردت نعمة بامتعاض:

_ وهي يعني جات عليا ياما؟ ما جلال وأحمد عملوا شبكة، اشمعنا انا يعني؟

نطقت هايدي بسخرية:

=احمدي ربنا انك مش هيتعملك، على الأقل مش هتلاقي اللي بيوظهالك .

قفزت أم الديب على هايدي، ووطأت رأسها بقوة، وهي تصرخ في وجهها بكل حدة، وغضب، قائلة

بصوت مرتفع مليء بالانتقام:

_ تقصدي ايه يا بت انتي؟ ردي تقصدي ايه؟

ازداد صراخ هايدي، فقالت:

=سبييني في حالي بقى... انا زهقت منك، وقرفت!

وقفت نعمة في المنتصف، متحملة كل ضربة تصيب رأسها بدلاً من رأس هايدي، فصرخت بصوتٍ

مرتفع، معبرة عن ألمها، في لحظة مؤثرة من الصراخ:

_ هو انتي ما بتصدقي تمسكي في الكلمة عشان تتخانقي و خلاص؟

تشبثت أم الديب بقبضة قوية في نعمة، وهايدي، ثم اصطدمت بهما بقوة مما تسبب في سقوطهما معاً

على الأرض. وبدت علامات الصدمة على وجوههما. لكنها تركتهما ودخلت المطبخ بخطوات ثابتة

لتحضير الساندوتش المفضل لها، معبرة بصوتٍ متوتر:

= هو ماله الجوع بقى زايد عليا اليومين دول كده ليه؟

أثناء لعب أحمد، وقمر الدين، وعلاء الدين البلايستيشن أمام التلفاز بكل حماس، كانت جميلة تجلس في الغرفة على سريرها، مشعرة بالتعب، والإرهاق الشديد. وفي تلك الأثناء، كانت تتحدث بصوت متضايق في المكالمة مع والدتها:

_يا مامي انتي ليه مش عايزه تصدقيني؟ السالمون فعلاً ريحته مش حلوه !

ردت أم قمر الدين بدهشة:

=يا حبيبتي اللي عندي هو نفس اللي عندك، وانا بقول أنه لذيذ جداً وريحته تجنن، ومفيهوش أي حاجة من اللي بتقولي عليها دي !

ردت جميلة بإعياء:

_مش عارفة بقى يا مامي .

ردت أم قمر الدين بشك:

=معقول انا وجوزك هنكون غلط، وانتي اللي صح؟ على العموم انا بقول إنك تكشفني أحسن، لان واضح من الأعراض اللي عندك أنك حامل !

انصدمت جميلة لأنها لم تكن تنوي الإنجاب إلا بعد عام آخر، ولن تكون قادرة على تحمل مسؤولية رعاية طفل رضيع في هذا الوقت، لذا قالت بذعر:

_لا لا يا مامي، مانتي عارفة إن انا مأجلة الخلفة سنة أو سنة ونص كمان... انا مش هقدر على كل ده دلوقتي خالص !

ضحكت أم قمر الدين، وقالت:

=بس انا متأكدة أنك حامل... عادي يا حبيبتي مفترقتش من سنة كمان، المهم بس تكشفني وتطمني .

ردت جميلة بشك:

_تفتكري؟

أجابت أم قمر الدين:

=ده انا أفكر جداً كمان، ممكن تسمعي الكلام وتروحي تكشفني، وتطمنيني عليكي ضروري .

نطقت جميلة بحيرة:

_حاضر يا مامي .

بالفعل، خرجت جميلة من غرفتها ووصلت إلى الريسبيشن، وقبل أن تتلفظ بأي كلمة، أصابها دوار حاد، مما تسبب في اختلال توازنها وسقوطها على الأرض. سرعان ما ترك أحمد وأخواتها ما كان في أيديهم وهرعوا لمساعدتها، وأمسكوا بها بقلق كبير. قال أحمد بصوت مليء بالخوف:

=جميلة...مالك يا جميلة في ايه؟

تحدثت قمر الدين بصراخ:

_جميلة مالها؟

أجاب أحمد بفزع:

=مش عارف، بس بقالها كام يوم مش مضبوطة!

نطق علاء الدين بارتياح:

_ طيب شيلوها معايا .

بعد أن حملوا جميلة ووضعوها في السيارة، اتجهوا سريعًا نحو عيادة الطبيب. وعندما قام الطبيب بفحصها وتقديم العلاج الضروري، عادوا إلى مكتبه حيث بدأوا بالتفكير في التشخيص الذي ستكون عليه الحالة، وفي هذا السياق قال قمر الدين بصوت مليء بالقلق:

=جميلة عندها ايه يا دكتور؟

رد الطبيب بابتسامة:

_مبروك مدام جميلة حامل في شهر ونص .

يتبع....

الفصل الثامن عشر

فرح أحمد فرح شديد لا يُضاهى لدى علمه بخبر حمل زوجته، فأبدى للطبيب انبهارًا قائلاً:

_بس احنا مأجلين الخلفة سنة كمان، وجميلة ماشية على نظام معين!

رد الطبيب بابتسامة:

=ولا مليون طريقة هتمنع إرادة ربنا... ياما ناس مشيت على الموانع وفي النهاية ربنا رزقهم بالأطفال دلوقتي .

بينما زادت السعادة بوجه أحمد، واصل الطبيب:

=انتوا بقالكم قد ايه متجوزين؟

رد أحمد بسعادة:

_من حوالي سنة ونص .

نطق الطبيب:

=انا شايف أن ده الوقت المناسب جدًا، على العموم مبروك .

رد أحمد ببهجة:

_الله يبارك فيك .

فجأة خرجت جميلة من خلف الستار، فوقف أحمد متجهًا نحوها، وبدت السعادة تتفجر من عينيه وهو يمسك بها بيديه، وببهجة غامرة قال:

=ألف مبروك يا حبيبتي، ده أحلى خبر انا سمعته في حياتي كلها !

ردت جميلة بابتسامة تنبعث منها السعادة ولكنها ممتزجة بالتعب، تعكس مشاعرها المختلطة:

_الله يبارك فيك يا حياتي .

كتب الطبيب الأدوية التي ستلتزم بها جميلة طوال فترة الحمل، ووضع القلم جانبًا وأخذ لحظة من الصمت، ثم ألقى نظرة متأملة نحوها، وقال باهتمام:

=انا كاتب الميعاد المناسب قصاد كل علاج، ياريت نلتزم بيه يوميًا .

استلم أحمد رويشة العلاج من الطبيب، وبعد أن أمسك بها بيديه بعناية، قال بثقة:

_حاضر يا دكتور متقلّش .

خرج أحمد، وجميلة، وعقبهم قمر الدين، بينما غادر علاء الدين دون أن ينتظر، حتى وصلوا إلى سيارة جميلة التي كانت هناك، في لحظة مفاجئة من الفرحة، عانق قمر الدين أخته الصغيرة بشدة، معبرًا عن فرحته بها وباللحظة التي تعيشها العائلة، وقال بهمس مليء بالمودة:

=ألف مبروك يا جميلة، عقبال ما حبيب خالو يوصل بالسلامة .

ضحكت جميلة، وقالت:

_ الله يبارك فيك يا حبيبي، ربنا يخليك ليا، وميحرمني منك .

رد قمر الدين بفرحة غامرة:

=خذي بالك من نفسك .

بينما أردف لأحمد باهتمام:

=وانت يا أحمد خذ بالك منها وحطها في عينيك !

رد أحمد بمودة:

_ كل ده هيحصل من غير ماتقول .

نطق قمر الدين بابتسامة تملأ وجهه، وهو يركب سيارته، حيث تتجلى السعادة في عينيه، وتنعكس على

ملامح وجهه:

=سلام .

رد أحمد:

_ سلام .

أخذ أحمد جميلة إلى مقعدها بالسيارة، وفتح الباب بنفسه بعناية، وبعد أن جلست بهدوء، جلس هو الآخر

على مقعده، ثم انطلقوا في رحلة العودة إلى المنزل. وبعد وصولهما، ودخولهما الشقة الخاصة بهم،

أغلق أحمد الباب خلفهما، ثم أمسك بيد جميلة بلطف، وحنان، فوصلت إلى سريرها وجلست. فجلس

حيالها، وأمسك يدها بين كفيه، وبوجه ينبض بالسعادة، قال بهمس مفعم بالفرح:

=اعلمي حسابك يا حبيبتي، مش هتعملي أي حاجة في البيت لحد ما التمن شهور الجايين يعدوا على

خير !

ضحكت جميلة، وقالت برقة:

_ طب والأكل مين اللي هيجهزه؟

رد أحمد بابتسامة ملؤها الثقة، وهو يشير بيد مؤمنة على نفسه، معبرًا بذلك عن ثقته الكاملة:

=انا طبعًا، ولا انتي مش واثقة فيا؟

ضحكت جميلة، وقالت:

_ أكيد واثقة فيك، بس بجد مش عايزة أتعبك!

رد أحمد بسعادة:

=كله يهون عشان خاطر عيونك يا حبيبتي .

اقتربت جميلة من أحمد، وبدت عليها عبارة الحب، فعانقته بشدة، وبينما كانت تشعر بدفء حضنه، قالت

بعبارة مليئة بالمشاعر:

_ ميرسي يا روعي... بجد انا مش عارفة أشكرك ازاى على كل ده!

أمسك أحمد بيد جميلة بحنان، ثم قبلها بلطف وهو يعبر عن مشاعره بكلمة بسيطة قائلاً:

=انتى غالية على قلبي أوي يا جميلة، ونفسي أشوفك مبسوطه، ومرتاحة... انا بجد مش عايز أكثر من

كده !

ردت جميلة بحب متجاوبة مع اللحظة، وبصوتٍ رقيقٍ مفعم بالعاطفة، والود:

_ انا مبسوطه لأنك في حياتي .

قبل أحمد يد جميلة للمرة الثانية بحنان، ثم قبل رأسها بلطف أيضاً، ووقف مكانه محاطاً بالسعادة التي ملأت حياته بأكملها، معبراً بكلمة مفعمة بالمحبة:

=هدخل انا بقى أجهز الأكل... بس او عديني انك متتحركيش!
ضحكت جميلة، وقالت:

_أوعدك!

ضحك أحمد هو الآخر، وقال:

=ماشى .

ثم دخل أحمد المطبخ، وارتدى المِريلة بينما كانت حركته تنبض بالحيوية، واستخرج عبوة الدجاج، وعبوة البطاطا من المثلج، وكذلك عبوة المعكرونة من دولا ب التخزين، ثم وضعهم جانباً بإتقان. وبعد ذلك، اتصل بأُم الديب، وبينما كانت تأكل كالعادة، أجابت على الهاتف، فقال أحمد بسعادة:

=ازيك يا ماما، أخبارك ايه؟

ردت أم الديب، محاولةً التحدث بينما كانت تحتجز كتلة ضخمة من الطعام في فمها، قائلة بصوت مكتوم:

_كويسة... انت عامل ايه يا ولا انت، والعروسة جميلة؟

لكن أحمد لم يستوعب أي شيء من كلام أم الديب، فأجاب بصوتٍ مليء بالاستفهام:

=هو انتي بتاكلتي؟

ردت أم الديب بعد أن ابتلعت الطعام:

_بقولك ياخويا كويسة... انت ومراتك عاملين ايه؟

تحدث أحمد بسعادة:

=كويسين الحمدلله، ده انا عندي ليكي حنة خبر بمليون جنية .

فرحت أم الديب بتجاوب أحمد، وبينما كانت تبتسم، قالت بلهفة:

_خبر ايه ده يا ولا؟ انطق!

رد أحمد بسعادة:

=هنتبقي جدة للمرة الثانية... جميلة حامل يا ماما!

صرخت أم الديب من شدة فرحتها، فوقفت في مكانها، وعبرت بفرحة غامرة قائلة:

_ايهي انت بتتكلم بجد ياخويا؟

رد أحمد بسعادة:

=أه والله... احنا لسة راجعين من عند الدكتور، واتأكدنا .

أطلقت أم الديب الزغاريد بصوتٍ عالٍ يعبر عن فرحتها الهائلة، وفجأة ألقت الهاتف بعيداً كمظهرٍ لانشغالها بالفرح، ثم وقفت في منتصف الدرج وتابعت زغاريدها بشغف. وفيما كانت هذه اللحظات تجتاحها البهجة، أمسكت نعمة الهاتف واضطرت للتحدث بدلاً من أم الديب، معبرةً عن دهشتها بالوضع المفاجئ:

_الو... الكلام ده بحق وحقوقي؟

رد أحمد ببهجة:

=أه والله، انتوا ليه مستغربين أوي كده؟

في منتصف الدرج، كانت أم الديب تصيح بصوتها المرتفع، تصرخ قائلة بكل حماس:

_بت الأكاير حبله يا عالم، وكلها كام شهر ويشرف حفيدي اللي هيجي ينور علينا حياتنا .
زغردت أم الديب بكل حماس للمرة الثانية، فانطلق جلال من شقته متلهفًا على صوت زغاريدها، وفي اعتقاده أنها تعلن عن حدثٍ جديدٍ في زواج نعمة، فتعجب، وهو يتساءل بدهشة:
=ايه ياما، هو انتوا حددتوا فرح نعمة وانا معرفش؟

ردت أم الديب بسعادة:

_مرات أخوك حبله، وهتجيب الواد !

بينما كانت تصدح بزغاريد الفرح مجددًا، خرجت ليالي إلى الخارج، حيث وجدت جلال ينظر من بئر الدرج، فعبرت بصوتٍ مليء بالدهشة:
=ايه صوت الزغاريد دي؟

رد جلال:

_أمي بتقول إن أبله جميلة حامل .

اشتعلت ليالي بنار الغيرة، حيث عبرت عن امتعاضها قائلة:

=واحنا مالنا؟ يلا خش جوا وفكك من حوارات أمك دي !

عندما دخل جلال مع زوجته إلى المنزل، أغلق الباب بحرص، وانغمست أم الديب في المطبخ لتجهيز المياه بالسكر، بينما تأرجحت نغمات الهدوء في المكان. بينما استقر المعلم حنفي على الأريكة بحثًا عن لحظات الراحة، لم تتمالك نعمة سعادتها وهي تعلن ببهجة:

_مش جميلة حامل يابا؟

رد المعلم حنفي بدهشة:

=ياه أخيرًا؟ ده أخوكي، ومراته دللوا لساني عشان يسمعوا الكلام .

ردت نعمة بسرور:

_أه والله يابا... ده حتى النسوان هنا كانوا كل مايشوفوا وشي يقولولي أما أحمد أخوكي، ومراته مخفوش لحد دلوقتي ليه؟ مكنتش عارفة أقولهم ايه، كانت رقبتني قد السمسة .

نطق المعلم حنفي بانفعال:

=وهما مالهم يا بت؟ كل واحد حر في حياته، دي حاجة مالهمش فيها .

ردت نعمة:

_أه والله يابا عندك حق بصراحة .

خرجت أم الديب من المطبخ، وقدمت كوب الماء بالسكر للمعلم حنفي حيث أعرب عن دهشته قائلاً:
=ايه ده يا ولية؟

ردت أم الديب بسعادة:

_ماية بسكر بمناسبة الخبر الحلو دهو .

نطق المعلم حنفي بسخرية:

=ماية بسكر مرة واحدة؟ طب وجاية على نفسك ليه؟

في مشهدٍ يعكس سرعة الحدث، وحركته، لم تتردد أم الديب في شرب كوب المياه بالسكر بمدة زمنية قصيرة جدًا، تتراوح بين ثانية، وثانيتين، وبعد أن انتهت من الشرب، مسحت فمها بيدها بحركة سريعة وفورية، ثم أطلقت صوتًا حادًا يعبر عن انزعاجها:

_وفرت ياخويا .

تحدث المعلم حنفي بتعجب:

=ده انا يا ولية مكنتش لسة كملت كلامي، في ساعتها كده بلعتي الكوباية؟

ردت أم الديب بصوت جلف:

_ اللي بياكل على ضرسه، بينفع نفسه !

دخلت أم الديب المطبخ مجددًا، حيث بدأت في التحضير لطعامها بجد، واجتهاد. وفي هذا الوقت، ألقى المعلم حنفي نظرة نحو المطبخ، ثم أدلى بتعليقه قائلاً:

=نفسى أشوفك مرة مبتاكليش... ده انتي بلاعة !

أما في منزل أحمد، وجميلة، في لحظات هادئة، وممتعة، كانت جميلة مستلقية على السرير بتأمل، تتبادل الحديث مع والدتها في الهاتف بلهجة مليئة بالحنان:

_ يا حبيبتي انا مش عايزة حد يجي يساعدي، انا وأحمد متفقين إن محدش غريب يدخل بيتنا .

ردت أم قمر الدين بذهول:

=غريبة فعلاً، مانتي طول عمرك عايشة وسط الخدم، وعمرك ما عملتي حاجة بنفسك، اشمعنا دلوقتي؟

تنهدت جميلة، وقالت بلطف:

_ الوضع دلوقتي مختلف ١٨٠ درجة...أحمد مش متعود على حكاية الخدم دي، وانا كمان بصراحة مش حابة إن حد غريب يدخل ما بينا، انا وهو محتاجين نكون على راحتنا .

ردت أم قمر الدين بتفهم:

=خلاص يا حبيبتي زي ما تحبي، ده كان مجرد اقتراح مش أكثر!

تفوهت جميلة بحب:

_ انا عارفة يا مامي أنك عايزة تساعديني، بس انا بجد هكون مرتاحة كده أكثر .

نطقت أم قمر الدين بدهشة:

=طب ومين اللي هيقوم بخدمتك يا جميلة؟ مش معقول هتقدي جوزك جنب منك أربعة وعشرين ساعة!

تنهدت جميلة برفق، ومن خلال هذا الزفير العميق عبرت عن مشاعرها الداخلية، ثم تحدثت بصوت هادئ ينطلق من أعماقها:

_ عندك حق يا مامي انا عارفة...بس سيبيني يومين أفكر في الموضوع ده، وأكد ليها حل.

ردت قمر الدين:

=أوكي يا حبيبتي، خدي بالك من نفسك انتي والبيبي !

ردت جميلة:

_ حاضر.

في هذا الوقت، دخل أحمد بالطعام ووضعها بعناية على السرير أمام زوجته، فردت جميلة وهي تبتسم

بلطف، معبرة عن شكرها، ورضاها:

=ميرسي يا روعي، تعبتك معايا أوي.

رد أحمد بفرحة مرسومة على شفثيه:

_ ده انتي تعبك راحة...المهم كلي كويس، وبعد ما تاكلي، هتشربي اللبن، أنا سمعت إن الكالسيوم اللي

فيه مفيد أوي ليكي.

بدأ أحمد بعناية متناهية في تقديم الطعام لجميلة بيده بلطف فائق، حرصًا على راحتها، وسعادتها. وعندما شعرت جميلة بنكهة الطعام اللذيذ، والمميز، انتبهت بكل تفاصيله، مما أظهر اهتمامها العميق وتقديرها لهذه اللحظة، ولم يمكنها إلا أن تعبر عن إعجابها ببساطة:

=بجد تسلم إيديك... الأكل يجنن!

رد أحمد بسعادة:

_عرفتي إن انا مصدر ثقة؟

ضحكت جميلة، وقالت:

=طبعًا... انا عارفة من زمان.

فجأة، تبدلت ملامح وجه جميلة إلى تعب واضح، واشتعلت البراقة في عينيها، فأسرت لوضع يدها على فمها، محاولة كبت موجة الغثيان القادمة، ومع ملامح الإعياء، أمسكت بالسلة التي تجوارها، وتقيأت بشكل مفاجئ، وعندما تحدثت، جاء صوتها بالضعف، ينعكس تأثيرها الجسدي بما حدث، حيث نطقت بألم:

I'm sorry _بجد.

في الظاهر، تبدو اللحظات الحلوة كلاً من الخيال، لكن الواقع يقدم دائماً تحدياته الصعبة، والمفاجئة. بعد مرور أربعة أشهر من بداية مساعدة أحمد لجميلة في جميع جوانب حياتها المنزلية، حيث تحول إلى الشخص الذي يقوم بإعداد الطعام، وتنظيف المنزل، بالإضافة إلى البحث المتواصل، والدراسة من خلال مشاهدة فيديوهات تعليمية حول الطهي، وقراءة كتب حول كيفية التعامل مع الزوجة الحامل، وتربية الأطفال بصحة نفسية جيدة، وها الآن جميلة، وسامية يتواجدون في عيادة الطبيب بانتظار نتائج الفحص الطبي، وكما جلس الطبيب على مكتبه بعد الانتهاء من الكشف على جميلة، خرجت هي وأختها الكبرى سامية من خلف الستار، وجلستا على الكراسي المخصصة للمرضى، وفي هذه اللحظة التي تعتبر مفصلية، ومهمة، أخذت سامية تفسح المجال للتحدث، عبّرت عن تفاعلها، ورأيها بشكل واضح:

_ياريت يا دكتور ماتقولش نوع البيبي قصاد جميلة، لأننا ناويين نعمل gender reveal.

رد الطبيب:

=مفيش أي مشاكل يا مدام سامية .

دون الطبيب نوع الجنين في ورقة مخصصة، أعطاها لسامية بعناية، وفي هذه اللحظة المهمة، أبدت سامية ابتسامة تعبيرية تنطلق من عمق تفاعلها، وكلماتها تحمل نبرة من البهجة:

_طمني بقى على جميلة، والبيبي... صحتهم كويسة؟

رد الطبيب بابتسامة:

=جداً الحمد لله... عايزين نفضل كده دايمًا لحد آخر يوم في الشهر التاسع .

نطقت جميلة باطمئنان:

_طب كويس يا دكتور، بجد حضرتك طمنتني .

رد الطبيب بتقدير:

=نورتوني النهاردة .

تفوهت جميلة بلطف:

_ميرسي ده نور حضرتك .

بعد خروج جميلة، وسامية من عيادة الطبيب، وقفنا معاً في الشارع وسط الهواء الطلق، ثم انطلقوا لركوب السيارة معاً، وفي الوقت ذاته كانت نعمة، وليالي يتجولان في شوارع القرية بحثاً عن أول جزء من جهاز زفاف نعمة، حيث بدأ الحر يشتد عليهم، فتوقفت ليالي لتأخذ قسطاً من الراحة، ووضعت يدها على رأسها في محاولة لتفادي أشعة الشمس الحارقة، ثم تحدثت نعمة بصوتٍ متعب :

=مالك يا ليالي، هو من أولها كده؟

ردت ليالي بحرارة:

_الجو نار مش قادرة، ما قولتلك نركب توكتوك أحسنلنا بدل مشيتنا في حر جهنم دي!

تحدثت نعمة بدهشة:

=وهي مستاهلة توكتوك؟ ما المحلات قصادنا أهو، ده يادوب خطوتين ونوصل!

نظرت ليالي حولها بحثاً عن مظلة أو مأوى من الحر، فوجدت معصرة إزاءها، فعبرت بتعبيرٍ من

الارتياح:

_بقولك ايه... احنا ناخذلنا كوبايتين مانجا يطروا علينا في الجو المنيل ده، هنتشربي معايا ولا لا؟

ردت نعمة بإرهاق:

=نشرب، منشربش ليه؟

استخرجت ليالي المال من حقيبتها بحركة ثابتة، ثم سارعت نحو البائع الذي يتواجد بالمعصرة، وبينما

وجهت له ابتسامة، أعربت عن رغبتها بشراء المنتج قائلة بلطف:

_إدينا اتنين مانجا في كوبايات بلاستيك الله يسترك .

رد البائع بابتسامة خافتة:

=أحلى كوبايتين مانجا .

صب البائع المانجو في الأكواب، وجهزها، ثم سلمها للزبائن بانتظام أبدت ليالي رضاها، وسرورها

بالطلب قائلة:

_بكام؟

رد البائع:

١٤ = جنية .

بعدما دفعت ليالي المال للبائع وأخذت الباقي، غادرت هي، ونعمة المكان وهم يستمتعون بشرب عصير

المانجو المثالج في الجو الحار، حتى وصلوا إلى متجر بيع أجهزة العروس. وبينما كانت نعمة، وليالي

يتفحصان المعروضات بحثاً عما يناسبهم. وجدوا طقم الأواني المصنوع من الجرانيت، حيث فسرت

نعمة بابتسامة مشرقة:

_حلو أوي، ده انا شايفة صورته في تلافون هايدي، وكنت عايزة أشترى زييه .

ردت ليالي، وهي تدقق النظر في السعر:

=بس ده باينله غالي أوي، ده انتي أمك لو عرفت انك هتجيبى صواني جرانيت، هتولع فيكي!

أجابت نعمة بحصافة:

_نضحك عليها، ونقولها إنه رخيص، هي يعني هتعرف منين؟

ردت ليالي بضحك:

=طب مانتي طلعتي ذكية أهو ودماغك شغالة، أمال في ايه؟

نطقت نعمة بتعجب:

_ وهو يعني كان حد قالك إني غبية؟
 أجابت ليالي وهي مستمتعة بضحكتها المرححة، والمُعبرة:
 = لا بس كلنا عارفين إنك طيبة، وعلى نياتك... أول مرة أحس إنك مش سهلة، على العموم انتي صح،
 هو انتي كل يوم هنتجوزي يعني؟

ردت نعمة:

_ خلاص انا هاخذ ده، ولو أمي سألت بكام، هنقولها بـ ١٥٠ جنية .

ردت ليالي:

= خلاص اتفقنا .

ثم نادى ليالي البائع، وهي تشير نحوه بيدها بحركة مُلفتة:

= بقولك يا أستاذ، احنا عاوزين طقم الجرانيت ده .

رد البائع:

_ حاضر .

أخرج البائع طقم الجرانيت بين يديه، ووضع على جهاز التسعير بانتباه، ثم قالت ليالي بحماس:

= بكام؟

أجاب البائع:

_ بـ ٨٠٠ جنية .

ردت ليالي:

= طيب هناخده، وعايزين طقم أطباق سيراميك .

اقتربت نعمة من ليالي، وقالت بصوت خافت:

_ هناخده ايه بس، انتي مش شايفة بيقول كام؟ ده غالي أوي .

ردت ليالي:

= هو مش احنا اتفقنا ناخده؟

ردت نعمة بإحباط:

_ انا قولت يوم ما يغلى أوي هيدخل في حدود ٤٠٠ جنية، مش ٨٠٠ مرة واحده .

تحدث البائع:

= ايه هتاخده؟

ردت ليالي:

_ اه هناخده، ورينا طقم الأطباق بقى .

كان البائع يتجول في المتجر بحثاً عن الصحون المناسبة للزبائن، اتجه المعلم حنفي نحو شقة جلال،

وبينما وصل إلى الباب وطرقه بحرص، فتحه جلال بسرعة، وبمجرد فتحه للباب، عبر عن دهشته

قائلاً:

= ايه ده أبويا؟ خش بابا .

دخل المعلم حنفي الشقة، وبينما كان يحمل حفيده برفق على كتفه، انطلق ليجلس به براحة على الأريكة،

وفي ذات الوقت، بدأ يستنشق رائحة الطعام الشهية التي امتلأت في البيت، فلم يتمالك نفسه إلا وعبر عن

إعجابه الكبير وسعادته بتلك الرائحة الشهية:

_ انتوا طابخين ولا ايه؟

رد جلال:

=أه بابا عاملين طبيخ، ورز، ولحمة... أجيبك تاكل؟

قال المعلم حنفي، وهو يشتهي تناول الطعام:

_وماله حطلي، ألا أمك عاملالنا ساندوتشات طماطم .

ضحك جلال، وقال بتعجب:

=ساندوتشات طماطم؟

رد المعلم حنفي بقهر:

_أه ياخويا ساندوتشات طماطم، دي ولية عكاكة بت كلب !

ثم رفع يديه للسماء، وألقى دعاءً بقلب مليء بالإيمان:

_اللهي يقطرها جرار زراعي يجيب أجلها، قادر يا كريم .

دخل جلال المطبخ وهو يضحك بحماس، وبينما كان يحمل القدر، وضعه بعناية على الموقد، ثم أشعل

النار بحرص، ونطق قائلاً:

=وهي أمي بحق هتروح لأحمد النهاردة في الحفلة اللي عاملينها؟

رد المعلم حنفي بكراهية:

_أه هتروح، ياكش تروح ما ترجع .

رد جلال بفضول:

=وتطلع حفلة ايه دي على كده؟

أجاب المعلم حنفي:

_وآني ايه دراني؟ أهي تقليعة من تقاليع أهل مصر .

رد جلال:

=طب وربنا الناس دي دماغها رايقة، وماهي شايلة هم زينا .

بينما كان جلال يتقمص دور الطاهي في المطبخ، أنهى تحضير الطعام، وقام بتقديمه في الأطباق وجلبها

إلى الصالة حيث كان والده، وعندما تذوق المعلم حنفي الطعام وشعر بالرضا، لم يتأخر في التعبير عن

إشادته، ورضاه بكلمات مليئة بالاعتراف:

_يا سلام...أهي البت ليالي دي نفسها مية مية في عمائل الأكل، إيديها دي تتلف في حرير .

رد جلال، وهو يذوب في سماء قطعة اللحم الذائبة:

=بألف هنا وشفا على قلبك بابا .

في لحظات السحر الخاصة عند جميلة، كانت جالسة في غرفتها الفندقية، حيث كانت خبيرة التجميل

تنساب برشاقة بين يديها، معزفة على وجهها لمسات ساحرة من المكياج في جو موسيقي يعزف الحان

الأناقة، والجمال. وعندما انتهت، ارتدت جميلة فستان حفل جنس المولود الذي انسابت قصته الطويلة

بلونه الوردي الناعم، مضيئة لمسات من السحر، والجمال على شعرها أمام المرأة، ورشت على جسدها

الناعم عبير العطر الذي أضاف لها لمسة من الأنوثة الساحرة. وبمجرد أن خطت خطواتها الأولى في

الحفل الواسع، اقترب منها زوجها بكل حنان، ليغمرها بعناق دافئ يعبر عن حبه العميق، واشتياقه لها.

وبينما تتوالى لحظات السعادة، جاءت عائلتها بصناديق الهدايا المليئة بالحب، وتقدمت والدتها بقلب ملؤه

الحنان، لتعانقها وتهنئها بقلب ينبض بالاعتزاز:

_مبروك يا حبيبة قلب، وروح مامي .

ردت جميلة بسعادة:

=الله يبارك فيكي يا حبيبيتي .

عانقت سامية جميلة، وقالت:

_هيكون أو هتكون أحلى بيبي في الدنيا كلها .

ضحكت جميلة، وقالت:

=عقبالك يا روعي .

استلمت جميلة الهدايا الدافئة من عائلتها، شعرت وكأنها قد امتلكت العالم بأسره، وما فيه من سعادة. إذ بعد أن تزوجت من حبيبها، وجدت نفسها تشارك حبهما في قطعة صغيرة من السكر تنمو بداخلها يومًا بعد يوم، تحمل في طياتها وعودًا كبيرة بمستقبل مشرق. وبينما كانت تنتظر مع زوجها تلك اللحظة التي ستغير موازين الكون من أجلهما، دخل الساحة دميّتان من الأرناب، الدمية الولد التي ارتدت اللون الأزرق، والدمية الفتاة التي ارتدت اللون الوردي، مما أضاف للحظات السعادة لمسة من البراءة. وفي هذه اللحظة الساحرة، دخلت أم الديب، وهايدي لتضيفا للأجواء بعض المرح. وفي محاولة للعب معهما، مزح الأرناب مع أم الديب، مما جعلها تصرخ وتحاول ضربه:

_يلا يابن الكلب يا واطي من هنا !

صدحت هايدي في وجه أم الديب قائلة:

=بيهزر...بيهزر !

وصل أحمد، وبفرح عارم عانق هايدي، قائلاً بحب:

_نورتوا الدنيا كلها .

ردت هايدي بسعادة:

=منورة بيك يا حبيبي...ألف مبروك .

نطق أحمد بسعادة:

_الله يبارك فيكي يا هايدي .

توجهوا جميعًا برفقة أحمد إلى موقع جميلة، حيث وجدوها تقف مع أخواتها الفتيات وهم يضحكون بلا توقف. وفور وصولها، عانقتها أم الديب عناق منين، كاد أن يقسم ظهر جميلة بعده، فسحبها أحمد بلطف نحوه من حضن أم الديب، مبدئًا قلقه:

_براحة عليها شوية، في ايه؟

ردت أم الديب بسعادة:

=ايهيه ده من الحب يا ولا... ازيك يا جميلة عاملة ايه انتي، وجعفر؟

ردت جميلة باشمزاز:

_جعفر؟

رد أحمد بعجلة وهو يبتسم، كأنه يحاول تخفيف التوتر دون إظهار مدى حجم الحركة المفاجئة:

=لا ماما بتهزر، متاخدش على كلامها .

سحب أحمد أم الديب بقوة من يدها، انطلقوا بعيدًا عن موقع الحدث، وجلس الثلاثة جنبًا إلى جنب. بعد لحظات من الصمت، تحدث أحمد بموجدة:

=انتي مصممة تفضحيني قصادها بأي شكل من وخلص؟

ردت أم الديب بصوت حاد:

_وانت مالك خايف على شكلك قصادها كده ليه؟ تقصد إن أني هعرك ولا هعرك؟

تلفظ أحمد بانفعال جسيم:

=انا مش عايز الحركات دي خالص... اقعدى ساكتة لا تقولي جعفر، ولا بتتنجان أزرق لحد ما اليوم يعدي على خير!

نادت جميلة زوجها وأشارت له بيدها، فقام بالوقوف فوراً، وعبر قائلاً:

=انا هروح بقى عشان نتصور .

ذهب أحمد إلى جميلة لالتقاط صور الحفلة، حيث كان الجميع يتبادلون صور الحفلة بحماس، ماعدا أم الديب وهايدي اللتان بدتا مشغولتين بأمرهما الخاصة. وفي الوقت نفسه، وقفت أم قمر الدين بجوار زوجها، وكانت تشعر بأنها داخل حلم لا يصدق عقلها، بينما يراقبون اللحظات الساحرة التي تملأ الأجواء بالبهجة. وفي ظل هذا الجو المليء بالفرح، لم يقتنع أحد منهم بأن بعد أربعة شهور ستنجب جميلة طفلاً فانتاً يشبهها. وفي هذا السياق، قالت أم قمر الدين بسعادة تعبر عن الفرح:

_بجد مش مصدقة خالص إن جميلة هتخلينا نانا، وجدو قريب!

ضحك باسم، وقال:

=ولا انا كمان مصدق، الولاد كبيرونا أوي .

ردت أم قمر الدين بدلال:

_معقول انا الأيام جريت بيا أوي كده، وعجزت؟

رد باسم برومانسية:

=لا أوعي تقولي إنك عجزتي... ده انتي لسة في عز شبابك، ومهما تكبري حلاوتك بتزيد في كبر سنك .

ضحكت أم قمر الدين بلطف، وبينما تعبر عن فرحها، قالت بخجل:

_ياه يا باسم، معقول لسة بتقول الكلام الحلو ده بالرغم من إننا كمان كام شهر هنبقى أجداد؟

نشب باسم بيد أم قمر الدين برفق، وقبلها بلطف معبراً عن حبه، وتقديره، قائلاً:

=وهفضل أقول، مانتي حلاوتك دي اللي مخلياني أتكلم بقلب جامد !

ردت أم قمر الدين برومانسية:

_ربنا يخليك ليا يا حبيبي، وميحرمني منك أبداً !

فجأة، توجه صدح أم الديب من خلفهم، معلناً وجودها، قائلة بصوت مكتوم:

=ايهي بقى سايبين البوافية، وقاعدين هنا هو تدلعوا؟

أصيبت أم قمر الدين بصدمة عارمه عندما نظرت خلفها ورأت أم الديب تتناول الحلويات، فعبّرت بدهشة قائلة:

_ايه ده أم الديب؟ انتي جيتي امتي؟

ردت أم الديب، وهي تتناول الطعام:

=جيت من بدري، ده أني قاعدة على لحم بطني، و...

بترت أم قمر الدين حديثها متعجبه:

_أوه ماي جاد، يعني ايه قاعدة على لحم بطنك؟ انتي بجد انसानة غريبة !

ضحكت أم الديب، وقالت:

=أنى اللى أقصده إنى جعانة .

ردت أم قمر الدين بتعجب:

_أمال اللى فى ايدك ده ايه؟

نطقت أم الديق:

=ده يادوبك كدهو مسح زور ،

فى اللحظة الحاسمة التى جاء فىها الوقت للكشف عن نوع الجنين المنتظر، وقفت سامية متألفة بين الحاضرين، وأمسكت بالميكرفون بيد ثابتة، وثقة عارمة. ومن خلال تلك اللحظة المهمة، جسدت سامية الأمل، والتوقعات العظيمة لدى الجميع. وبعد لحظات من التوتر، أطلقت كلماتها بصوت واضح يملأ الحفل بالترقب:

_يلا يا جماعة من فضلكم، ممكن نقف كلنا هنا عشان هنبدا نعلن عن نوع الجنين .

اجتمع الحاضرون حول أحمد، وجميلة بحماس، يترقبون بشغف ما سيحدث بعدما دخلت الدميثان الأرانب فى مباراة المصارعة المثيرة. وكان كل فريق يشجع الدمية الولد، والدمية البنت، وسط أصوات التشجيع المليئة بالتشويق. وفى لحظة مفاجئة، قامت الدمية البنت بوطأ الدمية الولد وتغلبت عليه، فوفقت بفخر تعلن نصرها المذهل. وفى هذا الوقت الحاسم، انفجر أحمد، وجميلة، وبقية الحاضرين بصرخات الفرح، فى حين هتفت سامية بسعادة غامرة قائلة:

_بنت يا جميلة... بنت!

عانق أحمد زوجته، وقال بسعادة:

=ألف مبروك يا جميلة، كان قلبى حاسس أنها بنت!

ردت جميلة بفرحة:

_الله يبارك فىك يا روى .

فى هذه اللحظة الساحرة، وعلى وقع أصوات الفرح، اجتمعت عائلة جميلة حولها، وكل فرد منهم يمزج عبارات التهئة بالفرحة، فقد حضرت سامية بصندوق الهدايا، وبأنامل مهذبة استخرجت منه أجمل ملابس المولود، وبابتسامة عريضة على وجهها المشرق عانقت أختها بسعادة غامرة، مباركة لها بقدم المولود الجديد، ومعبرة عن مشاعرها بكلمات مليئة بالحنان:

=مبروك يا جميلة، تتربى فى عزك انتى وباباها .

ردت جميلة بسعادة:

_الله يبارك فىكى يا حبيبتي .

فى وقت مليئ بالحنان أخذت سامية تتحدث ببهجة متوهجة، وهى تقوم بعرض ملابس المولود الصغير إزاء أفراد العائلة، فكانت تصف ألوانها الزاهية، وتصاميمها الجميلة، معبرة بقولها عن مدى سعادتها بهذه الهدية التى قدمتها لأختها الغالية:

=ها بقى ايه رأيكم؟

رد أحمد بإنبهار:

_حلو أوى .

نطقت جميلة بذهول:

=ده يجنن...ذوقك ولا ذوق معتز؟

ردت سامية بثقة:

_ذوقي انا طبعًا... معتر مالوش في الكلام ده .
بينما كانت نرمين تقسم الكيك إلى مثلثات، قاموا بتوزيع الحلوى على الحاضرين، جلس الجميع ليرتاحوا ويتناولوا وجبة الحلوى ببهجة. وفجأة، بدون أي مقدمات، وجهت أم الديب حديثها لسامية، مستفسرة بحركة عفوية:

=وانتي بقى يا ست سامية، مخلفتيش لحد دلوقتي ليه، مين فيكوا اللي معيوب، انتي ولا جوزك؟

شعرت سامية بالإحراج الجسيم أمام زوجها، وعائلتها، ولكنها لم تتردد ثانية في رد الإحراج لأم الديب. بصوت حاد، وثقة مفرطة، قالت لها:

_وانتي مالك؟

صمت الجميع، وهم يترقبون حدوث اشتباك بين سامية، وأم الديب، لكن من شدة ثقة سامية بنفسها، وضعت ساقتها فوق الأخرى بثبات، ونظرت إلى أم الديب نظرة احتكار، ممزوجة بغرور، وأردفت قائلة بصوت هادئ:

_دي حياتي الشخصية، ومش هسمحك ولا هسمح لأي حد أنه يتدخل فيها !

ردت أم قمر الدين بصوت حاد:

=سامية!

فيما بعد، قررت أم قمر الدين أن تأخذ سامية معها لمكانٍ خارجي للحديث بعيدًا عن الأنظار، ثم دخلوا للداخل مُتجهين إلى المكان المناسب للتحدث براحة. وفي الوقت نفسه، شعر أحمد بالإحراج حيال جميلة، وأسرتها، فقرر أن يعبر لهم عن مشاعره قائلاً:

_انا أسف على اللي حصل ده .

ووجه نظره لأم الديب، وأردف:

=يلا يا ماما عشان هنرجع البيت .

بعد ذلك، اتجه أحمد برفقة أم الديب، وهايدي نحو سيارة جميلة، وبدأوا بالتوجه إلى وجهتهم، وفي هذا الوقت، عبّر أحمد عن كمدته قائلاً:

_ايه اللي انتي قولتية ده؟ انتي ليه بترمي دبش؟

بكت أم الديب، وقالت:

=يا ميلة بختك في ابنك يا أم الديب... ابنك مش طابق كلامك، وبيستعرك منك!

ردت هايدي بانفعال:

_بصراحة انتي غلطانة أوي في اللي قولتية ده .

ردت أم الديب بصراخ:

=وانتي مالك يا صايعة يا ضايعة؟ بتدخلي في اللي ملكيش فيه ليه؟

نطقت هايدي بصياح:

_طب والله مانا رايحة معاكي في حطة تاني... بقولك ايه يا أحمد رجعني على السكن أهو أرحملي!

أدار أحمد مفتاح السيارة، وبدأ بقيادتها، واتجه بهم إلى السكن الجامعي، وبعد أن نزلت هايدي من

السيارة، نطق لسانه كلماتٍ تعبّر عن مشاعره المضطربة:

=خدي بالك من نفسك يا هايدي .

نزلت هايدي من السيارة، وهي ساخطة من طريقة تصرف أم الديب تجاهها، فدخلت السكن الجامعي بموجده ملموسه. فأدار أحمد مفتاح السيارة مرة أخرى، وقرر العودة إلى بلدتهم. بعد تجوال دام ساعتين في بلدة أبو حلاوة، بعدما انتهت نعمة، وليالي من شراء المشتريات، عادوا إلى المنزل. وبمساعدة ليالي، وضعت نعمة جهازها في الغرفة، لتتظر ليالي حولها بدهشة، وتقول:

_ غريبة يعني، البيت هادي النهاردة، هي أمك عند خالتك ولا ايه؟
أجابت نعمة بصراحة:

= لا أمي راحت الحفلة بتاعت جميلة .

ردت ليالي باهتمام:

_ حفلة ايه دي؟

ردت نعمة:

= أصل عندهم في مصر، بيعملوا حفلة نوع العيل، عشان يعرفوا إذا كان واد ولا بت .

نطقت ليالي بسخرية، وهي تحني فمها قائلة:

_ وهي حاجة زي دي عايزها حفلة؟ طب والنبي مرات أخوكي دي مخها ضارب، وأخوكي ماشي معاها على كيفها حتى ميقولهاش تلت التلاتة كام... ده احنا عندنا يوم ما بنتحرر أوي بنعمل سبوع وشكرًا على كده .

ردت نعمة:

= الناس دي عيشتهم غير عيشتنا، لا احنا يعجبنا نظامهم، ولا هما يعجبهم نظامنا .

تحدثت ليالي بسخرية:

_ سيبك منهم، دول مخهم مفوت، انا هطلع بقى عايزة حاجة؟

ردت نعمة:

= لا سلامتك .

صعدت ليالي إلى شقتها، وفور دخولها، دخلت نعمة الغرفة لترتب أمتعتها. وفي اليوم التالي، وصلت سيارة الطوب، والأسمنت لبناء شقة نعمة الجديدة، فبدأ العمال بالعمل بجدّ لتحقيق الإنجاز. وبينما كانت ليالي تحاول بلا جدوى النوم في ذلك الصباح، خرج صوتها منها بغضب متزايد، وهي تقول:

_ يا جلال انا مش عارفة أنام من الصوت !

رد جلال، وهو يتقلب على السرير:

= هنعمل ايه يا بت؟ ما لازم بينوا الشقة .

من الواضح أن الحظ لم يحالف ليالي هذا اليوم للنوم كبقية البشر، حيث جاء حمود من ثانٍ ناحية، وهو يعول بشدة. فأمسك بالغطاء وصعد فوق والديه وهم نائمون، وهو يردد قائلاً:

_ أبا... أبا .

جلال بموجدة:

= عايز ايه يا ض؟

رد حمود، وهو ينتحب بلا توقف:

_ عايز أكل... أبا .

تحدثت جلال بنعاس:

=قومي يا ليالي أكليه .

ثم وجه حديثه لحمود:

_ولا أقولك إنزل عند ستك تأكلك .

استيقظت ليالي وجلست على السرير، وبنعاس واضح في صوتها، قالت:

=وهو هيعرف يفتح الباب يا جلال؟

رد جلال بنبرة خافتة:

_خلاص نزليه انتي واطلعي كملي نوم .

ردت ليالي بتكاسل:

=انا لسه هنزل؟ تعالى يابني .

وحملته على ذراعيها ونزلت به في شقة أم الديب، وعندما وصلت وجدت نعمة مستيقظة، فقالت لها:
=خذي بالك منه يا بت يا نعمة ألا عمال يزن من ساعتها وانا مش عارفة أنام لا من زنه ولا من التخبيط
اللي فوق راسي .

ردت نعمة:

_من عينيا متخافيش عليه .

سلمت ليالي طفلها لنعمة، وصعدت إلى شقتها مجددًا، وهناك، تركت نعمة الطفل يلهو على الأرض، ثم

دخلت الغرفة لترد على خطيبها الذي كان ينتظرها في الهاتف. وبينما كانت همسات الحديث تملأ

الغرفة، دخل حمود إلى المطبخ ليجد أم الديب تجلس على الأرض وتتناول طعامها، فلم يتردد في النداء

قائلًا:

=ستي البجرة...ستي البجرة .

ردت أم الديب بقسوة قلب:

_عايز ايه يا منيل على عينك؟

رد حمود:

_جعان مما ستي .

نطقت أم الديب بدهشة:

=ايهي وانت أمك منزلاك جعان ليه؟

لكن مشاعر قلب الجدة أخذت تسيطر بشدة على عقلها، فقامت بصنع ربع قطعة خبز مع مسحة من

الجبين، ثم انطلقت به نحو الحظيرة لتطمئن على أبقارها، فكانت تحمل في يدها اليسرى إناءً نحاسيًا

لحلب الأبقار. وفي الوقت نفسه، كان المعلم حنفي مشغولًا بأعماله مع العمال، وكانت نعمة تنشغل في

تجهيز احتياجات العروس. وعند وصول أم الديب إلى الحظيرة، وضعت حمود يلعب بجوارها على

الأرض، فجلست لتبدأ في حلب البقرة. وبينما كانت تقوم بذلك، خرج الطفل يتبع البطة بصمت تام.

وعندما انتهت أم الديب من عملها، وضعت الحليب بجوارها، وانصرفت للبحث عن حمود، فلم تتمالك

نفسها وصرخت بخوف، قائلة:

_يا خرابي، الواد راح فين؟

ثم صعدت تبحث عنه في الطابق العلوي، قائلة بصوت مليء بالقلق:

_ولا يا حمود...انت يا ولا...يا حمود...رد عليا يا ولا

أعدت أم الديب ترتيب حظيرتها بحثاً عن حمود، وتفتيشاً لكل زاوية، لكنها لم تجده في أي مكان! خرجت بتلك الحالة مضطربة لتواصل البحث عنه في كل مكان. وبعد جهد شاق، عادت إلى المنزل بلا جدوى. وفي ذلك الوقت، استيقظت ليالي بعد أذان الظهر، ونزلت لتأخذ طفلها، لتلتقي بتعليق ساخر من أم الديب قائلة:

_ انتي شرفتي؟

ردت ليالي، وهي تنظر حولها:

=فين ابني يا حماتي؟

تحدثت أم الديب بتجاهل:

_ بيلعب في الصالة .

نطقت ليالي بصوت حاد:

=صالة ايه؟ ماهو مفيش حد أهو !

ردت أم الديب بلا مبالاة:

_ أه افكرت... ده أي وديته الحظيرة يلعب مع البقرة .

ضربت ليالي يدها على صدرها، وصرخت:

=حظيرة ايه يا حماتي؟ بتوديه هناك ليه؟

ردت أم الديب بلا مبالاة:

_ الواد كان عايز يلعب .

ليالي بنواح:

=منك لله يا حماتي... هتشليني!

ثم انطلقت للحظيرة للبحث عن طفلها، لتجده هي الأخرى غير موجود. فأخرجت هاتفها بين يديها وهي ترتجف قلقاً، واتصلت بزوجها، وبدأت تعول قائلة:

_ انت فين يا جلال؟

رد جلال في حين هو سائق، ومعه بعض الزبائن، وبمجرد أن سمع صوت زوجته المنفعله عبر الهاتف، قال بذعر:

=انا في الشغل .

ليالي بنواح:

_ الحق ابنك، أمك ضيعته!

جلال بصدمة:

=انتي بتقولي ايه؟

ليالي بنحيب:

_ الواد كان معاها... نزلت أشوفه ملقتهوش... بسألها قالتلي ودته الزريبة... بدور عليه مش لاقياه!

رد جلال بعجيج:

=يا نهار منيل، انتي فين دلوقتي؟

نطقت ليالي بأعوال:

_ انا قدام الزريبة .

رد جلال:

=طب انا جايلك .
 بعد مرور عشر دقائق، وصل جلال إلى الحظيرة، ليجد ليالي تلطم وجهها باليدين، وتنحب قائلة:
 _مش لاقيه إبنك، مش لاقياه !
 جلال بضجيج:
 =وأمي ايه اللي خلاها تجيبه هنا؟
 ردت ليالي بنحيب:
 _مش عارفة... أمك دي وش الفقر، منها لله، كل يوم تعملنا مصيبة شكل!
 أخذ جلال زوجته بيد مهتزة بالقلق، ومغًا عادوا إلى منزل أم الديب. فأخرج جلال المطوى، ووجهها نحو أم الديب بانفعال شديد، وبدأ يتحدث بصوت مرتفع، وعصبية مُفرطة، قائلاً:
 =ابني فين ياما؟
 ردت أم الديب بنواح، وهي تتهرب منه:
 _يا خرابي... ابعدي عني يا ولا !
 دخل المعلم حنفي الشقة، وعلى وجهه علامات الاستفهام يتساءل عما يحدث، فقال بتساؤل:
 =ايه اللي حصل ياوض؟
 رد جلال بصياح هائج، في حين كانت زوجته تلطم وجهها بينما تتأوه بحزن، وانكسار:
 _أمي ضيعت حمود يابا .
 نطق المعلم حنفي بجلبة:
 =انتني يا بت الجزمة مفيش فايده فيكي؟ وكل يوم بمصيبة جديدة؟
 اقترب جلال بخطوات ثابتة من أم الديب، وأمسك رأسها بين يديه بقسوة، ورفع المطواة أمام وجهها بتهديد، ووعيد واضحين في نبرة صوته:
 _قسماً بالله ياما إن ما الواد رجع هروح فيكي في داهية!
 ردت أم الديب بنحيب:
 =الواد عايز يموتني يا ناس !
 نطق المعلم حنفي بنبرة إنتقامية:
 _ده مش هو بس اللي هيقتلك... انا كمان هقتلك وأرتاح من همك !
 ردت أم الديب بنواح:
 =خلاص ياخويا هقولكم، الواد عند خالتك يا جلال !
 رد جلال بعصبية:
 _بيعمل ايه عند خالتي ياما؟
 ردت أم الديب بخوف:
 =خالتك عدت، والواد شبط فيها .
 صاح المعلم حنفي في أم الديب، وصدح صوته كالرعد في أفق النهار، ملئت الكلمات فضاء الصمت بقوة تحفز الأرواح للانتباه:
 _ومستأذنتيش أبوه، وأمه ليه يابت الجزمة؟

أمسك بها بيد من حديد، وقام بوطنها بيده كما يهزم الريح جذع الشجرة العتيقة، فانبعث جلال مُسرِعًا، ورافقه المعلم حنفي كظله الوفي، حتى وصلا إلى بيت الخالة سعاد، ليجدوا حمود يلتهم الحلوى بجموع الجوعى، فلم يستطع جلال إلا أن يعبر بدهشة مُلبدة:

=الواد جالك ازاي يا خالتي؟

ردت سعاد:

_الواد كان سارح ورا البطة، فوقفته أكلمه، وأسه همشي مسك فيا !
صاح جلال في خالته قائلاً:

=ومحدث عرفنا ليه بدل ماحنا بنلف حوالين نفسنا؟

بينما في المنزل، تجلس ليالي في صمت مكسور الجناحين في صالة أم الديب، حيث تتراقص دموعها بلا هواده، وفي الغرفة المجاورة، تواجه نعمة أم الديب بنظرة مليئة بالتساؤلات الحزينة، قائلة بصوت يرتجف:

_ هو الواد مع خالتي بحق وحقيقي ياما؟

ردت أم الديب ببيكاء:

=ولا أعرف راح فين... أني قولت أدبسا فيها بدل ما هما اللي يدبسوني فيه .
عاد جلال بطفله برفقة المعلم حنفي، وقد اندفعت ليالي بصرخة تمزق السكون، وأحاطت به بعناق يحمل في طياته الألم، والفرح المختلطين، وهمست بصوت باكي:

_ ابني... تعالى في حضن أمك!

تلفظ جلال بتأثر:

=خلاص يا بت أهو الواد رجع لحضنك.

بكى حمود، وقال:

_ستي البجرة خطفتني!

يتبع.....

الفصل التاسع عشر

انفجر امتعاض جلال يتردد في رده:

_ انتي خطفتيه ياما؟

ردت أم الديب بجلبة:

=ايهيه ده عيل كداب، انتوا هتصدقوا كلام عيل صغير يا راجل منك له؟

نطق جلال بسخط عارم:

_ لو هويتي ناحية مراتي وابني ياما مش هيحصلك كويس!

صرخت ليالي قائلة بانفعال جسيم:

=منك الله .

خرجت الأسرة من شقة أم الديب، وبعد مرور يومين، كانت أم قمر الدين تشعر بتأنيب الضمير ناحية أم الديب، وكان وزن الكلمات الصامتة يثقل كاهلها، خصوصًا بعد ما حدث المرة الأخيرة في الحفل. وبالرغم من أن ابنتها سامية قامت بتصرف غير لائق تجاهها، إلا أنها كانت تتردد بين خيوط العطف، والضيق، كسائر الأمهات في مثل تلك اللحظات المتوترة. فقررت أن تتصل بصديقتها، وتوجه إليها دعوة استضافة في منزلها لمدة أسبوع، بغية تعزيز أو اصر العائلة المتشقة. وبالفعل، قامت بالاتصال بها، وفي صوتها مزيجٌ من الاعتذار، والترقب، وقالت:

_ هاي أم الديب، أخبارك ايه؟

ردت أم الديب باستياء:

=كويسة يا مدام .

نطقت أم قمر الدين بصوت حنون:

_ مالك يا أم الديب مين مزعلك؟

ردت أم الديب ببيكاء:

=ابني ومراته العقربة .

تحدثت أم قمر الدين بتعجب:

_ ليه كده؟

ردت أم الديب باستياء:

=بيفتروا عليا .

شعرت أم قمر الدين بالتأثر يملأ قلبها نحو أم الديب، فقررت أن تفتح الموضوع معها، وبصوت محمّم بالشجن، والتصرّع، قالت:

_ أوكي متزعليش يا أم الديب، انا عازماكي أسبوع عندي في الفيلا انتي وبناتك .

في لحظة من النسيان، تبدلت مشاعر أم الديب من الحزن الثقيل إلى السعادة الغامرة، وتلاشت كل الهموم كالضباب أمام بريق الفرح الذي انعكس على وجهها المضيء، وبصوتٍ مفعمٍ بالحماس، أعلنت ببهجة:

=ده بجد يا ست بسملة؟

أجابت أم قمر الدين بابتسامة:

_طبعًا انا بتكلم بجد، هسنتاكم متتأخروش!

ردت ام الديب بسعادة:

=أنى جاية في الطريق أهو، حمامة وهتلاقيني عندك !

ضحكت أم قمر الدين، وقالت:

_أوكي .

وبخطواتٍ سريعةٍ دخلت أم الديب الغرفة، وبدأت بفتح الدولاب على وقع الصوت الصرير، وهي تستعجل في استخراج ملابسها بينما المعلم حنفي كان جالسًا على السرير، متعجبًا بما تقوم به أم الديب. فوجه إليها نظرةً متسائلةً، وبينما كانت تواجهه بتعبيراته المتناقضة من العجب، قالت:

=انت يا عرة الرجالة!

رد المعلم حنفي:

_عايزه ايه؟

تلفظت أم الديب بلهفة:

=هروح أقعد أسبوع عند ست بسملة .

رد المعلم حنفي بفرحة:

_خدي البنات معاكي .

ردت أم الديب، وهي تضغط الملابس في الكيس البلاستيكي بعنف، وبصوت متجهم مليء بالتوتر، قالت:

=هاخدهم ياخويا .

نطق المعلم حنفي بكراهية:

_خدي جلال يوصلك...ياكش تروحي ماترجعي .

اقتربت أم الديب منه، وردت عليه بصوت غليظ، مليء بالحدة، قائلة:

=انشالله انت ياخويا...ياكش الحيطه تنزل على نفوخك تطبقه !

انتفض المعلم حنفي من مكانه، والدماء تغلي في عروقه، وانطلق صوته بحدة معتبرة، وهو يرفع السبابه، قائلاً:

_لا يا ولية احترمي نفسك ألا أمد إيدي!

اقتربت أم الديب منه، وهي تنطلق بصوت غليظ، يملؤه القسوة، والحدة:

=تمد إيدك على مين يا راجل انت؟

أصاب الذعر قلب المعلم حنفي عند سماع صوت أم الديب، فتراجع عن قوته التي اكتسبها لثوانٍ، وانكسرت حواسه تحت وطأة تلك الكلمات القاسية، وتناثرت قطرات العرق على جبينه المتوتر. ثم، بوقاحةٍ مخيفة، اندفعت ضحكته العالية، وهو يرتعش خوفاً من هذا الاحتجاز المفاجئ، وفي تعبير من الانحاء، قال:

_بهزر يا ولية، انتي مابتهزريش؟ يلا اتكلي على الله .

خرجت أم الديب من المنزل برفقة ابنتها نعمة، وابنها جلال، وساروا نحو السيارة الخاصة بهم، حيث انطلقوا في رحلتهم المخطط لها لمقابلة هايدي عند السكن الجامعي، بهدف أخذها معهم إلى الفيلا. وبعد مضي ثلاث ساعات من الزمن، وبعد أن أحضروا هايدي معهم، وصلوا أخيراً لقصر أم قمر الدين.

فانتبهز جلال الفرصة للنزول أولاً من السيارة، وتلته أم الديب بنعمة، وختمت هايدي الموكب. وعندما وقفوا أمام بوابة القصر، استقبلهم الحرس بنظرات اشمئزاز، وخرج من بين شفثيه كلمات حادة، حيث قال أحدهم بصوتٍ مرتفعٍ: ٠
=انتوا مين؟

ردت أم الديب بضيق:

_ أني حماة ست جميلة، جرا ايه ياخويا مالك كده؟

أشار لها الحارس بالدخول، فدخلت أم الديب، وخلفها أولادها، وعندما عبر جلال عتبة البوابة، توقف للحظة، وتأمل المناظر الطبيعية الخلابة التي تُشرق بجمالها أمام عينيه. إذ انتابته الدهشة لما رأى، فقال بتعجب، وبصوتٍ مليء بالإعجاب:

=بقى الست دي وجوزها عايشين في ده كله لواحداهم ياما؟

ردت أم الديب بفرحة:

_ لا ياخويا ده بالصلاة على النبي عندها بنات كتير زي الورد المفتح، جمال ايه وعلام ايه؟ وحاجة تشرح القلب، وعندها ولدين بس ايه حاجة خواجاتي طالعين لأهمهم .

رد جلال بذكاء:

=يعني العيال ياما بتطلع لأهمهم؟

ردت أم الديب بثقة:

_ ايهي، أمال ايه يا جلال؟

رد جلال بدهاء:

=بس كده انا عرفت انا شبه القرد ليه !

صرخت أم الديب في وجه جلال بغضب محتد، وهو يواجهها بعينين مفتوحتين بدهشة، متمسكاً حدة الكلمات التي انطلقت من فمها بصوتٍ عالٍ، قائلة:

_ احترم نفسك يا كلب يالي أني معرفتش أربيك !

رد جلال بصياح:

=جرا ايه ياما مش عيب لما تشتميني في السن ده، وانا راجل متجوز وعندي عيل صغير؟

صاحت أم الديب في وجه جلال:

_ انت اللي عيل مش متربي!

كانت نعمة تستمتع بمشاهدة الفيل الفاخرة، وتتأمل في رونقها، وأناقته، وتشعر بالدهشة أمام بريقتها، وروعته، ولا ترغب في أن يعطل أحداً منهم عن رؤية هذا الجمال الساحر الذي يفتح أمامها، فأدركت الأجواء المتوترة بين أمها، وأخيها جلال، فقالت بلطف:

=اسكتوا ياما خلونا نستمتع بالمنظر ده !

هايدي بدهشة:

_ طول عمري بشوف الحاجات دي في الأفلام وبس .

تحدث جلال:

=انا وصلتك، هخلع انا بقى .

ردت أم الديب بتعجب:

_ مش هتاكل يا ولا؟

رد جلال بتفكير:

= هو في أكل ياما؟

قالت أم الديب بسعادة:

_ دي ست كريمة أوي، أقعد خد نصيبك وامشي .

رد جلال بذهول:

= اذا كان كده ماشي انا لازق هنا .

ثم دخلوا الريسبشن، وقيل أن يجلسوا على الأثاث الفاخر الذي أعطى الريسبشن مظهرًا فاخرًا، نزلت أم

قمر الدين بكامل أناقتها، وأنوثتها المتألقة، حيث بدت كالوردة النضرة في وسط حديقة خضراء،

واقتربت من أم الديب بابتسامة ودية تعكس سعادتها الغامرة، وقالت بلهجة مفعمة بالسرور:

_ أوه ياه، مش معقول أم الديب جات!

اقتربت أم الديب منها بخطوات هادئة، ووجهها يتوهج بالبهجة، وعانقتها بحنان، قائلة بصوت هامس

مليء بالمودة:

= أهلاً يا ست بسملة .

نطقت أم قمر الدين بابتسامة:

_ عاملين ايه يا ولاد؟

رد جلال بانفعال:

= هو احنا عيال صغيرة ياما؟

أجابت أم الديب بصوت خافت:

_ اسكت يا ولا!

نطق جلال بانفعال:

= ما هي بتقولك يا ولاد، وانا راجل متجوز وعندي عيل صغير، آني بيتغلط فيا!

ردت أم الديب بسخرية:

_ اتنيل ياخويا، انت هتدلنا كل شوية؟

نطقت هايدي باشمئزاز:

= إنجاز حقير .

رد جلال بغضب متوهج:

_ بتقولي ايه يا بت؟

ردت هايدي بخوف:

= لا ولا حاجة .

تحدثت أم قمر الدين بابتسامة:

_ هتفضلوا واقفين كثير؟ اتفضلوا

بعد أن جلست أم الديب، وأولادها على المقاعد المريحة في الريسبشن، وبدأوا في تبادل الحديث،

خرجت الخادמות من المطبخ وبدأن في تجهيز وليمة الطعام الشهية. وبينما كانت الأصوات تتمازج في

الغرفة بين الضحك، والحديث، امتلأت الطاولة بأنواع متعددة من الطعام، من الأطباق الرئيسية إلى

المقبلات، والحلويات، وكان منظرها يشهي الشهية للغاية ويثير الشهوة للاستمتاع بوجبة غنية. وبعد أن

انتهت الخادمت من وضع الطعام على الطاولة، أعادت أم قمر الدين ترتيب الأمور بابتسامة، قائلة بصوتٍ مليء بالتقدير:

=اتفضلوا الأكل جاهز !

سرعان ما نهض جلال، وأم الديب، وجلسوا على الطاولة المزينة بأشهى الأطباق، وبمجرد أن جلست أم الديب وجهت نظرها إلى الحمام المحشي بارتياح، وبينما كانت تضع اللحم في فمها ببطء وتتمتع، أخذ جلال يأكل قطعة النجرسكو بجوع شديد، ولكن بمجرد أن وضعها في فمه، وقعت عيناه على وجه نعمة وهي تأكل، فسمعها تعتنق النكهة بلذة، فأطلق حديثه بصوت مكتوم:

_ناوليني يا بت يا نعمة حنة اللحمه دي .

جلست نعمة، وهايدي بجانب بعضهما على الطاولة المغطاة بالأطباق اللذيذة، ووضعت نعمة قطعة اللحم أمام جلال، وفي لحظةٍ من الشهوة الغذائية، بدأ جلال في المنافسة مع والدته على قطعة الدجاج، لدرجة أن الطعام وقف في حلقه، وشعر بحاجة للسعال بقوة. فعندما لم يتمكن من كبح السعال، ضربت أم الديب بيدها بقوة على ظهر جلال، فاندلعت ردة فعله الطبيعية وبصق كل ما في فمه من طعام على بقية الأطباق الموجودة على الطاولة. وبالرغم من هذا الموقف المحرج، لم تشمئز أم الديب منه، بل مدت يدها وأخذت بأكل ما خرج من فم ابنها، ثم أمسكت الأرز بيدها في كتلة واحدة وأكلته، لكنها لم تكمل وجبتها بسلام، حيث وقع جزءٌ من الأرز على ملابسها، وكانت أم قمر الدين تقف أمامهم مستعجبة من طريقة تناولهم للطعام، وفي تعبير عن دهشتها، قالت:

=أوه ماي جاد انتوا بتاكلوا كده ليه؟

نطقت أم الديب بصوت مكتوم، وهي تأكل:

_ياختي الأكل زي العسل... ما تقعدى تاكلي معانا!

ردت أم قمر الدين باشمئزاز:

=انا كلت قبلكم .

تحدثت جلال بسعادة:

_ده الأكل طعم طعامه ياما بشكل .

ردت أم الديب، وهي تضع قطعة اللحم بلطف حيال جلال، بابتسامة عذبة تعكس الرعاية:

=كل يا ولا رم عضمك، وابقى خد للواد إبنك غديه !

ووضعت الدجاج أمام بناتها، وقالت بحب:

=كلي يا بت منك ليها !

بعد أن انتهوا من تناول الطعام، استدعت أم قمر الدين الخادمة بصوت مرتفع:

_توليناز تعالي من فضلك!

بعدما جاءت الخادمة، تابعت أم قمر الدين:

_عايزاكي تلمي الفاكهة من الجنية، عايزين الفاكهة فريش، وموصكيش المكسرات، وتجيبى الحلويات !

أمرتها أم قمر الدين بإحضار الفاكهة، والحلويات، فغادرت الخادمة المُطيعه الريسبشن، حيث أظهر

جلال تفانيًا عاليًا بإخراج كيسًا أسود اللون من جيب بنطاله، ووضع فيه بقايا الطعام دون أن تلفت أم

قمر الدين انتباهها. وعندما جلسوا على الأريكة بعد أن تم تنظيف الأطباق وجعلها لامعة لشدة نظافتها،

ظهرت أم قمر الدين برفقة الخادمت، حاملَةً معها الفاكهة، والحلويات، وكان يليها الخادمت يحملن

الصواني المزينة بأشهى الأطباق الحلوة. وفي ذلك الوقت المثالي للاستمتاع بمذاق الحلوى، والفاكهة،

انشغلت الخادمة الأولى بتقديم الكيك بأناقة، في حين قامت الخادمة الثانية بسكب العصير في الأكواب بدقة. وقدمت قطع الكيك، وأكواب العصير لكل شخص بعناية فائقة. وبهذا المنظر الجميل والمذهل، تحدثت أم قمر الدين بصوتٍ يعكس السكينة:

_ خلاص اتفضلوا انتوا!

ثم جلست السيدة بأناقة متناغمة، ووضعت ساقها فوق الأخرى بلطف، كما يُرقى الفنان إلى قمة عمله ليضفي روعته الجمالية على لوحته، حيث نطقت بأنفاس الكلمات الرشيقة:

_ اتفضلوا كلوا متتكسفوش!

بينما كان جلال يشرب كوب العصير في لحظة واحدة، كانت يده تأخذ كتلة من المكسرات وتضعها في جيب بنطاله، تعبيرًا عن حياة الفقر، والجوع، ثم وقف، ونطق بكلمات تعبر عن رغبته في المغادرة:

= انا همشي بقى ياما، بالإذن.

ردت أم الديب بلا مبالاة، وهي تأكل التفاح، والعنب دفعة واحدة:

_ مع السلامة ياخويا.

قبل أن يغادر جلال المنزل، أمسك بعنقود العنب الطازج وتفاحتين مشرقتين، ووضعهما في الكيس الأسود بينما تسللت الأفكار بين حوافر الظلام. ثم انطلق، ووصل إلى سيارته حيث انغمست السماء في لون الغروب وتفتحت له الطرق للرحيل. وفي الوقت نفسه، كانت أم قمر الدين لا تزال مشدودة بحالة صدمة عميقة، مترقبة تفسيرات لما حدث، بينما في شقة أم الديب، كان المعلم حنفي يشعر بالراحة النفسية لأول مرة في وقت طويل، ويتأمل في الأغاني الكلاسيكية لأم كلثوم "حيرت قلبي معاك"، ويرقص على إيقاعها بخفة، بينما يروي عطشه بكوب من عصير الليمون البارد، وهو يستمتع باللذة. ومع سقوط الليل ببطء، قررت أم الديب، ونعمة النزول إلى حمام السباحة لأول مرة، ولكن هايدي كانت مستسلمة للراحة على الشازلونج وتتناول المكسرات بينما كانت تطغى عليها الأفكار. فجأة، انزلقت أم الديب فوق نعمة، وسقطت بها، وقالت بصوت مليء بالاستغاثة:

_ يا خرابي، هغرق يا بت... الحقيني!

ردت نعمة بصداح:

=يوه ياما، كنتي هتغرقيني معاكي!

نظرت أم الديب حولها بدهشة، وقالت:

_ بس تصدقي يا بت إن الترعة دهية، تنفع لغسيل المواعين؟

ضحكت نعمة، وقالت:

=مسمهاش ترعة ياما، بيقولوا اسمه حمام سباحة!

ردت أم الديب:

_ ايهي ما حنا الترعة عندنا بنعوم فيها، يبقى هي كمان اسمها حمام سباحة برضك!

وأخيرًا وصل جلال إلى مسكنه، ووجد نفسه جالسًا بجوار زوجته، وأمامهما جمعٌ من النعم، والفرحات.

حينها، ابتسمت ليالي ببهجة، ونطقت قائلة:

=كل ده أكل يا جلال؟

رد جلال:

_ أيوه يا بت، دي حاجة إنما ايه طعمة طعامة!

ردت ليالي بابتسامة من القلب، أثناء تناول الطعام:

=هات ياخويا.

أخذت ليالي تتناول طعامها بلذة، ولكن شعر جلال برغبة ملحة في مشاركتها الطعام مرة أخرى، فقال بطمع:

_ ماتسيبيلي حنة يا ليالي !

ردت ليالي بدهشة، وهي تأكل:

=انت مش كلت هناك ياخويا؟

أجاب جلال باشتيهاء:

_ زيادة الخير خيرين يا بت.

بدأ جلال يتناول الطعام بجانبها، وبعد أن انتهت أم الديب من الاستحمام، وقبل خروجها من المرحاض، لاحظت نفسها في المرأة بدهشة، ثم قالت بابتسامة:

=يا خرابي بقى دهو حمام؟ ده أنضف من بيتنا... لا بيتنا ايه، ده أنضف من بلدنا بحالها.

وغادرت لتجلس في الردهة العلوية، فظهرت أم قمر الدين فوق الدرج اللامع، ونطقت قائلة:

_ تحبوا تناموا امتى؟

أجابت أم الديب:

=ننام دلوقتي يا ست بسملة.

ردت أم قمر الدين:

_ أوكي تعالوا معايا.

نظرت نعمة حولها بدهشة عميقة، وخرجت كلماتها بصوت خافت:

=كل ده بيت ياما؟

ردت أم الديب بصوت حاد:

_ اسكتي لا تسمعنا.

بعدها وصلوا غرفتهم، نطقت أم قمر الدين بابتسامة:

=دي أوضتكم، ولو احتاجتوا حاجة اضغطي على الجرس ده، هتلاقى توليناز أو صوفيا أو داليدا لحد عندك.

اعتقدت أم الديب أن لدى أم قمر الدين بنات أخرى، لذا أدركت قائلة بذهول:

_ ابهي انتي عندك بنات غير اللي شوفناهم؟

ضحكت أم قمر الدين، وقالت:

=لا لا دول الخادمت اللي عندي وليهم أيام محده، ويبجي غيرهم .

ردت أم الديب:

_ أه ماشي يا ست بسملة .

ردت أم قمر الدين بابتسامة تواضع:

=هسيبكم بقى... جود نايت .

بعدها غادرت، وأوصدت الباب خلفها بحركة هادئة، لم تستطع أم الديب إلا أن تعبر عن دهشتها بتعليق

هامس:

_ ايهي هي بتشتما ولا ايه يا بت؟

ردت هايدي:

= لا يا ماما، دي بتقولك تصبحي على خير .

تلفظت أم الديب بسخط:

_ ماتتكلم عربي، عاوجالنا لسانها ليه؟

ردت هايدي بامتعاض:

= يعني احنا في بيتها وكمان مش عاجبك؟

امتطت أم الديب ردود أفعالها بقوة، موجهة صوتها نحو هايدي بكل وضوح، ونطقت قائلة:

_ اكتمي يا بت لا أرنك علقه!

ردت هايدي بانفعال:

= يوه بقى!

انتهت أم الديب من يومها المزدهم، واستقرت على سريرها الدافئ، وبينما كانت تتلحف بالغطاء الناعم، اندلعت الذكريات في خاطرها. وفي الوقت نفسه، اقتربت نعمة من ثلاجة المكتب، وفتحتها بحذر متمنيه لحظة راحة بسيطة. فوجدت بداخلها مجموعة من العصائر المنعشة، والحلويات اللذيذة، فأعلنت بسعادة طفولية تراقصت في صدرها:

_ الله الحقي ياما....الثلاجة مليانة أكل!

ردت أم الديب، وهي تقترب بخطى ثابتة منها، وتلفتت بعينيها نحو نعمة، وجاءت كلماتها بعبارة تعبيرية:

= أيوه صحيح مليانة، عبيلنا يا بت خرينا ناكل !

خرجت هايدي ببطء من تحت الغطاء، وعبرت بكلماتها بوضوح:

_ انتوا هتفضلوا لحد امتي بالشكل ده؟

ردت أم الديب بسخرية:

=خليكي انتي يا بت في أنعرتك الكدابة ده.

وتفاسمت مع نعمة الحلوى أما في يوم آخر أثناء جلوس المعلم حنفي في مشروعه، حضرت الراقصة بثقة متجاوزة، ووضعت يدها برقة على خصرها، ورفعت حاجبيها بتحدي، ثم نطقت بكلامها بصوت جريء:

_ مختفي ليه يا حنفي؟

رد المعلم حنفي بتجاهل:

=أشغال.

نطقت الراقصة:

_ مش وعدتني هنتجوزني في الحلال؟ لحد امتي يا حنفي هنتفضل مقضيها؟

رد المعلم حنفي بتجاهل :

=لما ربك ياذن.

تحدثت الراقصة باحتدام:

_ مالك ياخويا مش منتبهلي كده ليه؟

رد المعلم حنفي بدهاء :
=وهي الفلوس اللي معايا هتكفي ياخوتي؟

عندما علمت الراقصة بأن المعلم حنفي يمتلك الأموال، ازداد تمسكها به، وتصميمها على الزواج منه، فأظهرت اهتمامًا متزايدًا، وثابتًا، ونطقت كلماتها بحماس، واهتمام:
_ليه معاك كام؟

رد المعلم حنفي:

=خمسين ألف بالتمام والكمال.

اقتربت الراقصة منه، وقالت بدلال:

_طب ياخويا مش تحن عليا بدل مانت معلقني على الفاضي؟

رد المعلم حنفي بموجدة:

=ابعدي يا بت وانتي طالق، واللي عندك اعمليه!

ضحكت الراقصة ضحكة غير ملائمة، وتجلى في وجهها الاستهتار، ثم نطقت بكلماتها بغضب محموم، متوعدة له:

_لا ده انا مش هسيبك، وهوريك، وهعرفك شغلك كويس، أصبر ياخويا !

ثم غادرت المحل بخطوات ثابتة، وانطلقت نحو مكتب المحامي، حيث قامت بسررد كل تفاصيل ما حدث له، معبرة عن استيائها بوضوح. ثم نطقت كلماتها بغضب ملحوظ، وهي توجه تهديدًا صارمًا:

_حنفي ضحك عليا، وانا مش هرتاح ولا يهدالي بال غير لما حقي يرجع منه تالت ومثلت !

رد المحامي باهتمام:

=معاكي قسيمة الجواز الرسمي؟

أجابت الراقصة بقلق:

_لا.

قال المحامي بدهشة:

=أمال هترجعي حقك منه ازاي، وانتي قصاد الحكومة مفيش حاجة تربطك بيه؟

صدحت الراقصة بصوت مرتفع، وصدمت يدها بقوة على فخذها، ثم نطقت كلماتها بانفعال عارم:

_يعني ايه؟ حقي ضاع؟ لو كان القانون مش هيعرف يرجعلي حقي، انا هعرف أرجعه بس بطريقتي !

استيقظت أم الديب من سباتها العميق، وانحدرت إلى الطابق السفلي بخطوات هادئة، فإذا بها تشاهد قمر

الدين يدخل من الباب، وفي خياله الملبس اعتقد أنها الخادمة الجديدة، مغيرًا تمامًا هويتها، ونسيانًا

لحقيقتها كونها حماة أخته، فلم يتردد في التعبير بضجيج حار:

=اجري يا ست هاتيلي كوباية مائة.

ردت أم الديب بتعجب:

_ايهي انت مش عارفني؟

نطق قمر الدين بتفكير:

=مش انتي الخدامة الجديدة؟

ردت أم الديب بصوت حاد:

_خدامة مين ياخويا؟ انا أم الديب!

صاح قمر الدين فيها قائلاً:
 =مين أم الديب دي يعني؟ يلا امشي!
 صرخت أم الديب في وجهه، وقالت باهتياج:
 _ انت بتكلمني أني؟
 رد قمر الدين بصوت حاد:
 =أه بكلمك انتي يا حاجة.. يلا امشي من هنا!
 ودخل لنداء والدته، مردداً بكلامه:
 =يا ماما... يا ماما.
 نزلت أم قمر الدين ملييه نداءه، حيث قالت بابتسامة:
 _ ايه يا حبيبي جيت امتي؟
 رد قمر الدين، وهو حانق:
 =دلوقتي حالاً.
 قالت أم قمر الدين بابتسامة:
 _ مش هتسلم على حماة جميلة؟

بعد أن ألقى قمر الدين نظرة مركزة على ملامحها، اندهش بشدة، وتأثر، وخرجت كلمات منه بتعبير مليء بالإحراج:
 =أوبس!... هي دي حماة جميلة؟
 نطقت أم قمر الدين:
 _ أه طبعاً يا حبيبي، انت نسيت ولا ايه؟
 رد قمر الدين بإحراج:
 =معلش انا أسف مخدتش بالي.
 تلفظت أم الديب بموجدة:
 _ ايهي ولا يهكم ياخويا، حصل خير!
 تحدثت أم قمر الدين:
 =طيب يلا بينا عشان نفطر سوا
 رد قمر الدين باشمئزاز ملحوظ من أم الديب:
 _ انا هفطر لواحد، ابقى طلعي أكلي فوق.
 صعد قمر الدين إلى غرفته، وفي الوقت نفسه، قامت أم قمر الدين بأخذ أم الديب، وخرجوا سوياً إلى حديقة المنزل الجميلة، وجلسوا على طاولة مطلة على حمام السباحة، تحت ظلال الأشجار، وتمتعوا بجو الهواء النقي، وأصوات العصافير المرحية. في الوقت ذاته، كان باسم يجلس بمفرده في مكتبه، يفكر بابتته جميلة، وكيفية تأقلمها مع الحياة الجديدة، بعيداً عن الثراء الذي اعتادت عليه. كان يخشى من فكرة أن تشعر بالنقص، حيث لم تكن معتادة على معيشة الفقر بل ترعرعت في قصر ضخم يضم الخادومات، والحرس، وكانت كل رغباتها وطلباتها تلبى فوراً. وفي هذا السياق، بدأ يفكر في فكرة قدوم فرد جديد للأسرة، وكيف سيتمكن أحمد من تلبية احتياجاته، ومطالبه، وفجأة اتخذ قراراً حاسماً. فمسك بيده الهاتف، واتصل بابتته، وبدأ بالقول لها:
 =ازيك يا جميلة يا حبيبي عامله ايه؟

ردت جميلة بود:

_ الحمد لله يا بابي، حضرتك أخبارك ايه؟

أجاب باسم بحب:

= الحمد لله بخير طول مانتي بخير، يارب مكونش صحيتك من النوم بس !

ردت جميلة بلطف:

_ لا يا حبيبي انا لسة صاحية من شوية، وحتى لو كنت نايمة، أصحابك مخصوص... ده انا عيوني ليك !

قال باسم بسعادة:

= تسلملي عيونك يا حبيبتي... انا كنت ايزك في موضوع مهم .

ردت جميلة بفضول:

_ موضوع ايه ده؟

تحدث باسم:

= فاكرة أونكل رؤوف، اللي كان بيجي عندنا وانتي صغيرة؟

ردت جميلة بابتسامة:

_ أه طبعا فاكراه.

تحدث باسم:

= الحقيقة أنه محتاج موظفين في شركته، وانا مش هلاقي أحسن من أحمد يكون موظف عنده.

ردت جميلة بسعادة:

_ بجد يا بابي؟

أجاب باسم:

= أيوه طبعا، ياريت تبلغيه، ولو وافق انا هديله العنوان، وأظن إن شهادته جاهزة !

ردت جميلة بسعادة غامرة:

_ طبعا جاهزة... خلاص متقلقش انا هقوله، ومتأكدة أنه هيوافق !

عرضت جميلة فكرة العمل لأحمد، فوافق عليها بحماس شديد، انتقل ليأخذ تفاصيل العمل من باسم، ثم

غادر إلى الشركة وسط حماس، وتفاوض لبدء مغامرة جديدة في حياته المهنية. وبعد إجراء مقابلة

شخصية معه، تم قبوله أخيراً في الشركة، وهذا كان مثل نقلة اقتصادية في حياتهم، فبدأوا يتطلعون إلى

مستقبل أفضل، وأكثر استقراراً. وفي الوقت نفسه، في منزل عائلة حامد، كانت والدته تجلس معه، وهم

يتبادلون الحديث بشكل حيوي، وفي نقاش حار حول مسائل متنوعة، انفعلت والدته، أم أشرف، للتعبير

قائلة:

= يعني ايه عاوزينها تقعد في بيت أهلها؟ هو مين فيكم الراجل، انت ولا هي؟

رد حامد بغضب:

_ ما خلاص ياما، دي رابع مرة تتكلمي معايا في نفس الحوار... هو يعني كلامك هيغير اللي احنا فيه؟

قالت أم أشرف بانفعال:

= وانت يا غبي لو لقدر الله حصل واتطلقنوا، هتاخذ الشقة فوق كتفك وتمشي؟ ده أخوها البلطجي

هيقطعك، وفي الآخر بيقوا ضحكوا عليك وسكعوك على قفاك قلم طول كده.

انفجر حامد في والدته قائلاً:

_ الشقة هتبقى بإسمي، ولو حصل اللي بتقولي عليه ده ساعتها هبيعها لأي حد، وأخذ فلوسي، ويا دار ما دخلك شر !

ردت أم أشرف بسخرية:

=ده لو عرفت تبيعها... أبقى قابلني لو عرفت تاخذ مع عيلة الديب حق ولا باطل !
تلفظ حامد بجلبة:

_ يوه ما خلاص بقى ياما... خلاص!

ردت أم أشرف بعصبية:

=خلاص خلاص... اللي ببشيل قربة مخرومة، بتخر على دماغه، ولعلمك انا لا حاضرة كتب كتاب، ولا فرح... انا مش راضية عن الجائزة دي من الأول!

رد عبد الغني بقلق:

_ ماتفكك يابني من الجائزة دي، وتكسب رضا أمك !

نطق حامد باستياء:

=ماشى يابا، ماهي تبقى ماشية مع الناس زي السكينة في الحلاوة، وتيجي عند حامد وتقف... انا اللي بختي هباب، وقطران طول عمري .

حينما خرج من المنزل، وأوصد الباب خلفه بقوة، شعرت أم أشرف بأن طيف الحزن يلوح في أفق حياتها، وخرجت عباراتها بألم ممزوج بالأسى، وهي تقول:

=لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم... يارب انجدنا من الجائزة السوداء دي قبل ما نلبس في الحيط!
في غضون أربعة أشهر، استطاعت نعمة إكمال شراء نصف جهازها المطلوب، وكلما اشترت شيئاً جديداً، قررت وضعه في شقة ليالي حتى تضمن سلامته من أي ضرر أو إهمال من جانب أم الديب. في الوقت نفسه، دخلت جميلة في الشهر التاسع من الحمل، وكانت تواصل التقاط الصور أمام المرأة كل شهر لتوثيق تطور الحمل. وفي هذا اليوم، بعد أن انتهت من التقاط الصورة مع جينيتها، صرخت صرخة مدوية، ووضعت يدها على بطنها، فانسكب الماء على ساقيها وهي تصرخ بشدة، وألم، حتى خرج أحمد من المرحاض على صراخها، وسارع إليها محاولاً تقديم المساعدة، ووجه لها كلمات الدعم:

_ ايه في ايه؟ ايه يا جميلة مالك؟

أجابت جميلة بصراخ قوي يعكس شدة الألم الذي تعانيه، حيث تمزجت أصوات الانتحاب بنغمات العذاب، وترتفع موجات الألم من بين شفثيها المضغوطتين، مصحوبة بعرق جارف يغمر جبينها، وتعتليها أوجاع الطلقات المتواصلة كموج البحر المتلاطم، وتتسارع نبضات قلبها:

=تعبانة أوي... تعبانة مش قادرة !

اندلعت حالة من الفزع في نفس أحمد، حيث تلتف حوله التساؤلات حول كيفية التصرف في هذه اللحظة الحرجة مع زوجته. ففي جمود حالة الذهول، لم يجد سبيلاً إلا أن يلجأ إلى الدعم الطبي، وتغلغل كلماته المليئة بالخوف في همس مرتعش:

_ ألو يا دكتور... جميلة تعبانة أوي، وانا مش عارف أعمل ايه!

رد الطبيب:

=هاتلي مدام جميلة أكلها.

أعطى أحمد هاتفه لجميلة، وبينما تحاول بصعوبة الإمساك به وهي تعول بشدة، كان يتحدث إليها بصوت هادئ، في تحاشي لتهديئة ذعرها، وتقديم الدعم اللازم:
=ألو يا مدام جميلة...ممكن تقوليلي الأعراض اللي عندك ايه؟
بينما جميلة تواجه آثار الألم، وتشرح الأعراض التي تعاني منها بصوت متقطع، ومتألم، تلقت ردًا من الطبيب الذي قدّم لها الاستماع بنفهم، وتأنٍ، مُطمئنًا:
_حالًا نيجوا و....

قبل أن يواصل الطبيب حديثه، ألفت جميلة الهاتف بعيدًا باندفاع، وصرخت بقوة ممزوجة بالإرهاق. رد أحمد فورًا، وأمسك هاتفه بقوة، ليتواصل بدلًا منها مع الطبيب، مبدئيًا الاهتمام بما تمر به زوجته:
=ألو يا دكتور، نعمل ايه؟
رد الطبيب:

_هتروحوا على المستشفى دلوقتي حالًا، وانا هقابلكم هناك.
نطق أحمد بتعبير من الخوف، والقلق الملحوظين، حيث انعكست تلك المشاعر في صوته المرتعش، وتعبير وجهه المتوترة:
=حاضر، هنيجي دلوقتي، سلام .

ثم انطلق للغرفة على وجه يظهر عليه الاستعداد، وأحضر حقيبة جميلة بعناية، ثم أمسك بها بقوة وخرجوا مُسرعين من الشقة، في حين ما زالت جميلة تعول بشدة. لم يتوقف الصراخ حتى وصلوا إلى السيارة، وفي ذلك الوقت، قام أحمد بالاتصال بوالدة جميلة بينما يحاول تهدئتها، ومواساتها:
_ألو يا طنط بسملة...احنا هنروح على المستشفى دلوقتي، تقريبًا جميلة هتولد!

ردت أم قمر الدين بصدمة:

=أوه ماي جاد...انت بتتكلم بجد؟

أجاب أحمد بتوتر:

_أيوه طبعًا... انا حبيت أبلغكم .

ردت أم قمر الدين برهبة:

=أوكي يا حبيبي، احنا هنقابلكم هناك...باي .

بعد أن انتهت المكالمة، توجهت أم قمر الدين إلى غرفة الملابس بينما تخيفها الأفكار بشأن ابنتها، حيث كانت تشعر بالخوف، والقلق الشديدين. وبعد وصول أحمد بجميلة إلى المستشفى، نزل من السيارة وفتح الباب لها، وأسندها برفق، وبينما كانوا يتجهون نحو المدخل، حضر موظفو الاستقبال بكرسي متحرك. جلست جميلة عليه بينما تعول بشدة من الألم، وفي النهاية دخلوا بها إلى غرفة الطوارئ. وبعد نصف ساعة، حضرت أم قمر الدين، وزوجها، وأبناؤها، وبعد وصولها إلى الغرفة، عانقت جميلة بحنان، ودفء، وهي منهكة، وعبرت عن قلقها قائلة بمحبة:

_متخافيش يا حبيبتني، هتقوميلنا بألف سلامة !

ردت جميلة بألم شنيع:

=يارب يا مامي .

دخل قمر الدين بينما تتبعه منى، وظهر على وجهها علامات الاهتمام. قال قمر الدين بصوت مليء بالقلق:

_جميلة مالها؟ هتولد ولا ايه؟

تلفظ باسم بشك:

=تقريبًا كده .

تحدثت سامية بقلق:

_ ادعيها يا قمر الدين .

رد قمر الدين بابتسامة:

=إن شاء الله خير .

دخلت الممرضة وبدأت في فحص جميلة، وتأكدت من أنها تعاني من آلام طلق الولادة. بادرت أم قمر الدين بالتعبير عن قلقها بصوت مليء بالخوف:

_ ممكن تطمئني جميلة هتولد امتي؟

ردت الممرضة:

=احنا هندخل مدام جميلة العمليات خلال ربع ساعة .

نطقت جميلة بانتحاب:

_ ممكن جوزي يدخل معايا؟

ردت الممرضة:

=للأسف ممنوع .

نطقت أم قمر الدين بامتعاض:

_ يعني ايه ممنوع؟ احنا اللي ممنوع الكلمة دي نتقالنا نهائي! هو انتي متعرفيش إن دكتور وجدي الهلالي مدير المستشفى، يكون صاحب رجل الأعمال الكبير باسم الهواري باشا اللي هو في الأساس والد جميلة؟

تراجعت الممرضة عن قرارها، ونطقت بخوف:

=على دماغنا من فوق، انا هبلغ دكتور محمود، وهاخذ منه الإذن .

تفوهت أم قمر الدين بصوت حاد:

_ اتفضلي .

خرجت الممرضة من غرفة جميلة، وأبلغت الطبيب برغبة جميلة في دخول زوجها معها إلى غرفة العمليات. فرد الطبيب بتفهم:

=خلاص مفيش مشكلة، بس لازم نعقم جوزها الأول .

بالفعل، بدأ أحمد في ارتداء زي العمليات بينما كانت جميلة تتأهب بحالة من التأمل، وكان جميع أفراد عائلتها يقفون بجانبها لدعمها، ومساندتها، باستثناء أخاها المراهق علاء الدين. حين وصل الطبيب مع الممرضات، وضعوا جميلة فوق السرير المتحرك، وكانت تبكي بحرقة من شدة ذعرها، وفي تلك اللحظات، كان أحمد يمشي بجانبها، ممسكًا بيدها ليطمئنها، ويواسيها، بينما كانت باقي أفراد العائلة يتبعون خلفهم بكل اهتمام. وفي ذلك الوقت، قالت أم قمر الدين بصوت متأثر بالبكاء:

_ متخافيش يا روعي، صدقيني هتعدي على خير !

أجابت جميلة ببكاء:

=انا بجد خايفة أوي يا مامي !

رد باسم بابتسامة:

_ متخافيش يا حبيبتني كلنا في ضهرك، وجوزك هيدخل معاكي .

ردت جميلة ببكاء:

=يارب !

أخيراً دخلوا غرفة العمليات، حيث ما زالت أم قمر الدين تبكي بشدة من الخوف على ابنتها. فاقتربت سامية منها، وأمسكت بها برقة، محاولة تهدئتها وتوجيه المواساة، حيث قالت بصوت مليء بالحنان: _ خلاص بقى يا ماما، متخافيش... صدقيني هتقوملنا بألف سلامة هي وسيليا .

نطق قمر الدين بهدوء:

=طب يلا يا جماعة بعد إذكم نرجع الأوضة لأن وقفننا هنا مش حلوة... اتفضلوا!

عاد الجميع إلى غرفة جميلة، وجلسوا في انتظار الأخبار. أمسكت أم قمر الدين هاتفها، واتصلت بأم الديب، وعبرت لها عن القلق الذي يخيم على الجميع، قائلة بصوت مليء بالتأثر:

_ ادعي لجميلة بليز يا أم الديب !

ردت أم الديب بتعجب:

=ليه مالها؟ كفالله الشر!

أجابت أم قمر الدين ببكاء:

_ جميلة هتولد، لسة داخلة العمليات من شوية هي، وأحمد .

ردت أم الديب بعفوية:

=ايهي هو هيوولد معاها ولا ايه؟

أجابت أم قمر الدين بصدمة:

_ نعم؟

ردت أم الديب بتلعثم:

=آني أقصد ربنا ينتعها بالسلامة يا ست بسملة، ويكتبهاها ساعة سهلة قادر يا كريم .

ردت أم قمر الدين بأسى:

_ يارب... انا بجد خايفة عليها أوي!

نطقت أم الديب بلهفة:

=أما انتوا فين، آني هلبس وجايلكم!

ردت أم قمر الدين:

_ لا لا لا تيجي فين؟ انا وباباها، وأخواتها معاها، خليكى انتي مرتاحة في البيت، كده كده مفيش مكان .

ردت أم الديب بسعادة:

=ازاي بس يا ست بسملة؟ ودي تيجي برضة؟ لازم كلنا نبقى جنبيها في الظروف دهى .

ردت أم قمر الدين:

_ لا يا أم الديب خليكى في بيتك، ولما جميلة تقوم بالسلامة إن شاء الله، وترجع بيتها أبقى تعالى انتي وولادك !

في غرفة العمليات، بعد أن بنجت جميلة وأنجزت أولى خطوات العملية بنجاح، كان أحمد يجلس على كرسي بجانب رأسها، يمسك يدها بتعاطف محاولاً تهدئتها، ومواساتها في تلك اللحظات الحساسة.

وحيالهم ستارة زرقاء تحجب الرؤية عن العملية، فلم يكونوا قادرين على رؤية سوى رؤوس الأطباء العاملين. وعندما سمعوا صوت ابنتهم سيليا وهي تولد إلى الحياة، تبادلوا ضحكة هادئة تعبيرًا عن الفرح. بعد ذلك، قام الطبيب بقطع الحبل السري الذي يربط بين المولودة، ووالدها، ثم جاء بها ووضعها فوق صدر جميلة. وفي تلك اللحظة، قُبلت جميلة ابنتها بدفء، وحنان، وهي تبكي بفرح ممزوج بالعاطفة، واستنشقت رائحة البراءة الملائكية التي أحاطت بالمكان. وفيما أخذتها الممرضة لتنظيفها بالمياه، والصابون، وهي تبكي بحرقه، ارتدت سيليا ملابسها ووضعته داخل اللفة، وسلّمت بعناية لوالدها، حيث بادلها بابتسامة مفعمة بالحب حيث قالت الممرضة بفرحة:

=ألف ميروك، بنوتة زي القمر .

لجأ أحمد إلى التأمل للحظة، ويبقى صامتًا، متأملًا في عين ابنته الرضيعة، ثم ينطق بسعادة متواجدة في كلماته:

_الله يبارك فيكي .

نطق الطبيب:

=مممكن حضرتك تتفضل في الأوضة لحد ما احنا نخيظ الجرح؟

رد أحمد بسرور جسيم:

_أه طبعًا، حاضر .

خرج أحمد من الغرفة وهو يحمل سيليا فوق ذراعيه، وتتبعث منه نيرة خاصة من الحنان، فكأنما كان يحمل كنزًا لا يُضاهى على وجه الأرض. وبينما كان يسير بخطى هادئة نحو الغرفة، تأمل في وجه ابنته الصغيرة بعيون ممتلئة بالدهشة، كمن يشاهد عجب الحياة بكل جمالها في ملامح وجه صغير. فصرخت أم قمر الدين، وسامية من شدة بهجتهم بالفرد الجديد الذي انضم إلى عائلتهما، وكانت الفرحة تتسلل إلى قلوبهما بكل انبساط. وفي لحظة هذه الفرحة الغامرة، خرجت كلمات أم قمر الدين، ممزوجة بالحب، والفرح:

=أوه ماي جاد، حفيدتي سيليا... روح قلب نانا .

وقف الجميع في دائرة حول أحمد، وسيليا، يتناغمون في لحظة من الدهشة المتجددة، والترقب للقاء الفرد الجديد في الأسرة. ثم قالت سامية بعبارة مليئة بالتأثر:

_ما شاء الله عليها زي القمر .

ضحك قمر الدين، وقال بسرور:

=يعني انا خلاص كده بقيت خالو رسمي؟

رد باسم، وهو يضحك:

_طب مانا بقيت جدو... ياه يا جميلة كبرتينا معاكي .

أمسكت أم قمر الدين هاتفها بين يديها، وبينما تتأمل في الشاشة، يتسلل إليها الشوق للتواصل مع أم الديب. ثم بدأت بالاتصال، وكانت كلماتها تتراقص على لسانها برقة، وقالت بصوت ينبض بالحماس:

=جميلة ولدت يا أم الديب، وجابت بنوتة زي القمر سميتها سيليا!

زغردت أم الديب بفرحة غامرة، وبادرت بجمع بناتها نعمة، وهايدي حولها، وهي تتأمل فيهن بعيون ممتلئة بالسعادة، ثم انطلقت بكلماتها المفعمة بالفرح:

_يا ألف بركة، يادي الهنا، يادي الفرحة !

مع انطلاق الزغاريد مرة أخرى، دخل جلال الشقة وهو يحمل مشتريات لزوجته، وفور وصوله، التفتت إليه أم الديب بابتسامة وعيون تعبق بالسعادة، وقالت له:

_ولا يا جلال... اعمل حسابك هتعدى على العطار تجيلنا من عنده عشرة كيلو مُغات .

رد جلال بتعجب:

=ليه ياما؟ عشرة كيلو ليه؟

نطقت أم الديب بسعادة:

_جميلة ولدت وجابت بت سميتها سلالينا .

ردت هايدي بتعجب:

=سميتها سيليا يا ماما... ايه سلالينا دي؟

ردت أم الديب بسعادة:

_مفرقتش كثير يا بت، يا سلام على الفرحة اللي أني فيها.. زغردي يا نعمة !

رفعت نعمة يدها بفرح وهي تطلق الزغاريد في الهواء، وبينما كانت جميلة تستعيد قواها بعد خروجها من غرفة العمليات، وضعتهن الممرضات على سريرها، وعقب ظهرها حروف البالونات تتشكل بإسم "Selia" جلس أحمد بجانب زوجته بمشاعر من السعادة الباهرة، وألقى كلماته بحنان، وفرح متجدد،

قائلًا:

=ألف ميروك يا حبييتي.. أخيرًا بقيتي أم؟

ردت جميلة بسعادة ممتزجة بالأم:

_الله يبارك فيك .

جاءت أم قمر الدين، وهي تحمل سيليا على ذراعيها بكل حنان قائلة بسعادة:

=ميروك يا روح مامي، بنوتك طالعالك... ماشاء الله عليها قمراية!

ردت جميلة بفرحة:

_الله يبارك فيكي يا مامي .

وقف قمر الدين بجانب والدته، وبينما كان ينظر في وجه سيليا، امتلأ وجهه بابتسامة من الفرح العارم، وفي اللحظة تلك، قال بتمعن:

=شبهي .

ردت نرمين ببهجة:

_لا شبه جميلة .

ردت منى، وهي تضحك:

=بيبي سيليا مش شبه حد دلوقتي، لما تكبر هتظهر ملامحها .

رد باسم بسعادة:

_يا بني ده وانتوا صغيرين كنتوا كلكم شبة بعض!

ضحك قمر الدين، وقال:

=مممكن برضة!

بينما في منزل أم الديب، وبعد أن أحضرت المغات ووضعته له السمن، والمياه، ألقته نظرة ناعمة نحو نعمة، ثم قالت بصوت مليء بالاهتمام:

_قلبي كويس يا بت، وخدي بالك لا يتحرق .

ردت نعمة بتعجب:

=الله..وانتي بتعمليه لمين دلوقتي ياما؟

أجابت أم الديب:

_بنعملولنا، وهنبعت لخالتك، وستك شوية، وهنبعت لأبو محمد شوية مع جلال... إنما خالك ضايع فآني هشيله كيلو على جنب .

ردت هايدي بسخرية:

=لا ريحي نفسك، جو المغات ده ميمشيش معاه، ده عايزله إزازتين بييرة هما دول اللي هيجيبوا من الآخر!

ردت أم الديب بصوت حاد:

_ايهي تقصدي ايه يا بت؟ بتتمسخري على خالك المحترم اللي مبيطلعش منه العيبة؟

صرخت ليالي في الأعلى، وهي تجوب الصالة بخطى متسارعة، وعيناها تشتعلان بالغيرة كالنار المشتعلة، وكل جزء من وجودها يرفض هذا الواقع المرير، فكيف يمكن لحماتها أن تميز جميلة بذلك الشكل الخسيس؟، وقالت بصوت ملتهب باللهجة المقتدة:
=يا سبحان الله بقى أمك جابت عشرة كيلو مُغات عشان خاطر ست جميلة؟ ده انا من يوم ما حملت لحد ما ولدت مهانش على أمك تجييلي معلقة شاي حتى .

رد جلال بتعجب:

_انا بصراحة مش فاهم مالك كل ما سيرة جميلة تيجي قصادك بشم ريحة شياطك من على بُعد؟
صاحت ليالي في وجه جلال، وجلست أمامه، وقالت:
=لو تقصد إني بغير، فانا مغيرش... انا الحمدلله واثقة من نفسي كويس أوي، لكن حركات أمك دي هي اللي تحرق الدم، أمك بتفرق ما بيني انا وسلفتي يا جلال، وإن جيت للحق، فاده ميرضيش ربنا!

رد جلال:

_مانتي عارفة يا بت إن أمي بتتمحك فيهم إكمنهم عالم أغنيا .

ردت ليالي بامتعاض متوهج:

=طب والله مآني ساكتة على اللي بيحصل ده .

ارتدت عباؤها بسرعة، ثم نزلت إلى أم الديب، فوقف جلال مندهش، وقال:

_يخربيتك انتي ناوية تعملي ايه؟

يتبع....

الفصل العشرون

عندما وصلت ليالي إلى شقة أم الديب، اكتشفتُ جَوًّْا مليئًا بالنعيم، وهناك كانت أم الديب في المطبخ تقوم بتقليب المُغَات في القِدْر، فلم تتمالك ليالي نفسها وقالت بدهاء:
_ كده يا حماتي تبقوا بتعملوا شغل، ومتندهنوش آجي اساعدكم؟

ردت أم الديب بتعجب:

=وانتي من امتي بتساعدينا ياختي؟

نطقت ليالي بخبث:

_وانتي عمرك قصدتيني في حاجة، وقولتلك لا؟

زمرت أم الديب، وقالت ببغضاء:

=ده انتي عامللنا فيها بت بارم ديله، وانتي متسويش ربع جنية في سوق الحريم يا بت !

انتحبت ليالي بوجه أم الديب، وقالت بحدة:

_ربنا يسامحك يا حماتي، على العموم الدنيا دوارة، يوم ليك ويوم عليك، وانا عشان بت أصول مش هرد عليك، مانتي في الأول والآخر قد أمي .

ردت نعمة باستياء:

=لا حول ولا قوة إلا بالله، ولازمته ايه الكلام ده بس ياما؟ ده ليالي بتحكك ومعتبراك زي أمها !

أجابت أم الديب بصوت حاد يشوبه قسوة القلب:

_اسكتي يا بت بلا أمها بلا خالتها، أني معنديش غير بتين انتي وأختك هايدي !

ثم خرجت من المطبخ، وزادت ليالي عنادًا، وإصرارًا في الانتقام من أم الديب، وتخليص نفسها من الطاقة السلبية التي زرعتها داخلها، فنطقت نعمة بحزن مكبوت في صدرها، بينما يتسلل التأثير في عينيها، وترتسم الكلمات برحمة على شفثيها، وهي تتمتم:

=حقك عليا يا ليالي، متزعلش ياختي !

ردت ليالي بدهاء:

_لا يا حبيبي، وانا برضة هاخذ على كلام أمك؟ مانا عارفة إن قلبها أبيض عشان كده كلامها كثير...

المهم انتوا بتعملوا ايه؟ عايزه أساعدكم!

تحدثت نعمة:

=هنعمل كمية مغات، وهنشيلها في الفريزر، وتبقى يادوبك على التسخين، وهناخد معانا كمية لجميلة بكرا .

ردت ليالي بمكر:

_طب أقعدي ارتاحي انتي، وانا هعمل بدالك... ده انا عليا شوية مُغَات يعبطوا .

خرجت نعمة من المطبخ، انتقلت وجلست على الأريكة محاولة استراحة مفتقدة، في حين امتدت يدا ليالي نحو علبة الملح، حيث اختارت كمية من بودرة المُغَات، وأضافت الملح إليها بدقة، مما جعلها تغوص في الخليط بتركيز شديد، حتى اخنفت تمامًا بين الرائحة القوية، واللون المتجانس، ثم خرجت من المطبخ بعدما أنهت مهمتها السرية، وصاحبتهَا عبارة من الإرهاق لامست أعماق القلب، وقالت:

_أه يا رجلي، معلش يا نعمة، فجأة كده رجليا قامت عليا... كملتي انتي بقى!

نطقت نعمة بقلق:

=سلامتك ألف سلامة، طب أقعدي ارتاحي!

ردت ليالي:

_ لا لا انا هطلع أرتاح على السرير، وبكرا نبقي نروح لجميلة .

تلفظت نعمة بلطف:

=ماشى يا ليالي، خدي بالك من نفسك وانتى طالعة .

ردت ليالي بابتسامة:

_ حاضر، مع السلامة .

اليوم التالي في المستشفى، كان أحمد نائمًا على الأريكة، فاستيقظ فجأة عند سماع دق الباب بحذر، فما لبث أن اندفعت كل خلاياه لفتح عينيه، واستقبال الزائر، وبينما كانت طيات النوم تتراقص على وجهه، نطق بصوت مرتفع:

=أدخل !

دخلت أم قمر الدين برفقة باسم، وسامية، وقمر الدين، كان كل واحد منهم يحمل علبة من الهدايا في يديه، فوقف أحمد متحيرًا عن موقفه على الأريكة، وهو يعدل شعره بيديه بسرعة، ثم لاحظ وجودهم وانتبه إليهم، وعانق باسم بشغف، حيث أمسك بيديه برفق، ونظر إليه بعيون مليئة بالامتنان، وفي تلك اللحظة المميزة، نطقت باسم بابتسامة تملأ وجهه بالسعادة:

_ انت كنت نايم؟

رد أحمد بإحراج:

=لا يا عمي انا كنت برتاح شوية بس .

تحدثت أم قمر الدين برفقة:

_ هاي يا حبيبي أخبارك ايه؟

رد أحمد بسعادة:

=الحمد لله، اتفضلوا .

عند دخول أم قمر الدين، وبقية أفراد العائلة غرفة جميلة، جمعوا الهدايا ووضعوها بعناية على الطاولة، حيث تقدمت أم قمر الدين باتجاه جميلة، وانحنت نحوها بلطف، وقبلت جبينها بحنان على سريرها، مما جعل جميلة تفتح عينيهما ببطء مستقبلة اللحظة بحب، وخرج صوتها الضعيف من خلال السكون المحيط، وهي تقول بدهشة:

_ مامي؟

ردت أم قمر الدين بسرور:

=حمدالله على السلامة يا روجي .

أجابت جميلة بسعادة:

_ الله يسلمك يا مامي .

تحدثت سامية بحب:

=عاملة ايه دلوقتي؟ طمنيني عليكي!

ردت جميلة بتعب:

_ الحمد لله بقيت أحسن .

نظر قمر الدين لسيليا وهي تغطّي وجهها بيدها الرقيقة بلطف بينما تنام في سريرها، وفي لحظة من الصمت المؤثر، خرج صوته بهدوء، وتأمل:
 =صباح الخير على أحلى سيليا في الدنيا كلها .
 ضحك باسم، وقال بحرص:
 _وطي صوتك لا تصحى!

قال قمر الدين، وهو يضحك:
 =ده انا اللي مربى جميلة، ومنى، ونالا، وعلاء الدين، هنضحك على بعض بقى؟ ده انا خيرة!
 ضحكت أم قمر الدين، وقالت:
 _طبعًا، كنت انا بروح شغلي، وهو ببشيل أخواته بمساعدة سامية، ونرمين طبعًا !

ردت سامية بابتسامة:
 =فعلاً .

نطق باسم باهتمام:
 _ها يا حبيبتى، ناوية ترجعي البيت امتى؟
 ردت جميلة بتفكير:
 =النهاردة .

تحدثت أم قمر الدين بصدمة:
 _النهاردة ايه؟ هو انتي يا حبيبتى لحقتي تقومي من تعبك؟ مستحيل ترجعي البيت النهاردة طبعًا !
 ردت جميلة:

=انا بقيت في تحسن... هكمل علاجي في البيت .
 كانت جميلة تترك جيّدًا قدرة زوجها على تحمل تكاليف المستشفى، فهي عاشت في توتر مستمر بين حالة انكسار، وتقدير عميق، فإذا استطاع دفع يوم واحد في المستشفى، فإنه لن يكون قادرًا على تحمل تكاليف إقامتها في الغرفة لمدة يومين متتاليين في مستشفى يعتبر من أبهظ المستشفيات. وبالفعل، جاءت الممرضة وقدمت المساعدة لجميلة في ارتداء ملابسها بحرفية، ورعاية، في حين وضعت سامية بعض المكياج بأناقة على وجه جميلة لتضفي عليها بعض الحيوية، والأمل. وبينما كانوا يقومون بدعمها ومساعدتها حتى وصلت إلى سيارتها بأمان، وبعد أن تأكدوا من أنها وابنتها جلستا على سريرهما بأمان في المنزل، قال باسم بعمق، وتأثر في صوته:
 _اعذرنى بقى يا أحمد، انا مضطر أمشي لان ورايا ميتينج مهم كمان شوية، خد بالك من جميلة، وسيليا، واحنا هنكلمكم بانتظام!

رد أحمد بابتسامة، وهو يعانق باسم:
 =حاضر يا عمي، نورتنا النهاردة .
 نطق باسم بابتسامة ودية:
 _ده نورك يا حبيبي...باي يا جميلة !

ردت جميلة:

=باي يا بابي .

بعدما عانقتها والدتها، وأخواتها وغادروا، دخل أحمد الغرفة ووجد سيليا تصرخ بشكل مفزع، فعجز عن تهدئتها بالرغم من محاولاته الجادة، لكن في تلك الأثناء، انطلقت أم الديب، وجلال، وبقية أفراد العائلة لركوب السيارة الكبيرة المعروفة بـ"الثمناية"، وكان معهم بعض الأكياس المليئة بالضروريات، وبعد مرور ثلاث ساعات طويلة من السفر عبر الطرق الوعرة، وصلوا أخيراً إلى وجهتهم المقصودة، حيث صعدوا في الأسانسير بحمولتهم الثقيلة، وفجأة، اندفعت صرخة من أعماق أم الديب من شدة الفزع، وهي تقول بصوت عالٍ، ومرتجف:

_يا لهوتي لا يقع بينا يا عيال!

في تلك اللحظة العسيرة، تشبثت أم الديب بقوة في عنق نعمة، حيث لم تتمكن من كبح تأثرها الشديد، وباختناق وصوت مكبوت، نطقت نعمة بألم في قلبها:

=خلاص ياما وسعي بقي، انا بتخفق!

ردت أم الديب بجلبة عارمة:

_على آخر الزمن نموت في صفيحة سمنة؟

ضحكت ليالي، وهي تحمل ابنها، وقالت بسخرية:

=سبحان الله الأسانسير بقي اسمه صفيحة سمنة .

صرخت أم الديب، وقالت باستهزاء:

_سيبنالك انتي الفهمان ياختي... أصل أبوكي اسم الله عليه كان معلمك في مدارس مصر .

بعد وصولهم إلى الوجهة المقصودة، وجدوا أحمد ينتظرهم بفارغ الصبر إزاء باب شقته، وعندما وصلوا، ترنمت العمارة السكنية بزغاريد الفرحة من أم الديب، وليالي، وأفراد العائلة، وفي هذا الجو المفعم بالسعادة، والانسجام، اقتربت هايدي بسرور وعانقت أحمد بحرارة، ثم نطقت بابتسامة، وقالت:

=ألف مبروك يا حبيبي .

رد أحمد بسعادة:

_الله يبارك فيكي يا هايدي .

فيما كانت الأجواء مليئة بالانسجام، تحدث المعلم حنفي، وهو يعانق أحمد بكل حب، معبراً عن سعادته برويتهم جميعاً سالمين، ومعافين:

=مبروك يا ض، تتربى في عزك يا أبو العروسة .

رد أحمد بسعادة:

_الله يبارك فيك يا بابا .

تحدث جلال بفرحة، وهو يصافح أحمد بود:

=ألف مبروك يا جدع .

رد أحمد بابتسامة:

_الله يبارك فيك .

قدم الجميع التهاني لأحمد، وجلست النساء في الغرفة مع جميلة لتبادل الأحاديث، والأخبار، بينما دخل الرجال مع أحمد في غرفة المعيشة وجلسوا مستعدون للاستماع إليه، فألقى أحمد كلمته قائلاً:

=أدوني بس خمس دقائق .

قال المعلم حنفي:

_خد وقتك .

دخل أحمد المطبخ بحركة مُتسارعة، وسكب العصير في الأكواب، ووضع الحلوى بدقة في الأطباق، ثم عاد إليهم وبدأ بتوزيع العصائر، والحلوى بينهم بإتقان، واهتمام، وبعد ذلك، انتقل إلى غرفة جميلة حاملاً الضيافة لأم الديب، والحاضرين، مما جعل أم الديب تعبر عن سعادتها بابتسامة دافقة، قائلة:
=عقبال ما نشرب شربات فرح سلولويا .

ضحكت هايدي، وقالت باستهزاء:

_سيليا...قولنا سيليا، انتي بتغلطي فيه كل مرة ليه؟

رد أحمد، وهو يضحك:

=مش مهم .

وخرج من الغرفة بعد إنهاء توزيع الضيافة، وبعد أن شربت أم الديب العصير بشهية مقززه، نظرت إلى هايدي، وقالت:

_خدي يا بت دخلي المغات دهو في المطبخ .

ردت جميلة باشمنزاز:

=ايه المغات ده يا طنط؟

أجابت أم الديب بسعادة:

_ده اللي بتشربه الواحدة النفسه .

ثم نظرت لنعمة، وأردفت:

=وانتي يا بت، خشي هاتي البت الصغيرة نشوفها .

ردت جميلة بانزعاج منين:

_لا يا طنط، سيليا نايمة دلوقتي، لما تصحى يبقى باباها يجيبها .

لوت ليالي فمها، ونظرت نظرات مليئة بالكراهية نحو جميلة، وفي هذه الأثناء، دخل أحمد وهو يحمل سيليا على ذراعيه، وكانت السعادة تتوهج على وجهه بشكل لا يُضاهى، مما دفع أم الديب، وليالي إلى إطلاق الزغاريد بفرح وهم ينظرون إليها عن قرب، وفي هذا الوقت العصيب، قالت نعمة بكل تأثر:
=بسم الله ماشاء الله، الله أكبر، زي القمر والله يا أحمد ياخويا .

تحدثت هايدي بذهول:

_دي فيها شبه من جميلة!

تحدثت أم الديب بسرور:

=دي كلها الخالق الناطق أمها .

تحدثت ليالي بكراهية:

_عادي البت عادية زي أي عيل، ماهي العيال كلها بتبقى شبه بعض في الأول .

ردت أم الديب بصوت حاد:

=خليكي في نفسك ياخوتي، ولا انتي غيرانة عشان مخلقتيش البت لحد دلوقتي، ومخلقة قرد مطلع عينك؟

تحدثت ليالي بامتعاض:

_انا ابني مش قرد، ده انا ابني ده حته سكرة... اسم الله عليه، حبيب قلب أمه يعمل ما بداله .

انطلقت نعمة بحديثها بسرعة كالريح، لتسترد السيطرة على الوضع ببراعة فائقة، قائلة:

=ده انا أمي عاملة شوية مُغات زي العسل، خده دخله المطبخ ومنين ماتحبوا تشربوا هتلاقوه جاهز على التسخين بس .

رد أحمد:

_بس جميلة مابتشربش الكلام ده!

نطقت أم الديب بإصرار:

=هتشربه، وهيعجبها... هات انت بس البت، وروح وديه المطبخ .

فيما أخذت نعمة سيليا منه، انطلق أحمد خارج الغرفة بكيس صغير، وتوجه نحو المطبخ، حيث وضعه، ثم عاد وجلس بجوار والده، وأخيه، وبينما كانت ليالي تراقبهم بانفعال ملحوظ، فجأة أطلقت حديث بصوت مليء بالغيرة:

_أما قوليلي يا جميلة ياختي، انتي ولدتي طبيعي ولا قيصري؟ أصل انا شايفة يعني أنك كويسة وبتكلمي معانا عادي، ولا كأنك والدة!

ردت جميلة بانتباه، وهي تشير بيدها اليمنى باتجاه الجهاز الذي كانت تحمله بيدها اليسرى، مُبدية تركيزها، واستعدادها للإجابة بوضوح:

=انا استخدمت جهاز Pca، وبجد ساعدني كثير إن انا محستش بأي حاجة .

ردت ليالي بفضول:

_أه، وده يعمله كام؟

ردت جميلة:

=مش غالي... يادوب خمس آلاف بس!

وطأت أم الديب يدها على صدرها بقوة، معبرة عن صدمتها العارمة، وبصوت مرتفع، ومليء بالدهشة، نطقت قائلة:

_ايهي المستشفى بخمس آلاف جنية؟

أجابت جميلة:

=لا يا طنط، المستشفى بأربعين ألف، لكن جهاز ال Pca هو اللي بخمس آلاف!

صرخت أم الديب بصوت عالٍ، وانتابتها حالة فقدان للوعي بعد سماعها المبلغ الضخم الذي دفعه ابنها، وعلى الفور، التفتت نعمة، وهايدي لتقديم المساعدة، حيث تحاولان استعادة وعيها، فارتجف جسدها بقوة، وهي تنطق بصوت متأثر:

_يا خراشي أربعين ألف جنية مرة واحدة؟

رن هاتف نعمة فجأة، مما دفعها للخروج من الغرفة بسرعة لتجيب على اتصال خطيبها، وبينما كانت تستمع له، نطق حامد بصوت مليء بالفضول:

=ايه يا نعومي هو انتي فين؟

ردت نعمة بوضوح:

_انا في مشوار .

تلفظ حامد بنبرة حادة:

=يعني ايه في مشوار؟ وانا ايه كيس جوافة قصادك؟ جرا ايه يا نعمة بقى مش عاملة احترام للراجل اللي معاك؟

ردت نعمة محاولة إرضاءه:

_والله كنت هقولك، احنا عند مرات أخويا أصلها ولدت، وكان لازم نروح نشوفها .

رد حامد بجلجلة:

=الحوارات دي مابقتش تاكل معايا، بصي يا بت الناس انتي من طريق، وأنا من طريق، و دهبي
يرجعلي .

استجمعت نعمة قواها، وعبرت بصوت حاد، محاولةً إيصال رسالتها بوضوح:

_وماله يا حمو، هروح أكلم جلال أخويا في الموضوع ده، ونبقى نشوف هيقول ايه .

تراجع حامد بعد سماع ما قالته نعمة، وعبر بصوت مليء بالخوف، محاولاً إظهار استسلامه للوضع:

=لا جلال ايه؟ صلي على النبي، ده انا كنت بعمل فيكي مقلب، وبشوفك هتقولي ايه، ده انا حتى كنت
بشوف غلاوتي عندك.

تحدثت نعمة بصوت حاد:

_جيبت ورا ليه يا حمو؟

رد حامد، وهو يضحك:

=بهزر معاكي يا نعومي، مش عايزك تاخدي الأمور قفش كده .

تحدثت نعمة بصوت حاد:

_طيب يا حمو على إتفاقنا!

رد حامد برهبة:

=حاضر .

عندما انتهت المكالمة بينهم، كانت أم أشرف خليفة ظل حامد، تستمع بانتباه إلى كل ما دار بينه وبين

نعمة. حينها، لفت حامد انتباهها وتوجه إليها بتردد، وخوف، قائلاً:

=منفعش ياما... أخوها جلال هيعلقني على مدخل بلدنا لو فسخت الخطوبة !

صرخت أم أشرف قائلة بيأس:

_يعني ايه؟ خلاص اتدبست؟

رد حامد بضيق:

=شكلي كده .

صرخت أم أشرف بصوت عالٍ، ثم قالت بإعوال:

_يا لهوي علينا وعلى بختنا المايل .

بعد مرور شهرين منذ تلك اللحظة الحاسمة، في ليلة حناء نعمة، كانت تتجول في شقتها بحرص متناهٍ،

تفحص كل قطعة من أثاث منزلها بعناية فائقة، ثم خرجت باتجاه الباب وأوصدته بحرص، ونزلت

الدرج، ووجهت خطواتها نحو باب ليالي، حيث طرقت الباب بانتظار مشوق، حتى خرجت لها ليالي،

وفتحت الباب بابتسامة، فأدركت نعمة الفرصة، وقالت بلهفة:

=خلصتي تورثة الحنة ولا لا؟

ردت ليالي بابتسامة وعينيها تتلألأ بالبهجة، بينما كانت تمسك كمي ملابسها المرفوعتين عاليًا فوق

ذراعيها، ويديها متلطحنتين بعجين الحناء، ما يكشف عن مشاركتها في تحضيرات ليلة الحناء بكل

حماس:

_خلاص فاضل حاجات بسيطة... طب ماتدخلي ترتاحي .

أجابت نعمة بانشغال:

= لا ياختي، انا نازلة أشوف اللي ورايا .

ردت ليالي:

_طيب ماشي .

نزلت نعمة إلى الشقة بخطوات واثقة، ووقفت إزاء الموقد مباشرة، حيث بدأت في صنع حلاوة اليد بإتقان، بينما كان جلال يقف في الشارع بين الرجال، مساعدًا في نصب شادر الحناء بتفانٍ، فنطق قائلاً بحماس:

=ارفعوا النور أكثر.... يلا ارفعوا !

وقتما كان الرجال يرفعون حبل الإنارة في الشارع بحماس، كانت أم الديب، وأختها سعاد في الحظيرة، يعملان على صنع كعك العروس بدقة، واهتمام. في الوقت نفسه، كان أحمد، وجميلة في شقتهم، حيث كانت جميلة تقوم بمهمة استحمام سيليا في المرحاض بعناية فائقة، ثم خرجت بها، وقامت بتدليك جسدها بالكريم المعطر، وترطيب شعرها بالزيوت الطبيعية. وفي الأثناء، أحضرت لها فستانًا زاهيًا من اللون المُبهج، وعندما دخل أحمد الغرفة، قام بتقبيل سيليا على خدها بحنان ثم حملها بعناية. بينما كانت جميلة تقف أمام المرأة، تقوم بوضع المكياج بأناقة، ثم ارتدت ملابسها الفاخرة، ومن ثم توجهوا جميعًا إلى السيارة متوجهين إلى البلدة. وبعد ساعتين، ارتدت نعمة فستان عقد القرآن، وليلة الحناء، وكان الفستان طويلًا ذو اللون الأزرق الساحر، ووضعت المكياج الخفيف. وحضر حامد، وأهله باستثناء والدتهم، وصافحوا المعلم حنفي، وجلال بود. في هذا السياق، قال عبد الغني:

_ازيك يا معلم حنفي؟

رد المعلم حنفي بفرحة:

=بخير الحمدلله، انفضلوا اقعوا .

جلس والد العريس، وأخيه في المحل الصغير الذي يتواجد في منزل أم الديب، يتناولان كؤوس الشاي بهدوء، وفي ذلك الوقت، ظهر وجه تباهي المشرق، مرتدية الخمار الزهري بأناقة تعبيرًا عن أنوثتها، بينما كانت ابنتها هبة تزين وجهها بابتسامة لطيفة تليق بفستانها الملون، وتحمل كل منهما حقبتها بأناقة، وعبروا إزاء المحل بخطى واثقة. وفي لحظة سعادة، نطقت تباهي للمعلم حنفي بابتسامة لامعة في عينيها، تعكس تقديرها الكبير لهذه اللحظة المميزة:

_ألف ميروك يا أبو العروسة .

رد المعلم حنفي بسعادة:

=الله يبارك فيكي يا أم ليالي، وعقبال بتك هبة .

أجابت تباهي بسرور:

_اللهم آمين يارب .

بعد دخولهم منزل أم الديب، انتبه الحاضرون إلى الاهتمام الذي أظهره أشرف، شقيق حامد، تجاه هبة، ابنة تباهي، فقد أعجب بها بشدة منذ لحظة رؤيتها، إذ كانت هبة تتمتع بجمال طبيعي يسحر الأنظار، بينما أشرف يبلغ عمر الثلاثين، يتميز بحماسة، وطموحه المستمر نحو تحقيق النجاح، حيث يعمل كتاجر حبوب في الأسواق، ويتميز ببشرته الداكنة، وطوله المتوسط الذي يضفي عليه مظهرًا ملفتًا. كان يرفض أشرف فكرة الزواج في السابق، إلا أنه تقبلها بكل ارتياح بمجرد رؤية هبة، فوقف أشرف بتأمل، وقال لحامد بابتسامة غامرة:

=عايزك في موضوع .

رد حامد بفضول:

_عايز ايه؟

ذهبا معاً بعيداً عن الحشد، حيث تردد أشرف للحظة، متردداً في الكلام، ولكنه في النهاية قرر أن يتحدث، فأطلق العنان لكلماته بثقة، وعبر عن مشاعره بوضوح:

=هي الحلوة اللي لسة داخلة دي، تبقى مين؟

رد حامد، وهو يتذكر:

_دي أخت ليالي مرات جلال...بس بتسأل ليه؟

نطق أشرف باهتمام:

=طيب هي في حد في حياتها؟

أجاب حامد بتفكير:

_الصراحة مش عارف، بس نسألك...بس برضة بتسأل ليه؟

رد أشرف بتردد:

=انا معجب بيها أوي، وحاسس أنني شوقتها قبل كده!

تحدث حامد:

_الولية أم ليالي دي كويسة هي وبناتها... هسألك نعمة، لو كان كده نشوف، يمكن ربنا يسهل الحال .

رد أشرف بسعادة:

=تبقى عملت فيا جميل .

وبالفعل، اتصل حامد بنعمة، وعندها سألها عن ذلك الشيء المهم، وبتأكيد البسيط قالت له:

_لا مش مرتبطة، ومفيش حد في حياتها .

رد حامد بفرحة:

=طب حلو أوي...انتي كده طمنتيني!

وصل أحمد، وجميلة، وسيليا، ونزلوا من السيارة وتوجهوا مباشرة إلى المعلم حنفي، وهناك، قام أحمد

بعناق والده بحب، وتقدير، وقال بصوت مليء بالمشاعر:

_ألف ميروك... أخيراً بقيت أبو العروسة؟

ضحك المعلم حنفي، وقال:

=الله يبارك فيك يا ض، وعقبال البيت سوليا .

ثم نظر لجميلة، وأردف بسعادة:

=أخبارك ايه يا جميلة يابتي؟

ردت جميلة برقة:

_الحمد لله يا أونكل، انت اللي ازي حضرتك؟

أجاب المعلم حنفي:

=بخير الحمد لله...طب طلع مراتك ترتاح .

رد أحمد:

_ماشي...يلا بينا يا جميلة!

بينما أخذ زوجته، وابنته، ودخلوا منزل أم الديب، أردف:

_ أكيد انتي عارفة الشقة فين، اطلعي هتلاقي هايدي مستنياكي!
ردت جميلة:

=أوكي .

صعدت جميلة بسيليا، فعانقتها أم الديب، وهايدي، وفي لحظة من السخط، قالت أم الديب لتباهي بنبرة حادة:

_ قومي يا ولية انتي وبتك، انتي مش عارفة دهني مين؟ دي جميلة مرات ابني...قومي فزي طولك!
تحدثت جميلة بإجراج:

=خلاص يا طنط مالوش لزوم، انا هدخل جوا.

دخلت جميلة مع هايدي الغرفة، وبينما كانت تباهي، وهبة في حالة من الصدمة، اندفعت هبة بغضب مقتد نحو والدتها، وهي تقول بصوت هامس:

_ بقى هي دي جميلة بقى اللي عايزانا نقوم عشان خاطرها؟

نزلت ليالي، وهي تحمل ابنها الصغير بحنان متناغم مع ضجيج خطواتها الهادئة، ودخلت شقة أم الديب بأسرع ما يمكن، تمر عبر الباب الخشبي الثقيل مع مرافقة صوت بكائه الخافت. وفي لحظة نادتها والدتها بصوت مليء بالانزعاج:

=تعالى يا ليالى .

ردت ليالى:

_ ايه ياما؟

ردت تباهي بموجدة:

=حماتك قال ايه عاوزانا نقوم عشان خاطر سلفتك تفعد بدلنا !

نفوحت ليالى بتعجب:

_ ايه ده هي جميلة جات؟

ردت هبة بسخرية:

=أه قاعدة جوا.

دخلت ليالى الغرفة بخطوات هادئة، وعانقت جميلة بحنان مصطنع يعبر عن مكرها، قائلة:

_ يادي النور، يادي النور، وانا أقول البيت منور ليه؟

ردت جميلة بابتسامة:

=ميرسي يا ليالى ده نورك انتي .

نظرت ليالى لسيليا وهي متشبثة بذراع والدتها بعيون ممتلئة بالتعلق، وقالت بصوت ينبعث منه العمق:

_ اسم الله عليها، كبرت واحلوت...لا بقى ده احنا نحجزها لحمود .

ضحكت جميلة، وقالت:

=ويفرض محبوش بعض؟

ردت ليالى بخبث:

_ هيجبوا بعض، محبوش بعض ليه؟ معلش بقى أصل انا ورايا حاجات كثير، أصل النسوان هنا متعودة

تسد في أي حاجة، مالهمش في قاعدة الرجل على رجل دي .

ثم خرجت من الغرفة وهي تشتعل نازًا من الغيرة بمجرد رؤية جميلة يصيبها الابتسامة، والغم، وبعد حضور المأذون الشرعي في المجل، جلس مع الحاضرين على الحضور، وبدأ في بث خطبة عقد القرآن المنفق عليها في مشهد موسيقي رائع، حيث كان المعلم حنفي يمسك بيد حامد، ويدها مستورة بالقماشة البيضاء، وكان كل منهما يردد حديث المأذون بتركيز، وانغماس، وبعد انتهائهما، نزع المأذون القماشة وقال بصوت ينطلق من دواخله الرزينة:

=بارك الله لكما، وبارك عليكما، وجمع بينكما في خير .

رجرت زغاريد النساء المنطقه بأكملها كفرحة مفرطة، فعانقت ليالي نعمة بقوة، وفي لحظة من الفرح، والتأثر، قالت بصوت ينطلق من أعماق قلبها:

_ألف مبروك يا نعمة، عقبال الليلة الكبيرة إن شاء الله .

ردت نعمة بسعادة:

=الله يبارك فيكي يا ليالي، وعقبال حمود .

وقفت نعمة على حافة عريستها، فأعلن حامد بسعادة متواجدة في كل كلمة من حديثه:

_مبروك يا نعومي .

ردت نعمة بسعادة:

=الله يبارك فيك يا حمو .

تحدث أحمد بسرور:

_ألف مليون مبروك يا نعمة، ربنا يتم على خير .

ردت نعمة بسعادة:

=الله يبارك فيك يا أحمد وعقبال سيليا بإذن الله .

وقفت هايدي إزاء نعمة، وعريستها، وبدأت في التقاط صور عقد القرآن لهم وهم يمسكون المنديل المدون عليه (نعمة♥حامد)، وتاريخ عقد القرآن، وعندما غابت الشمس وحضر القمر، وبدأت الأجواء تتغير إلى الغروب، كانت النساء يتناولن الطعام في شقة أم الديب بأجواء من الاحتفال، بينما الرجال يتناولونه في المحل فوق الحصيرة بتفاصيل تعكس تقاليد الزفاف، وروح الاحتفال في الريف، وفي لحظة من التواجد، والسكينة، خرجت أم الديب من المطبخ، وقالت بصوت ينطلق بكل تقدير لضيوفها الكرام:

_كله ياكل كويس...الأكل اللي قدامكم دهو معمول عشان خاطر جميلة، وبناتي، وأمي، وأختي سعاد .

ردت تباهي بصوت حاد:

=تقصدي ايه يا أم الديب بكلامك ده؟

نطقت أم الديب بسخرية:

_ابهي هو انتوا قاعدين؟ أني مخدتش بالي.

ردت ليالي بانفعال:

=ما بلاش الطريقة دي يا حماتي، عشان متزعليش مننا .

نطقت أم الديب بصوت حاد:

_خدي أمك، وأختك واطلعوا فوق... أصل الصالة مش مكفية .

ردت ليالي بثقة:

=عندك حق، ماهو البركة فيكي يا غالية .

وقفت ليالي بثبات، وواصلت حديثها:

=يلا بينا ياما، هنطلع ناكل فوق .

اصطحبت ليالي والدتها، وأختها، وصعدوا إلى شقتها بخطوات محملة بالتساؤلات. وفي الوقت نفسه، ما زالت أم الديب تعاني من صدمة رد فعل ليالي عليها، ومع ذلك، فقد كانت الأجواء في الشقة مشحونة بالتوتر. وفي تلك اللحظة، انطلقت نعمة في ضحك مُلتهب، وبينما تمسك بيد والدتها، قالت بابتسامة:

_ انتي اللي بتجيبيني الكلام لنفسك كل مرة ياما !

صاحت أم الديب في وجه نعمة، وقالت:

=ما بلاش انتي يا بت، لا أزعلك!

بالأسفل في محفل الرجال كان المعلم حنفي، وجلال، وعم سلامة، وصابر، وأحمد، وأبو محمد، وحامد، وأشرف، وعبد الغني، وعم إسماعيل، جميعهم يتناولون الطعام سويًا في جلسة مليئة بالتواصل، والتآزر. وفي تلك اللحظة الهادئة، أطلق أبو محمد بصوت واثق مليء بالود:

_ ربنا يديمها عليكم نعمة، ويديم الأفراح في بيوتكم دايماً .

رد المعلم حنفي بسرور:

=يارب، وعقبال عيالك يا حاج .

رد أبو محمد:

_ اللهم آمين .

لكن في شقة ليالي، جلست مع والدتها، وأختها وهم يتناولون الطعام بعيدًا عن ضجيج الحفل، وبعد أن انتهى الجميع من تناول الطعام، بدأت فقرة رقص العروس مع النساء، ولكن كانت تباهي، وهبة يصطحبانهم عم سلامة، وصابر للعودة إلى المنزل. وعندما نزلت ليالي بتورته الحناء، وهي تضع بها الشمع، والورد المجفف بأيدي مرهفة، قالت لنعمة بابتسامة دافئة:

=مبروك يا نعمة، انا كده عملت اللي عليا !

ثم وضعتها وقبل أن تغادر، أمسكت نعمة بها بحنان وعانقتها، وقالت بنبرة حنونة:

_ حقك عليا يا ليالي... انا عارفة إن أمي بتقول كلام مالوش لازمة، بس عشان خاطري متسببنيش، ده

انا محتاجاكي معايا اليومين دول !

ردت ليالي باستياء:

=أمك زادت فيها، ده انا مابقتش عارفة أودي وشي من أهلي فين؟ كل مرة يجوا عندنا، بيرجعوا

مكسورين خاطر.

أجابت نعمة بالحاح:

_ تعالي على نفسك اليومين دول، وبعدين اعلمي ما بدالك... بس عشان خاطري انا محتاجاكي معايا !

نطقت ليالي باقتناع:

=ماتشي يا نعمة عشان خاطر ك انتي بس .

رقصت ليالي مع نعمة على إيقاع الأغاني الشعبية، وهتاف النساء يملأ الأجواء بالبهجة، والسرور، وتحت، كان المعلم حنفي، وجلال يترقصون سويًا، وأحمد يصفق لهم بحماس، فأضفوا بهجتهم إلى الاحتفال. وعندما انتهى اليوم، وانفرد كل شخص بعودته إلى منزله، يحتضن كل لحظة ذكريات الاحتفال الرائعة. وفي اليوم التالي، في شقة جلال، كانت ليالي تضع الماسك على وجهها على الأريكة، وتتحدث بصوت متأمل مع والدتها في الهاتف، معبرة عن مشاعرهما، وأفكارها بدقة:

=معلش ياما حقك على راسي، نعمة بت غلبانة ومتستاهلش اننا ناخذها بذنب أمها .

ردت تباهي بإعتراض قاطع:

_مش هيحصل يا ليالي، الست دي قليلة الأدب وكل مرة تخرجنا في بيتها، وهي صحيح اللي زي دي هتجيب الأدب منين؟

نطقت ليالي بإصرار عارم:

=عشان خاطري طيب ياما، معلىش تعالوا الفرح وبعد كده متحضرولهاش مناسبات .

ردت تباهي بتعنت:

_انسي اننا نعتب عتية البيت ده مرة ثانية، لو عاوزة تشوفينا أبقي تعالي بيت أبوكي، هتلاقيه مفتوحك انتي وابنك .

تلفظت ليالي باستياء:

=تعالوا المرة دي بس، وبعد كده متجوش... عشان خاطري ياما، مش عايزين نكسر بخاطر نعمة، دي غلبانة وطيبة، مش طالعة لأمها خالص !

تنهدت تباهي بعمق، وقالت:

_إن جينا للحق نعمة بت حلال، لكن أمها عايزة حش رقبته!

بينما دخل جلال من باب المنزل ببدة حمود، واصلت ليالي حديثها مع والدتها بابتسامة دافئة:

=خلاص ياما بقى اتفقنا؟ طيب ماشي، ماشي... مع السلامة.

ووضعت هاتفها جانبًا، ووقفت، وقالت باهتمام:

=جيبت البدة من عند المكوجي؟

رد جلال:

_أه يا بت... خدي علقها لا الواد يبهدلها .

أمسكت ليالي البدة بعناية حذرة، ووضعته في مكان بعيد يصعب على حمود الوصول إليه، بهدف إبعاد أي إغراء محتمل عن عقله. وفي الوقت نفسه، دخل جلال المرحاض ليستحم وينعم بالراحة استعدادًا ليوم طويل من العمل الشاق، مع مرافقة الماء الدافئ ليعيد شحن طاقته. وتحت، كانت أم الديب، وسعاد يجلسان على الأرض في المطبخ، وهناك يتفاعلان بمنتهى الراحة، وتتبعث من حولهما رائحة الطعام الشهية التي تعكس جهودهما في إعداد، وتحضير عشاء الزفاف. وعندما دخلت نعمة لتلتحق بهم، لاحظت أن أم الديب تضيف توابل بعناية إلى اللحم، حيث شعرت أم الديب بأنهما ينقصهما قطعة لحم لاكتمال الوجبة، فلم تتردد في التعبير عن هذا الشعور المليء بالاهتمام، قائلة:

=كده ناقصنا حنة لحمة .

ردت نعمة بهشئة:

_حنة لحمة ايه ياما؟ وبعدين انتي نسيتي إن الأكل عند أهل حمو؟

نطقت أم الديب بتعجب:

=ايه يا بت أمال هنتعشوا ايه؟

ردت نعمة:

_ياما انا عايزه حمام محشي، وبط، وفراخ .

تحدثت أم الديب:

=هبللك عيش .

ردت نعمة بصياح:

_ عيش ايه ياما بس؟

دخلت ليالي في هذه اللحظة، وهي ما زالت بالماسك على وجهها، فاشتكت لها نعمة بصوتٍ مليء بالضيق من قلة الاهتمام، قائلة:

=أهو ليالي جات...يرضيكي يا ليالي إن عروسة يتحطلها عيش مبلول في عشاها؟

ضحكت ليالي، وردت بسخرية:

_ ايه يا حماتي ماتفكي إيدك على البيت، دي عروسة!

دخلت هايدي المطبخ هي الأخرى، ونادت نعمة قائلة:

=يلا يا نعمة، الميك أب ارتيست جات .

ردت نعمة بلهفة:

_ الكوافيرة جات؟

أجابت هايدي:

=يابنتي قولتلك اسمها ميك أب ارتيست!

ردت نعمة بسعادة:

_ أهو أي حاجة...إنا جايه معاكي .

بينما خرجت مع هايدي، وهما ينزلان لاستقبال خبيرة التجميل، لم تتمالك نظرة أم الديب الساخطة ليالي، وانفجرت قائلة:

=وايه ياختي اللي انتي مهيباه على وشك ده؟

ردت ليالي بلا مبالاة:

_ ايه هو اللي انا عاملاه يا حماتي؟

ضحكت سعاد، وقالت:

=ماتسيبيها على راحتها يا أم الديب .

ردت ليالي بابتسامة:

_ طب عارفة يا خالة سعاد؟ انا كان نفسي انتي اللي تكوني حماتي، كانت حاجات كثير اتغيرت .

وخرجت من المطبخ، فاندفعت أم الديب بغضب متقد للخارج، صاغت حروفها بنبرة مليئة بالاستياء، قائلة:

=وآني كان نفسي مرات ابني تبقى على كيفي... قال ايه الواد رايح يجييلي كسر البنات بدل ما يجييلي واحدة بت حسب ونسب .

ضحكت سعاد، وقالت:

_ استهدي بالله يا أم الديب، هتفضلوا ناقر ونقير لحد امتي؟

ردت أم الديب بامتعاض:

=لحد ما ابني يتجوز اللي على كيفي .

دخلت نعمة، وهايدي من باب الشقة، ويليهم خبيرة التجميل، واتجهوا جميعًا للغرفة، حيث استخرجت خبيرة التجميل من حقيبتها مستحضرات التجميل، وأعدلت عمود الإضاءة المعروف بـ "الرينج لايت"،

مُركرة اهتمامها أمام الكرسي الذي ستجلس عليه العروس. وبعد أن جلست نعمة، ألقت عليها خبيرة التجميل بابتسامة مشجعة:

_ قوليلي بقى حابة ألوان ايه؟

ردت نعمة بجهل:

= انا معرفش في الكلام ده، انتي شوفي ايه يليق عليا، واعمليهولي... المهم إن انا عاوزة أخرج من تحت ايديكي النهاردة زي القمر .

أجابت خبيرة التجميل بابتسامة واثقة:

_ خلاص سيبيلي نفسك خالص !

ردت نعمة بسعادة:

=توكلنا على الله .

رطبت خبيرة التجميل بشرة العروس بالكريم المرطب، ووضعت لها البرايمر بأنامل ماهرة، وبعد أن تأكدت من جفافهما، بدأت في رسم حواجب العروس بدقة، واهتمام. وفي المنزل الآخر، دخل أشرف إلى غرفة والدته، وجلس بجانبها على السرير، وبدأ يتحدث بصوتٍ يحمل نبرات الاهتمام:

_ برضة مش ناوية تحضري فرح حامد؟

ردت أم أشرف بعناد:

=على جتتي .

ضحك أشرف، وقال:

_ ده انتي دماغك ناشفة بشكل! بس على العموم انا سايبك على راحتك .

صمتت أم أشرف، وعلى وجهها علامات السخط، والاستياء، ولكن لم يتوقف أشرف عن حديثه، مستمرًا في التعبير قائلًا:

_ انا جايلك عشان موضوع ثاني .

ردت أم أشرف بتعجب:

=موضوع ايه؟

رد أشرف بسعادة غامرة، وقلبه يتألق بالحب:

_ إمبارح ياستي واحنا قاعدين مع الرجالة في بيت أهل العروسة، لقيتلك واحدة وأمها داخلين، وبيكلموا المعلم حنفي، انا الصراحة مكنتش مركز في الأول، بس لما ركزت دخلت دماغي، ومن وقتها وهي مش عايزة تخرج منها .

سعدت أم أشرف بشدة، وبلهفة غير مكبوتة قالت:

=مين دي، تطلع مين؟

رد أشرف بسعادة:

_ انا اللي عرفته انها أخت ليالي .

صمتت بترقب أمام والدته، ألعاب الألغاز تراقبها بفضول، فواصل أشرف:

_ بصي هفهمك!... ليالي دي تبقى مرات جلال .

ردت أم أشرف بترقب:

=أه، وبعدين؟

نطق أشرف:

_واللي عرفته إن الست أم الديب دي في عداوة كبيرة بينها وبين عيلة الحاج سلامة .
حينما أساءت الرؤية، ردت الوالدة بنظرة ملتبسة لعدم فهمها، فقالت:
=ويطلع مين الحاج سلامة ده كمان؟
رد أشرف:

_ده أبو ليالي...من الآخر العيلتين مبيحبوش بعض !
نطقت أم أشرف بكراهية:

=بصراحة عند عيلة الحاج سلامة مليون حق، وهي أم الديب دي تتحب على ايه؟ دول لا حسب ولا
نسب يشرف، وسيرتهم سابقاهم في كل مكان !
رد أشرف بابتسامة:

_بس هبة تتحب الصراحة، انتي لو شوفتيها هتعجبك، و هتدخل قلبك حدف .
ردت أم أشرف بدهشة:

=وكمان اسمها هبة؟ ده انت شوقنتني أشوفها !
تلفظ أشرف بسعادة:

_هتشوفيها... المهم انا مقرر إني هكلم الحاج سلامة، وهفاتحه في الموضوع النهاردة .
تحدثت أم أشرف بابتسامة خافتة:
=خلاص على بركة الله .

رد أشرف بسعادة:

_يعني انتي موافقة؟

أجابت أم أشرف بسرور:

=موافقة .

كانت تعانق الفرحة حياتهم، حيث قبل أشرف يد، ورأس والدته بعناية، بينما في شقة أحمد، وجميلة، دق الباب وانطلقت جميلة لتفتح، فوجدت المكوجي محاطاً بالفساتين، والبنطلون، والقميص، فقالت بدهشة:
_كام؟

رد المكوجي:

=١٥٠٠

تحدثت جميلة:

_ثواني .

بينما كانت جميلة تستلم ملابسها، وملابس أحمد، وسيليا، وتمضي بهم إلى الغرفة، وتجمع الفلوس بدقة، غادرت المكان مجددًا وأعطت الحساب للمكوجي، تعبر بيقظة عن انتباهها لكل تفاصيل الوضع، مؤكدة بدورها على سير الأمور بسلاسة قائلة:

_خلي الباقي عشانك .

رد المكوجي بابتسامة:

=متشكر لحضرتك، عن إذنك .

أوصدت جميلة الباب، وبدأت في تجهيز استعداداتها لحفل زفاف نعمة، وبعد مرور نصف ساعة من هذا الجهد الجاد، عاد أحمد إلى المنزل بين يوم عمل شاق، حيث تلقى إندًا مسبقًا من مديره للمغادرة مبكرًا،

ولدى وصوله، أطلقت عيناه على جمال زوجته، وابتسامتها النابضة بالحياة، فخرجت من شفتيه عبارة لطيفة، ومفعمة بالحب:
_ انتي لسة مجهزتيش؟
ردت جميلة بابتسامة:

= لا يا حبيبي اللبس مش هياخد وقت، هتلاقي البنطلون، والقميص في الدولاب .
فتح أحمد خزانة الثياب بعناية، وبينما تتعالى أصوات التفاؤل في الخلفية، استنشق عبير الزهور الذي يعبق في الهواء، واستخرج ملابسه بأنامله المتقنة، تاركًا للألوان، والأقمشة أن ترقص في إيقاع الفرح، وفي تلك اللحظة الساحرة، همس:

_ طيب انا هدخل آخذ شاور يا حبيبي تكوني انتي خلصتي .
ردت جميلة:

=أوكي .

دخل أحمد يستحم ليشطب عنه آثار العناء، ويستعيد نشاطه، وبعد دقائق من الانغماس في أمواج الماء الدافئ، ورغوة الصابون المعطرة، خرج من المرحاض، ليجد جميلة، وسيليا يتألقان بفساتينهن الفخمة، مما أضفى على الغرفة بريقًا متألقًا، وأناقة ساحرة، فأعلن بسعادة غامرة في صوت مفعم بالبهجة:

_ ايه القمرين اللي قصادي دول؟ هو في حلاوة كده يا ناس؟
قَبِلَ رأس زوجته، وابنته بحنان، مما أدى إلى ابتسامة ساحرة على وجه جميلة، وعَبَّرت بضحكة طافحة بالسعادة قائلة:

=يلا بقى ألا انت كده هتأخرنا!

ضحك أحمد، وقال:

_ لا متقلقيش انا مباحدش وقت في اللبس .

ارتدى أحمد ملابسه، ورش عطره المفضل، ثم أخذ زوجته، وابنته بين ذراعيه بلطف، وركبوا السيارة مُتوجهين لمقابلة أم قمر الدين، في حين كانت ليالي تقف أمام المرأة تضع اللمسات الأخيرة من المكياج على وجهها، فجاء جلال وهو يحمل ابنه، وقال بصوت مليء بالامتعاض:

=ايه ده يا بت؟ ده شكله قصير!

ردت ليالي، وهي تنظر لفسنتانها بتعجب:

_ لا ياخويا ده زي الفل، وطويل أهو !

نطق جلال بغيرة:

=إياكي يا بت حنة من رجلك تبان!

ضحكت ليالي، وقالت بدلال:

_ ماتبقاش غشيم أوي كده يا جلال !

رد جلال بصوت حاد:

=انا بعرفك يا بت...يلا انزلي ساعدي نعمة في الفستان .

تفوه حمود بفضول:

_ستي البجرة فين ياابا؟

ضحك جلال، وقال:

=ياض عيب متقولش كده على ستك...ألا تقعد علينا تبطننا كلنا!

ضحك الجميع بسرور، ونزل جلال وهو يحمل ابنه الصغير على ذراعه، فكان حمود يرتدي بدلة صغيرة تليق بالمناسبة، حتى وصلوا إلى الشارع الرئيسي الذي كان مزدحمًا بالأضواء، والأصوات، فيما نزلت ليالي شقة أم الديب، ووجدت نعمة ترتدي فستان الزفاف الرائع بشكل مُبهج، فلم تتمالك نفسها وأطلقت الزغاريد بفرح لا يوصف، واندفعت نحوها لتعانقها بحماس قائلة ببهجة:
_قمر يا ناس، الله أكبر...بسم الله ماشاء الله .

ردت نعمة بسعادة جسيمة:

=حلوه بجد يا ليالي؟

ردت ليالي بسعادة:

_أه والله زي القمر، اسم الله عليكى .

أطلقت ليالي الزغاريد هي، وبقية النساء بفرح، حتى وصل العريس وعائلته بأصوات مزامير السيارات المرحية، وألحان فرقة الطبل المبهجة، وفور وصولهم، اقترب جلال من العريس وعانقه بحرارة، وتحية، وفي هذا الوقت الحماسي، خرج جميع الجيران من شرفات منازلهم لمشاهدة هذا الحدث العصري، والمميز، وصعد العريس على الدَرَج محملاً بباقة الورود الجميلة، ولكن للأسف، انزلقت قدميه فوق قشرة الموز التي أكلتها أم الديب، وتركته، فسقط العريس بقوة يصرخ بألم!
يتبع...

الفصل الحادي والعشرون

عندما وقف العريس على قدميه مرة أخرى، لم يكن مجرد وقوف بل كانت لحظة من التماسك، والصمود، حيث حاول بكل قوته تجاوز تعب الذي كاد ينال منه. وفي تلك اللحظة، انتابته أوجاع الجسد، فتحسس ظهره بألم يتردد في أعماقه، ولكنه حافظ على ابتسامته المتألقة على شفثيه، مستقبلاً زغاريد النساء التي ارتفع صوتها بفرح لحظة وصوله. وعندما وصل إلى يد العروس، سلمها باقة الورد بلطف، وفي تلك اللحظة الساحرة، انعكست البهجة على وجهها، ما دفعه للإحساس بالراحة الداخلية، وهو يتأمل جمالها، وفيما بعد، خرج من بين شفثيه كلمات العشق:

_ انتي مين؟

ضحكت نعمة، وقالت بتعجب:

=نعمة، أمان هكون مين يعني؟

ضحكت ليالي، وقالت:

_ هو أه الكوافيرة بتغير شكل العرايس، بس نعمة ماشاء الله عليها حلوه قبل، وبعد .

رد حامد بسرور:

=ده انا معرفتكيش، يخربيتك!

بينما وقفت هايدي بهاتفها، تسجل لحظات الفرح كالصور، والفيديوهات، كانت تعكس جمال اللحظة بأبهى صورها. وفجأة، ما لبث حامد أن أمسك بيد نعمة، وبدأوا ينحدرون اتجاه هتافات النساء التي ارتفع صداها بفرح لحظة خروجهم. وفي الخلفية، كانت أم الديب تثبت جمالاً آخر بتقاذفها للورود المجففة بعفوية. وعندما وصلوا إلى منتصف الشارع، وجدوا أنفسهم وسط فرقة الطبل التي بدأت بإيقاعاتها الراقصة، فلم يمكن لخاطر إلا أن تعبر بدهشة:

_ هو مين اللي بيتجوز؟

ضحكت أم الديب، وقالت بسخرية:

=خالتك ياما .

ردت خواطر بتعجب:

_ هو مش خالتي ماتت وخذنا عزاها؟

وفي رد فعل فطري، أرادت أم الديب أن تفلت من قبضة والدتها، ترغب في الاندماج مع الاحتفالات بحرية تامة، كما لو كانت تعبيراً عن رغبتها في التخلص بعيداً عن قيود العجوز، وتحكماتها حيث قالت:

=أمان ايه بس صحيت تاني، روعي انتي بس اركبي العربية مع المعازيم وسبييني في حالي !

نظرت أم الديب إلى جلال بعيون تنبعث منها قوة، وثبات، وأردفت:

_ ولا يا جلال، خد سنك معاك يا ولا .

جاء جلال، وهو يحمل حمود، وقال باستهزاء:

=تعال يا ستي، ده إن أمي مشالتكيش على راسها، نشيلك احنا في التربة .

صاحت خواطر في وجه جلال قائلة بانفعال:

_ أبوك هو اللي بيلعب في نفوذك، واحد تاني كان حبيب عياله في ستهم الغلبانة، المسكينة !

رد جلال بضحكة سخرية:

=و ربنا ما في حد طيب غيري، يلا يا ستي !
 غادر جلال بجذته العجوز، وركب العروسين السيارة، ثم توجهوا إلى الاستوديو لالتقاط صور الزفاف،
 ودخلت معهم ليالي، وجلال، فراقهما في رحلة تخليد اللحظات الجميلة. وعندما انتهوا من التصوير،
 عادوا ليجتمعوا في سيارتهم من جديد، متوجهين نحو حفل الزفاف الذي كانت يشهده أجواء احتفالية
 مليئة بمزامير السيارات، وأصوات زغاريد النساء، وتألّق الألعاب النارية في السماء. وعند وصولهم
 إلى مقر الحفل، خرجت ليالي من السيارة لتساعد العروس في حمل فستانها بحرفية، بينما استمتع جلال
 بلحظات الفرح، والرقص بجوار العريس وأفراد عائلته على أنغام الأغاني الشعبية. وفجأة، وصل
 ضايح، خال العروس، محاطاً بصحبه الوضيعة، وبمجرد نزولهم من السيارة، قبل جلال خاله،
 والاندماج في دورة الرقص معه. بينما كان حامد يأخذ بيد عروسته ويتوجهان نحو مقاعد الحفل،
 انضمت بقية المعازيم إلى المكان وجلسوا في أماكنهم المخصصة. وبعد مرور نصف ساعة، وصل
 أحمد، وجميلة بابنتهما سيليا برفقة أم قمر الدين، فرحبت بهم أم الديب بحفاوة واختارت لهم أفضل طاولة
 بالحفل ليتمتعوا بالأجواء الاحتفالية. وفي لحظة لاحقة، قرر أحمد الانضمام إلى المعلم حنفي، وجلال
 للجلوس معهم، في حين عبرت أم قمر الدين عن انزعاجها من ضجيج الموسيقى الشعبية بقولها لأم
 الديب:

_مش هنسلم على العروسة؟

ردت أم الديب بسعادة:

=أمال ايه، ده أني أحببهاكم لحد هنا، لا تتحركوا ولا تتعبوا نفسكم .

تحدثت أم قمر الدين بابتسامة:

_لا لا مش من الأصول يا أم الديب، احنا هنروح بنفسنا نباركها !

ردت أم الديب بإحراج:

=وهي دي تيجي برضة يا ست بسملة؟ أني هجيبهاكم لحد عندكم .

خطت أم الديب بسرعة نحو نعمة، وعريستها بعد نداءها، وعادت بهما إلى جانب أم قمر الدين، التي
 لاحظت وصولهما بفرحة كبيرة، فتبادلت التحية معهم بحرارة، وسرور، وهي تصافحهما بكل ترحاب
 في قلبها:

_ماشاء الله العريس والعروسة لايقين على بعض .

ردت نعمة بسعادة:

=عقبال بقية بناتك يا ست بسملة .

في لحظة مفاجئة، استخرجت أم قمر الدين ظرفاً من حقيبتها، وبداخله مبلغ مالي مهول، ثم قامت بتقديمه
 لحامد بين يديه، وتعبير من التقدير، نطقت بكلمات مؤثرة قائلة:

_مبروك، دي حاجة بسيطة .

عندما رأى حامد المبلغ المالي الضخم إزاءه، لمعت عيناه بالذهول، ولكن قبل أن يمد يده ليأخذه، نزعت
 أم الديب الظرف بسرعة من بين يديه، ما دفعه لينطق بسخط قائلاً:

=جرا ايه يا حماتي؟ الفلوس دي بتاعتي !

ردت أم الديب بصوت حاد:

_أخرس يا ولا، الفلوس ده بتاعتي أم العروسة، مش بتاعتك انت يا طماع!

نطقت أم قمر الدين بإحراج من تصرفهما:

=بليز يا أم الديب مش عايزين مشاكل، انتي ليكي مبلغ مالي خاص بيكي، لكن دي فلوس العريس، والعروسة .

نظر حامد لأم الديب بشماتة، وقال بلهفة:

_أهو!

في لحظة من التوتر، سحب حامد بعجلة المال من يد أم الديب، معترضًا على تدخلها، ثم أخذ عروسته بين ذراعيه وجلسا في مكانهما المخصص. لم تكن إلا أم الديب تصقل أسنان الغيظ، حيث كانت أعينها تلتهب من الموجدة، وكأنها تلقي شرارات النار نحو حامد في الكوشة، تهدده بحرقه حتى يذوب في مكانه. وعلى الرغم من ذلك، حاولت أم قمر الدين تهدئة الأوضاع، فاستخرجت مبلغًا آخر من خزانة حقيبتها، وبابتسامة متواضعة ولكن بتأكيد، سلمته لأم الديب، كأنها تعبر عن رغبتها الجادة في حل الخلاف بين الأطراف، قائلة بترقب:

=المبلغ ده ليكي انتي يا أم الديب .

وبسرة، ألحقت أم الديب بالظرف، وهي تفتحه بترقب جسيم، وتلقي نظرة سريعة على محتوياته، قائلة:

_خلي يا ست بسملة .

ردت أم قمر الدين بتعجب:

=انا مكنتش لسه خلصت كلامي! على العموم أوكي، مبروك لنعمة .

نطقت أم الديب بسعادة:

_انشالله يخليكي ولا يحرمناش منك أبدًا .

في تلك اللحظة، دخلت عائلة عم سلامة برففته، حيث توجهوا مباشرة إلى ليالي، فحياهم الجميع بعناق حار، وجلسوا سوياً على نفس الطاولة لتبادل الأحاديث، والضحكات، بينما كانت أم أشرف ترتدي نقابًا وترافقهم من بعيد، ثم عادت إلى منزلها مجددًا، وفجأة، بدأت أم الديب بالإعوال بشدة دون أي مقدمات، مما أثر على قلب أم قمر الدين، فوضعت يدها بلطف على كتفها، وقالت بصوت مليء بالتعاطف:

=انا حاسة بيكي يا أم الديب، مانا كنت مكانك في يوم من الأيام...كان قلبي بيتوجع كل ما بنت من بناتي تتجوز وتسييني...بجد ده أكثر احساس يوجع القلب .

ردت أم الديب بجدية، وهي تنتحب:

_آني مكلتش لحمة، الواد حمو كان واعدني يملالي طبق لحمة كبير قد كدهو، وأني من ساعة ما جيت أما محدش حطلي فتفوتة جبنة حتى .

تلفظت أم قمر الدين بصدمة:

=نعم؟ هو انتي مش بتعيطي علشان بنتك؟

ردت أم بجدية، وهي تحف دموعها في ملابسها:

_وأني هعيط عليها ليه؟ ماهي هتتجوز فوقينا .

تحدثت أم قمر الدين بتعجب:

=هتتجوز فوقيكم ازاي مش فاهمة!

أجابت أم الديب بصوت حاد:

_ماهو أصل أني شارطة عليهم بتي متجوزش بعيد عني مهما يحصل، فبنولها شقة فوق شقة جلال، أصل نعمة بتي دي دراغي اليمين، مينفعش تبعد عني أبدًا . ردت أم قمر الدين بذهول:

=بجد انا بسمع وبشوف حاجات غريبة أوي عندك يا أم الديب... ربنا معاكم يا حبيبتني .
بينما وقف العريس، والعروس بيتسمان بفرح، بدأوا في عرض رقصاتهم الجميلة حيال المعازيم، حيث انضم الحضور للمشاركة في الرقص، وكان جلال يقفز في الهواء كالطائر الشكس بكف خاله، وببيدهما المطاوي التي كانت تضيف للأجواء لمسة من البهجة. وفي لحظة من الرقص، وبينما كان عم سلامة يستمتع بالحركات على المسرح، اقتربت أم الديب منه بخطوات ثابتة، وانضمت إلى العريس وهي تمسك يده ببساطة، لكن بمهارة فائقة، وخلال الرقص، فاجأت عم سلامة بحركة مفاجئة جعلته يفقد توازنه ويسقط من على المسرح بصوت مدوي، وهو يصرخ بالألم. فيما لم تتمالك تباهي نفسها، وهي تنقض بسرعة نحو زوجها، وعقبها أبنائها، محملين بالقلق، وبينما تجري، نطقت بكلمات مليئة بالفرع:

_سلامة، انت كويس يا سلامة؟

دوى عم سلامة قائلاً:

=أه رجلي... أه .

نطقت تباهي بصوتها الصاخب:

_يا ريتنا ماجينا.... يا لهوي !

لم تكثرث أم الديب بما فعلته بعم سلامة، استمرت في رقصاتها مع ابنتها، حيث سحبتها نحوها ورقصت معها بحماس، ولكن كانت نعمة تعيش في عالم آخر، مكرسة كل تركيزها على عم سلامة، وفجأة، ضربت الدماء في رأس المعلم حنفي، وسيطر الشيطان على عقله، فصرخ بصوت عالٍ:

=والله لا موريكى يا بت الكلب !

جره الشيطان في مسار الشر، حيث كان يسير بلا وعي لما يفعل، وكانت رغبته الوحيدة هي جلب الشومة. وبعد أن نجح في الحصول عليها، أمسك بها بين يديه واتجه نحو أم الديب، ولكن قبل أن يتمكن من استخدامها، أمسكتها أم الديب بسرعة مذهلة، وصدمتها بها على رأسه، فسقط مصابًا، يصرخ بالألم. ولم تكثف أم الديب بأذية عم سلامة، والمعلم حنفي، بل اتجهت بسرعة نحو أنبوب الغاز، وفتحته، مما أدى إلى تسرب الغازات، وظهور دخان قوي بسرعة، الأمر الذي كاد أن يتسبب في نهاية مطاف المعازيم. وفي هذه اللحظة المأساوية، صرخ الجميع بفرع، وقال جلال لزوجته بصوت مليء بالرعب:

_هاتي الواد بسرعة !

وفورًا، أخذ جلال زوجته، وابنه وهربوا، فيما فعل أحمد الشيء نفسه، إذ أخذ زوجته، ووالدة زوجته، وابنته وانسحبوا بعيدًا. قام رجال العائلة بنقل المعلم حنفي، وعم سلامة إلى المستشفى لتلقي العلاج الضروري، في حين عادت نعمة، وزوجها إلى عش الزوجية وسط جو مليء بالأحزان، والهموم. وبمجرد دخولهم لشقتهم، جلست نعمة على الأريكة وهي تبكي بحرقة، فجلس حامد بجوارها ليواسيها، وقال بصوت مليء بالحنان:

=خلاص بقى يا نعومي اللي حصل حصل .

ردت نعمة بقهر:

_طول عمرنا مفيش حاجة بتكلمنا على خير...دي مابقتش عيشة، ده قهر وظلم!

أجاب حامد بحزن:
 =معلش يا نعومي، لعله خير، المهم احنا وبس!
 ردت نعمة بانتحاب:
 _ احنا؟ ده احنا مفيش فرحة بتكملنا على خير بسبب أمي وعمايها فينا! طب أعمل ايه بس يارب؟ أموت
 نفسي عشان أرتاح؟
 تلفظ حامد بتأثر:
 =احمدي ربنا أن كل ده حصل في نهاية الفرحة، مش في أوله، ساعتها القهرة كانت هتبقى اتنين .
 ردت نعمة بىكاء، وهي ترفع يدها للسماء، وتعول:
 _ يارب... انت العالم بينا يارب... ارحمنا بقى احنا تعبنا!
 في غرفة المستشفى، وبين جدرانها البيضاء الصافية، جلس عم سلامة وسط أفراد عائلته المحبة، وكانوا
 يحيطون به برفق، ومن بينهم المعلم حنفي، وجلال، الذين شعروا بألم الواقع، وحزن الحال. وفي جو من
 الهدوء، خرجت كلمات جلال بصوتٍ يحمل بين طياته أعماق التأثر، كمن يتحدث عن مصيبة لا تحتمل:
 =سامحني يا عم سلامة .
 ردت تباهي بعجيج:
 _ انا مش هسكت لأمك يا جلال... أمك زودتها!
 نطق جلال بإحراج يملؤه الندم:
 =امسحها فيا يا حماتي !
 ردت ليالي بصوت حاد:
 _ وتمسحها فيك ليه؟ ماتمسحها في أمك وش المصايب!
 دخل أشرف وعلى عقبه والده عبد الغني، فقال أشرف:
 =حمدالله على السلامة يا عم سلامة .
 رد عم سلامة بألم:
 _ الله يسلمك... انت مين؟
 أجاب أشرف بخجل:
 =انا أشرف أخو العريس .
 وأشار على والده، وواصل:
 =وده الحاج أبويا .
 رد عم سلامة بألم:
 _ فيكم الخير .
 نطق أشرف بابتسامة:
 =ربنا يقومك لينا بالسلامة يا حاج سلامة .
 رد عم سلامة:
 _ يارب، يسمع من بوقك ربنا .
 تحدث أشرف بخجل:
 =انا كنت عايزك في موضوع يا عم سلامة .

ردت تباهي بتعجب:

_وهو ده وقته؟

تحدث عبد الغني بإجراج:

=معلش بقى يا حاجة، هما كلمتين و رد غطاهم !

رد عم سلامة بألم:

_مع إن الظروف اللي احنا فيها مش ولا بد، بس أوامرني !

رد عبد الغني:

=أشرف ابني، طالب هبة بتك في الحلال .

ساد الصمت الثقيل في الغرفة، حيث تأمل الجميع في كلمات أشرف، وتأثروا بما حدث، وفي هذا الجو

المليء بالصدمة، نطق صابر بتعبير وجهه المندهب:

_جرا ايه يا حاج؟ ده انا لو أبويا كان سليم وواقف على رجليه مكنتنوش استجراتوا تطلبوا منا طلب زي

ده !

رد عم سلامة بألم:

=استنى انت بس يا صابر...تعالوا بعد أسبوعين أكون صلبت طولي، واللي فيه الخير يقدمه ربنا !

رد أشرف بفرحة:

_خلاص يبقى اتفقنا !

بعد مرور أسبوعين من تلك الأحداث الصادمة، قرر أشرف برفقة عائلته السعيدة الذهاب لخطبة هبة،

في لحظة من الأمل، والتجديد للحياة. وفي هذا السياق، تحدث صابر بالنيابة عن والده بعبارات مليئة

بالفضول:

=نتشرف بمعرفتكم .

أجاب أشرف بابتسامة:

_انا اسمي أشرف عبد الغني .

وأشار لوالديه، وأخيه، وأردف:

=وده والدي زي ماننوا عارفين، ودي والدتي، وده حامد أخويا .

رد عم سلامة:

_أهلاً ببيكم شرفنونا .

تلفظ عبد الغني بسعادة:

=الله يخليك .

تابع أشرف حديثه:

_وشغال تاجر حبوب علف، والحمدلله ربنا موسع عليا وعندي ثلاث مخازن .

تحدث عم سلامة بفضول:

=ماشاء الله، وانت شوفت هبة فين؟

رد أشرف بخجل:

_ في حنة حامد أخويا، بس انا بصراحة مرضتتش أكلهما، قولت أدخل البيت من بابہ عالطول .
رد عم سلامة بانبهار:

= لا وكمان بتفهم في الأصول !

نطقت أم أشرف بابتسامه:

_ ربنا يخليك يا حاج سلامة... المهم انت قولنا طلباتك ايه، واحنا من الإيد دي للإيد دي !
رد عم سلامة بتفكير:

= طب ادونا يومين نفكر، احنا هنروح من بعض فين؟

تحدثت أشرف بابتسامه:

_ طب على الأقل نقرا الفاتحة !

رد عم سلامة:

= مفيش مشاكل يا راجل، نقول بسم الله .

رفع الجميع أيديهم بتأثر، وبدأوا في قراءة الفاتحة بتركيز عارم، وتقدير للحظة الرمزية التي يمرّون بها، في حين وقفت هبة في غرفتها وهي ترتدي فستاناً بسيطاً جداً، وكانت برفقة أختها ليالي، وهما يستمعان لكل ما يجري بين العريس، ووالدها في الخارج، وعندما انتهوا من قراءة الفاتحة، قامت ليالي، وهبة برفع أيديهما وانضمامهما إلى الفعاليات، وقرأوا الفاتحة بتركيز عميق، وبعد الانتهاء، انطلقت زغاريد الفرحة من ليالي، والدتها، معبرةً عن سعادتهما، وفرحتهما باللحظة السعيدة. وفي الوقت نفسه، عندما وصل الخبر إلى نعمة عبر الهاتف، انفجرت فرحاً بشدة، وأطلقت الزغاريد، معبرةً عن سعادتها الكبيرة وفرحها العارم بالخبر السار، قائلة:

_ قوليلها ألف مبروك، وانا إن شاء الله هاجيلها في الشبكة .

ردت ليالي بفرحة:

= الله يبارك فيكي يا نعمة، وعقبال مانشيل عوضك .

نطقت نعمة بلهفة:

_ يارب .

بالفعل، بعد مضي ثلاث سنوات، كبر عمر حمود ليلين الخامسة، وأصبح طفلاً مشاغباً يسبب لوالدته الكثير من العناء، في حين نمت سيليا وبلغت الثالثة من عمرها، وكانت تشبه والدتها في جمالها كالقمر. ولم تتوقف حياة العائلة عند هذا الحد، فقد رزقت ليالي بمولودة جديدة وأطلقت عليها اسم "تقى"، وأيضاً نعمة أنجبت ولداً وسمته "محمد". أما هايدي، فقد ظلت مُصرّة على قرارها بعدم الزواج، وكانت تواجه عقبات نفسية، وشخصية تجعلها تتردد في خوض تجربة الزواج. وبالرغم من أن أم الديب أصبحت جدة لأربعة أحفاد، إلا أنها لم تتخل عن هواها في افتعال المشاكل، وكبر سنها لم يكن عائقاً بالنسبة لها في الوقوع في مغامراتها المثيرة. وأما أشرف، وهبة، فقد دخلوا القفص الذهبي، لكنهما لم ينجبا حتى الآن بسبب المشاكل المتعلقة بهبة. وفي هذا اليوم، كانت أم الديب تجلس في مدخل منزلها، وتشتغل بالعجن، وصوتها الغليظ يملأ المنزل في الصباح الباكر، فنادت ليالي، ونعمة بصوت يملؤه القسوة:

= بت يا ليالي، بت يا نعمة، انتي يا منيلة منك ليها، انزلوا ساعدوني آني ست كبيرة وشقيانة !

لم تجد أحداً يستجيب لنداءها، لكنها لم تفقد الأمل. فقررت الاستعانة بحمارها البلدي الموجود في نفس القطعة الأرض المُتهالكة التي تستخرج منها العديد من المفاجآت السلبية. فانطلقت، واستحضرت الحمار بجرأة، وصعدت به على الدرج بكل انسيابية، ثم وضعت إزاء شقة جلال. بعد ذلك، نزلت مجدداً

واستأنفت عملية عجن الخبز بكل تركيز. وفي هذه الأثناء، استيقظ جلال، وزوجته، وأطفاله على نهيق الحمار الصاخب، مما دفع جلال إلى النهوض بحذر، وقال بتعجب:

_ سامعه الصوت ده يا بت؟

ردت ليالي بسخرية:

=أمك بتنهق ولا مين؟

تحدثت جلال بصخب:

_ ماتحترمي نفسك يا ليالي، تلاقيه حمار جارنا!

بينما كان جلال في طريقه إلى المرحاض، اقترب الصوت المزعج منه بشكل مفاجئ، مما دفعه لفتح الباب بسرعة، ليجد الحمار أمامه، بل ودخل الشقة، وتصادم مع جلال مسبباً له الوقوع على الأرض بقوة. لكن الحمار، لا يبالي بتلك الحادثة، بل واصل لعبه وهو يجري خلف ليالي، وأطفالها، الأمر الذي دفع ليالي إلى الصراخ بفرع:

=يا لهوي... الحقوني !

وقف جلال على قدميه، وهو يحاول بكل جهده تفادي نطح الحمار المشاغب، وفي لحظة من الفرع، والارتباك، قال بصوت متوتر:

_ ابعد... ابعد !

لشدة صُداح عائلة جلال، انتبه المعلم حنفي، وصعد ليروي الفرع الذي أصابهم، فقال بتساؤل:

=في ايه ياض بتصوت ليه انت ومراتك؟

وبمجرد أن صوب نظره على الحمار، وجد نفسه فجأة ساقطاً على الأرض، والحمار يتخبط رأسه برأس المعلم حنفي. فاستنشق المعلم حنفي الألم، وقام متحولاً إلى كائن يشبه الوحش بعينيه الحمراءوين، والدخان يتصاعد من أذنيه، وبألم وغضب مكبوتين، فقال بصوت متجشم:

_ آني عارف مين اللي عمل كده!

نزل مُسرِعاً إلى أم الديب، وهي مشغولة بالعجن، حيث قال بسخط عارم:

_ الحمار ده جه منين يا ولية؟

ردت أم الديب بإستنكار:

=آني عارفة ياخويا؟

نشب المعلم حنفي في عنق أم الديب، واتكأ عليها بقوة، وبدت عيناه تبرقان غاضبتين، ثم قال بصوت محتد:

_ مين يا ولية بقولك!

صرخت أم الديب، وهي تختنق، فقالت بألم:

=خلاص هقولك... آني، آني اللي عملت كده !

ترك المعلم حنفي عنق أم الديب، وكأنه يستنشق الامتعاض بكل خلية في جسده، أمسك قطعة من العجين بيديه المرهقتين، ووضعها بوجه أم الديب الذي تلقى ردود فعل مختلطة، فبينما كانت الدهشة تسيطر على وجوه الحاضرين، انتاب السخط ملامح المعلم حنفي، حيث صاح بغضب متوجس:

_ هو مفيش فايده فيكي يا بت الجزمة؟ مفيش فايده؟
فتح المعلم حنفي باب المنزل بكل همة، واستعداد، وخرج إلى الشارع بسرعة، وهو يجري بلا هوادة،
وصيحاته تتردد في أرجاء الحي، مثيرة استغراب الجيران الذين تجمعوا حوله بدهشة، فبينما كانت
أصواتهم تتداخل مع بعضها، استمر المعلم حنفي في الصراخ بشكل عنيف، وكأنه يحمل عبءًا ثقیلاً من
الإحباط، ورددتها بكل عنف:
_ ارحمينا !

أم الديب ساحرة ملعونة

في يوم من الأيام، بحكاية لا يعرفها إلا الزمان، والمكان، اندلع شجارٌ عاتٍ بين أم الديب، وزوجة ابنها
جلال، وتصاعدت حدته حتى بلغت مرتبة الخطورة. فلجأت أم الديب إلى قرارٍ جذري، هو صنع السحر
لترويض زوجة ابنها، وجعلها تندم على كل فعلها، فتكن كالخاتم المسجون في إصبعها. استيقظت فجراً،
وانتعلت جلبابها الذي كان يلفها كالليل الساكن، وانطلقت بخطى هادئة، وببيدها كيسٌ أسودٌ صغيرٌ يحمل
في طياته السر الخفي، ووصلت إلى مبنى الدجال، الذي يرتفع كالتل المظلم في الأفق، ويزداد كآبته كلما
اقتربت الأبصار منه، فتمتو الرغبة في الفرار من حضنه المظلم. دخلت أم الديب، وعيناها تراقب كل
زاوية في المكان، ويديها ترتجفان من شدة الرعب، وبينما تقترب من الباب، فجأةً انفتح بمفرده دون أن
تلامسه، فصرخت بإسم الله، وجلست حيال الدجال الذي كان يتلاعب بموادٍ غريبةٍ في طبق النار الساطع
أمامه. وفي لحظة الصمت العميق، خرج صوته المفزع يعلو المكان، فقال لها الدجال:
_ بصي يا حاجة انا محتاج منك ٥٠٠ جنية .
ردت أم الديب بصوتٍ حادٍ، مليئٍ بالغضب، بعدما طالبها الدجال بالمبلغ الضخم، قائلة:
٥٠٠ = عفريت لما يركبوك وينططوك .

احتدت نبرة صوت الدجال، ونظر لها بحدة:

_ لا احترمي المكان اللي انتي قاعده فيه بدل ما أسخطك قرد، ومخليش حد يبص في وشك!
فزعت أم الديب من نظرة عينيه المُرعبة، وحاولت أن تلتطف حديثها معه، قائلة:
=ياخويا ماتلمها علينا ألا انا ست مسكينة وعلى قدي .
الدجال بصوتٍ حاد:

_ يبقى ملكيش حاجة عندي وامشي، ورايا ناس غيرك، انتي كده بتعطيليني على الفاضي !
أم الديب برهبة:
=ياخويا براحة مش كده خلاص أني هدفعهملك بس اديني يومين .
الدجال بجدية:

_ طيب يا ست، هتجيبني معاكي إزازه دم طازه يومها .
أم الديب بتعجب:
=وأجيبهولك منين ياخويا؟

الدجال بتجاهل:

_ معرفش اتصرفي مادام عايزه تعملي عمل لمرات ابنك .
أم الديب برهبة:

=ماشي ياخويا هرجلك تاني .

الدجال بصوت حاد:

_بلا غوري!

خرجت أم الديب بسرعة من الغرفة المظلمة، والباب أوصد بمفرده بقوة شديدة بمجرد أن خرجت من الغرفة. فرعت أم الديب من صوت رتقة الباب، وقالت لنفسها بخوف:

=استرها علينا يارب .

بينما وضعت يدها على قلبها، وهي خارجة، استشعرت وجود امرأة شديدة الطول تقترب منها، إذ بلغ طولها اثنان مترًا، ملتحفة بجلباب أسود، ومتحجبة بقطعة من القماش تغطي وجهها، ولم تلتفت أم الديب إليها إلا بعد أن اصطدمت بها عن غير قصد. فوجدت نظرة حادة تلوح في عيني المرأة، وسمعتها تقول:

_جرا ايه يا مرا انتي مش تاخدي بالك؟

صاحت أم الديب في وجهها، وقالت:

=انتي بتزعقي ليه يا بت العرر؟

اقتربت المرأة منها بخطوات ثقيلة، وانبعثت منها أصوات مرتفعة كصياحات الأرواح الملعوننة، واحمرت عيناها بشكل مخيف، حتى بدت كأنها مليئة بالدماء المتساقط كنهج منساب. وبينما كانت تلك الكلمات تنبعث من فمها كجمرات النار، قالت لها بصوت يجلب الرعب:

_هسخطك!

ارتجفت أم الديب لشدة خوفها، فقالت:

=يا ساتر، ابعدي عني!

المرأة بصوت غليظ، وهي تقترب أكثر فأكثر، كموجات من الظلام تتلاطم على شاطئ اليأس، تنادي بلا هوادة، تهديدًا واضحًا لكل من يجرو على الاقتراب:

_هموتك يا ست!

في لحظة الذعر، لم تجد أم الديب مفرًا، فقررت سريعًا الهروب، واندفعت بسرعة من مبنى الدجال، وبينما كانت تركض، تعثرت بحفرة صغيرة، وفي لمحة بصر، وجدت نفسها تتحرك كالدمية بدون سيطرة، ترى كل شيء ولكنها غير قادرة على التحكم في حركاتها، فاندفعت بلا هوادة في الشوارع المظلمة، واخترقت أبواب المنازل كالرياح المتمردة، حتى وقعت بقوة شديدة على الأرض، وعندما عادت إلى وعيها، وجدت نفسها في بلدة غريبة، فصرخت بعنف:

=آني فين؟ ايه اللي جابني البلد اللي جنبنا؟

نظرت حولها، ووجدت الناس يتأملونها بدهشة، واستغراب، فاقترب أحدهم ببطء، ووجه لها سؤالًا:

_انتي كويسة يا حاجة؟

ردت أم الديب بصوت غليظ:

=امشي يا ض!

تعجبت أم الديب، كما لو أنها استيقظت فجأة من كابوس مرعب، من تحول صوتها المألوف إلى صوت رجل، وكأنما تلك اللحظة كانت انفجار ألغام من داخلها، فاندفعت بصراخ منين يعكس الرعب الذي اجتاحتها:

=صوتي يا ناس، صوتي ماله؟ الحقوني!

نظر رجل منهم للآخر، وقال له بشك:

_ ده شكله راجل، وعامل واحده ست !

أم الديب بنبرة غليظة، وهي تجلجل:

=أنى فين، أنى مين؟ الحقونى .

ولحسن الحظ، تبين أن واحدًا من الحاضرين يعرف أم الديب جيدًا، فانصرف إليهم بثقة، مضفي لتلك اللحظة المشحونة بالتوتر لمسبة من الأمل، قائلاً:

_ الست دي انا عارفها، وعارف عيالها !

رد أحدهم:

=طب ومستنى ايه؟ ماترجعها لهم يشوفوا مالها !

بالفعل، أخذ الرجل أم الديب برفق، وقادها بعناية إلى المنزل، وعندما وصلا إلى الشقة، شعرت أم الديب بحاجة ملحة لتحسس جسدها بقوة، ما أثار دهشة المعلم حنفي، وأوهم بأنها قد أصيبت بمرض جلدي يسبب لها هذه الحساسية المفرطة، فقال باندهاش:

_ مالك يا ولية، جرالك ايه؟

ردت أم الديب بصوت غليظ كصوت الرجل، فأجابت بصوت متقطع تحت ضغط الظروف الصعبة التي تعاني منها:

=جسمي ساخن أوي ياخويا، ودراعي منمل، رجليا فيها حاجة بتنهنشني .

تراجع المعلم حنفي للخلف، وقال بفرع:

_ ياما، ايه الصوت ده؟ انتي بالعة راجل يا ولية؟

وقفت أم الديب، العملاقة الشامخة، على أرجلها الثابتة كأعمدة الصخور، وانطلقت بقوة نحو المعلم حنفي، مُحلقة في الهواء كطائرة جريئة، حيث ارتفعت فوقه بقفزة مهيبة، قبل أن تتراجع برشاقة وتهبط بحذر على الأرض، فأصدر المعلم حنفي صوتًا مكتومًا ينبعث من أعماقه :

=قومي من عليا يا ولية...نفسى راح!

ارتكزت أم الديب بيد من حديد على عنق المعلم حنفي بقسوة أكثر من السابق، فانفض المعلم بصرخة تمزق السكون، ولكن بلا جدوى. أجابت أم الديب، بوجه لا يتسع للرحمة:

_ هاتلى حقي، بقولك هاتلى حقي يا إما هقتلك!

تنفس المعلم حنفي بأنفاس متقطعة، وهو يتألم بكل خطوة تجاه النهوض. ثم قطع صمته كلمات مترجمة بوجع عميق:

=قومي يا ولية !

ردت أم الديب بصوت حاد، وهي تتكأ على عنقه بعنف:

_ هموتك !

ظهر جلال وهو يتبعها بخطوات حذرة، ووجهه يعكس علامات التساؤل، ثم فتح فمه لينطق بعبارة تعبق بالغموض:

=مالك ياما؟

ردت أم الديب بصوت غليظ:

_ هقتلكم !

صرخ جلال قائل:

=ياما !

فر بعيداً، كأنه يفر من شيء لا يُحَدِّقُ به، لئيبادر بطلب المساعدة من شيخ حكيم، يلقي نظرة فاحصة على حالتها، فألقى الدجال كلماته:

_ أمك ملبوسة من ثلاثين جن، والجن اللي عليها مش هيسيبها بسهولة .

ثم نثر الملح في طبق النار، فقال المعلم حنفي:

=والحل ايه يا شيخنا؟

رد الدجال بانشغال:

_ تعالولي بعد ست شهور .

تعجب المعلم حنفي، وقال:

=اشمعنا؟

رد الدجال بصوت حاد:

_ هو كده... يلا اتكل على الله .

نطق جلال بعصبية:

=ما براحة يا شيخ ألا أطلعك المطوى وأعملها معاك، إكمني مجنون وأعملها!

رفع الدجال يده ببطء إلى الأعلى، ثم حركها باتجاه الحائط، فتبعه جلال باندهاش، حتى ارتطم بالحائط

بقوة، ووضع يده برفق على ظهره، مُعَبِّراً بحكمة ما:

_ أه يا ضهري يانا ياما .

طارت أم الديب ببراعة فائقة، ونسبت بساق جلال بقبضة من حديد وأسنتها به بلا رحمة، فزفير الألم

اندلع من جلال، وتحدث بصوت مكتوم، وهو يردد:

=أه رجلي... هي أمي لبسها كلب سمران ولا ايه؟ أه رجلي .

ارتجف المعلم حنفي، وقال بفرع:

_ يلا يا ض قوم بسرعة قبل ما تنتسخط قروود!

ردت أم الديب بصوت مهيب كصدى الجبال، وهي تقترب منهم بثبات:

=هقتلكم!

صاح الدجال بها، فهي تعطله عن مواصلة أعماله الوضيعة، فقال بحدة:

_ يلا يا ست انتي، وجوزك، وابنك من هنا بلا وجع دماغ!

تحدثت أم الديب بنبرة الصوت الغليظ نفسه، وانقضت بسرعة مدهشة على الدجال، وأمسكت عنقه بقوة

مثل مخلوق من الأساطير، قائلة بصوت يهز الأرض:

=يا ولاد الحرامية!

صرخ الدجال، وقال باستغاثة:

_ الحقوني، الولية المسعورة هتموتني!

في هذه اللحظة، فكّر المعلم حنفي في أمور عميقة داخل نفسه، ثم اتخذ قراراً فجأة، وسارع ببداية تنفيذه

قبل أن ينتهي عمره على يد زوجته، فصرخ جلال وهو يلاحقه بسرعة، معلناً بكل بأس:

=الحقني بابا.... الحقني!

رد المعلم حنفي بعجيج:

_ أمك اتسمرت يا ض!

بعدما هربوا من قبضة أم الديب، أخيراً، تراجعت عن عنفها، وكأنها تمسح بيديها فم الزمن الذي غمرته بالدماء، ثم بدأت بنظرتها المتقصية تفحص المكان بحثاً عن آثار المعركة الماضية، تلمح هنا وهناك لتتأكد من رحيل المعلم حنفي، وجلال. في الزاوية البعيدة، كان الدجال يتلوى تحت الطاولة، وجسده يرتجف كورقة خضراء في عاصفة خوف. فبينما خرجت أم الديب من منزل الدجال، وجدت المرأة الطويلة كالظل المظلم ينتظرها في الخارج. وبلحظة قصيرة، اشتد غضب الجنية عند رؤية أم الديب، فأمسكتها بيدها الثنائية بقوة الجبال، ورفعته لأعلى، مُطْلَقَةً شعاعها الأحمر المشتعل من عينيها الحمراتين كاللهب، وانبتقت أنيابها السوداء، وزارت بشراسة كالوحش الجائع. شعرت أم الديب بلسعة الخوف تخترق قلبها، وعبث اليأس يُحاصرُها، فألقت بصوتٍ مرتجف:

=سبييني ياختي، سبييني أبوس إيدك، ورجلك، عايزه أرجع لبيتي سليمة !

ردت الجنية بصوت مروع:

_مش هسبيك في حالك...مش هسبيك !

ردت أم الديب برهبة عارمة:

=اللهي يسترك ويفرحك ويكرمك ياختي...سبييني ده انا حتى ست غلبانة، ومسكينة، مليش حد يحميني! صرخت الجنية بصوتٍ مدوٍ في وجه أم الديب، كلماتها تعلو بقوة:

_انتي عارفة انتي عملتي ايه؟

في لحظة مُفزعة، طارت الجنية في الهواء بأم الديب، ورفعته بيدها نحو السماء، ثم انخفضت بها بسرعة نحو الأرض المظلمة، حيث وجدت نفسها في مكان ضخم. أمسكتها الجنية بقوة وألقتها داخل إحدى الغرف السوداء الكئيبة، ثم أوصدت الباب بنقله، واختفت فجأة كما لو أنها لم تكن. ومن شدة الخوف الذي ألمَّ بها، وصل بها الأمر إلى أنها لم تعد تسيطر على نفسها، وبدأت تتبول على نفسها، وهي تعول، بينما تقول:

=روحوني...أني خايفة يا خلق يالي هنا !

أسرعت بخطواتٍ متوجّهة نحو الباب، حاولت بجديّة فتحه، ولكن بلا جدوى، فشعرت بشيءٍ ما يلتفتُ حول بنطالها، يجذبها بقوة نحو الأسفل، فصرخت، وهي تنادي:

_لا كله إلا بنطلوني يا ولاد الكلب، هروح فيكم في داهية... انتوا متعرفونيش ولا ايه؟ ده انا أم الديب والبلد كلها بتعملي ألف حساب .

بعد أن تغير مسارها، شعرت بشيء يسحبها من ساقبها بقوة، فسقطت، ولكن الشيء المجهول لا يزال يجرها بلا رحمة، فصاحت بينما تتوجع:

=يا خلق يا هو الحقوني، أني كنت بهزر معاكم...ده آني ست أستاهل ضرب الجزم حتى... انشالله يستركم خرجوني !

ظهرت لها الجنية، ونطقت بصوت غليظ:

_بتقولي ايه يا بت المركوب؟

أجهشت أم الديب بالبكاء، وقالت:

=انشالله يسترك سبييني...ده آني ست كلبة وأستاهل مية شبشب، أني كنت بهزر معاكم...انتوا

مابتهزروش ولا ايه؟

تحدثت الجنية بصوتٍ غليظ يترنح في الهواء، وهي تقترب بخطوات ثقيلة ومرعبة، كلماتها ترنو إلى الهلاك:

_وانتي تهزري ليه؟ انتي متعرفيش احنا مين؟
 لطمت أم الديب وجهها، وقالت بصداح:
 =يا خرابي هشق هدومي، الحقوني يا ناس، هيموتوني .
 أجابت الجنية بعنف:
 _هسيبك في حالة واحدة!
 انتهزت أم الديب الفرصة، كمن يتعلق بالحبل الأخير في غرقه، فألقت بكلماتها كالصاعقة في الظلام:
 _قولي...أني تحت رجلك .
 ردت الجنية:
 =شرط خروجك من هنا جوزك يجي مكانك .
 نطقت أم الديب دون تردد:
 _وآني موافقة ياختي بس خرجيني!
 ردت الجنية بصوت غليظ:
 =لو جوزك مخرجش هموتك، وقبل ما أموتك ...
 ورفعت صوتها إلى درجة مميتة، كلماتها تهب الدمار:
 _هعذبك!
 في لحظة الفزع، اختفت كلماتها، فاستيقظت أم الديب من نومها لتجد نفسها مستلقية على سريرها في المنزل، بجوار المعلم حنفي. وعندما فتح زوجها عينيه وجد نفسه مقابلها، صرخ بشدة من الفزع، فوجه إليها النظر بعينين ممتلئتين بالرعب، وقال بصوت مرتجف:
 =ياما أعوذ بالله من الشيطان الرجيم...أعوذ بالله .
 ثم دخل غرفة هايدي بعجلة، فتعجبت ابنته من ملامحه المذعورة، فلمحت إليه بعيون متسانلة، وقالت بلطف:
 _في ايه يا بابا؟
 رد المعلم حنفي بصراخ:
 =انتى نايمج هنا ولا حاسه بحاجة؟ أمك ظهرت!
 اندهشت هايدي لذا قالت:
 _بنتكلم بجد؟
 دخلت هايدي الغرفة، لكن لم تجد أحدًا بداخلها، فأخذت تتأمل بدهشة، وعلى وجهها علامات الارتباك، مما جعلها تستنتج أن والدها قد يعاني من هلاوس أو تخاريف، فتقدمت بخطوات هادئة وقالت بتعبير من الاهتمام:
 _مفيش حد يا بابا، انت جالك تخاريف ولا ايه؟
 تلجج المعلم حنفي في حديثه، وقال بخرع:
 =كانت ممم...مو... موجودة .
 دق الباب، وعندما خرجت هايدي تفتح، وجدت أم الديب حياها، فارتجف المعلم حنفي، فلم يعرف أيهما حلم وأيها حقيقة! وبينما يتردد بين الواقع، والخيال، تحدث بصوت مرتجف في كلماته:
 =انتى...انتى كنتى هنا يا ولية!

ردت أم الديب، وهي تدخل الشقة:

_ ايهي... أني لسه راجعة!

كان وجه أم الديب ممتلئاً بالكدمات الزرقاء، وهذا الأمر أثار فضول هايدي، فتساءلت بدهشة:

= أنتي كويسة يا ماما؟

صمتت أم الديب، ومرّت بجانبهم في صمتٍ مُخيف، وهي تنظر لهم نظرات حادة كالسيوف، ودخلت الغرفة، وأوصدت الباب خلفها، فشعر المعلم حنفي، وهايدي بالشك، وأدركا أن هناك حدثاً غامضاً يحدث! وفي ذلك الوقت الحرج، سُمع صوت صخب عالٍ يهز غرفة أم الديب كما لو كانت زلزلاً بقوة سبعة ريختر، فاقترب المعلم حنفي من باب غرفة أم الديب، وطرقه بحذر، معبراً عن قلقه:

_ افتحي الباب، ماهو ده اللي خدناه من وش أمك الفقري!

دخلت هايدي المطبخ، وأحضرت المفك بسرعة، ثم عادت به إلى المعلم حنفي، وقالت بحزم:

= خذ يا بابا المفك ده حاول بيه يمكن يفتح .

بعد أن أخذه منها المعلم حنفي، حاول فتح الباب بكل جهده، لكنه فشل، فأصابه الضيق، وقال بصوت مكبوت بالهم:

_ يتحرق اليوم اللي عرفتك فيه، مخدناش منك غير الهم، والقرف!

وقتما نظر المعلم حنفي، وابنته خلفهم، وجدوا أم الديب تقف كالشبح المخيف أمامهم، يوبؤ عينيها يتسعان حتى امتلأت عيناها باللون الأسود كالليل المظلم، وانسكب منها الدماء، فصرخت هايدي بصوت مرتفع يخترق الهواء، ووضعت يدها المرتجفة على فمها، بينما خيم الرعب على وجه المعلم حنفي الذي لم يجد سوى الهلع في داخله، قال بصوتٍ يتأجج بالخوف:

= أعوذ بالله، أعوذ بالله... سلام قولاً من رب رحيم، أسترها علينا يارب!

تشبثت أم الديب بيد المعلم حنفي بقبضة من حديد، وقالت بصوت غليظ يترنح في الهواء كالرعد الجامح: _ هاخذك معايا .

تراجع المعلم حنفي للخلف، وقال بجلبنة:

= ابعدي عني، ابعدي يا بت الكلب، غوري!

ردت أم الديب بصوت حاد:

_ يعني مش هتيجي؟

ابتلع المعلم حنفي ريقه بصعوبة، وقال بذعر:

= آجي فين؟

تحدثت هايدي بخوف:

_ بابا!

رد المعلم حنفي بتعجب:

= ايه؟

أجابت هايدي بقلق:

_ لازم نهرب دلوقتي!

تحدثت أم الديب بصوت غليظ:

= عمرك ماتهرب مني يا حنفي، مش هتهرب مني، فاهم؟

صرخت صرخة قوية تهز الهواء في وجهه، وفجأة انفتح باب الغرفة بمفرده، فوجدوا أم الديب نائمة بسلام على سريرها، ومن شدة شرود عقل المعلم حنفي، شعر بدوار قوي يدور حول رأسه، فانهار على الأرض بصمت مرعب. وحينما استيقظ على صوت الطبيب، وجد نفسه محاطًا بأطباء الطوارئ، فقال أحد الأطباء له:

_حمدالله على السلامة يا معلم حنفي .

رد المعلم حنفي بعدم تركيز:

=مين؟

رد الطبيب بدهشة:

_هيكون مين غيرك؟

تحدث جلال بتأثر:

=حمدالله على السلامة يابا، احنا كلنا جنبك .

نظر المعلم حنفي حوله بعيون شاردة، وهو يعاني من التشنج، ثم قال بصوت متوتر:

_انا فين؟

رد الطبيب:

=انت في المستشفى، وادناك العلاج المناسب .

تحدثت نعمة باستياء:

_سلامتك يابا ألف سلامة .

ثاني يوم، خرجت أم الديب من المنزل بصمت عميق يعكس حالة من الغموض، ووصل جلال مع زوجته، وأطفاله إلى درج المنزل، متوجهين إلى الخارج لشراء مشتريات ضرورية وسط جو من الهدوء. وفي لحظة الانفصال بين النسومات الباردة، والصوت المتقطع لأقدامهم، انفتح لسان جلال ليقول:

=بس يا بت انا مش هجيب غير بمية جنية، متزوديش عن كده!

ردت ليالي:

_حاضر ياخويا متخافش انا هلم ايدي .

نطق حمود بفضول:

=آبا هي ستي البجرة راحت فين؟

ضحك جلال، وقال:

_اسكت ياض لاتطلعنا...إكمن ستك بقى راكبها عفاريت قد كده

بعدما وصلوا لمدخل المنزل، وجدوا أم الديب تقف أمامهم كالتمثال، وتنظر إليهم بنظرات مليئة بالانتقام، والغضب اللاهب. فصرخت ليالي، ووقفت في حماية جلال متمسكة بأولادها بين ذراعيها، وهو يترنح في مواجهة الرعب. فتحدث جلال بصوت يرتجف من الفزع:

=انتي بتعملي هنا ايه ياما؟

ردت أم الديب بصوت غليظ:

_جيت أشرب من دمك انت، ومراتك، وأبوك .

نظر جلال حوله فلم يجد والده، فقال بتردد:

=بس ياما مفيش غيري انا ومراتي !

ردت أم الديب بصوت غليظ:

_ماني خدته .

صاح جلال قائلاً برهبة:

=مين اللي خدتيه؟

ردت أم الديب بصوت غليظ:

_أبوك .

تمسكت ليالي بأبنائها بقوة، وخرجت بهم بسرعة وهرولت إلى الخارج، وعقبها جلال يتبعها بخطواتٍ مضطربة. وبعد وصولهم إلى المستشفى، لم يجدوا المعلم حنفي في غرفته المعتادة، فسأل الممرضة القادمة بعجلة عن مكانه، لتخبرهم أنه لم يكن متواجداً في تلك اللحظة. فغضب جلال وصاح بها بغضب ملتهب، قائلاً:

=يعني ايه أبويا مش موجود أمان راح فين؟

وأخرج لها سلاحه الحاد بيديه المرتجفتين، فصرخت الممرضة بصوتٍ مرتفع مليئاً بالفزع .

يتبع

الفصل الثاني والعشرون

نطق الطبيب بفرع:

_ اهدى لو سمحت! احنا من نص ساعة بالطب كنا عنده بئديله العلاج، وبعدها اختفى .
رد جلال بسخط متقدّمًا نحو المطوى، وباتّجاهٍ قريبٍ من رأس الطبيب، باغتنام لحظة الغضب المحتدم في داخله:

= رجعلي الكاميرا يا ض لا أشقك نصين!

الطبيب بصوت حاد:

_ لو سمحت من فضلك بلاش كده، هعملك اللي انت عايزوا بس شيل اللي في ايدك ده .

تعجب جلال بعدما استرجعوا كاميرات المراقبة، وقد رأى المعلم حنفي يخرج مع أم الديب من المستشفى، ويديهما بيدي بعضهما، فنطق متسائلًا:

=ازاي بس يا ناس؟

رد الموظف:

_ في حاجة غلط يا أستاذ؟

تحدث جلال بتعجب:

=ازاي أبويا ماسك في إيد أمي؟ في حاجة غلط!

نطق الموظف بدهشة:

_ هي المشكلة في إن أبوك ماسك ايد أمك؟

رد جلال بصوت حاد:

=اسكت متوجعش دماغي، انت مش فاهم حاجة !

صرخ جلال بصوتٍ مليء بالحيرة، وخرج يبحث عن والده في كل مكان، لكن دون جدوى، فعاد إلى المنزل ووجد أم الديب في المطبخ، وهي تطهو الطعام، فصرخ متسائلًا عن مكان والده بقلق لا يخفى:

=ياما .

ردت أم الديب بتعجب:

_ ايه يا ولا عايز ايه؟

تلفظ جلال بذهول:

=ايه ده ياما؟ انتي بتتكلمي عادي؟

ردت أم الديب، وهي تقلب الطعام في القدر:

_ ايهي أمال هتكلم ازاي؟

رد جلال بفرع، وهو يتلجلج في حديثه:

=طب ما.. ما.. متعرفيش أبويا فين؟

أجابت أم الديب بصوتٍ غليظ، ونظرت إليه نظرة حادة، تكاد تنفجر من الانزعاج:

_ امشي!

أيقن جلال أن من تحاوره، ليست والدته، فقال بهلع:

=حاضر .

وصعد إلى شقته بسرعة متنقلاً بخطىٍ مستعجلة، وأثناء جلوسه مع زوجته، سمعوا دربكة مريية في البلكونة، فانتبه جلال، وزوجته بحذر، وفتحا البلكونة ليجدا أم الديب هناك. اقتربت منهم والدماء تسيل من عينيها الغاضبة، فراجع جلال خوفاً وقال بصوت مرتجف:

=أعوذ بالله من الشيطان .

ونطق في حين يتراجع خوفاً:

=في ايه ياما؟ ما تبعدني !

تحدثت ليالي برهبة:

_ انتي جيتي ازاي يا حماتي؟

ردت أم الديب بصوت غليظ:

_ أني أدخل المكان اللي يعجبني في الوقت اللي يعجبني... فاهمين ولا لا؟

ردت ليالي، وهي ترتجف خوفاً:

=حاضر .

صرخ جلال وهو يختنق تحت قبضة أم الديب، ونشبت برأسه بقوة مثلما فعلت في المعلم حنفي، فانتابه الذعر، وقال بصوتٍ متقطعٍ:

_ الحقيني يا بت يا ليالي، الحقيني بسرعة... أمي هتموتني... مش عارف أتنفس!

حاولت ليالي بجدية إبعاد أم الديب عن جلال، وبالفعل نجحت في ذلك. لكن عندما تركت أم الديب جلال، أمسكت ليالي بوحشية، وقالت بصوت غليظ:

=هفرمكم كلكم .

بكت ليالي، وهي ما زالت ترتجف:

_ استهدي بالله يا حماتي... أجيبلك كوباية ليمون تهدي أعصابك؟

خرج حمود من غرفته، وهو يجري نحو والديه، فقال:

=أبا...أبا!

لكن جلال قد عصف بخوفه أمواج القلق من شر أم الديب، فانفجر صوته بصرخة ملؤها الفزع، وهو يقول للطفل:

_ اجري يا ض... ادخل أوضتك بسرعة!

ردت أم الديب بصوت غليظ، وهي تتشبث بحفيدها:

=تعال يا ض .

وحملته في لحظة مفاجئة، وانطلقت به بعيداً كالعاصفة، فاندفعت ليالي بنحيب عارم، وهي تلطم وجهها بيديها معبرة عن اليأس، وهمست قائلة بإعوال:

_ يا لهوتي... ابني يا جلال، الحق ابني!... أمك خدته... يا نهاري يآني، يا مصيبيتي السوداء!

صاح جلال في وجه ليالي، وقال بجلبنة:

=هجييه منين؟ دي اختفت!

لم يتردد جلال، وزوجته في العودة للدجال، وهو موضع ثقتهم، حيث يعتقدان أنهما سيجدان فيه الحل لهذه الأزمة. وبعد أن قام الدجال بإرسال خدمة لقرين أم الديب، أعلن بثبات:

_ أمك مش مضبوطة، ومش هترجع إلا لما نعمل كذا حاجة كده .

رد جلال بقهر:

=أبوس إيدك يا شيخنا تقولي الحل...انا ومراتي مقهورين على الواد ألا تعمل فيه حاجة!
أجاب الدجال:

_الطلبات اللي هطلبها منكم تتنفذ بالحرف .

بينما كان المعلم حنفي يجد نفسه مُحاصرًا تحت الأرض، في مكان مُظلم لا يمكنه رؤية حتى أطراف أصابعه، قال بخوف وهو يتحسس في الهواء الملتهب من حوله:
=آني فين؟

أثناء سيره في الظلام المخيم، قفزت فوقه كتلة ثقيلة بلا هوادة، فصرخ بشدة متألمًا، قائلاً بصوت متأجج بالألم:

_ هو آني الأقي أنبوبة فوق وأنبوبة تحت؟ ماترحمونا، بدل ماتبعتولي مزة فرصة كده تطري عليا؟

وتذكر أنه في ظروف صعبة لا تحتل التفكير في النساء، فهذا ليس الوقت المناسب للتفكير بمثل هذه الأمور، فقال بصوت مليء بالاستغاة:
_ولا تطري عليا ليه؟ آني مخطوف يا ناس، الحقوني !

ظهر ضوءٌ خافتٌ يتسلل من بعيد في الظلام المحيط، وفي غمرته، خرجت منه أم الديب كشيطانة ينتظرها الجحيم، واستقر الرعب في قلب المعلم حنفي حين التفت ليراها، فجملت أفكاره المضطربة، وقال بصوت مُرتجف:

_ياما، هو انتي ورايا فوق وتحت؟ ماتعتيني يا ولية انا قرفت منك!

صرخت أم الديب في وجهه بنبرة غليظة، وقالت:

=تعالالي !

وسحبته نحوها بقوة، فصرخ قائلاً:

_عا.

عندما انتهى الدجال من شرحه المفصل لجلال، وليالي حول المسؤوليات، والخطوات التي يجب عليهم اتخاذها، وجدوا أنفسهم مغمورين في بحر من التحديات، فألقى الدجال نظرةً ممزوجةً بالتفاؤل تجاههم، وقال بصوتٍ هادئٍ يتجلى فيه الثقة بقدراتهم:

=عرفتوا هتعملوا ايه؟

رد جلال بثقة زائدة:

_انا لو عليا أدخل أجيبك كل الجثث، ما أصلك متعرفينيش، ده انا جامد أوي!

نطقت ليالي بخوف:

=هنروح المقابر بالليل ازاي يا جلال؟

رد جلال بشجاعة:

_متخافيش يا بت انتي معاكي أسد !

رد الدجال، ويخرج من عينيه الشعاع الأحمر الذي أضفى عليه مظهر الشيطان في هذه اللحظة المرعبة، وقال بغضب يتجلى في صوته كالرعد المدوي:

=يلا اطلعوا برا... هوونا .

رد جلال بعصبية:

_ما براحة يا عم !

زاد الضوء الأحمر في عين الدجال، مما أضى عليه مظهرًا مخيفًا، ومرعبًا، فانطلق صوته بغضب متصاعد:
=أطلعوا برا .

بمجرد أن خرج جلال برفقة زوجته، وابنته من غرفة الدجال الذي يدعي أنه شيخ، شعروا بدفعة قوية تسبق انغلاق الباب بقوة خلفهم، دون أي إجراء مسبق منهم، فتمسكت تقي بوالدتها بيد مرتجفة وهي تتأمل الظلام الذي يحيط بهم، وبوجه مليء بالخوف، قالت بصوت يتلعثم، ويترجف:
_ماما انا خيفة!

ردت ليالي، وهي تضم ابنتها إلى حضنها بحنان، كمن يحتمي بجناح الأمان، وسط تلك الأجواء المظلمة، وبنظرة تنبعث من عينيها، وبينما تلتفت حولها بحذر، خرجت كلماتها المؤثرة بصوت هامس:
=متخافيش يا حبيبة أمك .

بعدما وصلوا للمخرج الأساسي من بيت الأشباح، كانت المفاجأة الرهيبة تنتظرهم، فوجدوا الجنية الطويلة تقف كالظل الساحر حيال الباب، تراقبهم بعيون متألئة بالشرور، وفي تلك اللحظة المرعبة، تعثرت قدم جلال في إكمال خطواته، وتسارعت نبضات قلبه بصوت متسارع كالطبول، وفي دوامة الحيرة، كان يتردد بين أن يظهر شجاعته أمام زوجته، ولكنه يتعرض لمس الجنية الشريرة، أو أن ينحني لخوفه ويفر هاربًا، فأطلق من شفثيه كلماته بتلك اللحظة الحرجة:

_بت يا ليالي !

ردت ليالي بحالة من الهلع:

=هنخرج ازاي ياخويا؟

تحدث جلال بتردد:

_انا هعد لحد تلاتة، ونجري بسرعة .

ردت ليالي بترقب:

=خذ بتك في إيدك .

نشب جلال بيد ابنته، وبدأ في العد قائلًا:

_يلا واحد... اتنين... تلاتة... اجري .

فر جلال بابنته، وخلفهم ليالي تعول، حيث صوبت الجنية بعينها شاهقة الإثارة المفزعة على المكان الذي ينوي جلال الهروب إليه، حينها، خرج كلب أسود كأسطورة تنبثق من تحت التراب الملوث، فصرخ جلال بكل فزع، قائلًا:

_دي جنينه يا بت .

ردت ليالي بصراخ:

=الحقونا، هتموتنا!

ظل الكلب في حالة المطاردة، كالظل الساحر، حتى اخترق جسد جلال كالرمح المشتت، فكأنه تراب يندثر في نسيمات الهواء، وجلال واقف مثل التمثال، محجوب العيون وعلى وجهه لوحة صمت مُرسخة بالصدمة. ترك يد ابنته تنزلق من بين أصابعه، فصرخت ليالي، وضربت بيدها على صدرها كلمعة آخر أمل، وقالت بصوت خافتٍ يحمل عبق الفزع:

=جلال!

تحدثت تقي بنحيب:

_ماما انا خيفة أوي !

اقتربت ليالي من جلال بحذر شديد، وكانت عيناها تترقب حدوث شيء ما، فخرجت الكلمات من بين شفثيها بصوت خافت يعلوه القلق:
=جلال...مالك حصلك ايه؟

كان جلال يصدر لهم ظهره وهو ثابت في مكانه دون أي حركة، كأنما يتجسد الصمت حوله، حتى التفت فجأة، وانطلقت شرارة الامتعاض من عينيه بلونها الأحمر الساطع، وأصابته لعنة الجنيه بكل قوتها، وخرجت الكلمات من بين شفثيه بصوت حاد يتناغم مع سهيل الريح:
_امشي انتي وبتك !

لم تتردد ليالي في الهروب بسرعة برفقة ابنتها، وقررت الذهاب لمنزل أهلها كملاذ آمن. وكانت دموعها تنهمر بشدة وهي تروي لهم بصدمة ما حدث، كأنها تتحت من بين طيات الكلمات صخرة من الألم:
=ياما انتي مشوفتيش اللي حصل لجلال! جلال اتحول... كان هيموتني انا وبتني!
ردت تباهي بفرع، وتقشعر جسدها:
_يا ساتر استرها علينا يارب، كان مستخيلنا ده كله فين بس؟
نطق عم سلامة:

=متخافيش يا بتي، عايزك تدخلني تغيري هدمتك دي انتي وبتك وتريحوا شوية، شكلك تعبتني يا بتي بعد اللي حصل!
ردت ليالي بارهاق:
_حاضر بابا.

دخلت ليالي الغرفة هي، وابنتها، وبعد أن هل الليل وغطت الظلمة أرجاء المكان بألوانها المخيفه، قررت ليالي العودة لمنزلها، فهي لا ترغب في التخلي عن زوجها في هذه الظروف المشؤومة التي تحيط بهما، فحملت ابنتها بعناية شديدة، ووضعته بجانب الجدة تباهي الواقعة في غفوة عميقة، تعانق السكون وتستريح من هموم اليوم، ثم عادت ليالي إلى شقتها بمنزل أم الديب، فكان المنزل يبدو مظلمًا، ومشوشًا بالأشباح، وطيلة صعودها على الدرج الصامت كانت تردد المعوذتين بشدة، وأخيرًا وصلت إلى شقتها، وأشعلت الأنوار لتعمر الغرفة بضوءها الدافئ، وهي تضع يدها بقلق متجدد على صدرها الذي ينبض بسرعة، فقالت بصوت مثلثم بالترقب:
_بسم الله الرحمن الرحيم .

دخلت ليالي غرفة النوم، وأضاءت نورها المتلألئ في الظلام، فشعرت بشيء ما يلامسها خلف ظهرها، وبعد أن ترددت للتلفت نحوه، وجدته جلال يقف هناك بصمت مثل الشبح في زاوية الغرفة، فلم تستطع ليالي إلا أن تقول بحزن مكبوت في داخلها:
_طمني يا جلال حصلك ايه؟
رد جلال بألم:

=مش عارف يا ليالي ايه اللي حصلني!
ردت ليالي، وهي تمسك يد زوجها تطمئنه:
_انا عارفه هعالجك ازاي، وعند مين !

ذهبت ليالي بزوجها إلى شيخ في قرية تجاور قرينتهم، وبعد أن حكّت له بتأوه مؤثّرٍ ما حدث، انتظرت بفارغ الصبر حكمته الحكيمة، ونصيحته الصادقة، فانطلقت كلمات الشيخ كالنهر الهادر يروي الأرض:

=بإذن الله العلاج معنا .

وأشار بيده لجلال أن يجلس إزاءه، فقال:

=اتفضل يا ولدي .

جلس جلال، وبمجرد أن قرأ الشيخ عليه آيات القرآن، تغيرت حالة جلال من السكينة إلى الغضب المتصاعد كالنار في الهشيم. فثار كالثور الهائج في غضبه المتوهج، وتغيرت نبرة صوته إلى صوت الرعد المدوي وهو يقول:

_بتقرأ عليا قرآن ليه؟

ارتجف الشيخ خوفاً، وقال:

=يارب سلم .

تماسك جلال، حتى انتهى الشيخ من قراءة الرقية الشرعية، وخرجت كلماته بأسف مريّر، محملة بثقل الأسي:

_جوزك كان عليه جن أزرق .

ردت ليالي بدهشة:

=يعني ايه يا شيخنا؟

أجاب الشيخ :

_يعني يلبس فيه من هنا ميطلعش إلا لما ياخذ ضحية غيره .

ردت ليالي بصدمة:

=طب والعمل ايه يا شيخنا؟

رد الشيخ، وهو يملأ الكوب بالماء بينما يفوح عبق الثقة من تعامله، ووضع برفق أمام جلال، كرمز لبداية رحلة الشفاء:

_خدوا كوباية المائة دي خليه يشربها، والجن اللي عليه هيطلع حالاً .

بالفعل، بعد أن تناول جلال كوب الماء المرقي، شعر بتحسّن شديد يملأ قلبه بالسورور، فخرجت كلماته بفرح ملؤه السعادة:

=تسلم إيدك يا شيخنا، كوباية الكركادية إنما ايه عظمة .

رد الشيخ بصدمة:

_كركادية ايه يا بني؟ دي مائة قرآن!

نطق جلال بتعجب :

=مش ده كركادية يا شيخنا؟

رغب الشيخ التأكّد من صحة حديث جلال، فقال بتمعن:

_وريني يابني كده .

إذا لاحظ الشيخ داخل الكوب بحيرة من الدماء، فانفجرت صيحاته بعنف، وقال بصوت مرتفع:

_أول مرة يحصل كده، لا إله إلا الله، لا إله إلا الله... استرها علينا يارب، واحفظنا!

فجأة، اختفى المعلم حنفي على يد أم الديب، داخل زمنٍ مظلمٍ تحت سفح الأرض، وشعر بألمٍ جسيمٍ يمزق جسده، وانهار جليابه تحت قبضة الجنيه الشريرة، وتعمت كدمات زرقاء على بشرته من وطأة الضربات القاسية. لم يستطع المعلم حنفي كبت دموعه، وهو ينهار متألمًا :

=أه يا عيني عليك يا حنفي... كان زمانك قاعد في جزارتك... منك لله يا بت الكلب، هقول ايه بس منك لله!

ظهرت أم الديب فور سماعها لانتقاده، وتقدمت بخطوات ثقيلة نحوه، وعلى وجهها بريق الشر المتجلي، وصاحت بصوت قاسٍ:
_ انت بتغلط في مين يا عرة الرجالة؟

رد المعلم حنفي بفرع، وهو يبتعد عنها:

=ان... انتي....

صرخت أم الديب بوجهه، وجذبتة بعنف، معلنةً بثبات:

_ تعالالي!

المعلم حنفي بصداح:

=استرها يارب.

في اليوم الثاني، وجد جلال نفسه مُنهكًا بشكلٍ شديد، ومُجهَّدًا للغاية من كل تلك الأحداث الصعبة التي مر بها. فمنذ ليلة البارحة، كانت زوجته تُقدم له كوب الماء المرقى، ليشربه، ولكنه كان يتقيأ في بعض الأحيان، ويصرخ في أحيان أخرى، قبل أن يُعود إلى نومه من جديد. وحين جاءت زوجته بهذا الكوب الماء، وجلست بجواره، قالت بصوتٍ مليء بالحنان:

_ خد يا جلال اشرب كوباية الماية .

رد جلال بألم:

=أه يا جسمي أه... حاسس بالكلب جوا مني يا بت يا ليالي !

نطقت ليالي بامتعاض:

_ كان مستخبيلنا ده كله فين؟ كله من أمك وش الهم .

فجأة، انفجرت دربكة قوية في الصالة بالخارج، فارتجفت ليالي بخوفٍ، وقالت بصوتٍ مرتعش:

_ اطلع يا جلال .

رد جلال بإعياء:

=انا خايف يا ليالي !

نظرت له ليالي نظرة اشمنزاز، وقالت بسخرية:

_ لو انت خايف ياخويا يبقى انت مش راجل، وهبقى انا الراجل !

رد جلال بسخط:

=لولا إني تعبان يا ليالي لا كنت قطعتك !

نطقت ليالي باشمنزاز:

_ نزلت من نظري يا جلال... انا هروح أشوف في ايه .

كانت ليالي تتوجه بحذرٍ نحو مصدر الصوت، خرجت من الغرفة، وهي ترتجف قلقًا، وتسير ببطء مستعدةً لمواجهة ما قد يكون أمامها. وحين نظرت لأعلى نحو سقف المنزل، وجدت أم الديب متشبثة

بالسقف كالخفاش، فاندلعت في صراخٍ منين من الرعب. ثم عادت سريعًا إلى غرفتها، مُتأرجحة بخوفٍ، وانهزام، وقالت بنبرة مرتعشة:

_ اطلع يا جلال بسرعة... اطلع، أمك نائمة في السقف، أمك هتموتنا يا جلال... قوم!
رد جلال بصوت حاد:

= اهدي يا بت! هقوم معاكي عشان انا جلال الجدع، إنما بعد اللي قولتيه مش هديكي وش!
ردت ليالي بنواح:

_ وهو ده وقته؟ اطلع يلا !

خرج جلال من الغرفة أمام زوجته، وبينما نظر إلى السقف، وجد أم الديب ملتصقة به بشكل مخيف كالخفاش، فتحولت ملامح وجهه من شدة الذعر. ثم التفت نحو ليالي بعيون مليئة بالهلع، فقالت له بتردد:
_ بص فوق .

بينما كان جلال يلتفت للسقف مرةً أخرى، هوت أم الديب فوقه كالصاعقة المظلمة، وتساقط دماءً من ذراعه بكثافةٍ مخيفة، حتى بدا وكأنه يفقد منه جزءًا من روحه. فاندلع جلال بصراخٍ هائل، يهز الأرجاء، وهو يتعالى بقوة، ويصرخ:
= أه دراعي... دراعي... الحقوني .

فرت ليالي كالريح بعيدًا، حتى وصلت إلى المطبخ، ومضت بسرعةٍ لا تضاهي نحو الخشبة. ومن ثم أحضرتها بين يديها، وقامت بتوجيهها بقسوة نحو رأس أم الديب، ودفعتها بقوة، حتى سقطت الملعونة واختفت في لحظة غموض. وما لبثت ليالي أن رمت الخشبة على الأرض، وهي ترتجف من الهلع، وقالت بصوت مكسور بالبكاء:

_ مابقتش قادرة يا جلال !

فرت ليالي من المنزل بخطي مُتسارعة، واتجهت بعيدًا نحو منزل أهلها، فيما واجه جلال، وهو يقف في الصالة، تحولًا مروعًا إلى كائنٍ غريب الأطوار، حيث امتد ذراعه، ورجليه بشكلٍ غير عادي، وانبتقت شعيرات سوداء كالليل من جسده، وفي تلك اللحظة، كانت هايدي تجلس وحيدة في غرفتها، والباب مغلقًا بإحكام. وفجأة، تسلل الماء الأسود داخل الغرفة، فوفقت هايدي على سريرها مترقبة، ونطقت بصوتٍ مرتعش:

= بسم الله الرحمن الرحيم .

بينما كانت تواجه الموقف، أمسكت هايدي بالمصحف بقوة، فجأة تحولت المياه المتدفقة إلى شكل غريب للجنّ، فاندلعت هايدي بصرخةٍ هيسستيرية، تعبر عن رعبها، وضعفها الداخلي، وهي تقول:

= ابعد عني هحرقك... ملكش دعوة بيا، لا تاذيني ولا أذيك!

ضحك جلال، الذي تحول إلى كائن مرعب، بضحكةٍ مريبة تعكس الشرور المحتملة، فتصاعدت موجة الرعب في قلب هايدي، وهي تتلفت بعينين مفزوعتين، وتقول بصوتٍ مرتجف:

= بسم الله الرحمن الرحيم .

تصاعد الرعب في قلب هايدي، فقررت قراءة القرآن بصوتٍ مسموع، فواصلت تلاوته بثبات، حتى بدأت المياه تتدفق خارج الغرفة ببطء. لكن لم تتحمل هايدي البقاء في هذا المنزل المخيف بمفردها، حتى انتابها الفزع لدرجة أنها فتحت النافذة وقفزت منها، فسقطت في فناء المنزل على قدميها، فاندلعت صرخةً منها، وحاولت الوقوف على قدميها بصعوبة، وهي تقول:

= رجلي... مش قادرة... هعمل ايه دلوقتي يارب!

نظرت هايدي للأعلى حيث قفزت، فوجدت جلال، الذي تحول إلى كائن مرعب، ينزل نحوها بسرعة مُخيفة، فاندفعت خارج المنزل بصرخة هستيرية، وانطلقت نحو منزل أخيها أحمد، وبعد ساعات في الطريق بينما تبكي بشدة، وأحمد لم يفهم سبب بكائها المستمر، فقال بقلق:

_مالك يا هايدي، حصلك ايه؟

ردت هايدي بانتحاب:

=الدنيا مقلوبة عندنا، وحاجة عماله تطاردنا...وبابا وماما محدش عارف عنهم حاجة، ولا لاقينهم!
رد أحمد بابتسامة:

_اهدي يا هايدي، كل حاجة هتكون بخير، تعالي اقعدى وارتاحي !

وقف، مُمدًا يده باتجاهها، وقبل أن تنهض، دخلت جميلة، وعانقتها بحنان، وقالت بابتسامة دافئة:

=هاي هايدي...عامله ايه؟

رد أحمد:

_هايدي محتاجة ترتاح .

نطقت جميلة بتعجب:

=ليه في ايه؟

في اليوم التالي، قررت ليالي زيارة منزل أبو محمد، حيث ارتدت العباءة السوداء التي كانت تبرز معالم جسدها الرشيق. وعندما وقفت أمام باب المنزل، كانت العباءة تتأرجح بلطف مع حركة جسدها، وكأنها تتحرك معها بسلاسة كالموسيقى الهادئة. وعندما رأى أبو محمد وجودها، أدار وجهه بسرعة نحو الجهة الأخرى، معبرًا عن إحراجة العارم بتلك اللحظة الغريبة والمفاجئة، قائلاً:

_استري نفسك يابنتي .

ردت ليالي بامتعاض:

=جرا ايه ياعم الحاج؟ انت شايفني جايه بقميص النوم؟ مانا محتشمه أهو!

قال أبو محمد بضيق:

_استغفر الله...ربنا يتوب علينا .

ردت ليالي بصوت حاد:

=لو فضلت كده انا همشي !

نطق أبو محمد:

_اقعدى يابنتي، وعلى ايه؟

جلست ليالي على الأرض، وأخذ أبو محمد يجلس أمامها، وفي هذا الجلوس المقابل، أطلقت ليالي حديثها قائلة:

=بص يا أبو محمد، انا عارفة إنك راجل عارف ربنا وحافظ كتاب الله...أختك ضيعتنا انا وجوزي ...

بدأت في سرد كافة تفاصيل ما حدث منذ البداية وحتى الآن، حيث اختارته ليكون الشخص الوحيد في

عائلة زوجها الذي يمتلك المعرفة الدينية الكافية لفهم ما يحدث. وفيما كانت تستعرض الأحداث

بتفاصيلها، بدا أبو محمد مستمعًا مهتمًا، معبرًا عن اهتمامه بما تروييه، وفي النهاية ألقى بكلماته قائلاً:

_الله يسهلها من عنده...انا جاي معاكي أشوف ولدي جلال .

غادر أبو محمد المنزل برفقة ليالي، وتوجهوا معًا إلى منزلها، فقام بقراءة القرآن على جلال بتفانٍ، وتأمل، فلم يكن الأمر مجرد قراءة، بل كانت لها أثرًا عميقًا على جلال. ولاحظوا الجميع تحسنًا شديدًا في حالته، فعبّر أبو محمد بابتسامة عميقة قائلاً:

=جوزك كده بقى زي الفل...اعملي زي ما اتفقنا !

ردت ليالي:

_من عينيا .

بعد مغادرة أبو محمد منزلهم، وقفت ليالي متوجهة نحو السرير بخطواتٍ غير ثابتة، وبتعبيرٍ مليء بالاستعجال يكتنف وجهها المقلق قالت بصوتٍ مُتسارعٍ:

_يلا بينا يا جلال مفيش وقت!

رد جلال بتعجب:

=عالطول كده؟

ردت ليالي باستياء عارم، ومؤلمٍ على فقدان ابنها، حيث انعكس الألم على وجهها، حينما أَلقت ببضع كلمات مؤثرة لتعبر عن حزنها العميق:

_عايزه ابني يرجعلي يا جلال !

رد جلال هو الآخر بحزن، وتأثر:

=الواد وحشني أوي !

ردت ليالي:

_لو وحشك يبقى لازم تسمع كلامي .

اتجهت ليالي برفقة زوجها إلى المقابر في وقت متأخر من الليل، وخلال تواجدهما هناك، نظرت له نظرة حادة تعكس قلقها، وتوترها. دخل جلال بسرعة إلى المقابر، بينما بقيت هي تنتظره عند البوابة، حتى عاد وهو يحمل ما كان يبحث عنه. وبعد ذلك، غادروا المقبرة متوجهين نحو الدجال، الذي أخبرهم بالقول:

=نورتوا.

ردت ليالي بلهفة شديدة لابنها:

_اللهي يسترك احنا عملناك اللي انت طلبته، رجعلي ابني بقى!

رد الدجال:

=هاتوا اللي جيبنتوه .

سلم جلال المطلوب الذي كانوا يبحثون عنه من أجل إعادة ابنهم، وفي هذا السياق، ألقى الدجال بكلماته قائلاً:

=اقفلوا عينيكم وافتحوها وهتلاقوه قصادكم .

عندما فتحوا عيونهم، شهدوا مشهدًا مدهشًا إذ بعمود ينزل من سقف الغرفة كأنه يحمل شيئًا مخفيًا. على الفور، أمسكت ليالي بابنها وضمته إلى حضنها، وهي تبكي من الشوق، وقالت:

_ابني حبيبي...انت كويس؟ بُصلي انت كويس؟ ستك عملتلك حاجة؟

رد حمود ببيكاء:

=ستي البجرة كانت هتموتني .

نطق جلال بفرع:

_ أنت كويس يا ض؟
تحدث الدجال بصوت حاد:
= انا كده رجعتلكم إبنكم... مشوفش وشكم تاني!
رد جلال بصوت حاد:
_ ما براحة يا عم... انت بتنتطط علينا ليه؟ لا اتعدل أصلك متعرفنيش، واسأل في أي حنة، وأعرف مين جلال ده!
تحدثت ليالي برهبة:
= اسكت يا جلال مش عايزين مشاكل! خلينا نمشي من سكات!
رد جلال بموجدة:
_ وأبويا يا ليالي؟ ما الراجل بقى حنة عضمة كبيرة وأمي مطلعاه عينه!
رد الدجال بصوت حاد:
= لو عاوز أبوك يرجع، انا عندي شروط!
نطق جلال بفضول:
_ شروط ايه يا عمنا؟
أجاب الدجال:
= هاتوا راس ديب .
رد جلال بسخط:
_ ديب ايه اللي نجيبه؟ ده ياكلنا في قطعة!
رد الدجال بحزم:
= ده أول شرط، إنما بقى تاني شرط هتطلع على أبراج الضغط العالي ثلاث مرات .
صرخت ليالي بجمر الألم، وضربت يدها بغضب متقد على صدرها، وهي تنطق بحروف الابتئاس قائلة:
_ يا مصيبيتي!
رد جلال بصياح:
= أطلع ايه؟ انت شكلك راجل مخرف! هو انا مستغني عن نفسي؟
ردت ليالي بنبرة ممزوجة بالحنان، وهي تضع يدها برفق على كتف زوجها، وكلماتها تنبعث من عمق التفهم:
_ اهدى يا جلال!
رد جلال بجلبة:
= أهدى ايه يا بت يا ليالي؟ ده بيقولك أطلع ثلاث مرات على أبراج الضغط العالي!
تحدث الدجال:
_ إنما تالت شرط عايز نص كوباية دم منك ومن مراتك .
رد جلال باعتراض، ورفض قاطع:
= لا دم ايه؟ هجرح نفسي عشان أبويا يرجع؟ ما انشالله ما رجع، يلا يا بت !
وقف مكانه بغضب متقد، يستنكر طلبات الدجال الخادعة، والمستحيلة، في حين يتحدث الدجال بأنانية بشرية مكبوته:

_ يبقى انت اللي كتبتة على نفسك!

خرج جلال، وزوجته، وابنه إلى الخارج، فاذا بقدمٍ مقطوعة تسير أمامهم بغير جسد، فاستفاقت ليالي من هلعها، وارتعشت من رؤية هذه الظاهرة الغريبة، ثم نطقت بصوت مرتجف قائلة:

=بسم الله الرحمن الرحيم .

نطق جلال بصدمة:

_ ايه ده يا بت يا ليالي؟

في لحظة انقطاع الضوء عنهم، وحل الظلام، كان جلال، وزوجته، وابنهما يتحسسون في الظلام، عاجزين عن التقدم. وبينما يعجز كل منهم عن السير في طريقه، خرج صوت جلال مرتجفًا، يكاد

يتلاشى في جوّ الظلام:

_ ايه... ايه... ايه ده؟ ليالي انتي سامعاني؟

ردت ليالي بانتحاب:

=انا مش شايفة حاجة!

فجأة، لامست أنامل جلال وجه مسنن، مصحوبًا بحبال شعر متشابكة، فلم يتمالك جلال خوفه، وقال بصوت مرتجف:

_ انا وشي لامس بوز يا ليالي... إيدك دي؟

ردت ليالي ببيكاء:

=وهو انا عندي بوز يا جلال؟

ابتلع جلال ريقه بصعوبة، وهو يجرأ نفسه للتحدث بصوت شجاع:

_ خلي بالك من الواد... متسيبهوش من إيدك!

ردت ليالي ببيكاء:

=ماشني ياخويا .

ظلوا يسيرون حتى وصلوا إلى مكانٍ مظلمٍ تحت الأرض، وإذا بضوءٍ خافتٍ يتسلل في البُعد، وأمامهم مدارٌ واسعٌ لا يعرف حدوده، مغطى بالظلام التام دون نافذة تضيء، كأنه متاهة لا نهاية لها. هزّت ليالي

رأسها، وقالت بصوتٍ مكسورٍ:

=ايه اللي جابنا هنا يا جلال؟ يا مصييتي السوداء، يا خرابي عليا .

رد جلال بقلق، وهو يرتجف بقوة:

_ اسكتي يا بت ألا يجيلنا!

فجأة، انطفأ النور الخافت الذي كانوا يعتمدون عليه كمرشدٍ وحيدٍ في وسط هذا الظلام، واستمعوا إلى خطوات تقترب منهم ببطء، فأمسكت ليالي بيد جلال بقلق، وتحدثت بصوتٍ مرتجف:

=الحقني يا جلال!

رد جلال:

_ متخافيش!

الغريب أن صوت الأقدام فجأة كان في صمت تام، وبلا سابق إنذار، تلقوا ضربة قوية بقلم، ليجدوا أنفسهم فجأة في بلدةٍ غريبة، وفي حالةٍ من التعجب، كانوا يلتفتون حولهم يبحثون عن تفسير لوجودهم في هذا المكان الغريب، فلم تتمالك ليالي نفسها وتحدثت بدهشة:

=احنا جينا هنا ازاي؟

رد جلال بتعجب:

_مش عارف يا ليالي .

كانوا يقفون هناك في حيرة، حيث مر رجلٌ أمامهم، فلما لاحظته جلال، قال له بصوتٍ مرتعشٍ مليء بالتساؤلات:

_يا عمنا استأذنك في سؤالين لا مؤاخذه .

رد الرجل:

=اتكلم .

نطق جلال وهو يلتفت حوله بدهشة، وكلماته تنبعث منها حيرةً، وتساؤلاً:

_البلد دي فين؟

تلوّنت عيون الرجل بلون حمار الدماء، فتحدث بصوتٍ مريبٍ مليء بالغموض:

=احنا في عالم آخر .

لطمت ليالي وجهها، وصرخت قائلة:

_يا خرابي يانا...يا مصيبيتي، يالهوي عليا، يا مصيبيتي السوداء، يا عيني عليا .

صاح جلال في زوجته بصوتٍ ملتهبٍ بالضيق:

=اكتمي عايزين نتصرف! هتفضلي تندي كثير ولا ايه يا بت؟

ردت ليالي بإعوال:

_أعمل ايه ياخويا؟ احنا ضيعنا .

أجاب جلال بثقة:

=هنتصرف !

غادروا المكان، متجهين نحو وجهة جديدة، وفي طريقهم، سأل جلال أحد المارة بصوتٍ مليء بالاستغراب:

=بقولك ايه يا حاج...احنا فين؟

رد الرجل بنبرة مُريية:

_احنا زينا زيكم .

لكن لم يستوعب جلال ما قصده الرجل، فأجاب بعدم فهم:

=يعني ايه يا عم؟ يعني ايه؟

رد الرجل بصوتٍ حاد:

_امشي وانت ساكت!

غادر جلال، وزوجته، وابنهم بخطى مُتسارعة، وهم يشعرون بالغرابة القاتلة التي تلحفهم بأجواء من التشويش. فجأة، أمسك جلال هاتفه وتوقف ليطل على شاشته المكسورة ليكتشف بدهشة أنهم يسبقون عصرهم الحالي بمائة عام، وبالرغم من مرور السنين، إلا أن كل شيء ظل كما هو، كما لو أن الزمن قد تجمّد في مكانه دون أدنى تغيير، وفي لحظة من التأمل، انبثقت فكرة في عقل جلال، فخرجت من بين شفثيه بتأمل:

=بقولك ايه...تعالى معايا!

ردت ليالي بقلق:

_حاضر ياخويا .

ارتحل جلال، وزوجته، وابنهم الى قرية أبي حلاوة، حيث التفت جلال إلى أحد المارة وسأله بتساؤل ملؤه الفضول:

=بقولك ايه يا عمنا .

رد الرجل بلطف:

_اتفضل يا بني .

رد جلال بذكاء:

=تعرف واحده هنا اسمها أم الديب؟

رد الرجل بابتسامة:

_أه طبعًا دي أشهر من النار على علم، دي ست كريمة أوي وغنية أوي أوي .

رد جلال بصدمة:

=غنية ايه يا عم؟ دي منشفاها على عيالها!

تحدث الرجل بابتسامة:

_دي ست كريمة كرم مفيش منه اتنين، ده عيالها كلهم راكبين عربيات إنما ايه .

ردت ليالي بذهول:

=سامع يا جلال؟

تلفظ جلال بصدمة:

_انت شكلك متعرفهاش...انا بقولك دي ست بخيلة!

رد الرجل بابتسامة خافتة:

=روح بنفسك وانت تشوف .

نطق جلال بقلق:

_هاتلي عنوانها طيب .

بعدما حصل جلال على العنوان، وذهب إلى منزل أم الديب، وجدها تعيش في المكان نفسه، لكن الفرق

واضح، حيث بدا المنزل جديدًا، ومنظمًا بشكل ملحوظ. وعند دخولهم، وجدوا أم الديب جالسة على

كرسي فخم تضع ساقًا فوق الأخرى بأناقة، وتتوفر لديها خادمة خاصة بها. حتى المعلم حنفي، وهو

يجلس يضع ساقًا تلو الأخرى، ويشاهد التلفاز بانتباه. وعندما خرج لهم جلال الوهمي، صرخ جلال

بصوت مكتوم يعكس حيرته العميقة، وارتجفت عيناه خوفًا مما يراه، وقال بتردد:

_ايه ده؟...ده... ده... ده انا؟

بكت ليالي قائلة:

=يالهوري يا جلال...انا خايفة!

تحدث جلال الوهمي بصوت حاد :

_مين انت؟ ومين اللي معاك دول؟

رد جلال الحقيقي بفرع:

=انا... انا.. انا اسمي محمد .

نطق جلال الوهمي بصوت حاد:

_ عايز ايه يا ض انت والبت اللي معاك؟

أجاب جلال الحقيقي بخرع:

=عايز أقابل الحاجة أم الديب .

الغريب أن جلال الوهمي سرجي كجلال الحقيقي، فقد تغير كل شيء إلا شخصيته، فأشار جلال الوهمي لهم بالدخول حتى دخلوا خلفه في صمت، وهم يراقبون كل شيء حولهم، فقالت أم الديب الوهمية بسخاء:

_ تاكل ايه يا بني؟ عندي كل خيرات ربنا. فراخ، وبط، وحمام، ولحمة .

تبادل جلال، وليالي الدهشة من سخاء أم الديب الوهمية، واثقين أن ذلك يتناقض مع الصورة الحقيقية لها، حيث تشتهر بالبخل، والاققتصاد الزائد عن الحد في كل شيء يخصها. وبينما كان جلال ينظر إلى جلبابها، لمح خروج ذيل أسود مخيف، فجلت أعينه، وخرج صوته بتردد وهو ينقل لليالي تلك الحالة المرعبة بصوت خافت مرتجف:

=دي بديل !

نظرت ليالي إلى جلباب أم الديب، وتأكدت مما قاله جلال لها، فأطلقت صوتًا مرتعشًا من القلق:

_ أبوه ده طلع ديل بجد!

بينما تمعنت ليالي إلى الجميع، وجدتهم جميعًا يحملون ذيولاً سوداء، فصدمت بشدة، وانفجرت قائلة بصوت خافت مليئًا بالدهشة:

_ يا نهار أسود... ده كلهم بديول يا جلال!

بكي حمود، وقال بذعر:

=أما، انا خايف!

ردت ليالي، وهي تضم ابنها لحضنها بحنان، محاولةً تهدئته في وجه هذا الرعب المفاجئ:

_ متخافش يا حبيب أمك... متخافش!

بعد مرور ثلاث دقائق، جلس الجميع على طاولة ضخمة مزينة بأنواع متعددة من الطعام، ولكن كانت تلك الأطباق مصنوعة من لحوم البشر، ومن شدة الرهبة، نظرت ليالي إلى زوجها في صمت، وكانت لغة العيون تتحدث بينهما، حينها قاطعتها أم الديب بصوت حاد:

=كلوا !

رد جلال بتلعثم:

_ مابناكلش لحمة نية يا حاجة .

تحدثت أم الديب الوهمية بعنف:

=يعني ايه؟ كل بقولك!

تحدثت ليالي، وهي تنبعث منها رغبة ملحة في رؤية نسختها الوهمية هي الأخرى، وكلماتها تنطلق بحثًا عن الإجابة على هذا اللغز الغامض:

_ بقولك يا حاجة، أمال فين مرات ابنك؟

ردت أم الديب الوهمية بتعجب:

=مرات ابني مين؟

تفوهت ليالي بترقب:

_ ليالي مرات ابنك .

ردت أم الديب الوهمية بحزن:

=ليالي تعيشي انتي .

في حين شرق جلال، وظل يسعل من صدمته، خرجت أم الديب الوهمية بكلمات مزعجة قائلة:

_ هاتوا مائة بسرعة .

ردت ليالي بفرع:

=اممم، يعني ايه؟

ردت أم الديب الوهمية:

_ ماتت، قتلوها بعيد عنك .

ردت ليالي في داخلها بصوت متماسك:

=يا مصيبيتي!

جاءت الخادمة بكوب الدماء وسلمته لجلال، فنظر فيه بخوف متنامي، وبدأ يتلعثم قائلاً:

_ ايه ده؟

ردت أم الديب الوهمية، وهي تأكل قطعة اللحم البشري:

=الدم لسه طازه .

ابتلع جلال ريقه بفرع، وقال بتلعثم:

_ دم ايه ده؟

ردت أم الديب الوهمية، وهي تكمل طعامها:

=أصل من أسبوع، واحد اسمه سامح جابلي إزارة دم هدية الخدمة اللي هعملهاله .

تحدث جلال بذهول:

_ سامح!

لظمت ليالي وجهها، وقالت بصدمة:

=يا خرابي، سامح؟

سامح هو الدجال الذي طلب منهم تنفيذ كل هذه الطلبات اللصبة، وبينما جلال يغوص في أفكاره، نظر

إلى يديه ليجد الدماء تتساقط منها، وفي الوقت نفسه، شعرت ليالي بوخز في قدميها، وعندما نظرت

وجدت الدماء تنزف منها، ولكن المفاجأة الحقيقية كانت عندما اكتشفوا أن أم الديب الوهمية تتغذي على

الدماء، فما أن استنشقت رائحة الدماء جزت على أنيابها بشراسة، وانطلق صوت مخيف يشبه زئير

الأسد، وبدلاً من أن يفر جلال بسرعة، بدا وكأنه ملتصق بالكرسي من شدة الرعب، وكأنه لا يستطيع

التحرك، وفي هذه اللحظة من الضياع، قال جلال لليالي بصوت متردد:

_ ليالي خدي الواد في إيدك، واجري معايا .

ردت ليالي بخوف:

=حاضر .

وقف جلال بسرعة، وصرخ قائلاً:

_ اجري !

خرج جلال، وزوجته، وابنه بسرعة من منزل أم الديب، ليجدوا الظلام يعم أرجاء الكون، فجأة ظهرت

أم الديب الوهمية حيالهم، وعلى وجهها ملامح الشر، وهي تنطق بصوت مرعب:

=هتروحوا مني فين؟ أني وراكم وراكم!

واقتربت من جلال، وبدت وكأنها تنوي إيذاؤه، فلم يتمالك جلال الفزع، وقال بصوت مرتجف:

_ ابعدي عني ياما !

تحدثت أم الديب الوهمية بصوت حاد:

=انا مش أمك ياض !

نطقت ليالي بخوف:

_ انتي عايزه مننا ايه يا حماتي؟

ردت أم الديب الوهمية بشر، ورغبة في الإنتقام:

=آني مش قتلتك وارتاحت من همك؟

صاحت ليالي قائلة:

_ قتلتي امتي وازاي؟

في منزل أحمد، كان يجلس على الأريكة في الغرفة، مقابل السرير الذي تجلس عليه هايدي. وكانت

تعبر العينان عن مشاعرها، فأثر ما رآته على نفسيته أحدث فيها حالة من الارتباك، والقلق. بعد لحظات

من الصمت، خرج صوت أحمد بكلماته التي تحمل في طياتها الاهتمام:

=يا بنتي دي أكيد تخاريف!

ردت هايدي بخوف:

_ لا لا مش تخاريف... انا شوفته بعينيا... ده انا نطيت من الشباك وخوفت أنزل من جوا البيت، خوفت

يعمل فيا حاجة تاذيني!

تحدث أحمد بابتسامة:

=مش عايزك تخافي يا هايدي... انتي قاعدة وسطنا، ومفيش أي حاجة !

دخلت جميلة حامله معها المشروبات الساخنة، وجلست معهم، حاولت بكل لطف، ورقة بث الطمأنينة في

قلب هايدي المضطرب، ومن خلال ابتسامتها الدافئة وكلماتها الرقيقة، قالت:

_ اسمعي كلامه يا هايدي مفيش أي رعب بجد، انتي هنا في أمان... ياريت تنسي كل اللي حصل ده!

ردت هايدي بتعجب:

=أنسى ازاي بس؟

مد أحمد يده لاستلام الكوب من جميلة، وبينما كان يمسك به بين أصابعه، أعرب عن فضوله قائلاً:

_ طب ونعمة عاملة ايه؟

أجابت هايدي:

=نعمة خدت جوزها، وابنها، ومشيت، راحت قعدت عند حماتها وانا اللي كنت قاعدة في البيت ده كله

لواحدي !

رد أحمد، وهو يحتسي المشروب:

_ خلاص خليكي قاعدة معانا لحد مانشوف حل .

بينما كان جلال، وليالي يتواجدان، خرجت نسخة جديدة من أم الديب، فبادرت أم الديب الأولى قائلة:

=آني أمك يا ولا !

ردت أم الديب الثانية:

_متصدقهاش، أني اللي أمك!

صرخ جلال قائلاً بفرع:

=لا... لا... لا... لا .

استيقظ جلال من نومه، وجد ليالي، وأهلها حوله، فاقتربت زوجته منه بتأثر، وأمست يده برفق، ثم قالت:

=سلامتك يا جلال حصلك ايه؟

رد جلال بالم:

_أه... تعبان .

تلفظ عم سلامة بتأثر:

=سلامتك يا ولدي، لازم نشوفك حل .

رد جلال بإرهاق جسيم:

_ياريت .

رن هاتف جلال، ووقتما استجاب، وجد أحمد على الخط، حيث قام بالرد عليه، وسمع كلماته المتأثرة، وهو يقول:

=ألف سلامه عليك يا جلال، انا سمعت كل اللي حصل من هايدي، وعلقه انا مجهزلك شقة قريبة مننا أوضتين، وصالة تفعدوا فيها، وهشوفكم شيخ من الآخر .

انبعث الأمل في قلب جلال، وقال بلهفة:

_ياريت ياخويا...الواحد تعب، أمك السبب في كل اللي بيحصل ده !

رد أحمد:

=جهزوا حاجتكم، وانا مستنيكم .

بالفعل، قام أحمد بتأجير الشقة كما وعدهم بها، وبعد وصول العائلة لها واستقرارهم فيها، أطلق أحمد ابتسامة بهجة، وفرح قائلاً:

=حمدالله على السلامة يا جلال...أما قولي مفيش أخبار جديدة عن بابا وماما؟

رد جلال بحزن:

_أبويا اتاخذ وكلنا جينا في الرجلين .

رد أحمد:

=كل حاجة هتبقى كويسة .

رن هاتف أحمد، وبعدما استجاب، قال بتركيز:

_أه...أه... أيوه موجودين، انا مستنيك، انت عارف المكان؟

في هذه المرة، جاء الشيخ ليكون معالجاً بالقرآن، بعيداً عن أي تأثير سلبي كالدجالين كما كانت المرات السابقة. وبعد أن جلس الشيخ مع جلال في الغرفة، وبينما الهدوء يخيم في الجو، والترقب يسود الأجواء،

قال الشيخ لجلال بنبرة حنونة:

=تسمحي يا بني أقرأ لك قرآن وأشوف مالك؟

رد جلال:

_انفضل يا حاج .

تحدث الشيخ:

=استأذنكم بس مش عايز حد غيري انا وهو .

ردت ليالي بقلق:

_ماشي يا حاج .

في لحظة انصهار بين الوقت، والمكان، خرجت ليالي محملة بأولادها، وكان أحمد يتبعهم بخطوات مهمومة، وبعد أن غادروا انصك الباب بعناية من قِبل أحمد، وقف الجميع خارج الباب يتربصون ما سيحدث، وفي الداخل، في غرفة يملأها الصمت، والترقب، أخذ الشيخ ينطق كلماته بسلام:
=جاهز؟

رد جلال بقلق:

_ربنا يستر .

بدأ الشيخ في قراءة القرآن، وفي لحظة من التأمل، تحولت حالة جلال، حيث انقلبت مشاعره، وانعكست بوضوح على وجهه، فاندلعت داخله نيران الالتهياج، حتى بلغت ذروتها ودوى بصوت عالٍ، وشديد، وكأنه يحاول بكل قوته التخلص من العذاب الذي يعترض طريقه، ثم رفع الشيخ يديه الاثنيتين لأعلى في حركة تماثل الرفع بالدعاء، ولكن جلال بكل قوة ألقاهما باتجاه الأرض، بما يظهر قوته الخارقة، كما لو كان يحاول إخراج شيء غير مرغوب من جسد جلال.
يتبع....

الفصل الثالث والعشرون

صرخت ليالي بعد أن سمعت صراخ جلال يعلو في الداخل، وفي لحظة من الهلع، قالت بصوتٍ متأثر:
_ يا نهاري، يا نهاري .

رد أحمد:

=متقلقيش هو هيعرف يتعامل .

وقف الشيخ على قدميه بثبات، محاطاً بسكينة تنبعث من كيانه، وأمسك بيد جلال، وهو يتلو آيات القرآن بتأنٍ، وخشوع، وبعد مرور نصف ساعة، انفصلت الأرواح وخرج الجان من جسد جلال، وتلاشى الهيجان من وجهه، وجلس هادئاً على السرير، في حين خرج الشيخ وهو يغمره الشعور بالإنجاز، وسعد بابتسامة تعبيرية على شفثيه، وهو يقول:

_ انا خرجت الجن من عليه، وبالمناسبة أبوكم موجود في مقابر... عايش جنب ثاني شجرة!

رد أحمد بصدمة:

=حضرتك متأكد؟

نطق الشيخ بثقة:

_ طبعاً... أما والدتكم فموالها طويل، خلينا بس نشوف حل ليكم الأول .

توجه أحمد، وجلال إلى المقابر، حيث وجدوا أنفسهم وسط هدوءها، يلتفتون حولهم بحثاً عن موقع المعلم حنفي المحدد لهم من قبل الشيخ. فتوقف أحمد وألقى نظرة تأملية حوله قبل أن يقول:

=هو قالك ثاني شجرة، ودي لسه أول شجرة هناك .

رد جلال بقلق:

_ ألا يطلع بيشتغلنا يا عم !

أجاب أحمد بثقة:

=لا لا هنلاقيه .

عندما اقتربوا من الشجرة، اكتشفوا المعلم حنفي موجوداً بالفعل، وهو يشبه المتسولين في لباسه البسيط، ولحيته الطويلة، وكانت بشرته تحمل آثار الصعوبات. فركض أبناءه نحوه بسرعة، فملأت الدهشة قلب جلال عند رؤيته، فقال بذهول:

_ أبويا؟ ايه اللي جابك هنا؟

كانت تعبيرات وجه المعلم حنفي تكشف عن غياب الوعي، والنسيان، فبينما يحاول أبناؤه التقرب منه بسرعة، اندهش جلال لرؤية المشهد، حيث كان المعلم حنفي لا يتذكر أي شيء من حوله وقتما قال:

=مين؟

رد أحمد بصدمة:

_ انت مش عارفنا؟

أجاب المعلم حنفي، وهو يتلفظ بكلمات غير مفهومة، بينما تتداخل الأصوات في جو من الغموض، حيث

يبدو أنه يعيش في عالم موازٍ .

=أني المعلم حنفي اللي مفيش منه اتنين .

مال جلال نحو والده، ونشب بيده قائلاً:

_يا با حصلك ايه؟ قوم معنا!

رد المعلم حنفي بوجه قالك:

=هوس يا ض الأ مراتي تطلع تشدني، أصلها بتطلع كل يوم بعد الساعة تسعة تشدني، وتنزل الأرض بيا .

نظر أحمد بساعة اليد، وقال بجلبة:

_الساعة تسعة إلا خمسة!

رد جلال بخوف:

=يا نهار منيل، شده يا ض بسرعة !

وحملوا المعلم حنفي بتعاون متبادل بينهم، حتى تمكنوا من دفعه داخل السيارة ووضعوه فيها، وعندما بادر أحمد بتشغيل محرك السيارة، انعكس تأثير ضوء المرأة على وجهه، فتجسدت صورة أم الديب، فاستغرب الجميع لتلك المفاجأة الغير متوقعة، وبينما كانوا يتأملون، أنهى جلال هذا المشهد الرهيب بصرخة تعبيرية تعكس دهشته الكبيرة، وهو يصدح:

_اطلع بسرعة!

بعد عودتهم إلى دارهم، تفانى الجميع في تنظيف المعلم حنفي، حيث قاموا بحلق لحيته المتشابكة، واستحمامه بدقة، حتى انحسرت كل آثار الأوساخ بفضل رذاذ الماء المنعش، ورغوة الصابون العطرة. ثم قدموا له ملابس جديدة بعناية فائقة، ليتألق فيها كأنه اليوم الأول في حياته. وعندما وضعوه في الغرفة ليستريح، غمره النعاس العميق، فانغمس في عالم الأحلام بلا وعي. أما في الصالة، جلس جلال، وأحمد، يتقاسمان الهدوء، والصمت العميق، وفي هذا الجو المميز، فتح أحمد فمه بتأمل، قائلاً:

=الشيخ هيجي بكرا يرقى بابا .

رد جلال بإرهاق:

_تعبنك معنا يا ض...بس انت أصيل طالعي .

ضحك أحمد، وقال:

=ولا تعب ولا حاجة، انت أخويا من دمي... لو انا مقفش جنبك مين يقف؟

رد جلال بابتسامة:

_أصيل يا ض .

وقف أحمد، وقال:

=هيجب بقى أكل علشان انتوا مكلتوش من بدري .

بالفعل، بادر أحمد بشراء بعض الوجبات السريعة لهم، وقدمها لهم بعناية، ثم عاد إلى منزله، وفي تلك اللحظة كانت جميلة تعيش تجربة صعبة من الوحدة، حيث كان زوجها مشغولاً بأمور عائلته في الخارج طوال الوقت، فكانت تكتم دموعها وتحمل الوحدة بصمت، محاولة تقديم الراحة لطفلتها رغم الظروف الصعبة. وحين دخل أحمد إلى المنزل، وجد جميلة قبالة وهي تحمل سيليا، فانفجرت بالحنق، معبرة عن استياءها العميق من تقصيره في الاهتمام بأسرتها، قائلة:

_كل ده برا؟ مش معقول .

رد أحمد بابتسامة:

=معلش يا حبيبتى الموضوع اتحل .

نطقت جميلة بموجدة:

_أوكي كفاية كده بليز !

رد أحمد بلطف:

=خلاص يا جميلة... سيلو عاملة ايه؟

أجابت جميلة بامتعاض:

_سيليا بتعيط من وقت ما نزلت .

رد أحمد بابتسامة:

=هاتها وادخلي حضري الأكل .

أعطت جميلة طفلتها لوالدها بينما كانت تتجه نحو المطبخ لإعداد الطعام، وفي ذلك الوقت، جلس أحمد برفقة سيليا، يحاول تهدئتها بحنان، بينما كانت الأفكار تتلاطم في رأسه، محاولاً تحمل الضغوطات التي تواجههم. وفي صباح اليوم التالي، استيقظ جلال من نومه ليجد والده يتدلى من حديد البلكونة، يسعى للانتحار. على الفور، هرع جلال نحوه بسرعة، وأمسك به بقوة قبل أن يسقط، وبينما كان يحاول استعادة توازنه، أعرب بقلق عميق قائلاً:

_يا ابا ايه اللي انت بتعمله ده؟

بعد أن نزل المعلم حنفي من علو السور، بدت على وجهه تعابير غريبة، وهو يتلفظ بكلمات مختلطة بين الواقع، والخيال، حيث قال بتخاريف مبعثرة:

=أم... أمك... أمك كانت عايزاني أنزلها !

اتجه جلال بوالده للداخل، ونطق بصداح:

_تنزلها فين؟ الله يهديك أقعد .

رد المعلم حنفي بتخاريف:

=أصل انا جامد أوي أنط من أي حطة .

تحدث جلال بتأن، ورعاية، وهو يحاول تهدئة، وتجليس والده بحذر، معبراً عن قلقه العميق:

_يا ابا الله يسترك أقعد !

جلس المعلم حنفي، وانتعش ببعض الهدوء، والثبات، حيث خاطب جلال أحمد عبر الاتصال، ولم يمر وقت طويل حتى وصل أحمد برفقة الشيخ، الذي يظهر عليه وجه الحكمة، وفي يده عصا خشبية ترسمت عليها آثار التجارب، كما لو أنها تحمل أسراراً قديمة لا تُفصى، وبينما كان الشيخ يقترب، تفوح منه نفحات من العزم، وعبارات الحكمة ترسم على شفثيه، ودون أن يلتفت إلى المعلم حنفي، ألقى الشيخ بجملة، وهو يتجلى بلغة الطلب:

=سبيوني مع الحاج .

دخل الشيخ برفق مع المعلم حنفي إلى الغرفة، وعندما أوصدوا الباب، زادت حدة التوتر في قلوب الحاضرين في الخارج، حيث تعالت التساؤلات حول ما قد يحدث داخل الغرفة. وفجأة، كانت الصمت المريب يسيطر على الجو، حتى وقع صوت ضربة مفاجئة، حيث استخدم الشيخ العصا الخشبية ليضرب بها المعلم حنفي، مما دفعه ليصيح بصرخة مفزعة تمزق الهدوء الذي كان يخيم في الجو، وفي هذا السياق، أبدت ليالي التي كانت تنتظر خارج الغرفة، ردة فعلٍ من الفزع، وقالت بصوتٍ مرتجف:

_ايه اللي بيحصل لأبوك؟

رد جلال بثبات:

=بيطلع العفريت من عليه .

تفوه أحمد باطمئنان:

_متقلقوش كلها نص ساعة، والموضوع يخلص .

وفي الداخل، كان الشيخ يستخدم العصا الخشبية لضرب المعلم حنفي بقوة، لكن ليس لتوجيه العنف، بل

لاستخراج الجن الشرير الذي يحتل جسده، وفي هذا السياق، ألقى الشيخ كلمات مليئة بالقوة الروحية

والتأثير، قائلاً بصياح:

=دخلت ازاي؟

رد المعلم حنفي بصوت غليظ، وهو يصدح:

_أم الديب السبب .

وطأ الشيخ المعلم حنفي مرة أخرى بشدة، وصدح صوت العصا بين جدران الغرفة، وفي تلك اللحظة

الحاسمة، ألقى الشيخ كلماته بصوت حاد ينطلق من بين أسنانه المضغوطة:

=أم الديب فين؟ انطق!

رد المعلم حنفي بصوت غليظ، وهو يعول:

_سابع أرض .

وطأ الشيخ مرة أخرى، وقال بصوت حاد:

=هترجعها ولا لا؟

أجاب المعلم حنفي بصوت غليظ، وهو يصرخ بشكل مؤلم، محاولاً التصدي لضربات الشيخ، حيث

انطلقت صيحته بكل جبروت، وهو يقول:

_أرجعها ليه؟

وطأه الشيخ مرة أخرى بقوة، وقال بنبرة حادة:

=يعني مش هترجعها؟

رد المعلم حنفي بصوت غليظ، وهو يصدح:

_هرجعها...هرجعها خلاص .

بعد نصف ساعة من الانغماس في قراءة القرآن الكريم، وترديد آيات الطرد، وإبطال السحر، بعد أن

وضع الشيخ جهده في تحقيق الشفاء، خرج الجان الشرير من جسد المعلم حنفي، كما لو كان يولد من

جديد، فانبعثت روحه بقاء، واستعادت جميع حواسه، وعافيته، وبلغت العواطف، خرج إلى أولاده الذين

كانوا ينتظرونه خارج الغرفة، وفتح لهم ذراعيه بوداعة، معبراً عن شدة اشتياقه لهم، ومحبتة العميقة،

قائلاً بصوت مليء بالحنين:

_ولادي حبايبي .

عائق جلال والده بقوة، وقال بقلق:

=انت كويس يابا؟

تحدث الشيخ:

_الحمد لله كده طلعهنا من عليه، باقي الست الوالدة، وموضوعها هيطول شوية .

تفوه أحمد بابتسامة، وهو يصافح الشيخ:

=متشكر ليك تعبكناك معنا .

رد الشيخ:

_ولا تعب ولا حاجة...بس الست الوالدة علشان نطلعها من كل أرض والتانية هنحتاج مجهود كبير !
تحدث جلال بدهشة:
=أمي نزلت لسابع أرض ازاي يا شيخنا؟
رد الشيخ باختصار:
_ لا دي حكاية طويلة يا بني...المهم أن الحاج رجع لحضنكم بالسلامة .
نطق جلال بإصرار:
=عايزين نطلع أمي يا شيخ!
ضحك الشيخ، وقال:
_ لا والدتكم علشان تطلع فدي مش سكتي، شوفوا حد غيري، انا كده عملت اللي عليا !
صاح جلال في الشيخ قائلاً:
=جرا ايه يا عم؟ هو ايه اللي عملت اللي عليك؟ ده انا جلال يعني مخي تعبان وأعملها معاك، أوديك
ورا الشمس!
صاح أحمد في جلال قائلاً:
_ اسكت يا جلال، ايه اللي بتعمله ده؟ بدل ماتشكر الشيخ أنه عالجك انت وبابا؟
رد جلال بانفعال:
=شوف بيقولك ايه يا ض!
تحدث أحمد بابتسامة ودية:
_ متشكر لحضرتك جداً...اتفضل معايا .
رد الشيخ:
=متشكر يا بني .
بينما خرج أحمد مع الشيخ من المنزل، ألقى جلال نظرةً بعمق تجاههما، وفي هذا الوقت الحاسم، قال:
_ احنا لازم نرجع للشيخ اللي عندنا في البلد يا بت يا ليالي وننفذ طلباته .
ردت ليالي:
=صح ياخويا وألا كده أمك مش هترجع .
تحدث جلال:
_ خليك انت هنا بابا، وخلي العيال معاك، وانا هرجع البلد مع ليالي .
رد المعلم حنفي:
=خذ بالك من نفسك يا ض .
رد جلال بثقة:
_ ابنك أسد بابا...بالإذن .
بعد خروج جلال مع زوجته، وترك المعلم حنفي ينتظر مع أحفاده في المنزل، انطلقوا في رحلتهم من
القاهرة إلى قرية أبو حلاوة، حيث تجلى جمال المناظر الطبيعية خلال المسافة الطويلة التي قطعوها،
وعندما وصلوا إلى وجهتهم في تمام الساعة العاشرة مساءً، استقبلهم الظلام الليلي بسحره الخاص. دون
أي تأخير، توجهوا مباشرة إلى الدجال سامح، الذي كان يترقب وصولهم بشوق، وبعبارة من الترحيب،
استقبلهم قائلاً:
=يا أهلاً، يا أهلاً... كنت عارف أنكم هترجعولي تاني، أصل اللي بيمشي من عندي مصيره يرجع،
وأديكم رجعتوا أهو .

رد جلال:

_ أمي يا شيخنا عايزين نرجعها .

نطق الدجال:

= هتفند طلباتي اللي طلبتها منك؟

رد جلال:

_ انا رقبتي سداة يا معلم .

تحدث الدجال بوجه داهي :

= هتطلع أبراج الضغط العالي ثلاث مرات، وتجييب نص كوياية دم منك، ومن مراتك... أما آخر طلب

تجيبي جثة من المقابر قبل ما فجر يطلع .

ردت ليالي بقلق:

_ بس ده كتير علينا يا شيخ !

أجاب الدجال بعيون حمراء تتبعث منها أشعة من الغموض، تعكس مدى سلطته الخفية، حيث أطلق

نظرة حادة تتسلل إلى أعماق الوجود:

=وده اللي عندي... يلا اتكلوا!

خرج جلال وهو يفكر بتفكير عميق، حيث كانت الأفكار تتلاطم في عقله مثل أمواج البحر، يحاول فيها

البحث عن الحلول، والمسارات المناسبة للمواقف التي يواجهها. أما ليالي، فكانت تعيش في حالة من

الخوف الشديد، فقالت بصوت يكاد يكون شاخصًا بالرهبة:

_ انا خايفة يا جلال، هنعمل ايه؟

نطق جلال بصوت حاد:

=انتي معاكي راجل يا بت ولا انا خرونج مش مالي عينك؟

ردت ليالي بتردد:

_ ياخويا مش القصد بس...

نفوه جلال بصوت حاد:

=بس ايه يا ليالي؟

ردت ليالي بقلق:

_ يفرض حصلنا حاجة؟

نطق جلال، وهو يمتلك تفهمًا عميقًا لمشاعر زوجته وحاجتها إلى التشجيع، وبينما يعطيها المصحف في

يدها، معبرًا عن ثقته الكاملة في قدرتها على تجاوز الصعوبات:

=امسكي المصحف في إيدك .

أخذت ليالي المصحف من جلال بين يديها بتوتر، وعبرت عن مشاعرها بصوت مهتز، معبرة عن القلق

الذي يعتريها، وقالت بصوت يتأجج بالخوف:

_ انا خايفة ياخويا!

رد جلال بقلب صلب:

=أدخلي يا بت في مقبرة هناك أهي، انزلي معايا .

ارتجفت ليالي قائلة برهبة:

_ خايفة .

رد جلال بسخط:

=أمال جيتي ليه يا ليالي؟

نزل جلال بداخل المقبرة، وعقبه ليالي، وهي ترتجف من شدة الذعر، فحمل جلال الجثة فوق ظهره بكل قوة، وخرج بها بتأنٍ، وعادوا للدجال مجددًا، حيث بقيت الهوامش الصامتة تنطوي على أسرار الماضي، والمستقبل. وفي تلك اللحظة الحاسمة، ألقى الدجال نظرة حادة تمزج بين العبقريّة، والشراسة، قائلاً بصوتٍ يهز الأرواح:

_ حلو الكلام...سيبوها وروحوا أبراج الضغط العالي وتعالوا .

رد جلال بسخرية:

=قصدك منجيش، ده انا هموت فيها .

تحدث الدجال بصوت حاد:

_ اتكل على الله...متوجعش راسنا!

تلفظت ليالي بصوت مرتجف، وهي تسحب زوجها من يده بقوة، محاولةً إخراجها من هذه الوضعية المرعبة:

=تعالى يا جلال .

بالفعل وصلوا إلى أبراج الضغط العالي، التي ترتفع بكل شموخ وسط الأراضي الزراعية الممتدة، وبينما كانوا يمرون بهذا المكان، كانت ذبذبات الكهرباء تخترق أذن جلال، وزوجته بشدتها المروعة، محدثةً فيهما شعورًا بالقلق العميق. وفجأة، نظر جلال فوّه إلى أبراج الضغط العالي، وانتابته رعشة شديدة، وانتفض جسده مرة واحدة على فجأة، وبصوتٍ مرتعش بالتردد، قال:

_ استرها علينا يارب .

نطقت ليالي:

=البس الشبشب البلاستيك ياخويا .

رد جلال:

_ هاتي يا بت البدلة البلاستيك بتاعت خالي .

بينما كانت الرعشة تسيطر على أعصابهم، أخرجت ليالي البدلة البلاستيكية بحركة مُتسارعة من الحقيبة، وسلمتها لجلال الذي ارتداها على وجه السرعة، مستعدًا للصعود فوق برج الكهرباء، وفيما يتسلح بالشجاعة للمهمة الخطيرة، فجأة انتفض جسده بقوة شديدة، مما تسبب في سقوطه قبل أن يتمكن من إكمال صعوده، وتفجرت منه صرخة مدوية، ترتعش بداخلها ألم السقوط. وفي تلك اللحظة المأساوية، جرت ليالي بخطوات سريعة نحوه، وهي تحمل وجهها المفزوع، وعبرت عن قلقها من الوضع الخطير الذي وقع فيه، قائلة بصوت مرتجف:

=جلال!

صرخ جلال قائلاً:

_ أوف، أوف... رجلي يا ليالي...الحقيني رجلي!

جلست ليالي بجوار جلال، وبينما تسودها حالة من القلق، بدأت في فحص قدميه بعناية شديدة، وهي تتأمل في كل تفصيل، معبرة عن رغبتها في التأكد من سلامته، وفي لحظة من الحذر، قالت بصوت مليء بالاهتمام:

=استنى يا جلال، وريني رجلك .

رد جلال بآلم:

_براحة يا ليالي...أه .
 قالت ليالي، وهي تفحص قدميه بعينين ملتفتين بالحنان:
 =رجلك انخدشت!
 رد جلال بألم:
 _حاسس أنها مكسورة يا بت يا ليالي .
 تلفظت ليالي بقلق:
 =ياخويا بعد الشر، رجلك زي الفل...اطلع انت .
 صعد جلال للمرة الثانية، وأتم المهمة المطلوبة بكل شجاعة، ثم هبط مجددًا إلى الأسفل، واستند على زوجته بينما كان يعاني من ارهاق شديد، حيث لم يكن قادرًا على الوقوف على قدميه، وصرح بصوتٍ مُنهك:
 _أه تعبت...منك الله ياما .
 ردت ليالي:
 =خلاص ياخويا فاضل مرتين، اطلع تاني .
 بينما يتنفس بصعوبة، رد جلال بإرهاق:
 _منك الله ياما مرططينا للي يسوا، واللي ميسواش .
 لكن أرادت ليالي التخلص من المهمة التي فرضها عليهم الدجال، حتى تعود إلى منزلها في أمان، وتنتهي هذه الكوابيس المرعبة، فبوحث برغبتها الصادقة، قائلة بكلماتٍ مليئة بالإصرار:
 =اطلع خلينا نخلص .
 صعد جلال، ونزل، ثم صعد مرة أخرى ونزل مجددًا، وبعد إتمام المهمة الشاقة، ألقى جسده على الأرض، مضطربًا، ومنتهدًا بصعوبة كبيرة، فلم تتردد ليالي في التوجه نحوه بسرعة، وبكل حنان، حاولت إيقاظه بكلماتٍ مليئة بالقلق، قائلة:
 _اصحى يا جلال...اصحى!
 رد جلال وهو ناعس:
 =سببيني أنام!
 أجابت ليالي بترقب:
 _قوم ألا الديابة تطلق علينا تفرتكنا!
 نطق جلال بتعب:
 =شديني يا ليالي!
 سحبت ليالي زوجها برفق، وأسندته بين ذراعيها برحابة، حتى عادوا للدجال بعد أداء المهمة الشاقة.
 وفي لحظة الوصول، وقف الدجال أمامهم بثبات، وتجلت في عينيه لمحة من الغموض، والسلطة، قائلاً:
 _كده تمام التمام...باقي نص كوباية الدم .
 رد جلال بإرهاق:
 =ماتشوقلنا حل تاني يا شيخنا .
 تحدث الدجال بصوت حاد:
 _ده اللي عندي، ومش هيتغير .
 ردت ليالي بإحباط:
 =هنتصرف ازاي يا جلال؟

وقف جلال، وقال بثقة:

_ انا عارف هنعمل ايه...تعالى ورايا .

عاد جلال، وزوجته إلى المنزل، وصعدوا معًا فوق السطح المهدئ، حيث امتزجت أصوات الرياح اللطيفة مع نغمات السكون. وهناك، قاموا بعملية ذبح الدجاجة، وأسكبوا دماءها في الكوب الفضي. وفي تلك اللحظة المميزة، نظرت ليالي إلى جلال بعينين تتلألأان بالتأمل، وقالت:

=الشيخ كده مش هيعرف يا جلال؟

رد جلال بثقة في النفس:

_ لا يا بت مش هيحس بأيهما حاجة .

في هذا الوقت الباكر، حيث كانت الساعة الرابعة فجرًا، وبعد أن وصل جلال، وزوجته إلى مقر الدجال، بدا الدجال وكأنه يسلط ضحكته الساخرة على سداجتهم، فانطلقت ضحكاته بسخرية واضحة، كأنه يشاهد مشهدًا كوميدياً لا يمكن تصديقه، حيث أطلق عباراته بصوتٍ ينطلق بشموخ:

=جايبيئلي دم فرخة فاكريني مش هعرف؟ يلا اتكلوا على الله متصدعوناش، ومتجوش تاني، انا خلاص هفقل وأنام !

رد جلال بصداح:

_ ماجرا ايه يا عمنا؟ ماتمشي الدنيا براحه!

تحدث الدجال:

=إذا كان انا عاوز منكم دمكم عشان أمك اللي كانت عايزه تسحر لمراتك !

رد جلال بصدمة:

_ أمي كانت عايزه تسحر لمراتي؟

ردت ليالي بصداح:

=حماتي كانت عايزه تسحرلي؟

نطق الدجال:

_ طبعًا، أمال انا طلبت منكم دمكم ليه؟

تلفظت ليالي باستياء:

=منك لله يا حماتي...انا غلطانة إني بساعدك .

وقف الدجال، وقال بحزم:

_ بكرة تجيبولي نص الكوباية .

انسحب جلال وزوجته، مغمضين عيونهما، وخرجوا بمشيئة القدر خارج غرفة الدجال دون أي إرادة، وأوصد الباب بقوة مفاجئة في وجههم، فلم يستطع جلال إلا أن يعبر عن حالة اليأس الساحقة التي ألمت به، حيث انكسرت كل آماله في لحظة واحدة، فقال بصوتٍ مكسور:

=هنعمل ايه دلوقتي يا ليالي؟

ردت ليالي:

_ استنى ياخويا لحد ميعاد البرواد بتاعتي .

تحدث جلال بتعجب:

=ايه البرواد دي يا ليالي؟

ردت ليالي:

_ ياخويا انت ايه دخلك في حاجات الستات؟
 بعد عودتهم إلى المعلم حنفي، في تمام الساعة السادسة صباحًا، جلسوا على الأريكة لينعموا بالراحة
 حيث نطق المعلم حنفي بعبارةٍ جاءت كالنسيم العليل:
 =ها عملتوا ايه ياوض؟
 رد جلال:
 _ ناقص مهمة واحده يا بابا .
 نطق المعلم حنفي، وهو يحتسي كوب الشاي:
 =طب أدخل انت ومراتك ارتاحوا، زمان رجليكم اتهلكت من كتر المشي .
 تأملت ليالي السكون، ونطقت بحنينها:
 _ تعالوا يا ولادي ندخل جوا .
 عبرت ليالي عتبة الغرفة، وجلبت معها أبناءها، إلا أن جلال، من شدة إرهاقه، وضع يديه الاثنتين خلف
 رأسه، فأدرك المعلم حنفي الوضع، وقال:
 =ما بقولك ياوض هو لازم ترجع أمك؟
 رد جلال:
 _ أمال يا بابا؟
 بالرغم من أن المعلم حنفي كان يخشى على وجه الخصوص رجوع أم الديب مرة أخرى، إذ كان يدرك
 تمامًا العواقب الوخيمة التي قد تنجم عن عودتها، إلا أنه في الوقت نفسه كان يشعر بالراحة، والطمأنينة،
 وذلك رغم تزايد وتيرة المشكلات التي كانت تحيط بهم، حيث جاء رد فعله بعبارةٍ واضحة، ومفهومة:
 =ياوض خليك ذكي، انت كده بتضرني، وانا بصراحة زهقت من أمك .
 فلا يبدو أن هناك حلًا آخر حيال جلال سوى بذل الجهد لجلب والدته مرة أخرى إلى حياتهم، رغم أنه
 يعلم تمامًا أنها امرأة ذات سلوك مؤذٍ، إلا أنها في النهاية تظل والدته التي وضعت في هذا العالم العسير،
 وهكذا قال:
 _ معلش بابا استحمل، هنرجعها وبعد كده اعمل اللي انت عايزوا .
 أثناء تحسس المعلم حنفي بيده بطنه، أجاب قائلاً:
 =اشطأ، ماتيجي نجيب لقمتين ياوض ألا الواحد على لحم بطنه من ساعتها .
 رد جلال بتعجب:
 _ أكل ايه بابا اللي الساعة ستة الصبح؟
 بينما يعاني المعلم حنفي من شدة جوعه، جاء رده وهو يتألم:
 =يااعم تعالى ندور على محلات فاتحة .
 رد جلال:
 _ اللي تشوفه يا حاج .
 نزل جلال، ووالده إلى درج المسكن، ووجدوا الليل يغمر أرجاء الكون بعتمته الساحرة، لم يمكن لجلال
 إلا أن يعبر عن دهشته بشكل عميق، فنطق بصوت مليء بالاستغراب:
 _ ازاي ده؟
 لكن لشدة جوع المعلم حنفي التي أعمت بقية حواسه، لم يلاحظ ما لاحظه جلال، فخرجت كلماته
 المندهشة بهذه الحالة الضائعة:
 =ايه ياوض ماتشاركنا؟

رد جلال وهو يصوب نظره على النافذة، معبرًا عن اهتمامه بالمشهد المُحيط:
_بص بابا هتلاقي الدنيا ليل .

تمعن المعلم حنفي بعمق، ولكن ما رأته عيناه دفعته للتعبير، قائلاً بدهشة:
=ازاي ياوض؟ ده الساعة لسه ستة، ده أني كنت واقف في البلكونة من شوية مستنيكم، والشمس كانت منورة!

رد جلال، وعقله يكاد يختل بسبب الدهشة، فصرخ قائلاً:
_مانا هتجنن!

بعدما وصلوا للشارع، وجدوا الرجل العملاق يتجول في الطريق الخالي من البشر، وهم يقفون بجانبه كمنلتين صغيرتين، وكانت كل خطوة يخطوها تثير ارتجاج الأرض، وتصدر دويًا مرعبًا يملأ الفضاء، كأنه زلزال يحدث. بينما ينتقل، انتاب المعلم حنفي الذعر، فصاح بصوت مرتفع، معبرًا عن حالة الهلع التي أصابته:

=أدخل ياوض البيت بسرعة!

عندما حاولوا الدخول إلى المنزل، وجدوا الباب مُغلقًا بإغلاقٍ متين، بالرغم من أنه كان مفتوحًا سابقًا، كنهج حياتهم، فواجهوا صدمة غير متوقعة. لم يتردد جلال في طرُق الباب بقوة، وصوته يهتف بالفزع، كمناذٍ يستنجد بالمساعدة في عتمة الليل:

_افتحولنا يا خلق يالي هنا...ايه العمارة اللي مفيهاش سكان دي؟ حد يفتحلنا بسرعة!
رد المعلم حنفي برهبة عارمة:

=هنعمل ايه ياوض؟ ده احنا هنيجي في الرجلين، انت مش شايف حجمه عامل ازاي؟
نطق جلال بقلق:

_استنى بابا .

في ظل عدم وجود أي حل يلوح في الأفق، استمر جلال في حديثه:
_بقولك ايه، تعالى ورايا !

بينما هرول جلال بين السيارات، وبلغت سرعته ذروتها، كان المعلم حنفي يكافح عجزه الذي أصابه بشدة، حتى وصلوا بين السيارات، يعتقدون بأن ظلام الليل سيحببهم عن الرجل العملاق، لكن الواقع كان مختلفًا تمامًا، إذ لاحظهم وتوجه نحوهم بخطوات ثابتة، ومرعبة، وهم يهربون بعيدًا في حالة من الهلع، واستمر المعلم حنفي في محاولته للجري وهو يتلقى كل نفس بصعوبة، حتى وصل إلى حد التوقف من شدة إرهاقه، وصاح بصوت متوتر يعكس حالة الفزع التي تسيطر عليهم.

=انجديني يا جلال...انجد أبوك!

عاد جلال بخطى متثاقلة إلى والده، وأمسك بيده بقوة تعكس حجم الفزع الذي يسكن قلبهما، ودخلوا مبنى واحد من العمارات الضخمة المتواجدة قبالهم، فخرجت عبارات جلال بصوت مرتجف:
_اطلع بسرعة بابا!

كان المنزل يعكس ظلالًا مظلم، حيث لم يخترقه شمعة ضئيلة، حتى وجدوا أمامهم باب شقة مفتوحة يغمرها الظلام. وفي داخل تلك الصالة، وجدوا عجوز وحيدة، جالسة على أريكتها القديمة، وهي تشاهد التلفاز ببهجة ملحوظة، وتضحك بصوتٍ عالٍ، ولكنهم لم يروا وجهها، فتقدم جلال بهدوء متناغم، وقال بصوتٍ خافت :

_لا مؤاخذه يا حاجة .

لم تلتفت السيدة العجوز إلى جلال، فقام بتكرار كلماته بلطف:

_يا حاجة الله يكرمك ردي .

بالثانية المتوالية، لازالت السيدة العجوز تحافظ على صمتها الرهيب، في حين عبارة المعلم حنفي تجاه السيدة العجوز تضي لمسة من الدهشة على الوضع وقتما نطق بحذر:
=هي مالها ياض واكله سد الحنك ولا ايه؟
رد جلال بصوت خافت:

_دي يابا كانت بتضحك من شوية، فجأه اتخرست لما انا اتكلمت .
وقفت السيدة العجوز، واتجهت نحوهم، فكانت ملامحها ممسوحة، و عنقها لا يظهر بشكل طبيعي، حيث كانت تسيل الدماء منه كأن شخصاً قام بذبحها، فقالت بصوت مريب قائلة:
=انتوا مين؟

دوى جلال، والمعلم حنفي، وخرجوا من الشقة، وصعدوا على السلالم بسرعة وهم يسارعون إلى الخروج، والسيدة العجوز التي لا تزال تتبعهم بخطوات متثاقلة، وجسد منهك، وفي الوقت نفسه، صاح جلال بسخط يعبس فيه كلمات حادة تتطاير مع صدى خطواتهم المتسارعة في الممر المظلم:
_ياما... اجري بسرعة!
رد المعلم حنفي برهبة:
=سترك يارب.

وقتما دخلوا إحدى الشقق، وأوصدوا الباب، وقفوا خلفه، فتردد صدى خطوات السيدة العجوز في الهواء، ولكن كانت أنفاس المعلم حنفي تتردد بوضوح، فأثار جلال مخاوفه من اكتشاف السيدة العجوز لوجودهم، لذا نطق بتوتر:

_وطي صوتك يابا، ألا الولية دي شكلها مسعورة وهتموتنا .
تذكر المعلم حنفي، في لحظة ترقب مشحونة بالتوتر، أن كل ما يعيشونه الآن نتيجة تصرفات أم الديب، فانطلق صوته بكمد متقاطع، كأنه ينفجر بالشكل الذي تنفجر به البراكين:
=منك لله يا بت الكلب، أمك هي السبب في كل اللي بيحصلنا، دي وش المصايب .
رد جلال:

_أمي ليها حساب معانا بس نلاقيها .
طرقت السيدة العجوز الباب بقوة، فدخل جلال، والمعلم حنفي إلى الغرفة بحذر، حيث فحصوا الدولاب بدقة حتى عثروا على حبل متين. فأخذ جلال وخرج للبلكونة، يربطه بإحكام تام، ويستعد للانزلاق عليه. وفي هذه اللحظة الحرجة، دخلت السيدة العجوز قبل أن يفلت المعلم حنفي، فقال جلال، وهو ينظر لأعلى بانتظار المعلم حنفي:

_انزل براحة يابا...انا واقفلك أهو !
انزل المعلم حنفي على الحبل بأعجوبة، كما لو كان يرقص على حدود بين الحياة، والموت، ولكن بينما هو يحاول الهرب من برائن الخطر، تمرغت أجزانه بداخله، فخرجت كلماته بين شهقات الألم:
=أه...يا عيني عليا .

وصل المعلم حنفي بسلام إلى الأسفل، والتفتوا ليهربوا ولكن واجهوا المفاجأة المرعبة، الرجل العملاق كان ينتظرهم، مما جعل جلال ينفجر في صرخة من الفرع، يتوجب عليه التعبير عما جرى:
_اجري!

جرى جلال بسرعة، وعقبه المعلم حنفي يعاني من ألم قدميه المتعبة، وفي لحظة من الإجهاد، نطق جلال بصوتٍ مليء بالإرهاق:

=أه يائي يا رجلي .

نشب الرجل العملاق بجلال بين يديه بقوة مذهلة، وهو يصرخ بكل ألم من جراء الخوف الذي يسيطر عليه، حيث بدت اللحظات كأنها تتوقف في زمن متجمد. وبينما يتراجع جلال في محاولة يائسة للهروب، قام الرجل العملاق بفصل رأسه عن جسده بحركة واحدة، كما لو أنه يقطع أسوأ كابوس في عقل جلال بحادثة مأساوية لا يمكن تصورها. وفي هذه اللحظة المروعة، استيقظ جلال فجأة بجانب زوجته، حيث كان يتنفس بصعوبة، ولكن عندما ألقى نظرة حوله وجد نفسه في أمان تام، ومع كل نفس يستعيد الحقيقة المريحة من وجوده في عالم اليقظة. وبينما تتسللت ذكريات الكابوس الرهيب إلى زوايا عقله، نطق بصوتٍ هامس مليء بالتساؤلات:

_ أه...ايه ده؟ ايه الحلم ده؟

استيقظت ليالي من نومها، وكانت الغرفة مليئة بالظلام الكامل، حيث لا يمكن رؤية أي شيء سوى أضواء النجوم المتلألئة خارج النافذة. وفي هدوء الليل العميق، تعانقت الأفكار في عقلها، ثم، بتعجب ملموس، انطلق صوتها في الهواء المتناغم مع نسيمات الليل:

=مالك يا جلال فيك ايه؟

رد جلال بإرهاق:

_ حلم وحش أوي يا بت يا ليالي .

نطقت ليالي باستياء:

=انت من ساعة مارجعنا من عند الشيخ، وانت بتقوم تصوت وترجع تنام تاني .

رد جلال وهو منهك:

_كوابيس يا بت .

تحدثت ليالي، وهي تتثاءب:

=طيب نام ياخويا علشان نلاقي حل في آخر شرط ده، عايزين نخلص بقى !

رد جلال باهتمام:

_أبويا فين؟

خرج جلال من الغرفة، وترك ليالي تكمل نومها العميق. وبمجرد خروجه، وجد والده جالسًا على الأريكة بجوار أحفاده، وهم يتابعون بانتباه شديد البرامج التلفزيونية، وبينما كانوا يستمتعون بتناول الحلوى، تسلل القلق إلى قلب جلال، فتحدث بصوتٍ يرتجف من الخوف:

=انت كويس بابا؟

رد المعلم حنفي:

_ انا حديدة ياض...بقي كل ده نوم؟ ده آني روحت جيبت لعيالك شوية حلويات، ألا كانوا شيطانين فيها .

تحدث حمود، وهو يلهتم الحلوى بسرور:

=أبوه بابا...جدي جابلنا حلويات .

اقتربت تقي من جلال، ورددت:

_بابا...بابا!

رد جلال بترقب:

=عايزه ايه يا تقى؟

نطقت تقى بهلع:

_ انا شوفت ستو ماشية على الحيطه .

رد جلال بقلق:

=ماشيه على الحيطه ازاي؟

أجابت تقى بخوف:

_ جات بالليل وكانت ماشية على الحيطه يا بابا، وقالتلي هاخذ أبوكي أوديه الملاهي !

رد جلال بصياح:

=يا نهار مهيب فوق دماغي .

ردت تقى ببراءة الأطفال:

_ ينفع تاخدني معاك الملاهي؟

حينما تمعن جلال إلى وجه والده، وأولاده، وجدهم بوجوه حمراء، توشحت بابتسامة مريية تعكس الصمت المرعب. وفي تلك اللحظة، استيقظ جلال للمرة الثانية، لكن هذه المرة لم يكن الأمر حلمًا، بل كانت الحقيقة المريرة تتجلى أمامه. فانطلق صوته بموجدة ملتبهه، كانت كلماته تحمل شحنة من الاستياء:

=لا كده لعب عيال...ماهو مش كل ما أنام وأصحي ألاقيني لسه جوا الحلم .

دخلت ليالي الغرفة بخطوات هادئة، وجلست بجانب زوجها الذي كان يلعب بعرق القلق، وبدأت تتفحص حرارته بعناية، وهي تعبر بصوتٍ ينبعث من الرحمة، والعناية:

_ مالك يا جلال فيك ايه؟

رد جلال بفزع، وهو يتوقع ما سيحدث:

=أيوه انا عارف اللي هيحصل بعد الجملة دي! هقولك أبويا فين، وهقوم أدور عليه، وفي الآخر أبويا وعيالي يطلعوا عفاريت .

تعجبت ليالي من حديث جلال، وقالت بدهشة:

_ انت بتقول ايه يا جلال؟ سلامتك، لو تعبان نوديك للداكتور .

دخل المعلم حنفي الغرفة بخطوات ثقيلة، وعلى وجهه عبوسٌ يعكس القلق، ثم نطق بصوتٍ متأنٍ:

=مالك يا بني جرالك ايه؟

وقف جلال، كأنه يحمل عبء العالم على كتفيه، وتجلت على وجهه علامات الاختناق الشديد، فخرجت كلماته من بين شفثيه:

_ تعبان يا، عايز أغير جو... ماتتصل بأحمد يجي يخرجنا إكمنه عارف الأماكن هنا أكثر منا .

رد المعلم حنفي:

=وماله ياض وأهو نتفصح كلنا .

خرج المعلم حنفي من الغرفة، ووجه كلماته بأسلوبٍ مختلف لأحفاده، وهو يحمل في عينيه بصيصًا من الأمل، فقال:

=يلا ادخلوا البسوا يا عيال .

بعدما قام بالاتصال بأحمد وطلب منه أن يأخذهم برفقته في رحلة إلى الملاهي، جاء أحمد فوراً وأخذهم معه، حيث توجهوا سويًا إلى أماكن التسلية، والمرح. وكانت لحظات السعادة تغمر جلال، وأطفاله، الذين كانوا يعيشون هذه اللحظات بكل حماس، فهم كانوا يرون الألعاب والملاهي الرائعة لأول مرة في حياتهم، وليس كما كانوا يروها فقط في البرامج التلفزيونية. وفي هذا الجو المليء بالبهجة، قال المعلم حنفي بنفاؤل:

=يلا ياض هتركب ايه؟

رد جلال:

_ اركبوا انتوا... انا مش راكب حاجة .

تحدث المعلم حنفي بتعجب:

=ازاي ياض؟ لازم تغير جو!

ردت ليالي:

_ انا هاخذ عيالي، وهتركب اللعبة اللي هناك دي .

وأشارت بيدها نحو الملاهي، فعبّر جلال عن فرحته بابتسامةٍ تعبق بالحب:

=خدي بالك منهم يا بت !

ردت ليالي بفرحة:

_ متخافش ياخويا... يلا يا عيال .

رد المعلم حنفي، وهو يشير بيده على اللعبة بلهفة:

=طيب أني وأحمد هنركب اللعبة الثانية دي، أني مش هضيع دقيقة في الخروجة

غادر المعلم حنفي بجانب أحمد، وبينما كانا يستمتعان بالألعاب، والأجواء المليئة بالحيوية، وقف جلال على بُعد خطوات قليلة، يراقب الألعاب بعينين ملتفتين بالشوق. وفجأة، كانت هناك ثلاث سيدات يمرن بجواره، تراكات خلفهن أثرًا من الغموض، والتساؤل، وفيما كانت أم الديب تتقدم بخطى ثابتة، اقترب جلال منها بخطواتٍ ثقيلة، وهو يشعر بالدهشة، والاستغراب الشديدين. ثم أمسك بها بين ذراعيه بقبضةٍ مفزعة، وخرجت كلماته من بين أسنانه المضغوطة:

_ انتي كنتي فين كل ده ياما؟

ردت السيدة بتعجب:

=انت مين؟

تمعن جلال بتركيز واضح في السيدة، ليكتشف أنها ليست أم الديب بل سيدة أخرى، وفي هذه اللحظة الحرجة، شعر بالإحراج المتزايد يسيطر عليه، فأدرك أنه ارتكب خطأ، فأبدى اعتذاره بأسلوبٍ خجول، فقال:

_ أسف يا حاجة، أصلك شبه أمي .

نظرت السيدة لجلال بانزعاج، واشمئزاز واضحين، ثم غادرت هي ومن كانت معها بسرعة. فجلس

جلال فوق الرصيف، حيث وضع يده بحزن على رأسه، وأطلق كلماته بصوتٍ هامسٍ مليء بالأسى:

_ مش عارف ايه اللي بيحصل، انا مكنتش كده .

فجأة، فقد جلال وعيه، ومال على الأرض حتى سقط، مستسلمًا لثقل الضغط النفسي الذي عانى منه. ولم

يمض وقت طويل حتى اجتمعت حشود الناس حوله، معبرين عن قلقهم، حيث قاموا بنقله بسرعة إلى

مستشفى قريبه. وبعد أن أجرى الطبيب الفحوصات، والكشوفات الطبية اللازمة، أطلق الطبيب تقريره بتوصيفٍ مفصل، ومحدّد:

=عندك أنيميا حادة...هنضطر نعلقلك محاليل مدة لحد ماتخف .

نطقت ليالي بنواح:

_جرالك ايه يا جلال؟ ايه حصلك!

تحدث المعلم حنفي بذهول:

=هو انت يا ض جراك ايه، ماننت كنتت كويس!

تلفظ أحمد:

_جلال لازم يتعرض على دكتور نفسي .

ردت ليالي بإعوال:

=والنبي ياخويا سيبك مننا، انت كل شوية طالع بفكرة جديدة، وياريتها بتجيب نتيجة!

في أحضان منزلٍ مزدانٍ بجماله، تعاني جميلة فاحشة الجاذبية من غياب اهتمام زوجها بها، وابنتها،

فتجلس بتأنٍ على طيات الأريكة، تشارك همومها مع أخت زوجها هايدي، تنطلق من صدرها كلمات

الحزن، تشكو لها تجاهل زوجها الذي أخفى ألمها ولم يكن حاضرًا لدعمها حيث نطقت:

_مش معقول أخوكي كل يوم خارج، وساييني انا وسيليا لواحدنا!

ردت هايدي:

=يا بنتي مانا قاعده معاكم أهو! وبعدين انتي مش عايزه أحمد يساعد جلال وماما ليه؟

ردت جميلة بامتعاض:

_مش كده أوكي؟ الفكرة إني مش بحب أقعد لواحدي وسيليا تعبانني جدًا، وقولتله مليون مرة نجيب بيبي

سيتر وهو مش عايز!

تلفظت هايدي بدهشة:

=ولازمتها ايه البيبي سيتر مادام مامتها عايشة؟

متحرميش بنتك من حضنك!

عندما وطأت قدما أحمد عتبة الشقة، وانتشل الباب، اندمج في دائرة الحديث مع جميلة، وهايدي، فأطلقت

جميلة كلماتها بصوتٍ منخفضٍ إلى هايدي، كلماتٍ تحمل في طياتها ذراتٍ من الموجودة:

_أهو أحمد جه...لو مسمعش كلامي انا هقول لمامي وتشوف حل معاه .

قال أحمد بابتسامة:

=ايه متجمعين في الخير!

في أروقة المستشفى الباردة، يتواجد حمود، وتقى وسط جوٍ من التوتر، حيث يتشبثون بتناول قطع

الحلوى مجددًا، كل واحد منهم يختنق بالمشاعر الطفولية المتضاربة. وفي لحظة من التأمل العميق،

ينطلق صوت حمود بكلماته:

_أما...أما .

ردت ليالي:

=عاوز ايه؟

نطق حمود:

_ عاوز بسكوت!

ردت تقي:

=وانا كمان يا ماما!

أجابت ليالي:

_ حاضر تعالوا ننزل .

تحدث المعلم حنفي:

=خديني معاكي يا ليالي، عاوز أجيب علبة سجائر .

ردت ليالي:

_ تعالى يا حمايا .

في لحظات هادئة مليئة بالغموض، خرجت ليالي بأبنائها من أحضان الغرفة، ورافقهم المعلم حنفي، وتركوا جلال وحيداً في غرفته المظلمة. وفي لحظة غير متوقعة، طفرت أم الديب كالظل الساكن فجأة أمامه، فاندفعت صرخة جلال من بين شفثيه كالنبض المفاجئ في لحظات الفزع، وهو يقول:

=مين؟

ضحكت أم الديب، وقالت:

_ نسيت أمك يا ولا؟

فرك جلال عينيه بيديه المرتعشتين، وبتعبير من الدهشة العارمة على وجهه، أطلق حروفه بصوتٍ متوهج يعبق بالتساؤلات:

=انتي جيتي ازاي؟

ردت أم الديب:

_ آني في الحظيرة، هات مراتك وتعالى!

في لحظة أخرى، اخنفت كما ظهرت، فاهتز جسد جلال بفزع، وعبر بصوت مرتعش:

=سلام قولاً من رب رحيم... أعوذ بالله من الشيطان الرجيم... ده كان حقيقي ولا انا بيتهيئلي؟

اقتلع جلال الكانيولا من يده بحركةٍ عجزت أن تخفي خيوط الهلع التي تتدلى من عقله، وقف على قدميه برغم ضعفه وهو ما زال يتلاشى تحت وطأة الرعب المسيطر عليه، ويحاول أن يفهم ما حدث من حوله بعيونٍ مرتجفة، وقلبٍ ينبض بشكوك لا تنتهي. وظل على هذا الحال، وسط هذا الصراع الداخلي، حتى عادت ليالي، وأبناؤها، والمعلم حنفي، فاقتربت منه بسرعة متسائلة عن سبب وقوفه الذي يتنافى مع حالته الصحية المتدهورة، وفي تعبيرٍ عن دهشتها من قدرته على الوقوف رغم التعب الشديد، انزلقت من شفثيتها كلماتها المحملة بالتعجب:

_ ايه اللي قومك من على سريرك يا جلال؟

رد المعلم حنفي بدهشة:

=قومت ليه ياض؟

أجاب جلال بتلعثم:

_ أمي مستنياني انا وليالي في الحظيرة .

رد المعلم حنفي:

=هاجي معاكم، مش هسيبكم!

توجه جلال، وزوجته، وأبناؤه إلى الحظيرة برفقة المعلم حنفي، فاستمسك الجد بأحفاده برفق، وفي لحظة من التلاحم العائلي، خرجت كلماته من بين شفثيه، تحمل في طياتها دفء الأبوة:
_ انا هستناكم برا انا والعيال... ادخل انت ومراتك .

بينما خطى جلال، وزوجته عتبة الحظيرة، والمعلم حنفي ينتظرهم بفارغ الصبر في الهواء النقي، قد كان محاطاً بحفدته الصغار، وكانت ليالي تتفحص الجو المحيط بهما بترقب، تتمايل نظراتها في جميع الاتجاهات بحثاً عن أم الديب، فأطلقت الكلمات من شفثيها، تعبر عن رهبتها:

=هي أمك فين؟

رد جلال بتمعن:

_ استني!

فجأة، كما لو أنها خرجت من بعيد، ظهرت أم الديب أمامهم، وعلى وجهها ابتسامة ينبعث منها السرور، فأطلقت كلماتها، تحمل في طياتها روح الترحيب:

=انتوا جيتوا يا ولا؟

رد جلال بصدمة:

_ انتي جيتي ازاي ياما؟ انتي كويسة؟

نطقت أم الديب بابتسامة:

=ايهي كويسة وزى الفل يا ولا... ازيك، وازي مراتك، وأخواتك، وأبوك المنيل؟

رد جلال بصدمة:

_ انتي ازاي هنا ياما؟

نطقت ليالي بذهول:

=انتي مش تحت الأرض يا حماتي؟

ردت أم الديب:

_ لو عايزني أطلع يبقى تسمعوا الكلمتين اللي هقولهم دول!

تحدث جلال وهو ينصت لها جيداً:

=قولي ياما .

ردت أم الديب :

_ تدبح بقرة يا ولا، وتوزعها على البلد كلها من كبيرها لعيلها .

بالحقيقة، وفي ظل ضيق الحال المالي الذي يواجهه جلال، تلقى طلب أم الديب العسير، فخطت كلماته بتردد، وحيرة، تعبيراً عن صعوبة القرار الذي يتعين عليه اتخاذه في هذه اللحظة المحنية:

=بس ياما احنا ممعناش فلوس .

تحدثت أم الديب، وهي تطوف حولهم:

_ اتصرفوا، وبعد ماتوزعها هتجيب مائة بملح، وترشها احداش مرة قدام البيت، وتعد من واحد لمية

انت وأهل البلد، وهتلاقيني .

رد جلال بتردد:

=بس ي... .

قبل أن يستطيع جلال مواصلة بقية حديثه، اختفت أم الديب فجأة كما لو أنها ذابت في الهواء، مما جعل ليالي تلقي نظرة على جلال بدهشة، وعبرت عن ذلك بصوت يتردد فيه التساؤل:

_ اللي احنا شوفناه ده بجد؟

رد جلال:

=أيوه يا ليالي...يلا بينا

عندما خرجوا من الحظيرة واتجهوا إلى الهواء الطلق، نطق المعلم حنفي بصوتٍ مليء بالتأمل:

_ ها عملتوا ايه يا ض انت ومراتك؟

رد جلال:

_ أمي ظهرت، وطلبت مننا شوية طلبات، هندبح بقرة بابا ونوزعها .

تلفظ المعلم حنفي بحيرة:

=ومين هيدفع حقها؟

رد جلال:

_ نتصرف بقي .

بعد عودتهم إلى المنزل، وبعدما تم تجميع الأموال وشراء البقرة من سوق القرية، انطلقوا في عملية

الذبح وتقسيم لحمها بين أفراد قرية أبو حلاوة. وعندما انتهوا من توزيع اللحم الطازج، وأثناء ما كان

جلال يُضيف الملح إلى الماء ويمزجه بهدوء، في تلك اللحظة الصامتة، تراقبه العيون بفضول، في

انتظار حكمة مفاجئة قد تنطلي عليهم من خلال كلماته الواعية:

_ أمي قالتلي ارش الماية بملح احداشر مرة .

أمسكت ليالي بالإناء، وقالت:

=هات أساعدك ياخويا .

فيما كانت ليالي ترش المياه بالملح بالعدد المطلوب، توافد أهل القرية بأكملها لمشاهدة ظهور أم الديب

المنتظر بحماس. وفي لحظة ترقب، ألقى جلال بتلك الكلمات العميقة:

_ جاهزين؟ هنعذ من واحد لمية .

كانت بداية العد التصاعدي من قبل أهالي البلدة، ومع كل نقرة على عقارب الساعة ارتفع الترقب حتى

وصلوا إلى الرقم المائة، حيث صوب الجميع نظراتهم بتمعن شديد استعدادًا لظهور أم الديب. ولكن بدلاً

من أن تخرج أم الديب، ظهر الكلب الأسود من أروقة الحظيرة، وبدأ يطارد أهل البلدة بسرعة مخيفة،

فصرخ جلال بصوت مليء بالفزع:

_ اجروا يا ناس!

صرخت ليالي قائلة:

=يالهوري .

تسلق جلال، وليالي فوق الشجرة، حيث استمرت ليالي في الصداح بينما اندفع أهل البلدة في هروب

مثير قبل أن يلحق بهم الأذى. وفي لحظة الصمت الملحوظ، قال جلال بصوت مليء بالذعر:

_ اثبتي يا ليالي !

وجدت ليالي نفسها تجلس على طرف الشجرة، في حين كان جلال يجلس على بقيتها بمفرده. وفي هذه

اللحظة المتوتره، نطقت:

=وسع ياخويا شوية .

بينما دخل جلال، أراح مساحة ليستقبل ليالي، التي دخلت بعده. وملؤها الخوف، نطقت:

=هنعمل ايه؟ أمك دي بتشتغلنا وشكلها، مش هتظهر في سنتها .

رد جلال:

_خلي الكلب ده يهرب الأول، وبعدين نشوف

حينما كانوا جالسين تحت الشجرة، حضر الكلب بخطى ثابتة، يريد الإمساك بجلال، وليالي. ولم يمهلها طويلاً حتى أصدر نباحه القوي، كأنه يعلن عن نهاية السلام، وبداية الفوضى. وفي لحظة من التوتر المشدود، قفز الكلب بقوة، ونال بها قطعة من لحم ليالي، محدثاً جرحاً في ذراعها، حيث اندلعت الدماء بغزارة. ومن شدة الألم، فقدت ليالي توازنها وسقطت من أعلى الشجرة، صادحة بأعلى صوتها، حتى قفز جلال من فوق الشجرة بسرعة، وأمسك بها بقوة، محاولاً تهدئتها بكلمات مليئة بالرعاية:
=ليالي...مالك؟

ردت ليالي بإعوال:

_دراعي يا جلال...الحقني بينزل دم .

حملها جلال على ذراعيه، وقال بحنان:

=هاخذك على المستشفى متخافيش !

وضع جلال ليالي في السيارة، واتجه بها بسرعة نحو المستشفى، حيث لم يتأخر في توجيه الطبيب إلى ما حدث لها. وعند وصولهم، حكى للطبيب تفاصيل الحادث، محاولاً تهدئة قلقه. وفوراً، أبلغ عائلة ليالي بالوضع، فجاءوا مسرعين قلقاً على ابنتهم الغالية. وبينما اقترب الطبيب بخبرته الطبية من ليالي، وبدأ في فحص الجرح بدقة، وتنظيفه بعناية فائقة، ولما كانت حالتها تستدعي الرعاية الفورية، قال بصوت مليء باليأس:

_احنا هناخد كل يوم ثلاث حقن لمدة سبع أيام، وإلا هيجيلها سعار وهتموت .

تحدث تباهي بفرع:

=بعد الشر على بتي، يارب اللي يكرهها!

رد عم سلامة باستياء:

_يا عيني عليك يا بتي .

بعد مرور أسبوع من أخذ اللقاحات والأدوية المضادة، ورغم تحسن الحالة بشكل ملحوظ في يد ليالي، إلا أن التحسن لم يكن كاملاً بعد. وفي هذا السياق، ومن كمد جلال العارم، والمنتامي بسبب ما فعلته أم الديب بهم، قرر الوقوف في منتصف الغرفة، حيث هزت أجواء الاستياء كل زواياها، وانطلقت صيحاته بكل قوة وهو يعبر عن ضيقه المتراكم:

=انا تعبت...تعبت يا ناس!

ردت ليالي بسخط:

_كله من وش المصايب أمك .

نطق جلال بضيق:

=خلاص بقى يا ليالي !

خرج جلال من الغرفة، ووقف أمام التلفاز في محاولة لتهدئة أعصابه المشتعلة، وفي هذه اللحظة من الاسترخاء المؤقت، لم يكن يتوقع أن يتابع إعلاناً تتحدث فيه سيدة مغربية عن السحر. وفيما كانت تروي تجربتها وخبرتها في مجال السحر، وجد نفسه يستمع بتمعن، حيث كانت تقول:
_حنا كنديرو كل أنواع السحر اللي تحتاجها .

خرجت ليالي عقبه، وهي تتابع الاعلان، فقالت:

=مانكلهم يا جلال، ونشوف حل!

رد جلال:

_كلميهم انتي يا بت .

بعدما نشبت ليالي بهاتفها النقال، بدأت تكتب الرقم الموجود على الشاشة بأصابع مرتجفة من التوتر، ثم قامت بالاتصال، وعندما رد المتصل، نطقت بصوت متأجج:

=ألو...السلام عليكم .

ردت المغربية:

_رح نوجهك مصرية تكلمك .

تفوهت ليالي بجهل:

=والنبي مانا فاهمة حاجة من كلامك ده .

ردت المغربية:

_لا بأس عليكى .

أجابت ليالي باستفهام:

=ياختي بتتكلمي مصري؟

ردت المغربية:

_نحن يقلب عن مشكلك .

تحدثت ليالي بفضول:

=ياختي مكانكم فين في مصر؟

ردت المساعدة المصرية:

_أهلاً بيكي .

ردت ليالي بدهشة:

=مانتي بتتكلمي زينا أهو ياختي، قوليلي بقى مكانكم فين في مصر؟

أجابت المساعدة المصرية:

_احنا موجودين دائماً في...

حيث دلتها على العنوان بكل دقة، ووضوح، ولم يتردد جلال، وليالي في الاستجابة الفورية، حيث توجهوا إليه بسرعة لمقابلتها. وبعد أن جلسوا بمكتبها، ألقى جلال نظرة عبرية على الجدول المنظم على مكتبها، ثم قال بصوت ينبض بالحزم:

=بصي يا ست انتي...أمي مخفية وعايزين نرجعها .

ردت المساعدة المصرية:

_أوكي هنرجع والدتك، لأننا نعمل في ذلك الموضوع منذ العديد من السنوات .

نطقت ليالي:

=رجعها الله يسترك .

تلفظت المساعدة المصرية بابتسامة دافئة وهي تمد يدها لجلال، وليالي، تعبيراً عن استعدادها لتقديم المساعدة بمقابل مادي:

_ أعطوني النقود .
رد جلال بتفكير:
=كام؟
يتبع....

الفصل الرابع والعشرون

ردت المساعدة المصرية:

_ ألف دولار .

نطق جلال بانفعال:

= وانا أجيبهم منين يا ست؟

ردت ليالي بخوف:

_ اسكت يا جلال خلينا نتصرف!

تلفظت المساعدة المصرية بلا مبالاة:

= العصبية تسبب الكثير من المشاكل .

رد جلال بوعيد:

_ عصبية ايه؟ لا بقولك ايه ده انا جلال وأعملها معاك!

في هذه اللحظة، غارت ليالي بكل حدة، وخرجت كلماتها بصوت حاد، كانت كالصاعقة تهز الأرض،

تعبر عن استيائها بوضوح:

= هي ايه دي اللي هتعملها معاها يا جلال؟

رد جلال برهبة:

_ مقصدش يا بت، اللي أقصده هتعبط يعني !

تفوهت ليالي بانزعاج:

= لازم نتصرف .

رد جلال بثقة:

_ انا عارف هنعمل ايه !

ذهبا جلال، وزوجته إلى خاله العزيز ضايح، بحثًا عن المساعدة لإكمال المبلغ المطلوب، واستقبلهما

ضايح في مقابلة مؤثرة في مكانه السري. وعندما اجتمعا به، عانق جلال خاله ضايح بشوق، واشتياق

شديدين، فقال ضايح بصوت ينبع من قلب مليء بالألفة:

= ايه يا معلم فينك كل ده؟ بقى يا ض تحرمني منك كل الفترة دي؟

رد جلال بابتسامة:

_ معلش يا خالي ظروف عندنا .

رد ضايح بملامح صارمة، وصوت حاد، يعكسان عمق الاضطراب الذي يختلج داخله، بينما يتحدث

بوضوح:

= ظروف ايه يا ض حد دايفك؟

رد جلال بابتسامة:

_ لا لا يا خالي ده انا تربيتك، هو حد يقدر يعمل حاجه برضة؟ ده انا أشقه نصين .

جلس الجميع في الغرفة، وسط هدوء متوتر، باستثناء ضايح الذي بدا مشغولًا بأفكاره. ثم فجأة، أطلق

ضايح صوته ببهجة ملؤها الغموض، وقال:

=تربيتي يا جلال يا حبيب خالك، قولي تشرب ايه؟ عندي شامبانيا، وويسكي، وفودكا بس حاجة إنما ايه جايه من برا يا ض! تحدثت ليالي بإحراج:

_خلينا نخلص اللي جايين عشاناه يا خال .
جلس ضايع، وقال بنبرة وضعية:

=أه طب بلاش، أصل عارف النسوان مابتحبش جو السكر...تشربي ايه يا حلوة أفلك صباغ حشيش؟ ده هيعملك دماغ عنب .
صاح جلال في خاله قائلاً:

_جرا ايه يا خالي؟ انت نسيت إن دي ليالي مراتي؟
ضحك ضايع قائل:

=ياض بهزر معاكم .
تحدث جلال بوضوح:

_بص يا خالي بصراحة احنا جايين وعشمتنا فيك كبير .
نطق ضايع، وهو يضرب يده على عنقه بقوة، معبراً عن الود المكشوف:

=أو مرني رقبتني سداة .
رد جلال بإحراج:

_عايز ألف دولار يا خالي .
تحدث ضايع، وهو يشعر بالحرج من جلال، حيث بدت ملامحه مترددة، ومحرجة:

=كان على عيني يابن أختي...بس تتعوض يا ض، ده انا جايلي سفرية في الصحرا هناك منها لوز اللوز .
رد جلال بتعجب:

_سفرية ايه دي؟
تحدث ضايع، وهو يقهقه:

=فاكر الرقاصة اللي جاتلك آخر مرة في الشقة؟
لظمت ليالي وجهها بموجدة، وصرخت بصوت عالٍ مليئاً بالانزعاج، ثم وقفت، وصدحت في جلال قائلة:

_يا مصيبتني السوداء، رقاصة ايه يا جلال اللي جاتلك في الشقة؟
رد جلال بفرح:

=يا بت انتي تصدقي عني كده؟
لظمت ليالي وجهها بكف يدها، ودوت بصوت مرتفع قائلة:

_يا خرابي...كنت حاسه أنك خاين يا جلال!
صاح جلال في خاله، وقال باهتياج:

=جرا ايه يا خالي انت هتولع الدنيا؟ رقاصة ايه اللي جاتلي دي؟
تذكر ضايع الحقيقة، وأراد إصلاح ما أفسده، فقال:

_يقطعني، ده انا كنت باعتها لخالك أبو محمد، معلش أصل عقلي مشوش اليومين دول وبنسى كثير من كتر الحشيش اللي بشربه!

صرخت ليالي قائلة:

=خيبيكم انتوا الإثنين مش نافعين غير في البلطجة، والقرف اللي بتشربوه !
خرجت ليالي إلى الشارع، فلم يتردد جلال في مغادرة المبنى على الفور، حيث خرج خلفها بسرعة هائلة، وبينما كان يسرع خطواته ليلحق بها، انطلق في قوله بكلمات مليئة بالقلق:

_وربنا ماشربت حاجة يا ليالي...استني بس!

عندما أمسك جلال بيد زوجته، خرجت ليالي بصراخ مفزع:

=ابعد عن طريقي يا جلال...خالك فضحك، وجاب قرارك خلاص !

رد جلال:

_متاخذيش على كلام خالي ضايع، مانتي عارفه أنه اسم على مسمي !

نطقت ليالي بانزعاج، وهي تضع يدها في خصرها:

=وهتجيب الفلوس منين يا منيل؟

رد جلال، وهو يفكر بتمعن:

_نبيع حمار أمي يا بت .

تحدثت ليالي بسخرية:

=وهو حمار أمك هيجيبلك الألف دولار ياخويا؟

رد جلال بتفكير:

_أه صح مش هيجيب...خلاص انا عندي فكرة، احنا يا بت هنفتح مشروع نكسب منه ذهب .

بينما كان المعلم حنفي مسترخياً أمام التلفاز، وحفدته يتسامرون حوله بألعابهم، اندفعت إليه نداءات تلفت انتباهه. فألقى نظرة سريعة حوله، وعندها اتضح له أن الصوت الذي يناديه يأتي من داخل الغرف:
=يا حنفي .

وقتما كان المعلم حنفي يمسك بجلادة التحكم، ويخفض صوت التلفاز، لفت نظره صوت غير متوقع

يناديه. فوجّه نظره بتعجب، متسائلاً عن مصدر الصوت الغامض الذي يستدعيه:

=ايه الصوت ده؟

نظر المعلم حنفي حوله، فلم يجد شيء فقال:

_يمكن بيتهيئلي .

في لحظة من الفضول، أمسك المعلم حنفي بالحاكوم، ورفع من مستوى صوت التلفاز، مما جعل النداء

المجهول يصبح واضحاً مجدداً، ويتحدث معه:

=هاخدك يا حنفي، ومحدش هيعرف مكانك .

وقف المعلم حنفي مكانه، وصاح قائلاً:

_لا بقولك ايه يا بت الكلب متلاعبينيش وتخوفيني، أني عارف صوتك ده كويس!

تحدث الصوت مجدداً:

=هتموت يا حنفي !

بينما كان المعلم حنفي يرفع السبابة، جلجل قائلاً:

_لا مش هموت أني هعيش...ده انا لسه بشبابي، محدش يجي ناحيتي يا ولاد الكلب!

عندما سمع حمود جده يتحدث مع نفسه، اندفعت نبرة الضحك منه، وهو يتأمل في المشهد الطريف

أمامه، فرد بابتسامة مرحة:

=بتكلم مين يا جدي؟

رد المعلم حنفي بتردد:

_ها؟ لا لا.. ده... ده انا افكرت حاجة!

ضحكت تقى، وقالت بسخرية:

=جدي حنفي اتعبط .

في حين استمرت تقى، وأخيها في تكرار نفس الكلمة مرارًا، وتكرارًا، بدأ المعلم حنفي يشعر بالضجر فوضع يديه على أذنيه في محاولة يائسة للتخفيف من الضوضاء المتكررة، وفجأة صاح بصوت عالٍ مليئًا بالإنزعاج، يطالبهم بوقف التكرار المتواصل:

_بس...بس!

ردد حمود وتقى في آن واحد:

=جدي حنفي اتعبط .

عند عبور جلال، وزوجته من باب المنزل، لاحظ الغرابية في المشهد أمامه، فعبر عن دهشته قائلاً:

_ايه يابا مالك...بتكلم نفسك ولا ايه؟

أجاب المعلم حنفي بصداح:

=لا ياوض...انا راجل عاقل وأعجبك .

رد جلال بسخرية:

_ماهو باين .

جلس المعلم حنفي على الأريكة، وقال بفضول عارم:

=عملت ايه ياوض انت ومراتك؟

بينما كان جلال، وزوجته يجلسان على الأريكة، متبادلين الحديث حول ما حدث معهم، لاحظ جلال فجأة، وبدهشة ذيلًا أسود يتدلى من خلف باب الغرفة المجاورة، مما أثار لحظات من الصمت المشوق، وفي هذه الأثناء، لاحظ المعلم حنفي تركيزه المتجه نحو الغرفة بتربق شديد، فبادر إلى التعليق:

=سكت ليه؟ ماتكمل ياوض!

رد جلال بتركيز، وهو يشير بأصبعه على الغرفة:

_بص .

نظر الجميع باندهاش إلى الاتجاه الذي شاهده جلال، حتى وصلوا إلى درجة الاكتظاظ بالتركيز، وبمدى الغموض الذي ساد المكان، كانت الصورة مثيرة للدهشة بحيث توقفوا جميعًا عن أداء ما كانوا يفعلونه، وفي هذا الوقت الحرج، التقت ليالي أولادها إليها، واحتضنتهم بحنان، وفي هذه اللحظات انفجرت في البكاء معبرة عن خوفها:

=بسم الله الرحمن الرحيم .

تحدث المعلم حنفي بفرع:

_يا ساتر يارب .

في لحظة من التوتر، أخرج جلال المطوى ببطء متناولاً من جيبيه، في حين أمسك المعلم حنفي الشومة بيده، متجهًا نحو باب الغرفة بخطوات بطيئة، وعقبه جلال، وزوجته، وأبناؤه، فكان الجميع يتربقون بفضول ما سيحدث، وعندما وصل المعلم حنفي إلى الباب، فتحه بقوة معبرًا عن جرأته، وهو يقول:

= هوب .

ثم فتحوا الباب، ولم يجدوا شيئاً يستحق الانتباه بداخل الغرفة، بل سمعوا فقط صدح فتح الباب، وكان الذيل يتحرك في الطريق بمفرده، مما أثار حالة من الهلع بينهم، حتى أن جلال، وهو يشعر بالذعر، قال: _بقولك ايه بابا احنا لازم نخلع!

رد المعلم حنفي بخوف:

=ازاي يا ض؟

رد جلال:

_نظ من البلاكونة !

بينما كان جلال يتقدم نحو الباب ليحضر الحبل، فجأة انغلق الباب بشكل مفاجئ وبدون تدخل من أحد، مما أدى إلى عزله داخل الغرفة بمفرده. اقترب جلال من الباب وهو يطرقه بقوة محاولاً فتحه، وفي حالة من اليأس، صرخ قائلاً بصوت عالٍ:

=افتحولي !

أمسكت ليالي بأولادها، وقالت برهبة جسيمة:

_تعالوا يا عيال بسرعة .

وفيما دخلوا غرفة أخرى معاً، انغلق الباب وراءهم، واختبأوا تحت السرير بحالة من الهلع. بينما كان المعلم حنفي يقف وحيداً في منتصف الصالة، يرتجف من القلق، ويشعر بأنه سيكون الضحية القادمة لما يحدث، فجلجل بصوت مرتفع:

=سلام قولاً من رب رحيم .

فجأة دخل البلاكونة بسرعة، وكان يصيح بشدة:

=الحقونا .

بينما كان يتسلق حبل الملابس بسرعة، انزلق عليه حتى هبط بقسوة على الأرض في الشارع، ومع استعادته لتوازنه، فر هارباً بعيداً. وفيما كان أطفال ليالي يبكون بشدة، قالت ليالي بصوت مرتجف:

_اسكتوا، محدش يتكلم!

تحدث حمود ببيكاء:

=أما... هو أبا حصله ايه؟

ردت ليالي بسخط:

_اسكت...محدث يتكلم كلمة واحدة!

في تلك اللحظة المرعبة، وضعت ليالي يديها برقة على أفواه أطفالها المصابين بالفرع الشديد، في محاولة يائسة لتهديتهم، وامتلاكهم. وبينما كان جلال ما زال محاصراً داخل الغرفة، غير قادر على الخروج حتى الآن، لم يستطع التحكم في خوفه المتزايد، وصدح بصوت مرتعش، ينبئ بالمخاوف المستمرة التي تحيط بهم:

=يا مصيبيتي المنيلة بستين نيلة...أعمل ايه انا دلوقتى؟ ولا أنط منين والشباك قد كيس الشيبسي؟

عندما نظر جلال حياله، وجد الذيل الأسود يتدلى له من تحت السرير، وفور رؤيته لهذا المنظر المرعب، فقد وعيه وسقط على الأرض بلا وعي، مما أثار حالة من الرعب في الغرفة. وبينما كان ذلك يحدث في منزل جلال، كانت هايدي تجلس بين أحمد، وجميلة في الريسبيشن، وتشعر بالحرع بسبب

طول مكوثها معهم، حيث تشعر بأنها ثقلت عليهم وأنها لا تريد أن تكون عبئاً عليهم، وتتردد في التحدث، لكنها في النهاية قررت المحاولة، وتحدثت بهدوء:

_ انا قعدت عندكم كتير أوي...لازم أروح !

في حين عبر أحمد عن دهشته من رغبة أخته في المغادرة من منزله، ألقى بكلماته قائلاً:

=ايه الكلام اللي بتقوليه ده يا هايدي؟ انتي قاعدة في بيت أخوكي مش عند حد غريب!
تحدثت جميلة برقعة:

_خليكي يا هايدي بليز...انتى مسليانى بجد .

ردت هايدي:

=معلش يا جماعة، انا متأسفه...مش هقدر أقعد أكثر من كده، هضطر أروح .

رن هاتف هايدي، فاستجابت بسرعة، ورفعته، قائلة:

_أيوه يا بابا في ايه؟

تحدث المعلم حنفي بعجيج:

=البيت مقلوب عندنا يا بت...خلي أحمد يجي يشوفلنا حل، جلال محبوس هو ومراته، وانا طلعت بأعجوبة!

ردت هايدي بتعجب:

_في ايه يا بابا انا مش فاهمه حاجة .

فيما وقف أحمد مكانه، أمسك هاتف هايدي ونظر إليه بفضول، ثم ألقى بكلماته قائلاً:

=في ايه يا هايدي؟

انعكس الفضول في وجهه، وبينما كان يستمع إلى المعلم حنفي وهو يروي الأحداث، ترقب وجهه مع

ملامح الفلق الذي انعكس عليه. وعندما انتهى المعلم من سرده، تحدث أحمد بتعليق مفعم بالفهم:

=خلاص يا بابا احنا جايين حالاً .

اتصل أحمد بباسم، حيث مسك بالهاتف بقوة، وطلب منه اثنين من الحراس الخاصين به، ولم يتردد باسم

في تلبية طلبه على الفور. وهكذا، توجه أحمد، وهايدي برفقة الحراس إلى الشقة، وعندما وصلوا،

خطفت الأبصار مشهد الحراس الذين يحيطون بهم بشجاعة فعالة. وفي هذه اللحظة الحاسمة، ألقى أحمد

بكلماته بترقب واضح:

=عايزكم تدخلوا تجيبوهم، وتقتلوا المخلوق ده في أسرع وقت .

رد الحارس:

_حاضر يا فندم .

في لحظة التفنيش، كسر الحرس الباب ودخلوا الشقة بحرص شديد، يفحصون كل زاوية منها بعناية.

ولكن، لم يجدوا سوى جلال، وليالي، وأبناءهم، الذين كانوا يتألمون من الضغط النفسي الذي شعروا به.

فسارعوا جميعاً بالمساعدة في نقلهم إلى مستشفى القرية للعلاج. وعندما رأى الطبيب العائلة المصابة، لم

يستطع إخفاء دهشته من تكرار مجيئهم إلى المستشفى. وبانزعاج واضح، قال الطبيب:

=انتوا جننتوني معاكم... ده مش بيعدي أسبوع إلا لما حد فيكم يجي تعبان بحاجة جديدة...ده انتوا جيتوا

المستشفى أكثر مانا جيت، مش معقول بجد اللي بيحصل ده !

رد أحمد باستياء:

_معلش يا دكتور شوفلنا جلال فيه ايه.

تحدث الطبيب بضيق:

=حصله إغماء بسبب الأنيميا الحادة اللي عنده، وقولنا ياخذ العلاج ومحدث خده .
نطقت هايدي بتأثر:

_هنعمل ايه بس في المشكلة اللي احنا فيها؟

بينما كانت هايدي تمسك هاتفها بيديها، تفاجأت بإعلان على الفيس بوك يصف سيدة مفقودة تشبه أم الديب، وكان مدون على المنشور "تم العثور على سيدة من قرية مجهولة، فاقدة الوعي، ولا يوجد لديها أي إثباتات شخصية". وبمجرد أن شاهدت هايدي المنشور، قامت بتمرير الهاتف إلى أحمد ليطلع عليه، وبصوت يحمل التساؤل، قالت:

_أحمد...دي ماما!

نظر أحمد في الصورة، وشعر بداخله بأنها ليست أم الديب، فألقى تعليقه بصوت مليء بالتردد:
=مش حاسسها أوي... بس فيها شبه!

ردت هايدي:

_لازم نوصلها .

تحدث أحمد:

=اسألهم على العنوان .

بعد مرور يومين، قررت هايدي الاتصال بالرقم المكتوب على الإعلان، وتواصلت مع صاحب المنشور بحماس. ثم أقلت كلماتها، وهي تعبر عن حالة من الاستفسار:

_ألو....أيوه المكان فين بالظبط؟ تمام أيوه عارفاه.... لا لا يعني ساعتين مش كثير... مش فاكراه أي حاجه؟ خلاص تمام احنا جايين.

تحدثت ليالي بفضول:

=في ايه يا هايدي؟

ردت هايدي:

_هنروح نقابلهم...انا هعدي على أحمد في الشغل، ونروح نشوف الموضوع ده.

خرجت هايدي من الشقة، ووجهت خطواتها نحو مكان عمل أخيها، وعندما وصلوا، جمعوا جميعاً شجاعتهم لمواجهة التحدي، وقرروا الانطلاق سويًا إلى العنوان المذكور في الإعلان، كما لو أنهم يتحدون الظروف معًا. وحينما لمح الرجل وصولهم، أطلق عليهم نظرة مليئة بالاهتمام، وألقى بهم بكلماته المغمورة بالترحيب:

_أهلاً بيكوا...اتفضلوا .

رد أحمد بلهفة:

=هي جوا؟

أجاب المُعلن:

_أيوه موجوده بس فاقده الوعي تمامًا، ومش فاكراه حاجة، وغلبتنا علشان نتكلم كلمة واحدة .

قد توجهت أبصارهم نحو الغيمة الصافية في سماء الحقيقة، فاستوحشت الشوك المظلمة، قال أحمد بتأكيد متجلى في نبرة صوته:
 = لا لا... دي مش ماما !
 تحدثت هايدي بإحباط:
 _ فعلاً واضح إن كان في تشابه مش أكثر .

انكسرت سوارى الأمل عندما أفقد المعلى آماله فى العثور على عائلة السيدة المفقودة، فخاقت قلوب الحاضرين بألم متجلي، وكان صدى الحزن يهزم لحن الأمان، حيث قال بأسف مرير:
 = كنا على أمل إننا نلاقي عيلتها .
 رد أحمد بتعاسة فى نبرة صوته:
 _ واحنا كنا نتمنى أنها تطلع أمنا .
 ترنحت خطواتهم عائدة إلى ديار الانتظار، تسلل الحزن إلى قلوبهم كالضباب الكثيف يغلف أرواحهم بظلام اليأس، فقال جلال بصوت يحمل أثقال الحزن:
 = عملتوا ايه؟
 رد أحمد بيأس:
 _ للأسف مطلعتش ماما .

انتاب المعلم حنى سرور روحه بشدة، وتلألأت أعينه ببريق الانتصار، فانتشرت الابتسامة على شفقيه كزهرة تشق طريقها خلال أشجار السعادة المزدهرة حيث قال ببهجة:
 = انشالله مالفوها دي ولية هم، جاتها ستين نيلة تاخدها هي وعيلتها .
 جلس جلال، وقال بإحباط:
 _ يلا مش مهم ألا أمي هترجع تفرنا تاني، وانا مش ناقص لا انا ولا مراتي .
 تسللت لمحات الحفيظة إلى عيني ليالى، فارتفعت حواجبها كأموج البحر المتلاطمة، وصدح صوتها بحدة يملأ الأرجاء، وهي تقول:
 = خصوصاً بعد السحر اللي كانت بتحاول تعملهولي .
 رد الجميع بصدمة فى آن واحد:
 _ سحر؟

ردت ليالى بنبرة حادة:
 = أه سحر... أمكم طول عمرها بتكرهني .
 بينما تعبت أفكارها بأسرار اللحظات الماضية، بقيت هايدي عازمة على رفض تصديق كلام ليالى، فخرجت كلماتها كالصخب الهادر:
 _ مش للدرجة دي يا ليالى .
 ردت ليالى بصوت حاد:
 = لا للدرجة دي وأكثر كمان !
 ارتفع صدى طرق الباب يملأ الفضاء، انبعثت ليالى بعيداً لتفتح الباب، وإذا بها تجد نعمة مع زوجها، وابنها ينتظرون حبال عتبة المنزل، فاندمجت الفرحة بين أروقة اللحظة وسط الحنين، ونعمة تنطق بشوق:
 _ وحشتوني أوي !

وقف المعلم حنفي، وقال بسخط مَنين:
 =جايه تفنكري دلوقتي يا بت الجزمة إن ليكي أهل بعد ماخذتي جوزك، وابنك، وهربتي لما عرفتي بكل
 اللي بيحصل؟
 في وقت يغمره الفرح، ردت نعمة بحزن مؤلم، وعلى وجهها تكتنفه غيوم الأسى، حيث احنت رأسها
 لأسفل كشجرة تتعانق بظلام الحزن، وقالت:
 _سامحني يابا أصل الواد حمو بعيد عنك بيخاف من سيرة العفاريت، وجسمه بيتلبش، فروحنا قعدنا عند
 حماتي لحد ما الدنيا تهدي عندكم .
 جلجل المعلم حنفي في نعمة قائلاً:
 =ومفكرتيش تسألني في أمك يا خسعة؟ أمك اللي طلعت عينا، وعين اللي خلفونا بسببها، وكل المصايب
 اللي عماله تصب على دماغنا بسبب غيابها!
 ردت نعمة باستياء:
 _مانا يابا مش فاهمة أمي مالها ومال ليالي، حاطاها في دماغها أوي كده ليه؟ طب ده انا حماتي نسمة،
 وعمرها مافكرت تدايقني !

في لحظة تأمل مؤلمة، أزاحت نعمة الستار عن حقيقة مُرة كانت مخبأة في أعماق النسيان، فالكذب لا
 يدوم، والحقيقة لا تظل مدفونة، فكما تكن حمة نعمة العداوة، تشتعل الخلافات في عالم العلاقات كثيران
 الصراع، وكما تكن أم الديب العداوة لليالي، عادت نعمة إلى تفاصيل ذلك اليوم المرير، حينما جبرتها
 حماتها على القيام بأعمال الخدمة، فوجدت نفسها تجلس على الأرض، وتمسح بقطعة القماش الأوساخ،
 ورغم سقوط ملابسها ضحية لأوساخ الأرض، لم تجد من حماتها إلا قسوة القلب، حيث وقفت تستند
 على خصرها بكل جبروت، ووضعت يدها بشموخ، فنطقت نعمة بصوت يحمل أثقال الإرهاق:
 =كفاية يا حماتي، انا تعبت من كثر المسح والكنس!
 ردت حماتها بصوت حاد:

_ اغسلي يا بت الجزم، اغسلي بضمير، خلي البيت يبرق .
 عادت نعمة من رحلة التذكر إلى واقع الحاضر على صوت ليالي، وهي تنطق بكراهية:
 =دي حماتك انتي بقى...إنما أمك تطيق العما، ولا تطيقنيش، مفيش كيميا بيني وبينها .
 تحدث جلال بصوت حاد:

_ ماخلاص يا بت منك ليها...قطعوا في سيرة أمي اللي مش عارفين مكانها .
 ثم نظر لأحمد، وأردف:
 =أما بقولك يا أحمد ياخويا .
 رد أحمد:

_ اتفضل يا جلال .
 نطق جلال بتردد:
 =يعني محتاج ألف دولار نرجع بيهم أمك .
 رد أحمد بتعجب:
 _ألف دولار مرة واحده؟ مين قالك الكلام ده؟
 أجاب جلال بثقة:

=الست المغربية، أصل المغاربة دول شاطرين أوي في الأعمال ياض، دي تطلعهاك من تحت الأرض في ثواني!

بينما تتوالى الكلمات، وتتغلغل في أروقة الذهن، لم يقتنع أحمد بأي خرافات، فخرجت كلماته كالبرق يشق سماء الحقيقة:

_ كل ده نصب !

وضعت ليالي يدها في خصرها، وقالت بسخرية:

=والشيخ اللي جيبته مكنش نصب؟

رد جلال بصوت حاد:

_ ملكيش دعوة بأخويا يا ليالي !

بعد أسبوع من الجدل، والتضارب، وسط اليأس الذي يعصف عقولهم، وقلوبهم، لم يجد جلال طريقًا إلى النجاة سوى اللجوء إلى دجال يعد بالحلول السحرية للمشاكل اليومية. وبينما كان يستعد للدخول إلى دوامة الشعوذة، خرجت امرأة من غرفة الدجال، بجمال يفوق الخيال، وفي لمحة من اللقاء، اكتشف جلال أنها تلك المغربية التي قابلوها سابقًا. أمسك بيدها بقوة، وأراح كفه على وجهها، وعلى ملامحه تلمح غيوم الغضب المتقدة، لينطلق صوته بكل قوة:

_ انتي بتعملي هنا ايه يا ست؟

ردت المغربية بموجدة:

=هادشي ماشي شغلك .

تلفظ جلال بصياح:

_ بقولك ايه، اعدلي لسانك اللي مش فاهم منه حاجة ده... بتعملي ايه هنا؟

ردت المغربية بدوى:

=ماقادرش نتسنا .

بينما تتأرجح أعصابه في غمار الاهتياج، اتكأ جلال على يدها بعنف، فأمسك كفها بقوة متجلية في حركة ملتوية تعكس مدى الضيق الذي يعصر قلبه، وبصوت حاد يصدح في أركان المبنى، قال:

_ علاقتك ايه بالدجال اللي جوا ده؟ انطقي!

ردت المغربية بانفعال:

=واش خاصك شي حاجة؟

أزاح جلال المغربية بعنف من أمامه، حتى ارتطمت بالحائط من شدة حركتها، وفي لحظة من الصياح، نطق بكلمات ملتهبة:

_ غوري .

مضى جلال داخل غرفة الدجال، واستخرج المطوى بينما تراقب عيناه تلك الأشياء الملتوية بين أصابعه، وفي هيجان الامتعاض الذي يجتاحه، أراد ضرب الدجال بشدة، وبصراخ يهز الأرجاء، تحدث بكلمات مشتعلة:

_ يا راجل يا نصاب يابن النصابين، قول إنك متفق مع النصابة الثانية، وأهو كلكم نصابين في بعض!

فجأة وقبل أن يلامس جلال جسد الدجال بضربة، ارتفعت يد الدجال بقوة مدهشة، فطار جلال في الهواء كالورقة المتطايرة، وانتشلت قوة الجاذبية جسده وجعلته يتلامس بقسوة مع الحائط، وبدأ الدجال في ترديد التعاويذ بكلمات غامضة وغير مفهومة، فتحول جلال فجأة إلى كلب بلدي صغير الحجم، وفي هذا

الوقت، أخذت ليالي أبناءها بين يديها وانطلقت إلى السوق، بحثاً عن بعض الخضروات، والفواكه لإطعام أسرتها. وفي لحظات الهدوء، جاء الكلب يندفع نحوهم من بعيد، فصرخ حمود بذهول، وقال: =أما الكلب هيقرمك .
ردت ليالي:

_بعد الشر عليا يا واد... انشالله ستك .
وحيالهم وقف الكلب، ينبج بشدة كأنه يحاول التعبير عن شيء ما بأنغام لا تفهم، وفي هذه اللحظة المربكة، أمسكت ليالي قالب من الطوب، تحاول إيهام الكلب بقوة، وبينما تحمل الطوب بيديها المرتجتين، صاحت بصوت يحمل نبرة الخوف:
_يلا من هنا... أما انت كلب مسعور صحيح .
ثم ذهبت مكاناً آخر برفقة أبنائها، ومع استمرار الكلب في مطاردتهم، وهو ينبج نباح شديد يعلو في الفضاء، تنغمس ليالي في حالة من الانزعاج من صوته، وتعبّر بتلك الكلمات المليئة بالقلق:
_يوه، هو انت ورانا ورانا ؟ ماتمشي بعيد .

بينما تواصل ليالي طريقها برفقة أبنائها، يظل الكلب يلاحقهم بثبات، ومن شدة سخط حمود، أمسك قالب الطوب بيده، مستعداً لتوجيه ضربة للكلب، إلا أنه فر هارباً بعيداً في لحظة من الهلع، وعندما انتهت ليالي من شراء طلبات المنزل، عادت إلى الشقة، لتجد المعلم حنفي، وهايدي يجلسان في الصالة أمام التلفاز، وعلى لسان المعلم حنفي يتحدث بفضول:
=كنتوا فين يا ليالي؟
ردت ليالي:

_كنا بنجيب الغدا يا حمايا، يادوب دخل أجهزه بس هغير للعيال الأول .
حينما دخلت ليالي، وأبناؤها إلى الغرفة، ألقّت هايدي كلماتها بليوننة:
=تفكر يا بابا هفضل كده لحد امتى؟
رد المعلم حنفي بحزن:
_لحد ما أمك ترجع يا هايدي... بس أمك ليها حساب عسير معنا .
بعد أن انتهت ليالي من تغيير ملابس أبنائها، وقفت في منتصف الغرفة بنبرة هادئة، ونطقت بكلمات تعكس السلام:

=أديني غيرتلكم، اطلعوا العبوا في الصالة مع عمتمك لحد ما أغير، وأجهز الغدا .
وقف حمود، وتقى أمام باب الغرفة، وأوصدت ليالي الباب خلفهما ببطء متأن، وهي تعترتها أفكار ملتوية عن تأخير عودة جلال إلى المنزل. فعبرت بخوف متلبّد:
=ياترى انت اتأخرت ليه يا جلال؟
فتحت ليالي باب خزانة الثياب ببطء متدرّج، كمن يدخل عالماً مظلماً مليئاً بالغموض، وإذا بها تكتشف الكلب مسترخياً بسلام داخل الزاوية الضيقة. لم يكن صمته العميق يعكس سوى سكونه الذي أثار هلعها، فخرجت صرختها مثل البرق في ليلٍ مظلم، ترمي بظلال الخوف في كل ركن من أركان المكان، وهي تعول:

=لا لا... الحقوني... لا .
نهض المعلم حنفي، وهايدي بسرعة على صدح صراخها، فأدرك المعلم حنفي الوضع بتعجب ملحوظ، فقال بصوتٍ مليء بالدهشة:

_مالك يا بت بتصوتي ليه؟

ردت ليالي بنواح:

=الكلب اللي كان ماشي ورايا في السوق ...

سعلت ليالي، وأحسست بتعب يملأ أحبالها الصوتية من شدة الإعوال، ثم واصلت حديثها بصوت

مرتجف، ومحمل بالخوف:

=كان نايم في الدولاب لما فتحته...أه قلبي .

وضعت يدها برهة على صدرها، وهي تتنفس بصعوبة، ليشاهد المعلم حنفي مشهدًا يثير الرعب، فقال

بصوتٍ مليء بالخوف:

_استرها يارب...كان مستخيلنا كل ده فين؟

اقترب المعلم حنفي من الخزانة بخطوات هادئة، وبغناية بالغة حمل الكلب النائم على ذراعيه، وخرج به

من الشقة بانتباه شديد، ووضعها خارجًا، ثم صك الباب بحرص، وفي أعماق الليل، حينما كانت ليالي

نائمة، وأولادها في حضنها، غمرتها الأحلام برؤية مفزعة؛ حيث وجدت نفسها واقفة في الظلام المُظلم،

تواجه الكلب الذي تحول في الحلم إلى مخلوق شرير، وبينما ترتعش، تحدث الكلب إليها بأسلوب مرعب

يخترق عمق روحها:

=انا جلال يا ليالي، متضربينيش ألا أذيكى!

استيقظت ليالي فجأة من نومها، ووضعت يدها برهة على صدرها، وبينما تتأمل في الظلام المحيط بها،

نطقت بصوت متوتر:

_بسم الله الرحمن الرحيم...ايه اللي بيحصل ده؟

بمجرد أن قدم النهار، وانتهت أظلم الليل، ومع انبعاث أولى أشعة الشمس، انفتحت الفرصة للتحدث،

حكى الحلم للمعلم حنفي بكل تفاصيله المخيفة، فعبر المعلم حنفي بتعبير وجه متعب، وقال بصوت

متأمل:

=الموضوع ده ميتسكتش عليه يا ليالي، لازم نشوف حد يخلص كل ده .

استلهم المعلم حنفي الشجاعة لمواجهة الوضع الغامض، وانتزع هاتفه العتيق بحركة سريعة من جيب

جلبابه، وبدأ في الاتصال بأبو محمد، حيث أنه شخص أهل للثقة، والتفاهم، فطلب منه بشدة المساعدة في

فهم وحل اللغز المرعب الذي أثرى كابوس ليالي، فأجاب أبو محمد بتأثر، معبرًا عن تضامنه الكامل مع

المعلم حنفي، وليالي في هذه اللحظة الصعبة:

_لا إله إلا الله...أختي ضايعة، ومتبهده بسبب سكتها الخطأ، أستغفر الله، أستغفر الله .

رد المعلم حنفي:

=انا مش متصل بيك، وبحكيلك بقالي ساعة علشان تقعد تستغفرلنا...هتعرف تشوف حل ولا نشوف حد

غيرك؟

رد أبو محمد، وهو مجبر على مساندته لهم:

_بص يا حاج حنفي بإذن الله العلاج عندنا احنا، أعرفك شيخ صالح عليه أمم، وسره باتع يا حاج

هيرجع أختي في يوم .

تحدث المعلم حنفي :

=بيبقى نتكل على الله، واعرقلنا مكانه .

رد أبو محمد:

_ هاجي معاكم يا حاج، وعلى كل حال الشيخ ده في محافظة بعيد عننا .

نطق المعلم حنفي:

=لو في الصين نروحله، بس نخلص من المواويل دي يا أبو محمد .

رد أبو محمد:

_ على بركة الله... بس اديني نص ساعة أخلص فيها تسميع القرآن لتلاميذي، وأعدي عليكم، وعلى بركة

الله إن شاء الله .

نطق المعلم حنفي:

=وماله مستنيك .

بعد مرور ساعة، حضر أبو محمد والتقوا به، ثم انطلقوا في رحلة إلى محافظة الشرقية، وبعد مضي

ساعات وصلوا إلى مقر الشيخ، حيث كان يدير أعماله بحنكة وينظم المكان لخدمة عملائه. كان كل

الأشخاص ينتظرون بصبر متجدد فوق الحصير حتى يأتي دورهم للاستشارة بالشيخ، وفي هذا الجو

المليء بالتوتر، وجدت ليالي نفسها جالسة بجوار سيدة في عمر الخمسين عامًا، فلم تتردد في طرح

تساؤلها شديد الحيرة:

_ بقولك يا حاجة هو الشيخ ده حلو بحق وحقيقي؟

ردت السيدة بثقة:

=طبعا يا مدام، ده مرات إبني خفت على ايده... كان معمولها عمل على ديل كلب بلدي .

تفوهت ليالي بذهول:

_ ديل كلب؟ حاجة غريبة !

نطقت السيدة بابتسامة:

=وانتي ياختي جايه مع مين؟

ردت ليالي رد مهموم:

_ جايه عشان جوزي وحماتي .

تحدثت السيدة، وهي تتفحص حياها:

=فين جوزك ده؟ هو اللي هناك ده جوزك؟

ردت ليالي بابتسامة خافتة، وهي تلمس شعر ابنتها الصغيرة تقى بأطراف أصابعها، تارة تفكر بعمق

وتارة تتأمل في عينيها البريئتين، وقالت بصوت هادي:

_ لا ده حمايا ربنا يديله الصحة .

ردت السيدة بتطفل:

=ودي مين اللي قاعده جنبك؟ دي تبعكم؟

تحدثت ليالي بتنهيدة:

_ دي أخت جوزي بس عايشة في البندر طول عمرها .

ردت السيدة بمكر:

=أه، استغربتها يا أختي والله .

نظرت ليالي فوجدت جلال يجلس قبالتها، فتعرضت لصدمة عارمة، واندفعت الكلمات من شفثتها بتعبير يعكس الحالة الكبيرة التي ألمت بها:

_ جلال؟

تعجبت السيدة من نظرات ليالي المريية حولها، وكأنها تبحث عن شيء مفقود، فأخذت تلمح في عينيها تعبيرًا غامضًا، وسألت بفضول واضح في صوتها:

=مالك ياختي؟

ردت ليالي بصدمة:

_ جوزي قاعد أهو!

تحدثت السيدة بتعجب:

=مش انتي قولتي مفيش غير حماكي وبتة؟

ردت ليالي بخوف:

_ لا لا قاعد جنبه أهو!

تلفظت السيدة:

=مفيش حد يا مدام .

نادته ليالي بصوت عالي:

_ جلال رد عليا...رد!

نظرت ليالي إلى السيدة التي تجاوزها، فإذا بها وجهها مظلم كالليل، وينبع منه دفق من الدماء الحمراء بشدة. حركت عينيها بحذر نحو المعلم حنفي، فإذا بقدماه يشبهان أقدام الوحش الهائم. وكان كل الموجودين حولها مثله، فلم تُمهل نفسها، بل صرخت بجمر:

_ لا .

استيقظت ليالي فجأة من غفوتها، وصدحت صيحةً مرعبةً تختلج الهواء، ملؤها الفزع، وفي داخلها تكاد تتفجر الكلمات:

_ كفايه تعبت، تعبت... منك لله يا حماتي يا وش المصايب، انتي السبب في كل ده .

دخلت هايدي الغرفة بخطى متسارعة، كأنها ريح عاتية تجتاح المكان، وبملاحها المترقبة تجلس بجانب ليالي، تعانقها بحنانٍ يشفي الجروح، وفي عينيها انعكاس الذعر، وهي تقول:

=مالك يا ليالي فيكي ايه؟

بكت ليالي، وقالت:

_ تعبت يا هايدي...أمك بهدلتنا أوي .

دخل المعلم حنفي الغرفة، وقال:

=متخافيش يا بنتي، يلا علشان نروح للشيخ اللي أبو محمد قالنا عليه .

ردت ليالي بصراخٍ مرتفع، يتردد في أروقة الغرفة كصدى مؤلم، وتصيب وجهها بضرباتٍ عنيفة كأنها تحارب شياطينها الداخلية، وتجذب شعرها بقوة جامحة حتى ينفصل من فروة رأسها، وفي يدها قطعة من خصلاتها كدمعةٍ متمردة على مأساتها:

_ مش هروح في حته، مش هروح!

ذعرت هايدي من رد فعل ليالي العنيف، وقالت بخوف:

=خلاص يا بابا سيبها على راحتها...انا هاجي معاكم، وخليها هي وولادها هنا .

خرجت هايدي من الغرفة بخطواتٍ متناقلة، ووجهها ينعكس عليه تعب القلق، وبصحبته المعلم حنفي، وفي ذلك الوقت، أحاط بهم أبو محمد، وكأنه حاملٌ للأمان. أما ليالي، وهي تجلس على السرير، فواجهتها مفاجأة مرعبة حينما شاهدت الباب يتحرك بمفرده، كأنه جسدٌ يعبر عتبة الغموض. ففتحت باب الغرفة بكل شجاعةٍ كالمحاربة المستعدة لمواجهة المجهول، لتجد نفسها أمام كلب يراقبها بعيونٍ تنبض بالانتقام. فصرخت بصوت يكاد يفقد الألسنة قوتها، وأمسكت بأطفالها بقبضةٍ من حديد، تتسابق بهم خارج الشقة بخوفٍ عارم، وعادت بهم إلى بلدتها، ليجلسوا على رصيف القهوة، وفي عيونهم انعكست آثار الصراع، وفي حديث تقي وصلته فضولية:

_هنفضل قاعدين هنا كثير يا ماما؟

ردت ليالي بألم:

=أيوه يا تقي لحد مانشوف هيجصل ايه .

بينما كان المعلم حنفي، وهايدي، وأبو محمد يتوجهون إلى الشيخ، وجلسوا معه، فشرح المعلم حنفي له المشكلة من بدايتها إلى نهايتها بكل دقة، وصدق، حتى بدا الشيخ متأثراً عند سماعها، فأبدى تعاطفه بتعبيراته الصادقة:

_بسم الله الرحمن الرحيم، كل اللي حصل ده يا أخوانا بسبب بُعدكم عن ربنا، واتجاهكم للتخاريف،

والشعوذة حتي الشيوخ اللي اتعاملتوا معاهم ماهم بشيوخ ولكن دول دجالين !

بعد أن انتهى الشيخ من حديثه، ظهرت على وجه المعلم حنفي علامات عدم الفهم، والتردد حينما قال:

=يعني ايه يا شيخنا؟ ماتدينا عقاد نافع في الموال الطويل ده .

رد الشيخ:

_انا هساعدكم لوجه الله، وهاجي معاكم، وشدوا حيلكم معايا، اليوم هيطول شويتين ولكن كله على الله،

واحنا من غير ربنا ولا شيء فاعتمادنا كله على الله، والشفاء بفضلله بإذن الله .

ذهب الشيخ معهم إلى بلدتهم، ودخل المنزل وهو يحمل المصحف في يده، وبدأ في تلاوة القرآن بصوتٍ

عذب يملأ البيت بالسكينة، والطمأنينة، كأنما كانت الآيات تتوغل في الهواء بين الجدران. ثم نظر إليهم

بعبوس في وجوههم المتوترة، معبراً عن التفهم بنظرة عميقة من عينيه، وألقى بكلماته بصوتٍ ينبض

بالرحمة:

_البيت ده يسكنه العديد من الجان، وكل تخويف حصل كان بسببهم ولكن وماهم بضارين أحداً إلا

بإذنه .

بينما الصخب يتجاوز حدود الصمت في المنزل، وترتفع أصوات الهلع في نفوسهم، بقي الشيخ مطمئناً،

وثابتاً كالصخرة وسط العاصفة، مواصلاً قراءة القرآن بتأنٍ، وخشوع، محاطاً بنور الإيمان الذي ألقته

كلمات الله على قلبه. وحينما خرج جلال متكئاً على كتف الشيخ، بادر الجميع بترحيب حار، وبينما

يُتجمع الناس حوله، كانت البسمة تزهو على شفاه والده، وكلماته تتناغم مع صدى السكينة:

=حمدالله على سلامتِك يا جلال، الحمدلله إنك رجعت لبيتك وعيالك .

رد جلال بتعب، وإرهاق:

_الله يسلمك يابا .

تلفظ المعلم حنفي بانفعال:

=والولية بت الكلب دي عايزين نرجعها .

رد الشيخ:

_هنرجعها ولكن كله يقوي قلبه معايا .

قامت هايدي، وهي الفتاة المبادرة، بالاتصال على أحمد، ونعمة، وبعد ساعات من الاتصال، قدم الجميع؛ الأصدقاء، والجيران، وتجمعت نصف القرية إزاء منزل أم الديب بشكل خاص، خاطرين بالتأكد من سلامتها ورؤيتها مجددًا، خصوصًا بعد اختفائها لمدة ثلاثة شهور دون أي معلومات عن مكانها أو سبب اختفائها، وفور وجودهم قبال المنزل، ألقى الشيخ بظرة من التفاؤل، وقال بصوت يملؤه الأمل:
=بسم الله الرحمن الرحيم .

في لحظة، وضع الشيخ حياله غطاءً أبيض اللون على الأرض، وبدأ في قراءة القرآن بتفانٍ، فيما يراقب الحضور بانتباه متجدد، ينتظرون بفارغ الصبر لرؤية العلامة المبهرة التي ستظهر تحت الغطاء. وفي منزل أحمد، كانت جميلة تجلس مرتاحة أمام التلفاز، وتتجاوز بحماس مع والدتها في الهاتف، مشاركة إياها أحداث اليوم وتفصيلها، وهي تقول:

_بقولك يا مامي أم الديب هترجع النهارده، ده حدث تاريخي... المذيعين، والصحفيين موجودين هناك، وطالعين لايف على القنوات، انا قاعده بشوف اللي بيحصل وانا في البيت .

ردت أم قمر الدين بسعادة:

=أوه مش معقول... أخيرًا هترجع؟ الست دي تعبتنا كثير أوي يا روح مامي .

نطقت جميلة بحماس، وهي تحتسي المشروب الساخن:

_بقالها كثير مخفية .

ردت أم قمر الدين بابتسامة:

=طيب بقولك ايه ماتجيبني سيليا، وتيجي نشوف الحدث التاريخي ده مع بعض؟

بينما عند ليالي، وأبناءها كانوا يجلسون على الرصيف، محاطين بظلمة الليل وأصوات الهموم المتعالية حولهم، شعرت ليالي بالضياع في وجه تلك المشكلات العديدة التي تحاصرها، فلم تجد طريقة واضحة للتعامل معها. وفي هذا الوقت الحرج، وقف حمود بجرأة ليتحدث:

_أما هفضل قاعدين كثير؟

ردت ليالي باستياء:

=هنعمل ايه بس؟ أهي ظروف واتحطينا فيها بسبب أبوك وستك .

وأخيرًا، انتهى الشيخ من قراءة القرآن، فانتظر الجميع بشغف، وترقب ظهور أم الديب، وكانت عدسات الصحفيين، والإعلاميين توثق كل لحظة من هذا الحدث المهم. وفجأة، بدأ الغطاء يتحرك ببطء، ويظل مرتفعًا، حتى اتخذ شكل جسد أم الديب، فقامت برفعه عنها، وألقته جانبًا برفق، لنتفح ذراعيها بعرض وجه مشرق بابتسامة عريضة تعبر عن السعادة، وتقول:

_وحشتوني يا عيال !

عندما رأت ليالي الناس يجرون بعيدًا، استغربت، وتساءلت عن سبب هذا الفزع، فتوقفت وتوجهت نحو أحدهم، بحثًا عن إجابة على تلك اللحظة المفاجئة:

=في ايه؟

رد أحدهم بإعوال:

_أم الديب طلعت !

نطقت ليالي بصراخ:

=أهو ده اللي كنت خايفه منه .

وقف الشيخ قبال أم الديب، وبعبارة تنبع من قلب ممتلىء بالموعظة، قال لها:

_ اقلي يا أم الديب!

ردت أم الديب، وهي تتجاوز العقبات في طريقها:

=عايز ايه ياخويا؟

رد الشيخ بصوت حاد:

_ من فضلك اقلي!

ثم نظر للموجودين، وتابع لهم:

_ عايزين تعرفوا كل ده حصل بسبب مين؟

رد الجميع بفضول:

=أيوة مين؟

تحدث الشيخ بوضوح:

_ الدجال اللي هي راحتله هو السبب في كل اللي حصلها!

وصلت سيارة الشرطة بمجموعة من رجال الشرطة، الذين نزلوا منها بعجلة، وساروا بخطى ثابتة نحو

أم الديب، وفي لحظة مفاجئة، ألقوا القبض عليها بتهمة غير معلنة، مما دفعها للصراخ بقوة، واستنكار،

محاولة التبرؤ من هذه الاتهامات المفاجئة، والظروف القاسية التي وجدت نفسها فيها:

=واخدني ليه ياخويا؟ آني عملت ايه؟

رد الضابط:

_ متخافيش، احنا عايزين نعرف منك كام إجابة، وبعد كده امشي براحتك .

تفوهت أم الديب ببكاء:

=ياخويا آني كنت مختفيه...سيبوني في حالي!

رد الضابط بإجراج:

_ معلىش يا حاجة ماهو علشان كده احنا عايزين نعرف مكان الدجال اللي عمل فيكي كل ده .

ذهبت أم الديب مع رجال الشرطة إلى نقطة الشرطة، حيث قامت بمشاركتهم قصتها ومعاناتها مع دجال

القرية المشبوه الذي يدعى سامح، كاشفة عن التجارب السلبية التي عاشتها جراء تدخلاته، وتأثيراته

السلبية على حياتها، وحياة أفراد القرية. وأردفت قصتها بتفاصيل إضافية تسلط الضوء على الظلم،

والاستبداد الذي تعرضت له، مؤكدة على حقيقة براءتها، واستعدادها للتعاون مع السلطات لتقديم كل

المعلومات الضرورية للكشف عن جرائم سامح ووقفه عند حده:

=وفي الآخر حصل معايا كل ده، واتمرط يا سعادة الباشا .

تحدث الضابط:

_ خدت أقوالها يابني؟

رد كاتب الإفادات:

=أيوه.

تحدث الضابط:

_تقدري تمشي دلوقتي .

ردت أم الديب بسعادة:

=شكرًا يا سعادة الباشا .

خرجت أم الديب من قسم الشرطة، لتجد سياراتٍ مكونةٍ تنتظرها بالخارج، وأمامها مجموعة من الصحفيين يطلبون إجراء لقاءاتٍ صحفيةٍ معها، ولكن ليالي كانت تجري وسط الناس بصحبة أبنائها، وتبحث عن زوجها بين الوجوه المتواجدة. وفجأة، رآته يجلس على الرصيف، فصرخت قائلة بصوت مليء بالتعبير عن الفرح، والاطمئنان:

_جلال!

وقف جلال، وصاح قائلاً:

=ليالي!

عانق جلال زوجته، وأولاده بشدة، وجلسوا على الرصيف بجانب بعضهم البعض، حيث أحاط جلال أحبائه بذراعيه، وضمهم إلى صدره بحنان، وحمل ابنته على ساقيه برقة. وفي لحظة مؤثرة من اللقاء، بكت ليالي وهي تقول بصوت متأثر:

_كده تخوفنا عليك ياخويا؟

رد جلال بابتسامة:

=خلاص يا ليالي، اللي حصل حصل المهم إني رجعت !

تفوهت ليالي ببكاء:

_وأملك فين يا جلال؟

رد جلال:

=خدوها على القسم، وأبويا، وأخواتي راحوا وراها .

نطقت ليالي بنحيب:

_متسييناش تاني يا جلال، كفاية شر وأذى في خلق الله!

بعد أن وصلت الشرطة لمكان الدجال، قال الضابط بصوت متحدث بالثقة:
=خدوه .

ألقت الشرطة القبض على الدجال، فقال بصراخ:

_انا معمלתش حاجة يا باشا!

رد الضابط بجلبة:

=معملتش ايه يا روح أمك؟ ده انت ضيعت من عمر الست ثلاث شهور، وحرمتها من بيتها وعيالها، وواضح إن في ضحايا تانية غيرها... خدوه على البوكس!

رد الدجال بإستنكار:

_انا مظلوم يا باشا!

يتبع

الفصل الخامس والعشرون

أثناء ترتيبات المذبة سامية للقاء التلفزيوني مع أم الديق، كانت تتأمل بعمق في كلماتها أثناء مكالمتها الهاتفية، كأنها تستعد للغوص في عالم آخر:

_ مانتوا عارفين حاجة زي دي مقدرش أفوتها، وبعدين انا أولى خصوصًا إن دي حماة أختي جميلة... أيوه طبعًا واضح أنها ست مش سهلة أبدًا، وماغها دي فيها خطط كثير أوي!
صاح صوت المخرج بقوة، كأنه يرغب في أن تهز الكلمات الجدران وتصل إلى أبعد نقاط الاستوديو، كلما انتشر صدها في الجو، أصبح واضحًا أنه ينوي إرشاد الفريق بقوة، وتحفيزهم لتحقيق أعلى مستويات الاستعداد:

=يلا هنطلع هوا كمان دقيقة .

ردت المذبة سامية:

_ حاضر .

ثم تابعت حديث في هاتفها الثمين قائلة بلطف:

_ طيب هكلمك بعدين، هطلع هوا كمان دقيقة... أيوه حاضر... حاضر... باي .

ثم عادت لتجلس على الكرسي بتأن، ووضعت هاتفها جانبًا، كمن تعود على فن التركيز العميق، وبدأت في التحدث بكل ثقة، ووضوح، كمن تمتلك براعة في إيصال الفكرة المرادة بأقل عناء:

_ جاهزه يا أم الديق؟

ردت أم الديق:

=أيوه ياختي .

نطقت المذبة باشمنزاز:

_ ياختي؟

مع بداية البث المباشر، انطلقت المذبة بابتسامة ساحرة، كمن ترسم البهجة على وجوه المشاهدين بأول لمسة من الحديث، تنبعث الحيوية من كلماتها، كما لو كانت ترقص على لسانها بانتعاش:

_ أهلاً بيكم في لقاءنا اليوم وطبعًا زي ماحنا متعودين بنتناقش في أي قضية، وبنحاول نحلها من جميع الجوانب، ونوصل لنتائج مرضيه... فاكرين السيدة أم الديق اللي تم استضافتها في حلقة زمان؟ الحقيقة إن النهاردة حصلها حاجة غريبة أوي .

كانت جميلة تشاهد البث المباشر مع والدتها في الفيلا، وهم يتناولون الحلوى، والمكسرات، وينصتون بانتباه شديد لهذه الحلقة الخطيرة. ولكن بعد انتهاء اللقاء بين المذبة، وأم الديق، قام المعلم حنفي بمرافقة أم الديق من المدينة الإعلامية إلى المنزل، حيث اجتمع حولهم جميع أبناءهم، وأحفادهم، وجلس المعلم حنفي في المنتصف بينهم، واستغل هذه الفرصة ليقدم درسًا قويًا لأم الديق، يظل محفورًا في عقلها، فانفجر بصوت عال، وغضب غامر:

=كلكم متجمعين وأنا في كلمتين محشورين في زوري، يشهد ربنا إن الست اللي قدامكم دي مطلعها عين اللي خلفوني... مابتطلش مصايب لدرجة أنها راحت تعمل سحر لليالي البيت الغلبانة الطيبة اللي قدامكم .

جلجلت أم الديق في وجه المعلم حنفي، وأنكرت بسخط كل ما فعلته، قائلة بصوت متجبر:

_ أني معملتش حاجة يا راجل، انت هتتبلي عليا ولا ايه؟

رد المعلم حنفي بصياح:

=خليني أكمل كلامي يا ولية انتي، ومابتسمعش كلامي أبدًا، أقولها يمين تروح شمال، أقولها شمال تروح يمين .

ردت أم الديب بامتعاض:

_ ايهي ده أني طيبة!

نطق المعلم حنفي بانفعال:

=ده الشيطان هو اللي طيب يا ولية... قسماً عظماً إن مابطلتي لا أنفخ اللي جابوكي أكثر مانتني منفوخة خلفه!

نطق أبو محمد بصوت حاد:

_ عيب يا معلم حنفي مهما كان دي أختي، وأم أولادك الكرام !

رد المعلم حنفي بحزم:

=مفيش الكلام ده، والمايه هترجع لمجاريها... وانت يا ض يا جلال تاخذ مراتك، وعيالك وتطلع شقتك وتشتغل وتكمل حياتك... وانت يا بت يا نعمة ترجعي شقتك فوق انتي وجوزك، وابنك... وانت يا ض يا أحمد ترجع لمراتك، وبنتك وتركز في شغلك... وانت يا ولية يا بت ستين شبشب إن ما بطلتي عميلك دي لا أطخك بالنار وأشرب من دمك الزفر ده!

رغم عودة الجميع لروتين حياتهم، ومحاولاتهم لطمس ذكريات الماضي العسير، إلا أن أم الديب لم تبتعد عن دروب الخطأ، وبعد يوم واحد فقط، كانت تقف وحدها في البلكونة، كأنها ترقص على حافة الجراءة، وتتادي جارتها بصوت يرتفع في السماء كنداءٍ ينبعث من قلب مضطرب:

_ متعرفيش ياختي دجال غير اللي خدوه على القسم؟ أصل مرات ابني مبهدلاني !

ردت جارتها بصدمة، وكأنها لم تصدق ما سمعته، فانطلقت يدها بضربة قاطعة على كفها، وكأنها

تحاول أن تخفي الاستياء الذي تغلب على مشاعرها:

=لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

أم الديب وعروس ابنها

بينما كانت جارتها تصدم كفوفها في حالة من الدهشة، نظرت أم الديب إليها نظرات مليئة بالاغتياب، ثم دخلت المنزل مجددًا، وهي تتأمل في عقلها خطة جديدة، تصمم على تحقيقها بعد فشل خطتها الأولى، وفي لحظة من التأمل العميق، وبعد ليالٍ من التفكير، وجدت أخيرًا الفكرة التي ستطبقها. فقررت أن تستعين بابنة أختها سعاد، لتنفيذ هذه الخطة. أمسكت هاتفها بين يديها بثقة، وأجرت مكالمة تليفونية حاسمة، وبصوت مليء بالسعادة، قالت:

_ انزل يا جلال، أني عاوزاك في كلام مهم أوي يا ولا .

رد جلال بتعجب:

=كلام ايه ده ياما اللي على الصبح؟

نطقت أم الديب:

_ انزل وانت هتعرف يا خويا، انزل بس متأخرش !

رد جلال بقلق:

=ربنا يسترها منك .

بعد مضي دقائق معدودة، نزل جلال من شقته، حيث جلس مع أم الديب في جو من الاستعداد، فبادرت هي بفتح الموضوع معه، وكانت تسعى بكل حماس لإقناعه بضرورة ترك ليالي وشأنها، وبدأت تطرح الحجج، والمقنعات بشتى الطرق، محاولة أن توجه خطواته نحو طريق الزواج مع ابنة خالته، سعاد: _يا ولا اسمع كلامي متبقاش غبي هجوزك مي بت خالتك، دي بت زي حنة الجشطة يا ولا!

رد جلال بجلبية:

=بقولك ايه ياما انزلي من دماغي، انا بحب ليالي، ومش عاوز حد غيرها!

ضحكت أم الديب بسخرية، وقالت:

_بتحب ليالي بت سلامة دباح الحمير على ايه ياخويا؟ هي دي تتحب؟

رد جلال بسخط، ووعيد:

=ياما إن منزلتيش عن نفوخي انا هحكي لأبويا، وهو يتصرف معاك!

صرخت أم الديب قائلة بانفعال:

_انت بتهددني يا عرة العرر؟

وقف جلال مترددًا، ثم أخرج المطوى من جيبه بحركة مفاجئة، واقترب من أم الديب بخطوات ثابتة، وفجأة تحولت ملامحه لتعكس شخصية السرسجي الذي يكمن بداخله، وبصوت مرتفع يرتجف من الاهتمام، صاح بكل قوة:

=هو مين ده ياما اللي عرة؟

ابتعدت أم الديب بخطوات مترددة، وبدأ الرعب يتسلل إلى عينيها، فقالت بصوت مرتجف:

_ابعد البتاعة دية!

رد جلال بصوت حاد:

=هبعدها في حالة واحدة ياما...لو سكتي!

وضعت أم الديب يدها بتوتر على فمها، محاولة كبت الرعب الذي يتسلل إلى داخلها، وقالت بصوت مرتجف من الرهبة:

_خلاص سكتنا...اتكتمنا أهو!

فجأة دخل المعلم حنفي من باب الشقة، وقال:

=بقولك ايه يا ولية، جهزي كوبايتين شاي على السريع .

ردت أم الديب بدهشة:

_لمين؟

أجاب المعلم حنفي:

=ليا .

ردت أم الديب بنواح:

_يا لهوي هيخلص على الشاي اللي حيلتنا...يا راجل يا أبو كرش مدلدل هتودي كرشك فين، وانت من

كل حاجة اتنين اتنين؟

رد المعلم حنفي بصوت مهزوز، وكأنه يحاول كبت مشاعر الاستياء التي تتلوح في أعماقه، وقال بصوت مكتوم كاد يفيض بالدموع:
 =إلا حاجة واحدة يا ولية .
 ردت أم الديب بتعجب:
 _ايه هي ياخويا؟
 رد المعلم حنفي ببكاء:
 =ناقصني اتنين حريم على حق...آني محروم أوي يا جلال .

تأثر جلال بمظهر الضعف في صوت والده، فوضع يده بلطف على كتفه، وبتعبير يمتزج فيه الحنان، قال:

_متز علش يابا...ربنا مش بيدي كل حاجة .
 رد المعلم حنفي بحزن:
 =أه يا بختك يا حنفي متجوز دكر .
 دوت أم الديب في وجهه بصوت منقطع مليء بالانفعال، قائلة:
 _مين ده اللي متجوز دكر يا راجل انت؟
 انقضت إلى المطبخ بسرعة، وأحضرت السكين، وعادت له، والشر يملأ وجهها..فابتلع المعلم حنفي ريقه بصعوبة، وقال بخوف جسيم:
 =ابعدي...آني مش بقول عليكى انتي، متبقيش ولية غيبية، آني بتكلم على... على...
 ردت أم الديب بغضب متوهج، وهي توجه السكين نحو وجهه بحركة مفاجئة:
 _على مين؟ انطق بدل ما أدب السكينة في كرشك !
 رد المعلم حنفي بتلعثم:
 =ده واحد صاحبي بعيد عنك اتجوز واحده، ولية الصباحية اكتشف أنها راجل .
 نطقت أم الديب بصوت حاد:
 _أه بحسب ياخويا .
 عادت أم الديب للمطبخ مجددًا، فجلس المعلم حنفي بتوتر عارم، وهو يراقبها بعيون مليئة بالخوف، وتحدث بصوت خافت ينعكس فيه قلقه:
 =ربك سترها .
 رد جلال بصوت خافت:
 _متبقاش تلبخ بالكلام بعد كده قصاها .
 صعد إلى شقته مجددًا، وبينما كان يتأمل في أفكاره، جاءت ليالي نحوه بخطوات ثقيلة، وقالت بصوت مليء بالتقدير:
 =بقولك ايه يا جلال، انا رايحة لأمي علشان تعبانة، بعد ماتخلص شغلك ياخويا أبقي عدي عليا خدني انا وعيالك .
 جلس جلال على الأريكة، وقال بتكاسل:
 _لا مانا شكلي مش رايح الشغل .
 ردت ليالي بتعجب:
 =ليه ياخويا جرالك ايه؟

تلفظ جلال:

_هقعد أرتاح النهاردة .

ردت ليالي، وهي تمسك حقيبتها بيد واحدة، وتعبس بشفتيها بينما تحمل نظرة مترددة في عينيها:
=طيب الأكل عندك في التلاجة، انا ماشية .

نطق جلال:

_ماشي .

فيما كانت ليالي تخرج من الشقة بأبنائها، ولسوء الحظ الشديد، كانت أم الديب تقف في البلكونة، تشاهد كل تلك الأحداث أمام عينيها كالكابوس الذي لا يمكن تجنبه، وبينما كانت ترى لحظة تلاشي الأمل بالنسبة لها، نادى ليالي بصوت يحمل طيات التطفل:

=على فين يا بت؟

أجابت ليالي بكراهية:

_خليكي في حالك يا حماتي .

ردت أم الديب بدوى:

=شوف البت وقلة أدبها !

من شدة غيظ أم الديب، تأججت شعلة إصرارها في تحطيم أروقة عش زوجية ليالي، فلم تتردد في التواصل مع ابنة أختها مي، التي تتألم من تأخر طويل في الزواج. إذ بمجرد سماعها لنبرات الحب، والزواج، عادت الحياة تنتسلل إلى عروقتها، وبابتسامة ودية قالت أم الديب:

_ازيك يا عروسة؟ ازيك انتي، وأمك، وأبوكي؟

ردت مي بسعادة:

=بخير يا خالتي .

قدّمت أم الديب اقتراح الزواج من جلال ببهجة، فبادرت مي باستجابة فورية، وأبدت ارتياحها، وموافقتها القاطعة قائلة:

=خلاص ماشي...أما قوليلي جلال فين؟

ردت أم الديب بسعادة:

_فوق أبقى تعالي واطلعي خبطي عليه .

مضت نصف ساعة، وظهرت مي على عتبات البناية، تتسلق السلالم بخطوات مُتسارعة، وصوتها يرنّ في أروقة المنزل مع كل دقة تطرق بها باب شقة جلال، وهي تنادي بعبارة مثلهفة:

=افتح يا جلال...افتح!

فتح جلال الباب، وهو يشبه على ابنة خالته، قائلاً بدهشة:

_انتي مين؟

ردت مي بلهفة:

=دخلني جوا بس .

كانت مي تخطو داخل الشقة، ولكن قبل أن تستكمل خطواتها، أسرع جلال ليزيحها جانباً بيده، فوقفت مي متعجبة، وفي ذلك اللحظة تحدث جلال بانفعال متأجج:

_استني هنا يا بت، هو بيت أبوكي وانا معرفش؟

ردت مي ببراءة ودلال، وابتسامة عريضة ترسم على شفثيها، معبرة عن مشاعرها بأسلوب مؤثر:
 =ما براحة عليا ياخويا!
 اقتربت مي من جلال بخطوات هادئة، وحاولت عناقه بطف، لكنه ابتعد بسرعة مذهلة، واندفعت كلماته بسخط متقد في وجهها قائلاً:
 _ ابعدي، انتي عبيطة في مخك؟ يلا يا بت امشي من هنا شوفي جايه منين، واتكلي!
 تفوهت مي برومانسية:
 =بحبك يا جلال بحبك، بموت فيك!
 رد جلال بتعجب:
 _ بتحبي مين؟ هو احنا كان في بينا حاجة؟
 ردت مي بدلال:
 =مش تدي لنفسك فرصة تعرفني، يمكن تحبني وتموت فيا زي ما بموت فيك؟
 بينما كانت مي تقترب ببطء متناغم من جلال، شعر بتأثير الإصرار الشديد الذي تحمله مشاعرها، فتراجعت قسوة قلبه، وفي لحظة تأمل مكثت، ثم نطق بكلماته بصوت متردد محاولاً إخفاء تأثره الذي لا يُخفى:
 _ امشي من هنا بقولك!
 ردت مي بعفوية متغلغلة في كلماتها، وهي تمسك ملابس جلال بثبات في لمسة رومانسية، وفي صوت مليء بالحنان، قالت:
 =مش همشي يا جلال... افتحلي قلبك!
 أجاب جلال بخوف:
 _ مراتي لو جات، وشافتنا هتعمل الجلاشة معنا احنا الاتنين!
 ردت مي بدلال:
 =مش عيب راجل زيك يخاف من ست؟
 أجاب جلال بتردد:
 _ الست دي تبقى مراتي، وأم عيالي، وامشي من هنا قبل ماتيجي!
 ردت مي برومانسية:
 =بس انا عرفت إنها مشيت، ومش هتيجي دلوقتي، ودي فرصة اننا نتعرف على بعض يا جلال!
 بينما ابتلع جلال ريقه بعمق، وهو يكبت دهشته، أزاح مي برفق من أمامه بملامح ساخطة، وفي لحظة من التردد، نطق كلماته، محاولاً تفادي الصراع الذي يختبره قلبه:
 _ الشيطان شاطر فابعدي عني!
 فيما لم تمر سوى لحظات قليلة، هرعت أم الديب إلى منزل أهل ليالي، وبينما تقترب من الباب، يملأ بكاؤها المكان بصوت يشبه بكاء التماسيح، وبعد لحظات من الانتظار المشحونة بالتوتر، فتحت ليالي الباب ببطء متسائلة من هو الزائر، وعلى وجه أم الديب تتراقص دموع الابتئاس، وهي تتحدث بصوت مكسور:
 =آني جيت ألحكك يا ليالي...يا عيني عليك مغفلة، والواد ضاحك عليك!
 ردت ليالي بصدمة:
 _ مين اللي ضاحك عليا؟
 ردت أم الديب بأعوال:

=جلال ابني جايب واحدة في الشقة، يا عيني عليكي يا ليالي قلبي عندك ياختي!
كلما اخترقت كلمات أم الديب أذني ليالي، تسببت في صدمة عميقة تتجلى في تصاعد نبضات الدم في رأسها، فجأة، اندفعت بسرعة متناهية، تاركة خلفها أثر الفزع، متوجهة بخطى مُتسارعة إلى منزل أم الديب، وعندما وصلت، اقتحمت شقتها بلا تردد، ووجدت جلال، ومي يجلسان متقاربين على الأريكة، فاندفعت ليالي بيدها بغضب هائج يتجلى في صوتها المرتفع وهي تصرخ بقوة، وانزعاج شديدين:
_يا لهوي...يا خرابي...يا مصيبي السوداء ياني، يالهوي عليا...يا مصيبي...الحقوني، الحقوني،
بتخوني يا جلال، بتخوني؟

في لحظة تأمل مؤلمة، لم تتحمل ليالي وقع خيانة زوجها الصادمة، فلطمت وجهها بقوة متأثرة بشدة، بينما على الدرج، كانت أم الديب تصعد بخطوات ثقيلة، وتتلاشى أنفاسها بسرعة مع كل درجة تتقدم فيها، وفي ذلك الوقت العصيب، نطقت بكلماتها محاولةً التعبير عن شعورها العميق بالدهشة:
=خيبيك يا بت، طيرتي زي الصاروخ!
تجمدت حركة جلال، ومي، وكأنه يحاول بجدية قصارى جهده إقناع ليالي بالحقيقة المجهولة، حيث انطلق جلال بكلماته، محاولاً بكل قوته وعاطفته أن يبين لها الحقيقة الكامنة وراء الأحداث الغامضة التي شهدتها، معبراً عن تضحياته، وحبه الصادق:

_اسمعي يا ليالي، في حاجة غلط!
صرخت ليالي بكل قوة، وهي تضرب يدها بشدة على رأسها، تعبيراً عن استياءها، وفي لحظة من الانكسار، نطقت قائلة بصوت يحمل في طياته الحسرة:
=يا لهوي قاعدلي مع واحدة غريبة في الشقة، وتقولي حاجة غلط؟ يا خرابي...يا لهوي!
دوى جلال في وجه ليالي، قائلاً:
_اكتمي يا بت عملتلنا فضيحة، قولتلك في حاجة غلط!
بعد أن لطمت ليالي وجهها بكف قوي، اندفعت بصوتٍ مدوي يتسلل إلى أعماق الروح، صارخة بكل عزم قائلة:

=أه ياني عليا وعلى بختي...انا غلطانة إني اتجوزتك يا خاين يابن الخاينة!
ردت أم الديب بانفعال شديد يتجلى في عينيها الملتهبتين، وفي صوتها الذي اهتز من شدة الغضب، قائلة بكل قسوة:

_مين دي اللي خاينة يا بت سلامة دباح الحمير؟
تشبثت أم الديب بشدة بشعر ليالي، حتى أسقطتها بقوة على أرضية الغرفة، وبدأت تضربها ضربات مُبرحة، وليالي تصرخ بألم لا يُوصف، وفي هذا الوقت العصيب، شعر المعلم حنفي وكأنه في حلم يحتوي على نزاع لا ينتهي، ولكن عندما استفاق، أدرك أن كل ما يحدث حوله هو واقع مرير، فصعد بسرعة مفزوعاً من نواح ليالي، وعبر عن قلقه، واضطرابه قائلاً:
=في ايه؟

رد جلال بموجدة عارمة :
_يايا بت خالتي مزوقه عليا، وليالي جات لقبيتها قاعدة معايا، قعدت تصوت، وانا مش فاهم في ايه...
ماتتكلم يايا!

رد المعلم حنفي بصداح:
=مندهنش ليه ياوض كنت جيت قعدت معاكم؟

بعد أن تركت أم الديب رأس ليالي وهي متوجعة على الأرض، انتقلت بسرعة واستلمت رأس المعلم حنفي الذي كان يتألم من الصدمة، وبنظرات عيون حمراء مليئة بالاستياء، نطقت بصوت حاد وهي تعبر عن ضيقها، وانزعاجها الشديدين:

_مين دهم اللي تقعد معاهم؟

شعر المعلم حنفي بالارتجاف وهو يواجه الوضع الصعب، وتلججت كلماته وهو يتحدث بتلعثم، محاولاً إيصال رسالته بوضوح ولكن بتأثر بقلق في صوته:

=ده...ده...ده

ردت أم الديب بشر :

_ده ايه؟ انطق يا رجل انت!

أجاب المعلم حنفي بخوف:

=ابعدي عني يا ولية، آني تعبان عندي سخونية... السخونية ضاربة في نفوخي .

ونظر جلال ببريق في عينيه وابتسم قائلاً:

=ماتجيبلي شريط برشام ياض .

رد جلال بامتعاض:

_اسكت يا ابا الله يكرمك .

نطقت أم الديب بسخط:

=عاوز تخوني يا حنفي؟

تشبثت أم الديب بقبضة حديدية في جلاب المعلم حنفي، وسحبته بعزم خارجاً إلى البلكونة، وأمسكت به بقوة ورفعته فوق السور بعنف، ودفعته بحزم حتى سقط متألماً، وهو يصرخ:

_ لا .

عادت أم الديب بقوة للنزاع مع ليالي مجدداً، كنسر مجنح يحلق في سماء الصراع، ولكي ليالي تفرغ انفعالتها، وتبرئ ساحة الكراهية من حقدھا، ضربت حماتها بعصا من حديد، كسيف العدالة يسقط على رأس الظالم، فانهارت أم الديب أرضاً مصابة، تصرخ وكأن ليالي تشكو الظلم، والبغض لزوجها، وهي تعول:

=بتخوني يا جلال؟

لكن جلال كان مصدوماً من منظر دماء رأس أم الديب، فانبعث الذعر من عينيه، وهو يقول بصوت

مرتعش:

_أمي!

ردت ليالي بإعوال:

=أمك؟ ده انت وأمك ليلتكم طين...ده انا هصوت وألم عليك الناس .

تدفق دماء رأس أم الديب على الأرض كالنهر الأحمر، فلوّثت الأرض بنقعها، فرفعت يدها المرتجفة إلى رأسها المدمى، وأطلقت صرخة ممزوجة بالألم:

_نفوخي...الحقيني يا بت يا مي !

اقتربت مي من جلال بخطوات هادئة، وهمست إليه برقة، ورومانسية:

=مليش فيه...انا جايه عايزة جلال يفتحي قلبه !

أجاب جلال بانفعال:

_ يحرق جلال على اليوم اللي جه فيه...سيبوني في حالي!
هبط جلال من المنزل كالسهم، ليجد المعلم حنفي يتلوى على الأرض، ويتشنج كأغصان شجرة في عاصفة. وفي تلك الأثناء، كان قطيع من الأغنام يمر بجواره، وبينهم حمار عنيد. لم يدع الحمار المعلم حنفي لحاله، بل مر فوقه بثقل جسده الضخم، وضغط على بطنه، فصرخ المعلم حنفي بألم:
=أه...حد يلحقتي منه .
نشب جلال بالحمار بشدة، وحاول إبعاده وهو يقول بحزم:
_ غور يا عم، هو احنا ناقصينك انت كمان؟

بعدهما غادر الحمار متثاقلاً، أمسك جلال بوالده محاولاً إسناده. كان المعلم حنفي واهناً كالأوراق الذابلة، وقد ارتسمت على وجهه علامات الإرهاق الشديد. بقلق ممزوج بالحنان، همس جلال:
_ انت كويس بابا؟
رد المعلم حنفي بألم:
=داكتور بسرعة .

حاول جلال بكل قوته سحب والده ونقله إلى المستشفى بسرعة، مُتسارعاً مع الزمن قبل أن تخرج ليالي من المنزل وتتورط العائلة في مشكلة جديدة قد تزيد الأمور تعقيداً. ولكنه رغم محاولاته الحثيثة، فشل في حمل المعلم حنفي، مما جعله يقف في مفترق طرق متحير، متسائلاً بين ترك والده في حالة من الضعف، والارهاق أو محاولة حمله والمخاطرة بخروج ليالي وزيادة تعقيد المشكلة بينهم. وفي لحظة قرار عصيبة اختلطت فيها مشاعر الحيرة، والخوف، قرر جلال الهروب من الموقف بكل ما فيه، فأشار لتوكتوك عابر بيده المرتجفة، وتوقف السائق ليتيح له فرصة الهروب. بعد أن استقر جلال داخل التوكتوك، وسرعان ما أوصد الباب عقبه، التفت السائق بفضول وعيناه تحملان أسئلة كثيرة، وسأله:
_ على فين العزم انشالله؟
أجاب جلال بكَمَد:

=وديني العباسية...أصل عايش مع شوية متخلفين بعيد عنك .
توقف السائق عن القيادة فجأة، والتفت إلى جلال بوجه متجهم، ورد غاضباً:

_ جرا ايه يا معلم؟ لا انت بتغلط فينا كده!

نطق جلال بصياح:

=ايه يا عم...حد جاب سيرتك؟

نزل السائق من التوكتوك بخطوات ثقيلة، واقترب من جلال وهو يظهر عليه علامات الغضب الملتهبة، فيما كانت نيته واضحة في ضربه. بينما كان يتقدم نحو جلال، قال بصوت مليء بالغضب:

_ وانا هستنى لما تجيب سيرتي يا عمهم؟

بينما كان جلال يواجه السائق بانفعال، سرعان ما استخرج المطواه من جيبه في لحظة فورية، كأنها جاهزة للعمل في أي وقت. وبهمة عاتية، وجه ضربة حاسمة نحو بطن السائق، تاركاً وراءه آثاراً من الألم، والصدمة. فر هارباً بعيداً، ورغم تعب أم الديب، لم تتردد ليالي في تحمل دور الانتقام، فوقفت فوق بطنها وقفزت عليها بعنف، كل قفزة تزيد من مرارة الانتقام وعذابه. وفي لحظة من الألم، صرخت أم الديب بصوتٍ ممزوج بالانفعال، والعذاب:

=يا خرابي نفسي هيروح يا بت...انزلي من فوق كرشي، هتموتيني!

ردت ليالي بانتقام:

_مش هسيبك يا حماتي... انا هخلص عليكى !
ضحكت مي، وقالت بلا مبالاة:
=انا ماشية .

صرخت أم الديب قائلة بنواح:
_انجديني يا بت... هتسيبيني وتمشي؟
خرجت مي من شقة جلال، وفي الوقت نفسه، استغلّت ليالي الفرصة للبقاء وحدها مع أم الديب، وعندما انفردت بها، جاءت بابتسامة شريرة تلوح على شفثيها، وقالت:
=والله والدنيا وقعتك تحت ايدي .

ردت ام الديب برهبة:
_هتعلمي ايه يا بت؟
بمهارة غير متوقعة، سحبت ليالي حماتها إلى غرفة النوم بما يشبه السحر، وقامت بربطها بإحكام في السرير، ثم صكت باب الشقة بدقة وجعلته محكمًا بالمفتاح، قبل أن تعود إلى منزل عائلتها. وفي الوقت نفسه، كاد المعلم حنفي أن يغرق في التزعة، لكن جيرانه شاهدوه وبسرعة أخرجوه من المياه، فمنعوا فقدانه لحياته في المياه العميقة. أثنى أحدهم على العمل الجماعي، وقال:

=مالك يا عم حنفي؟
تأوه المعلم حنفي بشدة، فأعاد جاره حديثه قائلاً:

_مين اللي وقعك؟
رد المعلم حنفي بصوت مُنهك:
=تعبان .

حملة الجيران على أكتافهم وأعادوه إلى منزله، وعندما حل الليل، كان جلال يجلس في مكانه السري بعد أن ضرب السائق، فطرق الباب بحذر. وعندما قام جلال وفتح الباب، فاجأته امرأة ترتدي قطعة قماش تستر وجهها، فقال بدهشة:

_مين انتي؟
كشفت مي القماشة من على وجهها، وقالت بدلال:
=انا مي يا جلال .

صاح جلال بصوت مليء بالدهشة:
_يخربيتك وصلتيلي ازاي؟
ردت مي بدلال:

=أوصلك لو في آخر مكان !
سحب جلال مي إلى الداخل، وفحص المكان بعينه بحرص ليتأكد من خلوه من أي شخص آخر، ثم أوصد الباب بقوة، وقال بغضب متصاعد:

_انتي وش المصايب كلها... انتي ملكيش أهل يا بت يسألوا عليكى؟ سايبينك مطلوقة عليا؟
اقتربت مي من جلال، وهي تتنفس بسرعة، وقالت بصوت رهيف مليء بالهمس:
=أعمل ايه؟ بحبك يا جلال .

شعر جلال بالضعف يتسلل إلى كل خلية في جسده، فدفع مي بعيدًا عنه بقوة، وهو يقول بصوت مليء بالانهزام:

_ ابعدي مش كده !

ردت مي بدلال ممتزج بسعادة:

=أبعد؟ ليه مش عايز تتجوزني، وتسبيك من مراتك؟ انا أحلى منها حتى !

نطق جلال بتوتر:

_ ماهو

ردت مي بدلال:

=ماهو ايه؟ كملها!

فجأة تبدل حال جلال من الضعف إلى القوة، فرفع يده فوق رأس مي من بعيد، وقال بصوت حاد:

_ ابعدي بقولك... مش عايز أمد ايدي على واحده ست!

ردت مي بصوت حنون:

=انا مش ست يا جلال، انا بنت خالتك اللي عاشت سنين مستنية قطر الجواز، ولما جه مقدرتش تفوت

الفرصة!

نطق جلال بانفعال:

_ طيب ابعدي!

أزاحها بقسوة من إزاءه، فاصطدمت بالحائط بقوة، وتألمت تحت ضربة الاصطدام القاسية، فشعر جلال

بموجة من الندم تغمره، وتحلقت كلمات الأسف على شفثيه، وقال بصوت مليء بالندم:

_ مقصدش انتي اللي بتقربي ، وانا مش عايز كده !

اقتربت مي منه مرة أخرى، وكانت عيناها تنبعثان بالتسامح، وقالت بصوت حنون يحمل في طياته لمحة

من الأمل:

=نروح بكرنا وتقولهم أنك بتحبني !

صاح جلال في وجهها قائلاً:

_ أحب مين... انتي عبيطة؟ انتي مين زاقك عليا يا بت انتي؟

ردت مي برومانسية:

=حبي ليك هو اللي زقني !

فتح جلال الباب بغضب متأجج، وطرده مي من المكان بقسوة عارمة، ثم أوصد الباب بقوة في وجهها،

وجلس في مكانه متعكر الصفو، وفي اليوم التالي، استيقظ جلال ليجد والدته معلقة فوق رأسه، وهي

ترتدي الشاش الطبي مع مي بجانبها. فصدم جلال، وقال بصوت مليء بالدهشة:

_ أمي؟ انتي جيتي هنا ازاي؟

ردت ام الديب بصياح:

=فاكرني مش هعرف مكانك يا منيل؟

نطق جلال بغضب متأجج:

_ انتي اللي قولتيلها؟

تحدثت مي بابتسامة:

=أه انا .

تفوهت أم الديب بصوت حاد:

_ يلا معايا على البيت، هنجيب المأذون يخلص .

رد جلال بعصية:

=مأذون ايه؟ قولتك مش هتجوزها ياما... ماجرا ايه شغله ده؟

صاحت أم الديب في وجه جلال، وكانت عيناها تتبعثان بالسُخْط، وصوتها يرن في الغرفة، وهي تقول بصوت مليء بالتوجس، والتحذير:

_ انت بترفض كلمتي يا ولا؟ انا همشي كلامي مش كلامك انت وغصب عنك !
رد جلال بامتعاظ:

=هو ايه ياما، انتي شايفاني عيل صغير؟ ده انا راجل متجوز وعندي عيلين .
نطقت أم الديب بابتسامه ماكرة:

_ وفيها ايه ياخويا لما يبقى عندك أربعة وخمسة؟
أجاب جلال بصياح:

=من ليالي ياما مش من حد تاني!

ردت أم الديب بإصرار:

_ البت في سن جواز... اكسب فيها ثواب يا ولا واسترها !
نطق جلال بعصية:

=هو ايه ياما اللي استرها؟ ليه هي كانت عامله عاملة؟ ماتشوفوا حد غيري... أقولك جوزيها لأحمد!
ردت أم الديب بانفعال:

_ ايهي أخوك ناسب الحسب والنسب اللي يشرف، متجوز واحده بس بأربعة ياخويا... مكفيا مش زي العرة اللي متجوز هالنا دي !

نطق جلال بامتعاظ جسيم، وكانت كلماته تتساقط كالصخور المتهالوية، حامله في طياتها بركائنا من الانفعالات المتقاطعة، وصرخ بصوت يدل على الاستياء:

=مانا ليالي مكفياي برضة ياما .

فشلت كل محاولات أم الديب في إقناع جلال بالزواج من مي، فأطلقت غضبها بكلمات محملة بالاستياء، وقالت بسخط يعبر عن عدم الرضا:

_ آني قولت كلمة، وكلمتي هي اللي هتمشي يالا... يلا انت والبت مي ورايا !

تشبثت أم الديب بجلال، ومي، كل واحد منهم في يد، كمن تتصارع مع القدر نفسه، وفي هذا الجنون المؤلم، وقف جلال بوقار، وأبعد يد أم الديب بقوة عنه، وصاح في وجهها بصوت يعلو الصخب المحيط:

=جرا ايه ياما انتي شايفاني عيل صغير؟

سحبته أم الديب بقوة مرة أخرى، كمن تتحدى الظروف وتصر على إرادتها، ولكن جلال لم يستسلم لقبضتها القاسية، فصاح بها بصوت ينطلق من أعماق الحنق، وكانت كلماته ترتد كالصدى:

=متشديش ياما !

صرخت أم الديب في وجه جلال، قائلة بامتعاظ:

_ اسكت يا ولا !

رد جلال بضجيج:

=سيبيني ياما بدل ما أتعبط عليك!

بعد أن عادوا إلى المنزل، وجدوا ليالي في انتظارهم أمام البوابة، وبمجرد أن رآها جلال وتحلقت نظراته في اتجاهها، انتابته موجة من الرعب الجسيم، حتى امتلأت نفسه بالهلع:

=نهار أسود...دي ليالي؟

صاحت أم الديب قائلة بسخرية:

_وانت خايف منها ولا ايه؟ أني هجوزك ست ستها .

ردت مي بلهفة:

=تسلميلي يا حماتي .

نطق جلال بعصية:

_حماتك ايه يا بت الجزم انتي؟ هو انا كنت وافقت عليكي؟

وضعت ليالي يدها في خصرها بتمرد، ورفعت حاجبها بتحدي، وقالت بصوت حاد ينطلق من بين

أسنانها كالسيف القاطع:

=يا أهلاً، انت شرفت؟

رد جلال بفرع:

_أه .

صاحت ليالي في وجه أم الديب بكل حدة، وكان صوتها يتجاوز حدود البغضاء، قائلة:

=عايزه مني ايه يا حماتي، وبتزني على خراب عشي ليه؟

أجابت أم الديب بصراخ:

_اسكتي يا بت سلامة، أبوكي دباح الحمير اللي كان يبييع لحمتهم في السوق على إنهم لحمة

بقري...أبوكي الغشاش النصاب اللي كان بيعمل عمایل سودة في البيت من ورا أمك يا منيلة !

صرخت ليالي قائلة بإعوال:

=ايه اللي بتقوليه ده يا حماتي؟ انا أبويا راجل شريف، وظاهر !

ردت مي بسعادة:

_شوفتي يا حماتي؟ لكن انا أبويا مش زي أبوها، ولا عمره هيكون زيه !

نطقت أم الديب بثبات، وهي تعانق مي بحنان يشفي الجروح، ويدمي القلوب:

=ايهي...ده انتي يا بت يا مي حاجة تانية خالص مش زي بت دباح الحمير .

شعرت ليالي بالغضب يتصاعد في دواخلها في هذه اللحظة، فأصبحت عاجزة تمامًا عن السيطرة على

أعصابها المثارة. كانت تتأوه تحت وطأة الاستياء، وفي محاولة يائسة لتهدئة نفسها، فتحت فمها لتقول

بكلمات مليئة بالشرارة:

_طب تعاليلي .

أمسكت ليالي مي بعنف، وسقطت بها على الأرض بقسوة، وبدأت في طحنها تحت يدها بلا رحمة،

وكانت تصرخ بها بكلمات تحمل طابع الانتقام، قائلة بصوت يصل إلى أبعد نقاط المنطقة:

_انا هوريكي إذا كان أبويا زي أبوكي ولا لا، وهعلمك ازاى تخطفي جوزي مني!

تلفظت مي بصراخ:

=آه، الحقوني !

رد جلال بعصية عارمة، واندفعت كلماته بصياح مليء بالغضب، وهو يضرب يده بقوة في الحائط،

فتصاعدت الأصوات المؤلمة لتملأ الشارع بترديدها المرير:

=في ايه انا مش مالي عينك يا ست منك ليها ولا ايه؟ يلا كله يشوف كان جاي منين وسيبوني في حالي! مهما سحب جلال ليالي، كانت تقاوم بشدة، كمن تتحدى العواصف وتبقى شامخة في وجهها، لتخرج غضبها المكنون. كانت تشبه الكلب العنيد الذي لا يستسلم. وفي حين كان جلال يحاول تسوية المشكلة بأي وسيلة كانت أم الديب تسعى للهدوء، كانت مي تحتضن صبراً، وهدوءاً لا يليق بها، وتحاول البقاء صامدة وسط عاصفة العواطف. في النهاية، وبينما كانت ليالي تحاول بكل قوتها إخراج كمدتها بأكمله من داخلها، أمسكت أم الديب بقسوة، وانتقلت إليها بخطوات ثابتة، وكانت تقول وهي تحاول بث غضبها: _ انا مش هسيبك في حالك يا حماتي، وقعدالك على قلبك!
صاحت ام الديب قائلة بشحناء:

=يا بت الكلب ابعدني عني...يا خرابي البت بتضربني، الحقتي يا ولا!
صاح جلال في وجه ليالي بصوت يرتفع كالرعد، وكانت كلماته تنطير كالبرق في السماء، حيث قال بعصبية متأججة:

_ سيبي أمي في حالها يا ليالي!
لم تهتم ليالي بما قاله جلال، فخرج متجهًا إلى عمل أبيه بخطوات ثابتة، بينما أمسكت أم الديب بليالي بقسوة، وجلست فوقها بثقل جسدها الثقيل، وكانت ليالي تعول بينما تتألم تحت وزنها. وفي الوقت نفسه، دخل جلال إلى عمل أبيه وهو ينبعث من وجهه غيظ، فتعجب المعلم حنفي من مظهره، وقال بدهشة:
=ايه يا ض مالك؟
نطق جلال بانفعال:

_ انت رجعت امتي ياابا؟
أجاب المعلم حنفي بارهاق:
=ولاد الحلال رجعوني...بس جتتي ملبشة أوي بعد اللي أمك عملته فيا، ومش قادر آخذ نفسي يا جلال!
رد جلال مستنجد بوالده:
_سلامتك ياابا...الحقنا ليالي هتموت...أمي قاعدة فوقها وانت عارف أنها متتوصاش في التقل ياابا، هتموت البت!

نطق المعلم حنفي بياس:
=كان على عيني أساعدك يا جلال، بس انت شايف يا ض جسمي متدغدغ ازاي!
تحدث جلال بامتعاض:
_ يعني مش هتساعدني ياابا؟
رد المعلم حنفي بوضوح:
=لا .

تحدث جلال باغتيال:
_ خليك فاكرها!
خرج جلال من عمل أبيه، واتصل بخاله ضايغ ليخبره بالكارثة الجديدة التي حلت بأم الديب. بعد أن أخبره بكل التفاصيل، جاء جلال مصحوبًا باثنين من البلطجية، وعندما وصلوا، قال ضايغ بصوت مليء بالفضول:

=وريني أختي يا معلم، وهلمها الأدب .
رد جلال بقلق:
_ أمي نايمة على ليالي بقالها ساعة ونص، ومش راضية تقوم، والبت نفسها راح منها .

نطق ضايح بثقة:

=متقلّش سيبها عليا !

دخل ضايح إلى المنزل، ويتبعه البلطجية، وجلال، وعندما وصلوا إلى الغرفة، وجدوا أم الديب تجلس فوق ليالي، وتتناول الجزر بتركيز شديد، فتحدث ضايح بصوت حاد يتردد في أرجاء الغرفة كالصدى:

=قومي يا ست... مش عيب لما تجيبيني من على ملى وشي؟

ردت أم الديب بسعادة:

_ايهي ازيك يا ولا؟

تحدث ضايح بصوت حاد:

=قومي من فوق البت هتموتيا، وتعالى معايا عايزك في كلمتين!

أجابت أم الديب بصياح:

_عاوز ايه؟

رد ضايح بانفعال:

=لا كده عيب، وبتقلي مني... مش انا اللي ست تعلي صوتها عليا، وخصوصًا لما تبقى أختي بت أبويا

وأمي الروح بالروح!

تحدث جلال بنبرة حادة:

_عرفها غلطها يا خالي !

صرخت ليالي قائلة بألم:

=قومي مش عارفة أتنفس!

ردت أم الديب بصوت حاد:

_مش هسيبك يا بت سلامة دباح الحمير!

صدحت ليالي قائلة بنواح:

=هموت مش عارفة أتنفس!

تحدث ضايح بصياح:

_متخلنيش أستخدم معاكي العنف ياختي!

ردت أم الديب بصياح متجدد، وكانت صرختها تتناغم مع صوت تكسير الجزر، وهي تلتهم آخر قطعة

منها، مما أضفى على اللحظة لمسة من الفكاهة:

=امشي يا ولا متقر فناش .

تحدث ضايح بصوت جلف، وهو يتوعد لأم الديب:

_هطلع المطوى... ماتتكلم يا جلال !

رد جلال بعصبية:

=اسمعي كلامه ياما .

بعد جهد كبير من الإقناع، سحب ضايح أم الديب من يدها بقوة عنيفة حتى رفعها بيد واحدة، وأسرعوا

بها نحو الحظيرة، وفي هذا الوقت الحرج، دخل المعلم حنفي بوجه يعكس غضبه ورغبته على استعادة

حقوقه، مضيئًا بصوت يتزايد في قوة الاستياء:

_هي فين؟ فين بت الكلب؟ هاتوهالي!

أمسك المعلم حنفي أم الديق بيد من حديد، ووطنها بقدمه الثقيلة بلا رحمة، فسقطت أم الديق أرضاً كمن ينكسر تحت وطأة القسوة. بينما كانت ليالي تتمسك بعنق جلال بيد من حديد، وصوتها يترنح بين الصرخات والبكاء، وهي تعول في وجهه بكل قوة:

=عايز تتجوز عليا يا جلال؟ بتخوني وأمك مساعدك بدل ماتعلمها غلطها؟ يالهواي يا بختك المايل يا ليالي ملكيش حظ في جوزك، وحماتك...يالهووي .
رد جلال بعصبية:

_أمي هي اللي جابتها يا ليالي مش انا... انا مليش دعوة باللي بيحصل!
نطقت ليالي قائلة بصياح منين:

=مش هسيب أمك...مش هسيبها!
تحدث ضايع بإجرام:

_سيبوها عليا .

نشب ضايع بأم الديق بقوة، وربطها بحبل متين كسلسلة تقيدها، وهي تصرخ بينما تتألم تحت ضغط القيود. في الوقت نفسه، خرجت ليالي من الحظيرة وهي تنتحب بشدة، تحمل عبء الألم في عينيها المشرقة بالدموع. وبعد قليل قابلتها نعمة، وهايدي أثناء سيرهما في طريقهما، وفي لحظة من التضامن، عانقتها نعمة، وقالت بصوت ينبعث من داخل قلبها المتألم:

=خلاص يا ليالي...خالي خد أمي هيعلمها غلطها .
ردت ليالي بانتحاب:

_أمكم بتكرهني...عايزه تخربلي بيتي، انا كنت قصرت مع أخوكي في ايه؟ ماجيبته الواد، والبيت، وبعمله أكله وشربه!

تحدثت هايدي بتأثر:

=اهدي يا ليالي من فضلك...احنا هنطفش أستاذة مي دي، وهنعرف ازاي نأثر على تفكير ماما!
ردت ليالي ببكاء:

_ياريت ياختي تبقوا عملتوا فيا جميل .

في الداخل، كان ضايع يمسك السوط بيد من حديد، وكانت عبارة الاعتبار تتعالى من بين أسنانه، فهو يعاتب أخته بكلمات مؤلمة تنبعث منها رائحة الانتقام، قائلاً بصوت ينم عن الانزعاج:

=ينفع اللي بتعمليه ده يا بسمة ياختي؟

ردت أم الديق باستنكار:

_وآني عملت ايه ياخويا؟

تحدث المعلم حنفي بامتعاض:

=يا ولية يا بت ستين جحش، مش هتبطلي اللي بتعمليه ده؟

نطق جلال بعصبية:

_قولها بابا انت وخالي...أمي بتخربلي بيتي، وعايزاني أطلق ليالي وأتجوز غيرها !

استخدم ضايع عقله، ووجد نفسه يفكر بعمق في الخطوة التالية، وبعد تفكير دقيق، قرر أن تربية أم الديق ستكون على يد زوجها، فهما يمثلان ثنائياً معتاداً على العيش وسط المشاكل وتجاوزها. ولكن ضايع يعرف جيداً أنه أخوها، وإذا انتهك حقوقها أو ارتكب أي سوء في حقها، فلن يغفر لنفسه هذا الخطأ، فقال في نفسه بحزم:

=انا مش همد ايدي عليكي ياختي...انا هخلي جوزك هو اللي يربيكي .
 أما المعلم حنفي، فأعطاه السوط بيديه معبراً عن قراره الحاسم، وفي هذه الفرصة الفريدة التي سيمناها له القدر على استعادة حقه المهضوم، وقف المعلم حنفي إزاء أم الديب، ورفع السوط بيده بتصميم واضح على تنفيذ العقاب المستحق. وفي هذه اللحظة الحرجة، صرخت أم الديب بصوت مليء بالاستغاثة، تحاول بكل قوتها تجنب مصير الجلد، وتناشد المعلم حنفي بقولها:
 _لا كله إلا حنفي...ابعدوه عن طريقي يا راجل منك له .
 تراجع المعلم حنفي خطوة إلى الوراء، فزاد صدى صرخة أم الديب في الغرفة، كانت تتردد في أركانها كصدى موسيقى مؤلمة. ومن جديد، انطلقت كلماتها بصوت يتخلله العجز:
 _هتعمل ايه ياخويا؟

رد المعلم حنفي بنبرة انتقامية:

=هجتلك وأشرب من دمك!

صوب المعلم حنفي ضربة من السوط على جسد أم الديب، كانت ضربة مبرحة يرتعش بها جسدها، فاندفعت صرخة مؤلمة من أعماقها، كانت تنبعث منها بكل قوة العذاب. وفي وقت الألم اللافت، خرجت كلماتها بصوت ينبعث منه الاستغاثة:
 _جتتي...الحقوني !

جلد المعلم حنفي أم الديب بالسوط للمرة الثانية، ضربة ترسم على جسدها بالألم، وفي تلك اللحظة القاسية كأنه يتلذذ بما يفعل، فكانت كلماته تتردد بصوت مليء بالجبروت:

=تستاھلي...خدي يا ولية خدي!

بينما كان المعلم حنفي يواصل وطؤه لأم الديب بالضربة الثالثة، انعكست عبارة الإذلال، والظلم على وجهها المنهك، وكانت صرخاتها تترنح بين الألم، والاستجداء بالرحمة. في الوقت نفسه، عادت ليالي إلى منزل أهلها، ووجدت نفسها جالسة وحدها، تفكر في خطة محكمة لاسترداد حقوقها المختلسة على يد أم الديب، فنطقت بابتسامة تنم عن التخطيط المحكم:
 _انا هعمل الصح معاكي يا حماتي.

دخلت ليالي غرفتها بخطوات واثقة، وارتدت ملابساً جديدة تعكس قوتها، وأخذت حقيبتها بقبضة محكمة، واتجهت نحو القاهرة بعزم لا يلين. وعند وصولها إلى الكبارية التي تعمل فيها الراقصة التي كان المعلم حنفي ينوي الزواج منها، اقتربت من الحارس بثقة وسألته بصوت متألّق بالاستعداد:
 =بقولك ايه ياخويا !
 رد الحارس بثبات:
 _قولي .

نفوھت ليالي بفضول:

=ست مريم فين؟

رد الحارس:

_لا دي عندها وردية بالليل مش دلوقتي .

نطقت ليالي باهتمام:

=متعرفش مكانها فين؟

رد الحارس باعتراض:

_مقدرش أقولك .

ألحت ليالي بشدة على الحارس حتى وصلت إلى عنوان منزل الراقصة، وكانت مشاعرها تتقلب بين الحيرة، والقلق. وعندما وصلت، كانت ليالي مترددة في تنفيذ خطتها، لكنها استجرات وطرقت الباب بقوة، وكانت نبضات قلبها تتسارع بشدة، حتى جاءت الراقصة وهي تمضغ العلكة، وفتحت الباب، ونظرت لليالي وهي تشبه عليها، قائلة بغموض:

=انتي مين يا بت؟

ردت ليالي بتلعثم:

_سلامو عليكو يا ست مريم .

تفوهت الراقصة، وهي تأكل العلكة بطريقة عشوائية، وتكبحها، قائلة بطريقة لاذعة:

=مين ياختي انتي تعرفيني؟

ثم نظرت لها نظرات مُرببة، وهي تتفحصها من بداية رأسها لأقدامها، فقالت ليالي بصوت مهزوز:

_عايزاكي في كلمتين...مش هكتر عليكى .

ردت الراقصة، وهي تكبح العلكة للمرة الثانية:

=أدخلي .

ثم نادى الخادمة، وقالت بنبرة وضيعة:

=بقولك ايه يا منيلة، اعمليلي فنجان قهوة يظبط دماغي، بدل إزارة البيرة اللي شربتها امبارح لواحدى .

وضحكت ضحكة فاسقة مغمورة بالجرأة، ثم نظرت لليالي، وهي تكبح علكتها قائلة بفضول:

=عايزه ايه ياختي؟

جلست الراقصة، وليالي على الأريكة، فكانت ليالي ترتجف من شدة خوفها لمنظر المنزل المليء

بالزجاجات الفارغة للخمر، وأكياس الحشيش، ورائحة دخان النرجيلة. فقالت بصوت مرتجف:

_كنت عايزه أقولك....

ردت الراقصة بتعجب:

=مالك كده؟ أوعي تكوني عيانة... أه احنا مش ناقصين، ولا أقولك استنى أجيبك إزارة بيرة تعدل

دماغك، شغل دماغك تعبانة!

صرخت ليالي، وقالت برهبة:

_لا... انا جايه في كلمتين وهمشي عالطول !

ردت الراقصة، وهي تأكل العلكة باندماج، كأنما تحاول الهرب إلى عالم آخر، وعيناها تتجولان في

البهو بلا هدف محدد كما لو أنها تبحث عن مخرج من الواقع المرير:

=قولى .

أجابت ليالي بتوتر:

_المعلم حنفي اللي هو حمايا....

بترت الراقصة حديث ليالي، وضربت يدها على صدرها بقوة، وشهقت قائلة بصوت متجاوب مليء

بالأسى:

=يخيبه، هو انتي تبعه يا بت؟ وجايه عايزه ايه؟

ردت ليالي بخوف:

_ لا ده لسه بيحبك... انا امبارح سمعته بيتكلم مع صاحبه وبيقوله أنه بيحبك، ووحشته أيامك، وأنه ملقاش حد حنين عليه غيرك!
ضحكت الراقصة ضحكة طويلة مليئة بالسخرية، وقالت بصوت مستفز:
=ياختشي من ناحية حنين فانا حنينة أوي .
قالت ليالي بتردد:
_ طب ما... ما... ما...
ضربت الراقصة بيدها على ساق ليالي، وهي تضحك هستيريًا، قائلة بنبرة ساخرة:
=مالك ياختشي؟ ماتفكي كده !

نطقت ليالي بفزع:

_ ارجعيله ده معاه فلوس على قلبه قد كده .
ردت الراقصة، وهي تمضع العلكة بتفكير عميق:
=أه ده سُهن يا بت، بس على مين؟ انا دماغى شغالة .

نطقت ليالي بمكر:

_ وهو حد يقدر يقول غير كده؟ انتي بس ارجعيله يمكن تستفادي بالقرشين اللي معاه .
ردت الراقصة بخبث:
=فكرة برضة... هجيله بالليل يا حبيبتشي .

عادت ليالي إلى شقتها، وكانت تشعر بالانتصار على أم الديب، فوجدت نفسها جالسة على سريرها، تتأمل في غموض اللحظات التي عاشتها. وفي ذلك الوقت الحساس، دخل جلال بصمت فوجدها، فتعجب وجهه من مشهد الهدوء، والتفكير الذي تعيشه ليالي، حيث قال بلطف:
_ انتي هنا يا ليالي؟ ماتسيبك من اللي أمي عملته، مانتى عارفة يا ليالي إني مش عايز أتجوز البت اللي أمي جايبهالي دي!
يتبع....

الفصل السادس والعشرون

ردت ليالي بسخط:

_ ملكش كلام معايا يا جلال... انا قاعدة في بيتي، ومش ماشية منه... عايز تمشي امشي، وشوفلك حته تانية !

رد جلال باستياء:

=وانا ذنبي ايه يا بت؟ مانتي عارفة أمي دماغها ناشفة، ومش بتحبك!
أجابت ليالي براهية:

_ قال انا اللي بموت فيها، دي ولية هم جاتها ميت مصيبة تاخدها!
رد جلال بانفعال:

=ماجرا ايه يا ليالي؟ دي أمي برضة !

نطقت ليالي باهتياج:

_ حنيت ياخويا لأمك دلوقتي؟ أمك اللي عايزه تخرب بيتي!

استنّ جلال المطوى من جيبيه، وهتف بصوت مفعم بالحدة:

=اسمعي يا ليالي هما كلمتين، ياما تتعدلي معايا، ياما تروحي على بيت أهلك!
تسمّرت ليالي في مكانها، وصرخت بصوتٍ مبجوح:

_ بترفع عليا المطوى يا جلال... بقى دي اخرتها؟

رد جلال بلا مبالاة:

=أه برفعها عليك يا ليالي، ويلا اتكلي على الله متعمليش لينا وش، ووجع دماغ!
صرخت ليالي في وجه جلال قائلة:

_ مش هسيبك .

أمسكت ليالي بجلال وهي تغلي من الغيظ، وكتفته بقوة من عنقه، ثم خلعت نعلها وضربته على ظهره صارخة:

_ مش هسيبك يا جلال، وانا هعلم أمك الأدب... أمك الضايعة، أمك الغبية، أمك اللي مابتفهمش، أمك اللي شبه البقرة !

زمر جلال وهو يجاهد لإبعادها عنه، قائلاً بجلبة:

=أه رقبتي... الحقوني... أه... أو عي يا بت !

صرخت ليالي قائلة:

_ مش هسيبك .

وطأها جلال بساقه الطويلة في بطنها بقوة عارمة، فسقطت مغشياً عليها وهي تنزف الدماء. انحنى جلال نحوها ورجّها بذعر، قائلاً بخوف:

=ليالي اصحي، قومي يا بت... ايه اللي حصلك؟ مكنش قصدي... قومي .

بينما المعلم حنفي لم يفارق ضرب أم الديب، حتى انبثقت الدماء من جسدها، وهي تصرخ بوجع لا يُطاق:

_ يا لهوي .

ثم فقدت وعيها حتى جاء ضايع متجولاً بالقرب من المعلم حنفي، وقام بسحب السوط من يده، وصاح:

=كفاية كده يا معلم، انت ايدك موجعتكش؟ يلا خذ مراتك وعلى البيت، ورايا ثلاث حالات سرقة النهارده، واثنين قتل... انتوا كده بتعطلوني!
 في الواقع، عاد المعلم حنفي إلى المنزل بأمر الديب، وكأنها محمولة على أيدي شياطين، وأخرجها من السيارة النصف نقل بجهد ملحوظ، حتى وصلا إلى باب المنزل، حيث بذل جهداً كبيراً لسحبها برفق عبر السلالم المتعبة. وبعد وصولهما إلى الشقة بأمان، دخل بها ووضعها بقسوة على الأرض، لتستريح. وبينما هايدي خرجت من غرفتها متعجبة، لم تتمالك نفسها إلا وهي تقول بتساؤل:
 _ايه ده يا بابا؟ ايه ده؟

صاح المعلم حنفي قائلاً بسخط:

=ادخلي جوا يا بت...مسمعش صوتك، يلا !

خطت هايدي إلى غرفتها بخوفٍ مترقب، وصكت الباب خلفها، وفي تلك اللحظة الهادئة، وبينما المعلم حنفي يتنفس ببطء، انخرط في تحضير محلول التعذيب، تلك الخلطة المريرة من الماء، والملح، ونكهة الليمون الحادة. وعندما أطلق المحلول على جسد أم الديب، اشتعلت صرخات الألم وسط الصالة، كشعلة تترنح في أعماق الجحيم:

_يا خرابي...جنتي بتاكلني... يا لهوي...الحقوني .

في لحظة من الضعف، فقدت أم الديب وعيها مرة أخرى، كموجة تتلاطم في بحر الألم، تُغرقها في عمق اللاوعي. بينما جلال، الزوج المخلص، نقل زوجته العزيزة إلى أروقة المستشفى، وكان ينتظرها بقلبي شديد أمام باب غرفة العمليات، وجسده يرتعش خوفاً من أن يحدث لها أي مكروه. وفي داخله، تجاذبت مشاعر الأمل، واليأس، كالمدم، والجزر في بحر القلق، يبحث عن مرسى ليقينه فقال:
 =استرها يارب .

خرج الطبيب من غرفة العمليات، ووقف إزاء جلال، فسأله بترقب:

_انت اللي ضربتها؟

رد جلال بتعجب:

=ايه يا معلم بتتكلم عن مين؟

نطق الطبيب بجدية:

_مراتك عندها نزيف في الكلى، وشكلها اتعرضت لضربة قوية .

صاح جلال بصوتٍ متوترٍ قائلاً:

=هايدي المصيبة، والحل ايه يا دكتور؟

رد الطبيب:

_عموماً لما هي تفوق هنعرف منها اللي حصل .

غادر الطبيب المكان، فشعر جلال بأنه قد تورط في مشكلةٍ جسيمة، ووضع يده بتوتر فوق رأسه، وهو يغمس في بحور القلق، قائلاً بخوفٍ يتلوه ترددٌ مُخيف:

=يا مصيبيتي السوداء...هروح في داهية!

فيما كان المعلم حنفي يجلس على الأريكة، سمع صوت طرق الباب يتردد في أروقة البيت، وبعد لحظاتٍ من التردد، فتح الباب ليُفاجأ بالراقصة. اندهش المعلم حنفي بشدة عند رؤيتها، فدخلت الراقصة دون استئذان، وألقت بكلماتها:

_ازيك ياخويا؟ ليك واحشه.

رد المعلم حنفي بدهشة:
 =انتي ايه اللي جابك هنا؟
 أجابت الراقصة برومانسية:
 _جيتلك ياخويا...مش انا وحشتك؟
 رد المعلم حنفي بحزنٍ عميق، وترنّحت دمعة على حافة عينه، كأنها تحاول الهرب من دموعه المحتجرة:
 =انتي سييتي فيا أثر كبير !
 ضحكت الراقصة، وقالت:
 _أمال انا جيت ليه؟
 مرت فوق جسد أم الديب الملقى على الأرض بلا حراك، وكأنها كتلةٌ مهملة في زوايا النسيان. ثم أمدت الحقيبة للمعلم حنفي، وقالت بصوتٍ مسرور:
 _هدخل ياخويا أخذ شاور ألا الجو نار...معندكمش دش عدل ولا ايه؟
 رد المعلم حنفي بسعادة:
 =الدش هنا زي الفل .
 أخرجت الراقصة المفاتيح من جيبها بحركةٍ بالغة الحرص، وسلمتها للمعلم حنفي بينما تتلأأ في عتمة الصالة، وقالت:
 _طيب خذ بالك من حاجتي...إياك تضيعها .
 دخلت الراقصة المرحاض لتغتسل، وبعد مرور عشر دقائق، استفاقت أم الديب من غيبوبتها، واستمعت إلى صوت الماء وهو يتدفق في داخل الحوض، فوقفت بحذر على قدميها، وعبرت بتعبٍ واضح في صوتها:
 =مين اللي جوا؟
 فتحت أم الديب باب غرفة هايدي لتجدها نائمة بسلام، وفي الزاوية الأخرى كان المعلم حنفي يغفو على الأريكة، غافلاً في أحضان النوم العميق. وبينما كانت همسات المرحاض تعانق جدران المكان، اقتحمت أم الديب المكان لتجد الراقصة تستحم، فانفجرت الراقصة في صرخةٍ مفزعة، وحاولت بكل يأسٍ وضع يدها على جسدها لتستره، وهمست بعذوبةٍ مرتجفة:
 _يا لهوي .
 سقط المعلم حنفي فوراً من على الأريكة عند سماع صدى كسر الباب، بينما اختبأت الراقصة عقب الستار، واقتربت أم الديب منها، وكانت تنوي قتلها بيدها المرتجفة، فنطقت بصوتٍ غليظٍ ينطلق من بين شفثيها المتجمدتين:
 =انتي بتعملي هنا ايه يا بت الكلب؟
 صرخت الراقصة بصوتٍ مكتوم ممزوج بالخوف، ولطمت وجهها بيديها المرتجفتين، قائلة بصوتٍ متوتر:
 _يا مصييتي انتي عايزة مني ايه؟ حد يكسر الباب على حد كده؟
 تحدثت أم الديب بصوت غليظ:
 =بتستحي عندنا ليه يا بت؟

فجأة، تشبثت أم الديب بشعر الراقصة بقوة، وهشمتها تحت يدها، مُكثِّرةً لها أسرارها، وعوراتها كما خلقها الله، أما المعلم حنفي، فاخْتبأ أسفل الأريكة وهو يرتجف من الذعر، وفي الداخل، كانت الراقصة تعول، وهي تتلقى وطناً أم الديب القوية، حتى نطقت بصوتٍ مكتوم، وهي تستسلم للألم الممزوج بالرهبة:

_ يا مصيبيتي... ابعدي ايديك يا كورة انتي... يا لهوتي!

قالت أم الديب، وهي توطئها بنبرةٍ كامدة، ومتحدية:

= ده أني هخلي جتتك كلها شبه علبة الألوان... هخليكي محدش يبص في وشك تاني يا بت!
تفوهت الراقصة بصداح، وهي توطئ وجهها بانتفاضة:

_ ماتلحقني يا حنفي... الحقني ياخويا الحقني، يا مصيبيتي... يا مصيبيتي!

أسقطت أم الديب الراقصة بقسوة على أرضية المرحاض، وجلست فوقها كسيدهٍ فارسة تسيطر على مملكتها المتعثرة. وفي تلك اللحظة الحرجة، خرجت هايدي على صوت صرخاتها المرتفعة، وحاولت بكل قوتها سحب أم الديب، لكنها فشلت في مواجهة عنفها الهائج. وفيما همت عائلة عم سلامة بتلقي الخبر الصادم، توجهوا نحو المواجهة مع جلال بحماس، واستعداد تام، حيث صرخ عم سلامة بغضبٍ محتد:

= عملت في بتي ايه يابن المركوب؟

صرخت تباهي قائلة:

_ يا عيني عليك يابتي .

اشتبك عم سلامة بجلال في مواجهةٍ مُلتهبة، فزمر جلال بقوة وهو يرفع صوته قائلاً:

= أو عى يا حمايا سيبيني في حالي... بتك هي اللي قرمتني، ومسكت فيا زي الكلب اللي ماسك عظمة!
رد عم سلامة، وهو يوطأ جلال بعنف، ويردد بصوتٍ محموم:

_ بتي لو حصلها حاجة... قول على نفسك يا رحمن يا رحيم!

صرخ جلال بينما يتلاحم مع الألم من ضربات عم سلامة:

= ما أو عى إيدك يا عم... انا مش عايز أمد ايدي، وانت عارفني مجنون وأعملها!

تحدثت تباهي بنواح:

_ يا خرابي... يا عيني عليك يا ليالي يا بتي، مشوفتيش غير الذل والقهر من ساعة ما اتجوزتني المخفي

ده .

اشتبكت تباهي مع جلال، ووطأته بينما كانت تتصارع بمساعدة عم سلامة في معركةٍ ضارية. وفي الوقت نفسه، في منزل أم الديب، نزلت بالراقصة بوقاحةٍ مثيرة في منتصف الشارع، وصوتها يتسلل إلى كل زاوية معلنة:

= تعالي يا بت الكلب... اطلع يا حنفي... اتفرج ياخويا اتفرج، مش ده المنظر اللي نفسك تشوفه ياخويا؟
تعالي اتفرج!

اجتمع أهل المنطقة بملابسهم، وأقمشتهم، وكلما اقترب أحدهم ليستر جسد الراقصة من الفضيحة، أمسكت أم الديب به، وألقته بعيداً، وهي تصدح بصوتٍ مرتفع قائلة:

_ اتفرجوا يا ناس... اتفرجوا .

جلست أم الديب بالقرب من الراقصة، وتشبثت في عنقها، وهي تتكأ عليها بعنف، فانطلقت كلماتها بصراخ مؤلم:

=مين اللي زكك علينا يا بت؟ انطقي!

ردت الراقصة بانتحاب:

_حاضر هقولك... هقولك.. دي.. دي .

تحدثت أم الديب بصوت غليظ:

=انطقي يا بت الكلب... مين اللي باعتك؟

ردت الراقصة ببيكاء:

_مرات ابنك، لكن انا مليش دعوة بحاجة... استريني اللي يسترك... انا مليش ذنب!

اندهشت أم الديب، فقالت بصدمة عارمة:

=ليالي اللي باعتاكي؟

ردت الراقصة بإعوال:

_أيوه يا حاجة هي اللي بعنتني... لكن أبوس ايديكي اعتقيني، كفاية فضايح!

تركت أم الديب شعر الراقصة من قبضتها، ووقفت مستقيمة، وهي تفيض بالنار، والدخان من عينيها، وانطلقت بخطوات ثابتة نحو دار عم سلامة. وعندما وصلت هناك، طرقت الباب بعنف عارم، كادت أن

تكسره بيديها المرتجفة، وهي تصرخ بصوتٍ مدوي:

=افتح يا سلامة يا دباح الحمير... افتح .

خرجت جارة تباهي من نافذة منزلها، وبينما تمايل شعرها بلطافة مع نسيمات الهواء، أطلقت كلماتها بلطف:

_عايزه ايه يا حاجة؟

ردت أم الديب بصداح:

=المخفي سلامة، وبته فين؟

أجابت جارة تباهي قائلة:

_ما براحة... هو انتي مسمعتيش اللي حصل؟ ليالي في المستشفى، وكلهم هناك .

اتجهت أم الديب نحو مستشفى القرية، ووقفت حيال موظفي الاستقبال بتصميم لا هوادة فيه. ثم طرقت الحائط بيدها بقوة من شدة سخطها، فصاحت بصوتٍ مُلتهب:

=بقولك ايه يا راجل منك له... فين البت ليالي بت سلامة؟

رد الموظف:

_استني يا حاجة هنشوف رقمها .

بعد أن نظر موظف الاستقبال في كشف الأسماء بتمعن، ألقى بنظرةٍ سريعة نحو الورقة، ثم أطلق كلماته بثبات:

_أه دي في الدور اللي فوق... أوضة رقم ستة .

صعدت أم الديب بسرعة للطابق العلوي، بينما كانت ليالي تنتحب بحرقة في غرفتها، وترفض مسامحة

جلال بعد الأذى الذي ألحقه بها، فنطقت بعزم:

=غور في ستين داهية تاخذك يا جلال .

نطق جلال بجلبة:

_ انتوا مش مكفيكم اللي عملتوه فيا؟ ده انتي، وأبوكي، وأمك عدمتوني العافية، وانا مرضتتش أمد ايدي عليهم علشان انا لو طلعت المطوى يبقى نقرأ الفاتحة على روح الكل!

ردت ليالي ببكاء:

=طلقني يا جلال .

تلفظ جلال بصدمة:

_ أطلقك يا ليالي؟

دخل حمو الغرفة بانفعال جسيم، وهو يصدق قائلاً:

=ستي البجرة جات .

تقشعر بدن جلال في الحال، وقال بصوت متردد:

_ هار أسود ايه اللي جابها؟

خرج جلال من الغرفة بسرعة، ووقف في طريق أم الديب. فوطنته بقوة، وقالت بنواح ينبعث من دواخلها:

=هي فين؟ هي فين اللي باعتالنا الرقاصة؟ ده أي هيثم عيالك يا بت سلامة .

رد جلال بانفعال جسيم:

_ ايه اللي جابك ياما؟

وفي الداخل، توترت أعصاب ليالي من شدة خوفها من رد فعل أم الديب. فنطقت بحروف متلعثمة:

=يا نهار أسود... يا نهار منيل... يا نهار قطران .

نطقت تباهي بتعجب:

_ ايه اللي حصل يا بت؟

رد عم سلامة بدهشة:

=حماتك مالها جايه تتخانق ليه؟

تحدثت ليالي برهبة:

_ مشوها... ده انا هروح في داهية لو دخلت !

بينما في الخارج، كانت أم الديب تصرّ إصرارًا شديدًا على الدخول. فحاول جلال منعها، وقال بصوت متوتر:

=مش هتدخلي ياما !

ردت أم الديب بصياح:

_ هدخل يا ولا... انت هتمشي كلامك عليا ولا ايه؟ أني أدخل المكان اللي يعجبني!

أجاب جلال بجلجلة:

=مش هتدخلي ياما... وانا قولت كلمك وخلص الكلام .

ردت أم الديب بانتقام:

_ يعني مش هتدخلي يا ولا؟

نطق جلال بسخط:

=لا ياما مش هدخلك .

اتجهت أم الديب إلى منزل سعاد، وبينما كانت تتوجه نحو الباب، انتابتها مشاعر متضاربة من الشوق لرؤية ابنة أختها العزيزة. ولكنها وجدت البيت خاليًا، حيث كانت سعاد قد غادرت لإجراء عملية جراحية

في مدينة أخرى. عندما التقت بمي، لم تتمالك أم الديب دموعها وعانقتها بشدة، كما لو أنها تحمل كل ألمها، وفرحها في هذا اللقاء العفوي. وفي تلك اللحظة، كانت كلمات مي تُضئ وجهها وتملاً قلبها بالسرور:

_ازيك يا حماتي؟ وحشاني أوي يا حماتي... فينك؟

ردت أم الديب بسعادة:

=ازيك يا بت عامله اية؟ يلا عشان تتجوزي جلال .

نطقت مي بلهفة:

_بجد يا حماتي هتجوزه؟

ردت أم الديب بسعادة:

=أيوه يا بت...يلا البسي فستانك وتعالى .

دخلت مي غرفتها بلهفة عارمة، حيث ارتدت فستانها الريفي البسيط ذو اللون الأبيض الناعم، الذي أبرز جمالها الطبيعي. وعندما خرجت لتلتقي بأم الديب، كانت محاطة بسعادة مُفرحة، فلم تتمالك أم الديب إلا أن تعبر عن فرحها وتبتسم قائلة:

_ايهي زي القمر يا بت... هو في كده؟ أحسن من المخفية ليالي...يلا بينا .

ثم ذهبوا سوياً للمأذون، حيث استقبلهم بترحاب. فلما رأهم، قال لهم بابتسامة ودية:

=هنكتب الكتاب غيايبي بإذن الله .

ردت أم الديب ببهجة:

_اتكل على الله يا راجل انت .

بعد نصف ساعة من الترتيبات، انتهى المأذون من كتابة قسيمة الزواج المزورة، ليسرع في التخلص من إلحاح أم الديب. ومجرد أن أنهى كتابة القسيمة، هربت أم الديب برفقة مي، وهي تحمل القسيمة المزورة، وانطلقت بسيارة نصف نقل متجهةً نحو المستشفى وسط أصوات الطبل البلدي، والمزمار، مثيرَةً دهشة عم سلامة الذي تساءل بدهشة:

=ايه صوت الزفة دي؟

رد جلال، وهو يشبه على صوت المرأة التي تصيح، محاولاً استعادة الهدوء في وقتٍ مضطرب:

_ده صوت أمي!

خرج جلال، وعم سلامة لينظروا من النافذة، فانصدم الجميع من رؤية رقصات أم الديب مع مي فوق السيارة النصف نقل، حيث كانت العروس ترتدي فستان الزفاف بفخر. فأدركت ليالي ما يحدث، وهي تعبر بإعياء، وارتباك:

=قوميني ياما...اسنديني !

ردت تباهي بقلق:

_بلاش يابتي انتي تعبانة !

تحدثت ليالي بسخط:

=اسمعي الكلام ياما...قوميني!

ردّ عم سلامة بعصبية، وكأن نار الغضب تتأجج في صدره:

_قوميتها أما نشوف أخرتها ايه مع المرا اللي اسمها بسمة!

وقفت ليالي على قدميها بمساعدة والدتها، واتجهت بخطوات متثاقلة نحو النافذة، حيث كانت تشاهد رقصات أم الديب مع مي. وضعت ليالي يدها على خصرها المنهك، ثم خرجت من الغرفة وهي تجر أذيال التعب. فتبعها جلال على عجل، وقال بتعجب:

=رايحه فين يا ليالي؟

ردت ليالي بنفور:

_أوعى يا جلال... انا مش هسيب أمك .

تحدث جلال بقلق:

=يا بت مينفعش... انتي تعبانة!

لم تهتم ليالي لحديث جلال، وتابعت طريقها دون أن تلتفت، وهو ما زال يلاحقها كظنها. حتى نزلت إلى الطابق السفلي، حيث اعترضتها الممرضة ومنعتها من الخروج قائلة بحزم:

_ممنوع الخروج!

نطق جلال بانفعال، وهو يخرج المطوى من جيبه كالنمر المقترس:

=اسكتي يا ولية انتي بدل ما أعملها معاكي !

ارتعبت الممرضة، وعادت إلى مكانها قبل أن ينقض عليها جلال ويؤذيها. وفي تلك اللحظة، جرت ليالي مُسرعة نحو أم الديب وهي تصرخ قائلة بفرع:

_هقتلك يا حماتي انتي والمخفية اللي جايها لابنك .

تحدثت أم الديب بسعادة:

=هات يا واد الميكروفون ده .

أمسكت أم الديب بالميكروفون، وقالت بفرح غامر:

_الواد جلال ابني اتجوز الحلوة دي... ألف مبروك .

وأطلقت الزغاريد التي ملأت الأرجاء، فصاح جلال قائلاً بجلبة:

=انا متجوزتش حد ياما... في ايه؟

اقتربت مي من جلال برومانسية، وهمست بدلال ساحر:

_انا بقيت مراتك يا جلال .

انقضت ليالي نحو مي بجنون، وبدأت بوطئها بشدة، وهي تصرخ بانفعال:

=انتي هتشاركيني في جوزي يا بت الحمير؟ ده جوزي لواحدي، هو انتي فاكرة انك تقدري تاخديه

مني؟ تبقي عبيطة!

عولت أم الديب بصوت عالٍ قائلة:

_يا خرابي بتضرب دُرتها... ماهي بت متربتش .

قفزت أم الديب فوق ليالي، ولم تتردد الأخيرة في خلع نعلها، ثم ضربت به أم الديب فوق رأسها. فصاح جلال قائلاً:

=ايه اللي انتي بتعمليه ده يا ليالي؟ دي أمي!

كلما حاول جلال بعناء إبعاد ليالي عن أم الديب، زادت إصرارًا في تمسكها بها، حتى بات الصراع يشند

بين الثلاث نساء، وجلال في المنتصف بينهم، كلٌ يحاول أن يسحب الآخر نحو طريقه. وفجأة، تركوا

بعضهم البعض وتجمعوا حول جلال، فصدح قائلاً باندهاش:

_حد يلحقني !

خرج رجال الأمن وأعادوا ليالي إلى غرفتها بالقوة وسط مساعدة من عائلتها، في حين عادت أم الديب إلى المنزل برفقة جلال، وعروسته مي. وفي لحظة من الغضب، صاحت قائلة:
=اطلع فوق انت وعروستك يا ولا .

رد جلال بانفعال عارم:

_مش طالع ياما... هو بالعافية؟

اقتربت مي من جلال بلطف، وهمست بكلمات رومانسية تملأ الأجواء:

=اطلع معايا يا جلال .

أزاح جلال ليالي جانبًا بقسوة، وصاح بصوت مرتفع قائلاً:

_ماتخوري في داهية!

برقت عينا أم الديب لجلال، وتغلظ صوتها بشكل ملحوظ قائلة:

=انت بتجولها غوري في داهية؟

أجاب جلال بفزع:

_لا لا... ده انا...

تفوهت أم الديب بامتعاض:

=انت ايه؟

رد جلال باستسلام:

_هطلع أهو ياما .

قالت أم الديب بصوت حاد:

=اطلع...ناس مابتجيش إلا بالعين الحمرا .

خرج جلال مع مي وصعدوا الدرج متجهين إلى الشقة، بينما نظرت أم الديب حولها بحثًا عن المعلم

حنفي، ثم صرخت قائلة:

_انت فين يا حنفي؟

بحثت أم الديب عن المعلم حنفي في كل زاوية من أركان الشقة، حيث استقصت كل تفصيل وكل ملامح

الغرفة بتركيز واضح. وبعد دقائق، خرجت هايدي من غرفتها، وقد كانت ترتجف من الخوف، فعبرت

أم الديب بتعجب:

_مالك يا بت بتترعشي ليه؟

تجرات هايدي، وقالت بترقب:

=انا تعبت من مشاكلكم دي .

صاحت أم الديب في وجه هايدي بغضب متقد قائلة:

_اللي مش عاجبه ياختي يترزع في أوضته وميطلعش... ادخلي جوا .

ارتجفت هايدي من رهبتها، وهي تدخل الغرفة، وكأنما ترسم خطواتها بأنغام الرعب، وهمست بكلمات

تنبعث منها رائحة الخوف، قائلة:

=حا... حاضر .

أكملت أم الديب رحلة البحث عن المعلم حنفي، حيث استمرت في التفتيش في كل زاوية، وركن من

الشقة، حتى وصلت إلى نقطة اليأس. ثم، بصوت متعالٍ، ومليء بالضيق، قالت بصياح يعبق بالعصبية:

_يا حنفي .

لكن المعلم حنفي كان يلطم وجهه بيديه المرتجتين، وهو يختبأ تحت الأريكة، من شدة ذعره الذي أعمى عقله، وقلبه، متوسلاً بصوت مكتوم قائلاً:

=يالهوري ياني ياما .

بعد أن باءت محاولات أم الديب في العثور على زوجها بالفشل، استراحت على الأريكة، وكأنها تحتضن الإحباط. ثم، انغمست في حوار مع ذاتها، حيث عبّرت بصوت هامس:

_ أه يا عظمي... قال ايه الواد مش عاجبه البت مي، وهو كان يلاقي ضوفرها؟

أسفل الأريكة، كان المعلم حنفي في مأزق جسيم، محصوراً تحتها بحيث لا يستطيع التنفس. بينما يعاني من شدة الضغط، والألم، نطق باختناق قائلاً:

=يالهوري نَفسي... قومي يا ولية هموت .

لسوء الحظ، سمعت أم الديب صوته وهو يعاني تحت الأريكة، فردت بتركيز شديد، قائلة بصوت مليء بالانتباه:

_ هو أني سمعت صوت ولا بيتهيلي؟

استقامت أم الديب وهي تبحث عن مصدر الصوت، وصاحت بقوة وهي تتحسس الجوانب:

_ انت فين يا حنفي؟

لمحت أم الديب بطرف عينها جزءاً من جلباب المعلم حنفي، ففهمت في تلك اللحظة أنه متواجد تحت الأريكة. بمواجهة الواقع الصعب، أمسكت بالأريكة بقوة ورفعتها بكل جسارة، فانبعث المعلم حنفي من

تحتها، وهو يصرخ بأعلى صوته. لم تتردد أم الديب في مواجهة الموقف، بل أمسكت بعنقه بيديها

الاثنتين، وقالت بنبرة حادة تعكس استيائها:

_ انت بتعمل هنا ايه يا رجل انت؟ بقى تضربني بالكرباج في الزريبة، وترش عليا ملح بليمون؟ فاكروني

طبق ترمس؟ لأ واه جاييلي الرقاصة تستحمى عندنا

...ده انت ليلتك مش فايتة!

تشبثت أم الديب بجلبابه بقوة، ورفعته لأعلى مع كلماته الملتهبة، وهو يصرخ بفزع قائلاً:

=لا .

في شقة جلال، كانت مي تتشبث بأحضانه بينما هو يبتعد عنها بحذر، تجاهل لمساتها بكلمات لا تُسمع،

فأعرب بعبوس:

_ ابعدي عني يا بت !

ردت مي بدلال مبالغ فيه:

=بحبك يا جلال بحبك !

نطق جلال بسخط:

_ انزلي عن نفوخي بدل ما أعملها معاكي!

نفوخت مي بصوت رهيف:

=اعمل اللي تعمله، مفيش حاجة هتغير صورتك في عيني !

أجاب جلال باشمئزاز:

_ ايه الرخص ده يا بت؟ ده أني مشوفتش خالتي سألت فيكي لحد دلوقتي... انتي ازاي أهلك سايبينك

مطلوقه زي الكلبة البلدي؟

اقتربت مي من جلال بثقة متزايدة، حتى أصبحت على بُعد مسافة قليلة منه، وقالت بصوت هادئ، وملية بالحنان:

=مش تدي نفسك فرصة، وتعرف ده حب ولا رخص؟

ابتعد جلال بعدة خطوات عنها، وهو ينظر إليها بعيون مليئة بالكمد، وقال بصوت مرتفع، وملامح وجهه متجمدة بالسخط:

_ لا بقولك ايه ده انا جلال يعني صايح أوي، ومش عايز أمد ايدي عليكي!

اقتربت مي من جلال بثقة لافتة، تجاهلت تمامًا تعبيرات وجهه المتجمدة، وقالت بصوت ثابت، وبلا مبالاة:

=مدها ولا يهك .

ابتعد جلال عنها، وقال بتردد:

_ لا بقولك ايه، انا بحب ليالي مراتي ومش هتجوز حد غيرها... لا تكوني فاكرة انك خدتينني منها!

اقتربت مي بخطوات ثابتة، وحاولت أن تعانق جلال بقلب عاشق، وقالت بلطف:

=مانا خدتك منها بحق وحقيقي .

وقف جلال في مكانه بصمت مريب، وأخرج المطوى من جيبه بحركة بطيئة، ثم قال بصوت محمل بالتهديد:

_ ابعدي يا بت ألا اشقك!

قبل أن تصل مطواة جلال إلى جسد مي، ارتفع صوت وطء قوي جدًا، فاستفاقوا جميعًا بدهشة. خرج جلال بسرعة مذهلة، ليجد المعلم حنفي نائمًا على أرض الشارع. وبينما أم الديب تقف في البلكونة، تقوم

بتمحيص كفها بكف الآخر، ثم بصقت بجوارها قائلة بغضب متأجج:

=علشان تدايقني بعد كده ياخويا... يلا جاتك داهية انت واللي خلفوك .

عادت أم الديب إلى الشقة بثقة، كأن شيئًا لم يحدث، واتجهت مباشرةً للمطبخ. استخرجت من الثلج أبو

قردان ووضعته جانبًا لينفك ثلجه، ثم أمسكت بالبطاطا الفاسدة وبدأت في تقشيرها بمهارة. قررت أن

تصنع طاجن البطاطا بالصلصة مع طبق سلطة الخضروات، وفي الأعلى كان جلال يراقب الأحداث

بصدمة، فقال بصوت مرتفع:

_ هار أسود... ده أبويا !

لم تكثرث مي بما حدث للمعلم حنفي، فقد جاءت لغايتها الوحيدة وهي جلال. اقتربت منه بخطوات واثقة، وهي تحاول بجميع قواها أن تعانقه، كما تحاول استئصال أي مسافة تفصل بينهما، وقالت بصوت

ملية بالشوق:

=سيبك من أبوك، وتعالى معايا انا!

أزاح جلال مي من إزائه بقسوة مفاجئة، وصاح بصوت مرتفع ملية بالاستياء:

_ يخربيت اليوم اللي شوفتك فيه، ماتبعدي عن جنتي... انتي لابسك عفريت في موسم التزاوج؟

ردت مي بدلال:

=جرب تحبني هتلاقيني أحلى من مراتك... حتى مراتك أي كلام مش زي انا !

بغضب مَنين، أبعدها جلال عنه بحركة قاسية، وفي نبرة صوته ترتفع الموجدة، وقال بجملته قصيرة،

ومباشرة، تعكس قسوة مشاعره:

_ لا بقولك ايه، شكلي هبدأ اتعبط، انا كل ده وماسك نفسي عشان ممدش ايدي على واحدة !

أفلت جلال يده بعنف من قبضة مي، وهبط بسرعة دراماتيكية نحو والده، بينما كانت مي تجري عقبه محاولة اللحاق به. ما زالت تمسك فستانها بيدها بإصرار لا يلبين، وهي تصرخ بكل قوة:
 =استنى يا جلال...حبني زي ما بحبك!
 صرخ جلال بصوت ملتهب وهو يجري، معبراً عن حالة من الانزعاج، قائلاً:
 _يا شيخة كرهتيني في أم الحب...سيبيني في حالي .
 جلس جلال بالقرب من رأس والده، وعبر عن خوفه الشديد بتعابير وجه مترقبة، وقال بصوت مرتجف:
 _اصحى بابا مالك؟

بعد أن تفحص جسد والده، انصدم جلال بما يخرج منه من دماء، فاندفعت صرخة من قلبه، قائلاً
 بصوت ملتهب بالفزع:
 _بالهوي أبويا بينزل دم !

رفع جلال والده على ذراعه بجهد هائل، وهو يحاول بكل ما أوتي من قوة الذهاب به إلى السيارة، لكن مي اقتربت منه برغم أن الظروف لم تكن مناسبة، وسحبته بقوة من ذراعه، قائلة بود:
 =تعالى معايا...انا ليا حقوق عندك زي ما ليالي ليها حقوق عليك!
 وطأها جلال بساقه بعنف، وصدح صوته بصياح كامد:
 _ابعدي عن وش اللي جابوني بدل ما أقتل قتيل دلوقتي!
 بينما في شقة أم الديب، كانت تجلس على الأرضية في الصالة، مشغولة بتقشير البطاطا، ووقتما كانت تقوم بذلك، كانت تغني بصوتها القبيح، وتردد بكلمات متناغمة:
 =رشوا الشارع مايه العروسة جايه..رشوا الشارع مايه بت العمدة جايه..رشوا الشارع كركادية دى بت عمدة، وبت بيه .

ثم تركت البطاطا وأوقفت الغناء، ونظرت إلى نفسها بتأمل، وقالت بصوت هادئ:
 =ايهي يا بختك المايل يا أم الديب في جوزك، وابنك، ومراته ينيلهم الثلاثة... ياترى انت بتخوني دلوقتي يا حنفي؟

ثم تبسمت بشماتة في داخلها، وأضافت بصوت مرتفع مليء بالاستهزاء:
 =زمان كلاب الشوارع كلت في لحمك...ولا ياخويا انت لحمك زفر ومزنج .
 خرجت هايدي من الغرفة بتردد، وهي تتحرك ببطء، وقالت بصوت متلعثم:
 _ماما .

ردت أم الديب بصوت حاد:

=عايزه ايه يا بت؟

أجابت هايدي بخوف:

_ينفع يا ماما أروح يعني ل...
 ردت أم الديب بصوت حاد:

=تروحي لمين؟

نطقت هايدي بتردد:

_أروح أقعد عند أحمد وجميلة يومين .

ردت أم الديب بجلبة:

=وانتي تروحي تهبيي ايه يا بت؟

ردت هايدي بضيق:

_عايزه أغير جو...زهقت من المكان المقرف ده .

استقامت أم الديب لتواجه هايدي، كما لو أنها تحاول تمليك الجراة، واقتربت منها بثقة متزايدة، قائلة:

=مكان مقرف؟ بيتنا بقي مكان مقرف؟

صاحت أم الديب بصوت ملتهب في وجه هايدي، كأنها تطلق طاقة سخط لا تُقهر:

=خشني جوا!

دخلت هايدي غرفتها، وكأنما ترقبت خوفًا يتسلل إلى كل خلية في جسدها، واتصلت بأحمد وهي ترتعش، تطلب منه أن يستضيفها في منزله، كمن تبحث عن ملاذ آمن في عتمة الليل. بينما كان جلال ينتظر والده بقلق لا يقاوم أمام غرفة العمليات، وكانت مي تلتصق به ك لصق بغراء، وفي الداخل، انتاب الطبيب صدمة عميقة لحالة المعلم حنفي، فقال بدهشة تامة:

_ياه ده عنده كسر في الحوض...هيجتاج عملية حالأ .

خرج الطبيب ليلقي جلال، فلما رأى جلال عبوره أسرع نحوه بقلق، وانتباه، وسأله بصوت مرتجف:

=طمنا الله يكرمك...أبويا ده راجل غلبان .

نطق الطبيب:

_هندخله العمليات، وهنعمل اللي علينا .

رد جلال بخوف:

=استرها يارب .

تذكر جلال فجأة أنه بنفس المستشفى التي تتواجد فيها ليالي، فانساب الرعب في جسده مثل أوراق

الخريف تتفتت، والتف حول نفسه بحركة مفاجئة، وقال بصوت مرتجف مليء بالخوف:

=يا سوادك يا جلال...أعمل ايه دلوقتي؟

اقتربت مي من جلال بخطوات هادئة، وألقت نظرة مطمئنة عليه، ثم قالت بصوت ناعم:

_افتحلي قلبك يا جلال .

نفوه جلال بصياح:

=ديك قلبي على ديك جلال... غوري !

خرجت ليالي من غرفتها وهي تتساند على ذراع والدها، ووالدتها، وعقبهم أبناؤها، كل واحد يعانق قلق

الأخر. وبمجرد أن رآهم جلال، خاف، ووضع يده على وجهه وكأنه يختبئ، وهو في اعتقاده أنه مستتر

بهذا الشكل. ولكن رآته ليالي واقتربت منه ببطء، وقالت بصوت مليء بالعتاب:

_بتتجوز عليا يا جلال؟ دي آخرتها؟ إن مندمتش أمك مابقاش انا ليالي .

نطق جلال بارتياح:

=افهمي يا ليالي...انا مليش ذنب، أمي هي اللي دبستني!

ردت ليالي بقهر:

_مليش فيه ياخويا، وخذ عيالك معاك...انا مش هاخذ حد وأرربي في عيال، وانت من تاني ناحية خارب

الدنيا...خدهم رببهم .

تحدث عم سلامة بجلجلة:

=بتي ليالي عندها حق...لازم تاخذ عيالك وتربيهم، بتي مابقتش حمل تربية في الظروف اللي هي فيها دي!

قال جلال لحمود بابتسامه خافته تلمح إلى طيبة قلبه، وكأنه يسعى لتخفيف التوتر:
_تعالى يا ض فى حزن أبوك .

رد حمود بفضول:

=أبا...ستي البجرة فين؟

ضحك جلال، وقال:

_ستك كانت هتقتل جدك حنفي .

فى منزل أم الديق، كانت تجلس فى شقتها تتناول الطعام حىال التلفاز، وتتذوق لذته كأنه وجبة سماوية. وبينما كانت تغمرها النشوة، سمعت طرقات الباب، فنادت هايدى بصوت غليظ قائلة:

=افتحي يا بت يا هايدى .

ردت هايدى:

_حاضر أهو .

فتحت هايدى الباب برفق، وعندما ظهر أحمد أمامها، تملكها الدهشة، وسألته باهتمام:

_اتأخرت ليه؟

رد أحمد :

=الطريق كان زحمة .

دخل أحمد شقة أم الديق وهو يحمل أكياس الطعام فى يده، ووضعها برفق على الأرض، ثم قال بابتسامه مُشرقة:

=ازيك يا ماما عاملة ايه؟

تحدثت أم الديق بصدمة:

_ايهى برضه عملتى اللى فى دماغك يا بت؟ طب ايه رأيك بقى انك مش راичه فى حته!

ردت هايدى بسخط:

=ليه كده بس يا ماما؟

رد أحمد بابتسامه:

_يا ماما من فضلك سببها هي مش هتزعلك فى حاجة، وبعدين انا جايبلك حاجات حلوة تكفيكى الشهر كله .

ردت أم الديق، وهي تتناول الطعام بشهية مفرطة، قائلة:

=انت اللى فيك الخير يا واد يا أحمد...معلش بجى حلة البطاطس، وطاجن الرز الكبير دهو مش هيكفى حد غيري...يادوب كده مسح زور .

ضحك أحمد، وقال:

_برضة لسه عليكى عمايل تجنن...على العموم انا هاخذ هايدى .

دخلت هايدى غرفتها، وتحدثت بترقب:

=انا داخله أجهز .

ردت أم الديب بصوت حاد:

_ الداهية اللي تودي .

بعد دقيقتين، وصل جلال برفقة حمود، وتقى، فالتفت إليهم، وقال بحب:

=سلامو عليكم .

تفاجأ جلال بوجود أحمد، فاقترب منه بسرعة، وعانقه بحرارة قائلاً:

=ايه ده أحمد؟ عامل ايه يا ض؟ واحشني .

رد أحمد بابتسامة:

_ الحمد لله انت عامل ايه؟

ونظر إلى أبناء أخيه بعينين تفيض بالحب، وقال:

_ ازيكوا يا ولاد عاملين ايه؟

رد جلال بهدوء:

=سلموا على عمكم .

صافح حمود عمه، وقال بابتسامة:

_ ازيك يا عمي؟

رد أحمد بسعادة:

=الله ده انت كبرت أهو !

تحدثت تقى بلهفة:

_ عمو... عمو... انا عايزه شوكلاتة!

رد أحمد بابتسامة دافئة، وهو يخرج الحلوى من العبوة قائلاً:

=حاضر... انا جايب حاجات كتير .

أعطى أحمد الحلوى للأطفال، فرأوا في ذلك لحظة من البهجة تنعكس على وجوههم كالألوان الزاهية في

لوحة فنية. وفي هذه اللحظة المليئة بالتشويق، دخلت مي ممسكة بفستان زفافها، فضرب جلال يده

باختناق، وكأنه يحاول اقتلاع جزء من ذاكرته المؤلمة، وصرخ بغضب يعكس مدى تعقيد الأحداث:

_ يادي الهباب اللي فوق نفوخي... ماتشوفي حل ياما!

تحدثت أم الديب بينما تستمتع بوجبتها، فأصبحت كلماتها نغمة هادئة تعزف أمام ترقب الحضور:

=اقعدي يا بت يا مي... تعالي كليك لقمتين .

قالت مي بدلال:

_ كده تبعد عني يا جلال؟

رد جلال باهتياج:

=هموت نفسي وأرتاح من جلال وسيرته !

فأشار بيده اتجاه أخيه، وبينما ترقبت الأنظار، قال بصوت ثابت وواثق:

=أخويا أحلى مني... اجري وسبييني .

ردت مي بصوت رهيف:

_ لا يا جلال انت أحلى واحد في نظري، ومش عايزه غيرك !

ضرب جلال كفاً على كف بقوة، وبينما ترتعش الأجواء، قال بعصبية عارمة، مخرجاً كلماته كالصواعق المدوية:

=يا بت الناس سيبيني في ديك أم حالي...متخانيش أتعبط!

ردت أم الديب بصوت حاد:

_جولك ايه اطلع انت ومراتك .

خرجت هايدي من غرفتها بحقيبة ملابسها، وقالت:

=انا جاهزه...يلا .

تحدث أحمد:

_طب يلا عايزين حاجة؟

رد جلال بانفعال:

=سلامتك...أهو محدش خسران غيري .

بغضب متقد، وهمسات الجمر تشتعل في عينيها، قالت أم الديب وكأن صوتها يتحدى الرياح الجارفة:

_خد مراتك، واطلع يا ض .

رد جلال بسخط:

=يوه، حاضر ياما .

صعد جلال برفقة أبنائه ومي إلى الشقة، وفي لحظة من الصمت المطبق، ظهرت ملامح الإرهاق على

وجه مي وكأنها ملكة مهزومة أمام ملك غاضب، ووضعت يدها المرتجفة على رأسها. ثم بقسوة

محمومة وهي ترتجف، قالت بصوت هامس يشبه لحن الضعف:

_أه يا جلال...هيغم عليا .

رد جلال بقلق:

=مالك يا بت؟

سندها جلال برأفة حتى وصلوا إلى السرير، فتشبثت مي به بقوة، كمن يتعلق بفرصة أخيرة للأمان.

وفي الوقت نفسه، أمسك حمود الهاتف المحمول بين يديه بحرص شديد، واتصل بوالدته بصوت متردد

ينعكس عليه خلق المشكلات:

_أما أما...أبويا بيخونك مع الست اللي بتكرهيا !

أجابت ليالي بأعوال:

=ليلتك سودة، ومهيبة بهباب أسود يا جلال!

خرجت ليالي بخطوات هادئة من غرفتها المظلمة، وفتحت باب المنزل بحذر تام، كمن يخشى كشف

أسراره الخاصة. وهناك، وقف عم سلامة بتعجب واضح، كما لو كان يتساءل عن سبب ظهورها في

هذا الوقت:

_رايحه فين يا بتي الساعة دي؟

ردت ليالي بعصبية:

=سيبيني بابا .

رد عم سلامة:

_استني يا ليالي الوقت متأخر!

لكن ليالي لم تكن تهتم بحديث والدها، وخرجت بعزمٍ راسخ رغم تأخر الوقت، واستقرت نفسها في طريقها نحو منزل أم الديب. وفي الوقت نفسه، كان جلال يحاول بكل الطرق الممكنة فك يده من يد مي قبل وصول ليالي، وبينما يكتنفه الخوف، قال بصوتٍ مرتعش:

=يخربيتك قومي...هنروح في داهية!

ردت مي بدلال مبالغ فيه، كمن تمسك بأخر قشة من الأمل:

_ هيغم عليا يا جلال...الحقني !

دخلت ليالي في هذه اللحظة المثيرة، ووجدت جلال يمسك بيد مي بقوة. فجرى حمود نحو ليالي وهو يتنفس سعادةً، وفرحًا برؤيتها، فقال بصوت مليء بالفرح:

=أمي جات...أمي جات...هيبيه .

ردت ليالي بصدح جسيم:

_ أوعى يا ولا .

دخلت ليالي الغرفة، وكان الشر يملأ وجهها بظلامه المرعب، فلم يمرّ صمتًا داميًا قبل أن تنطلق صيحةً من بين شفثيها:

_بقي تقولي أمك غاصباك عليها، وأدخل الاقبيك في حضنها؟

وقف جلال مرتعشًا كشجرة متهاوية أمام العاصفة، وفي عينيه بريق الخوف المتأجج، وقال بصوتٍ

مترددٍ ينبض بالهلع:

=متفهميش غلط يا ليالي، البت تعبانة...حتى بصي .

تحدثت ليالي بنواح:

_مش هسيبك .

نشبت ليالي في عنق جلال بعنف، وخلعت نعلها بأنامل ترتعش، وهي توطنه بكل جبروت. فصاح جلال بها، قائلاً:

=اوعي ايدك يا ليالي، انا مليش ذنب، أمي هي اللي غصبتني عليها...أه .

ردت ليالي بإعوال:

_يا لهوتي... يا مصييتي .

وضع جلال يده بقسوة على فم زوجته، كمن يحاول كبح جمرة السخط الذي يشتعل في داخلها، وصاح

بها بصوتٍ مليء بالإنذار، قائلاً:

=اكتمي فضحتينا .

استيقظت أم الديب في هذه اللحظة على صوت صراخهم، وكأنها استيقظت من غفوة عميقة إلى عالم من الفوضى، والانقلاب، فسرعان ما صعدت درجات السلم بخطواتٍ ثقيلة، وطرقت الباب بقوة معبرة عن قلقها الجسيم، قائلة بصوت يحمل طلب الاطمئنان:

_افتحولي...افتح يا جلال .

طرقت أم الديب الباب مجددًا، وواصلت بصداح:

_افتح....افتح يا كلب يابن الجزمة .

فتح حمود الباب بتوتر ملحوظ، ولكن عندما رأى جدته، انكسرت تلك التوترات، قائلاً بصوت يشع

الانبهار:

=ستي البجرة جات...ستي البجرة جات .

قالت أم الديب بصوت حاد:

_ هي مين دي اللي بجرة يا ولا؟

رد حمود ببراءة:

=انتي يا ستي...بس أُمي بتقول البجرة أرفع منك !

صرخت أم الديب في وجه حفيدها، وهي تحمل غضباً لا يُمكن تصوّره، ورفعته بيدها من ملابسه بقوة، ودخلت به الغرفة وسط جو من التوتر، وهي تتلفظ بكلمات ينبعث منها القسوة:

_ مش هسيبك انت وأمك!

لكن ليالي ما زالت توطئ جلال بنعلها بقوة، وصوتها يندىء في الغرفة بصرخةٍ مليئة بالاستياء، وهي تصرخ قائلة بكل قوة:

=هطلع عليك القديم، والجديد كله يا جلال... يا مصيبيتي يانا، ده انا مش هسيب حتة سليمة فيك!

رد جلال بصياحٍ هائج، وهو يحاول بكل جهده بعدها عنه بحركة انتفاضية:

_ ابعدي يا ليالي، ماجرا ايه شغله ده؟

تحدثت أم الديب بسخط:

=بقى أني يا بت سلامة دباح الحمير تقولي لإبنك إن البجرة أرفع مني؟

توقفت ليالي عن ضرب جلال، ووقفت كالأسد في وجه أم الديب، وكأن قوة الإرادة تتجسد في وقفها الصلبة، ووضعت يدها بثبات في خصرها كمن يتمسك بكل ثقة بحقها، فقالت بصوتٍ يرنّ في الأذنين:

_ أه انا قولت كده...في حاجة يا حماتي؟

ردت أم الديب بعصبية:

=شوف البت وقلة أدبها... قال ايه بتشبهني بالبجرة، طب تعاليلي !

جَرَّت أم الديب ليالي من ملابسه بخطواتٍ سريعة، وفي تلك اللحظة الحاسمة، تصاعدت صيحات ليالي بصوتٍ مدوي:

_ أوعي يا حماتي...سيبيني!

نطقت أم الديب بصراخ:

=تعالى معايا يا بت .

ردت ليالي بصياح:

_ الحقني يا جلال

حاول جلال بكل قوته سحب زوجته بعيداً، وفي لحظة من اليأس، صاح في أم الديب بصوتٍ هائج:

=سيبيها ياما...في ايه؟

أبعدته أم الديب عنها بقوة، وجَرَّت ليالي في يدها بعنف مثل عاصفة هادرة، وقالت بصوت مليء بالتحدي:

_ ابعده...مآني معرفتش أربي راجل يخلي مراته تحطني في حباب عينيها .

رد جلال بصراخٍ عاتب، وهو يسحب ليالي نحوه بقوة متزايدة، كمن يحاول استعادة السيطرة على الوضع:

=أوعي ياما بقولك !

صرخت أم الديب في وجه جلال بصوتٍ غليظٍ جدًّا، يملأ الغرفة بشحنة من التوتر، حيث قالت بكلماتٍ تتصاعد كالنيران المشتعلة:

_ ابعدا!

ارتعب جلال من غلاظة صوتها، وارتجف جسده من قوته المخيفة، ولكن أم الديب لم تتراجع، بل سحبت ليالي معها إلى الحظيرة بعنف، وإجبار، وبينما كانت تربطها في الكرسي بقسوة، صرخت ليالي بكل قوتها، محاولةً بئسةً للتحرر، وقالت بصوت يتصدى الظلم:

= عايزه مني ايه يا حماتي؟ سيبيني في حالي بقولك!

ردت أم الديب بلا مبالاة:

_ ايهي ودي تيجي؟ ده أني هعملك تركيبة إنما ايه يا بت هتخليكي مش قد البجرة، هتخليكي قد

الديناصور .

انصدمت ليالي فيما تنوي أم الديب فعله بها، فزادت حدة صراخها، وهي تحاول بكل قوتها فك نفسها من الربط، محاولةً يائسةً للهروب من مصير مجهول:

= لا يا حماتي متعمليش فيا حاجة، انا عندي عيال، وعايزه أربيهم!

صرخت أم الديب قائلة:

_ اسكتي!

دخلت أم الديب الغرفة وكأنه مشهد من فيلم الرعب، وأحضرت الإبرة وملأتها بمواد مجهولة المصدر، واقتربت من ليالي بخطى مهولة، فارتفعت صيحات ليالي بصوت يرتعش من الرعب، وهي تحاول بكل جهدها إبعاد نفسها عنها، قائلة بصوت ينبض بالتوجس:

= يا لهوي... ابعدي عني... ابعدي!

تحدثت أم الديب بصياح:

_ اخرسي يا بت سلامة دباح الحمير !

ردت ليالي بصراخ:

= الحقني يا جلال... تعالي الحق مراتك .

وخزت أم الديب سن الإبرة بقوة في ذراع ليالي، وأفرغتها من المواد المجهولة بها، حتى اخترق جسدها، فصاحت ليالي بصرخةٍ مريرة من شدة العذاب، يزداد الألم بكل خلية من جسدها المنهك، قائلة بصوت ينبض بالتألم:

= أاه .

يتبع.....

الفصل السابع والعشرون

بعد أن غرزت أم الديب سن الإبرة في ذراع ليالي، أخرجته برفق كمن يسحب نسمة رقيقة من بحر الصباح، وقالت بابتسامة كالفجر الباسم:

_ ايهي سلامتِك يا بت...يلا هفكك وارجعي لأبوكي وأمك، وأوعي يا بت يا ليالي تحطي لقمة في بوقك
ألا هتفرقي، اختاري حل من الاتنين، يا تاكلي وتفرقي يإما تموتي من الجوع .
ردت ليالي بإعياء:
=أه...منك لله .

فكت أم الديب قيود ليالي، فعادت إلى منزل عائلتها، تتكى على الحائط كطائر جريح يحاول الوصول إلى عشه، تمشي بخطوات متعثرة، فأمسك بها عم سلامة وقد ملأته الدهشة، وقال:
_ مالك يابتي فيكي ايه؟
ردت ليالي بإعياء:
=حماتي ادتني حقنة يابا .
نطق عم سلامة بصدمة:
_ انا مش فاهم حاجة!

بينما كان جلال يجلس في زاوية الغرفة، كانت مي تلتصق به كظل لا يفارقه، تهمس إليه بنبرة ملؤها الحب:

=افتحلي قلبك يا جلال، وادي لنفسك فرصة تحبني !
رد جلال بانفعال:
_ ديك أم دي كلمة مش حافظه غيرها، سيبني جلال في حال اللي جابوه...انتي ايه؟
أجابت مي بدلال مصطنع:
=آني بحبك يا جلال .
رد جلال بسخط:
_ وجلال مش بيحبك، هو بالعافية؟ ايه رمي البلا ده؟
غادرت مي، وقد اشتعل في عينيها بريق الغضب، وقالت بصوت متحرج:
=هقول لخالتي، وهي تتصرف .

سحبها جلال نحوه بقوة، وصرخ قائلاً بصوت يملؤه الامتعاض:
_ أمي لا .

في شقة نعمة، كانت تجلس مع زوجها على الأريكة، يتبادلان أطراف الحديث في جو هادئ، وودي، حيث انعكست أضواء التلفاز الخافتة على وجههما، فقال حامد لها وهو يلمس يدها المريحة على الأريكة:

=ماننزلي تشوفي أمك عامله ايه !
ردت نعمة بقلق:
_ مليش دعوة بأمي ألا تمسك فيا وفيك...خلينا هربانين جوا أحسن .
نطق حامد بسخط:

=دي ولية هم .

تفوهت نعمة بصوت حاد:

_ماجرا ايه يا حمو؟ متنساش إن دي أمي!

رد حامد باهتياج:

=أمك مبهدة الدنيا يا نعمة .

تنهدت نعمة، وقالت:

_على رأيك... أني هروح أول ما يطلع النهار لأبويا أشوفه عامل ايه !

رد حامد بتأثر:

=أبوكي راجل غلبان مش زي أمك .

ثاني يوم في النهار، عندما تسالت أشعة الشمس الدافئة عبر نوافذ المستشفى، اجتمع الجميع في الممرات

المزدحمة للاطمئنان على المعلم حنفي، الذي كان يرقد على سريره محاطاً بأجهزة المراقبة، فوقف

جلال بجانبه، وبحزن عميق يرتسم على وجهه، قال بصوت متهدج:

_ازيك يابا عامل ايه؟

رد المعلم حنفي، وهو يتألم:

=أه، تعبان يا جلال .

قالت نعمة باستياء:

_سلامتك يابا .

قال حامد بتأثر:

=سلامتك يا حمايا... ألف سلامة .

تحدث المعلم حنفي بصوت خافت:

_فيكوا الخير... مش زي أمكم اللي ربنا ياخدها، ويريحنا منها .

نطق جلال بحزن:

=أمي مطلعاه عينا يابا، ومش عاتقة حد فينا .

رد المعلم حنفي بقهر:

_ربنا على الظالم والمفتري .

ذهب عم سلامة برفقة ثلاث نساء فاسدات، بأحجام ضخمة، وهائلة، مستعدات دائماً لخوض المعارك بلا

تردد، وقد جاء وفي ذهنه خطة محكمة للانتقام من أم الديب التي تسببت في إعياء ابنته، فيما كانت أم

الديب تجلس على الأريكة، تتناول الأرز، والبطاطا بالصلصة أمام التلفاز، غير مُبالية بكل الكوارث

التي ألحقتها بالآخرين. وقف عم سلامة تحت شرفة منزل أم الديب، وناداهها بصوت عالٍ ونداء حار،

قائلاً:

=يا مرا ياللي اسمك بسمة... انتي يا مرا!

وقفت أم الديب بعدما سمعت نداء عم سلامة يتردد في الأرجاء، واتجهت بخطوات مُتسارعة نحو

المطبخ، حيث أمسكت بالقدر الذي سلقت فيه أبو قردان، وبعينين تشتعلان بنية الانتقام، قالت بصوت

ملؤه التحدي:

_حظك ياخويا إنني لسه سالقة ريش أبو جردان .

خرجت أم الديب بقدر الماء الساخن في يدها إلى البلكونة، بينما تصاعد البخار من القدر، صاح عم سلامة من أسفل، قائلاً بصوت مرتجف من الموحدة:

=انتي يا مرا ماتردي، ولا بلعتي لسانك؟

ردت أم الديب من البلكونة بصراخ مدوي، يتجاوز حدود الانتقام، وكأنه صرخة تحذير تملو السماء:

_ايه اللي جابك هنا هو يا دباح الحمير ؟

صرخ عم سلامة بغضب هائج، ملأه الاستياء، وقال بصوت مرتفع يهز الجو:

=لمي لسانك يا مرا...أني هطلع القديم والجديد كله عليكى .

ردت أم الديب بجلبة:

_حظك ياخويا إني لسه سالقه فراخ بريشها...خد .

ثم سكبت الماء المغلي بغضب مطلق فوق رأسه، فسقط عم سلامة على الأرض، وهو يصرخ متعذباً

تحت لهيب الألم، يشعر بحرارة الانتقام المشتعلة. وبينما كان يتألم، دخلت أم الديب المطبخ من جديد

وأحضرت الكبريت، وخرجت إلى البلكونة حيث أشعلت النار، ووجهت عود الكبريت نحو النساء

الثلاث، وهي تهددهم بنبرة صارمة، ومحذرة:

_امشي يا ولية منك ليها، يلا كل واحد تجري على بيتها...ناس تخاف متختشيش...اللي هتقرب مني

هحرقها بالكبريت اللي معايا دهو!

هربت النساء بعيداً وعادت إلى بيوتهن، مفزوعات من موحدة أم الديب اللافتة، وفيما كانت تهرب النساء، بقيت أم الديب واقفة في البلكونة، فصاحت بصوت ملؤه السخط، قائلة بصياح يدوي يهز الجوار:

_اللي يقرب على طريقي ميكسبش يا دباح الحمير .

دخلت أم الديب وصكت الباب خلفها بقوة، معبرة عن غضبها، ثم عادت لتناول طعامها بشهية، وبينما

كان عم سلامة يتشنج في أرض الشارع، يصدر أصواتاً غير مفهومة من شدة العذاب، وفي نفس الوقت،

وبينما كان جلال يجلس مع والده في غرفته بالمستشفى، دخلت مي الغرفة، وتقدمت لتعانقه، لكنه وقف

كامداً، وقال بصوت ملؤه الدهشة:

=انتي ايه اللي جابك هنا يا بت؟

ردت مي بدلال:

_سيبنتي ليه يا جلال؟ ده أني بحبك حتى !

أزاحها جلال من إزاءه بقوة، وقال:

=يلا غوري من هنا .

اقتربت مي منه مجدداً، وهي تحاول عناقته بكل حنان، قائلة بصوت مليء بالحب:

_مش همشي يا جلال...أني هفضل في حضنك !

صرخ جلال صرخة جسيمة، كانت تعبر عن غضبه المتزايد من سلوك العروس مي، فقال بصوت

مليء بالامتعاض:

=يوه ماتشديها يا نعمة، وتخلصيني منها، ايه اللازقة دي؟

نشبت نعمة بمي، وقالت بحدية:

_تعالي معايا...انتي ليلتك مش فايطة .

أعطت نعمة ابنتها لزوجها، وبينما كانت تتحدث، انعكست على وجهها ملامح الترقب، قائلة بصوت

يحمل في طياته القرار:

_ بقولك ايه يا حمو خلي الواد معاك... أني هروح مشوار .

رد حامد، وهو يحمل طفله محمد:

=اشط .

خرجت نعمة بمي من الغرفة، وبينما كانت تسير، صاحت بها، قائلة بكلمات تحمل وزن الانزعاج:
_ مالك ومال أخويا جلال؟ لعلمك يا بت أخويا بيحب ليالي وعمل علشانها المستحيل... متجيش انتي بعد كل ده، وتعملي راسك براسها لأنه مش شافك!

ردت مي بدلال:

=بحبه يا نعمة... بحبه .

صاحته نعمة قائلة بسخط:

_ وهو الحب والجواز بالعافية ياختي؟ بقولك مش طايقك... ايه هتعيشي مع واحد مش طايقك ازاي؟
أجابت مي بصوت رهيف، ينعكس فيه الضعف، كمن يحاول الدفاع عن نفسه بين أنياب الانتقاد:
=حتى لو مش طايقني، ومش بيحبني... انا طايقاه وبحبه .

ردت نعمة بذهول:

_ لا بقولك ايه انتي زودتيها، وشكل ملكيش أهل يسألوا فيكي، وطالقينك ليل نهار!

أجابت مي بدلال:

=حتى لو مليش أهل... برضة بحبه .

صاحته نعمة، وقالت:

_ أني مش هسكت لأمي... هي اللي رازتنا بيكي .

ذهبت نعمة بمي لباب منزل أم الديب، وطرقته بقوة، وقالت بصوت ينطلق من دواخلها بحزم:

=افتحي ياما... افتحي .

ردت أم الديب بسعادة:

_ ايهي ازيك يا بت يا نعمة، وازي جوزك والواد ابنك؟

صاحته نعمة في وجه أم الديب قائلة باهتياج:

=بقولك ايه ياما... انتي تودي الفقرية دي مكان ماجبيتها، أخويا جلال مش هيكمل معاها، ولا هو

عايزها... هو الجواز بالعافية؟

صدحت أم الديب قائلة بنواح:

_ يا خرابي البت بتعلي صوتها عليا... يا مصيبتني السوداء يا خرابي... انتي هتمشي كلامك عليا ولا ايه يا

بت؟ انا محدش يمشي كلامه عليا، وأخوكي جلال هيتجوزها غصب عنك وعنه... فاهمة ولا لا؟

نفوحت نعمة بإعوال:

=جلال مش هيكمل معاها ياما، وأناي قولت كلمة، وهي اللي هتمشي!

إغتاظت أم الديب من ابنتها، فوقفت متجهة نحوها، وقالت بصوت ينطلق منه غليان السخط وصوتها

يحمل توجيهات صارمة:

_ طب تعاليلي .

تشبثت أم الديب برأس نعمة بقوة، وسقطت بها على الأرض، وهي توطئها على جسدها بقسوة، فاندفعت نعمة بصرخة مليئة بالألم، قائلة بصوت ينطلق من دواخلها المجروحة:
=سيبيني ياما .

تحدثت أم الديب بينما تضربها بقسوة، كل كلمة تنبعث منها كانت كالسهم يخترق قلب نعمة، وهي تعانق الألم، واليأس في آن واحد:
_ أني هعلمكم كلكم الأدب!

بينما كانت ليالي جالسة في منزل أبيها، وتخاف أن تأكل خشية حدوث ما قالته أم الديب، كانت كل كلمة تنطلق من فم أم الديب تتغلغل في عقلها وتستنشقها كلها، فكانت تتحول إلى أفكار مزعجة تتجاوز حدود الخيال، وفي حين كانت تباهي تحتضن القلق من تأخر زوجها، قالت بصوت مرتجف من الرهبة:
=أبوكي اتأخر أوي يا ليالي .

ردت ليالي بتعب، صوتها ينطلق بكل ثقل، مثل صخب الأمواج على شاطئ البحر، وهي تبوح بمشاعرها المكبوتة:

_ أعمل ايه بس ياما؟ انا تعبانة أوي .

نطقت تباهي باستياء ملحوظ:

=تعالى نروح للداكتور .

ذهبت تباهي مع ابنتها للطبيب، وبعد أن أجرى الكشف عليها، تردد الطبيب قليلاً قبل أن يتحدث، كأنما يحاول تشكيل الكلمات بدقة، وتحمل كلماته بين طياتها أخباراً تثير القلق:
_ انتي مهدده بالموت في أي وقت .

صرخت ليالي بشدة، وضربت يدها بقوة على وجهها، كأنها تحاول إخراج الألم الذي يتجمع في دواخلها، وقالت بصوت ينطلق من بين شفثيها بالبكاء:

=يا مصيبتني، والحل ايه يا دكتور؟

رد الطبيب بجدية:

_ هنديكي حقنة... هي أه هنتخك يومين بس هترجي لأصلك، وكان مفيش حاجة حصلت .

نطقت تباهي برهبة:

=اديهالها يا دكتور خليها تخف !

رد الطبيب:

_ تمام .

عندما وصلوا للمنزل، مروا حيال بيت أم الديب ورأوا عم سلامة مُلقى على الأرض، فصرخت ليالي ووالدتها، وجريا نحوه بسرعة، وعندما وصلوا إليه، قالت تباهي بصوت ملؤه الهلع:

=يا لهوي...الراجل جراه ايه؟

ردت ليالي بفرع:

_ مالك يابا؟

تحدثت عم سلامة بألم:

=مسلوخ .

صرخت تباهي قائلة بإعوال:

_ يا لهوي .

أمسكت تباهي كتلة من التراب في يدها، وبدأت تبعثرها فوق رأسها، كأنها تحاول التخلص من اليأس الذي يملأ قلبها. وفي نفس الوقت، اتصلت ليالي بجلال وهي تعول، فقالت بصوت مليء بالحزن:
=الحق أبويا يا جلال... أمك سلخته .

رد جلال بتعجب:

_ هو حنش لما هتسلخه؟

أجابت ليالي ببكاء:

=أبويا بيموت...الحقه .

وقف جلال مكانه، وقال بفرع:

_ انتوا فين؟

ردت ليالي بأعوال:

=قدام بيتكم .

قدم جلال، وحمل عم سلامة، ونقله للمستشفى، بينما تباهي، وابنتها ظلوا يقذفون الطوب على نافذة غرفة أم الديب حتى انشطر الزجاج في تلك اللحظة التي كانت أم الديب تضرب نعمة فيها. وفيما كانت مي جالسة على الأريكة تضع ساقاً فوق الأخرى وتستمتع بمشهد نزاع أم الديب مع ابنتها، خرجت أم الديب في البلكونة، وصاحت بصوت ينطلق من بين شفثيها بقوة:
_ ايهي مين الكلب اللي كسر الإزاز؟

بينما نزلت نعمة بسرعة، وفتحت باب المنزل وهي تشعر بالدموع المرّة تنهمر من عينيها، نتيجة للضرب القاسي الذي تلقته من أم الديب. فصعدت الدرج بعدما فتحت الباب، وعقبها ليالي، وتباهي، وعندما وصلوا إلى شقة أم الديب، دخلت ليالي، ووالدتها وتشبثوا بأم الديب بقوة، وبينما كانوا يطحنونها تحت أيديهم بلا رحمة، بقيت نعمة خارجة عن السيطرة، مكبلة بالبكاء وحده. وفي ذات الوقت، في الردهة الباردة والمضيئة بأضواء المستشفى، كان جلال يقف متأملاً بجانب صابر أمام باب غرفة العمليات المغلقة، وفي صدره يتسلل القلق، وقد أدرك أنهما ينتظران خبراً حيال حياة أحدهما الذي يعيش الآن لحظات حاسمة، قال جلال بخوف:

=استرها يارب .

رد صابر بوعيد:

_ هوديكم في داهية يا جلال !

رد جلال بانفعال:

=يا عم اسكت، وانا مالي؟

بينما كانت الانتظارات تتصاعد خارج غرفة العمليات، وكانت الأرواح تترقب بقلق واضح، خرج الطبيب من باب الغرفة وعلى وجهه ملامح الحزن العميق، تعكس مدى صعوبة الموقف. بعبارة ممزوجة بالأسى، قال:

_ للاسف البقاء لله .

فجأة، وبمزيج من الموجدة اللافتة، اندفع صابر بكل قوته نحو باب غرفة العمليات، وصوته يهز المكان بصيحاته العاصفة، وهو يردد بكل صدمة:

=أبويا سلامة... لا .

أصابت الصدمة جلال كالصاعقة، وتجلّت على وجهه ملامح الحزن العميق، وبتعبيرٍ مليء بالأسى، نطق بكلماته القليلة:

_يا نهار مهيب، عم سلامة مات؟

عاد جلال إلى منزله محملاً بثقل الصدمة، ووقف في منتصف الفوضى المحيطة، حيث تعصف رياح الخلافات، والألم. وفي هذا السياق المضطرب، كانت أم الديب تطلق ضرباتها القاسية على تباهي، مصاحبة لكلماتها الحادة التي تنطلق من بين شفثيها بلا هوادة، قائلة:

=يا بت الشباشب يالي جوزك دباح الحمير...أني هطين عيشتكم .

صاح جلال بصوت مكتوم بالحزن، مُظهرًا الإحباط العميق، بينما يتأمل في أعماق الوجع الذي يحيط به:

_ياما .

توقفت أم الديب عن وطء تباهي، والتفت بانتباه متزايد نحو جلال، بينما تراقبه بنظرات ممتزجة بالفضول، وهي تقول:

=ايهي مالك يا ولا؟

أمسكت تباهي بكتف أم الديب بقبضةٍ متيقظة، وهي تتجه نحوها ببطء متأنٍ، كمن يوجه رسالة مهمة، وهي تقول:

_بقى بتضربيني يا بنت البقر؟

نشبت أم الديب برأس تباهي بقسوة، وقامت بتوجيه ضربة مُبرحة، تنبعث منها نبرة القسوة، قائلة بصوت مليء بالكراهية:

=اكتمي بدل ما أفتحك نفوذك!

صاح جلال، معبرًا عن مشاعره بكلمات مليئة بالانزعاج:

_ياماااااااااا .

اقتربت أم الديب من جلال، ونطقت كلماتها بصوت حاد، يعكس القسوة:

=عايز ايه؟

رد جلال بحزن، وتردد:

_عم سلامة

جرت ليالي بسرعة نحو جلال، وفي صوتها يتجلى الصراخ، والترقب الملحوظين، وهي تتحدث بكلمات مليئة بالانتظار:

=أبويا ماله؟

رد جلال بتردد:

_عم سلامة مات .

صرخت ليالي ووالدتها في آن واحد، تعبيرًا عن حالة الفزع الشديدة التي يعيشونها، مما يضفي على الموقف طابعًا مضاعفًا من الدراما:

=يا لهوتي...يا خرابي .

دخلت أم الديب المطبخ وهي تزغرد، وصنعت شربات الأفراح، ثم خرجت، وقامت بتشغيل الأغاني، وما زالت ليالي ووالدتها يصرخون حزنًا على فقدان عم سلامة، فقالت أم الديب بسعادة:

_مبروك، مبروك، مبروك، وكمان مبروك...يادي السعد والهنا!

في حين أطلقت الزغاريد من شدة فرحتها بوفاة عم سلامة، وسط أجواء من الانبهار، والبهجة، صاح جلال في اتجاهها بكلمات ممزوجة بالاستنكار، قائلاً:

=اسكتي ياماااا

ردت أم الديب بسعادة:

_ امشي يا ولا...يلا اجري هاتلنا كوبايات من جهاز البت ليالي، خلينا نوزع الشربات ونفرح .

في تلك اللحظات الصعبة، وبينما لا تزال الزغاريد تتردد بقوة، اقتربت مي بخطوات هادئة، ومتأنية من جلال، تحمل في عينيها بريقاً من الحنان. وبينما تنبعث الرومانسية في الجو المشحون بالعواطف، نطقت بكلمات مليئة بالدفء:

=افتحلي قلبك يا جلال .

اشتد الإغتياب، والغضب في داخله، فتشبث جلال بشعرها بين أصابعه بشدة شديدة، حتى خلعه في يده بحركة مفاجئة مملوءة بالاستياء، ووطأها بساقيه بقوة ساخطة. وبينما دخلت أم الديب وأحضرت المكنسة اليدوية، وتخبطه بها فوق رأسه، صاح جلال بكل قوة، وغضب قائلاً:

_ لا أوعي ياما .

في حالة من العقل المُغيب، أخرج جلال المطواه من جيب بنطاله، وأمسك أم الديب، ورفع المطواه بالقرب من عنقها، وهو في حالة من الانغماس، والتشتت، لا يدرك ما يفعله بسبب صدمته العارمة مما يحدث تحت يدها. وفي هذه اللحظات المروعة، صرخت نعمة من الفزع، وقالت بصوت مرتعش:

=هتعمل ايه يا جلال؟

رد جلال بتغيب:

_ هموتك ياما...هسيح دمك .

نطقت أم الديب قائلة بجلجلة:

=يا خرابي هيموتني، الحقوني، يا خلق الحقوني يا ناس!

رد جلال بلا وعي:

_ هتبعدي عني بت خالتي ولا لا ياما؟ ياما هقتلك !

دوت أم الديب قائلة بارتجاف:

=الواد هيقتل أمه يا ناس...يا خرابي !

اقتربت نعمة من جلال، ودموعها تنهمر بغزارة، وهي تتوسل إليه بقلب مكسور، قائلة:

_ سيب أمك يا جلال...سيبها !

تحدثت ليالي بانتحاب:

=يا عيني عليك يابا...يا عيني عليك سيبتنا وروحت .

صرخت تباهي بكل قوة، وهي تضع يدها بحزن عميق على قلبها، يعكس الألم، والحنين لفقدان زوجها:

_ هاتيلي التراب أحطه على راسي يابتي...يا عيني عليك يا سلامة يا جوزي .

ردت أم الديب بفزع:

=خلاص يا ولا خلاص... اعمل اللي انت عايزوا بس سييني!

ترك جلال أم الديب وانصرف، ووجه كلامه بسخط إلى مي، قائلاً:

_ انتي طالق بالتلاتة .

بعد أن طلق جلال مي، نشب بها بعنف وألقاها خارج الشقة، ثم أوصد الباب بعنف في وجهها، مُظهرًا قسوته. وعندما عاد إلى أم الديب، نطق بكلماته بعصبية محملة بالانفعال:
_ انا طلقتهأ ياما... يلا امشي .

ردت أم الديب بجزع:

=أهو ياخويا...أهو .

بعد دخولها غرفتها وإغلاق الباب خلفها، مد جلال يده نحو ليالي بلطف، ونطق لها بكلماتٍ مفعمة بالرغبة، والحنان، قائلاً:

_ قومي معايا يا ليالي .

وقفت ليالي مكانها، وقالت بإعوال:

=يا عيني عليك يابا .

رد جلال باستياء:

_ الله يرحمك يا عم سلامة .

وقفت تباهي، وأمسكت بملابس جلال بصلاية، وهي تهزه بعنف، وغضب متأجج، ثم صرخت بصوت يملؤه السخط:

=أمك السبب .

رد جلال بفزع:

_ اهدي يا حماتي!

وقفت تباهي إزاء غرفة أم الديب، وهي تدفع الباب بعنف، وصراخها يرتفع كالبركان الهائج. أمسك جلال بحماته بصعوبة، واقتادها إلى منزل عم سلامة. وما إن تأكدت أم الديب من مغادرتهم، خرجت من غرفتها كالثعلب الماكر، وصبت الشرابات في الأكواب، مطلقة الزغاريد بنبرة شامتة في وفاة عدوها الأكبر. ثم نزلت إلى الشارع، وبدأت توزع المشروبات على أهل المنطقة، فتساءلت جارتها بتعجب قائلة:

=في ايه يا أم الديب بتك هايدي هتتخطب ولا ايه؟

ردت أم الديب بسعادة:

_ ايهي سلامة دباح الحمير مات .

نطقت جارتها بصدمة:

=لا حول ولا قوة إلا بالله .

بعد أن أسدل الليل ستاره، وصلت عائلة عم سلامة، وتباهي لمواساة أهل المتوفى في هذه الظروف القاسية. كانت النساء جميعهن ترتدين الجلابيب، والعبايات السوداء، في مشهد يملؤه الحزن، والكآبة. كانت ليالي، ووالدتها في حالة يُرثى لها، ثم صرخت ليالي بصوت مفعم بالألم:

_ أه يابا... يا عيني عليك روحت مننا يابا، وسبيتنا، يا خرابي .

تحدثت تباهي بصوت متهدج من البكاء، وهي تضرب يدها على صدرها بحسرة، قائلة:

=يا عيني عليك يا سلامة يا جوزي يا أبو عيالي .

تحدثت إحدى أقارب عم سلامة:

_ شدي حيلك ياختي كلنا لها .

صمت صوت القرآن، وتحول المكان إلى ميدان صاخب بالأغاني، والطبل البلدي. خرج جلال من وسط الرجال في شادر العزاء، ليجد أم الديب تتمايل مع فرقة الطبل، وتشرب الشربات بفرح ظاهر. فصرخ بها جلال بصوت مفعم بالغضب قائلاً:

=ايه اللي بتعمليه ده ياما؟

ردت أم الديب ببهجة:

_ ايهي ده أي قولت الناس زعلانة أما أفرشهم شوية... يلا يا واد منك له وزعوا الحاجة الساقعة على المعازيم .

دخلت أم الديب في منتصف العزاء، وهي تتجول بين الحاضرين وتوزع المشروبات، والجميع حولها يضربون بكفوفهم مستغربين ما يرونه بأعينهم. حيث لاحقها جلال خلفها بخطى سريعة، وهو يصدح قائلاً:

=معازيم مين ياما؟

ردت أم الديب بسعادة:

_ هو انت متعرفش؟

تحدث جلال باهتمام:

=لا معرفش .

ردت أم الديب بسعادة:

_ البت مي جايه في الطريق...هنعملكم الفرح .

تلفظ جلال بجلبنة:

=ماجرا ايه ياما... ايه اللي بتقوليه ده؟

ردت أم الديب بسعادة:

_ اسمع الكلام متبقاش عبيط، البت مي دي مش هتلاقي ضوفرها!

دخلت مي بفستان زفافها الأبيض البهي، وجلست بجانب قارئ القرآن وهو يؤدي عمله بخشوع. وفي هذه الأثناء، كانت أم الديب تتجول بين الحاضرين، توزع المشروبات على بقية المعازيم، وتطلق

الزغاريد بفرح غامر، قائلة:

_ عقبال عندكم .

أخرج جلال هاتفه بسرعة، واتصل بخاله ضايح محاولاً التحكم بأم الديب التي خرجت عن السيطرة،

وصاح بصوت مرتفع:

=ألو يا خالي...تعالى بسرعة .

بعد مرور ربع ساعة، حضر ضايح بعجلة، ونزل من سيارته بخطى واثقة، واتجه نحو العزاء، ثم قال

بصوت جلف:

_ هي فين؟

رد جلال وهو يشير بيده نحو مكان أم الديب قائلاً بصوت مملوء بالانفعال:

=جوا أهى يا خالي .

وصل ضايح إلى أم الديب، وأمسك بها بحزم قائلاً:

_ تعاليلي .

عولت أم الديب قائلة بجبن:

=يا مصيبيتي !

رد ضايح بصوت حاد، وهو يقتاد أم الديب للخارج بحزم:

_مش هسيبك يا بسمة ياختي... انتي نهايتك على ايدي النهاردة .

تلفظت أم الديب بصوت حاد:

=لا بقولك ايه يا واد يا ضايح، نسيت يا ولا لما كنت حطة عيل قد صوباعي؟ ده אני كنت هفعضك تحت

مني، لولا إني طيبة روحت شايلاك عشان أمك عايزاك .

صاح ضايح في أم الديب بغضب جسيم، وقال:

_لما الليي مني يقل مني يا جلال قولي اتصرف ازاي؟

رد جلال بامتعاض:

=ريحنا منها يا خالي، אני عايز حقي وحق مراتي ليالي، وحق أبوها اللي مات .

نطق ضايح بفرع:

_مين اللي مات يا جلال؟

أحنى جلال رأسه نحو الأرض، وقال بحزن عميق:

=حمايا سلامة يا خالي .

صاح ضايح قائلاً:

_شغل المزمار يالا .

زاد صخب المزمار، والطبل البلدي ملأ الهواء بأنغامه المتجددة، فوقف ضايح فوق سيارته الوضيعة،

مثل قائد عظيم يحمل أعباء الحدث على كاهله، وهو يغني بصوت عذب، وملئ بالشغف:

_و سلامة مات، وسلامة مات... ماتعلي صوتك يا صبي منك له .

نزل ضايح بثقة من فوق السيارة، وهو يترقص مع أم الديب بنشاط متفجر، وهي تزغرد بكل قوتها،

فانبعثت البهجة، والحيوية من حركاتهما المتناغمة. وفي تلك اللحظة، خرجت النساء ببطء من نوافذ

منزل عم سلامة، متأملات لما يحدث. أما الرجال، فوقفوا في أماكنهم، مصدومين من تصرفات أم

الديب، وأخيها، وكأنهم يشهدون مشهداً غير مألوف. وبينما كانت الحيرة تسيطر على الحشد، أمسك

ضايح بالميكروفون، وأكمل غناؤه بصوت يعبر عن الفرحة:

_سلامة يعني الميت في جبانته... يعني راح ومش راجع... سلامة يعني أبو ليالي مرات ابن أختي...
سلامة يعني الجثة الهامدة اللي نائمة في قبرها دلوقتي!

أطلقت أم الديب الزغاريد بصوت عالٍ، وهي تعبر عن سعادتها بكل فرح، وقالت ببهجة:

=عقبال عندكم .

اقترب جلال من والدته وخاله، وهو مصدوم من رد فعلهم، فصاح بهم بصوت مليء بالدهشة، قائلاً:

_ايه اللي بتعمله ده يا خالي انت وأمي؟

أخرجت ليالي رأسها من النافذة، وهي تصرخ بأعلى صوت ممكن، ملأت الأفق بصيححتها العاصفة،

قائلة:

=يالهو تي مُت يا با وسيتتنا... يا با يا غلبان يالي مكنش ليك حد غيرنا!

أخرجت تباهي رأسها من النافذة المجاورة لليالي، وهي تصرخ بنفس الألم، معبرة عن مشاعرها بقوة،

قائلة:

_ يا عيني عليك يا سلامة يا جوزي يا حبيبي يا أبو عيالي يا جد أحفادي...يا خرابي هاتولي التراب
 حطهولي علي دماغي يا نسوان...يا خرابي .
 زادت صرخات النساء، حتى اجتمعت في صرخة واحدة تملأ الأجواء، ووقفت أم الديب حيال نافذة
 تباهي بعبوس، وقالت بغضب متأجج:
 =ماتتكتمي يالي جوزك دباح الحمير .
 ظهر ثلاثة رجال من بعيد، كان واحدًا منهم يجلس على كرسي متحرك، والآخر يدفعه بحركة متزنة
 وحذرة للأمام، في حين كان الثالث يمشي بجانبهم متعثرًا قليلًا في خطواته. وبينما كانوا يتقدمون نحو
 موقع العزاء، صرخ ضايح بصوت يمزج بين الصدمة، والفرح مجرد رؤيتهم، وقال:
 _ اجري يا ض منك له، الميت صحى من تربته .

فر الجميع هربًا من هول المنظر، وصرخوا بصوت عالٍ مليء بالرعب، حتى أنفض العزاء من
 الحاضرين، بما فيهم الشيخ الواقف في مكانه. ولكن بينما كان الذعر يخيم على الجميع، جلست مي في
 مكانها بانفاسة غير متوقعة، وهي تضحك بشدة على المشهد المثير للدهشة. نظر عم سلامة إلى المعلم
 حنفي بتعجب واضح، وقال بصوت مليء بالدهشة:
 =هو مين اللي مات؟
 رد المعلم حنفي بتعجب:
 _ أني عارف؟
 هربت أم الديب في ذيل جلال، وهي تمسك بيده بينما كان يجري، لكن جلال أراحها بعيدًا عنه بحزم،
 وهو يسرع في الجري، وقال بصوت كامد:
 =غوري ياما .
 ردت أم الديب بصوت مرتفع وهي تهرب، قائلة:
 _ ههرب معاك يا ولا .
 إذا بفجأة سقطت أم الديب علو جلال، فانقطع نفسه للحظة، وهو يتألم ويعاني للنجاة، وقال بصوت
 مكبوت بالألم:
 =نَقَسِي ياما...نَقَسِي...عايز أنتنفس...قومي هموت مش عارف أنتنفس!
 ردت أم الديب بإرهاق:
 _ ايهي خليك كده يا ولا...خلينا نرتاح .
 نطق جلال بصوت مكتوم:
 =عايز أهرب ياما...قومي!
 ردت أم الديب بلا مبالاة:
 _ وتهرب ليه يا ولا؟
 نطق جلال بنفور:
 =عم سلامة طلع من تربته .
 ردت أم الديب بتجاهل:
 _ ايهي...يا ألف بركة .
 تلفظ جلال بجلبنة:
 =يوه ياما...قوميني حاسس ضلوعي بتتكسر!

ردت أم الديب:

_ ده أني زي الريشة !

نطق جلال بإختناق، وهو يحاول التنفس:

=ده انتي هتخشي جهنم بموتوسيكل من غير فرامل على كدبك ده .

الحقيقة أن تباهي فقدت وعيها بمجرد أن علمت أن عم سلامة على قيد الحياة، كما لو أن روحها تجمدت في لحظة التعبير الأولى. وفي ذلك الوقت الحرج، قال جاره بصوت مرتفع يتناغم مع حيرتهم:

_ حمدالله على السلامة يا معلم حنفي انت، وعم سلامة .

رد عم سلامة:

=الله يسلمك .

نطق المعلم حنفي بامتعاض:

_ منك لله يا أم الديب .

أفاقت ليالي والدتها، وجدت نفسها محاطة بأيدي حانية تسندها. وبينما كانت تستعيد وعيها، اقتربت تباهي من عم سلامة، وعلى وجهها الإعجاب الواضح. بينما تتأمله بتعجب، تحاول تصديق ما تراه، فقالت بصوت مليء بالدهشة:

=يا خرابي... انت عايش ولا انا بيتهيئلي؟

رد عم سلامة بتعجب:

_ ومين قالك إني مت؟

اقتربت تباهي من زوجها، وعلى وجهها لا تزال الشكوك واضحة، فوضعت يدها بلطف على كتفه، وقالت بذهول يعكسه عيناها المتلألئتان:

=انت عايش؟

رد عم سلامة بسخرية:

_ لا ميت .

أطلقت ليالي الزغاريد، وهي تهتف بصوت مرتفع:

=أبويا رجع يا ناس... حمدالله على السلامة!

ثاني يوم بعد أن خرجت الشمس لتنير أرجاء الكون، وبينما النور يتسلل إلى البيوت، استيقظ جلال ليجد أم الديب لا تزال فوقه منذ ليلة أمس. وفي تلك اللحظة، جاءت مي من بعيد، وقالت بصوت هادي: ِ

_ قومي يا حماتي... قومي .

ردت أم الديب:

=ياختي هو أني عارفة أتحرك؟

ظلت مي تحاول أن تسحب أم الديب، لكنها فشلت وسقطت، ثم وقفت مجددًا وحاولت للمرة الثانية، وهذه المرة نجحت في إنقاذها. وعندما وقفت أم الديب، نظرت تحتها ووجدت جلال كالفطيرة، فقالت بابتسامة طافحة بالدعابة:

=ياختي ده أني من امبارح، واني نايمة هناهو .

ونظرت لجلال مجددًا، ووجدته صامتًا، لا ترمش له عين، ولا يتحرك له أصبع. فقالت متعجبة:

=الواد جلال اتببط ولا ايه؟

سحبت مي جلال من يدها برفق، وقالت بصوت مليء بالقلق:

_ قوم يا جلال... قوم افتحلي قلبك!

وقف جلال على قدميه بثبات، وقال بغضب ساحق ملئ صوته المكبوت بالسخط:

= انا هدب السكينة في قلبي، وأرتاح منه، ومنك يا بعيدة يا مصدر الهم!

سحبت مي جلال نحوها بقوة، وقالت بصوت مليء بالحنين:

_ تعالى يا جلال... ماتيجي!

وقف جلال بعيداً عنها، وقال بصوت حاد يعكس استياءه:

= ابعدي عني بدل ما أتعبط عليكى !

ردت أم الديب:

_ ارجع مع مراتك يا ولا .

نطق جلال بصياح:

= مش هرجع مع حد ياما!

تحدثت أم الديب بصوت حاد:

_ آني قولت كلمة وهتسمع .

أخرج جلال المطواه من جيبه بحركة سريعة، ووجهها نحو أم الديب بعينين مليئتين بالامتعاض، وقال

بصوت محموم:

= وانا مش هروح مع حد ياما !

ردت أم الديب بالحاح:

_ اسمع كلامي يا ولا!

تلفظ جلال بجلبة:

= مش هسمع كلام حد وغوروا من وشي !

غادر جلال المكان وعاد إلى منزله، ونظرت أم الديب لمي بحسرة، حيث كانت نظراتها تعبيراً عن

الإحباط، فقد باءت هذه المحاولة الثانية بالفشل. ومع ذلك، فلن تيأس أم الديب، بل ستستمر في المحاولة

حتى آخر نفس لها في الحياة. المهم بالنسبة لها هو ألا تنتصر ابنة عدوها عليها. وفي وقت العصر،

اجتمع رجال عائلة عم سلامة، بالإضافة إلى المعلم حنفي، وأبو محمد، وجلال، في منزل عم سلامة

ليضعوا حدًا، ونهاية لمشكلات أم الديب. وفي هذا السياق، تحدث صابر قائلاً:

_ مفيش ست هتشارك ليالي أختي فيك يا جلال !

رد جلال:

= وانا مش عاوز حد غير ليالي .

نطق صابر بارتياح:

_ يبقى على بركة الله .

تحدث عم ليالي بصوت حاد:

= بنتنا تعيش معززة مكرمة، وأمك ملهش دخل بيها !

رد جلال بثقة:

_ وانا راجل ومحدث هيمشي كلمته عليا!

دخلت ليالي إلى مجلس الرجال، وبدت عليها ملامح القلق، ثم قالت بصوت متردد:

= يعني مش هتجوزها يا جلال؟

أجاب جلال بثقة:

_ لا مش هتجوزها .

نادى عم ليالي أم الديب قائلاً بصوت مرتفع:

=تعالى يا مرا يالى اسمك بسمة .

دخلت أم الديب إلى مجلس الرجال، وبينما تملأ الهواء بحضورها، قالت بلطف:

_ سلامو عليكو... أنى جيت أقف جنب الواد جلال ابني اللي مليش غيره .

شعر الجميع بأن أم الديب قد تعلمت من خطئها وأدركته جيداً، وفي هذا السياق، قال عم ليالي بصوت

مليء بالتفاؤل:

=شكل أمك حسست بغلطها .

رد جلال بقلق:

_ الله أعلم .

تألفظ صابر بدهشة:

=يعني انتى يا أم الديب حسيتى بغلطك ناحية ابنك؟

سقطت دموع أم الديب، وبينما تنساب على خديها، قالت بصوت رهيف ملئ بالندم، والحزن:

_ طبعاً ده ابني جلال، ولازم أفرحه .

أراد صابر التأكد من حديث أم الديب، فأعاد سؤاله مجدداً بصوت مليء بالاهتمام، قائلاً:

=يعني مش هتجوزيه حد على ليالي أختى؟

ردت أم الديب بدموع خادعة:

_ لا دي ليالي بت زي الفل .

لكن لم تهدأ ليالي، بل غمرها شعور بالتوتر المتزايد، كأنها تتوقع كارثة جديدة على وشك الحدوث،

لتعبر بقولها:

=مش مرتاحالك !

هتفت أم الديب بالزغاريد، وهي تقول:

_ ألف ميروك هترجعوا لبعض يا عيال .

وقف جلال، وقال بسرور:

=يلا يا ليالي ادخلي جهزي شنطتك... هترجعي لبيتك و عيالك .

ردت ليالي بسعادة:

_ انا داخله أهو .

قبل أن تتسلل ليالي بظلالها، انفتحت أم الديب على مشهد طريف، مرددة بمكر:

=بس استنوا عشان معايا ناس .

رد صابر بتعجب:

_ ناس مين؟

أجابت أم الديب بسعادة:

=هتعرفوا... ادخلي يا بت يا ولاء... ادخلي يا حاجة .

تجمّد الجميع في لحظة صمت مذهولة، حيث انكفأت الكلمات أمام الصدمة، ثم نطق جلال بصوت مرتجف:

_ولاء مين ياما؟

ردت أم الديب بسعادة:

=العروسة الجديدة .

حين هتفت أم الديب بالزغاريد، انتابت ليالي صدمة لا مثيل لها، فوجّهت حديثها بصوت متزعزع:

_العروسة الجديدة؟

تمسكت ليالي بولاء، ونشبت أم الديب برأسها، فاندلع النزاع من جديد بينهما، وفي تلك اللحظة فقد المعلم

حنفي سيطرته على أعصابه، وانهار من فوق الأريكة بحالة انتشاء، فصرخت ليالي بينما هي تتوجه

نحوه:

_يا لهوتي .

أم الديب في بلاد الأدغال

في تلك الأيام الصعبة، حيث كان المعلم حنفي يتلقى العلاج بعد الجلطة التي ألمت به بسبب أم الديب، كانت أم قمر الدين تستريح دائماً في إجازاتها برفقة زوجها باسم خارج البلاد. ولكن هذا العام، لم يتسن لباسم الانضمام إليها بسبب ظروف عمله. هذا الوضع لم يكن مقبولاً على الإطلاق بالنسبة لأم قمر الدين، لكنها وجدت في تفكيرها حلاً ملائماً. قررت السفر للمرة الأولى برفقة أحمد، وابنتها جميلة، بهدف كسب رضاء أم الديب والفوز بحبها، حيث خطت لاصطحابها معهم بما أنها لم تجرب السفر للخارج من قبل. بالنسبة لأم قمر الدين، كانت أم الديب سيدة مسكينة بقلب طيب، وروح نقية، وفجأة، بدون سابق إنذار، قررت الاتصال بأم الديب وهي تجلس في غرفة نومها الفاخرة، وابتسمت وهي تقول:

=ازيك يا أم الديب أخبارك ايه؟

ردت أم الديب بلطف:

_يا أهلاً وسهلاً يا ست هانم .

نطقت أم قمر الدين بانفعال:

=هو انا مش قولتلك بلاش ست هانم دي، أوه مش معقول كل مرة هتنسي؟

ردت أم الديب بإحراج:

_يخيبيني يا ست بسملة مقصدش .

نطقت أم قمر الدين بتردد:

=خلاص حصل خير....كنت عايزاكي في موضوع مهم جداً .

تفوهت أم الديب بفضول:

_خير يا ست بسملة في ايه؟

تحدثت أم قمر الدين:

= انا مسافرة غابات تايجا في أمريكا الشمالية انا جميلة، وأحمد ابنك، وسيليا بنتهم... فقولت بما أنك
 عمرك ماخرجتي ولا شميتي هوا نضيف، ايه رأيك تيجي معانا انتي وجلال ابنك ومراته؟
 في لحظة من الفرح الزاخر، صرخت أم الديب بشدة، معبرة عن سعادتها الفائقة، ثم نطقت قائلة ببهجة:
 _ ايهي وأنا أقدر أرفضك طلب يا ست بسلمة؟ أني موافقة .

ردت أم قمر الدين بسعادة:

= أوكي ميعاد الطائرة ستة الصبح... أوعي تتأخري !
 نطقت أم الديب بلهفة:

_ لا يا ست بسلمة أني مش هتأخر دقيقة واحده .

تلفظت أم قمر الدين:

= أوكي هستناكم، باي .

ردت أم الديب بسعادة:

_ مع السلامة... سلام... مع السلامة... سلام .

بينما دخل المعلم حنفي الغرفة، وجدها تحمل سماعة الهاتف، متحدثة بانتباه، فلم يملك إلا أن يعبر عن
 تعجبه بتلك اللحظة المفاجئة:

= بتكلمي مين يا ولية؟

ردت أم الديب بسعادة:

_ ست هانم قالتلي عازمانا في البلد اللي اسمها أمروكا دي .

رد المعلم حنفي بصدمة:

= أمريكا مرة واحدة؟ ده أني عمري ماركبت الطائرة !

ردت أم الديب بوجه عابس:

_ ومش هتركبها .

نطق المعلم حنفي بتعجب:

= ليه هو انا مش جاي؟

ردت أم الديب:

_ لا ياخويا مش جاي، هتيجي تعمل ايه؟ هي عايزاني أني وجلال والمنيلة مراته .

تحدث المعلم حنفي بالحاح، معبراً عن ضرورة الأمر:

= ماتاخذيني معاكي يا ولية والنبي... نفسي أشم شوية هوا نضيف .

وقفت أم الديب، وانطلقت صيحاتها في وجهه بقوة، معبرة عن استيائها بصوت ملتهب:

_ أني قولت كلمة ومش هغيرها، وكلام ست هانم هو اللي هيمشي... فاهم ولا لا؟

رد المعلم حنفي بحزن:

= خلاص يا ولية... يلا مليش نصيب .

تحدثت أم الديب بصوت حاد:

_ خد بالك من البت هايدي .

رد المعلم حنفي بامتعاض:

= طيب... جاتك نيلة، ياكش الطائرة تتقلب بيكي يا بعيدة .

اقتربت أم الديب منه بخطوات ثابتة، وأطلقت كلماتها بغضب متقد في وجهه:

_بنقول حاجة يا راجل انت؟

رد المعلم حنفي بذعر:

=مبقولش .

خرجت أم الديب من الشقة، ووقفت عند رأس الدرج، حيث نظرت لأعلى وصرخت بأعلى صوتها، متجاوزة حدود الصمت بكلماتها:

_يا جلال... انت يا ولا... يا جلال... انت يا زفت ماترد عليا... يا جلال!

خرج جلال من شقته، ووقف عند الدرج، ونظر لأسفل وأطلق كلماته بصوتٍ ملئٍ بالتعبير:

=في ايه ياما؟ البيت اتهم من صوتك .

ردت أم الديب بصوت مرتفع:

_اعمل حسابك انت ومراتك المخفية هتيجوا معايا بكر الصبح أمروكا .

رد جلال بتعجب:

=ايه أمروكا دي ياما؟

ردت أم الديب بسعادة:

_دي بلد يا ولا، وست هانم هتاخذنا معاها تفسحنا .

صاح جلال من فرحته بكل ما أوتي من قوة، معبراً عن سعادته الغامرة بكلمات مليئة بالبهجة:

=ياه ياما هنتفسح أخيراً؟

ردت أم الديب:

_خلي المخفية تجهز الشنطة .

بعد أن عاد كل واحدٍ منهم لشقته مجددًا، دخل جلال غرفة النوم، فكانت السعادة تغمر قلبه، فأعلن ببهجة:

=افرحي يا بت يا ليالي هנסافر البلد اللي اسمها أمريكا !

ردت ليالي بذهول:

_بجد يا جلال؟

رد جلال بسرور:

=أمال...أمي لسه قايلالي هנסافر مع الست بسملة وأخويا أحمد، ومراته .

لكن ليالي انزعجت عند سماع اسم جميلة، وانتابتها مشاعر الكراهية تجاهها، فأطلقت بين الأسنان قائلة:

_يادي النيلة...انا מבحبش جميلة دي، سبحان الله مابتزليش من زور .

رد جلال بتعجب:

=وانتي مالك ومالها يا ليالي؟

نطقت ليالي بغيره نارية:

_هو كده מבحبهاش...هو الحب بالعافية؟

رد جلال بسعادة:

=ياختي عنك ماحبتيها...المهم احنا نتفسح ونغير جو .

وقفت ليالي حيال خزانة الملابس، معبرة عن استيائها، وأدركت كلماتها بين ضلوعها قائلة:

_طيب انا هجهز الشنط .

نظر جلال حوله يبحث عن أبنائه، فتراقصت في ذهنه صورهم كالفرشات، وتنهت قائلاً:
=أمال العيال راحوا فين؟

ردت ليالي، وهي تخرج الملابس من الخزانة كما لو كانت تستخرج ذكريات من صفحات الزمن:
_ نايمين جوا .

غمز جلال عينه لليالي، وقال بسعادة تتلألاً في عينيه:

=ماتعملينا لقمطين كده على السريع .

ضحكت ليالي، وقالت بدلال:

_ هعملك .

دخلت ليالي المطبخ، وبدأت في تحضير الفطور كما تحضر الأمل في كل صباح جديد. وبعد أن تناولوا طعامهم، عادت ليالي لتجهيز حقائب السفر بنشاط، وحماس، بينما أم الديب وضعت ملابسها في كيس بلاستيكي، وفي صباح اليوم التالي، كان أحمد، وجميلة قد انتهيا من تجهيز الحقائب، وكلهم حماس، واستعداد للرحلة. وفي الساعة السادسة إلا عشر دقائق صباحاً في مطار القاهرة الدولي، كانت أم قمر الدين تجلس على الكرسي بجانب جميلة، وهي تحمل ابنتها سيليا على ساقيها بكل حنان. بينما أحمد كان يقف أمامهم ممسكاً بهاتفه، يراقب الوقت بدقة. أخرجت أم قمر الدين ملمع الشفاه والمرأة من حقيبتها، ووضعت الملمع على شفاها بحركة هادئة، ثم نظرت إلى أحمد، وقالت بابتسامة من الحب:
=مامتك وأخوك اتأخروا ليه يا أحمد؟
أجاب أحمد:

_ انا كلمتهم قالوا جاينين في الطريق .

ردت أم قمر الدين بقلق:

=مش باقي غير عشر دقائق على ميعاد الطائرة!

تلفظ أحمد بثقة:

_ أكيد قربوا .

دخلت أم الديب برفقة جلال، وزوجته، وأبنائه إلى المطار، فاستبشرت الوجوه وتبادلت التحيات. ابتسم أحمد بفرح وقال:

_ أهو جم .

اقترب أحمد من جلال وعانقه بحرارة، وقال بصوت مليء بالشوق:

_ ازيك يا جلال؟

عانق جلال أخيه، وقال بفرحة تغمر قلبه :

=ازيك ياخويا يابن أمي وأبويا؟

وقفت أم قمر الدين وتحدثت بلهفة تحيطها، قائلة:

_ هاي أم الديب... ازيك؟

تشبثت أم الديب بأم قمر الدين، وعانقتها عناقاً قوياً كمن يبحث عن الأمان في بحر العواطف، وأمطرتها بإحدى عشرة قبلة على خدها، كأنها تحاول نقش حبها على صفحة قلبها. فابتعدت أم قمر الدين عنها بتردد، وقالت مشمئزة:

=خلاص كفاية... كفاية!

تركت أم الديب أم قمر الدين، وعانقت جميلة بحنان يشع بينهم، وقالت لها بسعادة تنعكس في عيونها:

_ ايهي... ازيك يا بت يا جميلة؟

ردت جميلة باشمنزاز:

=بت؟

يتبع....

الفصل الثامن والعشرون

رد أحمد بإحراج بعدما تنحنح بصوته :

_ماما متقصدهش .

ضحكت أم الديب فقالت بدهشة:

=ايهي مانتتي بت...أمال واد؟

استدارت جميلة إلى الجهة الأخرى، وقالت باشمئزاز:

_لا مش معقول اللي بيحصل ده .

توجهت العائلة نحو بوابة الصعود لركوب الطائرة، وبعد أن جلس الجميع في مقاعدهم وربطوا أحزمة

الأمان، بدأت الطائرة بالتحرك استعدادًا للإقلاع. عندما ارتفعت الطائرة بسرعة إلى السماء، وشعر

الجميع باندهاشها الحاد، صرخت أم الديب فجأة، وهي تنتشبت بالكروسي بشدة، وقالت بصوت مرتجف:

=ياختي...يالهوري .

أدار أحمد وجهه نحو أم الديب بحدة، وقال بغضب وعيناه تلمعان بالاستياء:

_ايه يا ماما؟ متعمليش كده حوالينا ناس!

ردت أم الديب برهبة:

=ياخويا الواحدة تحس إن ضهرها بيقع .

تحدثت أم قمر الدين بابتسامة خافتة:

_اهدي يا أم الديب متخافيش...علشان انتي بس مش متعوده على السفر .

صرخت أم الديب بصوت مرتجف وهي تتمسك بمسند الكروسي بقوة، قائلة:

=يالهوري .

التفت الجميع نحو أم الديب بدهشة، وشعر أحمد بالإحراج فتلون وجهه بالحمرة من تصرفات والدته.

بسرعة، وضع يده الناعمة على فمها، محاولاً كبح جماح الوضع المرحج. ثم، بابتسامة متكلفة وعينين

تنطقان بالاعتذار، ألقى نظرة تحاشي العيون الفضولية، معبراً للناس بجملة متمنياً التسامح:

_She's afraid of getting on the plane.

(بتخاف تركب الطائرة.)

تحدث جلال بتعجب:

=انت بتقول ايه ياض؟ انا مش فاهم حاجة!

رد أحمد بإحراج، وقال:

_اسكت بس...خلينا نوصل وبعدين هفهمك .

صرخت أم الديب بصوت مرتفع يختلط فيه الانزعاج، وأكملت حلقة الفضائح بكلمات حادة، قائلة:

=عايزه أدخل الحمام .

نفوخت أم قمر الدين بإحراج جسيم:

_أوه ماي جاد...وطي صوتك فضحتينا!

نظرت جميلة لأم الديب بعبوس، وقالت بصوت مليء بالانتقاد الخفي:

=بجد مامي غلطانة أنها جابتها .

تحدثت سيليا برقة:

_مامي .

ردت جميلة بحنان:

=ايه يا حبيبتي؟

أشارت سيليا على فمها بيدها، بينما تعبير الفهم يتسلل لوجه جميلة، فأجابت بلطف:
_حاضر هناكل ال-food دلوقتى .

بينما كانت جميلة تبحث في حقيبتها، استخرجت المرصعة بحرص متناهي، وقامت برجها للتأكد من جاهزيتها، ثم بمهارة فائقة وضعتها بين شفتي سيليا، وكانت الأخيرة تمسكها بيديها بثبات، وبدأت تتناول طعامها ببطء متناسق. نظرت أم الديب إلى جميلة بتعجب، وقالت بصوت مليء بالدهشة:
=ايه ماطرصعيها من صدرك ياختي .

نظرت جميلة لوالدها بضيق، وقالت بانزعاج:

_عاجبك كده يا مامي؟

ردت أم قمر الدين بإحراج:

=سوري يا جميلة...انا غلطانة!

تحدث أحمد بخجل:

_معلش يا جميلة، ماما مش متعودة على طريقة كلامنا، وبتتكلم بكل عفوية !

ردت جميلة بانزعاج، ووضعت ساقاً فوق الأخرى بشكل قاسٍ، مُظهرة علامات النفور بوضوح على وجهها:

=أوكي .

وقفت أم الديب في مكانها بكل ثبات، وصدفت بقوة مُعلنةً عن مسغبتها، وهي تنادي بأعلى صوت قائلة بحماس:

_انتوا يا ناس يالي هنا...انتوا يا ناس فين الطفح؟

جاءت المضيفة وردت بتعبير ساخط على وجهها:

=What's that noise, lady?

(ايه الدوشة دي يا ست؟)

ردت أم الديب بجهل:

_آني مش فاهمة حاجة... يا خلق يالي هنا عايزه أروح الحمام... عندكم حمام بلدي؟

وقف أحمد بوقار غاضباً، وصوته يتزايد في الصباح:

=اقعدي يا ماما بلاش فضايح!

خرجت أم الديب من مقعدها بخطوات ثقيلة، واتجهت نحو المراض بسرعة، وهي تصرخ بصوت مرتفع قائلة:

_محصورة يا ناس .

تحدثت أم قمر الدين بإحراج:

=وديها ال-W. C!

خرج أحمد عقب أم الديب بخطوات ثقيلة، ووجهه يعبس بالامتعاض، فقال لها بصوت حاد:

_تعالى معايا يا ماما .

وذهب معها حتى تأكد أنها دخلت المراض في سلام، ثم عاد لمقعده مرة أخرى. لكن أم الديب التفت حول نفسها، وهي تبحث عن المقعد الخاص بها، فقالت بذهول:

=ايه فين الفتحة اللي في الأرض؟ فين القاعدة البلدي؟
خرجت أم الديب من المرحاض واتجهت نحو المطبخ، حيث واجهتها المضيضة بابتسامة ودية، وقالت لها:

_What do you prefer to eat?

(عايزه تاكلي ايه؟)

لكن أم الديب لم تفهم لغة المضيضة، فأجابت بتعبير من الارتباك:

=انتي بتقولي ايه؟ أي عايزه سكيينة... ايه الطيارة اللي مفيهاش حمام دي؟

نشبت أم الديب بالسكين بين أصابعها بقوة، فظهر على وجهها تعبير من الإصرار، وعادت به إلى المرحاض مجددًا، متجاهلة نظرات المضيضة المتسائلة. وفي لحظة من الدهشة، لم تستطع المضيضة إخفاء انبهارها، وقالت بصوت مرتفع:

_She obviously wants to kill someone

(شكلها عايزه تقتل حد) !

أمسكت أم الديب بالسكين بقضبتها، وبدت على وجهها ابتسامة بريئة ممزوجة بالسعادة، وقالت بصوت مليء بالبهجة:

=آني هعملكم قاعدة بلدي إنما ايه، مفيش زيها أبدًا !

جلست أم الديب على الأرض بانحناء، وهي تحفر بشكل متهور في أرضية مرحاض الطائرة بالسكين، وهي في اعتقادها أنها تصنع المرحاض البلدي، فانبعث صوت الصخب القوي الذي أحدثته حفرتها إلى جميع أنحاء الطائرة، بل ووصل إلى أبنائها الذين كانوا في جزء آخر من الطائرة. وفي لحظة من الهلع، قالت ليالي بصوت مرتفع ينطلق من خوفها:

_أمك شكلها بتعمل مصيبة يا جلال !

أجاب جلال بلا مبالاة:

=فكك منها خيلنا في نفسنا... انا هانام شوية .

ذاب جلال في نومه العميق، فأبدت أم قمر الدين خوفها بوجه ملتوي، وهمست بصوت خافت:

_مامتك شكلها بتعمل جريمة !

وقف أحمد بترقب متوتر، مستعدًا لاكتشاف مصيبة حديثة، وقال بصوت مرتجف مليء بالخوف:

=انا هروح أشوف في ايه !

بعد أن وصل أحمد للمرحاض، ألقت المضيضة عليه نظرة مُدهشة، وسألته بتعجب:

_This lady is with you?

(الست دي معاك؟)

رد أحمد بإجراج:

=Yes, she's my mother.

(أيوه دي أمي).

اجتمع الركاب أمام باب المرحاض، واقتحموه بعنف ليجدوا أم الديب تحفر بسكينها. فصدم الجميع من الثقب الجسيم الذي صنعه، وتفاجأوا بالمشهد بأكمله. فاقتربت المضيضة ببطء، ووجهها مبهوت بالدهشة، ثم قالت:

_Oh, my God, she broke the plane base.

(يا إلهي دي كسرت أرض الطيارة.)
صاح أحمد بصوت جلف، صياحًا محمومًا، قائلاً:
=ايه اللي انتي عملتيه ده؟ انتي فضحتينا!
ضحكت أم الديب، وقالت:
_ايهي... هو انتوا معندكمش قاعدة بلدي ليه؟ ده آني اتقطع نفسي وآني بكسر .
وأردفت لجلال:
_اجري يا واد يا جلال هات ماسورة .
وقف جلال جاهزًا حيال أم الديب، ووجهه يعبر عن الصدمة، فقال بصوت متأثر:
=ايه ده ياما؟ ايه اللي بتعمليه ده؟
نظر أحمد للمضيضة بإحراج، ثم قال لها بصوت خافت:
_i'm so sorry.
(انا آسف جدًا.)
ردت المضيضة بسخط عارم:
=You have to pay a fine of money
(لازم تدفعوا غرامة مالية.)
أجاب أحمد بخوف:
_ I'll do whatever you ask me to do

(هعمل اللي انتوا عايزينه.)
ردت المضيضة:
=All right.
بعد أن غادرت المضيضة المكان، سحب أحمد أم الديب بقوة حتى أجبرها على الجلوس، فأعربت أم
الديب عن غضبها بوجه متجهم، وقالت بصوت متمرد:
_آني متصيرتش يا ولا...محصورة!
رد أحمد بانفعال ملحوظ:
=في ايه يا ماما؟ ايه الفضايح دي؟ انتي خلتيني وشي في الأرض!
تحدثت أم قمر الدين بندم جسيم:
_مش معقول يا أم الديب...انتى مش طبيعية أبدًا... في حد يعمل اللي انتى بتعمليه ده؟
ردت أم الديب بلا مبالاة:
=ياختى كنت محصورة...خلاص هعملها في أي حنة .
تقوهت أم قمر الدين بانزعاج:
_ لا لا مش معقول...بجد انتى زودتيها!
تحدثت جميلة مع أحمد باشمئزاز عارم:
=Your mother strangled us More than that.
(مامتك قرفتنا...انا مش قادرة أستحملها أكثر من كده.)
رد أحمد بخجل:
_Take it a little longer.

(استحملي شوية).
 ضحكت ليالي، وابتسمت بسخرية ناعمة لزوجها، ثم قالت بلسانٍ مشبع بالسخرية:
 =وهي مالها الأخت عاوجه لسانها ليه؟ ماتكلم زينا .
 رد جلال بصوت حاد:
 _جرا ايه يا بت يا ليالي؟ ماتخليكي في حالك!
 تحدثت ليالي بانفعال:
 =في ايه يا جلال؟ بتكلمني كده ليه؟
 رد جلال بتجاهل:
 _انا هانام .
 أجابت ليالي بضيق عارم:
 =نام .
 تحدث حمود بفضول:
 _أما...أما قربنا نوصل؟
 ردت ليالي بانزعاج:
 =أه متعملش دوشة...أختك نايمة .

بعد مرور عشر ساعات طويلة في الطائرة، تم أخيرًا الوصول إلى الولايات المتحدة الأمريكية. ونزل كل منهم بترتيب محدد حتى دخلوا المطار لاستلام حقائبهم المتبقية. ولكن كانت أم الديب تسير بطريقة غريبة، حيث كانت تفتح ساقيها كمريض الكساح، وتضع يدها برهة خلف ظهرها، وهي تسير بخطوات متعرجة، ومتألّمة بسبب طول مدة السفر. بينما تتجارب مع الألم، قالت بضجيج:

_أه يآني يا رجلي...يآني يا خرابي...يا مصيبتني!

تحدثت أم قمر الدين بسخط:

=اسكتي بقى يا أم الديب !

ردت أم الديب بإرهاق:

_أه يآني .

بعدما وصلت العائلة إلى البوابة، واجههم الضابط بتحديق صارم منعهم من الدخول، فعبر أحمد عن تعجبه بتعابير ملتفتة:

(Why? =ليه؟)

تحدث الضابط بحزم:

(You broke the rules ._كسرتوا القواعد.)

رد أحمد بقلق:

(And what to do? =وهنعمل ايه؟)

أجاب الضابط بوجه عابس:

_You have to pay up to 600\$

(عليكم بدفع مبلغ ٦٠٠ دولار.)

نطق أحمد بغضب:

=Oh, my God, I'm going to pay it.

(يا ربي، هدفعه.)
أخرج أحمد المال من جيب بنطاله بتمحور بسيط، ودفع غرامة مالية باهظة على الرغم من أنه كان في
أمس الحاجة إلى كل دولار! وبعدهما وصل لبقية العائلة، وهو على وجهه السخط الملوث، قالت أم قمر
الدين بتأمل:
_ عملت ايه؟
رد أحمد باستياء:
=دفعت ٦٠٠ دولار بسببها!
نطق جلال بتفكير:
_ يعني كام ياوض؟
رد أحمد بصوت حاد:
=يعني دافع تسع آلاف جنية بسبب أمك يا جلال!
تلفظ جلال بصدمة:
_ بالهوي تسع آلاف مرة واحدة؟
ردت أم الديب بامتعاض:
=ايه تسع آلاف عفريت لما يركبوك وينططوك انت وأخوك!
برزت عروق عنق جلال بشدة، كأنها أوتاد من حديد تنطلق من جلده المشدود، من شدة إمتعاضه، ورد
بصوت مرتفع يتخلله الاستياء:
_ ماجرا ايه ياما؟ عيب اللي بتقوليه ده!
نظرت أم قمر الدين في الساعة بعينين ملتهبتين بالقلق، وفي تلك اللحظة الحاسمة، اكتشفت أنهم قد
تأخروا عن الميعاد المطلوب، فخرج صوتها محملاً بالتوجس:
=أوه مش معقول... يلا علشان نروح الغابة!
ركبت العائلة الحافلة بتوجه متحمس نحو محطة الحافلات، ومن هناك انتقلوا إلى حافلة جديدة، واتجهوا
بصمت مترقب نحو غابات تايجا الشاسعة، حيث يتوقعون قضاء إجازة هادئة، وممتعة. وبعد مضي
لحظات، وصلوا أخيراً، وانبعثت البهجة منهم بينما نزلوا بحقائبهم المليئة بأمالهم، وتطلعاتهم. كانت
المنازل المبنية على حافة الأشجار تظهر أمامهم، وينحدر منها سلالم تشير إلى الأعلى. وتميز كل منزل
بتصميمه الفريد الذي يتألف من صالة، وغرفتين ومرحاض، مع امتداد الهواء النقي الذي يتغلغل في كل
زاوية ويجدد الأجواء. وعلى الرغم من روعة المنزل، وفخامته، فإنه لم يلق إعجاب أم الديب، فحينما
نظرت حولها كانت الدهشة تعلو وجهها، وقالت باندهاش:
_ هو انتوا مخليني سايبه بيتي وبهايمي عشان تجيبوني هناهو؟
أجاب أحمد بتعجب:
=ماله هنا؟
ردت أم الديب باشمئزاز:
_ ده مكان منتن يا ولا .
تحدثت جميلة باشمئزاز واضح من تصرفات أم الديب:
=i will walk and take your daughter and you will find a solution with your
mother.
(انا هاخذ بنتك وهمشي، وانت شوف حل مع مامتك.)

رد أحمد بإحراج:

I'm sorry, I know it caused a scandal for us. _انا أسف... عارف أنها فضحتنا. (تحدثت ليالي باغتيال منين، وعيونها ينبعث منها الغضب المتأجج من سلوك أحمد، وجميلة، فخرجت كلماتها باضطراب:

=مايتكلموا عربي...لازمتها ايه عاوجة اللسان دي؟
رد جلال:

_دول متعلمين تعليم عالي يا بت يا ليالي مش زينا.
حركت ليالي فمها بغضب متجلّ، وسطعت عباراتها بنبرة حادة، وصوت مرتفع يعكس غضبها المتقيح:
=مش زينا ازاي يعني؟ ده انا معايا دبلوم تجارة قد الدنيا .
سار الجميع في طريقهم، وفي منتصف الطريق، شعرت أم الديب بالإرهاق الشديد، فانفجرت بصياح عالٍ، يعكس حالة الإجهاد التي كانت تشعر بها:

_أه يا رجلي ياني...يا خرابي !

ردت أم قمر الدين بامتعاض:

=بس بقي، فضحتينا!

بعد وصولهم إلى المنزل، وقفت أم الديب إزاء الشجرة الضخمة، ورفعت نظرها إلى الأعلى بدهشة تعبر عن ارتياحها من ارتفاع المنزل، فخرجت كلماتها ببساطة مختلطة بالتعجب:

_وآني هطلع فوق ازاي؟

ردت أم قمر الدين بحماس:

=انا هطلع الأول .

تسلقت أم قمر الدين الشجرة بكامل رشاققتها، حتى وصلت إلى المنزل المعلق بين أغصانه الضخمة، وظل الجميع في حالة تسلق مستمرة، حتى جاء الدور على أم الديب، فوقف جلال بجانب زوجته ينتظران صعودها بصبر، ثم قال جلال بتفاؤل مشجع:

_اطلعي ياما .

تسلقت أم الديب السلم، وقالت برهبة:

=ايهي...هو ماله ضعيف كده ليه؟

تحدثت ليالي بسعادة:

_تعالوا يا ولاد اشطفكم

دخلت ليالي بأولادها إلى المرحاض، ووقف أحمد مكان ليالي، ونظر إلى أسفل بترقب ينتظر صعود أم الديب هو الآخر، وفي لحظة من الترقب، قال جلال بتحفيظ متحمس:

=انا واقفلك أهو ياما...اطلعي!

بمجرد صعود أم الديب، انقطع الحبل المثبت بالمنزل، وسقطت على الأرض بانفجار من النواح العارم الذي امتزج بالألم، والهلع، وهي تعول بكل قوة:

_ياختي ضهري...أه ضهري!

رد جلال بفزع:

=يالهوري ياما...انتى ثقيلة للدرجادي؟

على الرغم من تعبها الساحق، إلا أن أم الديب توعدت لجلال بعد أن تلقت سخريته عليها، وخرجت كلماتها محملة بالاهتياج:

_بتتريق عليا يا ولا؟ أني هطين عيشتك، هخليك شبه البالونة انت ومراتك !
رد جلال بذهول:
=الله.. واحنا مالنا ياما؟

اتكأت أم الديب على منتصف ركبتها، تحاول بجهد الوقوف، ووضعت يدها بحرص على ظهرها المتألم،
فخرج صوتها بنبرة مليئة بالألم:
_يا خرابي يا ضهري... أما اقوملك بس!
اتصلت أم قمر الدين بالنجدة، وصوتها مليء بالاستغاثة، وقالت:
(The stairs were cut because of Um El Deeb =السلم انقطع بسبب أم الديب.)
رد الضابط:

(We'll find a solution. _سنجد حل.)
قدمت سيارة الشرطة بسرعة، ونزل منها الضباط، وعندما وصلوا إلى المكان، اندهشوا لرؤية القطع
الكبير المتناثر بجوار السلم، مما أثار استغرابهم، فقال أحد الضباط بتعجب:
= Oh, my God, it's a big cut.
(يا إلهي إنه قطع كبير.)

اتصل الضابط برجال الإنقاذ، وبمجرد وصولهم وإتمامهم إصلاح السلم، قال جلال لوالدته:
_حمدالله على السلامة ياما.
ردت أم الديب بانفعال:
=أنى هخليك شبه البالونة يا ولا !

تحدثت جلال بصوت حاد:
_بس انا مش عايز أبقى شبهك !
ردت أم الديب بصوت أجش، محاولاً استيعاب حديث جلال:
=ايهي... يعني ايه؟
انفجرت ليالي بضحكة عارمة، لم تستطع كبح جماحها من فرط المرح، فقالت:
_يخربيتك يا جلال...ضحكتني!
اغتاظت أم الديب من ليالي، فاستدارت نحوها بحنق، وهي تقبض على حجابها بشدة، قائلة:
=بتتريقي على مين يا بت؟
صرخت ليالي، قائلة بذعر:
_أه خلاص... ابعدي ايدك يا حماتي!
اقترب جلال منهم بخطوات مُتسارعة، وقال بضيق:
=سببها ياما بقولك !

نظرت أم الديب إليهم نظرة حاقدة، تحمل في طياتها شراً، وانتقاماً دفيناً، ونشبت بحجاب ليالي بأصابع
منفعلة، أكثر مما كانت عليه في البداية، ثم قالت بصوت حاد يخرق الأذان:
_ أنى مش هسيب حد في حاله... أنى هطلع عينك انت ومراتك !
أمسكت أم الديب بيد ليالي بقوة، فصاحت ليالي قائلة:
=يالهوري .

بينما كانت أم قمر الدين في كوخها المتواضع، تجلس إزاء المرأة وتضع الكريم على وجهها برفق، انبعث فجأة صوت ضجة قوية هزت أركان الكوخ من شدتها، فارتعدت واستدارت بسرعة، وخرجت مسرعة إلى الخارج، وقالت بخوف يتملكها:

_أوه ماي جاد... ايه صوت الهدبة دي؟

نشبت جميلة بيد والدتها، وقالت بقلق:

=مامي شكل حد وقع!

خرجت أم قمر الدين برفقة جميلة، بخطوات متسارعة تتخللها ملامح الارتباك، ليكتشفوا ما يحدث في الخارج. وما إن وقعت أعينهما على المشهد المروع، صرخت أم قمر الدين بأعلى صوتها، ووضعت يدها على فمها من هول الصدمة التي انتابتها، وقالت بصوت مرتجف:

_أوه مش معقول!

هوت الجدران المُتهالكة وانهارت الأعمدة الضعيفة بما فيه من أثر، كما لو كانت تنشد لحن الدمار. وقبل تلك اللحظة الفاسية، أمسكت أم الديب بليالي بعنف، وقفزت بها قفزة تحمل في طياتها غضبًا جارفًا، فأدى هذا العمل المتهور إلى انهيار الكوخ على رؤوسهم جميعًا، ولم يتأخر أحمد، فهبَّ بسرعة ليزيل الأخشاب المتناثرة فوقهم، محاولًا إنقاذهم من براثن الخطر. وفي ذلك الوقت العصيب، اندلعت أصوات الصراخ، وفي هذا السياق القاسي، توجه جلال بنبرة مؤلمة، محاولًا ترجمة معاناتهم الداخلية:

=الحقني يا ض... الحق أخوك... أني واقع فوق مني خشبة ثقيلة... مش قادر آخذ نفسي!

تحدث أحمد بصدمة:

_خشبة ايه؟ دي ماما!

نفوحت أم قمر الدين باندهاش جسيم:

=مش معقول... انتي عملتي زلزال لدرجة إن الكوخ وقع بكل اللي فيه... انا بقالي خمستاشر سنة باجي هنا، واسمع إن الكوخ ده قوي جدًا مفيش حاجة تأثر فيه... معقول يقع بسببك يا أم الديب؟ صرخت أم الديب بصوت عالٍ:

_يا خرابي .

في هذه اللحظة القاتمة، وبينما كانت أنفاس جلال تتلاشى تدريجيًا، وهو يواجه حافة الموت، خرجت أنفاسه الأخيرة كدمعة تنهمر في سماء الوداع. وفي تلك اللحظة الفارقة، استنجد بالناس بصوت مكتوم:

=هموت يا ناس... الحقونا في خرتيت نايم فوق مني .

نطق أم الديب بصوت حاد:

_أني هسلحك انت ومراتك... هخليك شبه الفرخة المسلوخة يا ولا!

رد جلال بصياح:

=هو احنا في ايه ولا ايه ياما؟ حد ينجدي !

حاول أحمد بكل جهده سحب أم الديب برفق من فوق جلال، مخاطبًا بحياته، قائلاً بصوت مليء بالقلق:

_براحه انا هحاول .

وقفت أم قمر الدين بجانب أحمد، وبجهود مشتركة معه يحاولان سحب أم الديب برفق معهما، بينما كانت جميلة تشاهد الحدث بكل هدوء. وفي لحظة من التأمل، قالت أم قمر الدين بصوت هادئ:

=هساعدك !

لا زال الليل يحتضن الحدث بظلماته، وأحمد، وأم قمر الدين لا يزالان يبذلان جهودًا جبارة لإخراج العائلة من تحت أنقاض الكوخ المنهار. وفيما يعاني جلال من ضيق التنفس منذ ساعات ماضية، خرجت كلماته بتعب ممزوج بالألم، قائلاً:

_نَفْسِي... عايز أتُنفس!

قالت أم قمر الدين، وهي تسحب أم الديب برفق من يدها، بنبرة حزينة:
=يلا يا أحمد شد معايا .

وقف أحمد بجانب أم قمر الدين، وانضم إلى جهودها في محاولة لسحب أم الديب أيضًا، فكانوا جميعًا في حالة من الإجهاد لاستخراج عائلة أم الديب من تحت الأنقاض المتهاكّة. ومع مرور الوقت، بدأت أنفاسهم تنقطع من شدة الإرهاق، لكنهم لم يستسلموا، حتى نجحوا أخيرًا في استخراج جلال من تحت الأنقاض، ووقف وهو ينظر إلى نفسه بدهشة عارمة، وقال بصوت هزيل:

_ اللهم لك الحمد... أني مموتش... مموتش .

نطق أحمد بتعجب:

=انت كويس يا جلال؟

جلس جلال على الأرض بإرهاق، وضم أيديه لأرجله بألم، محاولاً تهدئة اضطراباته الداخلية، ثم قال بصوت مكسور:

_ هاتلي مايه اللهي يسترك... انا هموت!

استلقى جلال بكامل جسده على الأرض من شدة إرهاقه. في الوقت نفسه، أخرج أحمد بقية العائلة من تحت الأنقاض، وسارع إلى البحث عن الماء لتقديم الإسعافات الأولية. وبينما كانت أم قمر الدين تصر على الإمساك بأم الديب، مدت يدها لها برفق، وقالت بصوت دافئ:

=هساعدك يا أم الديب!

كلما حاولت أم قمر الدين سحب أم الديب فشلت، وفي تلك اللحظة المرعبة، سمع الجميع صوت الذئب القادمة، مما أثار الذعر في قلوبهم. فوقف جلال بسرعة، والتفت حوله بخوف متزايد، وقال بصوت مرتجف:

_ يا نهار أسود... ايه صوت الديابة دي؟

رد أحمد بخوف:

=ده مش ديب... ده دب!

أمسكت أم قمر الدين بليالي، وأبنائها بقوة، وأسرعوا جميعًا إلى الكوخ حيث كانت جميلة تنتظرهم، وبعد وصولهم، أوصدوا الباب بإحكام لحماية أنفسهم. ولكن كانت أم الديب محاصرة تحت ألواح الخشب الثقيلة، وعجزت عن الهروب مثل بقية العائلة. وبينما كانت تحاول النجاة، رأت الدب يقترب منها ببطء، فصرخت بشدة تستنجد قائلة:

_ يا لهوتي... الحقوني... واد يا جلال تعالى الحق أمك .

أخرج جلال رأسه من النافذة بعد أن سمع صياح أم الديب، ولكن بلا مبالاة غير متوقعة قال لها:

=مليش فيه ياما انا نفدت بجلدي .

ثم نظر لزوجته، وقال:

=يلا يا ليالي ننام .

صك جلال النافذة بصمت، ثم جلس على السرير بجانب زوجته، وأولادهم ليستعدوا للنوم، لكن جميلة كانت مشغولة في الغرفة الأخرى مع والدتها، وكانت تشتغل غضباً من مجيء أم الديب معهم. حيث قالت بصوت مليء بالسخط:

_بتقوليلها تيجي ليه يا مامي؟ عاجبك اللي بيحصل ده؟

ردت أم قمر الدين بإحراج:

=سوري يا جميلة...أوعدك مش هتتكرر ثاني أبداً!

دخل أحمد الغرفة، وهو على وجهه التجشم، فقال:

_انا غلطان أني وافقتكم على الفكرة دي...أصل دي ماما وانا عارفها كويس!

قد وصل الدب إلى أم الديب، ولكنها لم تكن مستترة تسترًا كليًا، فكان بعض أجزاء جسدها مكشوفة مثل ذراعها، ورأسها، بينما كانت يدها مقيدة تحت ألواح الخشب. وقف الدب نحوها وهو يقرب فمه من ذراعها، ويستنشق رائحتها، فكادت أم الديب أن تفقد السيطرة على نفسها من شدة الذعر، وصاحت قائلة:
=يا خرابي ياني...الدب هياكلني ياخلاق يالي هنا، الحقوني .

شعر الدب بالاشمزاز من رائحة أم الديب الكريهة، فلم يقتنع برؤيتها كفريسة لذيدة، بل كانت بالنسبة له وجبة فاسدة، وملوثة يقف عليها الذباب الأخضر. خشي من أن يصاب بتلوث المعدة ويعاني من التهاب رئوي، وأدرك أن صحته الجسدية تعتبر أمرًا أساسيًا فوق كل شيء. وفي خطوة حكيمة، قرر المغادرة قبل أن يتعرض للإصابة بأية مشاكل صحية. وبمجرد اتخاذه للقرار، عبرت أم الديب عن سعادتها بترحيل الدب بابتسامة عريضة وسط الخوف، فقالت:

_يا ألف بركة... حد يطلعنني... المنيل على عينه مشي... حد يشدني!

ظلت أم الديب على هذا الحال، مغمضة العينين، ومتألّمة، حتى صباح اليوم الثاني، حيث أشرقت شمس يوم جديد بأشعتها المضيئة. وفي تمام الساعة الثامنة صباحًا، استيقظت أم قمر الدين من نومها بروح منتعشة، ونشاط متجدد، فامتدت أذرعها في الهواء كعلامة على استعدادها لاستقبال اليوم الجديد، ثم وقفت وخرجت من الغرفة، وعندما وصلت إلى الصالة، وجدت أحمد مستيقظًا ولكن جميلة، وسيليا كانوا نائمين بعمق على الأريكة. فابتسمت وهي تنظر إليهم بسعادة، وقالت بصوت مُبهج:

=صباح الخير يا ولاد .

رد أحمد بابتسامة:

_صباح النور يا حماتي .

نظرت أم قمر الدين لجميلة، وقالت بدهشة:

=جميلة انتي لسه نايمة انتي وسيليا؟

استيقظت جميلة من نومها، وقالت بنعاس:

_أيوه يا مامي...صباح الخير .

ردت أم قمر الدين بابتسامة:

=صباح الورد يا روح مامي...يلا ننزل نروح النهر اللي جنبنا .

وقفت جميلة، محملة ابنتها الصغيرة سيليا على صدرها بلطف، وكانت النظرة في عينيها تعكس الحب،

والرعاية. ثم قالت بصوت لطيف مليء بالحنان:

_ياريت، انا عطشانة أوي!

نزلت أم قمر الدين، برفقة أحمد، وجميلة، وسيليا، واتجهوا جميعًا نحو النهر وهم يحملون بعض أدوات الصيد والأواني. وفي ذات الوقت، استيقظ جلال هو الآخر، وقال لزوجته بصوت هادئ:

=ليالي اصحي... ليالي... انتي يا بت!
استيقظت ليالي من نومها، وقالت بنعاس:
_ ايه يا جلال عايز ايه؟

رد جلال بحماس:
=اصحي عايزين ناكل .

أجابت ليالي بدهشة:
_ وانا هجيبلك أكل منين؟
رد جلال:

=انا سمعت الست بسملة بتقول للواد أخويا يروحوا النهر يشربوا وياكلوا... تعالي نروح وراهم .
أجابت ليالي، وهي تتأهب ببطء، معبرة عن استيقاظها التدريجي:
_ ماشي ياخويا، هقوم أهو .

وقفت ليالي بتعبير من الإرهاق، ودخلت المرحاض لتغسل وجهها بالماء والصابون، وبعد أن انتهت من الإنتعاش، خرجت وحملت تقى على كتفها برفق، بينما حمل جلال حمود على كتفه، ونزلوا جميعًا من الكوخ، متجهين نحو النهر بحماس. بينما كانت أم الديب تعافر للخروج من تحت الأنقاض نجحت، حيث كانت تعقبهم، وتحاول متابعتهم في هذه اللحظة، وقد شعرت ليالي بالحيوية لأول مرة، فقالت وهي تعبر عن سعادتها قائلة:

=أحسن حاجة يا جلال ان أمك مش معانا .
رد جلال بسعادة:

_أمال؟ ده أمي وش الهم والنكد .

أسرعت أم الديب من خطواتها، ووقفت قبال جلال بتحدي، وقالت له بصوت غليظ مليء بالامتعاض:

=هي مين دي اللي وش الهم والنكد؟
ابتلع جلال ريقه بصعوبة، وقال بفرع:

_ ايه ده؟ انتي طلعتي ازاي ياما؟

ردت أم الديب بصوت غليظ:

=فاكرني مش هطلع يا ولا؟ ده أني هطين عيشتك انت ومراتك !
نشبت أم الديب في عنق ليالي، فصرخت ليالي، وقالت بصوت متألم:

_أه... ابعدي ايدك!

ردت أم الديب بموجدة:

=مش هسيبك يا بت !

جرت أم قمر الدين نحوهم بسرعة كالريح الهائجة، وأمسكت بذراع أم الديب بقوة، وفي عينيها انعكست حدة القلق. ثم قالت:

_ أم الديب سيبها بليز... علشان خاطري!

ردت أم الديب وهي تلقي نظرات حادة نحو ليالي، تعكس انفعالاتها السلبية:

=أنى هسيبها عشان خاطر ك يا ست بسملة غير كده كنت طلعت بزماره رقتها !
تشبثت أم قمر الدين بقوة بذراع أم الديب، وفي عينيها برزت حالة من الاشمئزاز، ثم قالت بصوت
محتد، وملىء بالحزم:
_ خلاص يا أم الديب... تعالى معايا!

ذهبت أم الديب مع أم قمر الدين وجلستا أمام النهر، حيث كان أحمد، وجميلة يصطادان الأسماك، وسيليا
تجلس على اليابس. وفي ذلك الوقت، اتجهت أم قمر الدين نحو النهر، ونزلت فيه وبدأت في السباحة
ببراعة. نظرت ليالي لجلال وأرسلت له رسالة بنظرات عيونها، داعية إياه للانضمام إليها. وبالفعل،
نزل جلال، وزوجته، وأبناؤهما إلى النهر. كان هواء الطبيعة يجدد الروح، والمياه الصافية تنشط العقل،
والجسد من كل طاقة سلبية. كانت أصوات الشلال تعزف لحن السلام، والهدوء. فوقفت أم الديب مندهشة
من مهارة سباحة أم قمر الدين، فصفت لها بفخر، وقالت بابتسامة مليئة بالإعجاب:
=شاطرة يا ست بسملة... بتعرفي تعومي .

ردت أم قمر الدين بابتسامة:

_ ميرسي يا أم الديب... ماتنزلي تعومي معانا !

أجابت أم الديب برهبة:

= لا ياختي مبعرفش أعوم... أنى أخري أعوم في الترة اللي قصاد البيت .

قالت ليالي لجلال بسعادة:

_ الماية حلوة أوي يا جلال .

رد جلال بسعادة:

=ايوه يا بت دي مايه نضيفة .

تحدث حمود بصراخ:

_ أبا... أبا...ستي البجرة ماسكة طوبة .

نظر الجميع بذهول عندما وجدوا أم الديب واقفة على ميمنة جلال، وزوجته، وأبناؤهما، وهي تحمل
صخرة ضخمة بين يديها، تستعد لإلقائها عليهم. صرخ جلال بصوت ملىء بالرعب، محاولاً التصدي
لهذا الخطر المحقق:

=بتعلمي ايه ياما؟

تحدثت ليالي بصراخ:

_ يا لهوي .

عافر جلال، وزوجته، وأبناؤهم للخروج من النهر، وهم يسعون للهروب وسط المياه، رغم صعوبة
الجري فيها. بينما كانت عيني أم الديب تتابعهم بانتباه شديد في كل مكان يصلون إليه. وفي لحظة من
الاهتياج، قالت بصوت غاضب ملىء بالحنق:

=هموتك انت ومراتك يا جلال !

صاح جلال بضيق في صدره، وكان صوته يعكس حالة من التوتر المتزايد:

_ ابعدى البتاعة دي ياما!

تحدثت أم قمر الدين بفزع:

=بليز يا أم الديب بلاش تكوني متهوره!

صاح أحمد قائلاً بانهيبار:

_ ابعديها من ايديك يا ماما بلاش مشاكل !

صوبت أم الديب الصخرة بقوة، حتى سقطت فوق ذراع جلال، وفي الحال شعر جلال بأن ذراعه قد انبتز، وكان أحدًا أصابه بطلقة نارية مدمرة. صرخ جلال بصوت مدوي، وممزق، يرن في المكان بقوة، معبرًا عن الألم الشديد الذي انتابه، قائلاً:

=أه ايدي...أوف...أوف...الحقوني!

اقتربت ليالي بخطوات هادئة، وفحصت ذراع زوجها بانتباه، فقالت بصوت مليء بالفزع:

_مالك يا جلال انت كويس؟

رد جلال بصراخ:

=دراعي بيحرقني !

نطقت ليالي بصداح:

_منك لله يا حماتي...أدعي عليك يا بهيه وانتي فيكي كل العبر؟

لم تُبالِ أم الديب بما فعلته بجلال، فتعلقت في الشجرة بثقل جسدها، وهي تتأرجح في كل الزوايا، ولو كانت الشجرة تستطيع الصراخ، لكانت قد صرخت من شدة الألم، لكنها اكتفت بالسقوط بثقلها فوق رأس ليالي. فسقطت ليالي في الحال، وجلال أمسك بها بين ذراعيه، وهو يصرخ بصوت ممزوج باليأس، قائلاً:

=ليالي!

وصل الجميع حول جلال وزوجته الغارقين في المياه، وحاولوا بكل جهدهم إيقاظ ليالي من فقدان

الوعي. وفي لحظة من الصدمة، قالت أم قمر الدين بصوت مليء بالترج:

_أوه ماي جاد .

بعد أن أخرجوا ليالي من عمق النهر، وجلست على ضفاف اليايسة، نطقت بكلماتها لجلال بصوت

خافت:

=رجعني البيت يا جلال !

رد جلال:

_حاضر يا ليالي هرجعك .

عادت العائلة إلى أرجاء الكوخ مرة أخرى، وانغمست ليالي في أحضان السرير بجوار أطفالها، في حين

جلس جلال في أحضان الصالة على أطراف الأريكة بجانب أحمد، حيث حاول يغلف ذراعه، وهو

ينطق:

=هات ايديك اربطها لك .

مد جلال ذراعه لأحمد وهو متألم، فقال:

_براحه ياض...دراعي كله قايم عليا قومه سواد .

استدار أحمد بالشاش حول ذراع جلال، وهو ينطق:

=متخافش احنا عايزينك تخف...انا مابقتش فاهم ايه اللي ماما بتعمله ده؟

نطق جلال بكراهية:

_أمك زي البهايم معندهاش عقل...ده البهايم بتفهم عنها .

في حجرة المراض، وأم الديب تغسل وجهها، دخلت أم قمر الدين إليها، وأطلقت حديثها قائلة:
=تعالى معايا يا أم الديب نروح نجيب جوز الهند .

ردت أم الديب بتعجب:

_جوز هند مين؟ هو أنى أعرفه، ولا عمري شوفته ، ولا كلمته، ولا أعرف مين هو؟

تحدثت أم قمر الدين بانفعال:

=ايه كل الرغى ده؟ انا بقولك جوز الهند... دي حاجة بتتاكل، مش انسان هو!

انصرفت أم الديب من داخل المراض، وهمست بكلماتها:

_طيب يا ست بسملة .

دخلت أم قمر الدين الغرفة لجميلة، وقالت بابتسامة:

=جميلة حبيبتى خدي بالك من سيليا .

ردت جميلة:

_أوكي يا مامي .

انطلقت أم قمر الدين برفقة أم الديب نحو ظل النخلة، فوقفت أم الديب تراقبها بعيون مندهشة، ثم همست
بتساؤل:

=ايه دي شجره كبيرة، وأنى هطلع فوق ازاي؟

ردت أم قمر الدين:

_نو دي مش شجرة...دي نخلة جوز الهند!

تحدثت أم الديب بتعجب:

=وهنظعلها ازاي يا ست بسملة؟

أجابت أم قمر الدين بثقة مطمئنة، ونبرة قوية في صوتها:

_انا متدربة على طلوع النخل يا أم الديب...اتعلمي مني .

استعانت أم قمر الدين بقوتها وتسلفت فوق النخلة بحنكة، حتى بلغت جوز الهند الناضج، ثم هبطت به

بحرفية، وفي هذا الوقت كانت أم الديب تراقبها بعيون مندهشة، لتسمع من أم قمر الدين ببهجة:

=ايه رأيك؟ جيبت واحدة، يلا خدي شيليا في الشنطة دي .

توجهت يد أم الديب إلى الحقيبة، لكن بدلاً من أن تضعها فيها، ألقته بجرأة في أعماق البحر، فاندلعت أم

قمر الدين بصرخة ساخطة في وجهها مُعلنة: َ

_انا قولتلك ترميها في البحر؟ انتي بتتصرفي من دماغك ليه؟

ردت أم الديب بجهل:

=ياختي دي كورة مليانة شعر...مين قالك أنها جوزة الهند؟

أجابت أم قمر الدين بعصبية:

_قولتلك جوزة الهند بتكون شبه الكورة، وانا مقولتتش ترميها انتي اللي رمتيها من دماغك!

ردت أم الديب بإحراج:

=خلاص يا ست بسملة...أنى هطلع أجيبك واحدة .

تفوهت أم قمر الدين بنفور:

_مش هتعرفي .

ردت أم الديب بإصرار:

=اسمعي مني أنى بعرف...انفرجي بس .

تسلّقت أم الديب النخلة بأقدام ثابتة حتى وصلت لقمته، فاهترّت الأغصان بها بشكل عنيف، وفقدت توازنها المستقر، وهي تصرخ بصوتٍ مكتوم لا تدري كيف تتصرف في هذا الوضع المحفوف بالخطر، حتى نُقلت على وقع هذه الحادثة المروعة، وجسدتها الأمواج في قلب البحر العميق، فاندفعت أم الديب بصوتٍ هائج يملأ الفضاء:

_الحقوني...الحقوني .

صاحت بها أم قمر الدين بصوتٍ عالٍ جدًّا، معيرةً قائلة:

=هساعدك يا أم الديب...متخافيش!

وسط الأمواج، دخلت أم قمر الدين بجسارة لتتقذ أم الديب من هول الموت، وبمجهود عظيم، تمكنت من امسакها وسحبها إلى السطح، لكن أم الديب تشبثت برأس أم قمر الدين بشدة، مما تسبب في سقوطهما معًا تحت غمار الماء، وفي لحظة اليأس، انفلتت من بين أصابعهما المتشابكة وظهرت إلى السطح وهي تتلوى بين أنين الاختناق، وصاحت بعنف قائلة:

=أوه الحقوني...هتموتني !

صرخت أم الديب قائلة بإعوال:

_يالهوتي !

نطقت أم قمر الدين بنواح:

=هموت بليز الحقوني !

بداخل الكوخ، بعد أن انتهى أحمد من لف الشاش حول ذراع جلال، نهض ثم خرجت كلماته بثبات نحوه:

_ألف سلامة عليك يا جلال...ارتاح وانا هروح أشوف ماما وطنط بسملة .

رد جلال بالم:

=الله يسلمك يا ض منجيلكش في حاجة وحشة .

تحدث أحمد بلطف:

_خليك هنا يا جلال وانا هشوف اتأخروا ليه .

انطلق أحمد بخطواتٍ متسارعة للاطمئنان على أم قمر الدين، وأم الديب، وإذا به يجدهما في حالة حرجة، إذ ما زالت أم قمر الدين تغرق بسبب تعلق أم الديب برأسها، فأطلقت صرخة استنجد تطلب النجدة:

=مش عارفة أتنفس...أوه ماي جاد الحقوني!

ردت أم الديب بصراخ:

_ده أني زي الريشة .

صاحت أم قمر الدين قائلة:

=انتني خنقيني...بليز الحقوني !

بينما كان أحمد يجتهد في البحث عن صدى أم قمر الدين المنتشر، أتاح له التركيز الشديد أن ينغمس في كل نغمة من صرختها، وهو يتأمل فيها بكل تفاصيلها، وفي هذه اللحظة المميزة، أطلق تعليقه بحرفية مميزة:

_ايه الصوت ده؟

اقترب أحمد بخطوات متثاقلة من مصدر الصوت المنبعث من عمق البحر، وهناك، وجد أم قمر الدين تغرق تحت أمواج الهوجاء، بينما كانت أم الديب تطفو فوقها، لم يتردد أحمد للحظة واحدة، فالتفت إلى أم قمر الدين المغمورة بالماء وسط الصراخ المتزايد، وتعالته مشاعره، وهو يحملها بين يديه، ويصيح:

=انتي كويسة يا طنط؟

ردت أم قمر الدين بإعياء:

_نيمني على الأرض بليز .

وضع أحمد والدة زوجته برفق على سطح الأرض، حيث انحنى جسدها بأكملها، ومع ذلك، بقيت أم الديب تتشبث بالحياة وتستمر في الغرق، وهي تصرخ بيأس:

=يا خرابي...يالهوري .

دخل أحمد المياه مجددًا، وقال بنبرة عالية:

_انا جايلك يا ماما...استني!

نشب أحمد بقوة بيد أم الديب، وسحبها بعيدًا عن وجه الموت، حيث وضعها بجوار أم قمر الدين، وفي حين كانت تكافح للتخلص من الماء الذي اختنقت به، سمع صوتها المكتوم وهي تعاني، وتصدر أصوات السعال، قائلة:

=أه يا خرابي ياني...يا مصييتي...أه ياني .

نطق أحمد بفزع:

_انتوا كويسين؟ غرقتوا ازاي، وايه اللي دخلكم جوا؟

سعلت أم قمر الدين، وقالت بإرهاق:

=أوه تعبانة...أم الديب غرقت...دخلت أجيبها... غرقتني !

مدَّ أحمد يده بلطف نحو أم قمر الدين، وأم الديب، وبأدب قال:

_قوموا معايا نرجع .

عاد أحمد إلى الكوخ برفقة أم قمر الدين، وأم الديب، وبعد أن هل الليل، بدأوا في إشعال النار وشواء الأسماك، والبطاطا التي جمعوها من الأرض، وجلسوا جميعًا يتمتعون بالدفاء أمام النيران المشتعلة، وفجأة، تكسر الصمت بصوت الدب وهو يقترب منهم، فصاح جلال مذعورًا:

=يالهوري في دب جاي علينا .

وقف الجميع في التو والحال، فحدثهم أحمد بصدمة:

_يا نهار أسود!

حدثت أم قمر الدين بصوتٍ مرتجفٍ من الرهبة:

=مش معقول...ده دب بجدي!

صرخت أم الديب قائلة بفزع:

_يا خرابي، هياكلنا يا ناس!

رد جلال بصياح:

=اسكتي ياما!

حدثت أم الديب الدب بثقة عارمة:

_انت فاكرنا صيدة سهلة؟ ده آني أم الديب !

ردت أم قمر الدين بسخط:

=بليز اسكتي يا أم الديب...كده هيحي علينا .

نطقت أم الديب قائلة بصراخ:

_يا لهوتي .

بينما وصل الدب إلى مكانهم، اندفعوا بسرعة هائلة، مغادرين الجلسة قبل أن يُحولهم هذا الزائر الغير متوقع إلى وجبة عشاء في تلك الليلة المظلمة، وفي لحظة الهلع، لمح جلال خلفهم بعينيه المرتعشتين، وصاح بينما يفر هاربًا:

=اجري يا ليالي !

ردت ليالي بصراخ:

_على آخر الزمن هنموت متاكلين من دب يا جلال .

تحدثت أم قمر الدين باعوال:

=اجري يا جميلة انتي وأحمد بليز .

ردت جميلة بخطئٍ سريعة تجتاح الأرض، وهي تهرب بين الأشجار:

_انا بجري على أخري يا مامي .

عندما دخل الجميع الكهف، وخلال طريقهم المظلم، كانوا يمرون بجانب عظام حيوانات ميتة منذ فترة طويلة، متناثرة في كل مكان، بجانب جماجم بشرية تناثرت كأنها تروي قصصًا قديمة، وبعد أن وصلوا إلى مكانهم المختبئ فيه، لم تتمالك أم الديب نفسها، وهي تضحك بسخرية مريرة، وقالت:

=الدب هياكلنا يا ولاد .

رد جلال بتعجب:

_وانتي فرحانة ياما؟

ردت أم الديب بهزل:

=آني هطلع أجيبه يستخبي معانا .

نطق جلال بعصية:

_هو ايه اللي تطلعي تجيبه ياما؟ يعني احنا هربانين منه تقومي تجيبهولنا هنا؟

رد أحمد بسخرية:

=ده على أساس إن الدب هيشوفها ويقولها انا جاي معاكي؟ ده هياكلها وهيحلي بينا احنا .

تحدثت أم قمر الدين بترقب:

_اسكتوا يا ولاد ألا الدب يسمع صوتنا!

صاحت أم الديب في الجميع، قائلة:

=آني ميهمنيش لا دب ولا أسد، آني هطلعله ويوريني هياكلني ازاي... معاش ولا كان اللي يخلي أم

الديب تخاف منه !

تحركت أم الديب بحذر من موقعها في الكهف، واتجهت نحو المدخل، لكن لم يتمكن جلال من تحمل
الخوف الذي انتاب أعصابه، فأمسك بها بيدٍ مرتجفة، وعيناه تكاد تفيض بالدموع من شدة الذعر، وهو
ينطق بصوتٍ مكسور:
_ استنى ياما متروحيش في حنة !

لكن أم الديب أزاحتها من حياها بحزم، وواصلت خطواتها بثقة، قائلة:
=سبيني يا ولا... أما انتوا ناس جرعة، بقى خايفين من حنة دب؟
تشبث جلال بيدها بقوة، وصرخ بشدة:
_ ياما، استنى ياما... هنموت!
أزاحت أم الديب من إزاءها، وقالت بانفعال:
=أني هعلمه الأدب يا ولا .

جرت أم قمر الدين بسرعة نحو أم الديب، وقامت بسحبها بقوة، معلنة بتحذير:
_ أرجوكي يا أم الديب متطلعيش... هنتاكلي !

قيل أن تنهي أم قمر الدين حديثها، سمعوا سهيف الدب ينبعث خلفهم، فعلموا أنهم لم يعد لديهم وقت
للتردد.
يتبع....

الفصل التاسع والعشرون

نظر الجميع خلفهم، فإذ بثعلب ماكر يقف مترقبًا. تردد صدى صراخهم في الهواء، متداخلًا كعاصفة تهز الجبال. ركضوا هاربين كالسهم المنطلق، كل واحد منهم يحتضن أطفاله فوق ذراعيه كأنهم كنوزه الثمينة، وفي خضم الفوضى، صرخ جلال بصوت هادر:

_يالهوي الحقيني ياما .

صرخت ليالي قائلة بفزع:

=خذني معاك يا جلال !

صدحت أم قمر الدين قائلة برهبة:

_أوه نو...الحقوني بليز !

ثم اختبئوا في مكان جديد، وقد غلف الصمت أرجاء المكان، ووقف الجميع في توترٍ مشدود، تنحبس أنفاسهم في صدورهم كأنها طائر خائف داخل قفص، حتى خرق أحمد هذا الصمت المهيب بصوت خافت ولكنه محمل بالرجاء، قائلاً:

=محدث يعمل صوت، وإلا هيجي عندنا!

تحدثت أم قمر الدين بصوت خافت:

_انا عن نفسي مش هتكلم...المشكلة في مامتك .

نطق جلال بصوت خافت:

=أو عي تتكلمي ياما!

نظرت جميلة لهم باشمئزاز، وقالت في داخلها:

_ناس بلدي .

لم تستطع أم الديب التحكم في نفسها، إذ بلغ منها الذعر مبلغًا عظيمًا، جعل جسدها يرتجف كأوراق الشجر في عاصفة هوجاء، حتى انطلق من حنجرتها صرخة مدوية لم تستطع كتمها، كأنها نداء يائس من أعماق روحها، قائلة بصوت مرتجف:

=يالهوتي...يا خرابي!

وضع جلال يده على فمها بسرعة، محاولاً كتم صوتها الذي قد يجلب الخطر إليهم، فتململت أم الديب تحت وطأة يده، وعيناها تلمعان بالخوف، ثم همست بصوت مكتوم، يكاد يكون مسموعًا:

=ابعد ايدك يا ولا !

أجاب جلال بحذر:

_مش هشيلها ياما .

ردت أم الديب بامتعاض عارم:

=بقى كده؟ طيب .

أزاحت أم الديب يد جلال عنها بقوة، مما جعله يصرخ صرخة مدوية، فجاء الثعلب مهرولاً نحو الصوت كالسهم، وعندها انطلقت صرخة أم قمر الدين ممزوجة بالرعب، قائلة بصوت متهدج:

_اجروا يا ولاد بسرعة!

هرب الجميع عدا أم الديب، وجلال، وليالي، وبقيت الساحة خالية إلا من آثار خطاهم المتسارعة. نظرت أم قمر الدين حولها بعينين مرتجتين، يملؤهما القلق، وهي تبحث بلهفة عن أم الديب بين الظلال المتحركة، ثم قالت بصوت حائر يفيض بالقلق:

=أم الديب انتي فين؟

نفوه أحمد بحذر:

_اجروا قبل مايجي!

هرب أحمد بسلياً وعقبه أم قمر الدين، وجميلة، وأبناء جلال، في زحف متعجل نحو الأمان، تاركين وراءهم ليالي تبحث بيأس عن جلال وسط الظلام الدامس. كانت تتلمس طريقها بيدين مرتعشتين، فاقدة للرؤية، وتصارع الخوف الذي يعتصر قلبها، ثم نادى بصوت متقطع، يكاد يخفي بين أصداء الليل:

=انت فين؟

رد جلال بصوت متردد وهو يدور حول نفسه في الظلام، محاولاً تحديد مصدر صوت ليالي بين الأصداء والهمسات المتناثرة، قائلاً بصوت خافت:

_انتي اللي فين يا ليالي؟ ياما روحتي فين؟

نطقت أم الديب بجرأة:

=آني طالعه برا .

نفوه جلال بخوف:

_متطلعيش ياما .

تحدثت أم الديب بانفعال:

=هطلع وهاخذ حقي من الدب والتعلب .

رد جلال بعصبية:

_ماجرا ايه ياما؟ هو ايه اللي هتاخدي حقك منهم؟ هما ولاد عمك؟ دول هيلعونا .

ضحكت أم الديب ضحكة ساخرة، ترنحت في الهواء كسيف مشرق، وقالت بصوت مليء بالاستهزاء:

=ييلعوك انت ومراتك...إنما آني اللي هبلعه !

رد جلال بسخرية:

_عندك حق ياما ده لو بلعك هيجيله اختناق وهيموت .

صرخت أم الديب في جلال قائلة بنبرة غليظة:

=قصداك ايه يا ولا؟

صدحت ليالي قائلة بضيق:

_يوه متزهقوناش...خلونا نخرج !

فجأة، ظهر الضوء من بعيد كمنارة مضيئة، فاعتمده كدليل لسيرهم في ظلمة الكهف المخيف، حتى وصلوا إلى مخرجه، ليجدوا أنفسهم على حافة جبل مرتفع. أمسكت أم الديب بيد جلال بقوة، ووجهت

نظرة مليئة بالخوف، قائلة بصوت مرتجف:

=يا خرابي...امسكني يا جلال هقع .

أجاب جلال برهبة:

_انا لو مسكتك هتاخديني ونطلع للأخرة ياما .

ثم نظر جلال لزوجته، ومد يده برفق نحوها، وقال بصوت هادئ:

_ هاتي ايدك يا ليالي .
 أمسكت ليالي بيد جلال بقبضة متيقظة، وقالت بصوت مليء بالقلق:
 =براحه ياخويا ألا أفع .
 صعد جلال فوق حافة الجبل بثبات، ومد يده بحنان لزوجته لتصعد هي الأخرى، ثم مد يده لوالدته
 بأمان، وقال بصوت مطمئن:
 _ اطلعي ياما .
 تشببت أم الديب بيد جلال بقوة، وقالت بصوت مليء بالاطمئنان:
 =استعنا على الشقا بالله .
 وبمجرد لمسة بسيطة، فقدت أم الديب توازنها وسقطت بجلال في أحضان النهر الجاري، فصرخت
 ليالي بكل قوتها قائلة:
 _ جلال!
 استنجد جلال بزوجته بينما كان يتعثر في ضيق المياه، وهو يغوص في أعماق النهر، قائلاً بصوت
 مكتوم:
 =الحقيني يا ليالي !
 ردت ليالي بصدمة هائلة:
 _ انا هنزلك ازاي؟ يادي المصيبة .
 تشببت أم الديب بجلال بعنف، وهي تتصارع مع قوة التيار، وقالت بصوت مليء بالموجدة:
 =أمك ثم أمك ثم أمك يا ولا!
 رد جلال بصياح:
 _ ابعدي عني ياما .
 صرخت أم الديب قائلة:
 =يالهو تي الحقوني يا خلق .

تشببت برأس جلال بنفس العزم الذي أظهرته مع أم قمر الدين، فسقطوا معاً تحت الماء، وجلال يتوجع
 من ثقل جسدها فوق رأسه. بعد لحظات من الانغماس، خرجوا للهواء مجدداً، فقال بصوت مبتور:
 _ أوعي ياما بقولك...الحقوني .
 لم تجد ليالي حلاً سوى أن تقفز لهم في المياه، وتضحى بحياتها من أجل زوجها. لكن للأسف، سقطت
 بجوار أم الديب ولم تتركها وشأنها، بل تشببت في حجابها وهي تتصارع مع الأمواج الهائجة، وتتطاير
 رذاذ الماء، وهي توبخها بغضب قائلة:
 =يا بت سلامة دباح الحمير...ايه اللي جابك معنا يا بت؟
 صرخت ليالي قائلة باستنجاد:
 _ أه الحقني يا جلال .
 بينما كان جلال يغرق وهو يترنح في أعماق الماء، ردد بصوت مكتوم:
 =الحقوني !

كانوا يتعثرون في الأمواج، فجاء أحمد بينما ازدادت صرخاتهم، وقام بإنقاذ عائلته من هذا المصير
 المروع. وبعد أن أخرجهم من الماء وجلسوا على اليابسة، نظر إلى أم الديب بعيون مليئة بالانفعال،
 وصاح في وجهها بصوت مرتفع:

_ هو انا كل ما أدخل أجيبك تنزلي تاني؟
 تلقت أم الديب أنفاسها بصعوبة، وهي تقول بصوت متقطع:
 =أه يا خرابي ياني .
 أمسك أحمد بيد جلال بلطف، وقال بصوت مطمئن:
 _ قوم معايا يا جلال .
 عندما وصل جلال، وزوجته إلى الكوخ مرة أخرى، نطق أحمد بكلمات مملوءة بالاطمئنان:
 _ خليك هنا .
 رد جلال بإعياء:
 =تشكر ياض انت اللي انقذتنا...أمك قعدت فوق راسي وانا بغرق...كنت هموت بسببها .
 تحدث أحمد بامتعاض:
 _ واضح إن ماما لازم ترجع مصر وإلا هتعمل مصايب أكثر من كده .
 نزلت أم قمر الدين من الكوخ، وعبرت عن إرهاقها بنظرة، ثم قالت بصوت متعب:
 =انا هاجي معاك، لازم تنفذ أم الديب .
 رد أحمد:
 _ خلكي يا طنط.
 أجابت أم قمر الدين بإصرار:
 =لا لا انا هاجي معاك.
 ذهبت أم قمر الدين مع أحمد، وبينما كان الظلام يسودهم، مدت يدها بلطف نحو أم الديب، وقالت بصوت مليء بالدعم:
 _ قومي يا أم الديب...الدنيا بقيت ليل .

نظرت أم الديب في وجه أم قمر الدين بتعجب، وأعربت عن استغرابها، ثم قالت بصوت متسائل:
 =انتي مين يا ولية؟
 ردت أم قمر الدين بصدمة:
 _ أوه، دي بتقولي ولية!
 تحدثت أم قمر الدين بإحراج:
 =فوقي يا ماما دي طنط بسملة .
 ردت أم الديب بتعجب:
 _ ابهي بسملة مين ياخويا؟
 رد أحمد:
 =قومي معانا وهنقى نقولك .
 تحدثت أم قمر الدين بلطف:
 _ قومي يا أم الديب خلينا ننقذك .

عندما عادوا إلى الكوخ واستعدوا للنوم بعد تأمين الباب، والنوافذ، استيقظوا في الصباح على هزة قوية. نظر جلال من النافذة، ورأى أم الديب وهي تقف على الشجرة بجوار الكوخ، وتمسك بيدها ثعباناً حياً. فصاح جلال بدهشة:
 =يا نهار مهيب...هي أمي مش هترتاح إلا لما تموتنا!

جاء أحمد من خلف جلال، وبينما نظر إلى المشهد الطريف، قال بتعجب:

_ في ايه يا جلال؟

صوب نظره من النافذة، وهو يتمعن في أم الديب، وصوته يتخلل الهمسات معبرًا بدهشته:

= ايه ده؟ ايه اللي ماما ماسكاه ده؟

رد جلال بصياح:

_ أمك ماسكه تعبان... عايزه تقضي علينا .

اقترب أحمد من الباب، وفتح ببطء، وخرج هو، وجلال إلى الخارج، ثم صاح جلال بصوت مرتفع

مليء بالدهشة:

_ ايه ياما اللي انتي ماسكاه في ايديك ده؟

أجابت أم الديب بسعادة:

= أني لقيتكم نايمين ومتدفين، والتعبان برا سقعان ياخويا... قولت أجبنيه وأنيمه جنبكم .

فقد جلال السيطرة على شعوره، واندفعت كلماته بقوة متزايدة حتى بدأ صوته يعلو بشدة، ووجهه يتلون

بالأحمر من شدة سخطه، وهو يقول بصوت مرتفع:

_ تعبان ايه اللي تنيميه جنبنا؟ انتي هتشليني ياما؟ في ايه؟

صاحت أم الديب في وجه جلال بصوت مليء بالاستياء، وقالت:

= ماننت عيل مش متربي يا ولا... أني معرفتش أربي راجل !

استيقظت أم قمر الدين من نومها على صياحهم، وعبرت عن تعجبها بما تراه، وقالت بصوت متسائل:

_ ايه ده انتي بتعملي ايه يا أم الديب؟

ردت أم الديب برغبة حارقة في الانتقام، حيث انطلقت بخطوات ثابتة نحو مكان الضجيج:

= أني هاخذ حقي منكم كلكم .

جلجل جلال بخوف متزايد، وهو يقول بصوت مرتجف:

_ انتي هتعملي ايه ياما؟ لا !

صوبت الثعبان عليهم بسرعة، حتى اندفعوا داخل كوخهم بحثًا عن مأوى. فانهالت الصرخات من

الجميع، وهم يتدافعون ويتخبطون في بعضهم البعض بالهلع. فانطلقت أم الديب بضحكة ساخرة في

صوتها، وقالت:

= شوف الرجالة بشنبات قايمين يجروا زي النسوان .

بغضب يتجلى على وجهه، أخرج جلال المطوى من جيبه وقال:

_ مين دول ياما؟ لا بصيلي ياما، وعرفيني مين هما دول؟

صرخت أم الديب قائلة بنواح يغمره وعيد:

= ابعد البتاعة دهني يا ولا بدل ما أطين عيشتك انت ومراتك !

ردت ليالي بانزعاج:

_ وانتي مالك ومالي يا حماتي؟ ماتتعدلي معايا بدل ما أطلع عليكي القديم والجديد كله!

نطقت أم الديب باغتياظ:

= تطلعيه على مين يا بت؟ ده أني هطين عيشتك يا بت سلامة دباح الحمير... تعاليلي .

بينما تصرخ قائلة، أمسكت أم الديب ليليالي وأسقطتها على الأرض، حيث وقعت فوقها، تتعالى صيحاتها في الهواء:

_يالهوري .

وبنظرة اشمزاز، لم تكنف جميلة بمشاهدة أم الديب وهي توطء ليليالي، بل قالت:

=ناس بلدي، انا مش فاهمة ايه جابهم معنا؟ بجد مامي غلطانة أوي .

رد أحمد بضيق:

_ياريتهم ماجم معنا .

وقفت أم قمر الدين بين أم الديب، وليالي، محاولةً إبعادها بكلماتٍ مترنحة، وكأنما تحاول إخماد لهيبٍ مشتعلٍ بين القلوب:

=مش معقول انتوا ناس بيئة...يلا ابعدوا عن بعض، بلاش قرف!

بنفور يعتلي محياها، أزاحت أم الديب يد أم قمر الدين عنها، مخرجةً صوتًا مهمومًا:

_آني هطين عيشة ليليالي...مآني غلطانة إني روحت مع الواد جلال أخطله بت سلامة دباح

الحمير...آني اللي غلطانة!

وبينما وطأت ليليالي على الأرض مجددًا، اندفعت صرخة ليليالي من بين الشفاه، تهز الأجواء:

=يالهوري ابعدي عني...ابعدي!

في خضم المعركة، تجلى سهيف الدب للمرة الثانية، فاندفعت صرخة أم قمر الدين، كلما ارتفع الصوت، وكأنها تحاول تحديق الليل بصوتها العاصف:

_اجروا بسرعة!

بينما الجميع هاربًا في الظلام، وحدها أم الديب ما زالت تجلس فوق ليليالي، متمسكة بها بشدة، مشتعلة

غيظًا منها، وفجأة، في لحظة مفاجئة، صمتت ليليالي عن إصدار النواح، ويبدو على وجهها علامات

الهلع، وهي تنظر بصمت مرعب خلف ظهر أم الديب، فارتعش جسدها بخوفٍ محقق، وبصوت خافت تعلن:

=الدب وراكي يا حماتي .

نظرت أم الديب خلفها، وجدت اثنين من الدبية يقتربان ببطء، وفي تلك اللحظة المروعة، ابتلعت ريقها

بصعوبة، وتوارت في داخلها موجةٌ من الرعب، حيث انعكست على وجهها ملامح الهلع، وبصوت

يعبس الأعصاب، همست:

_ايهي انت مين؟

في لحظة مفاجئة، طار الدب فوق أم الديب، تاركًا خلفه ذعرًا، ورعبًا يتجاوز حدود الخيال، وكانت هذه

الفرصة المناسبة للحظة هروب ليليالي، فلم تفوتها، وبعد أن هربت ليليالي بسرعة، وجدت أم الديب نفسها

تتفادى أذى الدب بشتى الطرق، محاولةً بكل قوة البقاء على قيد الحياة، وفيما تتملص من بين فكي الدب،

تتراقص صرخاتها المفزعة في الهواء:

=يا خرابي...الحقيني يا ليليالي .

تسلقت ليليالي فوق شجرة مرتفعة بصعوبة لا تصدق، وفي تلك اللحظة الحرجة، بدأ قدميها ينزلقان ببطء

من على الفرع، لكنها استطاعت أن تمسك بالجزع بإحكام قبل أن تفقد توازنها تمامًا. وبينما تحاول

التمسك بالحياة بكل ما أوتيت من قوة، جاء الدب الآخر ووقف تحت الشجرة، كأنه ينتظر سقوطها بفارغ الصبر، ففي لحظة من الضعف، بكت ليالي قائلة:
_ يارب ما يطلعلي .

جلس الدب تحت الشجرة، مثل ظلام يغطي الأرض، فنظرت ليالي حولها في خوف متزايد، حيث عانقت الظلمة بكل زاوية من زوايا الغابة، وفي لحظة من الهلع، أردفت بصوت مرتجف:
=امشي بقي، وحياة أمك تسييني في حالي !

على الناحية الأخرى، اختبأت بقية العائلة في، منزل مهجور مهملاً منذ سنوات، حيث تحوم الأشباح والظلال في زواياها الحالكة، وكان منهم من اختبأ تحت السرير، والآخر اختبأ داخل خزانة الثياب، حيث تعانقت رائحة العفن برائحة الأمان، وفيما يلوح الرعب في أفكارهم، جلال وأبناؤه يختبئون تحت السرير، وبصوت يرتجف من الخوف، قال جلال:

_ أوعى يا ض تعمل صوت !

رد حمود بخوف:

=حاضر آبا .

تحدث جلال بصوت خافت:

_ وانتي يا بت يا تقى أوعى تعيطي لحد مانشوف أمكم وستكم حصلهم ايه !

ردت تقى بخوف:

=ماشى .

بينما جميلة، وأم قمر الدين، وسيليا كانوا يختبئون بداخل خزانة الثياب، تترقب أعينهم كل حركة في الظلام المحيط، وفجأة، نظرت جميلة لسقف الخزانة بالداخل، لتجد بزغ ضخماً يتجول فوق رؤوسهم، فانتفض جسد جميلة من الاشمزاز، وبصوت خافت، قالت:
_ مامي في برص!

نظرت أم قمر الدين فوقها فوجدته، وقالت بانتحاب:

=أوه ماي جاد... انا بترعب منهم. ياي ايه القرف ده؟

تحدثت جميلة بخوف:

_ هنعمل ايه دلوقتي؟

ردت أم قمر الدين بذعر جسيم:

=انا مش قادرة... لا لا مش قادرة .

خرجت أم قمر الدين من الخزانة، ورافقتها جميلة، وسيليا، وبينما يتردد صدى الرهبة في أروقة الغرفة، نادى جميلة على زوجها بصوت خافت، كأنها تواجه خطراً يترقب بهم من كل زاوية:

_ أحمد انت فين؟ الحقنا في برص .

رد أحمد بصوت خافت:

=انا مستخبي تحت السرير مع جلال .

فجأة، انشق باب المنزل بصوت مرتفع، مما زاد من حدة الخوف في قلوب الجميع، وتوقعوا بأن الدببة قد وصلت إلى مكانهم لتهاجمهم، لكنهم تفاجؤوا عندما سمعوا صوت أم الديب، الذي كان يتردد في

أروقة المنزل، فكانت تنظر حولها في كل أركان المنزل باشمئزاز، كأنها تبحث عن شيء مريب بين ظلال الظلام، قائلة:

_ ايهي ايه البيت المنتن ده يا عيال؟ أما المنيلين راحوا فين؟
ونادت على ليالي:

_ يا بت يا ليالي... يا ليالي .

تحدث جلال بصوت خافت:

=أمك هتودينا في داهية .

رد أحمد بصوت خافت:

_ يعني احنا مستخبين هنا علشان تيجي ورانا؟

في هدوء الليل وظلمته، تجولت أم الديب في أرجاء المنزل، حيث كانت تنتقل بين الأثاث المهجور، والظلمات المستديمة، وهي تنتظر رد أحدهم بفارغ الصبر، كأنها تستشعر وجودهم حولها، وتترقب بقلق ما قد يحدث للعائلة في هذا الظلام المخيف:

=الله... محدش بيرد ليه؟

فيما لا تزال ليالي تبكي دون توقف، تستمر في ندب حظها الملتوي بسبب والدتها زوجها الغبية، حيث تعبر عن تعاستها العميقة وتأثرها بالظروف القاسية التي تواجهها، متسائلة عن إلهام يمكن أن يجلبه الحظ السيء، متلومة لحظة ولادتها في زمان لم تكن تتوقع فيه أن تواجه مثل هذه التحديات:
_ الحقني يا جلال الحقني... منها الله أمك العقربة وش المصايب .

في المنزل المهجور الذي يعتبر ملجأ لهم في هذه اللحظات الصعبة، هاجم الدب بوحشية على ظهر أم الديب، محاولاً إلحاق الضرر بها، لكنها لم تستسلم بسهولة، بل أدارت وجهها لمواجهته بكل قوة، وبدأت معه في لعبة المصارعة، تحاول بكل قوتها الدفاع عن نفسها وعائلتها، حتى استطاعت أن تسقطه على الأرض بقوة، وبينما يحاول الدب الفرار من تحت يديها، كانت تطحنه بلا رحمة، تحت وزن قوتها الهائلة، فلم يتبق للدب سوى صراخه المكتوم، محاولاً النجاة من قبضتها القاسية. وفي هذا الوقت الحرج، قال جلال بتردد:

=انا لازم أقوم .

رد أحمد بدهشة:

_ ملكش دعوة... ماما هي اللي عملت كده في نفسها يبقى هي اللي تستحمل!

أجاب جلال بتعجب:

=أمك ايه ياض؟ انا عايز الحق البت ليالي... خد بالك من حمود، وتقي لحد ما أجيب ليالي وأرجع .

رد أحمد بخوف:

_ خد بالك من نفسك يا جلال !

نطق جلال بابتسامة خافتة:

=ربك يسترها .

خرج جلال من تحت السرير، متنفساً بصعوبة من شدة الرهبة، وهرب من المنزل بسرعة، ومعه المطوى، الذي أمسكها بيد متجهمته، جاهراً لمواجهة أي كائن خطير يعترض طريقه، وفيما يجري بين الأشجار، يبحث عن زوجته بعيونٍ ملتهبة بالقلق، ويناديها بصوتٍ مكسورٍ، قائلاً:

_ ليالي، ليالي، انتي فين؟ بت يا ليالي... ليالي !

بقوة خارقة، أمسكت أم الديب بالدب ووجهت له ضربة قوية على وجهه، محملة بكل الامتعاض، وفي لحظة تجلت فيها قوتها وشجاعتها، صدحت بصوت ينطلق من أعماقها:
 =أما انت دب مش متربي وأهلك معروفش يربوك، بقى فاكّر نفسك هتقدر عليا يا ولا؟ ده أني أم الديب!
 تراصت أم قمر الدين، وجميلة، وسيليا أسفل السرير المجاور لأحمد، تتسابق أنفاسهم المكتومة مع نبضات قلوبهم المضطربة. ووسط همساتهم، تردد صدى كلمات أم الديب التافهة في آذانهم. حانت اللحظة، فنطقت أم قمر الدين بصوت خافت:
 _مامتك متخلفه عقليا .

رد أحمد بإحراج:

=انا عارف أنها فضحتني .

تحدثت أم قمر الدين، والندم يغمرها:

_فضحتنا كلنا...ياريتني ماقولتلها تعالي .

قبضت أم الديب على الدب بيدين قاسيتين، معتقدة أنها تعيد تهذيبه من جديد، وقالت بلهجة صارمة:
 =ده أني مرات المعلم حنفي...ياترى انت فين يا حنفي؟

سرحت أم الديب في خيالها المشوش، متألمة زوجها الخائن، تتساءل في صمت مرير، هل يخونها في غيابها أم يصونها؟ غارقة في أفكارها السوداء، نسيت معركة الدبية التي اقتحمتها. فجأة، انقض عليها الدب من خلفها، وأسقطها بالأرض، صرخت بذعر. في تلك اللحظة، كان جلال لا يزال يبحث عن ليالي، فنادى بصوت ملهوف:

_ليالي انتي فين؟ ليالي !

مدّ جلال بصره المتلهف حتى لمح ليالي تجلس على غصن شجرة، فاندفع نحوها راكضًا. وما إن رأت ليالي اقترابه، قفزت من الشجرة برشاقة، وقالت باشتياق:
 =جلال!

عانق جلال زوجته بحنان ليطمئننها، وهمس في أذنها قائلاً:

_متخافيش يا ليالي .

بمجرد أن فرغ جلال من كلماته، هاجمهم الدب من جديد، فاندفع جلال نحوه بمطواه، مجسداً شجاعة الفرسان. خاض معركة ضارية حتى جعله قتيلاً. عاد إلى زوجته واحتضنها بحنان، فانبثقت دموعها كينابيع حزن، وقالت بصوت متحشرج:

=كنت فين يا جلال؟ كنت فين؟ أمك كانت هتضيعني .

رد جلال بابتسامة:

_متخافيش يا بت يا ليالي...انا جيتلك أهو !

نظرت ليالي حولها بعينين قلقتين، تبحث عن أبنائها وسط الفوضى، وقالت بصوت مرتجف:

=عياي فين يا جلال؟ كويسين؟

أجاب جلال:

_العيال مع عمهم مستخبين تحت السرير .

تفوهت ليالي بدهشة:

=سرير ايه؟ انا مش فاهمة حاجة .

رد جلال، وهو يعانق زوجته بحنان يفيض من قلبه:

_تعالى معايا وانتى هتفهى .

عاد جلال إلى المنزل، ووجد أم الديب تقف بمنصف الغرفة، ترفع يديها الاثنتين لأعلى بفرح لا يوصف، وهى تهتف بصوت مليء بالبهجة:

=قتلته يا عيال !

خرج الجميع من تحت السرائر، يتأملون بدهشة بما قامت به أم الديب من إنجاز عظيم، حيث لامست أفكارهم وأحاسيسهم بطريقة لم يتوقعوها. وفي هذا السياق، عبرت أم قمر الدين عن سعادتها بكلمات مليئة بالامتنان:

_شاطرة يا أم الديب .

تحدثت أم الديب بتعجب:

=ابهى... انتوا هنا؟

نطق أحمد بضيق:

_أظن كفاية كده... احنا لازم نرجع !

عندما دخلت ليالى، انطلقت نحو أولادها بخطى واثقة ملؤها الشوق، وعانقتهم عناق حار ينبعث منه عبير الاشتياق، وعطر الحب. كانت لحظة فراق طويلة قد انتهت، فأعربت عن فرحتها وارتياحها بكلمات مغمورة بالعاطفة، وهى تقول:

=ولادى حبايى .

تحدثت أم الديب بصوت حاد:

_ابهى انتى ايه اللى جابك يا بت؟

رد جلال بسخط:

=بقولك ايه ياما، ملكيش دعوة بليالى تانى !

نطقت أم الديب باستنكار:

_أنى جيت ناحيتها؟

غادرت العائلة المنزل المهجور، وتجاوزوا مسافات طويلة قد تصل إلى كيلومترات، يسيرهم القدر في طريقهم إلى مكان جديد، موطن لقبائل غريبة تشبه قبائل آكلي لحوم البشر في أسطورات قديمة. وفي وقت ما من رحلتهم، وقف واحدًا منهم في طريقهم، مشيرًا لهم بالتوقف. بلا تردد، أمسكوا خطى رحلتهم، تحت أنظار الرجل الذي ظل يطوف حولهم في صمت مثير للقلق. وبعد لحظات من الانتظار، وقف حيالهم، يرسم عليه وجه القسوة، وخيرهم بين اختيارين قاسيين: إما أن يقطعوا قطعة لحم من أجسادهم، أو يواجهون الموت الوشيك. وفي هذه اللحظة المرعبة، بينما يتلثم الكل بين الصمت، والهلع، عجزت أم الديب عن فهم لغة إشارتهم، فتوجهت إلى أم قمر الدين، متسائلة بترقب:

_هو بيقول ايه؟

ارتجفت أم قمر الدين خوفًا، وهمست بصوت متأجج:

=أوه ده عايزنا نقطع حته من جسمنا عشان نعيش إيما نموت!

صرخت أم الديب صراخ مَنين، قائلة بنواح:

_يا مصيبتى .

صاح جلال بصوت ملئ بالاعتراض:

= لا ياما انا مش هقطع حته من جسمي عشان حد... يلا بينا نهرب .
 اقترب الرجل من جلال في صمت مربك، كانت نظراته حادة وشريرة تتراقص على وجهه. ثم أمسكه
 من عنقه بقبضة قاسية، فتساءل جلال بدهشة:
 =انت عاوز مني ايه يا ض؟
 نطقت أم قمر الدين برهبة:
 _ انا نسيت إن المكان ده خطر، ومكنش ينفع نيجي فيه... أي حد بيعدي من هنا لازم يقطع حته من
 جسمه .
 ردت أم الديب بخور:
 =وهنعمل ايه يا ست بسملة؟

عندما ترك الرجل جلال، واقترب من أم الديب، لم يكن هناك سوى نظرات حادة مليئة بالشر تتأملها
 بعينيهما، ثم انطلقت بكلمات ملؤها الامتعاض:
 =لا بقولك ايه متبصليش كده... ده أي أم الديب، شكلك متعرفنيش!
 تشبثت أم الديب بعنق الرجل، وهي تتمسك به بقوة، وفجأة لمحت ذيله الأسود يتدلى من رجل بنطاله،
 فانبعث الرعب في قلبها، فابتعدت عنه في الحال، وهي ترتجف بكلمات تتلاشى في صداها، حيث قال
 أحمد بصوت يفيض بالاستعداد:
 _ انا هعد لحد تلاتة، وكلنا نجري بسرعة !
 وطأت ليالي وجهها بيديها بقوة، وكانت عيناها تعكس حالة الهلع، وهي تتحدث بصوت مرتجف:
 =يا مصيبتى السوداء... ياريتني ماجيت، ياريتني!
 بدأ أحمد في العد التصاعدي، كلماته تتسابق مع نبضات قلبه، وهو يقول بصوت يتزايد في الفزع:
 _ واحد... اثنين... تلاتة... اجرُوا !
 هرب الجميع بسرعة وهم يحاولون الفرار، ولكن لم ينجحوا في الوصول إلى الأمان. فقد أمسكت بهم
 القبيلة، ووقفهم بالترتيب في عمود متواز، ينتظرون مصيرهم بقلق شديد. وكانوا مرتبين كالأتي: جلال
 في المقدمة، ثم أم قمر الدين، وبعدها أم الديب، ومن ثم ليالي، وأخيرًا جميلة. اقترب الرجل من جلال،
 ممدًا إليه السكين لكي ينفذ المهمة المطلوبة، ومن شدة رهبة الجميع، انفض جسد أم قمر الدين، مُناديةً
 بصوت مرتعش وملئ بالرهبة:
 =أوه ده بيقولك اقطع حته صغيرة من جسمك .

رد جلال بعصية:

_ ماجرا ايه يابا؟ انت متعرفش انا مين ولا ايه؟ لا ده انا جلال يعني صايح الحته عندنا !
 بينما اقترب الرجل من جلال، يتسارع الأمر، وتضيق المسافة بينهما حتى اصطدمت رؤوسهما
 ببعضهما البعض، وفي تلك اللحظة، تتجلى على وجه الرجل نظرة مريبة تسلب الهدوء من الجو،
 وتشعر جلال برعشة لا إرادية تسري في جسده، وبصوت متزايد في الفزع يقول:
 _ خلاص انا هقطع حته من جسمي أهو .

أمسك جلال السكين بيديه المرتجفتين، وتحلّى بشجاعة اليائسين، حيث صرم جزءًا من يده بقوة، فانبعثت
 الدماء من الجرح العميق وتساقطت بقسوة في الكوب الذي كان يمسه الرجل، فأطلق جلال صرخة
 مدوية، صراخًا يمتزج بين الألم، والرهبة، قائلاً بصوت ملئ بالعذاب:

_أه، ايدي !

حلّ الدور على أم قمر الدين، ومر الرجل إزاءها بسكينه المُرعب، والكوب المظلم، حتى وصل إليها وسلمها الأدوات في يدها المرتجفة. دون تردد، أمسكت بالسكين وهي تتأوه تحت وطأة الخوف، وصرمت جزءًا آخر من يدها البريئة، فتناثرت الدماء بشكل مُخيف في الكوب المرتجف بين يديها، وفي تلك اللحظة المُرعبة، تمزق الصمت بصرخة مدوية تنبعث من عمق روحها المنكوبة:

=ياي ايدي...أوف أوف، مش معقول، ايه الوجة ده؟

حين حضر الدور على أم الديب اقترب الرجل منها وسلمها السكين والكوب كما فعل مع غيرها، لم تستسلم له بسهولة. بالعكس، استغلّت الفرصة لتخطف السكين من يده بقوة، وبدلاً من أن تلوذ بالفرار أو تصيب نفسها، قامت بتوجيه ضربة قوية بها في بطنه، فسقط الرجل مصاباً على الأرض، يتناثر دماؤه. وفي هذه اللحظة الحرجة الممتلئة بالرعب، اندفعت منها صرخة هائلة تملأ المكان، وهي تصرخ بكلمات مليئة بالقوة:

_اهربوا يا عيال !

فر الجميع، فوجد جلال نفسه يعاني من جرح في يديه، وهو يقول:

=أه ايدي ياما...ايدي .

سحبت ليالي زوجها، وأبنائها بين يديها بشدة، وكانت تنصدر الطابور مع زوجها، بينما جميلة، وأحمد كانوا يفرون بسرعة، وأم قمر الدين تعقبهم. ومع ذلك، لم يكن الوضع مُريحاً، حيث كانت أم الديب تتقدم بسرعة إزاءهم، مخترقة الطريق بجرأة. وصلوا في النهاية إلى مكان غريب في الجبل، يكتنفه الظلام ويعج بالشموع المنكشمة، والجمامج المرعبة، والحيوانات الميتة التي تعلوها الروائح الكريهة. وفي هذا الجو المشؤوم، فتحت ليالي فمها الجاف بإرهاق، وقالت بصوت مُنهك:

_اقد يا جلال خليني ألف ايدك دي...كان مستخيلنا فين ده كله؟

نزعت ليالي حجابها بحركة مترددة، وبينما كانت تقوم بطيه حول يد جلال بلطف، كانت أم قمر الدين تتلوى في وجع عارم جراء جرحها المؤلم. كلما لامست يدها، زاد الألم وكأنه صبّ يفيض بلا توقف، مما جعلها تتأوه بشدة وتتألم أكثر. وفي لحظات العذاب، همست بأنفاس متقطعة وهي تقول:

=مش معقول ايديا فيها نار .

ردت جميلة بتأثر:

_معلش يا مامي هتبقني كويسة !

وقفت جميلة حيال أم الديب، وجلال، وليالي، بوقار وثبات، وفي عينيها بريق الاستعداد للمواجهة. وصاحت في وجوههم بصوت يرتفع فوق صدى الجبال، كلماتها تحمل في طياتها رسالة من القوة:

_بجد مامي غلطانه إنها خدتك معانا...انتوا ايه جابكم معانا أصلاً؟ هتزدونا ايه؟ ولا هتتقصونا ايه؟ انتوا ناس بلدي، ووش المصايب!

نطق أحمد بانفعال:

=في ايه يا جميلة ايه اللي بنقوليه ده؟ انتي نسيتي انك بتكلمي ماما، وأخويا، ومراته؟

ردت جميلة بصياح:

_الكلام مُنتهي، وبجد انا غلطانة أني وافقت مامي على الفكرة دي...انا معرفش عقلي كان فين وقتها!

أجابت ليالي بصوت حاد:

=وانتي مالك ياختي نافشة ريشك علينا كده ليه؟

نطقت جميلة باشمنزاز:

_نافشة ريشي؟ شايفاني Chicken؟ انتي انسانة بلدي، وانا مش هنزل بمستوايا وأرد عليك!

وقفت ليالي إزاء جميلة، وعلى وجهها تعبير كراهية واضح، حيث وضعت يدها بقوة في خصرها بينما تتصارع مع مشاعرها. وبصوت مشحون بالغيرة، نطقت كلماتها:
=لا انزلي بمستواكي يا ماما... انزلي بمستواكي يا حبيبتي، واتكلمي معايا ست لست... انتي فاكرة نفسك مين؟ لا فوق!

تشبثت ليالي بجميلة بقوة، وسقطوا الاثنان سوياً، متداخلين في صراعهما الشديد. في هذه اللحظة المرهقة، اندفعت جميلة للأمام، وهي تصرخ بكلمات تنبع من عمق الاضطراب:
_مامي الحقيني...الحقوني!

باعدهم جلال عن بعض بحنكة، وأمسك أحمد، وأم قمر الدين بجميلة وهي تنتحب باستياء واضح، محاولين تهدئتها، ومواساتها. بينما لم تتردد أم الديب في القفز فوق ليالي، بجبروت، مثل أنثى الأسد التي تستعد للانقضاض، ووطنتها بقوة، بينما توجهت لها بكلمات تحمل في طياتها مزيداً من البغضاء:
=بتضربي مين يا بت سلامة دباح الحمير؟ انتي هتعمليهم علينا يا بت؟ ده انتي أبوكي سلامة النتن .

تلقت ليالي ضربات قوية من أم الديب، وفي هذه اللحظات المؤلمة، كانت تصدح بألم:

_آه...أبويا ده شرف ليا، مش زيك تعري في أي مكان تروحيه !

أجابت أم الديب بغضب متقد:

=شرف مين يا أم شرف؟ ده انتي وأبوكي نفس السحنة يا بت...ده آني كل ما أبص في وشك أفنكره !
أخرج جلال المطوى من جيبه، وبدأ يتحول تدريجياً، وفيما يتحول، بدأ يقول بصياح حار:

_أوعي منك ليها...أوعي بقولك!

اقتربت القبائل الأفريقية منهم، وهم يرنون بأصوات هتافات غامضة، حتى أطلق جلال صوته بتمعن:

_اسكتوا...هُس!

ردت أم الديب بترقب:

=ايهي ايه الصوت ده؟

تحدث أحمد بقلق عارم:

_شكلهم وصلوا لمكانا !

غادرت العائلة المكان الذي كانوا فيه، وانتقلوا إلى موقع جديد داخل الغابة المورقة، حيث كانت الأشجار تتداخل فيما بينها بأغصانها الشاهقة، وكانت الأرض مليئة بالزهور البرية، والحشائش الخضراء النضرة، والتي تلمع تحت أشعة الشمس القوية التي تخترق فتحات الأشجار، وكانت الأصوات الطبيعية تملأ الهواء بالحيوية. وفي هذا السياق، لم يستطع جلال إلا أن يعبر عن دهشته قائلاً:
=هو احنا في الآخرة ولا ايه ياما؟

تفوهت أم الديب بذهول:

_ايهي كل ده أكل يا عيال؟

ردت أم قمر الدين ببهجة:

=ياها المنظر ده بيفكرني بحديقة القصر عندي !

وقف كل واحد منهم أمام نوع الفاكهة التي يرغب فيها، وبأيديهم يمتدون ليجنوا منها، وكلما وصلوا إليها تمنّوا لها أن تكون ناضجة وطعمها شهياً، وبأفواههم يتذوقونها ليستمتعوا بنكهتها الفريدة. وفيما كانت أم الديب تجمع براعم الفاكهة اللذيذة وتخفيها داخل ملابسها بحصافة، جلال لم يستطع أن يمنع نفسه من الاقتراب منها بفضول متزايد، حيث كان يتطلع بلا حدود إلى ما حصلت عليه، وبينما كان ينظر إليها بتلهف، قال:

_ ماتجيبني ياما الفاكهة اللي معاكي دي .

أزاحت أم الديب بقوة من أمامها، وصدح صوتها بين الأشجار كالرعد، ملئت عبارتها بالحدة، وهي تنطق:

=امشي يا ولا، ده نصيبي في الأكل، روح شوفلك شجرة تانية !

رد جلال بانفعال:

_ عمري ماطلبت منك حاجة ياما وعملتها !

في حين استمتع الجميع بالتجول في هذه الحديقة الفسيحة، لم يفوت جلال لحظة دون أن يلاحظ وجود سيارة ببطء تتقدم على الطريق المحاذي للحديقة، حيث جعل حواسه تترنح كأموج البحر في وجه هذا المشهد الطبيعي، فقال باهتمام:

=ركز معايا يا ض هي اللي جايه دي عربية ولا ايه؟

أجاب أحمد وهو يدقق نظره:

_ تقريباً شكلها قربت مننا .

تحدثت أم قمر الدين بلهفة:

=شاوروا يا ولاد بليز .

خرج الجميع من الحديقة ووقفوا كالجنود المهيبين أمام حافة الطريق، أما أيديهم فكانت تترنح في الهواء كأعلام النصر، وكانت أصواتهم تعلو في الهواء بشدة وهم يشيرون بأصابعهم نحو السيارة المتقدمة، وفيما كانت أم الديب تصرخ بعنف، كأن صوتها يخترق السماء بشدة:

_ انت يا راجل انت...يا منيل اقلنا...أقف ياخويا...انت يا راجل!

ناداه جلال بصوت عالٍ، كموجات البحر الهائجة:

=اقف يابا انجدنا...احنا واقعين في مصيبة !

وقفت السيارة الهائلة، وألقى السائق نظرة من خلف الزجاج الأمامي للمتجمعين، وقال بفضول:

(where are you going ?_رايحين فين؟)

أجاب أحمد بترقب:

= We want to go to the airport

(عايزين نروح المطار.)

قال جلال بجهل:

_ انتوا بتقولوا ايه؟ انا مش فاهم حاجة !

رد أحمد بانفعال:

=استنى انت يا جلال دلوقتي !

رد السائق بابتسامة ماكرة:

(Ride with me . _ اركبوا معيا .)

تحدث أحمد بسعادة:

(Thank you . =شكرًا .)

وأردف للجميع:

=يلا اركبوا السواق وافق .

ردت أم قمر الدين بسرور:

_ الحمد لله بجد...يلا يا جميلة !

أجابت جميلة بابتسامة خافتة:

=يلا يا مامي .

ركب جلال مقعده بجانب السائق، وجلست أم الديب بجانبه، فواصل البقية استقرارهم في الصفوف الخلفية للسيارة، وفي هذا السياق، وجدت أم قمر الدين مقعدها الخاص بالقرب من أم الديب، مكملة صورة الوحدة والتلاحم بينهم، فلم يتمالك جلال فرحته وانبعث من داخله بريقًا، فقال بسعادة غامرة: _ أما الرجل ده كريم بشكل...ده وقفنا على الطريق مخصوص .

ردت أم قمر الدين ببهجة:

=طبعا يا جلال الناس هنا حلوين أوي، وحنية الدنيا فيهم .

نظرت أم الديب بعينيها المتلألئتين خلفها، وفي لحظة تأمل عميقة قالت بفضول:

_ ايهي وهيودينا فين؟

ردت أم قمر الدين بابتسامة:

=هيودينا المطار نرجع بلدنا .

تحدثت أم الديب بسعادة:

_ آني لازم أرجع أجيب حاجاتي، ده آني طلع عيني عشان أجيبهم لحد هنا، خلي الرجل ده يرجع .

أجابت أم قمر الدين بصدمة:

=مينفعش يا أم الديب احنا هربنا خلاص !

ردت أم الديب بإصرار:

_ مليش فيه يا ست بسملة...لازم يرجع !

تحدث جلال بصياح:

=ماجرا ايه ياما؟ ماتتعدلي... هو بعد ماهربنا تقولي نرجع؟ انتي عقلك فين؟

ردت أم الديب بسخرية:

_ أقولك فين يا ولا؟

تحدث جلال بجلبة:

=لا بقولك ايه ياما...مش عايز أتعبط عليكى .

نطقت ليالي بسعادة:

_الناس هنا طيبة يا جلال...أما مفيش حد عبرنا من ساعة ماجينا .

رد جلال بابتسامة:

=ده راجل ابن حلال...روح ربنا يسترها معاك يا ج...

قبل أن يُكمل جلال حديثه، لامست عينيه ذيل السائق الذي يمر كالظلال الخفي من تحت الكرسي، وانعكست على وجهه تعبيرات الدهشة، والصدمة المفاجئة، كموجة من الصخب تجتاح هدوء اللحظة، فقال:

_يالهوري ده طلح بديل ياما !

يتبع

الفصل الأخير

ردت أم الديب بنواح:
 =يا لهوتي... هيموتنا يا ولا .
 فتحت أم الديب باب السيارة بلطف، وخرجت منها هي، وجلال، يتسللان كالفرشتين من بستان الحياة.
 وما إن وقفت أم قمر الدين مكانها حتى أطلقت صرخة همسية من الذعر:
 _أوه ماي جاد هنعمل ايه دلوقتي؟ هنعمل ايه؟

رد أحمد بفرع:
 =المصيبة هننط ازاي، واحنا معانا أطفال صغيرة!
 ضمت ليالي أطفالها بين ذراعيها، وأطلقت من جوفها كلمات مغمورة بدموع الأسي:
 _يا جلال سيبتني ونطيت... يا جلال .

نطقت جميلة بانتحاب:
 =شوفلنا حل بليز يا أحمد...هنموت .
 رد أحمد بتوتر:
 _اهدوا هنشوف حل .

فور توقف السيارة، اندفع الجميع منها، يجرفون بأحزانهم بأقصى سرعة حتى وصلوا إلى مسكن قديم،
 أفلقوا بابه بعناية واختبؤوا، بينما الخوف لا يزال يلاحقهم بأنيته المتوحش، حتى اقتحم الرجل الباب
 القديم، فتسلل داخله بحثاً عن معزوفة من الانتقام، وهو يهمس بلا توقف:
 (where are you? =انتوا فين؟)
 نطق أحمد بصوت خافت:
 _محدث يعمل صوت !

ردت أم قمر الدين ببيكاء:
 =انا خايفة أوي أوي .
 عندما ترنح جلال وسط الظلام، وتسلفت الجروح القاسية لتلتهم جسده، اندفعت صرخاته إلى أعماق
 الليل، تتردد كصدى لمأساته، وتتفاعل معه النجوم بحزنها المتألم:
 _أيديا اتكحتت ياما .
 نهضت أم الديب مكانها، مترددة كشمعة تتراجع أمام هبوب الرياح، ثم انطلقت بخطوات ثابتة نحو
 جلال، وهمست بكلمات من العناية:
 =حصلك ايه يا منيل؟ قوم !

بينما تمسك أم الديب بيد جلال وتسحبه برفق من ذراعه، اندلعت صرخة جلال كالرعد في السماء:
 _براحه ياما متشدش جامد...شدي براحة .
 ردت أم الديب بصوت حاد:

=ماتخلص يا زفت!

تحدث جلال بألم

_قولتلك شدي براحه ياما... هو ايه شغله ده؟

ردت أم الديب بعصبية:

=ايه رأيك أني همشي وأسيبك؟

في لحظة انصهار الظلام مع الصمت، غادرت أم الديب المكان، تاركة جلال يواجه الوحدة بمفرده، وبعد انقطاع الأمل وتبدد الأحلام، انطلقت صيحة جلال بصوت يتألم:

_سكة السلامة ياما... ده انتي طلعتي عين اللي خلفوني... ياريتني ماجيت معاكي في حنة... أه ايدي !
وقف جلال مترنحاً على ساقيه، كأنه سفينة تائهة في بحر الظلام، وانحنى على دربٍ جديد، متوجهاً إلى أفقٍ مجهول، حيث همس بكلمات تحمل غيوم الانفعال:

_انا اللي غلطان واستاهل مية فردة شبشب أني روحت مع أمي في حنة... ما كان زمني قاعد في بيتي مرتاح... انا ايه اللي جانبي غابات وزفت فوق نفوخي؟ انا وحشتني التكاتك وخالي ضايح... فين أيام البلطجة والصياغة في البلد عندنا؟ منك لله ياما

وبغمضة جفون، انجذبت ملابسه من كتفيه كسحابة تتلاشى، فانطلقت كلماته كنيرانٍ تشتعل في جوف الظلام:

=لا .

في ظل الظلام الكثيف الذي يعانق جدران المنزل المهجور، تحدثت أم قمر الدين بصوت خافت:

_هنعمل ايه دلوقتي؟ انا خايفه أوي، حاسة إنني مش هكمل .

رد أحمد بلطف:

=متقلقيش يا طنط !

نطقت جميلة برهبة:

_انا حاسه بحد جاي .

صرخت ليالي قائلة بذعر:

=يا مصيبيتي السوداء !

في لحظة توتر تزداد فيها أصوات القلوب المترنحة، اختبأ الجميع خلف الكراتين بتضافرٍ مدهش، كأنهم أوراقٌ تلتفت حول جذع الأمان، ودخل الرجل المجهول يبحث عنهم بحثاً عن بصيص من الحقيقة، حتى وجد أحمد وأمسك به بيدٍ من حديد، فانفجر صوته بكل قوته:

(Please leave me to my wife and daughter . أرجوك سيبي لمراتي وبنتي.)

في مشهد من التصاعد الدامي للتوتر، خرج الرجل المجهول من المنزل بخطواتٍ ثقيلة، ويديه تنتشبان بقوة بأحمد، وكلماته تتجلى بثباتٍ، وتصميم:

=No one can No one can escape.

(محدث فيكم هيعرف يهرب.)

تحدثت جميلة بانتحاب:

_مامي خدي سيليا، وامشي، وبلغني الشرطة!

ردت أم قمر الدين برهبة:
 =لازم تيجي معايا يا جميلة!
 أجابت جميلة ببكاء:
 _مش هقدر يا مامي، مش هقدر... اسمعي الكلام!
 ردت أم قمر الدين بانهازم:
 =حاضر يا جميلة... خدي بالك من نفسك!
 وقفت أم قمر الدين متمسكة بحفيدتها كصخرة ثابتة في وجه عواصف الحياة، وفي لحظة من الهدوء المخيف نطقت ليالي:
 _خدي العيال معاكي انشالله تتستري.
 ردت أم قمر الدين بقلق:
 =أو كي هاخذ التلات أطفال معايا... خدوا بالكم من نفسكم!
 تشبثت أم قمر الدين بسيليا، وحمود، وتقى بحرص شديد، وخرجت بهم من المنزل فكانت تتحسس خطواتها، حتى وصلت بهم إلى الطريق، فإذا بعجلة ثنائية المقعد تتوسط المكان، جلست عليها ورتبت الأطفال أمامها، وفي تلك اللحظة الفارغة من الفرع، نطقت بكلمات الأمان:
 =متخافوش يا ولاد... انا هاخذكم ونهرب .
 بعد أن هربت أم قمر الدين حاملةً الأطفال نحو الأمان، لم يتبق سوى ليالي، وجميلة وحيدتين في هذا المنزل الملعون وسط الظلام والسكون المخيف، تملت ليالي، واقتربت من جميلة، وقالت بصوت مرتجف يحمل في طياته رعشة الخوف:
 _هنعمل ايه دلوقتي؟
 أجابت جميلة بحيرة:
 =مش عارفة بجد .

وقفت جميلة، عيناها تتفحصان زوايا المنزل المظلم بحدز، تحاول أن تتأكد من خلوه من أي خطر يهددهن، ثم أخذت نفساً عميقاً وأردفت بصوتٍ هادئٍ لكن حازم، يحمل بين نبراته شجاعةً مترددة، وإصراراً خفياً:
 =يلا نهرب .

خرجت ليالي وجميلة من المنزل، وفي قلب الليل الحالك وصلا إلى الطريق، حيث لفهما السواد بعباءته الثقيلة، ولم تستطع أعينهما اختراق الرؤية. وقفت جميلة، تشعر بالرهبة التي يفرضها الفراغ، ثم رفعت صوتها بشجاعة ممزوجة بالقلق قائلة:
 _شكلنا هنضطر نمشي من طريق تاني .
 ردت ليالي بخوف:
 =انا مش شايفة حاجة .
 أجابت جميلة بيأس:
 _ومش هنتشوفي .

غيروا خط سيرهم، بينما استيقظ جلال ليجد نفسه معلقاً من قدميه، ورأسه يهتز في الهواء، هو، وأم الديب، وأحمد. وفي لحظة من الذعر المطلق، صرخت أم الديب بكلمات ممزوجة بالهلع، تحاول أن تنتشبت بأي بارقة أمل:

=فكوني، يالهوتي...هيجطعوننا يا ولا منك له !

رد جلال بارهاق:

_آه، تعبان .

تحدث أحمد بدهشة:

=احنا جينا هنا إزاي؟

بينما كان جلال يحاول بفارغ الصبر فك الحبل الذي يقيدته، دخل الرجل بخطوات ثقيلة وصوت يتردد صدها في أرجاء المكان، قائلاً لهم بصوت مفعم بالتهديد:

_We're going to cut you parts.

(سنقطعكم أجزاء.)

رد جلال بجهل:

=هو بيقول ايه؟

نطق أحمد بصدمة:

_يا نهار منيل...ده عايز يقطعنا !

صرخت أم الديب قائلة بنواح:

=يالهوتي يا راجل يابن الكلب يا عرة، ده أي هوريك، ده أي هفرمك انت واللي جابوك...انت متعرفش مين أم الديب؟

رد الرجل بانزعاج من جلجلتها:

_What does this provocative mrs. say

(الست المستفزة دي بتقول ايه؟)

رد أحمد بسخط:

=Don't make a mistake about my mom!

(لا تغلط في أمي!)

أجاب الرجل بشراسة:

(.We're going to cut you and your mom _هنقطعك انت وأمك.)

خرج الرجل من الغرفة، وبدأ يسن السكاكين بحركة بطيئة ومتعمدة، وصوت الشفرات يتردد في أرجاء المكان كنداء الموت. في تلك اللحظة المشحونة بالرعب، صاح أحمد بصوت متهدج:

=ياريتني ماجيت...ياريتني!

تلفظت أم الديب بنواح:

_الراجل هيجطعوننا يا ناس...هيموتنا هيخلينا تحت لحمة صغيرة !

أخرج جلال المطوى من جيبه بأعجوبة، وبدأ بقطع الحبل بحذر ، وبالفعل نجح وسقط على الأرض ثم قام بفك أم الديب وأحمد بسرعة. اختبأوا في غرفة مجاورة، بينما اختبأ جلال خلف الباب بترقب. وبمجرد أن دخل الرجل بالسكاكين، هاجمه جلال وطعنه في بطنه، فسقط الرجل يصرخ من الألم. صاح جلال بصوت يملؤه الانتصار:

=اجري ياما !

صاحت أم الديب بقوة:

_نفسي راح من الجري...حد يشيلني .

رد أحمد بخوف، وهو يركض مذعورًا، صوته يرتجف، ويتهدج من الرعب:
=جميلة وطنط في خطر .

الحقيقة أن ليالي، وجميلة اختبأتا فوق شجرة، وعلى الرغم من محاولتهما البائسة للاختباء، إلا أن الخطر كان يحيط بهما كظل لا ينفك عنهما. في لحظة من اليأس، بدأت دموع جميلة تنهمر، وقالت بصوت منقطع بالبكاء:

_ ياربي انا عايزه أروح... ياترى عملوا فيه ايه؟
تحدثت ليالي بانتحاب:

=ياترى يا جلال حصلك ايه !

فجأة، سمعوا صدح أقدام تتقدم نحوهم، فازداد خوفهم أضعافًا، وتصاعد التوتر في صدورهم. لم يكن أمامهم سوى أن يتشبثوا بالشجاعة حتى لا تنتهي حياتهم في هذا الظلام الدامس. وقبل أن تستعد جميلة لضرب الشخص المجهول، تعرفت عليه، فإذا به أحمد. في تلك اللحظة، انهمرت دموعها بغزارة، وعانقته بقوة، وقالت بصوت مخنوق بالبكاء:

_ كنت فين؟

حرك أحمد يده برفق على شعر زوجته، محاولًا أن يطمئنها، وقال بصوت هادي مليء بالحنان:
=متخافيش يا جميلة... انا بخير !

قالت أم الديب بذهول:

_ ايهي، ايه جو الأفلام الرعب ده يا عيال؟ ده الراجل أبو ديل كان عاوز يقطعنا تحت صغيرة !
عانق جلال زوجته بقوة، وفي تلك اللحظة المشحونة بالمشاعر، قال بصوت مليء بالحب:

=انتى كويسة يا ليالي؟

ردت ليالي ببكاء:

_ لا يا جلال... لازم نمشي من هنا !

رد جلال:

=ماحنا هنمشي .

ثم نظره حوله، وقال بتعجب:

=أمال الواد والبت فين؟

رد أحمد بفضول:

_ أه صحيح سيليا فين؟

ردت جميلة باستياء:

=مامى خدت كل الأولاد معاها، وهربت .

نطقت أم الديب بمتعاض:

_ كانت تهربنا معاها بدل ماهي هربانة لواحدها وسايبانا، ده أنى الراجل لو كان قطعني كان عمل منى
عشرة كيلو لحمة .

تلفظت ليالي بسخرية:

=عشرة كيلو قليل يا حماتي .

ردت أم الديب باغتيال:

_ انتى بتترى عليا يا بت؟

قال جلال بصوت حاد:

=بقولكم ايه خناق وقرف مش عاوز... ألا قسمًا عظمًا أطلع المطوى، وماهيمني حد !
انسحب جلال فجأة، وفي لحظة الارتباك، صرخت أم الديب بصوت ملؤه الارتياح:
_يا مصيبتني !

صدحت ليالي قائلة بنواح:

=جلال!

لطمت ليالي وجهها بيديها، تعبيرًا عن الحزن، ثم أردفت بكلماتٍ محملة بثقل الحسرة:
=يا جلال روحت وسيتنتي فين يا جلال؟ يا خرابي .

تلفظت أم الديب بنواح:

_يالهوتي الراجل أبو ديل خطف الولا جلال... يا عيني عليك سيبت عيلين وروحت، يا عيني .

صاحت ليالي في وجه أم الديب بصوتٍ متوتر وملئ بالضجر:

=انتني بنقولي على جوزي ليه يا حماتي؟

رد أحمد بجلبة:

_وطوا صوتكم... احنا لازم نمشي من هنا في أسرع وقت .

وأردف لزوجته بحنان:

_يلا يا جميلة !

هرب أحمد وهو يمسك بيد جميلة، وفي الوقت نفسه، كانت أم الديب تتشبث بملابس ليالي، تتنازع معها،
قائلة بصوت ملؤه البغضاء:

=آني هفرمك يا بت سلامة دباح الحمير... هفرمك يا بت... هخليكي زي اللحمة المفرومة، هنحطك على
العيش ونبلع بيكي ساعة الغدا!

ردت ليالي بصداح:

_ابعدني عني يا حماتي هو ده وقته؟ جلال ابنك اتخطف، ومفيش غيرنا دلوقتني، والراجل أبو ديل ده لو
مسكنا مش هيخلي فينا حنة سليمة!

ردت أم الديب بصوت حاد:

=ايه انتي معاكي قرطاس لب يا بت؟ ده آني أم الديب يعني مفيش حد في الدنيا دي يقدر يهوب
ناحيتي !

انسحبت أم الديب هي الأخرى، وفي لحظة من الفزع، صرخت قائلة بصوت يهز الأرض، ويخترق
السماء:

_يا خرابي !

فلم يتوق سوى ليالي بمفردها، وفي وحدتها المرعبة، نظرت حولها وهي تتفحص المكان بأعينها
المرتعشة من الخوف. وفجأة، عبرت فوق مصيدة الدببة دون أن تنتبه، فغرزت في قدميها بقوة،

فصرخت ليالي بنواح شديد ينبع من قلبها ويتسلل إلى أرجاء المكان، وقالت بصوت متألم:

=أه رجلي... هموت من الوجع، حد يلحقني... روحت فين يا جلال يا جوزي يا أبو عيالي؟

على الناحية الأخرى، كان أحمد، وجميلة يهرولون مُسرعين للهروب من أكلي لحوم البشر، وفي لحظة
من الهلع، قال أحمد بصوت متسارع، وملئ بالقلق:

_ اجري يا جميلة...لازم نوصل للطريق في أقرب وقت .

ردت جميلة بارهاق:

=أوكي انا بجري على أخري...انا خايفة على مامي وسيليا أوي!

أجاب أحمد بينما يجري، يعبر عن الاضطراب، ويتسارع بخطي سريعة في سبيل النجاة، دون أن يلتفت إلى الوراء:

_ انا متأكد إن طنط بسملة وصلت المدينة...هي بتعرف تتصرف كويس مش زينا!

ردت جميلة:

=عندك حق...مامي ذكية أوي !

سمع أحمد، وجميلة إحوال ليالي، فبحثوا عن مصدر الصوت حتى وصلوا له. وهناك وجدوا ليالي تجلس

على الأرض، وهي تصرخ متألمة من دخول مصيدة الدببة في قدمها، حيث كانت الدماء تطرح من

قدمها بقوة. صدم أحمد لمشهد الألم الذي كانت تمر به ليالي، وقال بصدمة:

_ ايه ده يا ليالي؟ مش معقول المنظر ده!

تحدثت جميلة بفرع:

=أوه، هيغم عليا من منظر الدم !

بينما جميلة تراقب الناحية الأخرى بقلق شديد، جلس أحمد بجوار قدم ليالي، يحاول بكل جهده فك قيد

المصيدة، لكن كل محاولة تزيد من شدة الألم على ليالي، وكلما تجاهلت ليالي الألم، زاد صمودها، لكنها

لم تستطع تمالك ألمها، وهي تتوجع قائلة:

_ آه رجلي، فكني براحة...يا خرابي...منك الله يا حماتي، منك الله .

بعد جهود مضنية، نجح أحمد في فك المصيدة، وساعدته جميلة في إسناد ليالي، حتى استطاعوا الفرار

من المكان الخطير، هم الثلاثة. بينما فتح جلال عينيه، ووجد نفسه خاليًا من الملابس، ويرتدي الشورت

فقط، ومعلقًا من قدميه، وفوقه الفران الجائعة، والحشرات، وأم الديب حياله مُعلقة من قدميها أيضًا.

صرخ جلال بكل قوته، يعبر عن الفرع واليأس الذي يخيم عليهما:

=آه...آه .

صاحت أم الديب قائلة باهتياج:

_ انت يا راجل يا أبو ديل...انت يا راجل يا عرة، بقى تربط الواد جلال ابني فاكره حته لحمه عند

الجزار اللي جنبكم؟ لا اصحوا ده أني أم الديب يعني محدش يقدر عليا أبدًا !

وقف الرجل إزاءهم، فكان السخط يتصاعد في عينيه، وقال بصوت محتدم ملؤه الغضب:

(Fuck you .=اللعنة عليك.)

ردت أم الديب بجهل:

_ ابهي انت بتقول ايه يا راجل انت؟

نطق الرجل بتأمر وتحالف لتنفيذ خطته الخبيثة:

=We going to play a game with you.

(هنلعب معاكم لعبة.)

صرخ جلال من شدة ألم ساقيه، بينما قالت أم الديب بصوت ملؤه القلق:

_ انت بتقول ايه يا راجل انت؟

رد الرجل بابتسامة لعينة:

=Who cuts meat from his body more will live.

(اللي هيقطع أكبر كمية لحمة من جسمه هيعيش).

نطقت أم الديب بجهل:

_ أني مش فاهمة حاجة منك.

دخل الرجل إلى الغرفة، وبين يديه سكينتان مشرقتان، تالأأتان ببريق الخطر، ثم عاد إليهم مجددًا، كمن يحمل راية الموت، وأسلم لكل واحد منهم سكينًا في يده، كأنه يقدمها برمزية لعملهم الدامي القادم. وبعد ذلك، وضع العداد أمامهم، وقاس مدته عشرين دقيقة فقط، وقبل أن ينتهي العداد، ألقى عليهم تحديًا مروغًا، حيث وضع الأطباق إزاءهم، كتعبير عن تخليصهم من مأزقهم المميت. وعلى الرغم من عدم فهم جلال للغة الإنجليزية، استشعر ما يخطط له هذا الرجل المخيف، وفي لحظة من الهلع، صاح بصوت مفزع يعلو في أرجاء الغرفة المظلمة:

=لا لا ياما... انا عاوز أعيش أبوس إيدك يا راجل انت مش عاوز أموت... ده انا عندي عيلين عاوز أربيهم اللهي يسترك .

صاحت أم الديب بصوت ملؤه الذعر:

_ يا راجل يا أبو ديل .

تحدث الرجل بموجدة ساحقة:

=We're going to make you a diol of flesh.

(هنصنعلكم ديول من لحم جسمكم).

صرخت أم الديب قائلة بارتياح:

_ يارب انجدنا من الراجل العبيط ده.

تحدث الرجل بحزم:

=We're going to start the countdown.

(هنبدأ العد التنازلي).

خرج الرجل من الغرفة، ثم أوصد الباب عقبه، كأنه يُختم فصلًا من حياتهم. أما أم قمر الدين، فكان أول ما فعلته بعد وصولها هو الذهاب مباشرة إلى مركز الشرطة، حيث قدّمت بلاغًا مفصلاً بما حدث. أما أحمد، وجميلة، وليالي، فما زالوا يسرون سويًا في طريق غامض، حتى شعرت ليالي بالإرهاق وتوقفت عن المشي، قائلة:

_ مابقتش قادرة أمشي !

تحدث أحمد بعجلة، كأنه يحمل في كلماته وزنًا كبيرًا من القلق:

=جميلة خدي بالك منها... انا هروح أجيبهم.

ردت جميلة برهبة:

_ لا أحمد بليز متروحش... بليز!

نطق أحمد بإصرار:

=لازم اروح أنقدهم.

غادر أحمد المكان وهو يحمل في يده خشبة متينة، متوجهًا نحو البحث عن أم الديب، وجلال. أما الرجل فعاد إليهم مجددًا بعدما تناقص الوقت، داخلًا إليهم ووجهه معبًا بالشراسة، وقال:

(Five minutes left... باقي خمس دقائق).

رد جلال بجهل:

=انت بتقول ايه؟

خرج الرجل المتوحش من الغرفة، وصك الباب مجددًا، وفجأة، تحطمت النافذة وتناثر قطع زجاجها على الأرض بانتشار صوتها المخيف. قفز أحمد ودخل الغرفة بسرعة، واختبأ في الزاوية، ولم يمض وقت طويل حتى دخل الرجل بعجلة، وعيناه تبحثان باندھاش في كل مكان، فاصطدم بمشهد النافذة المحطمة. ومع عدم وجود أحد إلا جلال، وأم الديب المعلقين من أرجلھما، لم يتمكن الرجل من إخفاء دهشته، وقال:

(What's that sound _ايه الصوت ده؟)

اعتقد الرجل أن الصوت المدوي لتكسير النافذة جاء من الخارج، فخرج لیتفقد المنزل بحثًا عن المصدر. في هذا الوقت، نطق جلال بخوف:

=اللهي يسترك.

انتقل أحمد بخطوات سريعة نحوهم، ووقف بجوارهم ليبدأ في فك قيد الأحبال، وكلما يفكر في الكلمات التي سينطقها، يبدو وجهه مليئًا بالقلق، حتى أنه قال بصوت متميز:

_يلا بسرعة.

بعدما تم فك قيود جلال، وأم الديب، هرب الجميع بسرعة نحو مكان إقامة ليالي، وجميلة. لكن للأسف، رصد الرجل هروبهم وقرر ملاحقتهم بمسدس المسامير، وأطلق عليهم المسامير بينما كانوا يحاولون بكل السبل تفادي الإصابة. وعندما وصل الرجل إليهم، صاح أحمد بصوت مرتفع وهو يحاول الدفاع:

=يلا بينا بسرعة !

اقترب جلال من ليالي، وعيناه تلتقطان صورة قدمها، وهو ينظر إليها بفرع، وقال:

_مالك يا ليالي؟

ردت ليالي بألم:

=رجلي اتزنتت في المصيدة يا جلال.

تحدث جلال باستياء:

_سلامتك يا بت يا ليالي !

حمل جلال زوجته على ذراعيه، وهو يجري بها بسرعة، وخلفهم أحمد وهو يمسك يدا جميلة ويسارعان معًا، في حين كانت أم الديب عقبهم تجري بمفردها. وفي لحظة من الانفعال، صرخت قائلة:

=هي دي التريبة اللي ربيتها لكم؟ بقى كل واحد واخذ مراته في ايده وساييني يا ولاد الجزمة؟ بدل

ماتشدوني معاكم؟

انغمست أم الديب في أفكارها، فاستحضرت ذاكرتها صورة المعلم حنفي، وسمعت صوتها الداخلي يردد:

=يا ترى انت بتخوني دلوقتي يا حنفي؟

صاح جلال بصوت عالٍ، قائلاً:

_اجري ياما مفيش وقت!

أطلقت أم الديب صرخة عالية بينما كانت تجري:

=بجري أهو ياخويا...بجري .

بعد وصولهم إلى الطريق، وجدوا دراجتين مستقرتين هناك، فانطلق كل فردٍ منهم وهو يركب الدراجة وتجلس زوجته خلفه. أما أم الديب فكانت تجري على أقدامها خلفهم بخطى ثابتة، وكل خطوة تتبعث منها طاقة حقد، وكراهية متأججة. وفي لحظة من الغضب القاتل، صرخت قائلة:
_ ماشي يا ولاد الجزمة... ماشي .

في غضون نصف ساعة وصلوا إلى المدينة، باستثناء أم الديب التي ما زالت تسير على قدميها. وكان أمرًا أوليًا بعد وصولهم، الذهاب إلى قسم الشرطة وتقديم بلاغ بكل ما حدث. وبسرعة قامت الحكومة الأمريكية بتوفير غرفتين في فندق على نفقة الدولة حين يتم العثور على أم قمر الدين، والأطفال. وطوال الليل، كانت جميلة تبكي خوفًا على ابنتها، وفي لحظة من الضعف، قالت:
= انا عايزه سيليا .

رد أحمد بنعاس:

_ هنوصل لطنط يا جميلة بس اهدي!

تحدثت جميلة ببكاء:

= أكيد سيليا بتعيط ومحتاجاني .

أجاب أحمد بنعاس قوي:

_ هنعرف مكان طنط بسملمة، وهنروح ناخذها

بينما لم تستطع ليالي النوم بسبب شدة ألم قدمها، كانت تبكي وتردد:

= أه رجلي يا جلال... رجلي .

نطق جلال بإرهاق:

_ جلال مابقاش فيه حيل يا بت يا ليالي، انا اتمرطت، ياريتنا ماجينا مع أمي .

ردت ليالي ببكاء:

=منها لله أمك البعيدة وش الهم .

بعد أن قطعت أم الديب مسافة طويلة، شعرت بوخز في ساقها، فتوقفت عن المشي، ووضعت يدها على ساقها، وهي تقول:

_ ايهي آني جالي شد عضل ولا ايه؟ يا ناس حد يلحقني، ايهي هو في حد غيري؟ يا مصيبيتي السوداء يأتي .

ظهرت سيارة نصف نقل في الأفق، وبمجرد وصولها إلى أم الديب، توقفت. فوجدت نفسها تجلس في المقعد، ووجهت ابتسامة للسائق، قائلة:

=اللهي تنستر ياخويا... ده كان في راجل ابن كلب عمال يجري ورايا كان هيموتني .

تحدث الرجل بصوت حاد:

_Do you think you ran away from me?

(انتي فاكرة إنك هربتني مني؟)

حين تمعنّت أم الديب في وجه الرجل، اكتشفت أنه هو الذي كان يطاردهم، فاندلعت في صرخة قائلة:
=يا لهوتي .

فجأة، هرب الرجل بأم الديب واختفوا في الليلة المظلمة، فبقيت جميلة تبكي طوال الليل دون أن تجد راحة، لا توصل لها عين، ولا يهدأ لها قلب، بينما الرجال ناموا بسكون عميق بسبب شدة إرهاقهم، حيث

لا يمكن أن يكون قلب الأم الحنون مثل قلب الأب القوي. وفي لحظة من الضعف، وضعت ليالي يدها بلطف على كتف جلال، وهمست له بصوت لطيف:

_ اصحى يا جلال !

استيقظ جلال وهو يتثائب، بعدما جفت دموع ليالي على وجنتيها، فظلت عيناه تتلمعان ببريق النعاس:

= عايزه ايه يا ليالي؟

ردت ليالي بقهر:

_ قلبي واكلمي على العيال... خايفة عليهم!

تحدث جلال باطمئنان:

= ماهي ست بسملة خدتهم معاها .

ردت ليالي بانفعال:

_ اصحى بقولك، وأقعد كلمني زي مابكلمك!

جلال جلس ووجهه يعبر عن سخط شديد، وقال بصوت مرتفع مليء بالصياح:

= عاوزه ايه؟ انتي هتاكلي نفوخي كل شوية؟ وطول الليل رايحة جاية زي الفرخة اللي عليها بيضة !

ردت ليالي بجلبة:

_ ماتلم نفسك يا جلال... كل ده عشان خايفه على عيالي؟ انا خايفة لا يكون الراجل أبو ديل خدهم!

أجاب جلال بصوت حاد:

= انتي هتاكلي نفوخي يا بت؟

عندما دق الباب، قال جلال بترقب:

_ قومي افتحي .

فتحت ليالي الباب، إذ أحمد وجميلة ينتظران خلفه. وبمجرد دخولهما الغرفة، خرج صوت جلال مليء

بالانزعاج، وهو يقول:

= تعالى احضرنا... ليالي عاملاي وش طول الليل ومش عايزه تقعد وتريحنا!

رد أحمد بتأثر:

_ زي جميلة ماهي طول الليل منامتش وعماله تعيط .

نطق جلال بعصبية:

= ماجرا ايه يا نسوان هتوجعلونا دماغنا ليه؟

ردت جميلة بغرور:

_ انت انسان بلدي وبيئة، ومش هنزل بمستوايا وأرد عليك .

تحدث جلال بانفعال:

= أنا مش هرد عليك عشان أخويا أحمد بس .

وأردف لأخيه:

= ماتلم مراتك يا ض!

رد أحمد بإحراج:

_ ايه يا جميلة اللي بتقوليه ده؟ ده مهما كان أخويا!

تفوهت ليالي بكراهية:

=ماتلمي نفسك يا بت، وملكيش دعوة بجلال جوزي أبو عيالي .

تحدث جلال بفخر:

_أصيله يا ليالي.

نطق أحمد بنبرة حادة:

=احنا هنفضل نرغي كتير؟ أنا رايح القسم أعرف مكان طنط بسملة فين !

رد جلال:

_أنا جاي معاك يا ض

تحدثت ليالي بجلية:

=مش هتخطي خطوة يا جلال إلا وأنا رجلي على رجلك.

نطقت جميلة بانزعاج:

_أنا مش هستنى هنا لواحدى وهاجى معاكم!

تحدث جلال:

=ايه رأيك فى الكلام ده؟

تنهد أحمد بضيق، فقال باستعداد:

_خلاص اجهزوا مش عايزين نتأخر .

بينما كانت أم الديب مُربطة بإحكام من جميع أجزاء جسدها، وفي لحظة غريبة من الظلمات، وبدلاً من

ظهور رجل واحد، جاء اثنان يتشابهان بشكل مروع، كانت نسختهما متطابقة تمامًا. وقال الرجل الأول

بصوت مروع:

=We're going to make her a tail of belly meat.

(هنصنع ديل من كرشها.)

رد الآخر بذهول:

_It's a good idea to eat fresh meat.

(دي فكرة جميلة وناكل لحمة طازة.)

قال الرجل الأول بوحشية منينة:

(Go get the knife.=روح هات السكينة.)

عندما عاد الرجل الثاني وجلب السكين القاسي، اندفعت صرخة من بين شفتي أم الديب، تملأ الغرفة

بصداها، وهي تقول بكل عزم:

_انتوا بتعملوا ايه؟ ده أنى هخلي جلال ابني يجيبلى حقي منكم...ايهي هي سايبه ولا ايه؟

صاح فيها الرجل الأول:

Shut up, you're an idiot.=

(اخرسى ده انتى غبية.)

نادت أم الديب جلال بنواح:

_يا جلال، الحق أمك يا ولا.

عند وصول أحمد، وجميلة، وجلال، وليالي إلى قسم الشرطة، لم يكن لديهم أي فكرة بشأن وجود أم قمر الدين هناك. وعندما رأوها، اندفعت جميلة نحوها بعناق قوي، كما لو كان العناق يعبر عن الفرح المفاجئ:

=وحشثوني أوي أوي !

ردت جميلة ببكاء حار:

_مامي حبيبتي.

اشدد العناق بينهم، حيث أغمضت جميلة عينيها لتعانق ابنتها سيليا، وكانت الدموع تنهمر من عينيها لشدة حنينها لها. بينما كانت ليالي تعانق أبنائها وتبكي، مشعرة بالدهشة، والفرح لرؤيتهم على قيد الحياة بعد كل هذه المحنة. قالت أم قمر الدين بصوت مليء بالدموع:

=بنوتك سيليا كانت زعلانة أنها بعيد عنك وأنا أقولها مامي جايه لحد ماصدقتني .

ردت جميلة ببكاء، وهي تقبل رأس ابنتها بلطف:

_وهي كمان وحشثنتي أوي .

اتجهت العائلة برفقة رجال الشرطة إلى الغابة، تحت قبة الأشجار الضخمة، لاسترجاع أم الديب وإنقاذها من مصير مأساوي بين آكلي لحوم البشر. وفيما كان الرجل يمسك المنشار بيديه المرتجفة، وهو ينظر بتركيز شديد إلى جسد أم الديب، صاحت هي بصوت مليء باليأس:

=يالهووتي، انت ماسكلي منشار ليه؟ ايهي آني مش بتاكل...آني انسانة أهو، حتى بص !

بينما أشارت أم الديب بيدها نحو جسدها، نظر الرجل الثاني إلى الرجل الأول وقال بصوت مذهول:

(It's full of goodness ._دي مليانة خيرات.)

صرخت أم الديب قائلة بفزع:

=انتوا بتتعاظموا عليا ولا ايه؟ لا فوقوا آني هجيبلكم المعلم حنفي يطلع عينكم .

في لحظة من الضعف، تذكرت أم الديب المعلم حنفي، وأضافت بجملة مكملة:

=يا عيني عليك يا حنفي زمانك بتخوني دلوقتي !

نطق الرجل الأول بانزعاج:

(You are a lot of talk !_ انتي بتتكلمي كثير!)

صرخت أم الديب قائلة بنواح:

=حد يلحقني!

فجأة، انشطر الباب إلى نصفين كما لو أنه تجاوب مع حالة الفوضى في الغرفة. وعندما دخل رجال الشرطة، انعكست أضواء الفانوس الساطعة على وجوههم المتحجرة بالجدية، وتحركوا بسرعة فائقة كأنهم جنود في ساحة معركة. وفي لحظة تركيز مكثفة، ألقوا القبض على آكلي لحوم البشر بفعالية، كمن ينقب عن كنز مفقود. وبينما كانوا يقومون بذلك، شعرت أم الديب بالدهشة، وبينما كانت ترتب حواسها المشتتة، قالت بصوت مفاجئ ممزوج بالتعب:

_ولا يا جلال انت هنا؟

رد جلال بابتسامة:

=حمدالله على السلامة ياما .

تحدث أحمد بمروءة:

_ الحمدلله انك بخير يا ماما .

نطقت أم قمر الدين بسعادة:

=حمدالله على سلامتكم يا أم الديب .

ردت أم الديب بابتسامة سعيدة ممزوجة بالارتياح:

_ انشالله يسترك يا ست هانم...ده الراجل ده كان هيموتني، ده أني كنت فاكره مركب تعبنا في ضهره
طلع ديله ياختي!

ضحكت أم قمر الدين، وقالت بلين:

=تعبنا ايه يا أم الديب؟ ده ديله .

ردت أم الديب ابتسامة طفيفة:

_ ياختي ده كان عايز يقطع حتة من ديله ويأكلهالي .

تقيأت جميلة بعد أن استمعت إلى ما قالت أم الديب، فأبدت أم قمر الدين قلقاً، ووجهها يعبر عن التوتر:
=انتي كويسة يا جميلة؟

بعد مضي ساعة من الزمن، وصلت العائلة إلى المطار حيث استعدوا لرحلتهم المقبلة عبر الطائرة،
حيث جلس جلال، وزوجته، وأطفالهم بجوار أم الديب، بينما استوطن أحمد، وجميلة، وابنتهم المقاعد
الخلفية مع أم قمر الدين. وفجأة، قامت أم الديب بالوقوف وأطلقت صرخة مرتفعة الصوت تملأ المكان
بالتوتر:

_ فين الحمام يا ولا؟ أني محصورة .

نطق جلال بتأهب:

=قومي معايا ياما أما نشوف اخرتها معاكي ايه !

انتقل جلال بخطوات هادئة نحو المرحاض، وترك أم الديب تحوم حولها، تبحث عن مقعدها المألوف،
فقالت:

_ فين القاعدة يا عيال؟ هو أني كل مرة هخرملكم حتة في الطائرة؟ مابدهاش بقي .

فيما غادرت أم الديب نحو المطبخ بخطوات متثاقلة، وأمسكت السكين بيديها، ثم عادت بسرعة نحو
المرحاض، وخلفها المضيئة تسارع خطواتها، قائلة:

=What are you doing with the knife in the bathroom?

(هتعملي ايه بالسكينة في الحمام؟)

أوصدت أم الديب الباب بقوة، تاركة المضيئة بالخارج، ثم جلست على الأرض بينما تسعى لإنشاء فجوة
تكفي لتصنع مقعدها المألوف، وهي تتحدث بحنكة:

_ نفسي اتقطع...مايشغلوني معاهم ده انا عليا قاعدة بلدي إنما ايه زي الفل!

استمع أحمد إلى ضجيج مدو يتسلل من أروقة المرحاض، فلم يتمالك الخور، فنطق بعبارة تخترق
الهدوء:

=ايه الصوت ده... هي ماما راحت فين؟

ردت أم قمر الدين بتذمر:

_ انا شوفت مامتك داخله التويلت .

تجمد أحمد في مكانه، وسطمه القلق المتزايد من سلوك أم الديب، حيث نطق بخوف مختلط بالتشوش:
=يبقى المصيبة دي جايه من عندها .

تجمع الركاب بفرع قبال باب المرحاض، وفي الداخل، بعد أن أكملت أم الديب إنشاء الفجوة، همست
بسعادة مرتاحة:

_يا ألف بركة... أخيرًا اتكسرت؟ أما نروح نخلع الكرسي اللي في الطائرة ونخرمه هو كمان .

خرجت أم الديب من المرحاض، والسكين يتلألأ في يدها، وتقدمت بخطوات ثابتة نحو مقعد الطائرة،
محاولةً نزعه من مكانه، فانتفضت أم قمر الدين في صدمة عارمة، وصرخت بصوت متحرج:
=انتي بتعملي ايه؟

رد أحمد بسخط:

_ايه يا ماما اللي بتعمليه ده؟

نطق جلال بصياح:

=ماجرا ايه ياما؟ ميصحش، انتي متعلمتيش من آخر مرة؟

صاحت أم الديب في وجههم، كأنها عاصفة هوجاء، قائلة:

_اسكت يا ولا منك له...أمال أعملها فين؟ أعملها عليكم؟

خرج أحمد عن شعوره، وانفجر سخطًا قائلاً:

=ما الحمام موجود...لازمتها ايه الفضايح دي؟

ردت أم الديب بصياح:

_أني هطين عيشة جلال أخوك ومراته!

تحدث جلال بعصبيّة:

=وانا مالي ياما؟

نطقت المضيفة بموجدة:

_You broke the travel rules.

(انتوا كسرتوا قواعد السفر.)

تفوه جلال بعصبيّة جسيمة:

=اقعدي ياما بقولك...في ايه؟

جلست أم الديب على مقعدها، وبعد عشر ساعات من التحليق في السماء، لامست الطائرة أرض الوطن،

مصر الحبيبة، وفي المطار، كانت الأنظار تترقب وصولها بلهفة، المعلم حنفي، ونعمة، وزوجها،

وابنها، وهايدي. رفع المعلم حنفي هاتفه لينظر إلى الساعة، ثم قال بابتسامة عريضة:

_أمكم واخواتكم اتأخروا أوي .

أجابت نعمة بلهفة عارمة:

=زمانهم قربوا بابا .

رد المعلم حنفي:

_يلا ادينا مستنيين .

بعد أن وصلوا، انطلق المعلم حنفي نحو جلال واحتضنه بشدة، وقال جلال بفرح غامر:

=وَحشْتَنِي أوي يابا !

رد المعلم حنفي بسعادة:

_وانت كمان يابن الكلب... كل دي غيبة؟

تمعن المعلم حنفي النظر في جلال، فصدمته رؤية الكدمات، والجروح على وجهه، فقال بفرع:

_ايه ده مالك ياض متخرشم كده ليه؟

رد جلال بارهاق:

=هحكيلك يابا... ده احنا اتبهدلنا أوي .

عانق أحمد والده بقوة، وكأنه يحتضن كل الأحلام التي تجسدت في ذلك اللحظة المميزة، قائلاً بصوتٍ

مليء بالعاطفة:

_ازيك يا بابا؟

رد المعلم حنفي بسعادة:

=تعالى في حضن أبوك يابن الكلب .

عانقت نعمة والدتها بحنان، كمن يلتقط الأمان في أحضانه، قائلة بصوتٍ ينبض بالمودة:

_وحشْتَنِي ياما .

ردت أم الديب بدهشة:

=ايه انتي ايه اللي جابك يابت؟

نطقت نعمة بصدمة:

_بقى دي آخرتها ياما؟ بدل ماتقوليلي وانتي كمان؟

ردت أم الديب بجفاء:

=مليش أني في الكلام ده .

عانقت نعمة ليالي بحنان لا يوصف، وفي عبير كلماتها تعبير عن الوفاء، والمحبة، قائلة بكل تأكيد:

_طيب ازيك يا ليالي؟

بادلت ليالي معانقة نعمة بفرح يعبق بالسعادة، وفي كلماتها يتجلى انطباع الفرح، قائلة ببهجة:

=الحمد لله انتي عاملة ايه، انتي ومحمد؟

ردت نعمة بسعادة:

_الحمد لله بألف خير .

بعد أن انتهى الجميع من عناق بعضهم البعض، نظر جلال حوله بحيرةً، فلم يجد أم الديب بينهم، فسرد

السؤال بدهشة:

=ايه ده أمي راحت فين؟

نادى أحمد والدته قائلاً:

_انتي روحتي فين يا ماما؟

بعد انقضاء لحظات العناق الدافئة، نظر جلال حوله بتساؤلٍ ملتبس، حيث عجزت عيناه عن تحديد

وجود أم الديب بينهم، فتجلى الاستغراب في نبرة صوته، كموجةٍ من الدهشة تتلاطم في بحر اللحظات

الساحرة.. فنطقت الوالدة:

=أنى راجعه أجبب الشنط يا ولا .

تحرك السير ببطء متزايد حتى دخلت أم الديب داخل جهاز الكشف، واندفعوا جميعاً نحوها، ينادونها بأعلى أصواتهم، فصاح جلال بصوت مرتفع مليء بالامتعاض:

_ياما .

نادتها نعمة بنواحٍ مؤثر، كمن تطلق صرخة الشوق في فضاء الانتظار:

=ياما .

نادتها ليالي بصوتٍ مليء بالذهول، كأنها ترسم لحن الدهشة في سماء اللحظات العابرة:

_يا حماتي .

ناداها جلال بانفعال:

=ياما .

بينما كانوا يلتفون حول أنفسهم كالمجانين، اختفت أم الديب كالظل في غياب النور، فاندفعوا في جمودٍ وهلعٍ يعتريهم كالسحابة المظلمة في سماء اليأس .

#النهاية